مجلة الأزهر

٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف
٣٦١ هجرية ٩٧٢ ميلادية
ALAZHAR AL SHARIF

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٦

المجلد الستون ـ القسم الثاني
السنة ١٤٠٨هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف
١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء السابع *
* السنة الستون *
* رجب ١٤٠٨ هـ *
* مارس ١٩٨٨ م *

٢٨٦٣٦٤
٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوار
بعد أبى طالب
٢

... ولقد آن الأوان لحديث عن حكومة مكة عصر النبوة :

تلك الحكومة التى لم تكن « ملكية » بالمعنى المعروف ، ولم تكن ـ كذلك ـ « جمهورية » بالمعنى المعروف ، فلم يتشكّل واقعها على شىء من هذه أو تلك .

كانت « حكومة » مكونة من « مجلس سيادة » بدأ ينمو مع إصلاحات « قصىّ » الجد الرابع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتكون لرؤساء البطون الكلمة النافذة فى توجيه الأمور .

استوت هذه الإصلاحات على تسع نَمتْ من واقع طبيعة مكة ، ومكانتها بين العرب ، ومسئوليتها تجاه الحجيج والمعتمرين على مدار العام .

فمكة مسئولة عن توفير الأمن لهم ، وإعداد الكعبة والحرم لاستقبالهم ، وتوفير الماء والغذاء من أجلهم ، هذا إلى جانب مسئولية قريش فى إدارة شئونها والدفاع عنها .

←

الجوار بعد أبي طالب

لذا انتهت إصلاحات قصى على يد أبنائه إلى :

١ ـ دار الندوة : وهى مجلس السيادة الذى تحسم فيه المشاكل وتحل المعضلات ، يدخلها من بلغ الأربعين .

٢ ـ اللواء : راية الحرب ، وتعنى شئون الدفاع وانتهى أمرها إلى بنى أمية .

٣ ـ الحجابة : وهى سدانة البيت الحرام ، وتولِّي خدمة الكعبة وما تقتضيه من شئون ، واستقرت فى بنى شيبة .

٤ ـ السقاية : وهى حياض الأدم ، توضع فى فناء الكعبة ، وينقل إليها الماء العذب لسقيا الحجيج ، تولاها فى عصر النبوة العباس بن عبد المطلب ، وأضاف التمر والزبيب .

٥ ـ الرفادة : طعام تشترك فيه قريش ، تعده للحجيج على سبيل الضيافة .

٦ ـ القيادة : وهى رياسة الركب لتجارة أو حرب ، وصلتها بـ « اللواء » شديدة ، وليها قبل الإسلام أبو سفيان .

٧ ـ المشورة : وتعنى الرأى من صاحب، الأمر الأخير ـ فيما يعرض من المسائل العامة ـ وانتهى أمرها إلى بنى أسد .

٨ ـ السفارة : وهى منصب تولاه بعد قصىّ بنو عدىّ ، فكانت السفارة قرب الإسلام لعمر بن الخطاب يكون سفير قريش إذا دخلوا فى صلح ، وينوب عنهم فى المنافرة .

٩ ـ الحكومة : والمقصود بها « القضاء » بين الناس فى خصوماتهم عند الاحتكام ، وكانت قبل الإسلام فى بنى سهم[1] .

والواقع أن هذه المناصب ـ برغم توزيعها فى بطون قريش ، إبان فترة الدعوة الإسلامية ـ كان يُمضى أمرها فى الكثير منها صاحب الغلبة فى الزعامة البارزة فى هذا المحيط ممن ليست

---

(١) راجع للأستاذ الدكتور محمد محمد مصطفى النجار ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٤٦ ، ٤٧ م الأزهر ١٣٧٢ هـ .

له أصلا ، فى حين يغضى الطرف عنها أصحابها الشرعيون . كذلك ـ من الواقع أيضاً ـ أن بعضها كان يمارسها أصحابها الشرعيون دون أدنى تنازل عنها .

قال يونس بن عبيد ـ رحمه الله :

« كان عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، وأبو سفيان لا يسقط لهم رأى فى الجاهلية »[٢] .

مع أن الأربعة ليس فيهم أسدىّ ، فكلهم ـ عدا أبى جهل ـ عبشمىّ ينتهى إلى عبد شمس بن عبد مناف ، فأما أبو جهل فمخزومى فهو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشى .

اللهم إلا أن يقال : إن شيخ بنى أسد صاحب المشورة هو الذى يختار الرأى ويأمر به فيُلْتزم ، وهذه بدورها بعيدة ؛ فكثيرون الذين أمضوا الحملات الشعواء ضد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكونوا أسديين ، قرروا هذه الأحكام الدافعة لتلك الحملات ، بل من « الأَسَدِيِّين » من أبلى بلاء حسنا فى الدفع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأبى البخترى ؛ فإنه ـ على كفره ـ جاهد من أجل إسقاط العمل بالصحيفة .

● ● ●

كانت حكومة مكة تكوينا يجمعه « مجلس سيادة » ، وهى ـ بهذا الأصل ـ متقبلة لكل زعيم ذى شأن من بطونها الخمسة والعشرين ليكون عضواً عاملاً فيها ، له حقه فى شئونها : إدارة وتوجيهاً وقبولاً ومعارضة .

ولكننا أمام هذا الأصل ينبغى أن نضع بعض التحفظات ؛ مستصحبين ابتداء ملاحظتنا على مناصب قصىّ :

فلسنا نستطيع القطع بأن « مجلس السيادة » هذا يتكون من خمسة وعشرين شيخاً ، كل شيخ منهم زعيم لبطن من بطون قريش ؛ فقد يكون كذلك ، وقد يكون أقل أو أكثر ؛ فإن بعض هذه البطون لمع من رجالها أكثر من رجل ، كان لكل منهم مكانته وإسهاماته فى هذا المجلس ؛ بل هناك ما هو أكثر من ذلك فقد قرأنا عن قبولهم ضم من ليس من قريش إلى

---

(٢) انظر لابن الأثير ـ أسد الغابة الترجمة رقم ٢٤٨٤ .

مجلسهم إذا رأوا فيه إمكان أن يمدهم بالرأى يريدونه ، كما قبلوا«إبليس»إذا جاءهم فى صورة شيخ نجدى ، وهم يتآمرون ضد رسول الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ فضموه إليهم .

كذلك نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا : إن قراراً بعينه لابد أن يكون صادراً عن « إجماع » هذه البطون الخمسة والعشرين ، أو أكثرها ، فثمة أمور تعرض تصرف بعض المشيخة عن المجلس ، وأخرى تجعل البعض يرضخ ليس عن إرادته الحرة ، وثالثة يتصرف فيها بعض المشيخة حسبما يرى دون الخروج عليها .

قال أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى صاحب « الطبقات الكبرى » بصدد غضب قريش من نجاح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أسلم أبو بكر وعمر وحمزة وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ـ رضوان الله عليهم ـ ، فبدت العزة على المسلمين ؛ قال : « فغضبت قريش من ذلك ، وظهر منهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحسد والبغى .

وأشخص(٣) به منهم رجال فَبَادَوْه ، وتستر آخرون وهم على ذلك الرأى إلا أنهم ينزهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »(٤) .

وضرب مثلا من الأولين : أبو جهل .. والوليد بن المغيرة وعدّد رجالا ، ومن الآخرين : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان كانوا أهل عداوة إلا أنهم لم يُشْخصوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس ينفى ماقدمناه أن يقع منهم إجماع فى بعض الحالات كالذى كان منهم فى قرارهم قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونجاه الله ـ سبحانه ـ من كيدهم .

وما من شك أن الواقع يشير فى وضوح إلى زعامة قل أن يُرَدَّ رأيها ؛ بل قد لا يرد أصلا ، من ذلك : أن يكتسب شيخ بطن مَحْمَدَةً بعمل شريف يشهد له به المجتمع العربى كله ، ويعود نفعه على كل فرد من قومه مادياً وأدبياً ؛ فترتفع منزلته ولا يرد رأيه ، وتبرز لنا مجموعة من المحامد الشريفة فى « قصىّ » الجد الرابع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(٣) أعلن .
(٤) الطبقات ١/٢٠٠ دار صادر بيروت .

فقد جمع قريشاً من مختلف أنحاء الجزيرة وأسكنهم مكة ؛ فدانت له قريش وحده ، ومثله « هاشم » الجد الثانى له ـ عليه الصلاة والسلام ـ صاحب « الإيلاف » و« عبد المطلب » وَالِدُ أبيه « عبد الله » صاحبُ « زمزم » التى عمَّ خيرها قريشاً والعرب أجمعين .

كذلك قد يجتمع لشيخ منها بسطة فى المال وكثرة فى الولد فيعم خيره والنفع به فى هذا المجتمع فيكون له صوت لا يرد كما هو الحال فى بنى مخزوم ، وإن قامت إلى جانب ذلك موروثات قصىّ ، فليست بمانعة أبدا أثر هذا أو ذاك ، ولعل هذا الأمر أو ذاك كان سبباً مباشراً فى إغضاء بعض الرؤساء عن حقه فى التوجيه .

وإذاً نحن ـ فى النهاية ـ أمام نفوذ قَدْر محدود من المشيخة لا يبلغ عدد هذه البطون ، يديرون الأمور ويوجهونها حسب اتفاقهمً على أساس مادار بينهم من شورى خضعت لحسابات متعددة،فإذا رضى عنها الجميع كان لها شأن ، وإذا تمالأ عليها البعض أمكنهم أن يردوها :

ضاق هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر من « عامر بن لؤى القرشى » ـ من أمر الصحيفة ، وما أنزلته ببنى هاشم والمطلب فمشى إلى زهير(٥) بن أمية بن المغيرة المخزومى ، فقال :

يازهير ، أقد رضيت أن تأكلّ الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام [أبى جهل] ثم دعوته إلى متل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك ، ياهشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نقضها .

قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغِنَا ثالثا .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ؛ فقال له : يامطعم ، أقد رَضيتَ أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما ـ والله ـ لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعاً .

قال : ويحك ، فما أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت .

---

(٥) زهير هذا أمه عاتكة بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : ابغنا رابعا . فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال نحو ماقال للمطعم ، فقال : وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك . قال : ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد فكلمه ، فقال : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ .

قال : نعم . ثم سمّى له القوم .

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الحجون ليلا بأعلى مكةَ ، وتعاقدوا على القيام بنقضها ، فلم يقم لهم أحد وانتهى أمرها .

تلاحظ فى الحوار الدائر بين هشام بن عمرو وبقية القوم كَعَّ كُلٌّ منهم أن يقوم للأمر وحده ، وهنا يبرز سلطان هذه الحكومة ، فلما أخذوا فى ضم الأصوات حتى بلغت خمسا اتضع هذا السلطان فتوارى . وضاع جهد أبى جهل هباء ، وانتهى أمر الصحيفة(٦) .

وفى هذا القدر من المعارضين مايمكن أن نتصور - فى ضوئه - عدد أصحاب النفوذ فى حكومة هؤلاء السادة .

● ● ●

وتاريخ فترة الدعوة الذى وقع عليه إجماع المؤرخين يبين لنا أن « مجلس السيادة » هذا يكاد يكون معقوداً دائماً ، فيندر أن يخلو الحرم ، أو جانب منه ، أو الحطيم من ناد لقريش صباحاً فى ظل الكعبة ، أو مساء بها أو بأحد جوانبها : مجلس ، واثنان وثلاثة ، فإذا حدث أمر فصاح صائح ، وكان له أهميته التف الجمع فى مجلس واحد ونظر فيه .

● ● ●

هذه « مكة » التى آل إليها - من مئات السنين - ميراث الوثنية كله ، وإليها لجأ مختلف القبائل بنماذج لأوثانها فوضعتها لهم حول الكعبة داخل الحرم حتى بلغت ستين وثلاثمائة وثن ، فكانت نموذجاً للشرك مجسما ، وبلغت منزلة قريش - فى نفس العرب - حد التقديس ، فلا يطوفون إلا فى ثياب القرشيين إيمانا منهم بطهارتها ، وحسبك فى تقديس العرب لهم .. مقاومة هؤلاء العرب لأبرهة - وهو فى طريقه إلى مكة - يريد هدم الكعبة ، فقد تعرض له « ذو نفر » من أشراف اليمن ومن أجابه من سائر العرب فحاربوه قبل أن يَخْلُصَ

---

(٦) راجع لابن كثير - السيرة النبوية ٢/٦٧ ، ٦٨ .

من اليمن إلى مكة ، فلما انتصر عليهم ، وانتهى إلى « خثعم » خرج إليه « نُفيل بن حبيب الخثعمى » فى قَبِيلَىْ خثعم : « شهران » و« ناهس » ومن تبعه من العرب وقاتلوه ليرتد عن البيت ، ولم نسمع فى التاريخ بمثل هذا ، وإنها لحقيقة تبرز لنا قيمة مكة والكعبة فى نفس هؤلاء العرب ومن ثم منزلة القرشيين .

ورضيت « حكومة السادة » بالكثير ؛ بل عملت من جانبها جاهدة على إمتاع الزائر وأبنائها بما يريدون فكانت حانات الخمر بـ« الحُزَوْرَة » قريبة من البيت الحرام ، وارتفعت أعلام البغايا على بيوتهن إعلاماً بها ، واتخذ النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عبد مناف داراً كانت كمرقص للقيان والمغنين ، ولهو الحديث(٧) ، وعجت الأسواق من حول مكة بطرائف اللهو والمجون .

●●●

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى التوحيد فى مكة فى إطار نظام تلك الحكومة وأعرافها ، فلم يعلن حربا على هذا النظام فى ذاته ، ولا على أعرافه من نظم قصىّ إلا ما كان من أمر الوثنية ، فذلك ما أنكره عليه الصلاة والسلام ـ بغير هوادة .

إنما كان ثمة أمر واحد يوجه إلى المشرك ، إن استجاب له صلح من أمره كُلُّ شىء ، وسقطت به آثار السوء كلها ... « لا إله إلا الله » . فكان جهاد الدعوة مركزاً ضد « الشرك بالله » تعالى الله سبحانه .

بعث أبو طالب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحضر قومه إذ شَكَوْهُ لأبى طالب ، فلما اجتمع ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهم ، قال :

« ياعم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل : نعم ، وأبيك ، وعشر كلمات .

قال : تقولون : لا إله إلا الله . وتخلعون ماتعبدون من دونه » .

فصفقوا بأيديهم ، وانطلقوا يقول بعضهم لبعض : امضوا على دين آبائكم .

وأكثر ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مخاطبتهم بقوله :

« قولوا : لا إله إلا الله .. تفلحوا ..(٨) .

فهى كلمة الإيمان الكفيلة برضوان الله .. وبها ينتهى كل فساد .

د. على أحمد الخطيب

---

(٧) راجع تفسير الآية ٦ من سورة « لقمان » .

(٨) راجع طبقات ابن سعد لصادر ١/٢٠٠ ، وسيرة ابن كثير ٢/١٢٣ .

الإسراء والمعراج

في السُّنة المطهرة

حفلت كتب السنة المطهرة والسيرة العطرة بقصة الإسراء والمعراج ، ورويت عن أكثر من عشرين صحابياً من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغت حد التواتر فى مجموعها .ولكن هذه الروايات يختلف بعضها عن البعض طولاً وقصراً وذكراً وحذفاً فبعض ما جاء فى رواية لم يذكر فى غيرها من الروايات وما ذاك إلا لأن الرواة رضوان الله عليهم لم يذكروا إلا ما حفظته قلوبهم ووعته . فمن حفظ شيئاً ذكره وما لم يحفظه تركه .

وسنحاول إن شاء الله أن نذكر في هذه العجالة ما صح سنده منها أو كاد ، تاركين ما جرح أئمة الحديث بعض رواته جرحاً يقدح في عدالتهم وضبطهم ، أو يسىء ظن المسلمين بهم .

وسنحاول ترتيب حوادثها في ست مراحل :

الأولى قبل الإسراء ، والثانية في المسرى ، والثالثة في المسجد الأقصى والرابعة في السموات العلى ، والخامسة عند سدرة المنتهى ، والسادسة في مكة بعد الإسراء .

حتى تتضح الصورة فى أذهان القارئين ولا تختلط عليهم المشاهد والمرائى وكم كان بودنا أن نذكر جميع الروايات ولكننا رأينا أن فى ذكر جميعها تطويلاً وتكراراً ليس القارىء فى حاجة إليه .

المرحلة الأولى :

فى مكة ليلة الإسراء

كان صلى الله عليه وسلم نائماً فى بيت السيدة أم هانىء بنت عمه أبى طالب مع عمه حمزة سيد الشهداء وابن عمه جعفر الطيار إذ فرج سقف البيت وهو بين النائم

لفضيلة الشيخ
عبد الحميد محمد على ندا

واليقظان ، ونزل منه ثلاثة من الملائكة الأطهار فاحتملوه حتى أتوا به المسجد الحرام فشق جبريل عليه السلام صدره الشريف ، وأتى بطست من ذهب مملوء بماء زمزم فغسل به قلبه ثم أفرغ فى قلبه ينابيع الحكمة والإيمان استعداداً لما سيشاهده فى هذه الليلة المباركة من الآيات الكونية ولما سيلقى عليه من أنواع الفيوضات الإلهية .

ثم جىء له بالبراق ، وهو خلق من مخلوقات الله العجيبة على صورة حيوان . أسرع من البرق فى المسير يضع قدمه عند منتهى بصره فركبه - صلى الله عليه وسلم - هذا هو مجمل ما جاء فى الروايات عما كان بمكة ليلة الإسراء . وحتى تكون أخى القارىء على بينة من الأمر نوضح لك مسألتين ذكرت الروايات الصحيحة فيهما اختلافاً .

الأولى : جاء فى بعض الروايات أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بالمسجد الحرام ساعة مجىء جبريل ، ومن معه وذكرت الأخرى أنه كان فى بيته .

الثانية : أنه كان فى بيت أم هانىء . فهل هذا يعد اختلافاً ؟ .

والحق أن ذلك ليس باختلاف مادام التوفيق ممكناً إذ من الجائز أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - بائتاً مع لداته : حمزة وجعفر فى بيت أم هانىء والبيت الذى ينام فيه الإنسان يسمى بيته لاختصاصه به ونسبته إليه ولو كان مملوكاً لغيره . والروايات التى ذكرت أنه كان فى المسجد لم تتعرض لما كان قبل وجوده فى المسجد على أن بيت أم هانىء كان مجاوراً للمسجد .

والمنطقة كلها حرم ويصح أن يطلق عليها اسم المسجد الحرام كما نطق بذلك الكتاب العزيز .

الثانية : مسألة شق صدره - صلى الله عليه وسلم - . روت كتب السنة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - شق صدره وهو صغير بينما كان يلعب مع الغلمان فى (مرابع بنى سعد) وعد العلماء ذلك إرهاصاً وتهيئة للأذهان بأن هذا المشقوق صدره شخص غير عادى تكتنفه رعاية الله عز وجل .

وروى بعضها الآخر أن حادثة شق صدره - صلى الله عليه وسلم - كانت ليلة الإسراء .

واتخذ بعض كتاب المسلمين وغيرهم من الحاقدين من اختلاف التاريخ وسيلة لرد الروايتين . أو التأول فيهما بأن ذلك من باب المجاز فهو تعبير عن هداية الله عز وجل له وإلقاء النور فى قلبه .

ونحن لا نرى فى اختلاف التاريخ وسيلة للرد إذ يحمل على تعدد الحادثة والقصة ،

وبخاصة أنهما رُويتا فى أصح كتابين بعد كتاب الله - عز وجل - صحيح البخارى وصحيح مسلم .

وأما القول بالمجاز الذى يدعيه بعض الكتاب فهو قول جد خطير أيضاً إذ من المعلوم أن المجاز لا يسار إليه إلا عند تعذر الحقيقة ، وما دامت الحقيقة ممكنة فلا داعى للقول به ؛ بل هو عبث لأنه تعطيل للنصوص وحمل لها على غير ظاهرها وما يتبادر إلى الأذهان عند سماعها .

قد يدعون أن الجرح والالتئام في مدة وجيزة قرينة تمنع من حمل الكلام على ظاهرِهِ ، والحق لا . فليس هذا ببعيد على قدرةِ الله . كما قالوا : إن أمر الخير والشر لا يرتبط بأعضاء حسية فى جسم الإنسان ، وإنما مرد ذلك إلى التربية والاستعداد . ونحن نقول لهم أيضاً : لا وبخاصة بعد ما أثبت العلم الحديث صلة بعض الأمراض النفسية بعلل تصيب بعض خلايا جسم الإنسان . وكم سمعنا عن جراحات تجرى لكثير من المرضى النفسيين فيشفون من أوصابهم بإذن الله .

إن القول بالمجاز فى أمر الخوارق تعطيل لها وذهاب بالفائدة التى جاءت من أجلها ، وهى ما جاء بها الله - عز وجل - على يد رسوله إلا ليطاع بأمر الله تصديقاً له وتأييداً لمدعاه .

بيد أننا نرى فى حادثة شق صدر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء بالذات أنها كانت عملية تأهيل وتحويل ، تأهيل لأن يرى ما لا تتحمله قوى البشر ، وتحويل من الطبيعة البشرية إلى طبيعة أخرى ملائكية بل هى فوق الملائكية ، فَقَطَعَ المسافات وَاخْتَرَقَ السبع الطباق ؛ واجتاز إلى سدرة المنتهى فى وقت وجيز دون أن يصاب بإرهاق أو أعنات .

المرحلة الثانية :

فى المسرى . إلى بيت المقدس : ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البراق وجبريل الأمين آخذ بزمامه تطوى بهما الأرض فلا بعد ولا صعاب ولكن كان ثمة وقفات كما جاء في سنن الترمذى :

وقفة عند طيبة المدينة المنورة التى طيب الله - عز وجل - ثراها بمثوى رسوله صلوات الله وسلامه عليه فيها بلد الأنصار الذين آووا ونصروا وأعز الله بهم دينه . مهجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الأوائل الذين أُوذُوا في ذات الله وأُخْرِجُوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ، وقفة عندها وصلاة حتى تكون أول تكبيرة فيها لله من حبيبه وخيرته من خلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا فتح قبل الفتح وبشرى بالتأييد والنصر .

ووقفة عند طور سيناء : حيث كلم الله عز وجل موسى - عليه السلام - تكليماً تبياناً للناس أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليس بدعاً من الرسل ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - - على الدرب يسير ، وأن تلك

البقاع التى شرفت برسالات الله سيعمها من جديد نور الله . ولن ينطفىء مهما خبا إذ لا يأس من روح الله .

وثالثة عند بيت لحم : حيث ولد المسيح عيسى عليه السلام . وحيث أوذى وأمه وتحملا ما تحملا ابتغاء رضوان الله .

وصلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه المواطن الثلاثة شهادة بأن الإسلام الحنيف هو الدين الحق الذى أرسل الله به موسى وعيسى عليهما السلام وإيحاء لنبينا صلوات الله وسلامه عليه أن اصبر كما صبر هؤلاء .

مرائى رآها الرسول ﷺ فى مسراه

تعتبر رحلة الإسراء والمعراج فاصلاً زمنياً بين مرحلتين اجتازتهما الدعوة إلى الله :

الأولى : مرحلة العقيدة فقط ودعوة الناس إلى كلمة لا إله إلا الله . والاعتراف الصادق بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله ، وتلك كانت قبل الإسراء .

أما الأخرى : فهى مرحلة التشريع : تشريع عبادات ومعاملات تسعد البشرية فى ظلالها وتنعم فى جوارها إذ من الثابت أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء ، أما الصوم والزكاة والحج ففرضوا بعد الهجرة ، وتلك التشريعات أمور نظرية قد لا يتقبلها الإنسان بادىء ذى بدء فلا تنال منه إلا الرفض . وبخاصة أنها تقطع جزءاً من جهده وماله ووقته ، وهذا الجزء وإن كان يسيراً ولكنه على كل حال عزيز على النفوس .

ومجمل القول : أن مرحلة لها طابعها الخاص من التضحية والنظام والحساب الدقيق قد بزغ فجرها وآن أوانها قد بدأت فلا بد إذن من تدريب الداعية إليها تدريباً نظرياً ومعملياً عليها يرى بعينيه ثمرة الاستجابة يانعة مأتية كما يرى جزاء العصيان والمخالفة واقعاً ملموساً ومحسوساً . وتلك وسيلة من وسائل التربية العظيمة التى ما اكتشفها الإنسان إلا حديثاً وأسماها (وسائل الإيضاح) فى التربية الحديثة .

وإذا ما عرضنا إلى هذه المرائى التى رآها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحاولنا تصنيفها حسب برنامج الدعوة الإسلامية نجدها تتصدى أول ما تتصدى لطبيعة تلك الدعوة ، وأنها دعوة سهلة سمحة يسيرة لا رهق فيها ولا إعنات فهى دعوة الفطرة السليمة والعقل الرشيد .

أولاً : اللبن والخمر : روى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أتانى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة . وإذا ما نحن أردنا أن نقارن بين هذه المرئية وبين طبيعة الدعوة الإسلامية نجد أن اللبن خالص سائغ لم تتدخل فيه يد بالفساد فهو على الطبيعة والفطرة التى خلقه الله عليها . موافقاً لجميع الطبائع البشرية من طفولتها إلى شيخوختها ومرضها وصحتها لسهولة هضمه واكتمال العناصر الغذائية

فيه . يشربه أهل الحضر والوبر فى الصيف والشتاء على سواء ، ويتسنى لهم في كل مكان دون مشقة فى طلبه ، أو إعداده إلى غير ذلك من صفاته الحميدة من بياض ناصع وطعم سائغ يحس شاربه بالشبع والرى ، وكذلك الدعوة الإسلامية الجديدة يولد المولود عليها كما جاء في الحديث :

« يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ولا يعجز المسن عن القيام بشعائرها ولا يثقل على المريض أداء تكاليفها﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكم إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

« الحج ٧٨ »

أما الخمر التى عافها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليست من الفطرة في شىء ذلك لأنها بعد أن كانت ثمرة حلوة ذات عصير طيب أفسدها الإنسان وغير من طبيعتها وأمست حريقة نتنة لا يستطيع تجرع جرعة منها إلا من تمرس عليها وغابت حواسه وسقمت مشاعره . بل هى سم يحرمه من استحلوها على أطفالهم ومرضاهم وكبار السن فيهم ثم إنها فوق ذلك تعطل العقل الذى هو مناط التكليف وحجر الزاوية فى الدين . فهو دين يخاطب العقل ويحتكم إليه لذلك كان من حقنا أن نقول إن هذه المرئية . الخمر واللبن . كانت لتوضيح طبيعة الدعوة الإسلامية ، وأنها دين يوافق الفطرة .

ثانياً : داعى اليهود وداعى النصارى :

روى البيهقى في كتاب دلائل النبوة من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (بينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يمينى : يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه . قال جبريل : فذاك داعى اليهود أما إنك لو أجبته وأوقفت عليه لتهودت أمتك) .

قلت : فبينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى قال : يا محمد انظرنى أسألك فلم ألتفت إليه ولم أقم عليه .

قال جبريل : ذاك داعى النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك .

وإذا كانت مرئية الخمر واللبن قد وضحت طبيعة الدعوة الإسلامية ؛ فإن فى هذه المرئية الجديدة توضيحاً وبياناً لما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله من استقامة على الجادة وعدم الانحراف عنها قيد أنملة ، كما تبين لنا تلك الجهود المضنية التى بذلها أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومازالوا يبذلونها فى الصد عن دين الله ، والقرآن الكريم أوضح في كثير من آياته البينات تلك الحملات الطائشة والمحاولات العديدة التى بذلها اليهود والنصارى حتى يردوا المؤمنين عن دينهم ما استطاعوا .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

« البقرة ١٠٩ »

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ .

« البقرة ١٣٥ »

ولكن الله عز وجل حسم الأمر وأوضح الطريق أمام نبيه صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين به حين قال :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ .
« الشورى ١٥ ، ١٦ »

ثالثاً : خطباء الفتنـــة : ـ

روى ابن جرير فى تفسيره والبيهقى والحاكم من حديث أبى هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم تُقْرَض ألسنتُهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرِضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال :
« ما هذا يا جبريل ؟ »
فقال : « هؤلاء هم خطباء الفتنة يقولون مالا يفعلون » .

وهذه المرئية تتعلق بسلوك الدعاة :

وأنهم لابد أن تتوافق أفعالهم مع اقوالهم ، وأنه إذا انفصلت الكلمة عن السلوك وتباينت معه كان ذلك وحده كافياً للإعراض عن دعوتهم وعدم الالتفات لأقوالهم :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .
« الصف ٢ ، ٣ »

وخطباء الفتنة أيضاً هم خطباء رغبة ورهبة يخشون الناس ويطمعون فيما بأيديهم ويقولون مالا يرضى دون ما نظر إلى شرع الحق وسُنَّة سيد الخلق ﷺ وأمثلة ذلك كثيرة فى واقع المسلمين اليوم من تحليل للحرام ، وتعطيل لحدود الله ، وتزكية للفاسقين ، ومجالسة للظالمين .

وكلا الصنفين علماء سوء وخطباء فتنة ، ومن ثم كان عقابهم أن تُقْرَضَ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، وأن يستمروا في ذلك العذاب لا يفتر عنهم ، وهم فيه مبلسون .

وهذا أنموذج فقط لما يغشاهم من النكال بيد أن فى السنة المطهرة أن من جملة عقابهم ، أن تندلق أقتاب[1] الواحد منهم في النار فيدور حولها كما يدور الحمار برحاه . ويسأله أهل النار : ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

رابعاً : عقبة على الطـريـــق : ـ

جاء في حديث أبى هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شىء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام

←

(١) امعاء .

من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا :
﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ . . . . ﴾ . الآية

« الأعـراف ٨٦ »

وإذا كان خطباء الفتنة شراً على مسيرة الدعوة الإسلامية الراشدة بأفعالهم التى لا تتفق مع ما يقولون وبفتاواهم الزائفة التى تضل الناس ، ويحسبون أنهم مهتدون ؛ فإن أولئك الذين جاهروا الدعوة بالعداء وصبوا ألوان العذاب والنكال على رءوس الدعاة واخترعوا أو استوردوا مبادىء وأضاليل قد تستهوى العامة ببريقها حتى إذا ما تساقطوا فيها تساقط الفراش أحرقتهم بلهبها وأكلت الأخضر واليابس من وسائل عيشهم ومقومات حياتهم ، ولقد عاصرت الدعوة الإسلامية الكثير من هذه الأباطيل ولكنها بحمد الله بقيت فى جوهرها الأصيل كالذهب الخالص لا تزيده الفتنة الا نقاء في جوهره وضياء وصفاء في مظهره ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

« التوبة ٣٢ »

خامساً : المجاهدون فى سبيل الله :

روى ابن جرير وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا جبريل ما هذا ؟ »

قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف :
﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

« سـبأ ٣٩ »

أوضحت المرئية الأولى طبيعة الدعوة الإسلامية وأبانت الثانية عن عواصف هوج تنبعث من اليهود والنصارى وأظهرت الثالثة الخطر الداهم في الذين لبسوا المسوح وتشدقوا بجميل الكلم ومعسول القول وارتكبوا المنكر والقبيح وكشفت الرابعة عن الذين حادوا الله ورسوله وصدوا الناس عن دين الله فكان لزاما أن توضح مرئية من المرائى ما أعده الله عز وجل من جزاء وما ادخره من ثواب لأولئك الذين جاهدوا في سبيل الله إعلاء لكلمته ونشراً لدينه . جاهدوا بكلمة صادقة وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

قد يضن الإنسان بكلمته خشية أن يقتطع بسببها شىء من رزقه ، أو يفوت عليه شىء من حظ نفسه ، وقد يبخل البعض بأموالهم خشية النفاد ، كما يجبن آخرون عن خوض معارك الشرف والكرامة حرصاً على دمائهم أن تراق وعلى أرواحهم أن تزهق ، ولكن المجاهدين في سبيل الله قد جادوا بشىء من ذلك أو بكله ثقة وطمعاً فيما عند الله وهو أعظم وأبقى .

إن الزارع عندما يبذر الحب في الأرض . وهى جماد . قد تنبت وقد لا يخرج منها نبات وإذا ما استوى النبت على سوقه فقد تصيبه آفة تهلكه وتأتى عليه ومع ذلك يدفعه رجاؤه المرتقب إلى أن يبذر بعض قوته وقوت عياله فى الأرض . وماذا تعطيه الأرض تعطيه بدل الحب أضعافاً مضاعفة .

أما عطاء الله الذى لا تضيع عنده الودائع فهو عطاء سابغ وفضل عظيم ومن ثم كانت صورة المجاهدين في سبيل الله ـ كما رأيت ـ جزاء يومياً كلما زرعوا حصدوا وكلما حصدوا نما الزرع ثانية وربا ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثواباً من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار .

سادساً : رؤية الشياطين : ـ

جاء في رواية ابن جرير عن أنس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ ليلة أُسرى به بشىء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول : هلم يا محمد . فلما سأل جبريل عنه قال : وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه .

وجاء فى رواية ابن ماجة وأحمد عن أبى هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى أسفل منه ـ وهو في السماء الدنيا ـ(٢) رَهَجاً ودخاناً وأصواتاً فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » .

وهذه الرؤية توضح لنا عقبة من العقبات التى تعترض أمة الإسلام ؛ بل ذلك الحجاب الكثيف من الشياطين الذين يصدون عن ذكر الله ـ عز وجل ـ وعن التفكر فى آياته :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

« آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ »

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .
« فاطـر ٦ »

تلك هى العداوة الأبدية بين إبليس وبين دعوة الحق والدعاة إليه فلينتبه الدعاة والمدعون إلى حبائله وشباكه أن تلفهم وتأخذ بنواصيهم .

إن الدعاة يأتيهم الشيطان ليغرهم بما قالوا فيتكبرون على النـاس ، ويعجبون بأنفسهم . والكِبْرُ والعُجْبُ والغرور آفات حالقة وأمراض مدمرة وصدق رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول : ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذى رأى برأيه .

←

(٢) الفتنة والشَـغْب .

وإذا كانت هذه وقفة عدو الله إبليس أمام الدعاة فإنه وجنده يتربصون بالمسلمين الدوائر ، وبخاصة إذا ما أقبلوا على ربهم فترطبت ألسنتهم بذكره وتكحلت عيونهم بالنظر في خلقه ، واستنارت قلوبهم بالتفكر في عظيم آياته :

ولو اقبل المؤمنون على ربهم وجاهدوا حتى تخلت الشيـاطين عن طـريقهم لانكشفت لهم الحجب ورأوا العجائب .

وفى حديث حنظلة الأسيدي الذى أخرجه الترمذى حينما شكا هو والصديق أبو بكر رضى الله عنهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تَغَيُّرَ حالهم عند مفارقتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهم : لو تدومون على ما تكونون عليه وأنتم معى لصـافحتكم الملائكـة في مجالسكم وفى طرقاتكم . ـ فى هـذا الحديث الشريف ما يشهد لما نقول .

سابعاً : تمثيل الدنيا بامرأة عجوز : ـ

روى البيهقى وغيره من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى فى مسراه عجوزاً على جانب الطريق فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : أما العجوز التى قد رأيت على جانب الطريق فلم يبق من عمر الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز .

وفى حديث أبى هريرة وأبى سعيد أنه رأى امرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول : يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبها ولم يقم عليها . ويقول جبريل : تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها وأقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، وإذا كانت بعض المرائى قد تعرضت لطبيعة الدعوة وسهولتها ، وتعرض بعضها الآخر للدعاة إلى الله وما يجب عليهم أن يتصفوا به فإن في هذه المرئية تنبيهاً إلى قصر المدة التى يعيشها الإنسان في ظل تلك الدعوة كما يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بعثت أنا والساعة كهاتين »[٣] وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى تعرضت لعنصر الزمن ، والزمن إذا كان طويلاً فإنه قد يحتمل التسويف أما إذا قصر أمده ولم يبق منه إلا القليل فلماذا المطل والتسويف ؟

إن عمر الدنيا إذن قصير ، وإقامة الإنسان فيها أقصر بكثير فإذا ما ضحى الإنسانُ بعمره القليل في سبيل غاية لا تفنى فلقد ضحى بقليل ليكسب كثيراً ، ضحى بشىء متوهم في سبيل نعيم متيقن ، ضحى بزخرف براق في سبيل جنات عرضها السموات والأرض :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ

(٣) الترمذى ومسند أحمد .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

« آل عمران ١٤ ، ١٥ »

ثامناً : صورة حمل الأمانة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها فقال : « ما هذا يا جبريل ؟ »

قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ويريد أن يحمل عليها فلا يستطيع ذلك .

يقول رب العزة جل علاه :
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوات وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ .

ألا ما أظلم الإنسان لنفسه وما أجهله بعواقب أمرد . يتحمل أمانات الناس ، وهو على يقين أنه سيردها إليهم كما أخذها إذا ما طلبوها ، أو أغلب ظنه كذلك ، وهو لا يدرى ماذا سيكون حاله ومصيره بعد ، وما خبأه له الغد القريب .

إن الدهر قُلَّبٌ والأيام دُوَل ، يوم لنا ويوم علينا ، فمن أين يأتيك اليقين ، أيها المسكين ، تتحمل أمانات الناس أنك فى غدك ستكون قادراً على ردها . وإن أتاك فمن الذى سيحفظها لك كما استودعتها إنها معرضة للتلف والدمار فحرى بالعاقل ألا يحمل من أمانات الناس فوق ما يطيق ولهذا جاءت صور أولئك الذين يتحملون أمانات الناس ويستزيدون منها فى صورة أبله غافل يجمع ما لا يستطيع حمله ثم هو بعد ذلك يطلب المزيد .

إن الأمانة فطرة كريمة في الناس غذتها الشريعة الإسلامية بلبان القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولكنها سرعان ما تزول وتذهب كما يخبرنا الرسول الكريم فى قوله : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة » .. وكما حدث صلوات الله وسلامه عليه عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه[٤] . ومن أدرى المسكين أنه فى الغد آمن .

تاسعاً : صورة تاركى الصلاة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

يقول الله تبارك وتعالى :
﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ .

« النساء ١٠٣ »

(٤) البخارى - كتاب الرقاب - باب رفع الأمانة .

ويقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ .

« الإسراء ٧٨ »

وهاتان الآيتان الكريمتان توضحان لنا مدى ارتباط الصلاة بالزمن فليس المطلوب من المسلم أن يصلى فحسب وإنما المطلوب منه أن يهرع إلى الصلاة فى أوقات مخصوصة حددها رب العزة ـ جل علاه ـ لأن في تغير الأوقات من ليل إلى نهار ، ومن صباح إلى مساء ومن عَشيّ إلى إبْكار ، إيذانا بتغير حال المسلم من راحة إلى عمل ، ومن نوم وغفلة إلى يقظة وحسّ ، فكان لزاما على هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة ، ويؤثرون النوم أو الانهماك في العمل أو السمر مع الرفاق أن ترضخ رءوسهم بالصخر مرات ومرات ما داموا لا ينتبهون لنداء الحق ، ولا يستمعون لداعى الله : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاة خير من النوم .

بيد أن فى الصلاة ترويحاً للنفس من أعباء الحياة التى تأخذ بزمامها ، وتستولى على جميع وجهاتها كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : أرحنا بالصلاة يا بلال .

عاشراً : صورة ما نعى الزكاة : ـ

جاء فى رواية البيهقى ، وابن جرير عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل ، والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها . قال : فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد .

لا يليق بالإنسان ، وقد كرمه الله ـ عز وجل ـ وفضله على كثير من خلقه . أن يرتبط بشىء مادى جعله الله عز وجل وسيلة له فى عيشه لتتحقق له الكرامة ويكون أهلاً للتفضيل وهؤلاء الذين يقدسون أموالهم ويضعونها فى مستوى كرامتهم وإنسانيتهم تعساء أذلاء ومن ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش [٥] » .

تعساء حرموا الفقراء من حقوقهم فكان جزاؤهم أن يحرموا هم أيضاً من أموالهم وما كسبت أيديهم .

ومن ثم حُرم ما نعو الزكاة في هذه المرئية من ثوب سابغ يستر أجسادهم ، وإنما الذي نالوه فقط رقاع على السوءتين فقط وضريع وزقوم ورضف جهنم وحجارتها يأكلونها فتقطع أمعاءهم .

هذا ما نالوه من أموال تكدست وملئت بها الخزائن أما الباقى فلغيرهم لمن ورثوه يبددونه في ملاذهم وأهوائهم .

يتبـع

عبد الحميد محمد على ندا

(٥) البخارى ـ كتاب الرقاب باب ما يتقى من فتنة المال ـ ومسلم ـ كتاب الإيمان .

رجال القراءات

الإمام عاصم بن أبى النجُّود

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

خامس أئمة القراء العشرة وإمام أهل الكوفة وقارئها - أبو بكر عاصم بن أبى النَّجُود[1] الأسدى، مولاهم، الكوفى،وكان إماما في القرآن والحديث لغوياً نحوياً انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة، بعد أبى عبد الرحمن السلمى فصيحاً حسن الصوت.

توفى بالكوفة، أو « السماوة » قال شعلة : وهو موضع بالبادية. سنة سبع وعشرين ومائة، أو سنة ثمان وعشرين.

رواته

أول رَاوِيَيْه : أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم، الأسدى. وكان عالماً عاملاً.

قال وكيع : هو العالم الذي أحيا الله به قرنه، ختم ثمانى عشرة ألف ختمة، أو أربعاً وعشرين ألفاً في زاوية. وخرج في صدره نور - ظن أنه برص حتى عرف - ومكث خمسين سنة لم يفرش له فراش.

مولده : ولد سنة خمس وتسعين.

وفاته : توفى في جمادى الأولى - سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(١) قال الحُكْرى - في النجوم الزاهرة : بنون مفتوحة وجيم مضمومة، وقال الجعبرى : من نجد الثياب زينها.

وثانيهما : أبو عمر ، أو أبو داود[٢] ؛ حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز[٣] .

ربيب عاصم الغاضرى - الأسدى - وكان أعلم أهل زمانه ، وأصحابه بقراءته .

قال وكيع : كان ثقة .

قال الذهبي : أما القراءة فثقة ضابط بخلاف حاله في الحديث .

وقال ابن معين : كان أقرأ من ابن عياش .

مولده : ولد سنة تسعين ، أو إحدى وتسعين .

وفاته : توفى سنة ثمانين ومائة قال في النشر : على الصحيح .

● ● ●

« طرق رواية أبى بكر عن عاصم »

لروايته - رضى الله عنه - طرق :

الأولى : طريق أبى زكريا يحيي بن آدم بن سليمان بن خالد بن أسد الصلحى ، وكان من الأئمة الأعلام ، حفاظ السنة .

وفاته : توفى في النصف من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث ومائتين .

الثانية : طريق أبى محمد يحيي بن قيس العُلَيمى ، الأنصارى الكوفى ، وكان شيخا جليلا ، ثقة صحيح القراءة .

مولده : ولد سنة خمسين ومائة .

وفاته : توفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

● ● ●

فأما ابن آدم فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى بكر شعيب بن أيوب بن رُزَيق بتقديم الراء ، الصريفينى ، وكان مقرئا ثقة ، ضابطا ، عالما ، حاذقا .

وفاته : توفى سنة إحدى وستين ومائتين .

وثانيتهما : طريق أبى حمدون الطيب بن إسماعيل بن أبى تراب الذهلى - البغدادي . وكان مقرئا ثقة ضابطا .

وفاته : توفى سنة إحدى وستين ومائتين .

وأما العُلَيمى : فمن طريق أبى عمر عثمان بن أحمد بن سمعان الرزاز البغدادي . وكان مقرئا متصدرا معروفا .

وفاته : توفى في حدود سنة خمسين وثلاثمائة .

ومن طريق أبى الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خُلَيْع الخياط البغدادى . المعروف بالقلانسى ، وبابن بنت القلانسى . وكان ثقة ضابطا متقنا .

وفاته : توفى في ذى القعدة سنة ست وخمسين .

وأما شعيب عن يحيي بن آدم فمن خمس طرق :

الأولى : طريق أبى بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن الواسطى ، المعروف بالأصم .

عن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن البغدادي . من « الشاطبية » ،

(٢) وابن داود ، وفي الطبقات ١/٢٥٤ (بن ابى داود) .

(٣) في جميع النسخ : البزار ، والصواب من الطبقات - ١/٢٥٤ .

و « التيسير » ، ومن « تجريد »ابن الفحام ، و «تلخيص »ابن بَلِّيمة ، وعن الأصم عن المطوعى من « المبهج » و « المصباح » وعن الأصم عن أبى الفرج عبد العزيز بن عصام من « المستنير » لابن سوار ومن « مصباح » أبى الكرم،وعن الأصم عن أبى القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن بابس[٤] ، من « مصباح » أبى الكرم و « كامل » الهذلى ، وعن الأصم عن النقاش من « تلخيص » أبى معشر،وعن الأصم عن أبى الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خليع .

من(غاية)ابن مهران . فتحصل للأولى اثنتا عشرة طريقا للأصم .

الثانية : عن شعيب : طريق أحمد بن يوسف القافلائى . من « التيسير » و « الشاطبية » ، قرأ بها الدانى على فارس . ومن « التجريد » لابن الفحام ، و « التلخيص » لابن بليمة ، ومن « العنوان » ، ومن « المجتبى » و « كافى » ابن شريح ، و «روضة » المعدل . فتحصل ثمانى طُرق للقافلائى .

الثالثة : عن شعيب : طريق أبى العباس الضرير ـ المعروف بالمثلثى ـ من « كتابى » ابن منصور وابن خيرون ، ومن « مصباح » أبى الكرم . وتعددت فبلغت هنا ست طرق للمثلثى .

الرابعة : طريق أبى عون محمد بن عمرو بن عون الواسطى عن « المستنير » ، ومن « المبهج » و « المصباح » وتعددت فبلغت خمس طرق لأبى عون .

الخامسة : طريق أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، المعروف بنفطوية النحوى . من « المبهج » و « المصباح » لأبى الكرم ، و « الكامل » للهذلى ، ومن « كتاب سبعة » ابن مجاهد ، وتعددت فبلغت سبع طرق لنفطوية . وثمان وثلاثين طريقا لشعيب .

« واما أبو حمدون فمن طريقين »

الأولى عنه : طريق أبى على الحسن بن الحسين الصواف عن الْحَمَّامِى من « التجريد » ، ومن « روضة المالكى » ، ومن « كتابى » أبى العز ، ومن « المستنير » ، و « جامع » أبى الحسن الخياط ، و « كامل الهذلى » ، ومصباح أبى الكرم ، وتذكار ابن شيطا . وتعددت هذه فبلغت إحدى عشرة طريقا للحمامى .

عن الصواف عن ابن شاذان من « غاية » أبى العلاء .

عن الصواف عن النهروانى من كتاب أبى العز ، ومن كتاب المستنير ، ومن الجامع للخياط ، وتعددت الطرق فبلغت خمس طرق للنهروانى .

عن الصواف عن أبى القاسم عبد الله بن الحسن النحاس ، وأبى الحسين أحمد بن جعفر الخلال . من « مصباح » أبى الكرم . فهذه تسعة عشر طريقا للصواف .

←

(٤) في غاية النهاية للإمام شمس الدين الجزرى ٤٠٣/٢ « يعرف بابن بابس وبابن بابوس » اهـ نشر : ج . برجستراسر ـ الخانجى ١٣٥١ هـ .

وذكرت بعض المصادر طريقا سادسة عن الصواف ولم نقف عليها .

الثانية : عن أبى حمدون طريق أبى عون من كامل الهذلى فتحصل عشرون طريقا لابن حمدون ، وثمان وخمسون طريقا ليحيي بن آدم .

● ● ●

وأما ابن خُلَيْع عن العليمى

فمن عشر طرق

الأولى : عن ابن خليع : طريق أبى الحسن الحمامى ـ من « التجريد » لابن الفحام ، و « روضة » المالكى ، و « كفاية » أبى العز ، و « تذكار » ابن شيطا ، و « جامع » ابن فارس . وتعددت فبلغت ست طرق عن الحمامى .

الثانية : طريق عبد الباقى بن الحسن الخراساني قرأ بها الخراساني على فارس .

الثالثة : طريق أبى القاسم بكر بن شاذان القزاز . من « كفاية السبط » .

الرابعة : طريق أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور السوسنجردى البغدادي ، من « غاية » أبى العلاء .

الخامسة : طريق نذير بن على بن عبد الله البكرى .

السادسة : طريق النهروانى . من « كفاية » أبى العز .

السابعة : طريق أبى الحسن على بن محمد الخبازى ، من « الكامل » .

الثامنة : طريق أبى حفص عمر بن على النحوى ، من « تلخيص » أبى معشر .

التاسعة : طريق أبى عبيد الله بن عمر المصاحفى ، من « جامع »ابن فارس .

العاشرة : طريق أبن مهران ، فهذه خمس عشرة طريقا لابن خُلَيْع .

● ● ●

وأما الرزاز عن العُلَيمى فمن كتاب « المبهج » ، و « المصباح » ، و « كامل » الهذلى فهذه ثلاث طرق للرزاز .

وقرأ ابن خُليع والرزاز على أبى بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطى الأطروش .

وقرأ الأطروش على أبى محمد بن يحيي بن محمد بن قيس العليمى الأنصارى الكوفى . فهذه ثماني عشرة طريقا للعُلَيمى .

وقرأ العليمى ويحيي بن آدم على أبى بكر شعبة الحناط ـ بالنون ـ الأسدى . فهذه ست وسبعون طريقا لأبى بكر .

● ● ●

طرق رواية حفص عن عاصم

وأما حفص فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى محمد عبيد بن الصباح بن صبيح ـ النهشلى ، الكوفى ثم البغدادي . وكان مقرئا صالحا ضابطا .

وفاته : توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين .

الثانية : طريق أبى حفص عمرو بن الصباح بن صبيح . البغدادي الضرير . وكان مقرئا ضابطا .

وفاته : توفى سنة إحدى وعشرين ومائتين .

فأما عبيد بن الصباح فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسن على بن محمد بن صالح بن داود الهاشمى ، البصرى . الضرير . ويعرف بالخوخانى . وكان شيخ البصرة في القراءة ، ثقة متقنا . رحل إليه أبو الحسن طاهر بن غلبون . حتى قرأ عليه بالبصرة .

وفاته : توفى سنة ثمان وستين وثلثمائة .

ثانيتهما : طريق أبى طاهر عبد الرحمن بن أبى هاشم . البغدادي السابق في رواية البزى .

وأما عمرو بن الصباح فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى جعفر أحمد بن محمد بن حميد القامى الملقب بـ (الفيل) لعظم خلقته . وكان شيخا ضابطا ، حاذقا مشهورا .

وفاته : سنة تسع وثمانين ومائتين . وقيل سنة سبع ، وقيل سنة ست .

ثانيتهما : طريق أبى الحسن زرعان بن أحمد بن عيسى ـ الدقاق البغدادى وكان من جلة أصحاب عمرو بن الصباح ـ مشهورا فيهم ـ ضابطا متقنا .

وفاته : توفى في حدود التسعين ومائتين .

● ● ●

فأما أبو الحسن الهاشمى ، عن عبيد بن الصباح ـ فمن خمس طرق :

الأولى عنه : طريق طاهر بن غلبون من « الشاطبية » و « التيسير » قرأ بها الدانى عليه . ومن « تلخيص » ابن بليمة ، ومن « تذكرة » طاهر بن غلبون .

الثانية : عن الهاشمى : طريق عبد السلام بن أبى الحسن البصرى ، من « المستنير » و « جامع » الخياط .

الثالثة عنه : طريق أبى عبد الله أحمد بن محمد بن الحسين بن بزدة المليجى ، من « غاية » أبى العلاء ، ومن « كامل » الهذلى .

الرابعة : عن الهاشمى طريق أبى الحسين على بن محمد الخبازى من « كامل » الهذلى .

الخامسة : عن الهاشمى طريق أبى عبد الله الكارزينى ـ من « المبهج » . فهذه عشر طرق للهاشمى .

● ● ●

وأما أبو طاهر عن عبيد بن الصباح فمن أربع طرق :

الأولى عنه : طريق الحَمَّامى من « التجريد » ، ومن « روضة » المالكى ، و « كامل » الهذلى ، و « جامع » ابن فارس ، و « مصباح » الشهرزورى ، و « كتابى » أبى العز . ومن « تذكار » ابن شيطا وتعددت فبلغت عشر طرق له .

الثانية : طريق أبى الفرج النهروانى . من « كتابى » أبى العز .

←

الثالثة : طريق أبى الحسين بن العلاف . من تذكار ابن شيطا .

الرابعة : طريق أبى الفرج عبيد الله بن عمر بن محمد بن عيسى المصاحفى البغدادى من كفاية السبط . فهذه أربع عشرة طريقا لأبى طاهر بن أبى هاشم .

وقرأ الهاشمى أبو طالب على أبى العباس أحمد بن سهل بن الفيروزان الأشنانى - وكان ثقة ضابطا متقنا انفرد بالرواية .

قال ابن شنبوذ : لم يقرأ على عبيد بن الصباح سواه . ولما توفى عبيد قرأ على جماعة من أصحاب حفص غير عبيد .

وفاته : توفى الأشنانى سنة سبع وثلاثمائة على الصحيح فتحصل على أربع وعشرين طريقا لعبيد .

● ● ●

وأما طريق "الفيل" عن عمرو بن الصباح فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن العجلى - المعروف بالولىّ من طريقين : طريق أبى الحسن الحمامى عنه من سبع طرق : من « المستنير » ، ومن « كامل » الهذلى ، و « كفاية » أبى العز ، و « غاية » أبى العلاء ، و « مصباح » أبى الكرم و « تذكار » ابن شيطا وتعددت الطرق فبلغت ثمانى طرق للحمامى ، وطريق الطبرى عن الولىّ من « المستنير » ، ومن « كامل » الهذلى . وتعددت فبلغت أربع طرق(٥) للطبرى . وتحصل ثنتا عشرة طريقا للولى .

الثانية : عن الفيل طريق أبى الحسن محمد بن أحمد بن الخليل العطار من المبهج والمصباح فهذه أربع عشرة طريقا للفيل .

● ● ●

وأما زرعان عن عمرو بن الصباح فمن ست طرق :

الأولى : طريق أبى الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضرى السوسنجردى من كتاب « التجريد » ، و « روضة » المالكى ، و « غاية » الهمدانى ، و « المصباح » فهى أربع طرق للسوسنجردى .

الثانية : عن زرعان : طريق عبد الباقى بن الحسن الخراسانى ، قرأ بها الدانى على أبى الفتح .

الثالثة : طريق أبى الفرج النهروانى من « كفاية » أبى العز ، و « مستنير » ابن سوار .

الرابعة : طريق الحمامى من « تذكار » ابن شيطا ، و « جامع » ابن فارس ، و « مستنير » ابن سوار .

الخامسة : طريق أبى عبيد الله بن عمر المصاحفى - من « جامع » ابن فارس ، ومن « المستنير » ومن « المصباح » .

السادسة : طريق أبى بكر بن شاذان الواعظ ، من غاية أبى العلاء ، فهي أربع

(٥) ذكر للطبرى طريقين وهما « المستنير » و « الكامل » ، وقد ترك « الوجيز » وبه يصبح مجموع العدد - ففي المستنير طريقان ، والكامل والوجيز فهذه أربع طرق - النشر ١/١٥٤ .

عشرة طريقا لزرعان ، وثمان وعشرون طريقا لعمرو ، واثنتان وخمسون طريقا لحفص .

السند المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرأ حفص وأبو بكر على إمام الكوفة ـ عاصم ابن أبى النُّجود ـ فهي مائة وثمان وعشرون طريقا لعاصم .

وقرأ عاصم على أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى الضرير ، وعلى أبى مريم زرّ بن حُبَيْش بن حُبَاشَةَ الأسدى ، وعلى أبى عمرو سعد بن إياس الشيبانى .

وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ السلمى وزرّ أيضاً على عثمان بن عفان ، وعلى علىّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنهما ـ وقرأ السلمى أيضاً على أبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهما .

وقرأ ابن مسعود ، وعثمان ، وعلى ، وأبىّ وزيد ، على رسول الله ـ ﷺ ـ .

مذهب عاصم في القراءة

كان رحمه الله تعالى ـ يجهر بالتعوذ في أول القراءة ، و (يبسمل) في أول كل سورة من سور القرآن . إلا سورة « التوبة » ـ وكان حفص عنه يصل (هاء الكناية) كقراءة ابن كثير ، في موضع واحد في سورة الفرقان ـ آية ٦٩ هي قوله تعالى : ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾[6] .

وكان (يبسمل) بين السورتين ، وكان يمد المنفصل قدر أربع حركات وخمس حركات .

وورد عن حفص عنه (القصر) قدر حركتين من طريق كتاب (النشر) لابن الجزرى .

وكان عاصم لا يدغم ولا يرى الإدغام إلا فيما لا يجوز إظهاره ويدغم اللام من ـ (بَل رَّان) ـ في رواية أبى بكر ، وفي رواية حفص : ـ بَلْ رَانَ ـ يقف على اللام ، ـ ومَنْ راقٍ ـ القيامة آية ٢٥ . يقف على النون وهو في ذلك يصل أي بسكتة قصيرة مع الوصل ويدغم ـ اتَّخَذْتُمْ ـ أَخَذْتُمْ ـ و ـ لَتَّخَذْتَ ـ في رواية أبى بكر،وحفص يظهر (الذال) في ذلك أجمع .

وأما أبو بكر فروى عن عاصم : ـ (مَن رَّاقٍ) ـ مدغمة النون في الراء من غير سكتة ، و ـ (بَل رَّانَ) ـ مدغمة اللام مكسورة الراء يريد أنها مُمَالة الراء .

وبعد :

فما أجمل قول ولي الله الإمام الشاطبى في كتابه (حرز الأمانى ووجه التهانى) حيث يقول مادحا :

وَبِالكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
أَذَاعُوا فَقَدْ ضَاعَتْ شَذاً وَقَرَنْفُلَا
فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ
فَشُعْبَةُ رَاوِيه الْمُبرِّزُ أَفْضَلَا
وَذَاكَ ابْنُ عَيَاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضى
وحَفْصٌ وبَالإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلَا[7]

أسأل ربى أن يجعلنا ممن يكون القرآن العظيم شفيعا لهم يوم الدين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إبراهيم عطوه عوض

(٦) الهاء في (فيه) تسمى هاء الكناية وسميت كذلك لأنها يكنى بها عن الواحد الغائب .

(٧) منهم ثلاثة : أي من القراء السبعة ثلاثة هم : عاصم وحمزة والكسائى اذاعوا : افشوا العلم بالكوفة ونشروه ، ضاعت : فاحت .

فصبر جميل !!

عن انس (رضى الله عنه) قال : مات ابن لأبى طلحة من ام سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا ابا طلحة بابنه حتى اكون انا احدثه ، قال فجاء فقربت إليه عشاءه ، فاكل وشرب ، فقال : ثم تصنعت له احسن ما كانت تتصنع له قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رات أنه قد شبع ، واصاب منها ، قالت ياأبا طلحة : أرايت لو ان قوما أعاروا عاريتهم اهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، الهم ان يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب وقال : تركتنى حتى تلطخت ثم اخبرتنى بابنى ، فانطلق حتى اتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاخبره بما كان ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « بارك الله فى غابر ليلتكما » .

رواه مسلم

اللغة : ١ ـ تصنعت له : أى تزينت .
٢ ـ فوقع بها : أى جامعها .
٣ ـ احتسب ابنك : أى اطلب الأجر من الله بصبرك على موته .
٤ ـ غابر ليلتكما : أى ماضيها .

١ـ الصبر سلاح قوى :

الصبر سلاح قوى لمواجهة الحياة وأعبائها ، وإصلاحها واستقامتها ، والمؤمنون حقا هم الذين صبغتهم حقيقة الحق والصبر ، والذين أتبعوا القول بالعمل ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(١) .

وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، وفى الرضا بقضاء الله ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن يعتقد المسلم والمسلمة أن كل مايصيب الإنسان فى هذه الحياة ، إنما هو ابتلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ

(١) سورة العصر .

للأستاذ/ محمد صابر البرديسى

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ . قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٢) .

عَدَّدَ الله أنواع البلاء فى الآية فذكر : الخوف ، والجوع ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، ثم ذكر أن الصابرين يفوزون بثلاث خصال ، لا تتوافر لغيرهم وهى : صلوات الله ، ورحمته ، وهداه ، قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

فصلوات الله عليهم : أن يثنى عليهم ، ويزيدهم تشريفا وتكريما .

ورحمته : هى مايكون لهم فى نفس المصيبة من لطف الله وإحسانه ، فيكون منه لهم حسن العزاء ، وعظيم الجزاء .

« وأولئك هم المهتدون » أى إلى الحق والصواب فيما عملوه وقت الشدائد والمصائب ، فلا يستحوذ الجزع على نفوسهم ، ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم .

هذا هو الصبر الذى ذكره القرآن ، فيه العزاء للقلوب المكلومة ، وفيه الشفاء للنفوس الحزينة ، والنجاح فى هذه الحياة .

إن الصبر من الصفات الروحية التى تجلب كثيرا من الخير للمعذبين الذين يتلمسون الخلاص مماهم فيه ، ولا يجدون العلاج إلا فيه . لهذا كله أحب الله الصابرين ، وأعلن فى القرآن أنهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

الصبر من الفضائل الخلقية ، وهو النفحة الروحية التى يعتصم بها المؤمن فتُخَفِّفُ من بأسائه ، وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسماً لجراحاته .

والصابر يتلقى المكاره بالقبول ، ويراها من عند الله ، ولولا الصبر لانهارت نفسه من البلايا التى تنزل عليه ، وأصبح عاجزاً عن السير فى ركب الحياة .

٢- آداب الصبر :

ومن آداب الصبر استعماله فى أول صدمة ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد .

والاسترجاع عند المصيبة لحديث أم سلمة

(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

(٣) سورة النحل آية ٩٦ .

(رضى الله عنها) قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

« ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، إلا آجره الله فى مصيبته ، وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفى « أبو سلمة »(٤) قلت كما أمرنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخلف الله لى خيراً منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٥) .

وعن أبى سنان قال : دفنت ابنا لى ، فإنى لفى القبر إذ أخذ بيدى أبو طلحة (يعنى الخولانى) فأخرجنى ، وقال لى : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى قال : حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن بن عارب عن أبى موسى قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قال الله : « يامَلَك الموت ، قبضت ولد عبدى ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم ، قال فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع ، قال : ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد »(٦) .

ومن الآداب : سكون الجوارح واللسان ، فلا يشق الجيب ، ولا يلطم الخد ، ولا يفعل مايغضب الرب ولا يقول فحشاً ، ولا يملك عليه الجزع لبه ، وعقله فيخرجه عن الصواب .

أما البكاء فجائز ، فإن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولكن المؤمن لا ينطق إلا بما يرضى الله .

دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ابنه إبراهيم ، وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ياابن عوف ، إنها رحمة ـ ثم أتبعها بأخرى ـ فقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا مايرضى ربنا ، وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون »(٧) .

وهذه الصحابية المباركة ضربت مثلاً فريداً فى سلوكها عقب تلك الواقعة وفى حيطتها حبا لزوجها وُإكراما له ، فأمرت أهلها ألا يتحدثوا بهذا المصاب لزوجها وبذلك استطاعت أن تحوطه بجميل الرعاية والعناية ممسكة ـ أثناء ذلك كله ـ بشدة على نفسها ، قابضة حزنها ، حتى ساقت الخبر لزوجها ؛ فكان الخير كله كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وشأن المرأة ـ كما هو مشاهد معروف ـ أن تكون أسبق للحزن ، وأسرع استجابة لمتطلباته .. وهذا الذى منعته ـ عن نفسها ـ أم سليم (رضوان الله عليها) فعلى المؤمن الصبر ، إذا نزلت به نازلة ، أو ادلهم به أمر ، فالمؤمن إذا ابتلى فصبر ، آجره الله وعوضه بكرمه .

والله الموفق

محمد صابر البرديسى

---

(٤) تعنى زوجها .

(٥) تعنى أنها تزوجت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير من أبى سلمه . والحديث رواه مسلم .

(٦) رواه الإمام احمد والترمذى .

(٧) رواه البخارى .

الرسول صلى الله عليه وسلم

ينتزع المبادأة من يد أعدائه

للواء / أ / ح
محمد جمال الدين محفوظ

روى الإمام أحمد والبخارى عن سليمان بن صرد والبزار برجال ثقات ، وابو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ، والبيهقى عن قتادة رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - حين اجلى الله تعالى عنه الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »[1] .

قرار خطير ونقطة تحول تاريخية

هذا الحديث الشريف ، قرار خطير فى تاريخ الإسلام يستحق أن نقف أمامه بكثير من التأمل والتدبر . لما ينطوى عليه ومايترتب عليه من دروس تنفع المسلمين وتنير لهم الطريق للخروج من واقعهم الأليم ..

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَانُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِى هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(هود ١٢٠) ..

﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(النساء ٢٦) .

لقد كان هذا القرار نقطة تحول بارزة فى صراع المسلمين مع أعدائهم فى عصر النبوة ، انتقلت فيها المبادأة[2] إلى أيديهم لأول مرة فى

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى جـ ٤ - ٥٤٩ .

(٢) المبادأة (أو المبادرة) معناها باختصار حرية العمل ، والذى يملك المبادأة يحرم خصمه من حرية العمل ويحصر أعماله فى نطاق رد الفعل . وإحراز المبادأة من أهم عوامل النصر والنجاح فى الحرب والسياسة على حد سواء .

تاريخ هذا الصراع ، وترتب على هذا الانتقال آثار بعيدة المدى .. فطوال الفترة التى قضوها فى المدينة من يوم الهجرة إلى ماقبل غزوة الخندق . كانوا يتلقون هجمات أعدائهم ويواجهونها « بمعارك دفاعية » كان أبرزها « غزوة بدر » فى السنة الثانية للهجرة و« أحد » فى السنة الثالثة ، ثم كانت « غزوة الخندق » فى السنة الخامسة التى واجهوا فيها هجوم قريش والقبائل العربية واليهود ..

فقرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الخندق (الأحزاب) : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » . معناه أن يتحول المسلمون من الدفاع إلى الهجوم ، وأن يسيروا إلى أعدائهم بدلاً من البقاء انتظاراً لضرباتهم ، وبعبارة أخرى فإن معنى القرار أن يتحول المسلمون من حالة « رد الفعل » إلى « الفعل » .. ولابد هنا من أن نصحح ما فى بعض الأذهان من خطأ فى فهم معنى « الهجوم » على أنه يعنى العدوان أو الاغتصاب .. فالهجوم شكل من أشكال العمليات الحربية تتحرك فيه القوة إلى العدو وتوجه ضربتها إليه فى مواقعه ، وطبيعة الحرب تجعل الهجوم شكلاً من الأشكال الضرورية لتحقيق الأهداف حتى فى إطار العمليات الدفاعية ومن الأقوال الشهيرة فى هذا المجال : « الهجوم خير وسيلة للدفاع » .

فليس من صواب الرأى أن نعتبر الهجوم مرادفاً للعدوان أو منطوياً على نواياه ، ولقد أوضح لنا الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى وأكده فى معارك عصر النبوة فكل الغزوات والسرايا التى تحرك فيها المسلمون إلى عدوهم ليوجهوا إليه ضرباتهم هى « عمليات هجومية » تمت فى إطار « استراتيچية دفاعية » تستهدف الدفاع عن الدعوة وحرية التدين ، ولم يكن العدوان أو الاغتصاب أو القهر هدفاً من أهدافها ، وإنما كانت أهدافها حقاً وعدلاً ودفعاً للاعتداء وإعلاءً لكلمة الله

أسس هذا التحول التاريخى

وخطورة هذا القرار التاريخي وما ترتب على تنفيذه من نتائج تدعونا إلى محاولة تقصى الأسس التى بنى عليها ، فإن تنفيذ هذا القرار ينطوى على مواجهة تحديات كبيرة أهمها أن المسلمين فى عملياتهم المقبلة ضد قريش سوف يتركون المدينة قاعدتهم الرئيسية ، ويسيرون أربعمائة كيلو متر فى أرض أقل ما يقال فيها أنها « أرض غير صديقة » ، ثم يتجهون إلى مكة قاعدة قريش الرئيسية بكل مافيها من « قوة بشرية » بأكبر حشد ، وبكل مافيها من « حوافز معنوية » لأهلها للدفاع عنها فى معركة تعد « معركة مصير » بالنسبة إليهم .

وليس من شك فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم . كان مدركاً لحجم هذه التحديات التى لم يسبق أن واجه المسلمون مثلها ، وفى أنه ـ مع ذلك ـ كان « مطمئنا » إلى اتخاذ قراره بكل ما له من عواقب ونتائج .

والواقع أن مما يعين على استخلاص أسس ذلك القرار ، استقراء تطور الأحداث خلال السنوات الخمس الأولى للهجرة .

فشل قريش فى تحقيق أهدافها

ففى خلال تلك الفترة كانت قريش تملك

زمام المبادأة ، لكنها لم تستطع تحقيق هدفها الأساسى وهو القضاء على الإسلام أو القضاء على المسلمين فى موطنهم الجديد .

لقد قاتلت المسلمين فى عدة معارك أهمها بدر وأحد والخندق بلا جدوى . حتى فى تلك الغزوة الأخيرة (الخندق) التى أرادت لها أن تكون « فاصلة » ، فحشدت لها كل ما أمكنها حشده من قوى أخرى إلى جانب قوتها متمثلة فى القبائل العربية واليهود ، لم تجدها شيئاً .. والذى يتصور : أن قريشا ـ إزاء هذا الفشل ـ سوف تضعف عزيمتها ، ويفتر استعدادها للعودة إلى التجربة مرة أخرى .

وهنا تظهر عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم فى فهمه لطبائع البشر ، وفراسته فى « رصد ملامح الضعف » فى قوة خصمه ، وسرعته الفائقة فى اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الملائم تماماً لتوجيه « الضربة القاضية ».

« الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » .. !!

الضغط الاقتصادى على قريش

وخلال تلك الفترة نجح المسلمون فى فرض الحصار الاقتصادى على قريش بالسيطرة على طريق التجارة إلى الشام ثم على طريق العراق الذى تحولت إليه .

فبعد أن أصبح طريق الشام محفوفاً بالمخاطر ، تحولت قريش إلى طريق العراق ، فقد قال صفوان بن أمية : « إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء ، فأشار عليه الأسود بن عبد المطلب أن يتخذ طريق العراق ، ففعل ، وتجهز من البضائع والفضة بما قيمته مائة ألف درهم ، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة فى مائة راكب فاستولى على القافلة وهى فى طريقها عند ماء يقال له (القردة) من مياه نجد ، فلم يعد أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة ، وكان لذلك أسوأ الأثر على حياتها الاقتصادية .

فلابد أن يكون لهذا الضغط الاقتصادى أثر كبير فى دعوة قريش إلى أن « تعيد النظر فى موقفها » ضد المسلمين ، فيكون الضغط العسكرى الذى يتحقق بعد انتزاع المبادأة ، « دافعا » لها أكثر وأكثر فى هذا الاتجاه .

تأمين قاعدة المدينة

لقد أصبحت المدينة خلال تلك الفترة « قاعدة أمينة » يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم أن « يتركها » خلفه ، « ويبعد » عنها ماشاء من مسافات ، « ويغيب » عنها ماشاء من زمن ، ثم « يعود » إليها ، ليجدها ـ كما تركها ـ صلبة قوية أمينة .

والواقع أن تأمين المدينة كقاعدة للإسلام ، بدأ منذ اللحظة الأولى لوصول المسلمين إليها بعد الهجرة ، فكان أول ما عمد إليه الرسول القائد ﷺ إقامة جبهة داخلية صلبة وذلك بجمع صفوف

←

المسلمين وتوحيد جبهتهم وإيجاد رابطة قوية بينهم « توحيد صف الأنصار من أوس وخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين » ثم بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود بمقتضى ميثاق المدينة .. كل ذلك .. تأميناً للقاعدة « من الداخل » ..

ثم كان تأمين المدينة « من الخارج » بعقد المعاهدات والاتفاقات مع مختلف القبائل العربية ، فهذه الاتفاقات ـ فضلاً عن انها كفلت حرية الدعوة ـ فقد كفلت حسن الجوار والمعاملة وهو ينطوى على تأمين كبير للمدينة ؛ لأنه يحرم قريشا من الاعتماد على هذه القبائل أو محالفتها أو اتخاذها « قاعدة » للعدوان على المدينة .

كفاءة أجهزة المعلومات والأمن

وثبت خلال تلك الفترة أن للمسلمين أجهزة للمعلومات والأمن على درجة عالية من الكفاءة تتمثل فى أمرين : الأمر الأول شبكة من العيون والأرصاد منتشرة فى أنحاء شبه الجزيرة . لإبلاغ الرسول ﷺ بالمعلومات عن نوايا أعدائه وحركاتهم ، فقد علم عليه الصلاة والسلام من عمه العباس فى مكة بتجهيز قريش لمهاجمته قبل غزوة أحد وغزوة الخندق .. وكان الدليل الناصع على كفاءة أجهزة المعلومات هذه أن المسلمين « لم يؤخذوا على غرة » أبداً فشكلت بذلك مصدر أمن مستمر يكون له دور فعال فى تأمين حركة المسلمين وحرمان أعدائهم من مباغتتهم .

ثم نضيف إلى أجهزة المعلومات ، جهاز الأمن الذى نجح فى المحافظة على أسرار المسلمين وحرمان العدو من كشفها ، وواقعية منع رسالة حاطب بن بلتعة من أن تصل إلى قريش قبل غزوة الفتح خير ما يذكر دليلاً على ذلك ، هذا إلى ما كان لدى المسلمين من وعى الأمن والمحافظة على الأسرار .

تنفيذ القرار

لقد كان فتح مكة بطبيعة الحال هو قمة الأعمال التنفيذية لقرار « انتزاع المبادأة » باعتبار أن مكة هى الهدف الرئيسي . لكن الفتح لم يقع إلا فى رمضان من السنة الثامنة للهجرة أي بعد صدور القرار بسنوات ثلاث تقريباً .. فما السر فى هذا ؟

الواقع أن دراسة أحداث تلك الفترة من بعد الخندق إلى ما قبل الفتح تكشف عن مخطط بالغ الدقة والإحكام مهد الطريق تماماً لسير المسلمين إلى هدفهم الرئيسي : مكة ، كما تبرز لنا درساً عظيماً يعلم المسلمين أن يبتعدوا عن العمل المتسرع أو غير المخطط ، وأن تكون خطواتهم نحو أهدافهم محسوبة بكل الدقة والإحكام .

فإنه يلفت نظر الباحث المدقق أن الغالبية العظمى لسرايا القتال بُعثت خلال تلك الفترة (أكثر من ثلاثة أرباع مجموع عدد السرايا) كما أن الرسول ﷺ قاد فى تلك الفترة خمس غزوات هى : بنى قريظة وبنى لحيان وذى قَرَد والحديبية وخيبر .

توطيد الأمن فى المنطقة الشمالية

أما بعث هذا العدد الكبير من السرايا فكان لتأمين المنطقة الشمالية حتى حدود الشام والعراق ، والسيطرة على القبائل العربية فى تلك المنطقة مثل : هوازن وبنى كلاب وبنى مرة وبنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة وغطفان وبنى سليم وبنى الملوح وجهينة والقبائل التى عاونت الروم ضد المسلمين .

القضاء على اليهود عسكرياً

وأما الغزوات فقد قضى الرسول ﷺ على اليهود عسكرياً بغزوهم فى بنى قريظة وخيبر .

لقد فتح اليهود ـ بنقضهم العهد ـ « جبهة ثانية » ضد المسلمين كان عليهم أن يواجهوها بالردع الذى تستحقه ، وكانت غزوة خيبر ضربتهم القاضية ، إذ كانت المعقل الرئيسي لليهود فى شبه الجزيرة ، وكان بها سبعة حصون تكتنفها البساتين ، وكان أهلها أقوياء مسلحين استماتوا فى الدفاع ؛ إذ كانوا يعلمون علم اليقين أن اندحارهم معناه القضاء الأخير على بنى إسرائيل فى شبه الجزيرة .

وهكذا أمن الرسول القائد ﷺ ـ بسقوط خيبر ـ بأس اليهود ، وآمن بأنهم لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ، وبأنه يستطيع بعد ذلك أن يتحرك جنوباً نحو هدفه الرئيسي .

زيادة قوة الجيش ورفع كفاءته القتالية

ولقد أتاحت غزوة الحديبية قيام هدنة أتاحت للمسلمين أن يزيدوا من حجم الجيش إلى درجة لم يكونوا بالغيها من قبل ، يؤكد ذلك مقارنة قوة الجيش فى (غزوة الخندق) بقوته فى (الفتح) ، ففى الخندق كانت القوة ثلاثة آلاف ، وفى الفتح كانت عشرة آلاف . وتلك قفزة كبيرة فى زمن قصير نسبياً .

وارتفعت كفاءة الجيش القتالية إلى أقصى حد ، بعد أن بلغ رصيده من عمليات القتال منذ بدأ الصراع فى السنة الثانية للهجرة إلى ما قبل الفتح قرابة ستين عملية قاد منها الرسول ﷺ أربعاً وعشرين غزوة ، وقاد أصحابه ما بقى منها ، ومارس المسلمون فى هذه العمليات كل أشكال القتال من دفاع وهجوم ومطاردة وإغارات وقتال فى القرى وحصار المواقع الحصينة .. وغيرها .. كما أصبح للجيش عدد كبير من القادة الأكفاء القادرين على قيادة العمليات المستقلة .

إضعاف إرادة قريش القتالية

وأصيبت إرادة قريش القتالية بالضعف نتيجة لعدة عوامل نذكر منها :

- « تجريدها من الحلفاء وبخاصة اليهود بعد القضاء عليهم عسكرياً .
- انفتاح المجال أمام الرسول ﷺ ـ بعد الحديبية ـ لمحالفة القبائل التى لم تكن مطمئنة إلى محالفته لقوة قريش لوجود الكعبة فى مكة مما أضعف شوكة قريش .

الرسول ينتزع المبادأة من يد أعدائه

● انتشار الإسلام جعل جانباً من قريش يدين بالإسلام وجانباً آخر باقياً على الشرك فأصبح من المستحيل أن تجتمع كلمتها على حرب المسلمين .

أغلى الدروس

وهكذا أصدر الرسول ﷺ قراره التاريخي بانتزاع المبادأة - في الوقت المناسب - من يد أعدائه ، وانتقل بالمسلمين من نطاق (رَدّ الفعل) إلى نطاق (الفعل) في غير اندفاع أو مجازفة ، بل بتخطيط سليم ، وخطوات محسوبة ، واضعاً في اعتباره كل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، ثم سار نحو هدفه الرئيسى فحققه على أكمل ما يكون التحقيق ، وجنى ثمرة الأخذ بالأسباب والإعداد والاستعداد ، واثقاً - منذ البداية - من معية الله ، شاكراً لربه ومسبحاً بحمده على النصر والفتح ورؤية الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ..

لواء أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ

الى الاخوة الأساتذة
الراغبين في الكتابة بمجلة الأزهر

نرجو معاونتنا في تحقيق الآتى :

١ - أن يتم للمقال كيانه علميا .

٢ - أن يضع الكاتب اسمه مكونا من ثلاثة أسماء على الأقل .

٣ - أن يزود إدارة المجلة بعنوانه في المنزل والعمل بوضوح ورقم تليفونه إن أمكن .

٤ - أن يشير إلى مكان الآيات القرآنية وأرقامها من السورة في وضوح .

٥ - أن يذكر مراجع الحديث الشريف الواردة بمقاله موضحاً مكانها منها :
يذكر المؤلف ، والكتاب ، ورقم الطبعة ، والمطبعة ، وسنة الطبع .

هذا وتأسف المجلة أن تبلغ حضرات الكتاب بأن لديها كمية كبيرة من المقالات توقف نشرها تماما لفقدها واحداً أو أكثر من المطالب سالفة الذكر .

رئيس التحرير

الإسلام والألبانيون

في يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

علمنا فيما سبق ان المملكة اليوغوسلافية كانت تطارد الشيوعية في كل مكان . وفي الوقت نفسه اعترف دستورها بالأديان المختلفة ، ومنها الإسلام . لكنها كانت تعامل مسلمي بوسنة وهرسك معاملة عادية لأنهم متفقون مع الصرب ، مثلهم مثل الكروات الذين يتفقون مع الصرب في الجنس واللغة ويختلفون معهم في الدين ؛ فالصرب ارثوذكس ، والكروات كاثوليك . اما المسلمون الألبانيون في الجنوب فهم يختلفون معهم في اللغة والجنس والدين . لذلك كانت المملكة اليوغوسلافية تعامل الألبانيين معاملة ، اقل ما توصف به ، انها كانت قاسية .

أشرنا فيما سبق إجمالا إلى هذه المعاملة القاسية ، لكن جاء الآن مكان بيانها تفصيلا فنقول : ـ

كانت الحكومة الملكية اليوغوسلافية السابقة تُحَرِّمُ بكل شدة استخدام اللغة الألبانية قراءة أو كتابة . ولو وجد رجال أمنها كتاباً باللغة الألبانية في بيت لنسفوه بمن فيه .

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تغيرت الظروف حيث استولى الشيوعيون برياسة « جوزيف بروز تيتو » على الحكم . وإذا كان لكل ضارة نافعة ، فإن الشيوعية بالقطع ضارة لكنها كانت للمسلمين الألبانيين نافعة من جهة أن اهتمام الشيوعية بالدرجة الأولى مقصور على التمسك بالمبدأ الشيوعي ـ وبعد ذلك كل شعب حر في لغته وثقافته وعاداته وتقاليده .

من هذا المنطلق أباح « تيتو » للمسلمين الألبانيين استعمال لغتهم وثقافتهم ؛ فسرعان ما فتحت المدارس الألبانية على اختلاف

أنواعها فى طول البلاد وعرضها لتعليم اللغة الألبانية ، ثم أسست جامعة « قوصووة » فى عاصمة المقاطعة « برشتنه » وبها كليات العلوم المختلفة ، بل وأنشىء بكلية الآداب قسم للاستشراق تدرس فيه اللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية والعبرية ، يقوم بتدريسها أساتذة ألبانيون . وتخرج فى هذه الجامعة عدد كبير من القضاة والمحامين والأطباء والمهندسين والأدباء والكيماويين وغيرهم بحيث أصبحت هذه المقاطعة الآن فى مستوى بقية الجمهوريات فى الاتحاد اليوغوسلافى . ويوجد بكليات جامعة « قوصووة » عدد كبير من أبناء البلاد العربية وبخاصة الأردن . وأسست كذلك المطابع لملاحقة حركة التأليف والنشر باللغة الألبانية . وأصبحت وسائل الإعلام المختلفة من مسموعة ومرئية ومكتوبة كلها باللغة الألبانية . فالشيوعية إذن مع كونها ضارة بالقطع ، كانت نافعة للمسلمين الألبانيين من هذه الناحية .

الإسلام والألبانيون الآن فى الجنوب اليوغوسلافى

من المعروف أن النظام الشيوعى يعادى الأديان كلها . لذلك حينما تولى الشيوعيون الحكم فى يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية ألغوا التعليم الدينى فأغلقت كلية الشريعة الإسلامية والمعاهد الرسمية والأهلية فى مختلف البلاد ، كما ألغيت المحاكم الشرعية

مسجد بشار باشا ببرشتنة

ووظائف الإفتاء والوعظ والإمامة وغيرها ، ولم يبق فيها من مظاهر الإسلام إلا رئيس للعلماء ألبسوه عمامة لم يلبسها فى حياته لأنه لم يكن من أهلها ، ومجلسان صوريان لمعاونة الرئيس الذى لم يكن يملك من أمره شيئا .

وبعد أن بدأت الأمور فى يوغوسلافيا تستقر ، بدأت نظرة « تيتو » إلى الأديان أيضا تتغير . ولما اتصل « تيتو » بزعماء الشرق الإسلامى وزار عدة مرات مصر والسودان وسورية وغيرها . واطلع على أحوالها ، وحضر حفلات كثيرة كان مشاهير القراء يفتتحونها بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، واجتمع مع كثير من الزعماء المسلمين المثقفين ثقافة عالية . كل ذلك جعله ـ على ما يبدو ـ يُغَيِّرُ نظرته إلى الإسلام بالذات ، فترك للمسلمين الحرية المطلقة فى التمسك بدينهم وتنظيم شئونهم الدينية .

وبعد أن قضى الدستور الشيوعى الصادر يوم ١٩٤٦/١١/٢٩ على جميع مظاهر

الإسلام افتتح فى سنة ١٩٥٨ أول معهد دينى رسمى للبنين بالعاصمة « برشتنه » ثم بدأت الشئون الدينية تأخذ مجراها الطبيعى .

بنى المسلمون الألبانيون بجهودهم الذاتية من غير مساعدة خارجية معهد « برشتنه » وبنوا فى فنائه مسجداً ، وشيدوا قاعة فخمة للمحاضرات ومكتبة ملأوها بالعلوم المختلفة لينتفع الطلاب بها .

وبدأ المعهد الدينى يصدر مجلات دينية ؛ منها مجلة تصدر كل شهر وأخرى تصدر كل ثلاثة أشهر . والطلاب الذين يتخرجون فى هذا المعهد يعينون فى وظائف دينية . وبعض منهم يبعث إلى الأزهر الشريف حتى وصل عدد هؤلاء الطلاب بالأزهر الشريف فى الوقت الحاضر إلى سبعين طالبا فى السنوات الدراسية المختلفة حتى الدراسات العليا .

وبدأت المطابع تنشر الكتب الدينية المؤلفة باللغة الألبانية ، كما تنشر كتبا دينية مترجمة إلى اللغة الألبانية . وتوجت المطابع عملها بطبع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية(١) ، وهناك قاموس عربى ألبانى ربما تم طبعه وخرج إلى السوق .

ونظرا لوجود المسلمين الألبانيين فى ثلاث مناطق بجنوب يوغوسلافيا هى : منطقة قوصووة وعاصمتها « برشتنه » ، وجمهورية ماكدونيا وعاصمتها « اسكوب » ، والجبل الأسود وعاصمته « تيتو جراد » لذلك يوجد فى كل منطقة مجلس يدير الشئون الدينية فيها .

وحالة المسلمين الألبانيين فى المنطقتين الأخيرتين شبيهة بحالة المسلمين فى « قوصووة » . والدولة تساعد إدارات الشئون الدينية العامة بدعم مالى سنويا لأن ريع الأوقاف الإسلامية غير كاف لدفع رواتب القائمين بإدارة الشئون الدينية ورواتب الأئمة والمؤذنين وكذا نفقات المعهد الدينى للبنين .

إنشاء معهد دينى داخلى للبنات

فوجئت قبيل الانتهاء من كتابة هذا البحث بوصول النشرة الدينية ـ التى تصدرها إدارة الشئون الدينية بعاصمة « قوصووة » كل ثلاثة أشهر ـ إلى القاهرة تحمل خبراً دينياً هاماً هو صدور قرار رسمى بعد موافقة الجهات العليا بإنشاء معهد دينى ثانوى داخلى لتعليم البنات على نفقة إدارة الشئون الدينية فى أرض المعهد القديم الذى أخلى بعد انتقال طلابه إلى المعهد الجديد الرائع الذى بنى بالجهود الذاتية من غير إعانة خارجية . تتولى إدارة الشئون الدينية جميع نفقات هذا المعهد من رواتب هيئة التدريس والعاملين به ، ونفقات إقامة الطالبات بدار الإقامة وطعامهن وكسائهن والكتب التى توزع عليهن .

ونشرت النشرة المذكورة « الرسومات

(١) قام بهذه الترجمة وبتأليف القاموس العربى الألبانى عالم ابن عالم ابن عالم هو الشيخ حسن إسلام يحيى ، حضر القسم العالى فى الأزهر أوائل الثلاثينيات وحصل على العالمية ثم عاد إلى بلاده ليكون فى خدمة الإسلام والمسلمين كما كان أبوه وأجداده . أطال الله بقاءه .

الهندسية » لإقامة مبنى المعهد ومبنى إقامة الطالبات ومبنى المكتبة وقاعة المحاضرات . وستقوم الجهات المختصة قريبا بإزالة مبانى المعهد القديم وإقامة المبانى الجديدة طبقا للرسومات الهندسية المنشورة فى النشرة .

ونرجو من الله تعالى مزيدا من الإشراقات الإسلامية على المسلمين الألبانيين فى يوغوسلافيا . وانعكاس آثارها العظيمة داخل ألبانيا الرسمية .

بعد هذا ننتقل إلى الكلام عن « الإسلام وألبانيا الرسمية » بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية فأقول وبالله التوفيق .

الإسلام وألبانيا الرسمية بعد الحرب العالمية الأولى

سبق أن ذكرنا فيما مضى اسباب كراهية الشعوب البلقانية المتأصلة فى نفوسها منذ ما قبل قرون خمسة من الميلاد ، وكيف حاولت هذه الشعوب تقسيم ألبانيا فيما بينها بعد الحرب البلقانية ، وكيف تمالأت الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى إلى جانب الدول البلقانية لولا تدخل الرئيس الأمريكى « ويلسن » فاضطرت الدول الكبرى إلى الاعتراف بوجود الشعب الألبانى ، لكنها مع ذلك قسمت ألبانيا إلى ثلاث مناطق ، فقررت ضم المنطقة الكبرى إلى الصرب ، والمنطقة الثانية إلى اليونان ، أما المنطقة الثالثة فقد قررت الاعتراف بها دولة ألبانية مستقلة ذات سيادة ، وهى التى سميتها « ألبانيا الرسمية » وعاصمتها « تيرانا » .

إعلان استقلال ألبانيا يوم ١٩١٢/١١/٢٨

دولة ألبانيا وإن ظهرت فى الوجود يوم ١٩١٢/١١/٢٨ ميلادية حيث أعلن السياسى الألبانى المحنك « إسماعيل كمال بك » استقلال ألبانيا فى هذا اليوم ورفع علمها على « ڤلونا » عاصمة جنوب ألبانيا إلا أن الاعتراف بها اعترافاً رسمياً نهائياً لم يتم إلا بعد معاهدة (فرساى) . ومع ذلك قامت اضطرابات داخلية بإيعاز من الخارج فتمكن بعض الشيوعيين بتأييد من « لينين » من الاستيلاء على الحكم ، واضطرار رئيس حكومتها « أحمد زوغو » إلى مغادرة البلاد لجمع الشمل . خافت الدول الكبرى من استقرار الشيوعية فى ألبانيا ثم انتقالها إلى الدول المجاورة لها ، لذلك سارعت إلى مساعدة « أحمد زوغو » الذى استطاع أن يعود بأعوانه إلى ألبانيا والاستيلاء على العاصمة « تيرانا » وطرد الشيوعيين . بذل « أحمد زوغو » جهودا جبارة أيام رياسته للجمهورية إلى إعلان الملكية حتى تمكن من القضاء على أصحاب مراكز القوى ، وأخضع كل البلاد للحكومة المركزية .

ولما أعلنت الملكية وتولى « أحمد زوغو » عرش ألبانيا واستتب الأمن واستقرت الأمور وجه « جلالته » ـ رحمه الله ـ كل جهوده إلى تنظيم شئون الدولة الداخلية : الإدارة ،

القضاء ، التعليم ، الاقتصاد وغيرها . وأنشأ هيئة إسلامية باسم « قوميتى مسلمان » تتولى إدارة الشئون الدينية ويرأسها أحد كبار العلماء ، وعين فى كل عاصمة من عواصم المحافظات الأربع « مفتيا عاما » على أن يعتبر هؤلاء المفتون العامون مساعدين لرئيس الهيئة الإسلامية العليا ، ولهم نواب فى جميع المراكز باسم « نائب مفتى » يتولى إدارة الشئون الدينية فى مركزه من العناية بالمساجد ، والإشراف على الأئمة والمؤذنين وإلقاء الدروس الدينية فى المواسم والأعياد وفى شهر رمضان المبارك وغير ذلك

وأصدر الملك « أحمد زوغو » مرسوماً بإنشاء إدارة عليا للأوقاف تتولى تحصيل ريع الأوقاف وتتسلم من خزانة الدولة الإعانة المالية السنوية ثم أصدر « جلالته » مرسوماً بإنشاء معهد إسلامى عال بالعاصمة « تيرانا » مدة الدراسة به ست سنوات يدرس الطلاب به العلوم العربية والدينية ولغة أجنبية . وهو معهد داخلى تتولى إدارة الأوقاف نفقاته جميعها . ويعين خريجوه فى وظائف دينية كالإمامة ونيابة المفتين العامين فى المراكز ، وأخيرا كانوا يعينون فى المدارس الحكومية لتدريس الدين الإسلامى لتلاميذها بعد أن أصدر الملك (زوغو) مرسوما بتدريس الدين الإسلامى فى مدارس الحكومة . وأرسلت إدارة الأوقاف العليا على نفقتها بعض خريجى المعهد الإسلامى العالى إلى الجامعات الإسلامية بالخارج . أرسلت بعثات منهم إلى مصر حيث التحق أكثرهم بالأزهر الشريف والبعض الآخر انتسب إلى كلية آداب جامعة القاهرة . وأرسلت أربعة من خريجيه إلى جامعة لاهور الهندية الإسلامية .

وفى منتصف الثلاثينيات وقبيل شهر رمضان الكريم توفيت والدة الملك « أحمد زوغو » وبعد شهر ، ويوم الاحتفال بليلة القدر طلب الملك « أحمد زوغو » من فضيلة شيخ الإسلام السابق العلامة الشيخ « وهبى دبره » الاستعداد للذهاب إلى المملكة العربية السعودية فى موسم الحج القادم ، وحدد له بالاسم أحد كبار العلماء ليكون معه ، يحج أحدهما عن والده والآخر عن والدته .

تأليف الكتب الدينية وطبعها وتوزيعها بالمجان

نشطت حركة تأليف الكتب الدينية باللغة الألبانية وطبعها حيث كانت الإدارة العليا للشئون الدينية تصدر مجلة دينية باللغة الألبانية كل شهر . وتم طبع تفسير للقرآن الكريم باللغة الألبانية . وألف بعض العلماء عدة كتب باللغة الألبانية تناولت السيرة النبوية الشريفة من جميع جوانبها وتم طبعها فعلا . وكان لبعض الأفاضل من العلماء العاملين أمثال : حافظ إبراهيم دالى ، وحافظ على قرايا ، وحافظ عبد الله زملاتى نشاط كبير فى القيام بتأليف كتب دينية باللغة الألبانية فى موضوعات مختلفة ، وكانوا يطبعونها على نفقتهم ثم يوزعونها بالمجان طالبين أجر عملهم هذا من الله « سبحانه وتعالى » .

توالى بناء المساجد فى العاصمة

كانت مدينة « تيرانا » كغيرها من المدن العادية ، لكن بعد ما صارت عاصمة لدولة ألبانيا اتسعت رقعتها فأنشئت أحياء جديدة أقبل سكانها على بناء مساجد بها بجهودهم الذاتية . وفى أحد هذه الأحياء بعد أن تم بناء المسجد فيه بجهود سكانه تألف وفد منهم فذهب إلى استانبول واختار حافظا للقرآن الكريم جميل الصوت ، واتفق الوفد معه على أن يأتى إلى « تيرانا » ليتولى إمامة مسجد الحى ويقيم هو وأسرته على نفقة أهل الحى . وقد زرت هذا المسجد وصليت وراء هذا الإمام قبيل الحرب العالمية الثانية .

الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمواسم الدينية

كان للأعياد الإسلامية والمواسم الدينية شأن كبير فى جميع بلاد ألبانيا حيث كانت الدولة تحتفل بعيدى الفطر والأضحى . فتتعطل مصالح الدولة وتغلق المتاجر أيام هذين العيدين . ويتبادل الأقارب والأصدقاء الزيارات مهنئين بالعيد . وكانت الدولة تحتفل كذلك بيوم المولد النبوى الشريف فتتعطل فى هذا اليوم مصالح الحكومة . وتقام الاحتفالات فى مساجد البلاد التى يؤمها المسلمون يستمعون للقرآن الكريم يتلوه إمام المسجد أو بعض حفظة القرآن الكريم من أهل الحى . ويسمعون كذلك قصة ميلاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » يشرحها لهم إمام المسجد أو نائب المفتى . ثم يوزع على الحاضرين الشربات والحلويات احتفالا بهذه الذكرى العطرة ، ذكرى مولد الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » . يشترك جميع سكان الحى ـ كلٌ على حسب سعته ـ ببعض من هذه المشروبات والحلويات يقدمونها إلى اللجنة المشرفة على إقامة الاحتفال لتوزيعها على كل من حضر الاحتفال الكريم بعد انتهائه . ومن الملفت للأنظار أن كل الحاضرين ـ أياً كانوا ـ حتى الذين قدموها للجنة يحرصون على تناول شىء منها من باب التبرك .

احتفال المعهد الإسلامى العالى بالمولد .

كان يوم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى المعهد يوما مشهوداً فى العاصمة « تيرانا » حيث كان احتفال المعهد بهذا اليوم احتفالا ضخما يحضره رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة والأعيان وجمع غفير من سكان العاصمة ، كما كان يأتى من البلاد الأخرى إلى العاصمة ـ خصيصا لحضور هذا الاحتفال ـ كثيرون من المسلمين تشدهم الرغبة إلى حضور احتفال المعهد والاستماع إلى قصة مولد النبى الكريم « صلى الله عليه وسلم » وسماع الكلمات القيمة التى كان يلقيها مدير المعهد وأساتذته ، الكلمات التى كان لها أبلغ الأثر فى نفوس الحاضرين .

وكان أثرياء المسلمين الألبانيين يحرصون على زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة

الحج . فلم يكن يمر عام من غير أن يقوم عدد كبير منهم بحج بيت الله الحرام .

احتلال ألبانيا

فى اليوم السابع من أبريل لسنة ١٩٣٩ ميلادية قامت إيطاليا باحتلال ألبانيا ، فاضطر الملك « أحمد زوغو » إلى مغادرة البلاد ومعه ولى عهده الذى لم يكن قد مر على ولادته غير يومين اثنين . ولو قدر لجلالته « رحمه الله » أن يقود ألبانيا لكان قد نهض بها إلى مستوى الدول الغربية . ولنشطت بها الحركة الإسلامية وبلغت شأواً عاليا ، لأنه كان عنده رغبة قوية فى أن يرى ألبانيا صورة مثلى متكاملة من الناحية الدينية . ولقد أحسست بمشاعره هذه فى عدة جلسات قدر لى أن أحضرها فى أثناء وجوده بالقاهرة .

ولا أنسى حادثة[٢] حصلت فى شهر رمضان المبارك فى أوائل الخمسينيات حيث زارنى ليلا زائر طلب منى التوجه صباح غد إلى فندق سميراميس المطل على النيل لأمر هام .. فلما وصلت علمت من سفير ألبانيا لدى مصر أنى مكلف بصحبة وزير[٣] بلاط الملك « أحمد زوغو » لمقابلة الأمير فيصل ـ الملك فيصل فيما بعد ـ وزير خارجية المملكة العربية السعودية الذى كان عائداً من أمريكا والنازل فى الفندق فى طريقه إلى المملكة العربية السعودية . وتم اللقاء فعلا فى الوقت المحدد بالضبط . وكان الحديث الذى دار بيننا خاصا بموضوع دنيوى ، ثم تطرق الكلام إلى الموضوع الهام وهو تكرم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ـ لما له من مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى لكونه حامى الحرمين الشريفين ، ولمقامه الشخصى من جهة أخرى لكبر سنه ـ بالقيام ببذل المساعى الحميدة لدى زعماء ألبانيا الجدد للإبقاء على الإسلام فى ألبانيا ولو من حيث الصورة والمظهر . رد الأمير « فيصل » ـ رحمه الله ـ بصوته الهادىء قائلاً : الموضوع الأول يعتبر من الآن منتهيا . أما الموضوع الثانى فيحتاج إلى عرضه على جلالة الوالد .

تمت فيما بعد اتصالات عن طريق القنوات الدبلوماسية وتحدد موعد سفر وفد عال إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز « رحمه الله » . وسافر الوفد فعلا وكان برياسة سماحة الشيخ « صالح مفتى يا » مفتى ألبانيا (رحمه الله) . وفى مساء اليوم الذى وصل فيه الوفد إلى الرياض أذاع راديو فرنسا خبر وفاة سمو الأمير منصور وزير الدفاع السعودى . ذهب الوفد إلى القصر الملكى لتقديم العزاء ، وعرض على المسئولين

←

(٢) ترددت كثيرا فى ذكر هذه الحادثة ، ولكن نظرا لما لها من أهمية ، وأصبحت انا شاهدها الوحيد الباقى على قيد الحياة قررت أن أذكرها لبيان مدى حرص الملك « أحمد زوغو » على بقاء الإسلام فى ألبانيا .

(٣) هو سعادة « كمال بك مسارة » اليمنى المولد ، كان والده واليا على اليمن حينما كانت ولاية عثمانية . فولد ابنه هذا فى صنعاء ثم صار بعد ذلك وزير بلاد الملك « أحمد زوغو » .

اقتراحا وهو عودة الوفد إلى القاهرة دون لقاء على أن يعود بعد شهر أو شهرين وتكون حالة جلالة الملك قد هدأت . استأذنهم المسئول برهة ثم عاد إليهم وقال : عرضت الاقتراح على صاحب الجلالة فقبله ، وطلب منى أن ابلغكم أولاً : شكر جلالته على مجاملتكم الكريمة ، وثانيا : على أن تحددوا أنتم موعد حضوركم وتبلغونا به .

ثم جدت ظروف سياسية لم تكن في الحسبان . ومن ناحية أخرى انتقل جلالة الملك عبد العزيز إلى رحمة الله فلم يتم اللقاء المرتقب .

هذه الحادثة التى ذكرتها ـ بعد تردد منى ـ باعتبارى شاهدها الوحيد الباقى على قيد الحياة ـ على ما أعلم ـ إنما ذكرتها لأنها تدل على أمرين هامين .

أولهما : حرص المغفور له جلالة الملك أحمد زوغو على بقاء الإسلام في ألبانيا .

وثانيهما : حرص المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على الحيلولة دون أفول شمس الإسلام الحنيف .

الإسلام وألبانيا الرسمية

بعد الحرب العالمية الثانية

نكب المسلمون نكبة موجعة في ألبانيا بتولى الشيوعيين حكم البلاد حيث قضوا على كل مظهر من مظاهر الإسلام فيها . حتى المساجد التى بنيت ليذكر فيها اسم الله « تعالى » أدركتها هذه النكبة ، فالبعض منها صار متحفا ، وبقية المساجد حولت إلى نواد وصالات رقص وتمثيل . وضميرى لا يطاوعنى على أن أذكر ما حصل لها ، لأن كثيرا من الجرائد والمجلات تولت بيان ذلك بالتفصيل . ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٧٩/١١/١٣ ميلادية حيث كتبت تحت عنوان « ١٦٩ » مسجداً وكنيسة في ألبانيا أغلقت أو هدمت أو حولت إلى دور للسينما ، وأرسل الأئمة والقسس للعمل في المزارع والمصانع » ، في هذا العنوان الكفاية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هكذا أصبحت ألبانيا ـ قلب الإسلام النابض في أوروبا أكثر من أربعة قرون ـ منقطعة عن العالم الإسلامى انقطاعا تاما .

لا يزورها وفد إسلامى ، ولا تدعى للاشتراك فى مؤتمر إسلامى حسب علمى .

اشتدى أزمة تنفرجى

هذا المثل السائر يعبر بصدق عن واقع الحياة ، إذ بعد أن وصلت أزمة انقطاع العالم الإسلامى عن ألبانيا ذروتها ظهرت فى الأفق بادرتان من بوادر انفراج الأزمة إن شاء الله .

البادرة الأولى : زيارة أول شخصية إسلامية ألبانيا منذ أربعين عاما ، وكانت هذه الشخصية هى سمو الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود . زار ألبانيا قبل شهرين واستقبل رسميا . والأنباء الخارجة من ألبانيا حول هذا الاستقبال وإن كانت قليلة إلا أن الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٧/٩/٢٦ م . أشارت إلى « أن الأمير طلال تلقى ترحيبا رسميا فى ألبانيا من (ريتاماركوف) نائب رئيس البرلمان الألبانى الذى أقام حفل عشاء تكريما له » وذكرت بعض الجرائد الأخرى ـ أن الأمير طلال أول شخصية إسلامية تزور ألبانيا من أربعين عاما . وكما صح المثل الأول سيصح إن شاء الله « تعالى » المثل الثانى وهو « أول الغيث قطرة ثم ينهمر » .

البادرة الثانية : أن إذاعة جمهورية مصر العربية بدأت يوم الاحتفال بمولد النبى « صلى الله عليه وسلم » وهو يوم ١٢ من ربيع الأول من هذا العام تبث إذاعة دينية محضة إلى المسلمين الألبانيين باللغة الألبانية مرتين يوميا .

ويسرنى أن أسجل هنا أن إذاعة المملكة العربية السعودية بجدة كانت قد قررت منذ عدة سنوات إرسال أحاديث دينية باللغة الألبانية إلى ألبانيا ، لكنها فى ذلك الوقت ـ رغم سعيها ـ لم تتمكن من العثور على من يرضى من المترجمين والمذيعين بالإقامة فى جدة مدة طويلة .

وأرجو من الله تعالى أن توفق إذاعة جدة لتنفيذ قرارها حتى تزيد قنوات الاتصالات الدينية بالمسلمين الألبانيين ليعلموا أن إخوانهم وإن تأخروا قليلا عن القيام بواجبهم إلا أنهم لا ينسون إخوتهم الألبانيين ، وسيعملون على زيادة هذه القنوات حتى يعودوا ـ هؤلاء وهؤلاء ـ أخوة متحابين « وما ذلك على الله بعزيز » والله ولى التوفيق .

توفيق إسلام يحيى

مفهومية الإسلام لـــدى الغـــرب

٢

أسباب عدم تفهم الغرب للإسلام على المستويين : الرأى العام ، والمتخصص :

من الواضح الجلى ـ كما يقول « مارسيل بوازار » أَنَّ المسلمين لا يحملون فى أعماقهم أفكاراً مطبوعة ومشوهة عن الغرب بقدر ما يحمل الغربيون منها عن الإسلام وذلك لأسباب ثقافية وتاريخية .

أما عن الغربى فإن هناك أسباباً رئيسية من قبل الغرب جعلت الغربى يحمل أفكاراً مشوهة عن الإسلام والمسلمين وهى متنوعة : دينية ونفسية وتاريخية ، ثقافية ، وسياسية ، والآن أيضا : اجتماعية ، واقتصادية وهى أكثر قدما من سوء التفاهم الناشىء من تفسير الأحداث المعاصرة ونجملها فيما يلى :

أولاً : مفهومية الرأى العام الغربى عن الإسلام .

١ ـ المعايير التى أدت إلى تنوع الصور عن الإسلام على مستوى الرأى العام :

أولا : الاستعمار : التجربة التاريخية :

هناك صور تكونت عن الإسلام فى بعض البلاد الغربية وهى التى كانت على علاقة بالشعوب الإسلامية بسبب الاستعمار أو الاتصال الجغرافى .

ثانياً : الاستشراق : التقاليد « الأكاديمية » القومية :

نشأ علم الاستشراق فى سياق تاريخى معين ، ولما كان فى خدمة القوى السياسية والعسكرية والثقافية فإنه من الضرورى أن يتأثر بميولها وخططها ـ وكان قبل تطوره إلى علم منهجى قد خلّف بعض الأفكار الخاطئة والانطباعات العبثية الحمقاء التى بقيت فى أعماق الوجدان الشعبى وأثرت فى التعليم العام .

ثالثاً : المعيار السياسي : الخلط بين الإسلام والممارسات السياسية :

أدى هذا المعيار إلى نشوء مدرسة فكرية جديدة ، منغلقة على نفسها قليلة التخصص إلا أنها فتية ونشيطة فى عرض الأمور وتقدم إنتاجا ينتشر على نطاق واسع بين جمهور مثقف وغير متخصص تأخذ ثقافتها من الأحداث المعاصرة وترى فيها فرصة مناسبة لإجراء تعليقات بصورة عشوائية وإعداد التحاليل بصورة فوضوية إذ أنها لا تأخذ من

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

الأمور إلا الطرف المباشر والعابر ومن تلك الأحداث العابرة تقدم صورة الإسلام ، ومع ذلك ، وللأسف لا تقف موقف التفاهم وإنما تقف موقف المجابهة ونذكر على سبيل المثال : عندما يأتى ذكر (آية الله) يسترسلون فى التعليق على ذكر الفروق بين السنى والشيعى وهكذا يأخذون من الأحداث الجارية - وهى عارضة - ما يقوى طعنهم فى الإسلام وفى العرب ويسهبون فى ذكر الفروق بين السنى والشيعى وكأن الإسلام هو تلك الصورة ..

رابعاً : المعيار الاقتصادى : الخلط بين الإسلام وموارد الطاقة :

ظهر عنصر اقتصادى جديد بالإضافة إلى الميول الغربية نحو تشويه الإسلام فى الغرب حين يعتبر الغرب العالم الإسلامى - بكل بساطة وبراءة بمثابة الدول التى تمسك فى أيديها مفاتيح تموين الغرب بمصادر الطاقة - وهذا نوع من التأليف الغريب بين الخوف والازدراء يقول مارسيل بوازار متسائلاً :

هل يتساوى الإسلام بالنفط ؟ أى أن الاسلام والنفط بمعنى واحد . فهناك العديد من التعليقات المشوهة التى قد تخدع وتوهم ضمنيا بهذه المعادلة الحمقاء ..

من ذلك أيضا اعتبار (منظمة الدول المصدرة للنفط) - حكومة عربية - إسلامية ، وغزت تلك التفسيرات الجريئة ، والمنحازة ، فى تفسيرها أعماق اللاوعى الغربى . أما قد حان الوقت للفصل بين النفط والإسلام ؟ يجبُ الابتعاد عن الخلط بين الموارد التى تتواجد فى كل مكان وليس عند العرب وحدهم وبين الإسلام ؟ وعلى الأوروبى : النظر من جديد إلى الإسلام ، على أنه يساعد على إقامة أسس لعالم أفضل قاعدتها التسامح .

خامساً : تجاهُل الإسلام وكأنه موضوع هامشى :

هناك بعض البلدان الغربية كالبلدان الاسكندنافية تتجاهل موضوع الإسلام ولاشك أن انعدام المعرفة عن الإسلام يسىء إلى الصورة أكثر من تجمع الأفكار الخاطئة .

سادساً : الأقلياتُ المسلمة :

وهناك الأقليات المسلمة المتواجدة فى الغرب وهم - بصورة عامة - من مستوى اجتماعى وثقافى أدنى .. ولأسباب اجتماعية أكثر من أن تكون ثقافية لا يساهمون فعلا فى عملية تسهيل الحوار فقط بل يعكسون صورة مشوهة عن الثقافة التى ينتمون إليها .. وهم فى نظر الرأى العام الأوروبى : « عمال مهاجرون » .

تتم حماية ذاتيتهم الثقافية فى المجتمعات العلمانية عن طريق إجراءات دينية بحتة : مثل .. إنشاء زوايا ، وأماكن العبادة ، علما بأن النشاط الثقافى المستقل يكاد ينعدم لانعدام المساعدة المالية من قبل السلطات العامة .

سابعاً : الدبلوماسية العربية والإسلامية :

أما عن المبادلات الثقافية المنظمة رسميا فى إطار الدبلوماسية التقليدية فإنها تتأثر بعلاقة

القوى التى تسيطر على إرادة الدول وتخضع للأهداف السياسية الدولية .. وفى هذا المجال تبدو هيمنة الغرب ظاهرة ، فإنه الأقوى بإمكاناته وأهدافه ، هذا بالإضافة إلى أن التمثيل الدينى لا يمثل فى سفارات العرب لدى دول العالم وذلك لمتابعة ما ينشر عن الإسلام ومتابعة الرؤية الثقافية العربية والإسلامية وذلك بعدما كثرت الجمعيات الإسلامية المختلفة الاتجاه وحاولت أن تخلع اختلافها على الإسلام وتربطه بأطماعها.

ثانيا : مفهومية الأوساط المتخصصة عن الإسلام فى الغرب :

١ - البحث العلمى : القناة الأولى : الاستشراق :

إن علم دراسة الإسلام ، كمذهب علمى أنشأه نابليون بونابرت وذلك أثناء حملته على مصر رغبة منه فى تحسين التفاهم بين المسلمين والأوروبيين وذلك خدمة لمصالحه ومصالح فرنسا فى الشرق .

كان نابليون يحلم بالصداقة مع المسلمين لكى يتمكن من متابعة معركته بنوع من تحالف القلوب ضد بريطانيا العظمى .. وهكذا اصطبغ علم الاستشراق منذ بدايته كعلم مستقل فى نهاية القرن التاسع عشر بالشعور المزدوج وهو مزيج من التعاطف الظاهر لتحقيق المصلحة السياسية .

يرى ادوارد سعيد : أنه أداة مذهبية لمجتمع متقدم يساعد على الحكم على مجتمع أقل تقدما من الناحية المادية وعلى معايرته .

وهو مزين بهالة المعرفة والتبحر . وهو بمركزه يستطيع أن يصل إلى إعطاء صورة مشوهة عن الشرق . والشرقى بهذا المعنى هو الرمز المضاد للغربى العقلانى ، والتقدمى .. وأن الشرق فى نظرهم : ليس حقيقة حضارية وإنما مساحة نشأت فى فكر العلماء ذوى الإلهامات السيئة . لذلك لم يساهم نتاج المستشرقين فى تحسين تفهم الإسلام من جانب أو حتى فى إعادة تصويب الصورة التى انطبعت فى الرأى العام الغربى وذلك لأمور منها :

أولا : لأن أعمالهم كانت تقدم فى أكثر الأحيان برطانة علمية معينة يصعب على غير المتخصص استيعابها .

ثانيا : إن الاستشراق ينتمى إلى مراكز العلوم الاستعمارية فى فرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا . وكانت الغاية التى يهدف إليها الاستعمار من إنشائه « هو تفهم العقلية الإسلامية على أحسن وجه لتسهل إدارة الشعوب الإسلامية فى النطاق الاستعمارى » .

يقول مارسيل :

وهذا ليس انتقادا وإنما بينةٌ تاريخية وحقيقة لم تعمل القوى الاستعمارية على إخفائها فى ذلك العصر .

ويمكن اتهام الاستشراق بإفراز الانطباعات العرقية والامبريالية والمذهبية والمحافظة عليها وفى نفس الوقت مؤاخذته أيضا على رفض تحليل الأمور السياسية الحقيقية والمتعلقة بمشاكل الدول الإسلامية.

وفى الواقع ينبع الضعف الأساسى للاستشراق حاليا من تقوقعه فى أغلاله القديمة ومن هيكلياته المثقلة بالتقاليد الاكاديمية والتخصص المهنى إلى أبعد حد

ممكن .. ومما يضاف إلى ضعفه هو أن معارفه العلمية الصحيحة عن الإسلام والعرب يتراكم بعضها فوق بعض دون أن يعمل على نشرها . لذلك كان تـأثير الاستشراق على الرأى العام الأوروبى اقل .

١ ـ البحث العلمى : القناة الثانية : المسلمون كأساتذة فى الجامعات الغربية :

هذا النموذج يعرض الثقافة الإسلامية بصورة علمية وبشكل يؤثر عقلانيا فى الرأى العام المثقف الأوروبى .

ولكن الواقع كان غير ذلك فمعظم العلماء ورجال الثقافة فى العالم الإسلامى ينتمون :

إما إلى النخبة المتأثرة بالغرب التى كانت لا تعرف جيداً ثقافتها الخاصة التى انقطعت جذورها العميقة عنها .

وإما إلى فئة الباحثين الدينيين الورعين الذين كانـوا لا يعرفـون حقيقة العصر ومشاكله(١) .

الصحافـــة :

فى عالم اليوم ، أصبح دور وسائل الثقافة الشعبية فى تكوين وتشويه الصور الثقافية معروفا وبشكل جيد لا يعوزنا التذكير به . وذلك خاضع لأسباب كثيرة منها : أن التكوين الفكرى للصحفيين عام أكثر من أن يكون متخصصا ، بالإضافة إلى جهلهم لغة البلاد ، التى يعنون بأخبارها ، وذلك يقود بالتأكيد إلى الالتباس والاختلاط ، وكذلك يجب الأخذ بالاعتبار عاملا ماديا آخر فأكثرية الصحف الغربية لا تملك الوسائل المالية لإرسال المراسلين إلى بلد ما بصورة دائمة ، ونتيجة لذلك ، تأخذ الوكالات الصحفية هيمنة كبيرة ، إن هذه الوكالات ، رسمية أو غير رسمية تتسم عـادة بفلسفة بـلادها الأصليـة

إن هذا النقص أو القصور له ما يبرره لأسباب سياسية ، ومادية من أهمها : فقدان الدعم « التقنى » هذا فضلا عن طبيعة الصحفى الذى تفرض عليه مهنته البحث عن (الإثارة) وهى من الأمور التى تحرضه على المغالاة والتهويل فى سرد النبأ . وإذا كانت تلك طبيعته الصحفية مع أخبار الوقائع والحوادث . فإن أخلاق المهنة ينبغى عليها أن تفرض عليه تحفظا كبيرا عندما يعالج موضوع الثقافات الأجنبية أو الديانات التى لا يعرفها جيداً .

وهكذا وعندما يذهب الصحفى الأجنبى إلى مكان ما فإنه يرسل لسرد الأحداث الاستثنائية : الحروب والثورات والفواجع الطبيعية الخ .. فيستخدم إقامته القصيرة محليا ، وهو مدفوع بوجدانه المهنى وبحبه للإنتاج ، أن يلتقط المعلومات الخاصة بـالعـادات والتقـاليـد ، والمعتقـدات ، والصعوبات اليومية ، والطموحات والكبت وكل شىء يتعلق بالشعب الذى يزوره . وبسبب قصر الوقت وقلة المعارف العامة وعدم فهم اللغة المحلية فإنه يلجأ إلى مصادر ثانوية إلى حد ما : كالسفارات والأجانب المقيمين ..

يتبع د . **محمد إبراهيم الفيومى**

١ ـ وينبغى ان نستثنى هنا بعض الشخصيات التى جمعت ـ على مستوى رفيع ـ بين العلم بالإسلام والعلم بحقيقة العصر ومشاكله ، وكان لها ـ بهذا الوضع ـ أثر بليغ حيث حلت بالغرب نذكر منهم فضيلة الاستاذ الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بـ « واشنطن » وهو أحد عشرة اختيرت صورهم لتعلق بالكونجرس فى الولايات المتحدة ، ومن أمثاله كثير وإن كانوا ذوى عدد محدود .. مجلة الأزهر .

حفظ الله السودان

الفصل الأخير

إن الإنسان ينتفض فزعا بعد قراءة هذا (الحوار) الذى اجراه رئيس تحرير مجلة « المصور » المصرية مع « جون جرنج » ..
إن هذه العربدة لا يمكن أن تصدر من إنسان يضمر لإنسان اية نزعة إنسانية ، ولا يمكن وصف هذا الحوار وصفا تعبر عنه أية لغة . إنه « عربدة » بكل معنى الكلمة ، وابتزاز دموى من رجل تخرج فى أوكار الحقد والجريمة ..
وإليكم بعض فقرات هذا الحوار الذى تم بين « جرنج » وبين رئيس تحرير هذه المجلة .[1]

س : ماذا لو توصل المهدى والترابى إلى اتفاق حول قوانين الشريعة وأصدرا قانوناً فى المناطق التى يسكنها أغلبية مسلمة ولا يطبق فى المناطق الأخرى .

هل يحل ذلك مشكلتكم مع قوانين الشريعة ؟

جـ : هذه ليست مشكلتنا ، إنها مشكلة تخص السودانيين ، نحن نريد دولة علمانية . فى مصر توجد أغلبية مسلمة ولا توجد شريعة ، وفى نيجيريا يوجد مسلمون ولكن لا يوجد شريعة !

س : ولكن فى مصر هناك من يطالبون بتطبيق الشريعة ، ويوما ما سيطالب المسلمون ، وهم أغلبية ، بتطبيق الشريعة ، لماذا تعارضون ؟

جـ : الأغلبية لا تريد الشريعة ولكن النميرى هو الذى فرضها ، لم يكن هناك انتخابات أو تصويت !

س : من الممكن إجراء استفتاء ؟

جـ : لم يحدث استفتاء حول الشريعة ولكن النميرى فرضها فرضا ، الاستفتاء لم يجر بعد ، النميرى ذهب ولتذهب معه قوانينه .

س : أعتقد أنه من السهل إجراء استفتاء ؟

---

(١) مجلة المصور ، العدد رقم ٣٢٧٩ ـ ٢٠ من ذى الحجة ١٤٠٧ ـ ١٤ إغسطس ٨٧

للأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبي

الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

جـ : من السهل أيضا أن نذهب إلى القمر ؟ الشريعة فرضت على السودان ولم يجر أى استفتاء ؟

س : أظن أن سؤالى واضح تماما : ماذا لو وافقت أغلبية المسلمين على تطبيق الشريعة على أنفسهم فقط دون المناطق الأخرى ؟

جـ : الأغلبية التى تقوم على أساس دينى لا تكون ديمقراطية ، الأغلبية التى تقوم على العنصرية لا تكون ديمقراطية . إذا قررت الأغلبية الأفريقية فى السودان أن تطرد العرب . هل تقبلون أم ترفضون ؟ إذن أى أغلبية تقوم على أساس دينى أو عنصرى فى السودان لن تنجح ؛ لأن السودان متعدد الأديان ومتعدد العناصر .. هذه أغلبية ميكانيكية .

س : ولكن لا يضيركم أن أطبق الشريعة على نفسى كمسلم ؟

جـ : ولا يضير العرب أن أطبق أنا أيضا الأفريقية . المسلمون أغلبية ميكانيكية فى السودان والأفارقة أغلبية ميكانيكية فى السودان هذا حقيقى .

س : لنحاول الخروج من هذا الطرح غير الديمقراطى لنضرب مثلا إذا كان شخص ما مسيحيا ويعارض موقفا معينا فى بلدك وتريد الأغلبية المسلمة تطبيق الشريعة الإسلامية على أنفسهم فماذا يضير هذا الشخص ؟!

جـ : القانون العام يطبق على الجميع ، والقانون المحلى يطبق على أهل منطقة محددة ، هكذا كان الوضع قبل ١٩٨٣ قبل أن يفرض النميرى أحكام الشريعة . فى قريتى توجد تقاليد خاصة هى القانون المحلى . وهذا ما نطالب به أى العودة إلى حالة ما قبل ٨٣ .. نحن نرفض إعلان دولة إسلامية . لقد تعايشنا مع المسلمين فى هدوء من قبل فى الجنوب ولم تكن هناك حاجة إلى فرض الشريعة ، كنا نطبق تقاليدنا وقوانيننا الخاصة . هذا هو وضع ما قبل ٨٣ . الزواج فى قريتى يتم وفقا لتقاليدنا . أ . هـ .

اليس فيما يقوله : إهدار لكل القيم والقوانين فى أى مكان من الدنيا ..

إن قضية السودان كما يقول أرنولد توينبى ARNOLD TOYNBE هى قضية أفريقيا المنقسمة ، ولذا .. فإن السودان إذ يحمل مصيره بين يديه يحمل مصير أفريقيا فى الوقت نفسه فإذا نجح السودان فى ذلك سيكون قد قام بعمل رائد للقارة الأفريقية بأسرها . أما إذا احتدم الصراع فى السودان وأزمن فسوف يؤدى ذلك إلى زيادة التوتر بين قسمى أفريقيا فى كل مكان . وسيتحول « جنوب السودان » طال الزمن أم قصر إلى ثورة للأحقاد والكراهية .. وحين تصل الأمور إلى هذا الحد فلسوف تنقسم أفريقيا إلى

←

قسمين يتربص أحدهما بالآخر فى كل ناحية .(٢)

تكشف أبعاد هذا الخطر ، وأهداف هذه « الغارة » التى بدأت تقترب من مقدسات الإسلام فى البدو والحضر !!

• • •

فى المركز العام للوثائق التاريخية بمدينة لندن . توجد وثيقة تحمل رقم ٥٥٩٥/٣٧١ . كتبها وزير للمستعمرات سابق اسمه « اورمسبى جو » تقول هذه الوثيقة .

« إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه » .

وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك . بل فرنسا أيضا ..

من دواعى فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة !

إن سياستنا تهدف دائما وأبداً ، إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك !

إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ـ وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية ، فهى أقل خطرا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى : إن سياستنا الموالية للغرب فى الحرب العظمى (٣) لم تكن نتيجة متطلبات « تكتيكية » ضد القوات التركية ، بل كانت مخططة لغرض أهم هو إبعاد سيطرة الخلافة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، فإن العثمانيين كانوا يمدون سلطانهم إليها لمعان مهمة !

ومن أسباب سعادتنا أن كمال أتاتورك لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط ، بل أدخل « اصلاحات » بعيدة الأثر أدت إلى نقض المعالم الإسلامية لتركيا ؟

وفى إيران أيضا وقع مثل ذلك فإن « رضا شاه » اتبع سياسة تحد من إرادة ومقدرة المؤسسات الدينية ، وأدخل القبعة كما فعل الأتراك بكل ما تحمل القبعة من دلالات على رفض العادات الإسلامية والتقاليد الموقرة المتبعة من قبل .

وهذه العادات والتقاليد السائدة فيما كان يسمى قديما بالعالم الإسلامى تجب مقاومتها .

ونبهت الوثيقة فى ختامها إلى أن الوحدة العربية قد تكون حركة تمهيدية لإقامة وحدة إسلامية ، ويعنى الوزير بذلك ضرورة الحذر من هذا الاتحاد حتى لا يواجه الاستعمار خطر عودة الإسلام مرة أخرى !

• • •

(٢) جنوب السودان محمد أحمد بشير .

(٣) يعنى الحرب العظمى الأولى .

فى ضوء هذه الوثيقة يمكن أن نفهم لماذا يحرص التنصير على إثارة النعرات والحزازات التاريخية القديمة .

الفرعونية فى مصر ...

والفينيقية فى بلاد الشام ...

والآشورية فى العراق ...

والبربرية فى المغرب ...

والزنجية والنوبية فى السودان ...

أما لماذا ؟ فلأن المسلمين ـ كما يقول « لورانس بروان » فى كتابه « الإسلام والإرسالبات » « ISLAM AND MISSIONS » .

إذا اتحدوا أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً !! أو كما يقول « القس كالهون سيمون » إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة كل حركة ، والحيلولة بين الأرقاء والعبيد من التحرر والانطلاق من قبضة الاستعمار الدموية » .

أو ـ كما يقول ـ أندريه جيد : إن اتصال الإسلام بأفريقيا يرفعها ويسمو بروحها (٤) .

يقول منتسكيو : « إذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيداً ، فإنى أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين ، لم تر بدأ من أن تستعبد شعوب أفريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى إلا جماعات سوداء البشرة من إخمص القدم إلى قمة الرأس ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا ، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لها ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو ذو الحكمة السامية ـ قد وضع روحا ـ وعلى الأخص روحا طيبة ـ فى داخل جسم حالك السواد .(٥)

أعرفتم لماذا يحارب الإسلام ؟ .. وإن التبشير ليس سوى حركة عنصرية تستهدف تحويل البشر إلى قطيع من الأغنام ؟

● ● ●

كنت فى زيارة إلى لندن منذ عامين ، وقد تعودت فى مثل هذه الزيارة أن أبحث عن أهم الكتب وعما يكتب عن الإسلام فى بلاد الغرب .

وفى لقاء مع أحد الأصدقاء لفت نظرى إلى مقال فى صحيفة الأوبزرفر OBSERVER .. كان اسم الكاتب غريبا وغير مألوف بين كتاب الصحف .. كما كان موضوع المقال عن السودان ومشكلاته التى بدأت تستفحل وتتدهور إلى واقع مؤسف .

وقد اتضح بعد قراءة المقال أن كاتبه مبشر زنجى متعصب ، والأفكار التى طرحها الكاتب تثير الفزع والرعب ، وتنبىء عما يدبر ضد السودان وشعبه فى « الجنوب » (٦)

---

(٤) فى داخل افريقيا ـ تأليف جون جنتر J.GUNTHER ص ٨٥ ـ جـ ١

(٥) دكتور محمد عوض محمد ـ الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ص ٣٧

(٦) جنوب السودان .

و« الغرب » [٧] لقد ذكر هذا الكاتب أن السودان كان بلدا نصرانيا ولابد أن يعود نصرانيا ..

وأن « الحرب » فى« الجنوب » ليست سوى « تجربة » لحروب أخرى ستشتعل فى « كردفان » وجبال النوبة ..

والأخطر من ذلك : أن يذكر هذا « المبشر » أن استغلال ثروات السودان « مؤجل » .. إلى أن يحين الوقت الذى نسمح فيه بهذا العمل !! ، ولن يجىء هذا الوقت .. قبل أن نحدد ـ نحن ـ معالم السودان وشخصيته فى المستقبل ! . أ . هـ .

• • •

فى أحد مؤتمرات القمة الإسلامية ، وقف الرئيس السابق جعفر نميرى يقول : « ستتسألون على وجه اليقين عن مشكلة الجنوب ، ستسمعون كذبا كثيرا وافتراء وأساطير ينسجونها حول الجنوب .

الجنوب الذى زرعه الاستعمار قنابل وقّت انفجارها وحدد آثار الانفجار وحسب بدقة نتائجه .

وأستأذنكم لأحدثكم عن الجنوب قبل مائة عام وأكثر ، كيف كان موقع القلب من السودان الموحد فى قمة الثورة المهدية الإسلامية ، وأنقل لكم هذه الفقرة من صفحة ١٦٣ من كتابى « النهج الإسلامى لماذا » .

الجنوب : عذاب التاريخ وهو يتراجع وما أقسى تراجع التاريخ . المهدى العظيم يقاتل البغى ويطارد الاستعمار يشعل ثورة السودان القومية العظمى . بحر الغزال تسانده ، بحر الغزال تبايعه . الدينكا والنوير تطرد (لبتون) قائد الحامية ، وتستقبل قائد المهدى (كرم الله شيخ محمد كركساوى) ليرفع رايه المهدية رمز وحدة السودان فوق ربوع بحر الغزال .

سفن المهدية تتقدم إلى مديرية خط الاستواء . قبائل المديرية تتقدمها تحكم الحصار حول الحاميات . تتساقط وتستسلم لينسحب دكتور أمين حاكم المديرية ويرفع عمر صالح مبعوث المهدى راية الوحدة القومية لتستظل بها مديرية خط الاستواء .

جاء الاستعمار والسودان بلد واحد وشعب واحد .. الإسلام دينه . والوحدة شعاره ، والاتفاق ديدنه لا عدو له إلا الاستعمار ، ولا هدف له إلا القضاء عليه ، فبدأ المستعمر فى تخطيط جريمته الكبرى ضد الإنسانية .

---

(٧) فى كردفان ودارفور وبلاد النوبة .

فرض على أبناء الجنوب تغيير أسمائهم إلى أسماء كنسية . (يوسف) أصبح جوزيف و(جمعة) أصبح قاما وشول ودينق وماجوك وماكيج وأوان .

وأضافوا إليها أو غيروها إلى وليم وجون وبيتر . طمسوا معالم الجنوب الأصلية . لم يكتفوا بمحاولة فصله من الشمال بل انتزعوه من ذاتيته الفطرية الطيبة .

وفى عام ١٩٢٢ بدأ الاستعمار فى تخطيط سياسة الجنوب أقفلوه فى وجه ابن الشمال الشقيق وبدأت عملية تنصيره وإشعال الفتنة فيه (٨)

أين روح المهدى ؟ وعثمان دقنة ؟ وعمر صالح وكرم الله شيخ محمد والزبير باشا ، والسلطان رابح والشهداء والأبطال الذين سقط تحت أقدامهم الجنرال الظالم غوردون ؟

● ● ●

لقد حدث بعد وصول الانجليز إلى « دنقلة » أن قبضوا على جماعة من أقارب المهدى وقالوا لهم :

« ... اكتبوا إلى المهدى كتابا ليرسل إلينا أهالينا المأسورين عنده ونحن نطلق سراحكم بعد ذلك ، وحين وصل كتابهم إلى المهدى أرسل المهدى إلى أقاربه يقول لهم :

ليس لنا بكم حاجة . لأنكم ظلمتم انفسكم . فلا فرق بينكم وبين الانجليز عندنا .. ومعاذ الله أن نرتكب مالا ينبغى بعد قول الله تعالى :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٩)

فإن كان نظركم إلى القرابة فهذه الآية تكفيكم فاصلا عنا وفيما حكاه الله عن نوح وابنه ، وإبراهيم وأبيه مقنع لأولى الألباب .

وقد كنا ـ سابقا ـ طالبناكم بالهجرة إلينا والجهاد معنا فما هاجرتم ولا جاهدتم ورغبتم فى تناول الجيف ، ومن أراد أن يأكل من الجيف فليصبر على عض الكلاب .. ترى هل يعنى ذلك زعماء الختمية والأنصار ؟

وهل يتفق الجميع ـ لمصلحة السودان ـ قبل أن تشتعل فيه النار !!

---

(٨) نقلا عن كتاب « سر تأخر العرب والمسلمين » لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ص ١٨٢ .

(٩) الآية الأخيرة من سورة « المجادلة » .

نحو تربية إسلامية صحيحة

كلما أمعنت النظر في القولة العمرية المأثورة «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم أن يثبوا فوق ظهور الخيل وثبا ورووهم ما عذب من الشعر» ازدادت ثقتي في جدوى التربية الإسلامية، وتمنيت على الله أن يعود بالزمان القهقرى حتى نشهد البطولات العربية الصحيحة، ونرى الرجولة الحقة التي تحلى بها المسلمون الأوائل في سلوكهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم، أو أن ينفخ في أبنائنا من روحه حتى ينشأوا على النهج الذي كان سائداً في صدر الإسلام فتصبغ النفوس بصبغة مستقيمة مع مطالب الدين والدنيا.

وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ صاحب هذه القولة المأثورة، هو نتاج المدرسة المحمدية انتفع بتعاليمها، وسار على نهجها، ووضع للمسلمين في عهده مبادىء للتربية السليمة التي أرسى قواعدها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والمعروف أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان المعلم الأول لأمته، وكان الصحابة يتلقون على يديه تعاليم الدين والمعرفة، ولم يكن موضوع العلم مقصوراً على القرآن الكريم، ولكنه كان يتناول كل شيء في حياة المسلمين، كان يعلمهم مناسكهم وفرائضهم وما يهمهم من شئون الدنيا، ومحاسن الآداب والأخلاق والسلوك.

ومن الأمثلة الآتية التي وردت في كتب التراجم والأخبار يمكن إدراك المنهج الذي كانت تسير عليه المدرسة الإسلامية في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وصاته لابن عباس:

يذكر الحديث المشهور المروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أردفه خلفه ثم قال له: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت

للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف(1) ـ أسد الغابة ٣/٢٩٣ .

إنه يعلمه الاعتصام بالله والثقة فيه والتوكل عليه ، وهو الأساس الذى ينبغى أن يحكم عليه المتعلم أمره ، فمتى استقر ذلك فى وجدانه سار على بصيرة فى حياته وسهل عليه كل أمر يطلبه ، والحكمة العطائية تقول : ما تعسر أمر أنت طالبه بربك ، وما تيسر شىء أنت طالبه بنفسك .

الأخلاق عماد الأمم :

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على تعليم أمته ، وكان يعلم أن الأخلاق هى أهم ما يجب أن يحرص عليه الطالب فى علمه ، ومن أهم دعائم الأخلاق البذل والعفة والاعتماد على النفس فى كسب المعاش ـ روى عدى الجذامى قال : إنه لقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أسفاره قال : فكأنى أنظر إليه على ناقة حمراء جدعاء وهو يقول : تعلموا أيها الناس فإنما الأيدى ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطِى الوسطى ويد المعطَى السفلى ، فتعففوا بحزم الحطب ، اللهم بلغت . أسد الغابة ٤/٧ .

تعليم القرآن :

أما تعلم القرآن فقد شغل وقت الصحابة ، ولاهم أهم منه عندهم ، وكانت الآيات تتنَزَّل فيتسابق المسلمون فى حفظها وكثير منهم كان يكتبها ، وقد كان هناك حفاظ مشهورون يرجع إليهم الناس فى ذلك .

ولكن الذى كان يشغل بالهم إلى جانب ذلك ما يحبون أن يعرفوه من خصائص تلك السور وما يدور حولها من فضائل ـ روى فروة بن مالك قال : أتيت المدينة فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما جاء بك ؟ قلت : جئت لتعلمنى كلمات إذا أخذت مضجعى ـ قال : اقرأ قل ياأيها الكافرون ، فإنها براءة من الشرك ـ أسد الغابة ٤/٣٥٩ .

ووفد مجالد بن ثور بن معاوية على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو وابن أخيه فعلمهما « يس » و« الحمد لله رب العالمين » ، والمعوذات الثلاثة : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وعلمهما الابتداء ببسم الله رب العالمين ـ أسد الغابة ٥/٦٢ .

منهج متكامل :

ولقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الناس كيف يأكلون ويتطهرون

(1) راجع أيضا مسند ابن عباس بمسند احمد ـ رضى الله عنهما ـ .

ويصلون ، حدث عكراش بن ذؤيب المنقرى قال : بعثنى بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقدمت المدينة فوجدته جالساً فى المهاجرين والأنصار ، فأخذ بيدى فانطلق إلى منزل أم سلمة ، فقال : هل من طعام ؟ فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك - الدسم - فأقبلنا نأكل ، فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما بين يديه ، وخبطت بيدى فى نواحيها ، فقبض بيده اليسرى على يدى اليمنى ثم قال : ياعكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد ، ثم أتينا بطبق فيه ألوان الرطب ، فجعلت آكل من بين يدى .. فقال : ياعكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده ثم مسح ببلل كفه وجهه وذراعيه ، ثم قال : ياعكراش هكذا الوضوء مما غيرته النار - تحفة الأحوذى - أبواب الأطعمة حديث رقم ١٩١٩ -

ورأى رجلاً يصلى فى غير أناة فعلمه كيف يصلى .

ورأى راعياً طويل الأظافر فأمره أن يقص أظافره ، ليس فقط للنظافة - وهى أمر هام - ولكن أيضاً للرحمة بالحيوان الأعجم الذى يؤذى ضرعه فى أثناء الحلب طولُ أظافر هذا الراعى(٢) .

وهكذا كانت تربية النبى - صلى الله عليه وسلم - تتناول مختلف الاتجاهات العلمية والخلقية والسلوكية .. إنها تربية ذات مناهج متعددة خرجت رجالاً متكاملين فى شخصيتهم وسلوكهم .

ارسال المعلمين :

لقد وضع النبى - صلى الله عليه وسلم - أسس التعليم الذى لم يلبث أن تطور وازدهر ، وأرسل المعلمين إلى ربوع البلاد يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم ، وقد شجع على تعليم القراءة والكتابة على اعتبار أنهما مفتاح التقدم العلمى ، قال ابن الأثير فى ترجمة عبد الله بن سعيد بن العاص : كان يكتب فى الجاهلية فأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعلم الكتاب بالمدينة ، وكان كاتباً محسناً قتل يوم بدر شهيداً على بعض الأقوال . أسد الغابة ٣/٢٦٣ .

وسار على نهجه عمر - رضى الله عنه - فقد بعث عبد الله بن مسعود إلى الكوفة معلماً ووزيراً لعمار بن ياسر ، وفى ذلك إحياء لسنة النبى - صلى الله عليه وسلم - وأرسل النبى - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى اليمن معلماً وقاضياً وعلمه قبل أن يرسله واختبره فيما علمه .

وكان مصعب بن عمير أول معلم أرسله النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة مع النفر الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن ، فكان

(٢) تأسف المجلة شديد الأسف لورود هذا الخبر والذى قبله بغير مرجع .. والمجلة إذ تكرر هذا الطلب تود أن يشاركها السادة الكتاب خصيصتها فى الاهتمام بتوثيق المادة .

منزله على أسعد بن زرارة ، وكان يسمى بالمدينة المقرىء ، وأسلم على يديه أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً فى الإسلام .

التعليم والرياضة :

وكلمة عمر التى أشرنا إليها فى صدر هذا الحديث لها أصل فى توجيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمتعلمين ، فقد كان يدعو إلى رياضة الجسم كما يدعو إلى رياضة الروح ، ورياضة الجسم ضرورة لإعداد المجاهدين الذين يرفعون لواء الدين وينشرون كلمة الله .

روى بكر بن عبد الله عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لَهْوُ المؤمنة المغزل ، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك ـ الإصابة ١/٣٤٩ ـ أسد الغابة ١/٢٤١ ـ

ياله من توجيه تربوى حكيم ، تناول عدة انجاهات ، فقد علم الفتيان كيف يعنون برياضة أجسامهم لأهداف عليا ، فالسباحة فيها منجاة لصاحبها إذا ركب البحر ، وهى معينة له على الجهاد فى سبيل الله ، والرماية تعلمه كيف يصيب هدفه بإحكام ، وهكذا الشأن فى ركوب الخيل الذى يعلم أخلاق الفروسية وآدابها إلى جانب الجهاد .

وعلى ذلك يجب أن تهدف الرياضة لأهداف كريمة ، بمعنى أن تكون وسيلة لا غاية ..

ويوجه المرأة إلى أن تكون معينة لزوجها ـ وهى فى بيتها ـ على أعباء الحياة ، فلا ينبغى أن تنصرف مع جاراتها إلى القيل والقال وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، بل يجب أن يكون لها عمل فى داخل بيتها يشغلها عن كل ذلك ، وخير عمل لها المغزل ومايجرى مجراه فى وقتنا الحاضر من أعمال تناسب طبيعة المرأة دون أن تعرضها للابتذال(٣) .

ويوجه الأبناء إلى طاعة الآباء والأمهات مع معرفة حق الأم بصفة خاصة .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحذر من تنعيم الشباب وتدليل الأبناء ، وهذا لايعنى القسوة عليهم ، ولكنه كان يريد تعويدهم الخشونة التى تقدرهم على تحمل الصعاب ، وتحذيرهم من الترف والركون إلى الدعة . روى القعقاع بن أبى حدرد الأسلمى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة » أسد الغابة ٤/٤٠٩(٤) .

ـ يقال : تمعدد الغلام إذا شب وغلظ ، وقيل فى معناه : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل تقشف ، أى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزىّ العجم ـ

وهذا توجيه تربوى سليم ، فما ركن قوم إلى الترف إلا فسدت حياتهم بما تزينه

←

(٣) وكم يكون خيرا لو تعلمت ـ فى أسلوب شرعى ـ كيف تخيط ثيابها وثياب ابنائها .
(٤) راجع ايضا مسند عمر بمسند احمد ـ رضى الله عنهما ـ .

الأهواء لهم وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ الإسراء ١٧ .

وعلى هذا النمط السليم والتوجيه الحكيم أنشأ النبى أصحابه الذين أنشأوا دولة الإسلام العظمى .

منهج عمر

وجاء عمر الذى انتفع بتعاليم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل الانتفاع ، فكانت له توجيهاته النافعة التى استقاها من معين النبوة ، وكلمته تلك المأثورة توجه الرياضيين إلى أن يحرسوا شطط القوة البدنية بسياج من العاطفة المهذبة المستقاة من الشعر النبيل الهادف الذى يدعو إلى مكارم الأخلاق .

ولعمر ـ رضى الله عنه ـ كلمات سباقة فى مجال التربية الإسلامية أشار إليها المرحوم العقاد فى كتابه « عبقرية عمر » نذكر بعضها تذكيراً لعلماء التربية فى عصرنا بما يجب عليهم نحو المثل العليا ، إن أرادوا أن يعودوا بالتربية التى تنشىء الدول إلى سيرتها الراشدة .

قال عمر يوصى ابنه : « يابنى انسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا » . وقال للمسلمين عامة : « ارووا الأشعار فإنها تدل على الأخلاق » .

وصلة الرحم عن طريق معرفة النسب فيها إثارة للشعور القومى الذى يدعو إلى الاعتزاز بالأمة والحفاظ على الوطن .

وفى حفظ محاسن الشعر تغذية للعاطفة النبيلة بما تهدف إليه هذه الأشعار من كمال الأخلاق وجمال الآداب ، ولعمر ـ رضى الله عنه ـ رأى فى الشعر وهو ديوان العرب فكان يقول عنه فيما يرويه العقاد : « إنه كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالغزو ، ولهيت عن الشعر وروايته » طبقات الشعراء .

وعمر هو الذى كان يدعو إلى تعلم العربية وهو فى رأى بعض العلماء الذى أوصى بوضع قواعد النحو التى حفظت للغة روحها وأبقت لها قوامها .

وكان عمر يوصى المتعلمين بمعرفة طرائف الأخبار فإنها علم الملوك والسادة ، وبها تنال الحظوة والمنزلة ، ويقصد عمر بذلك الثقافة العامة التى يحتاج إليها الشباب فى كل زمان ومكان . فهى التى تقضى على الأمية الثقافية التى تشكو منها الدولة .

قواعد للتربية :

ولئن كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وضع القواعد المثلى للتربية الإسلامية ، وعلم المعلمين كيف يسوسون طلابهم ويصبرون لهم ويعاملونهم برفق ، ورفع من شأن طالب العلم حتى إن الملائكة لتضع

أجنحتها له رضا بما يصنع ، فإن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد سار على هذا النهج وأوصى الطلاب بقوله فى هذه النصيحة الذهبية « تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

إنه يوجه المعلم مثلما يوجه المتعلم . وهذه هى مهمة كليات التربية الآن ، ولا يعوق عملية التعليم إلا تجاهل قواعد التربية الصحيحة .

وصية حكيمة للعلماء

وكأن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يستشف الغيب حين وجه كلامه للعلماء أن يغضوا أبصارهم عن زينة الدنيا فلايتهالكوا عليها طلبا فى الاستكثار ، ويكفى العالم شرفا علمه لاماله ، ورزق يوم بيوم أولى به ، وهذه وصيته لطلاب العلم : « كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم واسألوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم ألا يكثر لكم » إن التفقه مقدم على السيادة من غير شك وقولته فى ذلك : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

ألا من يقدم هذه النصائح لعلماء اليوم الذين ألحت عليهم مطالب الدنيا حتى ألهت الكثير منهم عن أداء حق العلم والدين كما يجب ، وحال التطلع إلى الاستكثار بينهم وبين واجبهم المطلوب منهم ؟

منهج شامل :

وربما يظن ظان أن منهج الدراسة الإسلامية كان مقصوراً على العلوم الدينية فحسب ، كلا . ولكن المنهج كان متسعا لكل جديد مفيد ، وحاثا على النظر فى مختلف العلوم التى يتسع لها العقل البشرى . وعمر يقول : « تعلموا من النجوم مايدلكم على سبيلكم فى البر والبحر ولا تزيدوا » .

وعبارة لا تزيدوا ليست نهيا عن الزيادة فى العلم ، ولكنها نهى عن إساءة استعماله ، ويقول العقاد فى ذلك : « لم يفت عمر الحرص على المعرفة التى تخترع منها منافع للناس فى أمر المعاش فطلب من أبى لؤلؤة أن ينجز ما ادعاه من اختراع طاحون تدار بالهواء وهو علم الصناعات كما انتهى إليه عصره ، لا يضيره أنه قسط ضئيل ، بل حرصه عليه مع ضآلته دليل على مايلقاه منه تشجيع الصناعة يوم يراها جليلة كثيرة الآثار »(٥) .

إن ذلك يدل على أن المنهج الإسلامى لا يقف فى طريق نماء العلم وتميزه حتى يصل إلى الغاية التى تستغنى فيها الدولة الإسلامية عن عطاء غيرها من الدول ، لتكون يد الدولة الإسلامية العليا ، واليد العليا خير من اليد السفلى كما يقول الحديث الشريف المشهور ، وهو حديث جامع يمكن تطبيقه فى كل مجال .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

(٥) وكان قوم الأقرع بن حابس يستخرجون المعدن من أرضهم ، والإسلام يشجع على ذلك ، وحملت كتب الفقه الإسلامى أحكامه .

الفتاوى

الدواجن التى تتغذى بالنجاسات

ثار الجدل فى هذه الأيام حول لحم الدجاج الذى يضاف إلى علفه بعض المواد النجسة أو الكيماوية التى تسرع نموها وتزيد حجمها أو وزنها ، وكان محور الجدل فى نقطتين ، إحداهما صحية والأخرى دينية .

وقد اختلف ذوو الاختصاص والخبرة فى تأثير ذلك على صحة الإنسان ، ما بين مثبت للضرر ، وبخاصة في علاقته بالفشل الكلوى والسرطان ، ونافٍ لهذا الضرر ، وبخاصة بهذه الصورة الرهيبة ، مع إشارة بعضهم إلى أن ما يمكن أن يكون من ضرر فهو ليس بهذا الحجم الذى يحرم تناول هذه اللحوم .

ومبدئياً نقول : مادام لم يجزم أهل الذكر بوجود الضرر البيّن الذى يؤثر تأثيراً بالغاً على الصحة والمال والعقل وسائر ما حاطه الإسلام بالرعاية من أجل تأدية الإنسان وظيفته في الحياة على الوجه المطلوب ، فلا وجه للقول شرعاً بمنع تناوله ، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ، فما دامت العلة وهى الضرر المذكور غير محققة فالأصل فى الأشياء الحل ، فإن تحققت كان المنع ، وقد جاء الشرع لتحقيق المصلحة ومنع المفسدة ، والله سبحانه يقول : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة : ١٩٥ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث : « لا ضرر ولا ضرار » رواه ابن ماجة ، والدارقطنى وغيرهما مسندا ، ورواه مالك فى الموطأ مرسلا ، كما قال النووى فى متن « الأربعين حديثاً النووية » وقال : حديث حسن .

وعلماء الإسلام تحدثوا عن هذا الموضوع من قديم الزمان بناء على نصوص وردت فى ذلك منها :

١ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس . أخرجه الدارقطنى والحاكم والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وقال البيهقى : ليس بالقوى .

٢ ـ عن ابن عمر أيضاً : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وألبانها ، رواه الخمسة إلا النسائى ، وقال الشوكانى « نيل الأوطار ج ٨ ص ١٢٨ » : حسّنه الترمذى ، واختلف فيه على « ابن أبى

إعداد: الشيخ: عطية صقر
عبد الحميد السيد شاهين

نجيح » فقيل : عن مجاهد عنه ، وقيل : عن مجاهد مرسلا ، وقيل : عن مجاهد عن ابن عباس .

٣ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرب لبن الجلالة .. رواه الخمسة إلا ابن ماجة ، وصححه الترمذى ، وقال الشوكانى : وأخرجه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى ، وصححه أيضاً ابن دقيق العيد ، ولفظه : وعن الجلالة وشرب ألبانها .

٤ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن الجلالة ، عن ركوبها وأكل لحومها . رواه أحمد والنسائى وأبو داود . وقال الشوكانى : أخرجه أيضاً الحاكم والدارقطنى والبيهقى ، وفى الباب عن أبى هريرة مرفوعاً ، وفيه النهى عن الجلالة . قال فى التلخيص : إسناده قوى .

هذا بعض ما ورد عن الجلالة ، والكلام فى هذا الموضوع يدور حول تعريف الجلّالة ومناط النهى ، ودرجة هذا النهى وما ينبغى أن يتخذ حيالها . وما المنهى عنه منها :

أ ـ فالجلّالة هى كل ما يتناول العَذِرَة ـ بكسر الذال ـ والأرواث ، مأخوذ من الجَلَّة ـ بفتح الجيم ـ وهى البعرة ـ وهى تشمل الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز ، وغيرها من كل ما يتناول هذه المواد .

قال العلماء : ولا يطلق عليها وصف الجلّالة إلا إذا كان غالب علفها من النجس ، كما جزم به النووى فى تصحيح التنبيه ، يقول الخطابى : فأما إذا رعت الكلأ واعتلفت الحب ، وكانت تتناول مع ذلك شيئاً من الجلة فليست بجلالة ، وإنما هى كالدجاج المخلّاة ونحوها من الحيوان الذى ربما نال الشىء منها وغالب غذائه وعلفه من غيره ، فلا يكره أكلها ، وجاء فى حياة الحيوان الكبرى للدميري « مادة سخلة » قوله : واختلفوا فيما يناط به الحرمة والكراهة ، فقال الرافعى عن « تتمة التتمة » : إنه إن كان أكثر أكلها الطاهرات فليست بجلالة ، والأصح أنه لا اعتبار بالكثرة ، بل بالرائحة ، فإن كان يوجد فى مرقها أو فيها أدنى ريح النجاسة وإن قلّ فالموضع موضع النهى ، وإلا فلا ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن موضع النهى ما إذا وجدت رائحة النجاسة بتمامها أو كانت تقرب من الرائحة ، فأما إذا كانت الرائحة التى توجد يسيرة فلا اعتبار بها ، والصحيح الأول ، إلحاقاً لها بالتغير اليسير بالنجاسة فى المياه : فإن علفت الجلالة علفاً طاهراً مدة حتى طاب لحمها وأزالت النجاسة زالت الكراهة . ولا تقدر مدة العلف عندنا بزمن ، بل المعتبر زوال الرائحة بأى وجه كان .

ب ـ يؤخذ من هذا أن مناط النهى هو وجود رائحة النجاسة وتغير اللحم أو اللبن أو البيض ، وذلك تابع فى الغالب إلى كثرة ما تعلف به الدابة من النجاسة أو قوة تأثيره ، يقول الدميرى : ثم إن لم يظهر بسبب ذلك تغير فى لحمها فلا تحريم ولا كراهة ، ويقول القرطبى فى تفسيره « ج ٧ ص ١٢٢ » بعد ذكر الجلالة : وقال العلماء : كل ما ظهر منها ريح العذرة فى لحمه أو طعمه فهو حرام ، وما لم يظهر فهو جلال . وقال الخطابى : هذا نهى تنزيه وتنظف ، وذلك أنها إذا اغتذت الجلة وهى العذرة وجد نتن رائحتها فى لحومها .

جـ ـ فإذا وجدت الرائحة أو تغير اللحم طعما وقال العلماء بمنع تناول لحمها وما ينتج عنه ، فما درجة هذا المنع ؟ هل هى الحرمة أو الكراهة ؟ يقول الشوكانى : والنهى حقيقة فى التحريم . فأحاديث الباب ظاهرها تحريم أكل لحم الجلالة وشرب لبنها وركوبها ، وقد ذهبت الشافعية إلى تحريم أكل لحم الجلالة ، وحكاه فى البحر عن الثورى وأحمد بن حنبل ، وقيل : يكره فقط ، كما فى اللحم المذكى إذا أنتن قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لو غذى شاة عشر سنين بأكل حرام لم يحرم عليه أكلها ولا على غيره ، وهذا أحد احتمالى البغوى .

قال الدميرى فى السخلة المرباة بلبن كلبة أن لها حكم الجلالة . فيكره أكلها كراهة تنزيه على الأصح فى الشرح الكبير والروضة والمنهاج ، وبه جزم الرويانى والعراقيون . وقال أبو إسحاق المروزى والقفال : كراهة تحريم ، ورجحه الإمام والغزالى والبغوى والرافعى فى المحرر .

ثم قال الدميرى : وسئل سحنون من فقهاء المالكية عن خروف أرضعته خنزيرة فقال : لا بأس بأكله ، وقال الطبرى : العلماء مجمعون على أن الجدى إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة لا يكون حراما ، ولا خلاف فى أن ألبان الخنازير نجسه كالعذرة ، وقال غيره : المعنى فيه أن لبن الخنزيرة لا يدرك فى الخروف إذا ذبح بذوق ولا شم ولا رائحة ، فقد نقله الله تعالى وأحاله كما يحيل الغذاء ، وإنما حرم الله تعالى أكل أعيان النجاسات المدركات بالحواس ، كذا قاله أبو الحسن على ابن خلف بن بطال القرطبى فى شرح البخارى .

ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وهو أحد شيوخ أبى عمرو بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه .

انتهى ما فى الدميرى .

د ـ وإذا كان المنع من أكل لحم الجلالة وشرب لبنها منوطا بوجود النتن والتغير فى الطعم والرائحة ، فكيف تزول هذه العلة حتى يزول المنع ؟

قال جماعة : يكفى زوال الرائحة والطعم بأية وسيلة من الوسائل ، وقال آخرون : لابد من حبس الدابة مدة حتى تزول الرائحة ، وقال جماعة من هؤلاء لابد مع الحبس من العلف الطيب ، وبدون ذلك يكره أكل اللحم وشرب اللبن ، جاء فى تفسير القرطبى : وقال أصحاب الرأى والشافعى وأحمد : لا تؤكل حتى تحبس أياما وتعلف علفا غيرها ـ يعنى غير الجلة ـ فإذا طاب لحمها أكلت . وكان ابن

عمر يحبس الدجاج ثلاثا ثم يذبح . وقال إسحاق : لا بأس بأكلها بعد أن يغسل لحمها غسلا جيداً ، وكان الحسن لا يرى بأساً بأكل لحم الجلالة . وكذلك مالك بن أنس .

ويقول القرطبى : ومن هذا الباب نهى أن تلقى فى الأرض العذرة ، عن ابن عمر أنه كان يكرى أرضه ويشترط ألا تدفن - تسمد - بالعذرة ، وروى أن رجلا كان يزرع أرضه بالعذرة فقال له عمر : أنت الذى تطعم الناس ما يخرج منهم . انتهى .

يقول الدميرى فى كتابه حياة الحيوان « مادة دجاج » وفى الكامل والميزان فى ترجمة غالب بن عبد الله الجزرى - وهو متروك - عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك . وذكر فى مادة « سخلة » حديث ابن عمر فى نهى النبى ﷺ عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس .

وجاء فى « نيل الأوطار » للشوكانى : قال ابن رسلان فى شرح السنن : وليس للحبس مدة مقدرة ، وعن بعضهم فى الإبل والبقر أربعون يوما ، وفى الغنم سبعة أيام ، وفى الدجاج ثلاثة ، واختاره فى المهذب والتحرير ، قال الإمام المهدى فى البحر : فإن لم تحبس وجب غسل أمعائها مالم يستحل ما فيه استحالة تامة .. وقد اختلف فى طهارة لبن الجلالة ، فالجمهور على الطهارة ، لأن النجاسة تستحيل فى باطنها ، فيطهر بالاستحالة ، كالدم يستحيل فى أعضاء الحيوانات لحما ويصير لبنا .

ويقول الدميرى : فى « مادة سخلة » بعد نقل ما قيل عن مدة الحبس وأنها محمولة على الغالب عندهم : فإن لم تعلف لم يزل المنع بغسل اللحم بعد الذبح ولا بطبخه وشيه وتجفيفه فى الهواء وإن زالت الرائحة بمرور الزمان عند صاحب التهذيب ، وقيل بخلافه .

هـ - هذا ، والممنوع فى الجلالة بوصف كونها جلالة . هو أكل لحمها وشرب لبنها وكذلك أكل البيض ، وأيضا حمل الأمتعة عليها ، وركوبها بغير حائل بين ما يحمل عليها وبين جلدها ، وذلك على سبيل الكراهة فى الركوب .

بعد العرض لأحاديث الجلالة وأقوال العلماء نستخلص أن الدواب التى يخلط علفها بمادة نجسة ولم يظهر فساد فى لحمها أو لبنها أو بيضها . ولا ضرر فى تناوله لا يحرم أكل ذلك ولا يكره ، لزوال علة النهى وهى الفساد . أما إن كان علفها كله من مادة نجسة وظهر فساد اللحم واللبن والبيض فالخلاف موجود بين الحكم بالحرمة أو الكراهة التحريمية أو الكراهة التنزيهية ، وإن لم يكن فساد فلا حرمة ، والأولى علفها بمادة طيبة مدة من الزمان حتى تقبل النفس عليها ، فإن بعض النفوس لا تقبل الحلال الذى لاشك فى حله ، فقد امتنع النبى ﷺ عن أكل لحم الضب وهو حلال ، وجاء فى الصحيحين أنه قيل له : أحرام هو ؟ قال . لا ، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » وفى رواية مسلم .. « لا آكله ولا أحرمه » وفى رواية « كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامى » . وكلام الأطباء والمختصين فى هذا المقام له وزنه إن أجمعوا عليه .

عطية صقر

الفتـــاوى

س : من المواطن / صلاح الدين . ع . ص . مصر الجديدة

أرجو الإفادة عن الأحكام الشرعية فيما يتعلق فى مثل هذه الحالة .

أولاً : تزوج رجل مسلم الديانة بسيدة إيطالية مسيحية الديانة زواجا على الشريعة الإسلامية وذلك منذ تسعة عشر عاما زواجا موثقا .

ثانيا : مكثت الحياة الزوجية بين الزوجين لمدة تسعة عشر عاما وانجبا فيها ثلاثة أولاد أحدهم فى سن الثامنة عشرة والثانى فى سن السابعة عشرة وأصغرهم فى سن الثالثة عشرة .

ثالثا : هجرت بيت الزوجية واستولت عند هجرها على أثاث البيت بالإضافة إلى التحف الأثرية ذات القيمة التى تحق للزوج ثم رفعت دعوى أمام المحاكم الإيطالية تطلب فيها الطلاق فحكم لها القاضى بذلك فطلقها الزوج بناء على طلب القاضى .

رابعاً : طالبت الزوجة بحضانة الابن الأصغر وهو فى سن الثالثة عشرة واستولت على الشقة التى يمتلكها الزوج واستولت على أثاث الشقة وملابسه وحاجاته الشخصية كما طلبت منه أن ينفق عليها مدى الحياة .

والمطلوب هل يجوز لها أن تضم ولدها إليها مع احتفاظها بدينها وبلوغ الطفل ثلاثة عشر عاما ؟

هل يجوز لها الاستيلاء على شقة الزوج مع كل ما فيها من اثاث وتحف وملابس تخص الزوج وأشياء خاصة به ؟

وما مدة عدتها التى يلزم فيها الزوج المسلم بالإنفاق عليها بعد الطلاق .

وهل لها حقوق زيادة على ما تقدم ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه :

إذا تزوج المسلم بمسيحية كان لها من الحقوق ما للمسلمة وعليها من الواجبات

ما على الزوجة المسلمة ، فإذا طلقت بناء على طلبها أو بسبب منها حُرِمَتْ من نفقة المتعة ووجب لها مؤخر الصداق إن كان لها صداق متأخر ونفقة العدة هى مدة عدتها . والعدة هى ثلاث عادات[1] شهرية إن كانت من ذوات الحيض ، ووضع الحمل إن كانت حاملا ، وثلاثة أشهر إن لم تكن من ذوات الحيض ولا من ذوات الحمل ما لم تَدَّعِ أنها حامل فيقضى لها بنفقة سنة وتقدر النفقة على حسب حال الزوج يسارا وإعسارا ، ولها حق الحضانة لأولادها المسلمين إلى سن السادسة وهى السن التى يعقل فيها الصغير الأديان ، لأن والدته غير مسلمة ثم يسلم إلى والده المسلم .

وإذاً فلا حضانة لها فى ولدها البالغ سن ثلاثة عشر عاما .

أما أثاث المنزل فهو حق خالص للزوجة إلا ما كان من خاصة الرجل كملابسه وتحفه وغير ذلك .

أما شقة الزوجية فإنها تكون ملكا خالصا للزوج إلا إذا كانت الزوجة حاضنة لولدها البالغ سن السادسة فتكون الشقة للطفل المحضون وللأم تبعا له وليس لها حقوق سوى ذلك .

(١) حيضات .

س : من المواطن / س . م . عسقلانى

امرأة اشترت قطعة أرض وسجلتها باسم أولادها الأربعة الموجودين على قيد الحياة ، الذكور منهم والإناث ، ثم رزقت بعد ذلك بأولاد غير هؤلاء وتوفيت . فلمن تكون الأرض المشتراه والمسجلة باسم أولادها الأربعة الأول .

جـ : نفيد أنه مادامت السيدة أم الأولاد الأربعة اشترت الأرض وسجلتها باسم أولادها الذكور والإناث الموجودين فى هذا الوقت فالأرض اصبحت ملكا بالتساوى لمن كتبت له ، وليس لأولادها الذين أنجبتهم بعد ذلك حق فى الأرض المشتراه والمسجلة باسم أولادها الأول .

س . من السيد / ف . ق . هلال من الشرقية .

توفى رجل عن أم ، أخت شقيقة ، إخوة لأم ذكورا وإناثا ، عمين شقيقين فمن يرث وما نصيبه ؟

للأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا

←

الفتاوى

لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللإخوة لأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى ، ولا شيء للعمين الشقيقين لاستغراق الفروض التركة ..

س : من السيدة / ع . أ . غ . درويش - الزمالك

تزوجت من مليونير سعودى مقيم بالقاهرة فى عام ١٩٧٥ م . وكنت امراة ثيبا واستمر زواجنا حتى طلقنى فى غضون شهر أغسطس سنة ١٩٨٦ . دون حضورى مجلس الطلاق ولم أنجب منه أولادا . مع الإحاطة بأن هذا الزوج له ثلاثة أولاد من زوجة أخرى . والمطلوب تحديد حقوقى الشرعية من بعد زواج دام أحد عشر عاما تقريبا علما بأنه مليونير سعودى وجميع أملاكه الموجودة بالسعودية بأسماء أبنائه من الزوجة الأخرى .

وله حصص فى شركات على حافة الإفلاس ، وله نقود سائلة بالبنوك وأريد معرفة حقوقى والتزاماتى .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .... فإن السائلة لها نفقة عدة تقدر بثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض وإن لم تكن من ذوات الحيض وليست حاملا فعدتهاثلاثة أشهر ، ولها نفقة الأشهر الثلاثة . ولها نفقة المتعة لا تقل عن سنتين من النفقة وللقاضى أن يزيدها حسب طول المدة الزوجية (من ثلاث سنوات إلى ثلاث سنوات ونصف) .

وعادة يقضى القاضى بالنفقة الشهرية حسب غنى الزوج ويساره أو إعساره ، وغالبا ما تكون ما بين ٢٥٪ و٣٠٪ من عائد الدخل الشهرى .

وكل ما أعطاه الزوج لزوجته حال الزواج من هبات دون عوض فهى ملك خالص للزوجة لايجوز الرجوع فيه .

وعلى الزوجة أن ترد لزوجها كل ما أخذته من حاجياته الخاصة ، وترد إليه أيضا كل ما أخذته دون أن يأذن لها فيه ، والله تعالى أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

من وحي الإسراء والمعراج

في موكب النور

جمع بقبضتي

من وحي الإسراء والمعراج

للأستاذ: محمود شاور ربيع

من ساحة البيت الحرامْ   مسراك ياخير الأنامْ
وعلى البراق يشع نورك   بين زمزم والمقام
واتيتَ للأقصى سُرًى   وخطوتَ تسبق للأمام
والرسل كنت إمامهم   أكْرِمْ بشخصك من «إمام»
وسموت قُدْسِيَّ الخُطَى   وعلوتَ اطباق الغمام
أنت النبيُّ المصطفى   مسكَ النبوة والخِتام
حتى بلغتَ المنتهى   واخذتَ تدنُو فى سلام
جبريلُ عنك تاخرت   خطواته دون اقتحام !
هذا مقامى فَلْأَقِفْ   كل له مِنَّا مقام
الله قد أدناك منه   عُلاً واسمعك الكلام
وحباك خير هدية   تَهْدِى إلى الخير الأنام
إن الصلاة ذخيرة   للناس فى يوم الزحام
هى قصة الشرف الرفيع ، ومِنَّةُ المنن الجسام
المشركون تَفَزَّعُوا   منها وَلَجُّوا فى الخصام
لكن ابو بكر اتى   وعلى محياه ابتسام :
صدق النبى فإنه   بالصدق يعرفه الكرام
والله ربى قادر   سبحان من يحيى العظام
والامر رهنُ قضائه   وبامره يسرى الغمام
ذكراك ياخير الورى   عيد لنا فى كل عام .

في موكب النور

شعر: رشاد محمد يوسف

اشرب من النور وامنح كل ظمآنٍ ... هذا الرحيق سماوى وربانى
اشرب من النور حتى ترتوى ألقًا ... وتستحيل بفضل الله نورانى
طُفْ بالعطاشى وصُبَّ الكأس صافية ... من منبع زاخر بالفضل ريّان
طف بالحيارى وَرَتِّل فى مسامعهم ... لحن الأمان لقلب خائف عانى
ياساقى الود مازالت منابعنا ... فياضة الود من روح وريحان
عهد النبوة مازالت ذخائره ... مضيئة فى حنايا كل إنسان

•

مُحَمَّدِيٌّ أنا يزهو بنسبته ... إلى نبى رفيع القدر والشان
محمدى أنا تعتز قافيتى ... بأحرف الاسم فى حب وتحنان
محمدى أنا والكون يعرفنى ... مذ أشرق الغار من أنوار قرآن
يقفو خطاه ويستهدى بسنته ... ويعزف اللحن من أوتار حَسَّانِ

•

مازال صوتُ رسولِ الله يغمرنا ... بأطيب القول من بر وإحسان
ألم يناد بنا: لا فضل بينكمُ ... إلا لقلب بتقوى الله ملآن؟
الم يناد بنا: كونوا سواسية ... وعطروا الكون من علم وعرفان؟
الم يناد بنا: هبوا ولا تهنوا ... لا تركنوا لنفاق أو لبهتان؟
الم يناد صِلُوا فالوَصْلُ مرحمة ... وجاركم فى حماكم آمن هانى؟
تَراحَمُوا تُرْحَمُوا كُلٌّ وما كسبت ... يمينُهُ فى سجل عند رحمن.
واصدقوا ربكم واسعوا لطاعته ... وشيدوا فى رضاه خير بنيان

•

ياسيدى المصطفى والقلب فى كمد ... ينوء بالعيش فى هم وأشجان
كم ضاع منا وكم تاهت مسيرتنا ... وكم تبدد من عز وسلطان
نشتاق أيامك الخضراء تسعدنا ... نهفو إلى النبع من آن إلى آن
نسقى الرضاب به عزما وتبصرة ... ونجمع الشمل فى صدق وإيمان
يابارك الله فى يوم ولدت به ... وبارك الله فى صحب وإخوان

جمر بقبضتي

شعر: أحمد محمود مبارك

اجاهد نفساً لا تكفُّ ميولُها
وأسعى بها للنور من بعد ظلمةِ
وادفع بالتقوى نوازعَ لم تزل
تشد إلى سفح الغواية خُطْوتي
فسمعي تناديه ليالٍ طويتُها
بلحن الهوى والسحر فى كل غُنوة
وتخرقُ اطيافٌ من الأمس حاضري
تشاغلُ قلبي من فتونٍ ونظرتي
عرائس غَيٍّ قد أذاها ترفُّعي
فراحت بكل الجهد تسعى لزَلَّتي
وترثى لحال القلب ذاك الذى نأى
وخلّف مغناها ولاذ بعفةِ
وأُدرِكُ ما تخفى لمن تستميلُهُ
وكيف تُذيبُ السمَّ فى كل متعةِ
ولكن لأن الطين منه خلقتني
فمازلت اخشى من شراك الخطيئةِ
فهذى خيوط الإثم فى كل خُطْوة
وهذى جيوش الغيّ من حول قلعتى
رضاك حصونٌ لا يُهَدَّدُ أمنُها
فَهَبْنِى رضاً يارب يودى بخشيتى
اغثنى إذا ما النفس مالت إلى الهوى
وايد بفضلٍ منك عزمى وتوبتى
فإنى بدنيا قد تكاثر شرها
وقد اضحت التقوى كجمر بقبضتى
ومالى - ومنك العون والنور والهدى -
سواك معينٌ ارتجيه لنجدتى

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

لغة الحاسب الآلي

أو ركسترات الحشرات

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

العمق الثالث والعشرون

العمق الثالث والعشرون :

يتصل هذا العمق بما جاء فى كتاب الله العزيز خاصاً بخلق الإنسان ابتداء من الطين ، الذى هو تراب غير مخلق مشرب بالماء ، إلى مراحل الجنين فى رحم الأم ، فالإنسان المكتمل :

١ - ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا .... ﴾ الأنعام (٢)

يعنى هو الذى بدأ خلقكم من طين ، ثم قدر الحياة لكل منكم إلى أجل ينتهى بالموت .

٢ - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون (١٢)

إشارة إلى أن أصل البشر (آدم) خلق من خلاصة من الطين . ويتكرر هذا المعنى فى قوله تعالى :

٣ - ﴿ .... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ السجدة (٧)

٤ - ﴿ .... إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ الصافات (١١) .

والطين اللازب هو : اللاصق بعضه ببعض .

٥ - ﴿ ...... إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ ص (٧١)

٦ - ﴿ .... خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ص (٧٦) .

الماء ضرورى للحياة وهو أساسها :

جعل الله تعالى من الماء كل شىء حى :

١ - ﴿ ...... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...... ﴾ الأنبياء (٣٠)

وتقرر هذه الآية الكريمة معلومة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم :

١ - فقد أثبت علم الحياة أن الماء يحتل أكبر نسبة بين سائر المواد التى تتركب منها الخلية الحية ، وهو البناء الداخل فى كيان كل كائن حى نباتاً كان أو حيواناً .

٢ - وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث كافة التفاعلات والتحولات التى تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو إما عامل مساعد أو داخل فعلاً فى التفاعلات أو ناتج منها .

د. محمد جمال الدين الفندى

٣ ـ وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التى بدونها لا تتوافر للعضو المقدرة على العمل وتنقصه مظاهر الحياة .

ويؤدى فقد الماء إلى الجفاف وانتهاء الحياة . ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ماء أكثر من نحو ثلاثة أيام .. وفى حالات الشيخوخة أو المرض يستهلك الماء وتقل مقاديره فى الدم ومن ثم تقل مقادير الدم ذاته مما يقلل الوعى ، ويدنى البصر ، ويضعف السمع ، ويتلف الكلى ، وتتصلب المفاصل ..

٢ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً . . . ﴾ الفرقان (٥٤) أى جعله ذكوراً وإناثاً ذوى قرابة بالنسب والمصاهرة .

٣ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . . . . ﴾ هود (٧) والمراد ـ والله أعلم ـ لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه العرش وهو من الغيبيات .

وعلى أية حال ، يتركب جزىء الماء من ذرة واحدة من غاز الأوكسجين وذرتين من غاز الأيدروجين ، الذى هو الغاز الكونى المنتشر فى أرجاء الكون ، ويدخل فى تكوين سائر النجـوم ، فشمسنا مثـلاً يسود فيهـا الأيدروجين الذى يتحول بالنشاط النووى إلى غاز الهيليوم . وتعيننا هذه المعلومة على حساب عمر الشمس .

التراب أو مساحيق مواد الأرض :

يقول الخالق العليم :

١ ـ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ـ الحج (٥) ـ

والمعنى أنكم فى الأصل من تراب (أصل آدم عليه السلام) ، وأطوار الجنين هى النطفة ـ وهى ماء الرجل وبويضة الأنثى ثم العلقة التى تعلق بجدار الرحم لتتغذى من دم الأم ، ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة وهى على هيئة قطعة اللحم الممضوغ أو الدم المتجمد كما سنبين فيما بعد . كل ذلك لكى نبين لكم قدرتنا على بدء الخلق والتدرج فى التكوين . ونبقى فى الرحم ما نشاء من الأجنة حتى تكتمل مدة الحمل فنخرجكم أطفالاً ، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة . ومنكم من نتوفاه ، ومنكم من نمد له فى أجله حتى يهرم ويذهب علمه ويقل إدراكه . وثمة دليل آخر يدل على قدرتنا فحواه أنك ترى الأرض قاحلة يابسة جرداء فإذا أنزلنا عليها الماء دبت

الحياة فيها وتحركت قشرتها ثم أنبتت من ألوان النبات ما يحلو النظر إليه وتبتهج النفوس به .

٢ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً . . . . ﴾ فاطر (١١) أى جعلكم ذكوراً وإناثاً ..

٣ - ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ . . . . . ﴾ — آل عمران (٥٩) - ، أى خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من غير أب وأم .

٤ - ﴿ . . . . أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ — الكهف (٣٧) -

٥ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ — الروم (٢٠) —

النطفــة :

النطفة كما سماها القرآن الكريم هى الماء المهين ، أو الماء الدافق ، أو المنى ، كلها مترادفات لماء الرجل الذى يصب فى الأرحام . وقد تعنى كذلك أولى مراحل الحمل وهى البويضة الملقحة - أو البويضة التى يفرزها أى من مبيض الأنثى وقد لقحها حيوان الرجل المنوى : ويجىء ذكر النطفة فى كتاب الله العزيز فى العديد من الآيات منها :

١ - ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ — الإنسان (٢) - أى إنا خلقنا الإنسان من نطفة لها مكونات شتى مختلفة ، منها ماء الرجل وهو سائل لزج عديم التماسك تسهيلاً لحركة ما يسبح فيه من ملايين الحيوانات المنوية ، وبويضة المرأة المعدة للتلقيح بواحد من تلك الحيوانات المنوية .

٢ - ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ — النحل (٤) —

٣ - ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ — عبس (١٨) ، (١٩) — والمراد قدره أطواراً ومراحل بعد مرحلة النطفة .

الماء المهين وهو ماء الحياة :

هو كما قلنا يعنى نطفة الرجل . وتشير كلمة مهين إلى أنه يتدفق ، أو ينساب كأنما هو يحلب فإن فى لغة العرب مهن الإبل حلبها ، وقد يكون لفظ مهين إشارة إلى قلته ، أو ضعف قدره ، أو ضآلة أمره ، فالمهين من الرجال الضعيف .

٢ - ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نسلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ — السجدة (٨) —

٣ - ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ — المرسلات (٢٠) —

المنــى :

وهو كما قلنا من أسماء ماء الرجل :

١ - ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ — النجم (٤٥) ، (٤٦) ، أى من نطفة الرجل إذا قذفت فى رحم الأنثى .

٢ - ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ — القيامة (٣٧) — وكلها آيات يذكرها القرآن لبيان حقيقة البعث والنشأة الأخرى .

العلـــق :

العلقة ما يعلق بجدار رحم الأم فى أول مرحلة من مراحل تكوين الجنين بعد تلقيح بويضة الأنثى بنطفة الرجل . وخلال الأربعين يوماً الأولى ينمو الجنين وتتكون فيه كافة الأعضاء ، فى نهاية تلك الفترة ، وتكون الأجهزة مكتملة ومتجمعة على هيئة براعم تكون جسماً على هيئة قوس لا يزيد طوله على السنتيمتر الواحد ! وهو يسمى علقة كذلك لأن هذا الجسم (أو الجنين) يأخذ فيما بين يومه الخامس عشر ويومه الرابع والعشرين صورة العلقة التى نراها تسبح مثلاً فى البرك ! وهذا من ألوان الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، إذ لم يعرف الإنسان هذه الحقيقة إلا بالمشاهدة فى عصر العلم وتقدم علوم الطب والتشريح . ونحن نقرأ مثلاً قوله تعالى :

١ - ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ — العلق (٢) — وهى من أولى آيات الوحى .

٢ - ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ — القيامة (٣٨) —

المضغـــة :

يلى طور المضغة مرحلة العلقة . ومن العجيب حقاً ، بل من المعجز علمياً ، أن يسميها القرآن الكريم (مضغة) ، وذلك لأن هذا الطور إنما يأخذ خلاله شكل الجنين فى التحول تدريجياً حتى يصير كالمضغة المستديرة تقريباً (وهى كما قدمنا قطعة اللحم الممضوغة فانطبعت عليها آثار أو علامات الأسنان ، وفيها فراغات بين أجزاء البدن المتكون ، تماماً كما صورت بالمجهر أو المنظار الألكترونى المكبر !

وتلك مرحلة يبدأ فيها تمايز الأعضاء الرئيسية فى الجسم :

١ - ﴿ ..... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ .... ﴾ — الحج (٥) —

٢ - ﴿ ... ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا .... ﴾ — المؤمنون (١٤) —

والمعروف علمياً أنه مع بداية الأسبوع السابع من عمر الجنين يتكون له على التدريج هيكل عظمى غضروفى يغلب عليه شكل الإنسان الذى له وجه مميز ، ولكن لا سبيل إلى التفرقة بين الجنين الذكر والجنين الأنثى إلا بعد انقضاء الأسبوع الثانى عشر على أقل تقدير .

ومن وسائل التعرف الحديثة التصوير بأجهزة فوق الصوتيات [الالتراسوفكس] الواسعة الانتشار .

خاتمـــة :

على هذا النحو قصّ علينا القرآن الكريم فى إعجاز علمى أخاذ قصة خلق الإنسان من

لحظة تلقيح بويضة الأنثى بماء الذكر إلى حين **اكتماله العقل والقوة** . ولما كانت أحاديث نبى **الهدى مكملة** للرسالة ، نجده صلى الله عليه **وسلم يتحدث** عن مجالات أخرى من مجالات **مراحل تكوين الجنين** ، مثل مجالى الجنس ، **والرزق** ...

ومن بين ما ورد من الحديث فى هذا الشأن **قوله صلى الله عليه وسلم** :

(إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث **الله ملكاً** فصورها وخلق سمعها وبصرها **وجلدها** ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب **أذكر أم أنثى** ، فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك . ثم يقول : يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص) .

روى الحديث حذيفة بن أسيد الغفارى ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠٣٧/٤ برقم ٢٦٤٥ . وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٩٨/٣ برقم ٣٠٤٤ ، وأبو داود فى كتاب القدر ، ورقه ٤٥/٤٤ ، والسيوطى فى الجامع الكبير ٨/١ ، وجعفر الذربانى وذكره ابن حجر فى الفتح ٤٤٨٣/١١ . والله تعالى أعلم .

للحديث بقية

د . جمال الفندى

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لــــدى قطــــاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام – شــــارع جــلاء – القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

جنيه	مليم
٢	٤٠٠

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

*** باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسه الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

لغة الحاسب الآلى

٢

د. سعاد البيلى

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق ، وجعل لكل نوع من المخلوقات لغة وفى اختلاف لغات البشر آية للعالمين .

لقد تناولنا فى المقال السابق فكرة عامة عن أجهزة الحساب الآلى ، وأصبح لزاماً أن نلقى نظرة على الوسيلة ، أو اللغة ، التى تسمح لنا . أن نتعامل مع هذا « العقل الألكترونى » كما يطلقون عليه ..

من أشهر اللغات المستعملة فى الحاسب الآلى لغة تسمى « الفورتران » ولغة أخرى تسمى « البيزك » وهما يخدمان أساساً الأغراض العلمية مع كفاءة أعلى للأولى وبساطة أكثر للثانية .

كذلك هناك لغة تسمى « الكوبول » بالإضافة إلى بعض اللغات المستحدثة ، والتى تخدم أغراضاً خاصة مثل لغة (اللوجو) والتى تستعمل أساساً فى تعليم الأطفال .

وأكثر هذه اللغات انتشاراً هى لغة (الفورتران) وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه اللغة يجب الإشارة إلى أن معظم هذه اللغات تستخدم رموزاً متشابهة جداً ، ولا يوجد بينها إلا طفيف الاختلاف ، وإنما يقع الاختلاف الأساسى بينها فى مجال الاستخدام . ولتقريب الصورة إلى الأذهان نجد الفرق مثلاً بين لغة (الفورتران) ولغة (الكوبول) كالفرق بين لغة المعادلات الكيميائية ولغة الشعر .

فالأولى يغلب عليها الطابع العلمى الرمزى ، بينما الثانية (الكوبول) يغلب استخدامها الأساسى فى المجالات التجارية -

حيث يتم تدوين كثير من البيانات الخاصة بالشركات والإنتاج وغيرها ـ مما جعل هذه اللغة قريبة الشبه جداً من اللغة المعتادة .

ونقرب عدسات الدراسة من هذه اللغة ـ التى استطاعت تبسيط أعقد العلوم مثل علوم الفضاء ، وحسابات الذرة ، والأجهزة البالغة التعقيد الخاصة بها ـ فنجد أنها تتكون من :

١ ـ الحروف الهجائية : وهى حروف اللغة الأبجدية المعروفة .

٢ ـ الأرقام : من صفر إلى ٩ (٠ ١ ٢ ٣ ٤ . . . . . ٩)

٣ ـ العلامات الحسابية : مثل + − / . * * . وتعنى الأولى علامة الجمع ، والثانية علامة الطرح والثالثة علامة القسمة . أما العلامة الرابعة وهى النجمة فهى تعنى علامة الضرب ولا تستخدم علامة الضرب العادية (×) حتى لا تختلط مع حرف « إكس » فى اللغة الإنجليزية . وتعنى خامس هذه العلامات « * * » (الأس) .

ومعنى (الأس) فى الرياضة يمكن إدراكه من المثال الآتى : فالعدد ٣٢ مثلاً يمكن كتابته فى الصورة ٢× ٢× ٢× ٢× ٢ أى الرقم ٢ مضروباً فى نفسه خمس مرات وبالصورة (الأسية) فإن العدد ٣٢ = $٢^{٥}$.

كذلك العدد (ألف) يمكن كتابته ١٠٠٠ = $١٠^{٣}$ ، أى العدد عشرة مضروباً فى نفسه ثلاث مرات ، وهكذا يمكن كتابة العدد مليون = $١٠^{٦}$ وفى لغة (الفورتران) يعبر عن العدد (مليون) هكذا ١٠ ** ٦ وهكذا يسهل التعبير بالصورة الأسية عن الأعداد بدون أخطاء فى عدد الأصفار ، أو العلامات العشرية .

٤ ـ والبند الرابع فى عناصر لغة (الفورتران) هو الفواصل مثل علامة التساوى (=) والفصلة (و) والنقطة (.) ، وكذلك الأقواس . ( ) .

من هذه البنود الأربعة تتكون لغة (الفورتران) وقبل أن نستطرد فى الحديث يجدر الإشارة إلى أنه لإعداد أى برنامج للحاسب الآلى ، فإن الهدف النهائى لهذه (البرمجة) يكون معرفة قيم بعض الأشياء المجهولة عن طريق بعض المقادير أو الكميات المعلومة التى تعطى للحاسب الآلى فى صورة بيانات .

وكما نتعامل مع الطفل الصغير فنقول له مثلاً : هذا الجيب تحتفظ فيه بالنقود ، وهذا الجيب تضع فيه المنديل ، وهذه الحقيبة يوضع فيها الكراريس والقلم وبداخلها سنترك لك لفافة خاصة بالطعام حتى يسهل على هذا الطفل المحافظة والحصول على الأشياء التى يستخدمها .

كذلك الحال مع الحاسب الآلى لابد أن نعرفه أن هناك نوعان من الكميات التى سيتناولها أثناء إجراء حسابات البرنامج . هذه الكميات إما أن تكون ثوابت وإما أن تكون متغيرات . فمثلاً مساحة المدرسة وعدد الفصول تُعد من (الثوابت) . بينما عدد

التلاميذ والدرجات التى يحصلون عليها فى المواد المختلفة فى الشهور المختلفة تُعد من (المتغيرات) وبعامة فإن الثوابت يعبر عنها بأرقام أو أعداد ويندرج تحتها ما يأتى :

أ ـ أعداد صحيحة ؛ مثل ١ ، ٥ ، − ٨٢ ، ١٩٨٨ أى أنها أعداد قد تكون موجبة ، وقد تكون سالبة ، لكن ليس بها كسور ، وهى تمثل ـ فرضاً ـ عدد فصول المدرسة ، أو عدد المنازل بالمدينة ، وما شابه ذلك مما ليس هناك احتمال لوجود كسر فيه وهى لا تحتوى على « العلامة العشرية » .

ب ـ أعداد حقيقية : وهى تختلف عن سابقتها فى وجود كسور بها مثل ٢,٥ ، ٣٦,٤ ، − ١٢,٣ وهكذا وهذه يمكن استخدامها مثلاً فى حساب مرتبات العاملين بإحدى الشركات حيث لابد أن يحتوى المرتب على كسور (الجنيه) ، وتمثل الأرقام الموجبة المستحقات بينما تمثل الأرقام السالبة المبالغ المحسومة أو المستقطعة كالضرائب وغيرها .

جـ ـ الأعداد ثنائية التقييم : وهى أعداد حقيقية ولكنها تعطى صورة متناهية فى الدقة حتى أن الجزء الكسرى منها يعطى حتى ١١ رقم عشرى مثل ٢ ١ ٣ ٨ ٥ ٢ ٧ ٤ ٣ ١ ٥٦,٠ .

وهى غير شائعة الاستخدام كسابقتيها ؛ لأنها لا تستخدم إلا فى الحسابات بالغة الدقة ، والتى لها حساسية خاصة إذا استخدمنا لها التقريب الحسابى . ومن أمثلة ذلك الحسابات الخاصة بتعميم المفاعلات النووية والكيميائية .

٢ ـ المتغيرات : وهذه يستخدم لها الرموز مثل س ، ص ، ع ، وقد يستخدم للمتغير الواحد أكثر من حرف نظراً لأن حروف الهجاء قد لا تكفى عدد المتغيرات فى البرنامج فتسمى متغيراً باسم (س أ) ، وآخر (س ب) ، أو (س ص) ، ولكن س ص لا يمت بصلة إلى كل من (س) أو (ص) وإنما هو رمز جديد لمتغير جديد . كذلك يمكن استخدام عدة أحرف لرمز واحد مثل أ ب حـ د هـ . ويمكن أيضاً استخدام متغير باسم (س ١) وآخر (س ٢) ، (س ٣) . حيث يرمز س ١ إلى صافى مرتب الموظف رقم ١ ، س ٢ إلى صافى مرتب الموظف رقم ٢ وهكذا ومن البديهى أنه لحساب هذا المرتب فلابد من دخول عدة عوامل متغيرة أيضاً من شخص إلى آخر كعدد أيام الغياب والحوافز والأرباح والدرجة الوظيفية وبدل طبيعة العمل .. إلخ ..

وبعــد ....

فإن لنا وقفة صغيرة لنتأمل فيها طفلاً بعد أن أتقن نطق الحروف واستطاع أن ينطق منها كلمات ـ بل وقد أدرك أين يضع نقوده ، وأين يضع أدواته ، فالأمر الحتمى بعد ذلك أن ندربه على تكوين الجمل التى تمكنه من التفاعل مع الآخرين .

وفى عالم البشر فالجمل المستعملة فى حياته لا يأتى عليها الحصر، أما فى عالم الحاسب الآلى فإن الجمل التى يتعلمها هذا الوليد لا تتجاوز - إلا بقليل - عدد أصابع اليدين، ومن هذا العدد المحدود يمكن أن ينفذ الحاسب الآلى كل ما يدور بالعقل البشرى مع فهم كامل من العقل البشرى للعقل الإلكترونى وانقياد كامل من العقل الإلكترونى للعقل البشرى . فما هذه الجمل المستعملة فى هذا الحديث الصامت ؟

تتكون جمل استخدام الحاسب الآلى من :

١ - جمل الإيضاح : وهى تستخدم لإيضاح نوعية الأعداد المستخدمة فى البرنامج، هل هى صحيحة أم أعداد حقيقة .. كذلك تستخدم جمل الإيضاح لتحديد حجم الذاكرة المطلوب حجزه للبرنامج الجارى إعداده .

٢ - جملة « إذهب إلى » وهى تعطى الأمر للحاسب أن « يذهب إلى » جملة لها رقم معين لإجراء خطوة حسابية معينة .

٣ - جملة « استبدل » وبمقتضى هذه الجملة يستبدل الحاسب قيمة متغيرة بقيمة ثابتة (مثل استبدل س بـ ٩) .

٤ - جملة « إذا » وهى جملة شرطية ولها إجابتان « نعم »، « لا » وبناءً عليه تتحدد الخطوات التالية فى البرنامج .

٥ - جملة « افعل » وبهذه الجملة ينفذ الحاسب بمقتضاها حسبة معينة (عدد معين من المرات) يحدد داخل الجملة مثل :

	افعل ١٠ أ = ١ ، ٢٠
١٠	س = أ + ٢

ويعنى ذلك أن الحاسب سيظل يحسب قيما مختلفة للمتغير (س) الأولى عندما يكون (أ = ١) فتكون (س = ٣) ، والثانية عندما (أ = ٢) فتكون (س = ٤) وهكذا حتى (أ = ٢٠) فتكون (س = ٢٢) .

٦ - جمل « المدخلات والمخرجات » وهى تحدد كم وطريقة قراءة البيانات ونواتج الحاسب بعد إتمام البرنامج .

والآن ، وكلنا شغف ، كيف بعد أن « تعلم » الحاسب الآلى هذه الجمل ، كيف سيصيغ ما يوازى « موضوع التعبير » عند طفلنا الذى سرنا معه منذ بداية المقال ؟ لابد أن يكون هناك قدر من المنطق والحكمة والتتابع والصبر والمثابرة وأيضاً الصدق حتى نصل إلى بغيتنا .

ولأن المادة قد جبلت على الطاعة فلابد أن يتمدد الحديد بالحرارة ولابد أن تسرى به الكهرباء .. كذلك لابد أن تنقاد لقانون الله كل المواد التى صنع منها الحاسب الآلى ، وأن تصنع من الحروف والكلمات والجمل .. كل ما يدور بالعقل البشرى .

فسبحان من ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
صدق الله العظيم

د . سعـــــاد البيلـــى

أوركسترات الحشرات

ترجمة : د . كارم السيد غنيم
تأليف : د . ر . ف . إشــــلى

منذ ملايين السنين والحشرات تواصل إصدارها للأصوات ، فالنطاطات وصراصير الغيط (وهي من رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة Orthoptera) تعتبر من سمات فصل الربيع المسموعة ، كما أن السيكادات Cicada (وهي من رتبة الحشرات متجانسة الأجنحة Homoptera) تقوم بإصدار صوتها الصاخب في أمسيات الصيف الدفيئة .

إذا كانت ذكور الحشرات وإناثها تقوم بإصدار الأصوات نتيجة اهتزازات الأجنحة أثناء الطيران ، فإن هناك أصواتا يقتصر إصدارها على الذكور فقط دون الإناث ، ومن ثم فهي تؤدي دوراً هاماً في عملية الجذب الجنسي ، أو قد تشكل مجموعة معقدة من الأنماط السلوكية المرتبطة بحالات الإنذار التي تعترى الحشرات في مواجهة الأخطار ، أو المرتبطة بالحماية والحفاظ على مناطق المعيشة .

وإذا أردنا التعرف على مدلولية كل صوت من هذه الأصوات ، فإن ذلك أمر عسير إذا لم نقف على معلومات كافية تتعلق به ، ومن أهم الأمور التي تسهل هذه المهمة ظاهرة « السمع » في الحشرات . (١)

---

(١) المقال الأصلي هو :

Ashley, R . F (1974) : Insect Orchestras . Audubon Nature Bul- letin . The National Audubon Society, New York, 4 pp .

السمع :

لا يوجد عضو سائد للسمع فى كافة أنواع الحشرات ، وإنما نلاحظ وجود تحورات فى نظام بسيط للغاية من الخلايا العصبية ، يتم هذا التحور بطرق متنوعة فتشكل أنواعاً عديدة من المساحات الحساسة للصوت ، وهذه الأشكال تختلف عن بعضها من حيث التركيب . وهناك بعض الأعضاء السمعية توجد قريباً من السطح الخارجى فى جسم الحشرة ، وهذا الموضـع يضفى عليها ميزتين ، إحداهما : القدرة على الاستجابة للموجات الصـوتية ، وأيضـاً : الشعور بالتيارات الهوائية ، إلا أن هناك ميزة إضافية تكمن فى غطاء الجسم العام وهو الذى يتصف بالصلابة والقوة حتى سمى « هيكلاً خارجياً Exoskeleton » ، فهذا السطح أى الجليد تنتشر فيه شعيرات أو أغشية أو تراكيب أخرى يمكنها إنتاج وتوزيع الموجات الصوتية على امتداد سطح الجسم ، ثم توصيلها إلى أعضاء الاستقبال الحسية المختلفة .

تنتشر على سطح الحشرة مجموعات من الخلايا العصبية القادرة على تحويل الموجات الصوتية أو التيارات الهوائية إلى نبضات عصبية ، وتأخذ أشكالاً تدعى Chordoton-al organs ، وهى قادرة على استقبال النبضات من كافة أرجاء سطح الجسم ، وإذا كانت هذه هى أبسط الطرق وأقلها رقيا فى عملية استقبال الأصوات فى الحشرات ، فإن الشعيرات والخلايا الحسية التى أشرنا إليها آنفا توسع من نطاق عملها ليشمل أيضاً استقبال مؤثرات أخرى متنوعة غير الأصوات تقع على سطح الجسم من البيئة المحيطة به .

ومن الجدير بالذكر أن فى الحشرات توجد أيضاً أعضاء حسية أخرى تتركب من الشعيرات أو الأعضاء الحسية العضوية الشكل السابقة مضافاً إليها شعيرات مرنة تعينها فى وظيفتها وهو الأمر الذى يزيد من كفاءة الأخيرة على استقبال الموجات الصوتية والتيارات الهوائية ، مثل هذه الأعضاء الحسية توجد منتشرة على قرون الاستشعار « أى الزبانى Antennae » فى النمل ، ويظل النمل قادراً على استقبال الأصوات طالما أن قرونه سليمة ، وبالإضافة إلى النمل ، فإن هناك يرقات فى الحشرات « من رتبة الحشرات حرشفية الأجنحة Lepidoptera » .

تتغلف أجسامها بشعيرات دقيقة يبدو أنها حساسة للأصوات المناسبة ،فقد رئيت هذه اليرقات وهى تتوقف عن الأكل وتسكن إذا أحست بصوت آتٍ عليها . ومما يدعم اعتقادنا عن هذه الشعيرات أنه عند إزالتها من فراشات جنس Datana أو تغطيتها بطبقة كثيفة من قطيرات الماء أو حتى عند نثر ذرات الدقيق الجاف على أسطح الجسم ، فإن إحسـاس الحشرة بالأصـوات يختفى .

تستخدم الحشرات هذه القدرة الشعورية فى اتخاذ الحيطة والحذر عند قدوم أى خطر عليها ، فإذا ما اقتحم أحد الزنابير المفترسة على يرقة ما ، من الحرشفيات موطن حياتها ، فإن الذبذبات الصوتية لأجنحة هذا الزنبور والتيارات الهوائية الحادثة من جراء اهتزازها تصل إلى جسم اليرقة (وهى الفريسة

المفضلة لدى هذا النوع من الزنابير) فتستقبلها الشعيرات الحسية ، ويتولد بذلك فى اليرقة إحساس بمقدم خطر عليها . إضافة إلى هذا ، يلاحظ أن التيارات الهوائية تؤدى إلى قيام الحشرات بالتوجه الملائم أثناء الهروب من قدوم عدو عليها .

نأتى الآن إلى وصف عضو استقبال صوتى أكثر تعقيداً فى التركيب من تلك التراكيب السابقة الشرح ، ذلك هو « عضو جونسون Johnston's organ » وهو موجود على العقلة الثانية فى قرن الاستشعار لكثير من الحشرات ، وهو ـ فى النمل والنحل والزنابير والذباب والفراشات وأبى دقيق ـ أكثر وضوحاً وشيوعاً . يتميز هذا العضو باحتوائه على عدد كبير من الشعيرات الحسية التى تعينه على استقبال الذبذبات الخارجية الواقعة عليه من ساق قرن الاستشعار أثناء حركته . وهذه الشعيرات تعينه أيضاً على استقبال الموجات الصوتية والحركات الهوائية من البيئة المحيطة بالحشرة . ففى ذكور البعوض يلاحظ استقبال الذبذبات المتولدة من ساق قرن الاستشعار بواسطة عضو جونسون ، والذى يتسبب عنه انبثاق نبضات عصبية تصل إلى الجهاز العصبى المركزى فى جسم البعوضة . وبالنسبة للبعوض ، فإن الذبذبات الصوتية الناجمة عن طيران أجنحة الإناث ، تؤدى إلى إثارة الحس الجنسى فى ذكورها . هذه الاستجابة يمكن إثارتها أيضاً بواسطة شوكة رنانة تضرب ليهتز ذراعاها بسرعة ترددية تتراوح بين ١٠٠ ـ ٨٠٠ ذبذبة / ثانية . ويمكن لذكور بعوضة الحمى الصفراء Aedes aegypti أن تستجيب بشكل خاص للأصوات التى تنحصر ذبذباتها بين ٥٠٠ ـ ٥٥٠ ذبذبة / ثانية ، وهذا المدى يقع داخل نطاق الذبذبات الصوتية الحادثة من جراء اهتزاز أجنحة الإناث أثناء الطيران فى هذه البعوضة ، وهو المقدر بـ ٤٤٩ ـ ٦٠٣ ذبذبة / ثانية .

آخر أعضاء السمع التى تجب الاشارة إليها هو « الطبلة Drum or Tympanum » وهى مساحة رقيقة موجودة فى جدار جسم الحشرة ، تتحرك بيسر وسهولة تحت تأثير الموجات الصوتية لتعمل كغشاء حساس للذبذبات . بعد استقبال الطبلة للموجات الصوتية تتولد نبضات فيها وهى التى تنتقل إلى شعيرات حسية معينة تحولها إلى تأثير عصبى يرسل إلى الجهاز العصبى المركزى لكى يتم فُيه تحديد الاستجابة الملائمة تجاه الصوت الواقع على طبلة الأذن .

تنتشر هذه الأعضاء « أو الطبول » فى حشرات كثيرة كالجراد والنطاطات وصراصير الغيط ، فهى فى الجراد والنطاطات توجد عند قاعدة البطن ، أما فى صراصير الغيط وأنواع خاصة من النطاطات فتوجد على قصبات الأرجل الأمامية .

اصدار الصوت :

يعد الهيكل الخارجى الصلب الذى يغلف جسم الحشرة فى غاية الأهمية حيث يمدها بالقدرة على إحداث الأصوات . فالحشرات تستطيع أن تستعمل أى جزء ـ تقريباً ـ من أجسامها كآلات إيقاع تصدر أصواتا صاخبة كقرع الطبول وكذا إحداث الجلبة المدوية . وعموماً ، فإن الطرق المختلفة التى تصدر بها الحشرات أصواتها تنحصر فيما يلى :

←

أصوات ثانوية (By - product sounds)

هى أصوات تصدر خلال مزاولة الحشرة لأنشطتها الحياتية المعتادة ، ومن ثم فليست هذه أصواتا بالمعنى الحقيقى . من أشهر الأصوات الثانوية تلك التى تصدر عن الأجنحة أثناء الطيران إذ يتولد عن ضرباتها طنين « Humming » أو أزيز « Buz- zing » ومن المعروف أن طبقة الصوت الصادر هنا تتوقف على معدل ضربات الجناح فى الحشرة . فالنحل مثلاً له أزيز « خاص » والرعاشات « أبو المقص » لها خشخشة جافة ، كما أن الذباب الحوام يمكنه إصدار طنينه أو نغمه الغنائى حتى وهو فى وضع استرخاء وعدم تحليق فى الفضاء ، وذلك بفضل تذبذب الصدر أو اهتزاز أعضاء التوازن(٢) . وفى البعوض يسخر الطنين الصادر من ضربات أجنحة الأنثى فى غرض استدعاء الجنس الآخر وترافق الجنسين معاً ، وقد يصاحب هذه الوسيلة وسائل أخرى .

∴ تقوم النطاطات كبيرة الحجم بإصدار طقطقة « Crackling » جافة أثناء طيرانها تماثل الصوت المنبعث حينما يشب حريق فى نباتات قصيرة خشنة . أما الآلية الفعلية لإصدار هذا الصوت فى البعوض ، فهى مجرد احتكاك الأجنحة الخلفية بالأرجل الخلفية فى الحشرة .

أصوات ارتطامية (Impact sounds)

تعد الخنافس من أشهر الحشرات ذات الأجسام المدرعة ، ويرقاتها ذات أفواه أجزاؤها كبيرة جداً وصلبة القوام لتسهيل عملية قضم الأخشاب والألياف النباتية . تقوم خنفساء Anobium بحفر أنفاقها فى أخشاب الأثاث القديم والمصنوعات الخشبية الأخرى ، وهى إذ ذاك تصدر عنها أصوات نقر « Tapping » أو تكتكة « Tick- ing » نتيجة ارتطام رءوسها بالخشب الذى تحفر فيه .

كما أن « عساكر » النمل الأبيض (القرضة) (من رتبة الحشرات متساوية الأجنحة Isoptera) تقوم بإصدار أصوات كالقرع المتناغم للطبول وذلك عندما يحدق بها خطر محيق ، وتستخدم فى هذه المهمة رءوسها الصلبة وفكوكها القوية التى تعمل كآلات إصدار الصوت . ومن الطريف أن العاملات « أو الشغالات » فى أعشاش هذه الحشرات لا يمكنها سماع هذه الأصوات ، وإنما تشعر بها عندما تتسرب ذبذباتها وتنتشر عبر الألياف الخشبية التى يحفرون فيها . أما النقر الذى تحدثه « خنفساء ساعة الموت » فى الأنفاق المتشعبة ليرقاتها ، فَيُظَنُّ أنه يخدم فى الأغراض الجنسية حيث يعمل كـ « نداء للجنس » فى هذه الحشرات .

(٢) هى عبارة عن الزوج الخلفى من الأجنحة ، وتشبه العقدة ، وتعمل على حفظ توازن الحشرة أثناء الطيران .

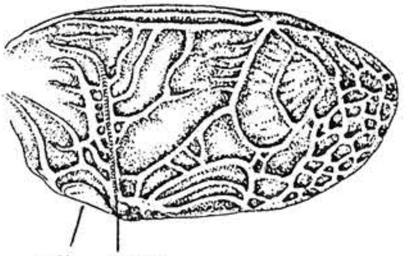

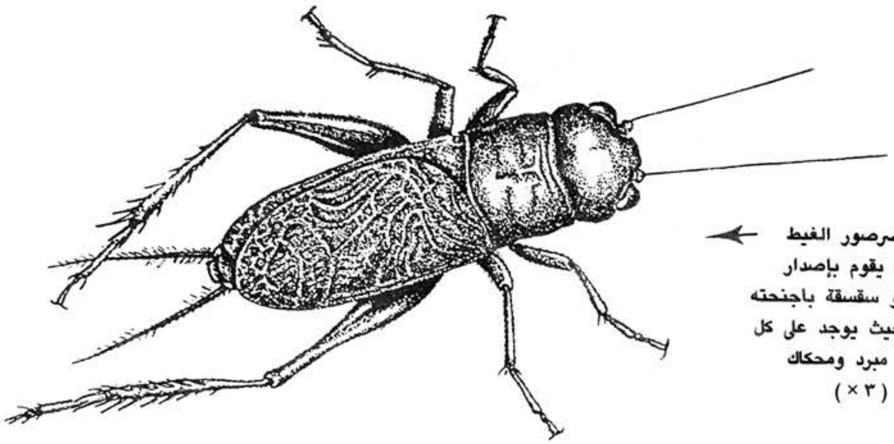

ذكر صرصور الغيط الأليف يقوم بإصدار صرصرة أو سقسقة بأجنحته الامامية حيث يوجد على كل منهما مبرد ومحكاك
(×٣)

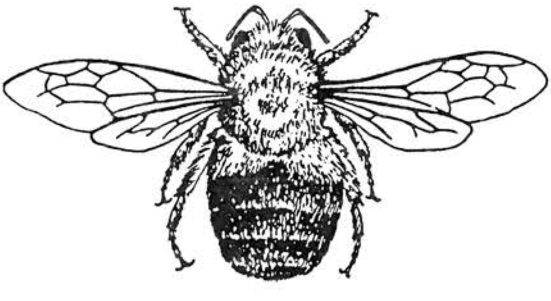

يعتبر طنين النحل صوتا ثانويا ينتج من اهتزاز الأجنحة أثناء الطيران

أوركسترا الحشرات

يقوم « العسكرى » فى النمل الابيض (القرضة) بإحداث فرقعة او قرقعة وذلك باصطدام فكوكه وارتطام راسه بالأشياء الصلبة .

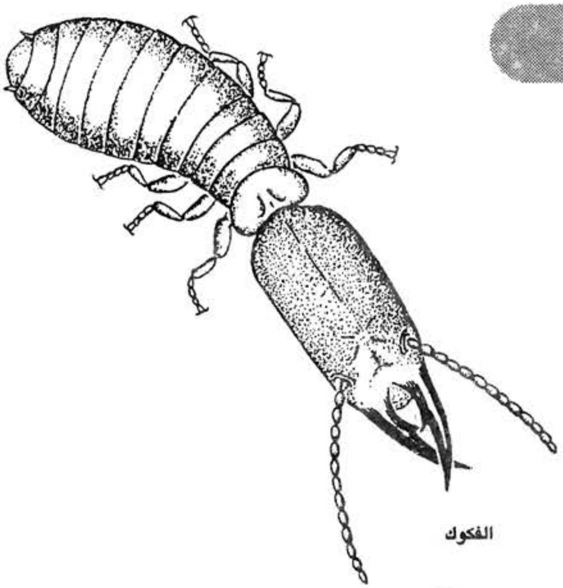

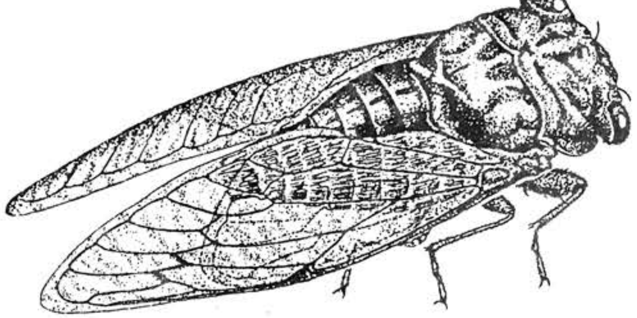

ذكر السيكادا له حجرات معقدة التركيب تقوم بإصدار الصوت وهى مغطاة فى الرسم بصفيحتين تسميان « صفيحتا الصوت » (× ١,٥) .

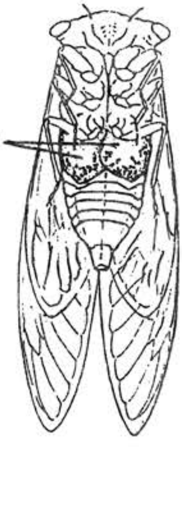

د . كارم السيد غنيم

من روائع مجلة الأزهر

الترغيب

في تأديب الأولاد

للأستاذ : حسن منصور

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إذا أردنا أن نحافظ على أولادنا فلابد أن نحيطهم بسياج من التعاليم الإسلامية التى تربى فيهم العزة والكرامة فعند ذلك ينشأ جيل وهو يحترم عقله ويعتز بنفسه ويحافظ على شخصيته فتصبح له القدرة الذاتية على الاختيار الأصيل الذى يتمسك بالنافع الجيد وينبذ التافه الردىء ولا يقتات على فتات موائد الهاربين المضطربين اللامنتمين أهل البدع وعباد النزوات . قال الأستاذ :

السنة

الترغيب فى تأديب الأولاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ)(١) .

الشـــرح

نحل الوالد ولده شيئاً أعطاه إياه من غير عوض بطيب نفس . والنحل (بضم النون) هو ذلك الشىء المعطى .

والأدب هو رياضة النفس وكثرة توجيهها وشغلها فى وجوه المحامد ، واستمرار تدريبها وتمرينها على محاسن الأخلاق والأعمال حتى تسلس وتمهر فى الفضائل والخصال والأعمال المحمودة .

(١) رواه الترمذى .

والمأدبة (بضم الدال) هى الطعام الذى يصنع فى الوليمة ثم يدعى الناس إليه .

والمأدبة (بفتح الدال) مأخذ الآداب ومصدرهاومنشؤها ، كالكتب السماوية والشرائع الإلهية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والحكماء والمربين العارفين وسيرهم .

وفى كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » .

فإن كانت الدال فى المأدبة (فى كلام ابن مسعود هذا) مضمومة ، فإنه يكون قد شبه القرآن العظيم بصنع جليل من الأطعمة صنعه الله تعالى ، جمع فيه من أنواع المآكل والألوان واللذائذ والمشتهيات المفيدة ما فيه خير ومنافع للعباد ثم دعاهم إليه لينال كل منهم قسطه بقدر استعداده وجده وتوفيق الله تعالى له فيما تتوق إليه نفسه وتسمو إليه همته(٢) .

وإن كانت مفتوحة فالمعنى أن القرآن العظيم هو ينبوع الآداب ومشرق الحكم وموطنها وكنز مصالح الدنيا والآخرة .

إن المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن عن بينة يؤمنون بأن كلا من هذين المعنيين صحيح منطبق على القرآن الكريم كل الانطباق ، أما تلك البينة التى كان عنها إيمانهم فهى شهادتان :

الشهادة الأولى : شهادة الله تعالى للقرآن بذلك فى عدة آيات من آياته ـ فمنها قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

الشهادة الثانية : شهادة آثاره الحسنة فى حياة المسلمين حينما كانوا يعلمون ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام وكانوا بها عاملين ، فلما هجروه ونبذوه كما نبذ من قبلهم من أهل الكتاب كتابهم ظهرياً ، جهلوا المنافع وحرموا الخيرات وتفرقت بهم السبل وشتتتهم المنازع والأهواء أيدى سبا ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله و﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

وجُمَّاعُ(٣) الأدب الحسن الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف حثا للآباء على تأديب أولادهم به أدبان :

الأدب الأول العلم الصحيح . وهو نوعان :

فالنوع الأول هو العلم بالمعلومات الدينية المتعلقة بما يجب لله تعالى من نعوته الجليلة الإلهية ، وبما يجب لأنبيائه ورسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام ، وبما يجب الإيمان به من الكتب السماوية الصحيحة وماتضمنته من الشرائع والأحكام والحكم الإلهية وسائر الفضائل والعقائد .

والنوع الثانى هو العلم بالمعلومات الدنيوية التى هى قوام هذه الحياة الدنيا ، وعليها يدور صلاح أحوال البشر وتستقيم أمورهم وشئونهم ومعايشهم وينتظم بها مجتمعهم .

(٢) قال أبو عبيد : وهذا التفسير أعجب إلىّ .

(٣) أى ما يجمع معناه إجمالاً .

الأدب الثانى العمل السديد المحكم الذى هو على طِبْق هذا العلم الصحيح . وهو دينى ودنيوى .

فأما الأعمال الدينية فقد بينتها الشريعة السمحة وفصلتها تفصيلا .

وأما الأعمال الدنيوية فقد جعلها الله القدير الحكيم بقدر معلوم يوصل إلى المنافع التى رتبها بحكمته عليها ، ثم ألهمها العباد وهداهم إلى سلوك طرقها والأخذ بأسبابها ، كما قال سبحانه : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ وكما قال ـ حكاية لما قاله سيدنا موسى عليه السلام لفرعون والمصريين : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ وكما قال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ،﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ .

ثم اعلم أن العمل الدنيوى أصناف عدة فمنها الصناعة . والذين يعلمونها ويحيطون بفروعها وشعبها الآن إنما هم غير المسلمين ومن نهجوا منهجهم فى الجهل والخمول . علموا منها ماينفع وقت الأمن والسلم ، كما علموا مايفيدهم زمن الخوف والحرب ، على اختلاف أجناس هذه الصناعات وتباين فنونها وكثرتها ، مع الجد فى الاستكثار منها والسعى الحثيث فى الاختراع والتفنن فيها ، حتى صاروا وحدهم ملاكها بل ملوكها ، يعملون لأنفسهم مايشاءون من مرافق الحياة ، كما يصنعون لغيرهم من الأمم الجاهلة مايحتاجون إليه حقيراً كان أو جليلاً ، فأصبحوا وهم القابضون على زمام كل حرفة ، وبأيديهم مقاليد كل صناعة ، يصرفونها فى بلادهم منتفعين بها وبأثمانها وبأرباحها ، كما يجوبون بها الآفاق وأقطار الأمم الجاهلة التى أعجزها الكسل وأقعدها الخمول عن أن تستيقظ من سباتها وتشعر بتعطيلها المواهب التى وهبها الله ، فلم تفكر أن تعمل عملاً من الأعمال ، ولا أن تمارس صناعة شىء مما تحتاج إليه ، بل رضيت أن تعيش عالة على كواهل غيرها من الأمم العاملة ، أسيرة لها فى كل ماتفتقر إليه من مقومات الحيـاة وعناصرها ، وإن ترتب على ذلك فقرها وانتزاع ما بأيديها من مال أو ثروة وإفراغه فى خزائن هذه الأمم العاملة الصناع[٤] .

لم يكن موت الصناعات فى الأقطار الإسلامية ناشئا عن أن المسلمين ليس عندهم من المؤهلات العقلية والفكرية ، ولا من الوسائل المالية ، مايمكنهم من السير فى طريق الأعمال ، ومن التفكير فى الاختراع والإبداع والإحكام فى أبواب الصناعات ، ومن إنفاق الأموال التى يستطيعون بها أن يؤسسوا المعامل وينشئوا المصانع ثم يرقوها ويتقنوها ويحسنوها .

لم يكن موت الصناعات عندهم ناشئاً عن شىء من هذا ، فإن جميع ذلك ميسور لهم وهو فى قبضة أيديهم ، وإنما منشأ ذلك هو الدعة والخمود والركون إلى الراحة والاستنامة إلى البطالة والترف الكاذب ، وكل ذلك نتيجة الجهل والتفريط فيما أمرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من تربية أولادهم التربية النافعة ، وتأديبهم التأديب

←

(٤) الحاذقة الماهرة المتفننة فى الأعمال .

الحسن الذى من ضمنه العمل الذى تصلح به حياتهم الدنيوية ، وتتوافر به أسباب المعايش فيما بينهم ، حتى لا يكونوا كلا على سواهم من الأمم ، وحتى لا كونوا مرعى خصباً ضائعاً يرعاه أولئك الذين جدوا واخترعوا وأحسنوا صنعاً فيما عملوا .

أعرض الوالدون عن أوامر الله عز شأنه فى تربية الأولاد ، وفرطوا فى تأديبهم بالآداب الحسنة دينية ودنيوية ، فكانت عاقبة ذلك أن نشأ الأولاد نشأة الجاهلين ، ليس عندهم من علوم الدين ولا من علوم الدنيا ماتصلح به حياتهم الأخروية ، ولا ماتستقيم به حياتهم الدنيوية ، حتى إذا ماكبروا وزج بهم فى جوف المستقبل لم يجدوا فى أنفسهم ولا فى أمتهم القدرة على القيام بما يحتاجون إليه من المطالب ، فتكففوا الأمم التى سبقتهم إلى ميدان الأعمال ، وبذلوا لها أموالهم فى سبيل الحصول على مايشتهون .

وياليتهم وهم كذلك اشتهوا مايحمدون عليه ولا يلومهم الناصحون المخلصون على إنفاق أموالهم فيه ، ولا تحتقرهم الأمم التى تجلب إليهم مشتهياتهم هذه ، لما تراه فيهم من السفه والسخاء فيما هو فى الواقع من السفاسف وفضول المدنية الباطلة .

لا نطيل الكلام فيما انفق فيه أولاد أولئك الآباء حياتهم وأموالهم ، فإن ذلك ليس مما يسعه شرح هذا الحديث الشريف .
ذكرناه من تنشئة آبائهم لهم وسلوكهم غير سبيل الأدب الحسن الذى فى هذا الحديث تبصرة وذكرى لقوم يعقلون .

قد شرحنا لك فيما سبق معنى الأدب الحسن الذى حث النبى صلى الله عليه وسلم أمته أن يؤدبوا به أولادهم ، وبينا لك عناصره الصحيحة التى هى قوامه وعماده . فاجعل هذا الأدب الحسن نصب العينين ، واصبر نفسك على تذكر عناصره التى بيناها ، ووفها حقها من التدبر والعناية ، ثم أقم القسطاس المستقيم ، وضع فى إحدى كفتيه ذلك الأدب الحسن ، ثم ضع فى الأخرى مايتعلمه المسلمون الآن فى أغلب دور العلم فى مشارق أقطارهم ومغاربها ، فهل تظن أن الكفتين تتعادلان ؟ أم هل ترى أنهما تتفاوتان فترجح إحداهما الأخرى ؟ .

نحن هنا نترك تعيين تلك الكفة الراجحة للقارىء المتدبر فيما شرحناه من معنى الأدب الحسن ، فإن فقهه له وإنصافه وصدعه بالحق وبغضه لكتمانه كل ذلك يجعله يجهر بالحق ويأتى بالشهادة على وجهها ، فيحكم بالرجحان لكفة الأدب الحسن الذى أمر الله ورسوله المسلمين به ، وبأنه هو الذى ذكره النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث مبيناً به قول الله عز وجل فى نحو : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

أما الكفة الثانية المرجوحة فإنها إنما صارت مرجوحة طائشة ، لأن ماوضع فيها هو السُّبُلُ التى نهى الله تعالى العباد أن يتبعوها ، وأنذرهم أنهم إذا اتبعوها فرقتهم وجهلتهم

ومزقت أوصالهم وأضلتهم عن سبيلـه المستقيم الذى يوصل إلى خيرى الدنيا والآخرة ضلالاً بعيداً .

يقولون : إن أهل هذا العصر قد أوتوا الحظ الأوفر من العلم ، حتى كان عصرهم عصر النور والعرفان ، فلقد تثقفت عقولهم واستنارت أفكارهم حتى سمت مداركهم وأخذت بنواصى العلم فى كل نواحيه ، واتسع أمامها مجال البحث والتنقيب ، وأكثرت من الاختراع والإبداع مع التجديد والترقى والتحسين فيما تبرزه للناس من عجائب الأعمال والمحدثات . وبهذا استطاع الإنسان أن يجوب الأقطار ويشق البحار ويصعد إلى السماء ويغوص فى الماء ، ويكلم أهل المغرب أهل المشرق وكل فى مجلسه من بلده ، إلى غير ذلك مما وصلوا إليه بفضل ماعلموه من آثار الكهرباء والبخار وغيرهما مما هداهم إليه جدهم فى التفكير والبحث والتمحيص .

أما نحن فإنه ليس موضوع كلامنا الآن تفضيل هذا العصر على ذلك العصر ، وإنما هو بيان الطريق السوى الموصل إلى خيرى الدنيا والآخرة ، وهو الأدب الحسن الذى أرشد النبى صلى الله عليه وسلم الأمة إليه فى هذا الحديث ، وقد عرفت معناه مما فصلناه لك تفصيلا .

ولكننا مع هذا التفصيل نحتمل التبعة فنجمل لك ذلك المعنى إجمالاً فى كلمة موجزة فنقول : إن خيرى الدنيا والآخرة لا ينالهما أحد معا إلا بالأدب الحسن ، وهو ـ كما سبق ـ علم صحيح ، دينى ودنيوى ، وعمل كذلك دينى ودنيوى مؤسس على ذلك العلم الصحيح . أى أنه علم يتعلق بأمور معنوية وأمور مادية ، وعمل يتعلق كذلك بأمور معنوية وأمور مادية . فعلى قدر ما يناله الإنسان أو الأمة من ذلك الأدب الحسن يكون حظه من الخير والنفع ، فمن ناله كله كان له الخير كله ، ومن نال بعضه كان له بعضه ، دينيا كان ذلك البعض أو دنيوياً .

ثم نقول : هل الذى ناله أهل عصرنا هذا الذى سموه عصر النور والمعرفة هو كل ماتضمنه الأدب الحسن الوارد فى هذا الحـديث الشريف وهـو العلم والعمـل بقسميهما ، أو الذى نالوه إنما هو بعضه ، وهـو العلم المتعلق بالمـادة وخواصهـا وآثارها ؟ .

إن الذى نعلمه بالمشاهدة ومن أقوال أهل هذا العصر أنفسهم هو أن الذى نالوه إنما هو بعضه المادى ، وماسواه وهو المتعلق بالدين علماً وعملا فهو مطروح منبوذ ، لم يفكروا فيه تفكيرهم فى الماديات ولم يقيموا له وزنا ، بل عابوه وانتقصوه وجدوا فى محوه وتحويل من ينتسبون إليه عنه .

وإن كنتم فى ريب مما قلنا فالمدارس ومناهج مايدرس فيها وما يلقنه المعلمون وما نسمعه من المتعلمين ـ إلا من عصم الله ـ وما يكتب فى الكتب والمجلات وغيرها ، وما يخطب فيه الخطباء وما يتحدثون به فى الأندية العامة والخاصة ، كل ذلك شهود عدلٍ وصدقٍ على مانقول .

البقية صـ ٩٥٣

طرائف

« نصيحة »

قال القرطبى : من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة .

ومن نسى ذكر الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة .

○ ○ ○

« الشمس والقلب »

قال النسفى : الشمس لها شروق وغروب ولولا ذلك لفسد العالم .

والقلب له شروق وهو : الرجاء .

وله غروب : وهو الخوف ، ولولا ذلك لفسد القلب .

« لا تتهافت »

على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك . ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .

○ ○ ○

« نحن بنو الأرض »

قيل للإمام جعفر الصادق ـ رضى الله عنهما ـ مازال الناس فى الغلاء يزداد جوعهم ، بخلاف العادة فى الرخص .

قال : لأنهم خلقوا من الأرض ـ وهم بَنُوها ـ فإذا أقحطت أقحطوا ، وإذا أخصبت أخصبوا .

○ ○ ○

« يستغفر الله من الحمد لله »

قال السرى السقطى : منذ ثلاثين عاماً ،

ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وأنا فى الاستغفار من قولى مرة : « الحمد لله » !! قيل له ، وكيف ذلك ؟

قال : وقع ببغداد حريقٌ ، فاستقبلنى أحد الناس قائلًا : نجا حانوتك !!

فقلت : « الحمد لله » !

وأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت ، حيث أردت لنفسى الخير دون الناس !!

○ ○ ○

« مدح للغنى ذم للفقير »

ليس من خلة هى للغنى مدح إلا وهى للفقير عيب .

فإن كان شجاعاً سمى أهوج . وإن كان جَواداً سمى مفسداً . وإن كان حليماً سمى ضعيفاً . وإن كان وقوراً سمى بليداً . وإن كان ليناً سمى مهذاراً . وإن كان صموتا سميا عييا .

حقا

تـوكل عـلى الـرحمن فى الأمـر كلـه
ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألـم تـر أن الله قـال لمـريـم
وهزى إليك الجذع يسّاقَطُ الرطب
ولـو شاء أن تَجنيـه من غير هـزة
جنتـه ولكـن كـل شىء لـه سبب

○ ○ ○

« من الجواد ؟ »

قيل لحكيم : من الجواد ؟

قال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مـال غيره .

○ ○ ○

« دعـاء »

يارب : أغفر لى جِدِّى ، وهَزْلى ، وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى .

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد السميع شبانة

أحد علماء الأزهر الذين شاركوا في تحقيق رسالته والنهوض بطلابه تخرج على يديه آلاف العلماء من أبناء العالم الإسلامي ، كان - رحمه الله - يعطى جهده كله لخدمة العلم والعلماء .

كان بيته منتدى يجتمع فيه طلاب العلم من كل جنس لينهلوا من فيض علمه الغزير يستوضحونه ما أبهم عليهم .. وينتفعون ، بما يدور في مجلسه من مسائل علمية سواء ما يتصل منها بالعلوم الدينية أو العلوم العربية ، فلم يكن رحمه الله يقف عند حدود تخصصه في النحو والصرف ، بل جاوز ذلك إلى العلوم الشرعية فكان حجة فيها ، يأتى إليه الناس يستفتونه في أمور دينهم فيرشدهم إلى الحق والهدى .. كان فقيها في علم الميراث وقد صدرت له آلاف الفتاوى التى كانت تستند عليها المجالس العرفية في حل المنازعات بين الأسر والأفراد وتأخذ بها المحاكم الشرعية (الأحوال الشخصية)

ولد رحمه الله في ١٢ من يناير سنة ١٩٠٣ في بلدة (فرسيس) من محافظة الشرقية وكان والده من الفلاحين الذين عرفوا بالشهامة والطيبة الممزوجة بالفطرة ، ألحقه والده بكتّاب القرية مع أقرانه ليحفظ القرآن الكريم واستطاع أن يحفظه في مدة قصيرة سبق فيها أترابه وظهرت معالم النجابة عليه من صغره فشجع ذلك والده وأقاربه ، على أن يرسلوه إلى الأزهر الشريف ليتابع تعليمه فيه وانتقل إلى القاهرة ودرس في حلقات الأزهر وفي (مسجد محمد بك) حيث كانت تنعقد حلقات العلم في الجامع الأزهر والمساجد المحيطة به وكان يشرف عليه في القاهرة أخواله الذين كانوا من علماء الأزهر .

وقدر له أن يعيش مع ثورة سنة ١٩١٩ وهى تنبثق من القاهرة ويستمع إلى خطبائها من فوق منبر الأزهر ورأى قوات الاحتلال وهى تطلق نيرانها على طلاب الأزهر ، واتسع مد الثورة فشملت مصر كلها وكان لابد أن يعود إلى قريته ليشارك أهل قريته مشاعرهم وأحاسيسهم في هذه الفترة من تاريخ مصر وقطع الطريق بين القاهرة والزقازيق سائرا

الأستاذ / محمد عبد السميع شبانة

على قدميه ليالى طويلة بعد أن انقطعت المواصلات وتوقفت السكك الحديدية وقد جاء هذا فى كتاب (أقدام على الطريق) للكاتب الصحفى الأستاذ محمد زكى عبد القادر صاحب « نحو النور » بالأخبار .

وبعد أن هدأت الأمور عاد الشيخ إلى مواصلة دراسته بالأزهر الشريف وبقى فيه إلى أن فتح معهد الزقازيق فانتقل إليه وحصل على الشهادة الثانوية وكان من المتفوقين فيها ثم التحق مرة ثانية بالقسم العالى من الأزهر فى القاهرة حتى حصل على الشهادة العالمية ونال إجازة التخصص القديم التى عودلت بدرجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢ وكان ترتيبه الأول .

عين الشيخ مدرسا فى معهد الزقازيق وفى الفترة التى قضاها بين علماء هذا المعهد العتيق ظهرت مآثر علمه ومكارم أخلاقه فكان موضع حب زملائه وطلابه .

وهنا بدأ دوره الإيجابى فى الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم فكان يتنقل بين قرى محافظة الشرقية يخطب فى الناس ويبين لهم الحق من الباطل فلا يمضى أسبوع من غير أن يشترك فى ندوة دينية . أو يلقى الكثير من الخطب والعظات حتى ذاع صيته بين قرى المحافظة ومدنها ، وأصبح موضع احترام المسئولين فيها ، وساعد بما أعطاه الله من علم وحكمة فى القضاء على الكثير من الخصومات والعداوات بين الأسر وكم من

الشيخ عبد السميع شبانة

قضايا كانت معقدة أمام المحاكم فاستطاع رحمه الله أن يقضى فيها ، ويتقبل جميع الأطراف حُكْمَهُ فى رضا وطمأنينة .

كان له تأثيره الكبير فى وعظه للناس يملك قلوبهم ويستولى على مشاعرهم بحسن بيانه وقوة أدائه فهدى الله به أناسا كثيرين كانوا بعيدين عن طريق الحق فأصبحوا تائبين صادقين .

وقد وفقه الله فى إنشاء وعمارة مساجد كثيرة ، ومن أبرزها مسجد منشأة غالى منصور الذى يعتبر تحفة فى العمارة الإسلامية وكان لإنشاء هذا المسجد أثره على

الشيخ عبدالسميع شبانة

مسلمى هذه البلدة الصغيرة ، فعز شأنهم وتغيرت أحوالهم الاجتماعية والفكرية .

وكان أحرص مايكون على أهل بلدته ، فكان يعقد لهم المجالس الإسلامية ويحفزهم على طلب العلم حتى عرفت هذه البلدة النائية ، بأنها بلد العلم ، ونال أهلها الكثير من مسائل الدين وكل ما يتصل بالعبادات بسبب إرشاد الشيخ لهم وكانت مواكب طلبة العلم الذين يلتحقون بالأزهر من أبناء (فرسيس) لا تنقطع وكان من أثر الشيخ رحمه الله أن يتخرج من الأزهر كل عام من أبناء بلدته الصغيرة أكثر من عشرين عالما .

وفى سنة ١٩٣٩ اختارته مشيخة الأزهر للتدريس فى كلية اللغة العربية نظرا لما له من مآثر علمية عريضة .

وتابع نشاطه العلمى فعكف على دراسة أمهات الكتب فى علوم العربية يسهر ليله فى البحث والتحصيل ويحيا نهاره مع طلابه ومريديه فكان بيته فى القاهرة كخلية نحل لطلاب العلم ومن يقصدونه فى قضاء حوائجهم ..

ولقد قال عنه الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد (العلماء من أبناء الشرقية كثيرون ولكننى ما وجدت عالما اجتمع الناس على حبه واحترامه كالشيخ عبد السميع شبانة) كان رحمه الله لا يمل السعى من أجل إنسان يعرفه أو لا يعرفه ارتبط بالمساجد أعظم ارتباط وكان يلقى دروسا دينية طيلة شهر رمضان فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها والناس يتحلقون حول مجلسه بعد صلاة العصر فى إقبال عظيم واستيعاب لما يلقيه الشيخ عليهم .

لم يحرص على الدنيا ولم يجر وراء مطمع فيها كانت قرة عينه فى خدمة الناس وقضاء مصالحهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح لم ينقطع عن أهله ومحافظته برغم أعبائه الكثيرة فى القاهرة وبقى على اتصال بهم يحل مشاكلهم ويعيش مع آمالهم وآلامهم .

من مآثره أنه وقعت فتنة كبيرة فى إحدى قرى محافظة الشرقية وكان الداخل إلى هذه القرية لا يأمن على نفسه وعز على قوى الأمن أن تدخل إليها فطلبت الجهات المسئولة من الشيخ أن يتولى علاج الموقف المتدهور فى هذه القرية .

واستطاع الشيخ رحمه الله - بفضل من الله - أن يؤثر على أبنائها فتطمئن نفوسهم بمنطق الإسلام وتأثير الداعية الصادق ويعود للقرية أمنها وهدوؤها وهذه القرية من قرى مدينة الإبراهيمية .

زهـــده :

عرضت على الشيخ عمادة كلية اللغة العربية فى وقت كان للمنصب بهاؤه ولكنه رفض المنصب مع إلحاح الشيخ مدير جامعة الأزهر عليه وقال : إننى أفضل لم الشمل على أى منصب مهما كان شأنه .

كان للشيخ أبناء كثيرون فى كل البلاد الإسلامية والعربية وقد تولوا مناصب قيادية فيها وحاول طلاب الشيخ المنتشرون فى هذه البلاد الاستفادة بعلم شيخهم فى بلادهم وأرسلوا إلى سفارات بلادهم فى القاهرة لتتصل بالمسئولين فى جامعة الأزهر .

عسى أن يقبل الشيخ السفر إلى هذه البلاد وحاول زملاؤه وأحباؤه معه بشتى الوسائل ، ولكن الشيخ يرفض فى إصرار ويقول : دعوا لى دينى لا تضيعوه بمطامع الدنيا .

مؤلفات الشيخ :

ألف كتابه (تطبيقات فى النحو والصرف) لطلاب تخصص التدريس وقد أعيد طبعه أكثر من مرة وله كتاب (دراسات فى النحو) وقد طبع الجزء الأول منه أكثر من مرة وله فى الصرف (دراسات وتطبيقات فى الإبدال والاعلال) وقد أعيد طبعه صدرت له (بحوث لغوية) وكان يرجو أن يتناول فيها جميع مسائل النحو التى تحتاج إلى إيضاح ولكن المنية عاجلته قبل أن يتمها ، وله كتاب فى العروض و « صوت المنبر » .

أسهم فى تطوير الدراسة فى كلية اللغة العربية وأحدث تغييرا شاملاً فى نظم امتحاناتها مما كان له أثره العظيم على المتخرجين منها .

وبقى رحمه الله مشرفا على قسم اللغويات بكلية اللغة العربية يتخرج على يديه العلماء ويشرف على مئات الرسائل العلمية حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى وقد فقد العالم الإسلامى بموته عالما ورعا فبكاه زملاؤه وطلابه وكتب الكثيرون عنه فى الصحافة المصرية والعربية يتحدثون عن فضله وعلمه .

وقد نوقشت رسائل للدكتوراه والماجستير بعد وفاته وأشار أصحابها فى مقدمات رسائلهم إلى أعمال الشيخ وآثاره العلمية وقد أطلقت كلية اللغة العربية بالزقازيق اسمه على قاعة المحاضرات فيها تقديرا لفضله وعلمه وسمى المسجد الكبير فى قريته بمسجد الإمام الشيخ عبد السميع شبانة .

لقد دفن الشيخ رحمه الله فى مسقط رأسه ببلدته فرسيس شرقية يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٦٨ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وللمرحوم أستاذنا الشيخ شفيع السيد قصيدة طويلة نظمها تقديراً لرفيق عمره وزميل دراسته الشيخ عبد السميع شبانة ، وقد كانت تجمعهما محبة فى الله ، وأخوة بقيت متصلة بنور الإيمان لم تنقطع طيلة حياتهما أنقل منها هذه الأبيات :

يا قويا فى دينه وضليعا
فى العلوم ووافيا بالعهود

الشيخ عبدالسميع شبانة

ودعوبا فى راحة الناس حتى
لترى والداً لكل وليد
ياخطيباً ، إلى إلهك تدعو
فيهز الدعاء قلب الجحود
فى بيان إلى النفوس حبيب
مستطاب كالكوثر المورود
خطبة قد سمعتها ذكرتنى
بمقام النساك عند الرشيد
نحن صنوان : إذ ولدنا بعام
ثم صنوان في ابتغاء الصعود
سِرُّ عبد السميع ألهمنى الشعر
جميل الرواء نضر العود
زاهرا كالرياض يبسم للأنـ
ـداء فى مولد الربيع
لست انسى لك الإخاء كريماً
جاوز الأربعين غير بعيد
لم يشبه من الدنيات شوب
وتعالى عن وصمة التفنيد
إنما قلت ما علمت وإنى
ألزم القصد فى جميع قصيدى
فتذكر أخاً صدوقاً « شفيعاً »
بدعاء الرحمن عِبَّ الهجود

(بعــده)

كان الشيخ عبد السميع شبانة رحمه الله لا يمل السعى من أجل إنسان يعرفه أو لا يعرفه ..
ارتبط بالمساجد أعظم ارتباط .

محمد عبد السميع شبانة

حديث « اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى أين المتقون .. »

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى الا إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم أتقاكم فابيتم إلا أن تقولوا : فلان بن فلان خير من فلان بن فلان ، فاليوم أرفع نسبى واضع نسبكم » . رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير والبيهقى مرفوعاً وموقوفاً ، وقال المحفوظ الموقوف .
« الترغيب ـ الترهيب من اختصار المسلم »
ج ٣ ص٢٣٧ وص٦٩٨ ـ مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية

الانسجام الصوتي في ضوء المماثلة

الأدب المقارن

الربّعى وآراؤه النحوية

مقدمة :

لما كان الربعى من علماء النحو البارزين الذين ادلوا بدلوهم فى مسائله وآرائه وقضاياه المتشعبة وكانت الآراء التى ادلى بها منثورة فى ثنايا الكتب لعدم إمكان العثور على مؤلفاته اردت أن القى الضوء على هذه الشخصية الفذة وآرائها ، كى نتعرف على جوانبها ونبرز اهميتها ونقف على مكنون اسرارها ونستطلع منهجها العلمى لتكون نبراسا يحتذيه طلاب العربية .

أولًا : الربعى

مولده : ولد فى بغداد سنة ٣٢٨ هجرية .

نسبه : هو أبو الحسن على بن عيسى ابن الفرج بن صالح الرَّبَعِى النحوى .

والرَّبَعِى - بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة - نسبة إلى ربيعة .

قال العلامة ابن خلكان : ولا أدرى أهو ربيعة بن نزار أم غيره ، فقد جاءت هذه النسبة إلى جماعة كل واحد منهم اسمه ربيعة .

وقال البغدادى : هو على بن عيسى ابن الفرج بن صالح الربعى أبو الحسن الزهيرى الأصل ، البغدادى المنشأ والدار ، الأديب النحوى .

وجاء فى معجم الأدباء بعد ذكر نسبه السابق : أحد أئمة النحويين وحذاقهم الجيدى النظر ، الدقيقى الفهم والقياس .

أساتذته : أخذ عن أبى سعيد السيرافى ، ثم هاجر إلى « شيراز » فأخذ عن أبى على الفارسى ، ولازمه عشرين سنة درس فيها كل كتب النحو والصرف ، حتى قال له أبو على الفارسى : ما بقى شىء تحتاج إليه ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو .

تلامذته : لم يدرس عليه أحد ، ولم يأخذ عنه طلاب العلم ، وذلك لا تصافه بالجنون .

قال ياقوت : وقال لى الشيخ أبو زكريا : سألت أبا القاسم بن برهان فقلت له : ياسيدنا تترك الربعى والأخذ عنه مع إدراكك

للدكتور: سعد منصور عرفة

إياه وتأخذ عن أصحابه ، فقال لى : كان مجنونا وأنا كما ترى فما كنا نتفق .

علمه وفضله : كان ـ رحمه الله ـ عالما متقنا دقيقا ، حافظاً لأشعار العرب ، مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به ، إلا أن جنونه لم يجعل أحدا يأخذ عنه .

قال الربعى : استدعانى عضد الدولة وبين يديه الحماسة ، فوضع يده على باب الأضياف وقال : ما تقول فى هذه الأبيات :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
إلى كل صوت وهو فى الرحل جانح
فقلت لأهلى ما بغام مطية
وسارٍ أضافته الكلاب النوابح

فقلت : هذا قول عقبة بن بجير الحارثى ، ومعناه : أن العرب كانت إذا ضلت فى سفر وصارت بحيث تظن أنها قريبة من حلة نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها فيعرفون به موضع القدم فيقصدونه ويستضيفون فيضافون .

فقال : إن قوماً يتشبهون بالكلاب حتى يضافوا لأدنياء النفوس ، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إلىَّ ، وكان من عادتنا أنه مادام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفاً بين يديه حتى يرد طرفه ، ثم فكر فقال : لا بل إن أقواماً يستنبحون فى هذا القفر والمكان الجدب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرام ، ثم أمر لى بجائزة فدعوت له وانصرفت .

كان ـ رحمه الله ـ ذا أنفه وعزة ، لا يرضى بالأمور الدنية ذا شخصية قوية بين الناس معتزاً بعلمه ، واثقاً فى نفسه .

حكى أنه كان يمشى على شاطىء « دجلة والرضى والمرتضى العلويان فى زبزب » ـ نوع من السفن ـ ومعهما أبو الفتح عثمان ابن جنى فقال لهما : من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً معهما فى الزبزب وعلىٌّ يمشى على الشط بعيداً منهما .

وقال ياقوت : قرأت بخط هلال بن المظفر الريحانى فى كتاب ألفه : ذكر غير واحد من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر ابن أحمد خرج إلى بغداد متأدباً ، فحين دخل قصد على بن عيسى الربعى النحوى بعد أن لبس ثياباً فاخرة عطرة وتجمل وتزين ودخل عليه وسلم ، فقال له على بن عيسى : من أين الفتى ؟ قال : من الزنجان « بألف ولام » فعلم الربعى أن الرجل خال من الفضل ، فقال : متى وردت ؟ قال : أمس ، فقال : جئت راكباً أم راجلاً ؟ فقال : بل راكباً ، قال : المركوب مكترى أم مشترى ؟

قال : بل مكترى ، فقال الشيخ : مر واسترجع الكرى فإنه لم يحمل شيئاً ، ثم أنشد :

وما المرء إلا الأصغران لسانه
ومعقوله والجسم خلق مصور
فإن طرة راقتك فأخبر فربما
أمر مذاق العود والعود أخضر

ولعه بقتل الكلاب : كان ـ رحمه الله ـ مولعا بقتل الكلاب ، حكى أنه كان يمشى مع ابن جنى فرأى كلبا فى خربة فأوقف ابن جنى

←

الربعى وآراؤه النحوية

على بابها ، ودخل هو فخرج الكلب ولم يستطع ابن جنى منعه ، فقال له الربعى : ويحك يابن جنى مُدَبِّر فى النحو ومُدْبِر فى قتل الكلاب !!

مؤلفاته : صنف الربعى كتباً كثيرة ، ولكننا لم نعثر على شىء منها ، وهذا ما دعانى لتتبع آرائه فى ثنايا الكتب الأخرى لنقف على مذهبه ، ونتعرف على طريقته ، وقد ذكرت كتب التراجم عدة مؤلفات له وهى :

١ ـ شرح الإيضاح لأبى على الفارسى .
٢ ـ شرح مختصر الجرمى .
٣ ـ البديع فى النحو .
٤ ـ شرح البلغة .
٥ ـ كتاب ما جاء من المبنى على « فَعَالِ » .
٦ ـ التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى .
٧ ـ شرح كتاب سيبويه .

إلا أنه غسله وسبب ذلك أن أحد بنى رضوان التاجر نازعه فى مسألة فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله فى إناء وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول : أجعل أولاد البقالين نحاة ؟

وفاته : توفى فى بغداد فى ليلة السبت لعشرين بقين من المحرم سنة ٤٢٠ هجرية .

ثانياً : « آراؤه النحوية »

لما كان الربعى من علماء النحو ، ولم نقف له على مؤلفات تدلنا على مذهبه النحوى ، تتبعت آراءه فى بطون الكتب ، وهدانى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد البحث إلى هذه الآراء التى لم أعثر على غيرها فى كتب النحو فيما بين يدى من مراجع :

وهذه هى المواضع التى أدلى فيها الربعى بدلوه :

١ ـ رأيه فى التنوين اللاحق لجمع المؤنث السالم .
٢ ـ رأيه فى إعراب الأسماء الستة .
٣ ـ رأيه فى فاعل « كفى » وما عطف عليه .
٤ ـ رأيه فى الاسم الواقع بعد « خلا » (المستثنى بخلا) .
٥ ـ رأيه فى الواو العاطفة .
٦ ـ رأيه فى إعراب « ذا » من « حبذا » .
٧ ـ رأيه فى إعراب النكرة الواقعة « قبل » أو « بعد » مخصوص « حبذا » .

أولاً : رأيه فى التنوين اللاحق لجمع المؤنث السالم :

التنوين : نون ساكنة زائدة تلحق آخر الأسم لفظاً لاخطا ولا وقفاً لغير توكيد ، وهو ستة أنواع : أربعة منها مختصة بالأسماء ، واثنان يدخلان فى الأسماء والأفعال والحروف .

فالأربعة المختصة بالأسماء هى : ١ ـ تنوين التمكين ، ٢ ـ تنوين التنكير ، ٣ ـ تنوين المقابلة ، وهو موضوع حديثنا ، ٤ ـ تنوين العوض .

(١) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ٢٣ ، وتاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٧ ـ ١٨ ، بغية الوعاة للسيوطى جـ ٢ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، معجم الأدباء لياقوت جـ ١٤ ص ٧٨ ـ ٨١ ، هدية العارفين للبغدادى جـ ٥ ص ٦٨٦ ، اعجام الأعلام لمحمود مصطفى ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

والاثنان الآخران هما : تنوين الترنم والتنوين الغالى .

وحديثنا عن التنوين الذى يلحق جمع المؤنث السالم ، فقد ذهب جمهور النحاة إلى أن التنوين هذا يسمى تنوين المقابلة ، لأنه فى مقابلة النون فى جمع المذكر السالم .

قال الرضى فى شرح الكافية « ورابعها لمقابلة نون جمع المذكر السالم فى جمع المؤنث السالم نحو « مسلمات » على الأعرف من أقوالهم ، ولا معنى له إلا فى الاسم ، وإنما قالوا إنه تنوين مقابلة إذ لو كانت للتمكن لم تثبت فى نحو قوله تعالى : « من عرفات »[٢] ولو كانت للتنكير لم تثبت فى الأعلام ، وليست عوضاً عن المضاف إليه ، ولا للترنم ، فلم يبق إلا أن يقال : هى فى جمع المؤنث فى مقابلة النون فى جمع المذكر .

وقال بعض النحويين فى توجيه المقابلة : إن جمع المذكر السالم زيد فيه حرفان ، وفى جمع المؤنث لم يزد إلا حرف واحد ، لأن التاء موجودة فى مفرده ، فزيد التنوين فيه ليوازى النون فى جمع المذكر كما أن الحركة فى « مسلمات » موازية لحرف العلة فى « مسلمين » .

قال الشيخ خالد الأزهرى : وفيه نظر ، لأن التاء التى فى المفرد ليست هى التاء التى فى الجمع بل غيرها ، ولو سلم فهذا الجمع لا يختص بما فى مفرده التاء لفظاً ، بل يكون فيه وفيما فيه التاء تقديراً كـ « هندات » بل قد يكون لمذكر مثل : « اصطبلات » والحكم واحد فى الجميع .

قال العلامة السيوطى : وقيل هو عوض عن الفتحة نصبا ، ورد بأنه لو كان كذلك لم توجد فى الرفع والجر ، ثم الفتحة قد عوض منها الكسرة ، فما هذا العوض ؟

أما شيخنا الربعى فقد ذهب إلى أن التنوين فى جمع المؤنث السالم للصرف وليس لغيره وقد وافقه على رأيه الزمخشرى .

قال العلامة الرضى : « وقال الربعى وجار الله » : إن التنوين فى نحو « مسلمات » للصرف ، قال جار الله وإنما لم تسقط فى نحو « عرفات » لأن التأنيث فيها ضعيف ، لأن التاء التى كانت فيها لمحض التأنيث سقطت ، والتاء فيه علامة لجمع المؤنث .

وفيه نظر ، لأن عرفات مؤنث وإن قلنا إنه لا علامة تأنيث فيها لا متمحضة للتأنيث ولا مشتركة ، لأنه لا يعود الضمير إليها إلا مؤنثا ، نقول : هذه عرفات مبارك فيها ، ولا يجوز مبارك فيه إلا بتأويل بعيد كما فى قوله : ولا أرض أبقل إبقالها[٣] .

فتأنيثها لا يقصر عن تأنيث « مصر » الذى هو بتأويل البقعة .

والأولى عندى أن يقال : إن التنوين للصرف والتمكن ، وإنما لم يسقط فى نحو : « من عرفات » لأنه لو سقط لتبعه الكسر فى السقوط وتبع النصب ، وهو خلاف ما عليه الجمع السالم ، إذ الكسر فيه متبوع لا تابع ، فهو فيه كالتنوين فى غير المنصرف للضرورة .

سعد منصور عرفة

---

(٢) سورة البقرة / ١٩٨ .

(٣) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ١٤ .

هذا عجز بيت صَدْرُهُ : فلا مزنة ودقت ودقها

الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى

فى ضوء معطيات علمَى الصرف والأصوات

ثانيا : الانسجام الصوتى فى ضوء المماثلة

(أ) المماثلة : مفهومها وجدواها :

تعنى مادة (م ث ل) فى معاجم العربية[1] الشَّبه والقرب ، فالمثل ـ بالكسر والتحريك ـ والمثيل ـ كأمير ـ الشبه والنظير .. والطريقة المثلى : الأشبه بالحق ، .. وماثله مماثلة : شابهه ، وتماثل العليل : قارب البرء ، وتماثل الشيئان : تشابها .. ولا تكون المماثلة إلا بين المتفقين ، تقول : لونه كلونه .. بخلاف المساواة ، فإنها تكون بين المتفقين في الجنس والمختلفين .

وبالتأمل فى المعنى اللغوى لمفهوم المماثلة يتَبَيَّن لنا دورانه حول المقاربة والمشابهة والاتفاق بصفة عامة ، ومن هذا المنطلق أدت دوراً بارزاً فى تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة ، إذ اعتمد عليها الذوق العربى اعتماداً بالغاً فى هذا الميدان ، مستعيناً بصورها المتنوعة ، كتقارب صوت من آخر بغية التيسير في النطق ، والاقتصاد في الجهد ، أو إحلال صوت محل آخر مراعاةً لصوت ثالث قريب منه فى الكلمة .. وهكذا .

وهنا يمكننا أن نلمس العلاقة القوية بين ما قرره المعجميون واللغويون المحدثون[2] ، فالأمر لا يخرج عن دائرة التوافق كما قرر فندريس[3] ، وأساسه التشابه كما ارتأى برجشتراسر[4] .

---

(١) انظر : القاموس المحيط ٤/٤٨ ـ ٤٩ ، مادة (مثل) وكذلك المنْجد فى اللغة والادب والعلوم ٧٤٦ : ٧٤٧ المعجم الوسيط ٢/٨٨٧ : ٨٨٨ .

(٢) علم اللغة : د / وافى ٢٧٢ طـ ٥ عام ١٩٦٢ م مطبعة لجنة البيان العربى ، التجويد والأصوات : د / نجا ٩٦ ، المدخل إلى علم الأصوات « دراسة مقارنة » : د / صلاح الدين حسنين ٧٤ ط ١ عام ١٩٨١ م دار الاتحاد العربى ، مقدمة فى أصوات اللغة العربية : د / عبد الفتاح البركاوى ١٤٧ ط ٣ عام ١٩٨٤ م مؤسسة الرسالة .

(٣) اللغة : فندريس ٩١ ترجمة الدواخلى والقصاص ، القاهرة عام ١٩٥٠ م ، وانظر ايضاً : أسس علم اللغة : ماريوباى . تحقيق د / عمر ط ٢ عام ١٩٨٣ م عالم الكتب ١٤٧ .

(٤) التطور النحوى للغة العربية : برجشتراسر ٢٩ ، مطبعة المجد عام ١٩٨٢ م .

وفى ضوء ذلك تَتَبَيَّنُ حقيقة المماثلة، ويتضح مفهومها الاصطلاحى، فهى عبارة عن تحول (الفونيمات) المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً، والعلة - كما هو واضح - التوافق والانسجام بين الأصوات المتجاورة المتنافية في الخارج أو الصفات، إذ أن تجاور الصوتين المتنافيين في كلمة أو كلمتين مجلبة للصعوبة والمشقة، ومن هنا اقتضت طبيعة الذوق العربى خلع صفة أحدهما على الآخر توفيراً للجهد وتحقيقاً للانسجام في ضوء هذه الظاهرة[٥]، كقولهم (ازدجر) فى (ازتجر) للاتحاد فى صفتى الجهر بين التاء والدال، وقلبهم النون الساكنة ميماً قبل الباء للمشاركة فى المخرج، وما هذه التّفاعلات إلا بمثابة التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، تحقيقاً للانسجام الصوتى الذي يعد معلماً من معالم الذوق العربى فى معالجته للصيغة اللغوية.

وفى ضوء النموذج التالى يستبين لنا ذلك، وتتجلى لنا أهمية المماثلة وجدواها : قرر الصرفيون قلب تاء الافتعال طاءً إذا كانت الفاء صاداً، أو ضاداً، أو طاءً، أو ظاءً[٦] فقالوا فى (افتعل) من (الظلم) : (اظطلم)، والأصل (اظتلم) رغبةً فى تحقيق المماثلة، والبعد عن التنافى بين المتجاورين، إذ أن التاء صوت مهموس، مستفل، منفتح، ومن ثم يعد ضعيفاً، والظاء صوت مجهور، مستعل، مطبق، مصمت، ولذا يعد قوياً[٧].

وقد اقتضت طبيعة الذوق العربى أن يجذب الصوت القوى إلى نفسه مجاوره الضعيف[٨]، ومن ثم قلبت التاء طاءً، ليكون عمل اللسان من وجه واحد[٩]، إذ أن

←

(٥) انظر فى ذلك : المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها : الأنطاكى ٢٢ ط ٣ دار الشروق العربى، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى : د / عبد الغفار هلال ١٧٥ .

(٦) الكتاب ٤/٤٦٧ - ٤٦٨، الخصائص ٢/١٤١، شرح المفصل ١٠/٤٦ - ٤٩، شذا العرف ١٦٨ . المنهج الصوتى للبنية العربية (رؤية جديدة فى الصرف العربى) د . عبد الصبور شاهين ٢١٠ ط ١ عام ١٩٧٧ م جامعة القاهرة المحيط : الأنطاكى ١١٣ وما بعدها .

(٧) قواعد التجويد على رواية حفص : د / عبد العزيز القارىء ص ٥٩ ط ٥ عام ١٤٠٤ هـ مطبعة المدنى بمصر، التمهيد فى علم التجويد : ابن الجزرى ٩٠، تحقيق د/ على البواب ط ١ عام ١٩٨٥ م مكتبة المعارف الرياض ..

(٨) التمهيد : ابن الجزرى ١١٣ .

(٩) الكتاب ٤/٤٦٧ .

الانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستفل بمثابة الانحدار من مرتفع(١٠) ، وفى هذا صعوبة على اللسان يتعثر معها النطق ، وهنا تؤدى المماثلة دورها الرائد فى صورة قلب التاء طاءً ، لتخرج الصيغة على هيئة (اظطلم) بعد أن فقدت التاء صفة الانفتاح متسمة بالإطباق ، متحدة بذلك مع ما يجاورها ، ومبالغة فى تحقيق الانسجام الناجم عن المماثلة بقلب أحد المتجاورين إلى الآخر فى ضوء الادغام إذ سكن أولهما فترد الروايات عن العرب (اظلم) ، (اطلم) فى قول زهير يمدح هرم من سنان :

هو الجواد الذى يعطيك نائله
عفوا فيظلم أحياناً فيظلم(١١)

وهكذا لعبت المماثلة دوراً فعالا فى تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الصيغة مشيرة بذلك إلى أمرين :

أحدهما : منهج الذوق العربى فى معالجته للبنية اللغوية .

والآخر : دورها الفعال وجدواها فى تحقيق ذلك .

ولا ريب أن الظاهرة المماثلة أصولاً فى تراثنا اللغوى ، فقد ألمح إليها القدامى ، بل خصصوا لها حيزاً عظيماً(١٢) بين ثنايا مؤلفاتهم النحوية والصرفية والصوتية ، بالإضافة إلى كتب القراءات والتجويد ، مؤكدين بذلك رقة الذوق العربى ، ودقته ، وتوخِّيه السهولة ، ومواكبته الحقة التى هى لب منهجه اللغوى العام .

(ب) المماثلة وأصوات العربية :

تتم عملية المماثلة ـ كما ألمحنا ـ فى ضوء التجاور بين الأصوات ، غير أن هناك سؤالاً يفرض نفسه : هل تتحقق هذه الظاهرة فى ظل أى تجاور صوتى ؟ ولماذا ؟ إن ظاهرة المماثلة لا تتحقق فى إطار أى تجاور صوتى ، بل لابد من وجود العلاقة الصوتية بين المتجاورين ، ممثلة فى التجانس أو التقارب ، أى : اتفاق المتجاورين مخرجاً لا صفة أو صفة لا مخرجاً .(١٣)

وقد ألمح ابن جنى إلى ضرورة هذه العلاقة

---

(١٠) ابنية العربية : د/ هلال ١٧٦ .

(١١) البيت من البسيط ، وقائله زهير بن أبى سلمى من قصيدة له مطلعها :

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الأرواح والديم

انظر : الكتاب ٤٦٨/٤ ، الخصائص ١٤١/٢ ، شرح المفصل ٤٧/١٠ ـ ٤٩ ، التصريح بمضمون التوضيح : الشيخ خالد ٣٩١/٢ البابى الحلبى الديوان ٩١ دار صادر بيروت عام ١٩٧٥ م .

(١٢) دروس فى علم أصوات العربية : كانتينو ٣٩ ترجمة القرمادى ، تونس عام ١٩٦٦ م .

(١٣) انظر فى تعريف التقارب والتجانس : البرهان في تجويد القرآن : قمحاوى ٤٠ ـ ٤١ مطبعة حسان ، نهاية القول المفيد في علم التجويد : محمد مكى ١٠٤ البابى الحلبى عام ١٣٤٩ هـ ، النشر ١٩/٢ .

لإتمام المماثلة بين لبنات الكلمة فى صورة القلب ـ مثلاً ـ فقرر أن « أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها »[١٤] .. ، ومن ثم إذا فُقِدتْ العلاقة الصوتية بين المتجاورين فُقِد التفاعل ، ونُطِق كل منهما كما هو بكل خصائصه ، دونما تغيير ، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة ـ مثلاً ـ إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس[١٥] .

وقد رأى بعض الباحثين[١٦] ضرورة كون المتجاورين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات حتى تتم المماثلة، مقرراً أنه لا يصح القول بأن صوتاً من جنس الصوامت يبدل من صوت من جنس الحركات ، فشتان بين المجموعتين من كل جانب » .

وتأسيساً على ذلك يرى الباحث أن ما قرره الصرفيون بصدد قلب الواو أو الياء تاءً ـ متى كانت إحداهما فاءً للافتعال ـ بعيد عن الصحة مطلقاً ، ويفسر ما حدث من تفاعل لهذه الصيغة (اتسم ـ اتسر) بأنه إسقاط للواو والياء ، مع تعويض موقعهما بتكرار التاء .

ولا ريب أن الباحث فى ضوء هذا الشرط قد ضَيَّق من دائرة المماثلة ، بل حجر واسعاً ، فمن ذا الذى ينكر وجود علاقة صوتية بين الصوامت والصوائت ؟ ومن ذا الذى ينكر وجود نسب وقربى بين نمطى الأصوات العربية ، وإن كان لكلٍ خصائصه الناجمة عن كيفية نطقه وإصداره ؟

د . عبد المنعم عبد الله محمد

---

(١٤) سر الصناعة ١/١٩٧ كالدال والطاء والتَّاء والذال والثاء والظاء .

(١٥) التطور اللغوى (مظاهرة وعلله وقوانينه) : د/ رمضان عبد التواب ٢٣ . ط ١ عام ١٩٨٣ ، المدنى ، المنهج الصوتى : ٢٠٨

(١٦) المنهج الصوتى للبنية العربية د / عبد الصبور شاهين ٢١٠ وما بعدها .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

« الأدب المقارن »[1] مصطلح يستدعى فى النفس الشرقية الإسلامية معانى الحداثة والجدة ، وينتقل بالذهن الشرقى هذا إلى الإطار الثقافى الغربى - وبالتحديد الفرنسي والألمانى والانجليزى منه ، حيث نشأ هذا النوع من الدراسة الأدبية في العصر الحديث ، ولقد تبع هذا الانتقال الذهنى العفوى فى بدايته نوع من المرجوع التلقائى ؛ تمثل فى التعلق السلبي بمناهج هذا النوع من الدراسة الأدبية فى الغرب . وخطورة هذا التعلق لا تكمن فى البداية التعرفية على هذا النوع ؛ وإنما تتحدد أساساً فى أن هذا التعلق قد اتخذ صورة التقليد في تبنى المنظور ونتاج تطبيقه ، أو فى السؤال العلمى للظاهرة الأدبية وفى الإجابة عليه ، دون مناقشة وافية لا للمنظور ولا لمغزى نتاجه التطبيقى .

وسوف أناقش - هنا وفى المقالات التالية - قضية « المنظور المتعارف عليه » للأدب المقارن . وهدفى من ذلك : (تحديد مناطق الأزمة ، وإخراجها إلى دائرة الوعى بها ؛ سواء كانت الأزمة فى إطار المنشأ ، أو فى المدلول المستقبلى لهذا النوع من النشاط العلمى) .

أ - قضيــة النشــأة :

إذا كان علم الأدب القومى يتجه إلى (النص) فى إطار نوعه الأدبى بالشرح والتحليل ، وتفسير مدلولاته من خلال عناصره الصياغية والمضمونية ؛ فإن علم الأدب المقارن يتجه إلى علاقة كل ذلك بآداب الأمم الأخرى ، سواء كانت هذه العلاقة تأثرية أو

---

(١) الكاتب حصل على درجة الدكتوراه فى « علم الأدب الالمانى الحديث والمقارن » من جامعة « مونستر » بألمانيا الغربية . وهو مبعوث كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر لهذه الدراسات عام ١٩٧٦ / ١٩٨٦ ويعمل - حالياً مدرساً بقسم اللغة الألمانية بكلية اللغات والترجمة / جامعة الأزهــر .

د. عبدالله محمد أبو هشة

تأثيرية ، أى سواء كان الأدب القومى مُرْسلاً أو مستقبلاً .

هكذا انحصر ميدان الأدب المقارن منذ نشأته ، وتحدد بشرطية وجود هذه العلاقة التاريخية . وهذا بدوره جزء من أزمة المنهج ، كما سنوضح فى مقالات تالية بعون الله تعالى .

وواضح هنا أن الأدب المقارن (بفتح الراء) : هو العمل الأدبى فى علاقته بعمل أدبى من لغة أخرى ، وأن الأدب المقارن (بكسر الراء) : هو التناول العلمى المقارن (بكسر الراء) لعملين من لغتين مختلفتين قامت بينهما علاقة .

وهنا نلاحظ أن ميدان الأدب المقارن فى أدبنا العربى ، وفى الآداب العالمية الأخرى قديم قدم وجود أدبين من لغتين مختلفتين . أما الجديد على الدراسات الأدبية فى المشرق العربى الإسلامى فهو « شبهة » استقلال هذا النوع من البحث العلمى عن علم الأدب القومى . ونحن ـ فى المشرق ـ لم نستطع إلى الآن أن نحدد المصطلح المقصود والمحدد لهذا العمل العلمى لا فى جيل رواد هذا النوع من الدراسة الأدبية ، ولا فى الجيل الذى تلاهم . فالدكتور محمد غنيمى هلال يتحدث عن المدلول التاريخى للأدب المقارن ، ويلاحظ الإضمار القائم فى مسمى « الأدب المقارن » ؛ طبقاً لميدانه البحثى محدداً فى دراسة التأثيرات والتأثرات المتبادلة بين آداب الأمم المختلفة . ثم يقول موضحاً الإضمار المقصود « إذ كان الأولى أن يسمى : « التاريخ المقارن للآداب » أو « تاريخ الآداب المقارن » ؛ ولكنه اشتهر باسم الأدب المقارن » . كما أننا حتى يومنا هذا نتحدث عن « الأدب المقارن » دون تحديد حركة الراء ، أى دون تحديد الصفة بنائياً ، هل هى (اسم فاعل) أو (اسم مفعول) ؟ ثم فى منتصف يناير ١٩٨٨ م قدمت « الجمعية المصرية للأدب المقارن » (التى يرجى منها الكثير) محاضرة للدكتور عبد الحميد يونس ، تحدث فيها عن « الأدب الشعبي المقارن » أيضاً . ولا اعتراض إلا على عدم دقة المصطلح موضوع المقال .

ولعل منشأ هذا الارتباك فى تحديد مسمى

هذا النوع من الدراسة الأدبية ، هو أننا مازلنا نستخدم ترجمة مسماه الفرنسى « Littérature Comparée » أو الإيطالى « Litteratura Comparata » أو الأسبانى « Litieratura Comparada » والذى توافق معه المسمى اليابانى أيضاً « Hikaku Bungaku » .

واستمرار هذا الخلط بين مسمى نوع الدراسة ، وبين ميدانها ومادتها ، يرجع إلى عدم التفكير المنهجى الدقيق في طبيعة هذا المصطلح ، وفى مدى تأصيله بالنظر فى تاريخ الأدب العربى بخاصة وآداب الشرق الإسلامى بعامة . ولو تم هذا عن طريق الدراسات بالمقاونة التطبيقية وليست النظرية ؛ لتأصل لدينا الفرق بين العلم وميدانه ، وبين النظرية العلمية ودائرة تناولها .

وهذا الخلط لم تبرأ منه البحوث الأدبية الأوروبية في بداية اهتمامها بالدراسات المقارنة فى أوائل القرن التاسع عشر . ففى القرن السابع عشر بدأت العلوم الطبيعية تتجه إلى الدراسة المقارنة للظواهر ، وتبع ذلك ـ فى عصر لاحق ـ اتجاه العلوم الإنسانية أيضاً ـ ومنها علم الأدب ـ إلى الدراسات المقارنة ، ولأنى لا أريد أن أثقل هذه الدراسة بذكر أولى هذه الدراسات ، أو بذكر مؤلفيها ـ لعدم اهميتها لمنظور هذا المقال القصير ـ سوف أركز على قضية المصطلح الذى سمى به هذا النوع من الدراسة .

لقد ذكرت منذ قليل اللبس الواضح فى المسمى الفرنسي والإيطالى والأسبانى ـ أى اللغات المسماة بالرومانية ـ لهذا النوع من الدراسات الأدبية المقارنة بـ « الأدب المقارن » نفس مصدر المسمى العربى لها . وهذا اللبس مازال قائماً حتى الآن . ولعل أثره فى لغات المصدر المترجم منه أقل منه فى اللغة العربية وفى لغات الشرق عموماً . وسبب ذلك أن مصطلح « الأدب المقارن » فى لغات المصدر ؛ يعيش مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمصطلح « علم الأدب » القومى ، حيث صفة « العلم » ـ لكليهما ـ ووسائله البحثية قائمة ـ على الأقل ـ فى دائرة المتخصصين في العلوم الإنسانية ، وعند المثقفين .

كما أن الدراسات المقارنة استقرت فى الوجدان العام لشعوب هذه البلاد ؛ وإن اقتصرت على صلات الآداب الأوروبية بعضها بالبعض الآخر ، مما سأتعرض له فى حديث لاحق .

أما فى إطار اللغات الجرمانية ، فإن مسمى هذه الدراسات ، قد تردد ما بين التوافق مع مضمون المسمى فى اللغات الرومانية « التاريخ المقارن للأدب » « Die Vergleichende Literaturgeschichte » فى مقابل « تاريخ الأدب » القومى فقط « Die Literaturgeschichte » ، وما بين انضواء هذه الدراسة المقارنة تحت مصطلح « تاريخ الثقافة المقارنة » « Die Vergleichende Kulturgeschichte » وذلك حتى بداية القرن العشرين . ولم يأخذ « الأدب المقارن » مسمى « العلم » إلا عندما أخذ « الأدب القومى » أيضاً مسمى العلم ؛ فصار الاثنان مرتبطين ارتباطاً وثيقاً منذ مطلع القرن العشرين ، وتسمية « علم الأدب الحديث والمقارن » « Die Neuere Und Vergleichende Literaturwissenschaft » لكثير من الأقسام العلمية بجامعات ألمانيا وهولندا والدول الإسكندنافية تجعل ميدان هذه الدراسة ليس (التنظير) ؛ وإنما البحث التطبيقي النقدي التحليلي للأعمال الأدبية من لغات مختلفة ، وإن بقيت لغات أوروبية . ومع ذلك فهناك عدد من معاهد « علم الأدب المقارن » ، التى تهتم بالصلات التاريخية بين الآداب المختلفة ، وعلى كل فإن المسمى فى اللغات الجرمانية يختلف عن المسمى فى اللغات الرومانية من ناحية الدقة وتحديد المدلول ؛ حيث المسمى هنا هو « علم الأدب المقارن » ، سواء كان نظرياً تاريخياً أو تطبيقياً تحليلياً .

وقد ساعد على تحديد هوية المصطلح هنا تحديد الدراسة للأدب عموماً بـ « العلم » دون ترك المسألة للهوى الشخصى فى تناول الأدب (وهناك بالطبع فرق بين الهوى المنفلت ، وبين المنزع الشخصى للباحث فى إطار المصطلح والنظام والقواعد العلمية لميدان الدراسة) .

ب ـ قضية الإطار الثقافى الأوروبى :

بقى أن أقرر هنا بأن منشأ الدراسات المقارنة فى أوروبا كلها ، ظل مرتبطاً فى جملته بميدان واحد : هو دراسة التأثر والتأثير بين الآداب الأوروبية بعضها بالبعض الآخر . ولقد استمر « علم الأدب المقارن » فى أوروبا ، يستمرىء أوروبيته ، لا يخرج منها إلى آداب القارات الأخرى ، التى تأثرت بها الآداب الأوروبية ؛ إلا فى حالات معدودة خلال قرون طويلة ، بل إن هذه الدراسات المعدودة قام بها غالباً غير الأوروبيين .

« يتبـــع »

د / عبد الله محمد ابوهَشّه

علية الجعار
وديوان
غريب أنت ياقلبى

صدر ديوان (غريب انت ياقلبى) للشاعرة علية الجعار عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م .

وقد قسمته الشاعرة إلى خمسة أقسام : (وجدانيات ، تسابيح ، فى نور النبوة ، وطنيات ، شخصيات)

ورحلة داخل الديوان من خلال القصائد الإسلامية نجد فيها مايطهر النفس البشرية من خلال مشاعر صادقة ، والشاعرة علية الجعار من الشاعرات اللائى يواصلن الخطى فى صبر بذلك الحس المرهف واللغة السلسة .

وتبدأ الشاعرة قصائدها الإسلامية بقصيدة (تسابيح) التى تتصدر مجموعة القصائد جاء فيها :

يسبح الكون للإله
سبحان من أنشأ الحياه
ونور الكون من ضياه
سبحانه جل فى علاه

فالملائكة والبشر ● والشمس والنجم والقمر ● والأرض والزهر والشجر ● والبحر والنهر والمطر ● يسبحون لله الواحد جل فى علاه .

والشاعرة متأثرة هنا بمعانى القرآن الكريم ، فما من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ .

ثم تأتى قصيدة (الصلاة)

فالصلاة هى الملاذ إلى الله والوقوف بين

عرض: مصطفى عبد الشافى مصطفى

يديه وبالسجود يقترب الإنسان من الله ويدعوه بالقول :

إذا أرهقتنى هموم الحياة

ألوذ بربى .. أقيم الصلاه

أرى الله فى وقفتى يحتوينى

ويملأ روحى رضا من رضاه

وأشعر فى سجدتى باقترابى

فأدعوه أرجو سنا من هداه

وهكذا تجد النفس المؤمنة فى اقترابها من الله الهداية والأمان ، والصلاة هى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين وشعر بالطمأنينة ووجد رضا الله سبحانه وتعالى .

وفى قصيدة (جنة القرآن) تقول الشاعرة :

إذا ضاقت بى الدنيا

وشاب عزيمتى ضعفُ

وضجت وحدةً روحى

وروع أمنها الخوفُ

ألوذ بجنة القرآن

فهو الفىء والإلفُ

تفيض حروفه نورا

ويشفى علتى حرفُ

فالقرآن كتاب الله المنزل على نبيه وهو الكتاب الذى أنار بنوره الظلام ؛ فالقرآن خير أنيس ، والقرآن حديث الله للبشر فمن أراد أن يناجى الله قرأ القرآن فيه شفاء للناس وتزداد بتلاوته الحسنات وهو خير حافظ . وقد عبرت الشاعرة عن ذلك بأن القرآن يدخل إلى نفسها الطمأنينة والأمن وتفيض حروفه نوراً . وتأتى قصيدة (القرآن الكريم) لتدور فى نفس المعانى فتقول :

كتاب محكم الآيات تنزيل من الرحمن

به أنباء هذا الكون ما سيكون أو ما كان .

فكتاب الله محكم الآيات يقول تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ فالقرآن فيه أنباء هذا الكون ماسيكون أو ما كان فقد ذكر الله فيه من القصص مافيه

←

العبرة والعظة وهو الكتاب المنزل من عند الله الرحمن الرحيم وصدق الله العظيم الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ﴾ .

وتختتم قصائد (تسابيح) بقصيدتها (ياسامع الدعاء) .

اللهُ ياسامعَ الدعاء
ياواسع الجود والعطاء

فسبحانه وتعالى هو الذى يستجيب الدعاء ويجود بالعطاء وهو الرازق وهو على كل شئ قدير . ثم تقول :

ندعو ونرجوك يامجيب
فأنت ياربنا قريب
ومن أتى الباب لن يخيب

وهكذا تمضى الشاعرة فى تسابيحها .

ثم تنتقل الشاعرة من (التسابيح) إلى (نور النبوة) فى قصائدها بعنوان (فى نور النبوة) فتبدأ ذلك بقصيدة مستوحاة من الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

والقصيدة تحمل نفس العنوان إذ تقول :

عطر بذكر محمد الحانى
واقبس من الأخلاق والإيمان
قامت على الخلق العظيم حياته
أثنى عليه الله فى القرآن

بهذه المعانى الجليلة تبحر الشاعرة فى صفات رسول الله وأخلاقه العظيمة ورحمته للعالمين فهو الصادق الأمين وقد أثنى الله عليه فى القرآن الكريم فقال جل شأنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ونصل مع الشاعرة إلى قصيدة (الرحمة بالنساء) فتقول :

أحسست عزة نفسى منذ إسلامى
وفى حمى المصطفى حققت أحلامى
بالعطف يغمرنى . بالحق ينصرنى
وفى وصيته أوصى بإكرامى

ولعلها تذكرنا بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « استوصوا بالنساء خيراً »[1] .

وقد استجاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لطلبهن درسا يخصص لهن وجاءت رسالته لتعز النساء وتمنع وأد البنات ، وما كان يسود فى الجاهلية من تفضيل الذكر على الأنثى ، فأعز الإسلام النساء ورفع من قدر المرأة . وهكذا تمضى الشاعرة فى ذكرها للمصطفى الهادى البشير المبعوث رحمة للعالمين الصادق الوعد الأمين (صلى الله عليه وسلم) متأثرة بالتراث الإسلامى من خلال معانى القرآن الكريم وسيرة الرسول أشرف الخلق أجمعين .

وقد وفقت الشاعرة فى اختيار الوزن والقافية من خلال القصيدة العمودية فلم تخرج على عمود الشعر العربى .

مصطفى عبد الشافى مصطفى

---

(١) من خطبة الوداع . رواها البخارى .

عـرض : الأسـتاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

من خير ما نشر

فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

التنافس بين الأبوين في البعد عن الأولاد

لقد انصرف الأبوان عن التربية الصحيحة لمن فى مسئوليتهما من الأولاد والإخوة والأخوات ، انصرف كل منهما إما إلى الاشتغال بامور الهتهم عن هذه المسئولية الأولى ، وإما بسبب ماثار فى الأونة الأخيرة من التنافس بين الأبوين فى البعد عن المنزل وفى إهمال الواجبات الأبوية نحو الأولاد .. كما أن المسئولية المدرسية قد انعدمت أو كادت تنعدم ، وقد اتجهت كل المسئوليات ولو فى الظاهر إلى توفير الطعام والإدام وكانها تعمل على تربية اجساد دون أن تعرف أن المطالب الروحية لابد أن تتواءم مع المطالب الجسدية وأن غرس الخلق الفاضل ، والحذر من الشرور والآثام ونقاء الذمة والضمير وتكوين الوازع الدينى أمر ضرورى والذى يتمثل فى قول الرسول ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ... هذا الوازع الحارس قد انزوى فى نفوس الأجيال المتعاقبة منذ أن انحسرت المسئولية كما سبق ..

والعلاج .. أن تعود المسئولية والمساءلة عليها .. لكل متخلٍ عنها وذلك بعد التوعية والإيضاح لجوانب هذه المسئولية وحدودها ، وعواقب التخلى عنها ولابد من حزم وعزم حتى تعود الأمور إلى نصابها ، وذلك لا يتأتى إلا بالتربية الصحيحة فى نطاق أحكام الإسلام الذى أوصى بالأخذ بأسبابها منذ أن يكون الوليد

←

من خير ما نشر

أهلا للتربية والتعليم والتوجيه ولعلنا نأخذ هذه الأهلية من قول الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » وفى قوله ﷺ « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » . حتى يسأل الرجل عن أهل بيته .

عن تحقيق للسيدة : **الهام أبى الفتح**

الإدمان يهدد تلاميذ المدارس والجامعات

فى السنوات الأخيرة انتشرت المخدرات بشكل مذهل . وهناك نسبة محددة لطلبة المدارس والجامعات من المدمنين .. فكيف تصل هذه السموم إلى داخل الحرم الجامعى بل وإلى المدارس الاعدادية والثانوية ؟

● تقول مديرة إحدى المدارس المعروفة : نعم بدأت المخدرات تنتشر فى المدارس الاعدادية والثانوية ، والسبب فى انتشار هذا الوباء انعدام الرقابة الذى أصبح ظاهرة خطيرة جداً .

● ويقول العميد مصطفى الكاشف بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات : شبابنا وتلاميذنا لم يجدوا الرعاية اللازمة التى تحفظهم ، وتنمى فيهم قوة الوازع وهم يفتقدون القدوة فى غياب الأب والأم ، فالفصول تكدست والاهتمام أصبح أقل .

● ويقول الأستاذ « محمد الرشيدى » مدير مدارس العروبة بالمعادى : لا أنكر تعاطى بعض طلبة الثانوى حبوباً مخدرة ، وفى رأيى أن التربية الدينية وإيقاظ الوعى الدينى عند التلاميذ هو أفضل وسيلة لحمايتهم من الانحراف . د . فتحى سرور هاله مضمون الأرقام وما تتضمن من نسبة إدمان ولم يوافق عليها كمصدر علمى قاطع ، وعن اقتراح ادخال المواد المخدرة وآثارها كمادة تدرس للطلبة يقول د . فتحى سرور : هذا اقتراح جيد ولكن يمكن إدخالها كجزء من مادة .

وأخيراً .. فإن غول الإدمان يهدد أبناءنا ويحتاج إلى جهودنا جميعاً .

الأستاذة / **سلوى العنانى**

ثقافتنا فى المناهج الدراسية

« وقضية الانتماء »

إن شعار الانتماء الذى نرفعه فوق رءوسنا يجب أن يتحول إلى عمل وإلى موقف محدد مدروس فكيف ينتمى الطالب إلى ثقافة لا يعرفها وبالتالى لا يحبها ؟.. وكيف ينتمى الإنسان إلى لغة لا يعرف أسرارها .. وكيف ينتمى الفرد إلى أفكار غابت عنه .

ويكفى ما يتعرض له هذا النشء من غزو فكرى من خلال « المجلات » والكتب المترجمة والمسلسلات التليفزيونية التى تمسخ شخصية أبنائنا إذ تصادف أذهانا

ضحلة خاوية من المثل والأفكار .. فترسم فيها مثلاً مشوهة بعيدة عن شخصيتنا وتراثنا .

إن محاولة جادة مخلصة لتحبيب أبنائنا فى الأدب العربى القديم والحديث ليست شيئاً مستحيلاً .. فقط إذا فكر القائمون على أمر المناهج التعليمية عندنا أن يحولوا الشعارات إلى حقيقة ساطعة .

الدكتور / عبد الجليل شلبى

قرآن وسنة

استباحت إسرائيل .. غير آبهة بمشاعر المسلمين أن تسطو على المصلين فى المسجد الأقصى وفى مسجد القبة . هجم عليهم الجنود الإسرائيليون وهم فى صلاة الجمعة فشتتوهم وأفسدوا صلاتهم وبذا سجلت إسرائيل على نفسها أنها ترتكب أفجر وأبشع ما يعمله إنسان وحشى لا يعرف شيئاً من معانى المدنية ، وقد فعلوا ما فعلوا بأبناء فلسطين فى مرات عديدة : والمحارب يقتل خصمه فى المعركة لكنه إذا جرحه فقط وأسره فإن عليه أن يطيب له جراحه حتى تصح ، هذا لأنه بعد أن جرح وأسر وأصبح أعزل لا يستطيع أن يحارب خصمه ، ولا ان يدافع عن نفسه ، وبقيت كرامته الإنسانية تفرض على كل إنسان أن يعنى به وأن يحافظ على حياته وسلامة جسمه والأمم كلها تفعل ذلك عدا إسرائيل !

للمهندس : إبراهيم أبو سنة

« لا » للطاقة الذرية .. « نعم » للطاقة الشمسية

يقول بعض مؤيدى استغلال الطاقة الذرية إنها طاقة نظيفة لا رائحة لها ولا ضجيج ، وهذا التعبير يوجز خطر الطاقة الذرية ، لأنها تنفذ بسكون إلى الخلايا الحية فتقتلها ثم لا تزال تتراكم مسببة امراضاً شديدة لا تظهر اعراضها ـ كالأمراض السرطانية والأمراض الوراثية ـ إلا بعد فوات الأوان والآن .. ما البدائل ؟

البديل الأول : الطاقة الشمسية .. فالطاقة الشمسية ليس لها أخطار على الإنسان ، ثم هى طاقة متوافرة ، كما أن التأثير على بلد ما اقتصاديا أو سياسيا أو عسكريا عن طريق ضرب مجمعات الطاقة فيه يصبح أمراً بعيد المنال مع الطاقة الشمسية .

البديل الثانى : ترشيد الاستهلاك .. ويتحقق بوسائل عديدة منها التصميم الجيد للمبانى بما يعمل على تقليل الطاقة المستخدمة فى أجهزة التكييف ، وإنتاج سيارات صغيرة بمحركات ذات استهلاك قليل .

ثالثاً : الاستفادة من الحرارة الناتجة من المصانع على شكل أبخرة ساخنة وقد تمكنت ألمانيا الغربية من استغلال « ٧٥٠٠٠ » طن من هذه الأبخرة فى توليد ١٠ ملايين كيلو وات كهرباء أى ما يعادل إنتاج ثمانية أفران ذرية .

الأستاذ / أحمد الصاوى

ما قل ودل

أتمنى أن تزداد فترات البرامج الدينية سواء على الشاشة أو الإذاعة وأن تكون الأغانى والتمثيليات للفضيلة بعيدة عن رنين الكئوس والقبلات . وليكن الممثلون والمطربون قدوة بسلوكهم وأخلاقهم الكريمة لأن فاقد الشيء لا يعطيه .. ومن تمنياتى ترشيد الإنفاق فى الدولة والأسرة فنحرص جميعاً على قطرة الماء وومضة الكهرباء وقصاصة الورق ومضغة الطعام مما يظهر أثره حفاظاً للمال واستغناء عن الاستيراد . وأخيراً وليس آخرا أن نعتمد على أنفسنا فى محاربة الغلاء ومقاومة التجار الجشعين وسبيلنا لذلك هو الأخذ بحكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ذهب إليه من يشكو الغلاء فقال عبارته المشهورة « أرخصوها بالترك » .

الدكتور / أحمد هيكل

منهج الدعوة الإسلامية لغير المسلمين

يجب أن يتجه إلى تأكيد معنى الوحدانية وسيادة مجتمع الحب والمعرفة والتحضر وتأكيد فكر وأسلوب الإسلام فى التسامح والتكافل على أن يكون الداعية ملماً بلغة المجتمعات التى يتحدث إليها ليسهل تعريفهم بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وقيماً كما تتيح له الفرص للرد على خصوم الإسلام الذين يشيعون عنه الأكاذيب والمغالطات .

الأستاذ / صلاح منتصر

الفلسطينى الجديد

لأول مرة يسمع المواطن الأمريكى عن الجيش الإسرائيلى باعتباره « جيش الاحتلال » وهو تعبير جديد « خرم »[1] آذان المستمعين الأمريكيين الذين لهم سنوات طويلة وهم يسمعون عن « جيش الدفاع الإسرائيلى » والفرق كبير بين التعبيرين ، فجيش الاحتلال يعنى جيش الاغتصاب والانتهاك ، أما جيش الدفاع فيعنى جيش أصحاب الحق الذين يدافعون عن حقوقهم .. ما أعظم ما فعله الشباب الفلسطينى الذين خرجوا بالأحجار الصغيرة يواجهون دبابات

(١) ثقب .

ومصفحات ومدافع ورشاشات الإسرائيلى المحتل .

الأستاذ : عبد السلام داود

علامة استفهام

أفتح الجريدة فى الصباح ، وأستمع إلى برامج « الراديو » وأجلس لمشاهدة « التليفزيون » فأزداد شعوراً بالاغتراب . كيف تقع تلك الأحداث المروعة مثل حادث سقوط طائرة مثلاً ويذهب ضحيته ثلاثمائة رجل وشاب وامرأة وطفل وتكون محصلة النبأ هى مصرع الثلاثمائة ؟

ماذا جرى بالتفصيل ؟ ، وماذا فعلت طائرات وسفن وقوارب الإنقاذ بالضبط ؟

وألوف الشباب الذين يسقطون فى مناطق التوتر والثورات والحروب فى طول الدنيا وعرضها .. ماذا عنهم ؟

كيف ندع كل هذا جانبا لنمضى الساعات نشاهد ونسمع مسرحيات وتمثيليات عن معلم فى قهوة بلدى أو طغيان عمدة فى أرياف لم يعد لها وجود ؟ أين نحن مما يجرى حولنا بالضبط ؟

الأستاذ : فتحى شعير

صرخة من أجل الاهتمام بالتاريخ الهجرى

منذ بدأ المسلمون فى عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه اتخاذ الهجرة النبوية بداية لتاريخهم .. وكل المناسبات والأحداث تؤرخ بالتاريخ الهجرى ، وظل هذا الأمر ثلاثة عشر قرنا .. إلى أن مُنِىَ معظم الدول الإسلامية بالاستعمار الصليبى الذى حاول فى سبيل تغيير هوية هذه الدول إدخال التقويم الميلادى ليحل محل التقويم الهجرى ، وإذا لمسنا لأنفسنا العذر فيما مضى لأى سبب كان ، فلا أجد لمن يحملون لواء الفكر الإسلامى فى عصرنا الحديث عذراً فى الاستمرار فى إهمال اتخاذهم للتاريخ الهجرى أساساً فى تأريخهم لكل الأحداث .

الأستاذ / أحمد الصاوى محمد

ما قل ودل

ابتكر الباحثون فى بريطانيا « تليفوناً » خاصاً بالصم والبكم يمكن عن طريقه التحدث بلغة الإشارة باستخدام صور متحركة يستقبلها الطرف الآخر على جهازه المزود بشاشة تليفزيونية صغيرة .

وفى موسكو يقدم « التليفزيون » نشرة أخبار يومية للصم والبكم . وفى أسبانيا يخصص « التليفزيون » قناة للصم والبكم ، كما يسمح لهم باستعمال وسائل المواصلات العامة بالمجان ، إلى غير ذلك من الوسائل التى تخفف عنهم وتنسيهم عاهاتهم . إن أحد أسباب تقدم دول الغرب هو نظرتهم الإنسانية إلى المعوقين ، أرجو أن نقتدى بدول الغرب فى نظرتهم إلى المعوقين بدلاً من اعتبارهم أنصاف بشر لا عمل لهم ولا قيمة لهم فى الحياة .

من خير ما نشر

الأستاذ / عبد القادر شهيب

نساء الحجارة

كان بطل الانتفاضة الذى هز المشاعر العربية وبهر أجهزة الإعلام الغربية هو الطفل الفلسطينى ، فهذا الطفل لم يكتف بالتصفيق للمشاركين وإنما كان فى المقدمة . فنسبة ٦٠٪ من المصابين والشهداء فى الأرض المحتلة أطفال وصبية صغار . وفى غمرة الحماس الذى أشاعوه فينا نسينا بطولات أخرى .. كان أبرزها بطولة المرأة الفلسطينية ، لم تكتف المرأة الفلسطينية ، بإعداد الأطفال ليوم الانتفاضة ولكنها شاركت فيها حينما جمعت لهم الحجارة ، ورمت بنفسها على فوهات البنادق لتخليص الأطفال من قبضة جنود الاحتلال . فكما برز خلال الانتفاضة « أطفال الطوب » برزت أيضاً « نساء الحجارة » فطوبى لنساء الحجارة .

الأستاذ / أحمد بهجت

الثمن المطلوب

ليس من العدل أبداً أن ترد الدول الفقيرة ديونها مضاعفة ، ولا أحد ينكر فضل الدول الغنية فى إقراض الدول الفقيرة ، ولكن هذا الفضل يجب ألا ينقلب إلى استغلال أو استنزاف .

إن كل استغلال أو استنزاف يدفع ثمنه فى النهاية أطفال الدول الفقيرة .. وهؤلاء لا يملكون مالا ولهذا يدفعون الثمن من صحتهم .

فضيلة الشيخ / أحمد مسلم

حكم الدين فى مشاهدة الرجال لمباريات الكرة النسائية

مشاهدة الفتيات أو النساء وهن فى ألعاب رياضية خلعن معها الملابس التى تستر البدن ، ولبسن ملابس الرياضة المعروفة عندهن ، لا يجوز شرعاً لأنه يعرض المشاهد للفتنة والغواية وكل ما يعرض لذلك لا يجوز شرعاً .

إعداد / عبد الفتاح السيد عبد السلام

فأى العصرين حينئذ يكون هو الجدير بأن يسمى (عصر العلم والنور والمعرفة) : عصر تكون فيه شمس الأدب الحسن سراجاً وهّاجاً فى كبد السماء ، قد أنار ضوؤها أقطار السموات والأرض . أم عصر تكون فيه شمسه مكسوفة قد أظلم وجهها إلا قليلا ؟

إن مثل هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب منا ، فنترك الإجابة عنه لأهل هذا العصر ولا سيما المسلمين منهم ، فإن هذا الحديث حديث نبيهم صلى الله عليه وسلم الذى أرسل إليهم ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

هل يظن أحد من الذين تدبروا ما بسطناه وعقلوه حق تعقله أن المسلمين الآن قد نحلوا أولادهم هذا النحل ، وهو الأدب الحسن الذى جاءهم عن ربهم على لسان رسولهم عليه الصلاة والسلام ؟ إن الجواب عن هذا السؤال أيضاً يعلمه عامة الناس وفى مقدمتهم الوالدون . فعسى أن يرحموا أولادهم ويوفقوا لأن ينحلوهم هذا النحل النافع ، ﴿ وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وبعد فإنا قد اكتفينا بالكلام فى الصناعة عن التعرض لبقية أصناف الأعمال الدنيوية كالتجارة والزراعة ، فإن حظ المسلمين بتفريطهم فيها وحظ غيرهم بجدهم فيها ، كحظهم جميعاً فى الصناعة : جهلٌ وخمولٌ وحرمانٌ للأولين ، وعلم واجتهاد وثروة للآخرين .

ولكنا بعد هذا كله لا نزال نرجو أن المسلمين يفيقون مما هم فيه ، فإن هذه الكوارث والقوارع التى تنتابهم آناً فآناً فى دينهم ودنياهم كافية كل الكفاية فى زجرهم واتعاظهم وإقلاعهم عن الإعراض عن أوامر الله ورسوله ، حتى يؤهلوا أنفسهم لأن يبدل الله تعالى سيئات ماهم فيه حسنات ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

حسن منصور

أنباء وآراء

بيان صحفى

عن المؤتمر الحادى عشر لمجمع

البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

ازدحمت فى هذه الأيام ساحة الفكر فى العالم بمختلف التيارات والمذاهب والفلسفات وتطورت فيها وسائل الإعلام والاتصالات بصورة مذهلة بحيث أصبحت تعرض على أذهان الجماهير صباح مساء وتكاثفت فيها هيئات منظمة ومدربة على عرض أفكارها ومذاهبها أمام جماهير المسلمين بصورة مغرية تستغل فيها جميع الوسائل والأساليب اقتصادية واجتماعية ونفسية وذلك لصرفهم عن دينهم أو لتشويش أفكارهم ، أو للانحراف بهم إلى متاهات فكرية ونفسية مما يترتب عليه تمزيق صفوف المسلمين ، وتفريق كلمتهم وإيقاع أسباب الخلاف بينهم مما يضعف موقفهم ويفل شوكتهم ، والأزهر وعلماؤه يعملون قدر ما تواتيهم الإمكانات والوسائل على نشر الثقافة الإسلامية فى صورتها الجلية الواضحة بعيدة عن أسباب الخلاف نقية من الشوائب والفضول ، منزهة عن الأهواء والعصبيات مظهرة ما فى مختلف المذاهب والأفكار المنحرفة من عوامل هدامة وعناصر مخربة ، والأزهر وهو يعمل فى هذا الميدان يقدر جميع الجهود التى تبذلها الهيئات الأخرى فى العالم العربى وفى العالم الإسلامى . لكن الميدان واسع بحيث لم تعد الجهود المتفرقة كافية للقيام بهذه المهمة كاملة ، وعلى الوجه الذى يضمن النتائج ، لهذا مست الضرورة من أجل العمل على مدارسة نشاطها الدعوة الذى تقوم به مختلف الهيئات والمنظمات الإسلامية للتنسيق فى أنواع نشاطها لنتدارك أوجه النقص ونواحى القصور ، ولتتكامل نواحى الجهود وميادين النشاط .

وإذا كان العمل من أجل إنقاذ الجماعات الإسلامية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى مما يحيق بها من كوارث طبيعية ، أو أزمات اقتصادية أو غير ذلك من النوازل يعتبر من صميم المبادىء الإسلامية ، ومن النواحى المتكاملة مع فكرة الدعوة الإسلامية ، وكانت هناك بعض الهيئات التى تتولى هذه الناحية لإغاثة المنكوبين والملهوفين من أبناء المسلمين أفراداً أو جماعات فمثل هذا النشاط لابد أن يوجه فى تنسيق مشترك بين مختلف هذه الهيئات حتى يؤتى ثماره أضعافاً مضاعفة

إعـــداد :
د. أحمد عبد الرحيم السايح

ويوفر المال والوقت والجهد ، من أجل هؤلاء ومن أجل هذه الضرورة برزت فى الأزهر الشريف فكرة عقد هذا المؤتمر لمعالجة موضوع شئون الدعوة الإسلامية وذلك تحت رءوس الموضوعات التالية :

١ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات الإسلامية التى تتولى أعمال الإغاثة .

٣ ـ قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

٤ ـ وضع الأقليات المسلمة فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها وغير هذا من القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

وقد قررت اللجنة العليا لهذا المؤتمر بجلستها التى انعقدت بالأزهر الشريف يوم الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من فبراير ١٩٨٨ م ، أن يعقد هذا المؤتمر فى الفترة التى تبدأ بتاريخ ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس ١٩٨٨ م ، ودعى إليه ممثلون لعلماء المسلمين من نحو ثمان وثمانين دولة منها ثمانى عشرة دولة عربية واثنتان وثلاثون دولة أفريقية ، وعشرون دولة آسيوية وثمانى عشرة دولة أوروبية وأمريكية وتجاوز عدد المدعوين مائتى عضو من غير أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، كما دعى ممثلون عن مختلف الهيئات والمنظمات ، كرابطة العالم الإسلامى ، واتحاد الإذاعات العربية ، ومنظمة الصحة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، ومنظمة الثقافة والعلوم العربية « أيسيسكو » ، ومجمع الفقه الإسلامى واتحاد البنوك الإسلامية ، ووزراء الأوقاف والشئون الدينية فى الدول الإسلامية .

ويتضمن جدول أعمال المؤتمر صلاة الجمعة بالجامع الأزهر يوم ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس ١٩٨٨ م وحفل الافتتاح الذى يبدأ الساعة العاشرة من صباح السبت التالى ، ثم تبدأ جلسات العمل ابتداء بجلسة المساء يوم السبت لتناقش أمورا وبحوثا عامة عن الدعوة الإسلامية ، وفى الجلسة الصباحية ليوم الأحد تلقى وتناقش البحوث الخاصة بالتنسيق بين نشاط الهيئات والمنظمات القائمة بالدعوة الإسلامية ، وفى الجلسة المسائية تلقى وتناقش البحوث الخاصة بالأقليات المسلمة ومسئولية المسلمين تجاهها .

وفى جلسة الاثنين الصباحية تلقى وتناقش الموضوعات الخاصة بالتنسيق بين المنظمات الإسلامية التى تقوم على أعمال الإغاثة فى العالم الإسلامي ، وفى جلسة المساء تلقى وتناقش الموضوعات المتعلقة بالمقدسات الإسلامية .

ثم تلقى القرارات والتوصيات التى

←

يتوصل إليها المؤتمر في الجلسة الختامية التي تعقد صباح الثلاثاء .

ونسأل الله أن يتوج عملنا هذا بالتوفيق والسداد وأن يجعله خالصاً لوجهه .

وبالله التوفيق .

٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ هـ
١٩٨٨/٢/١٠ م

المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الاسلامية

صدرت توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ بالعمل على عقد المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ..

يرأس فضيلته المؤتمر ، ويقوم فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بأعمال الوكالة . ويشرف فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية على أعمال المؤتمر .

وقد اجتمعت اللجنة العليا للإعداد لهذا المؤتمر برياسة فضيلة الإمام الأكبر يوم الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٨ الموافق ١٩٨٨/٢/٤ ، للنظر في الموضوعات التي تختص بهذا المؤتمر ومناقشة شئون الدعوة الإسلامية .

يشارك في أعمال المؤتمر عدد من الوزراء ..

يأتى هذا المؤتمر تنفيذاً لإحدى توصيات المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية للتنسيق بين الجهات المسئولة عن الدعوة في العالم الإسلامي .

وجهت الأمانة الفنية بالمجمع دعوتها لأكثر من مائتى عالم من أبرز علماء المسلمين في ثمان وثمانين دولة في العالم .

يبدأ المؤتمر أعماله ابتداء من ١٥ من رجب ١٤٠٨ حتى ١٩ منه الموافق ٨٨/٣/٤ حتى ٨٨/٣/٨ ، يناقش المؤتمر وضع الأقليات الإسلامية في العالم ؛ وقدسية الحرمين الشريفين إلى موضوعات أخرى بجدول أعماله .

الأزهـر وماليزيا

استقبل فضيلة الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بمكتبه السفير واتوراجا منصور سفير ماليزيا بالقاهرة يرافقه السيد / ادريس زين الدين القنصل العام والسيد / محمد علوى يوسف المستشار الثقافى بالسفارة .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وماليزيا وحل مشاكل الطلاب الماليزيين الذين يدرسون بجامعة الأزهر حيث أبدى السيد السفير رغبته في تحويلهم إلى كليات بالأقاليم مماثلة لكلياتهم بالقاهرة حتى يساعدهم ذلك على إجادة اللغة العربية عن طريق المحادثة مع إخوانهم المصريين ، كما نقل السيد السفير دعوة سلطان ولاية سلاغور بماليزيا لفضيلة الدكتور وكيل الأزهر لحضور الاحتفال الذى سيقام يوم ١١ مارس القادم بمناسبة افتتاح المسجد الأكبر بالولاية ، والذى أقيم على مساحة قدرها ٤٠ فدانا ..

مؤتمـر إسلامي كبير

عقد في « بوجوتا » بأمريكا اللاتينية المؤتمر الإسلامي الدولي الثاني في أمريكا اللاتينية ، وشارك في أعماله أكثر من مائة مندوب من الدول الإسلامية والمسلمون في دول أمريكا اللاتينية .

وأكد المتحدثون من الوفود الإسلامية : ضرورة توضيح نماذج الحياة الإسلامية والتعرف بشكل أفضل على الثقافة العربية . وأشارت المصادر إلى أن المؤتمر بحث موضوعات عديدة مثل قضايا الشباب والشريعة الإسلامية ، ووضع المرأة المسلمة والحضارة الإسلامية في أمريكا اللاتينية . وأشاد المشاركون بازدهار الإسلام وتزايد أعداد المسلمين في دول أمريكا اللاتينية .

محكمة إسلامية دولية

في الندوة التي أقامتها كلية الآداب بجامعة القاهرة مؤخراً نادى بعض المشتركين فيها بضرورة إنشاء محكمة إسلامية دولية على غرار محكمة العدل الدولية تقوم بالتحكيم بين الدول الإسلامية والفصل في المنازعات التي تنشأ بينها ، وقال : إنه من غير المعقول أن نحتكم إلى محاكم تقام في أرض غير إسلامية ، وأن تشكل من أعضاء غير مسلمين للفصل بين المسلمين .

الاختلاط في التعليم محظور

أفادت صحيفة الرائد الهندية بأنه سيفرض الحظر على الاختلاط في المدارس الثانوية من سنة ١٩٨٨ م في « موريشيس » وسيطبق هذا القانون على عشر مدارس مختلفة يدرس فيها خمسة آلاف من الطلاب ، وأفادت الأنباء بأن المسئولين اضطروا إلى هذا القرار لأن سياسة الاختلاط في التعليم أدت إلى نتائج خطيرة لا تتناسب وشرف الرسالة التعليمية .

هيئة خير لمؤازرة المسلمين

اقيمت بالكويت هيئة خيرية إسلامية من أجل إنقاذ المسلمين من المعاناة التي يعيشونها والتي هي في معظمها نتاج الفقر والجهل والمرض في كثير من نواحي العالم الإسلامي والأقليات ..

ترفع الجمعية حملة تحت شعار « المسلمون بين الحاضر المأساوي والمستقبل المشرق » . والهيئة تأمل مؤازرة العلماء والقادرين من أهل الخير .

تعريب مناهج كليات الطب

طالب المؤتمر العربي الرابع والعشرين لاتحاد الأطباء العرب في جلسته الختامية بتعريب مناهج كليات الطب ومناشدة شعوب العالم العربي والإسلامي بتطبيق تعاليم الدين الحنيف للوقاية من الأمراض المنتشرة في الغرب وبخاصة « مرض الإيدز » وقد قرر المؤتمر أن يكون عام ٨٨ عام بدء تعريب الطب في كليات الطب المختلفة في العالم العربي ، وأن تكون البحوث في مؤتمر اتحاد

←

أنباء وآراء

الأطباء العرب باللغة العربية ومناشدة منظمة الصحة العالمية عقد اجتماع لعمداء كليات الطب في العالم العربي للبدء في عملية التعريب . وناشد المؤتمر المجتمع الدولى تجنب أخطار الحروب النووية وضرورة تدريس آداب مهنة الطب فى مناهج كليات الطب .

عسل النحل قطرة للعين

نجح فريق من أطباء كلية طب المنصورة فى استخدام عسل النحل بحالته الطبيعية لعلاج أمراض العيون .. وفى مقدمتها التهابات القرنية والملتحمة والأرماد الصديدية ، والالتهابات الفيروسية ..

يقول الدكتور محمد عمارة أستاذ ورئيس قسم العيون بالكلية والمشرف على فريق البحث :

إن العلاج يتلخص فى استخدام العسل بعد تنقيته من الشمع كقطرة بمعدل نقطة واحدة فى العين المصابة أربع مرات يومياً لمدة أربعة أيام .

جوائز الاقتصاد الإسلامى

أعلن البنك الإسلامى للتنمية بجدة عن جائزته السنوية التى تمنح لكل من يقوم بجهد بارز مبدع فى مجال الاقتصاد الإسلامى والبنوك الإسلامية سواء كان هذا الجهد في ميدان البحوث أو التعليم أو التدريب أو تعبئة وحشد الطاقات الفكرية والعلمية فى سبيل تأصيل ونشر القيم الإسلامية في مجال الاقتصاد والبنوك . وتمنح الجائزة فى احتفال رسمى يقام فى شهر ذى الحجة من كل عام وقيمة الجائزة خمسة عشر ألف دينار إسلامى « تسعة عشر ألفاً وثلاثمائة دولار » وقد دعا البنك الأفراد والمؤسسات والهيئات والجامعات والمراكز العلمية والجمعيات الإسلامية فى أنحاء العالم لترشيح من تراه مناسباً لنيل جائزة البنك .. وآخر موعد لقبول الترشيحات نهاية شهر رجب ١٤٠٨ هـ .

لماذا أسلم حوالى ٥٠ ألفاً من الفرنسيين ؟

مجلة « الاكتواليتيه روليجوز » تعد أكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا . ذكرت أن حوالى خمسين ألفاً من مختلف الأوساط الاجتماعية في فرنسا قد اعتنقوا الإسلام خلال السنوات القليلة الماضية ..

اضافت المجلة تقول : ينتمى هؤلاء الأشخاص إلى كافة الأوساط فمنهم مفكرون أمثال « ميشيل شود كيوثير » عالم الدراسات الصوفية وفنانون أيضاً وموظفون وعمال .

وأن هؤلاء اجتذبهم الإسلام ببساطته ، ولأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتصف به من إمكانية التوجه إلى الله دون وسيط ..

فهــرس العــدد

الافتتاحيــــة
« الجوار بعد ابى طالب »
د . على أحمد الخطيب ٨٣٣

الإسراء والمعراج
للشيخ عبد الحميد محمد على ندا ٨٤٠

رجال القراءات « الإمام عاصم بن ابى النجود »
للشيخ ابراهيم عطوة عوض ٨٥١

فصبر جميل
للأستاذ / محمد صابر البرديسى ٨٥٨

الرسول ينتزع المبادأة من يد اعدائه
اللواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٨٦١

الإسلام والالبانيون فى يوغسلافيا
للشيخ توفيق اسلام يحيى ٨٦٧

مفهومية الإسلام لدى الغرب
للأستاذ د . محمد إبراهيم الفيومى ٨٧٦

حفظ الله السودان
د . عبد الودود شلبى ٨٨٠

نحو تربية إسلامية صحيحة
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٨٨٦

الفتـــــاوى
إعداد عبد الحميد السيد شاهين
وعطية صقر ٨٩٢

الشعر والشعراء

اشراف د . حسن جاد

من وحى الإسراء والمعراج
شعر : محمود شاور ربيع ٩٠٠

فى موكب النور
شعر : رشاد محمد يوسف ٩٠١

جمر بقبضتى
شعر : أحمد محمود مبارك ٩٠٢

العلوم الكونية

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم
د . محمد جمال الدين الفندى ٩٠٤

لغة الحاسب الآلى
د . سعاد البيلى ٩٠٩

اوركسترات الحشرات
تأليف : د/ر. ف أشلى
ترجمة : د/ كارم السيد غنيم ٩١٣

من روائع مجلة الازهر
للأستاذ حسن منصور
اعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات ٩١٩

طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٢٤

من اعلام الأزهر
« الشيخ عبد السميع شبانة »
للأستاذ : محمد عبد السميع شبانة ٩٢٦

الربعى واراؤه النحوية
د . سعد منصور عرفة ٩٣٢

الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى
د . عبد المنعم عبد الله محمد ٩٣٦

الأدب المقارن
د . عبد الله محمد أبو هشة ٩٤٠

علية الجعار وديوان « غريب انت ياقلبى »
مصطفى عبد الشافى مصطفى ٩٤٤

القسم الانجليزى

المقالة الرابعة
للأستاذة فاطمة محمد سرى ٩٦٢

المقالة الثالثة
د . توفيق م . شاهين ٩٦٦

المقالة الثانية
للأستاذ سعد مصطفى مصطفى ٩٧٠

المقالة الأولى
د . / أنس مصطفى النجار ٩٧٤

56. The PROTECTOR Al Wallii الولى

His Love protects and safeguards those who believe in Him. He keeps watch over them and wards off evil befailing to them. He guides them to the haven of His Protection.

57. The LAUDABLE Al Hameed الحميد

All praise Him, Allah, Glory be to Him, lauded Himself from eternity, and His beings owe Him praise and to render it infinitely.

His Praiseworthiness is ascribed to His Attributes of Majesty, Sublimity and Perfection as acclaimed by His Believers and eulogists.

58. The RECKONER Al Mohsei المحصى

Whereas, His Knowledge is boundless, He recognizes the boundaries, extent and number of everything in the worlds, and encompasses them all in His Account.

59. The ORIGINATOR Al Mobdee المبدء

60. The RESTORER Al Moeed المعيد

He originated the worlds and their creatures.

He will restore everything to existence after their death. All began by Him, and to Him all shall return.

61. The LIFE-GIVER Al Mohei المحيى

62. The LIFE-TAKER Al Momeet المميت

He created life and death. He is The Life-Giver, and He is The Life-Taker.

63. The OMNISCIENT Al Haii الحى

He has the Infinite Powers of Perception and Ratiocination. Nothing is excluded from the Perspicacity of His Omniscience.

inherent Beauty, and He gives lavishly. This Designation combines the traits of Majesty, Bestowal and Bounty.

50. The RESURRECTER Al Baeith الباعث

On Doomsday, He will resurrect the dead who will resurge from their tombs and stand for final judgement.

The WITNESS Al Shaheed الشهيد

Allah, Glory be to Him, has fore-knowledge of events to come, and the knowledge of occurrences that happen. Prescience connotes omniscience with regard to the future; and witness implies having direct cognizance of the facts. The Name "All-knowing" designates His Absolute knowledge. If His Knowledge is related to subliminal or intangible things, then The Divine One is called "All-Cognizant". If The Knowledge is ascribed to evincible matters, He is called 'The Witness'.

52. The VERITY Al Haqq الحق

The contrast of verity is 'untruth'. The Absolute Truth is The Supreme Being, from Whom every "truth" derives its 'veracity'. His Existence is Germane and Eternal, His recognition and the belief in Him constitute The Truth which is of necessity infinite. All Verity is from the Sempiternal Divine One.

53. The CHAMPION Al Wakeel الوكيل

All beings relegated to Him their affairs. He is their Advocate, their Champion.

54. The ALL-POWERFULL Al Qawii القوى

55. The PUISSANT Al Mateen الميتن

He is All-Powerful because of His Absolute and Effective Capability. He is Puissant because of the Thoroughness and Strength of His Capability.

THE MOST MAGNIFICENT

NAME OF ALLAH

Callected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

46. The ALL-EMBRACING **AL Wasea** الواسع

His absolute knowledge, Charity and Blessings embrace all being within His Domain.

47. The ALL-WISE **Al Hakim** الحكيم

His Wisdom is Absolut

47. The BENEVOLENT **Al Wadood** الودود

He gives freely of His Bounty to all His creatures that they may prosper and enjoy their well-being. His Compassion enhances tender Pity that entails Mercy or Charity and the extension of aid or sparing to those who are in need and those who are not deserved. His Benevolence prevades all-over ab initio without supplication and without need for a cause.

49. The GLORIOUS **Al Meguid** المجيد

His Attributes and Dealings radiate the Glory of their

not repeat the unlawful earnings. Otherwise, the above is not applicable; Allah knows best.

The Fatwa Committee at Al-Azhar says: The Four Imams believe that money acquired through means unlawful in Islam can be spent in avenues resulting in the general welfare of the Muslim community, e.g., mosques, schools, orphanages, factories, etc., Imams ibn Taymeyah and ibn al-Kayem allowed spending such money on needy people. Allah knows best.

These Fatwas and opinions are based on the Holy Quran, the Sunnah, Books by the Four Imams as well as positions taken by the Prophet's companions and knowledgeable scholars.

Finally, Allah has separated Halal (lawful) from Haram (unlawful). The Prophet further explained the difference in detail. Imams and scholars have also clarified this matter. Thus, ignorance is no excuse for anyne. Whoever does not know should ask and those who know or read this should inform others. We have to follow the teachings of Allah in everything in our daily life. Allah will bless the Halal earnings even if it is little and will not bless the haram earnings no matter how large it may be.

Our life on earth is short and we will eventually have to face Allah, the All-knowing. There will be no way to hide our actions then. We will be rewarded for our good and punished for our bad deeds no matter how tiny they may be. Remember that the Prophet tells us "hellfire deserves anything that grows out of haram. We have to follow the same rules as the Prophet. "Eat of the things that Allah has provided for you, lawful and good; but fear Allah in whom ye believe." (Surat Al-Madia, V, 91); and, "O ye Apostles; enjoy all things good and pure, and work righteousness; for I am well acquainted with (all) that ye do." (Surat Al-Muminun, XXIII, 51).

May Allah guide us to the best way. May He show us the right path and help us follow it. May He show us falsehood and help us to avoid it. May He cleanse our souls and hearts and may He lead us to what He loves for us. Allah conveys the truth and guides to the right path.

who mistreat their parents, alcoholics, and those who publicly emphasize their own generosity.

The prophet also tells us that our feet will remnain tied on the day of judgement until we have been asked about four things: 1) our life and how we used it; 2) our youth and what we accomplished in it; 3) our money, from where we got it and how we spent it; 4) and our work; what we achieved in it. In another hadeeth, the Prophet, tells us "Allah has distributed manners as wella s earnings among us. He gives prosperity on earth to those whom He loves as well as to those whom He does not love. However, He only gives belief to those whom He loves. Those whom Allah has given piety in faith are the ones He loves. "I swear by Him who holds my soul in His hands (that) a person does not become a Muslim until his heart and his tongue become Muslim. A person does not believe until his neighbour is safe from his transgression. "Whatever a person spends from unlawful earnings will not be blessed by Allah. If he gives it as charity it will not be accepted from him. If he leaves it behind, it will be his fuel in hell. Allah forgives the bad through the good, and evil does not erase evil."

Now, what can one do if one already has such unlawful (haram) money ? According to scholars, if one wishes to repent, then one should first try to return that money to its original owner if such an owner can be determined. If the owner cannot be found, then the money has to be spent on projects for the general welfare of society, e.g., building bridges, defence, schools, hospitals. The money could also be donated to the poor, to refugees, disaster areas and similar channels. The person possessing any haram money is allowed to spend from it on his family only to the extent needed for basic survival, i.e., essential food and clothing, but not for conveniences.

The above mentiond opinion has been given by some Shafie scholars, including Imam al-Ghazali who quoted it from earlier scholars. Some of the scholars following ibn Hanbal's school of thought believe that is is possible to spend such haram money on mosques, however, the donor receives no reward because the money was obtained in a "haram" way. It is not allowed to waste such money or to throw it away, or to leave the interest to the bank in cases of savings accounts. Rather, such interest is better spent on the welfare of Muslim societies. Hopefully, the person making this unlawful money will repent and Allah will forgive him. That person then has to try to earn his living through lawful means. All the above is applicable if the person intends to repent and

lottoeries, races, cards, gambling, interest, betting, trading in alcoholic beverages and drugs, and similar activities.

It is our belief that all these ways of making money are unlawful (haram) in Islam and that they are among the major things forbidden by Allah, since they result in evil earning obtained without work and toil. Whoever willingly benefits from them and does not repent will bear responsibility of the action and intention.

A large number of Quranic citations and Ahadeeth show that such means of earning are haram, i.e. unacceptable to Allah and His Prophet, since they are shady and provide easy money for which no effort was exerted. "O ye who believe, intoxicants and gambling, (dedication) of stones and (divination by) arrows, are an abomination of Satan's handiwork: eschew such (abomination) that ye may prosper. Stan's plan is but to excite enmity and hatred between you with intoxicants and gambling, and hinder you from the remembrane of Allah, and from prayer; will ye not then abstain ? Obey Allah and obey the apostle, and beware (of evil). If ye do turn back, know ye that it is our apostle's duty to proclaim (the Message) in the clearest manner." (Surat Al-Maida, V, 93 - 95).

About Usury, Allah says in the Holv Quran: "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the evil one by his touch hath driven to madness. That is because they say: 'Trade is like usury', but Allah has permitted trade and forbidden usury.' (Surat Al-Baqara, II, 275).

Again: "O ye who believ ! Fear Allah and give up what remains of your demand for usury, if ye are indeed believers. If ye do it not, take notice of war from Allah and His Apostle; but if ye turn back, you shall have your capital sums. Deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjustly." (Surat Al-Baqara, II, 278 - 279).

Allah has forbidden gambling in all shapes, as well as dedication of stones to idols. All these are evils perpetrated by Satan. Those who practice and benefit from them are far from Allah's mercy and will not propser now or in the hereafter. They live disobeying Allah's orders and under His wrath.

In a hadeeth, the prophet tells us that Allah will not look at three types of people on the day of judgement: those

UNLAWFUL (HARAM)

EARNINGS IN ISLAM

By :

Dr. Tawfik M.Shahin, Ottawa, Canada

The religion of Islam honors the human being and encourages self-reliance and earning one's living through lawful (halal) means. The range of lawful earnings is very wide in Islamic law. The few ways of making a living which Allah has forbidden are evils that will eventually hurt whoever uses them.

Able-bodied people must work to maintain self-respect and for the well-being of the family and humanity at large. The effort exerted in making a living wipes off the person's sins, according to a tradition of the prophet Muhammad (P.B.U.H.)

Several ahadeeth and Quranic verses (suras) emphasize that Allah wants us to work, lawfully earn a living, and thus benefit ourselves and others. "It is He who has made the earth manageable for you, so traverse ye through its tracts and enjoy the sustenance which He furnishes: and unto Him is resurrection." (Surat Al-Mulk Lxvii, 15).

"So eat of the sustenance which Allah has provided for you, lawful and good; and be grateful for the favours of Allah if it is He whom ye serve." (Surat Al-Nahl, Xvi, 114).

The Prophet taught us that Allah likes a believer to be strong in his faith, his behaviour, his money, his knowledge, his body and all of his faculties. When the effort to earn a livng is made with the intention to please Allah, then these deeds will benefit the person both in the worldly life and in the Hereafter, and Allah will facilitate matters for that person.

Several brothers and sisters have asked about Allah's edicts on a number of unclear means of making money, e.g.,

chastity, spiritual ideals, social decency, justice, and purity in thought and action. Males and females in an Islamic community are required to realise such concepts and make the sincere efforts to live by such standards of morals. The struggle made by each individual to attain that elegance of character is considered worship, the struggle against the self "Jihad Al-Nafs".

Sexual purity and chastity are among the most fundamental social values, which according to Islamic thought should be maximally preserved and upheld. The preservation of such values entails understanding, belief, and an effort spent on the part of each individual and the society as whole to safeguard the quality of such social values against any act of degradation or devaluation. Sexual purity and chastity are the most dominant factors influencing the harmony and stability of family and society. They affect individual conduct, behaivour, temprement, idea of justice, honesty, fairplay, and in fact the whole spectrum of human action and thought in a million and one ways. According to Islamic teachings, sexual purity and chastity are considered as occupying a position of prime importance in the hierarchy of individual and social values. In Islamic understanding, such values cannot and should not be sacrificed for material gains, carnal existance, impulses of self desires and lust.

The preservation of sexual purity and chastity by both males and females should be an aim in life for which a real honest effort and struggle should be made. This struggle is in reality to attain a value of utmost importance for the integrity and preservation of the basic human element in mankind. It is in essence a struggle for self freedom of body and soul, the conservation of one's humanity as opposed to animality, the salvation of one's freedom against the servility of the self to the carnal bestial undisciplined desires of the body. In any truely civilized society that is free from the carnal domination of lust and lavishness; sexual activities are disciplined, controlled, legislated, declared, authorized and sanctioned in a precise system of matrimony and divorce. The real measure of assessment of human freedom, rights, family and social stability, civilization, and promotion of progress of mankind is the situation and conditions of man woman relationship, particularly those relationships dealing with sexual activities and the values governing them. These values should be upgraded, highly respected, comprehended, implemented through self descipline, social organization and individual commitment to upholding human values. The real true freedom of the generations is inherent in the preservation of sexual values and proper organization of the sexual behaviour of man and woman.

feminine dress should not be transparent, and should not pronounce the female body prominences. Again, man and woman are not permitted to remain alone except in the presence of a third party; this is to guard the sexual purity of both man and woman. Such restrictions and other similar ones are certainly justified if we consider that sexual purity and chastity are essential social values. Such restrictions prevent men and woman from falling into temptation and the drives of impulses of self desires leading to unwarranted conduct and behaviour that adulterate sexual purity. It is also preferred that the home should be the centre of female interest and activity, as daughter, and later as wife and that there should be no unnecessary intermingling of both sexes in daily life. If such, intermingling is necessary for certain social functions, it should be carried out with care and under regulated comprehended control and supervision.

In order to achieve and maintain such social organization, it is therefore necessary that Islamic teachings prescribe certain restrictive provisions on dress, personal temperaments of behaviour in gait, speech, and social mixing of males and females. Segregation of sexes is advocated to the utmost extent compatible with individual and collective self preservation. In the Muslim pattern of society, each sex has an independant sphere of activity within which all energy and functions should be utilized independent of the other, and integrating into the wholesome structural function of the society. Such restrictive provisions fundamentally aim at the preservation of the personal decorum and sexual purity of both male and female. The promiscuous mixing of males and females in educational institutes, industrial organizations, and social activities; as the situation is in current times, has resulted in several social diseases, marked sexual impurity and devaluation. These in their combination have proved detrimental to family and social stability, and have nullified the outcome of any possible benefits from such practices. Extra-domestic female activities must be selective, appropriate, and conforming with preservation of sexual purity. During times of emergency and other specific situations, Islamic teachings allow temporary relaxation of its provisions which should not be used except to an extent made absolutely necessary by the requirements of the situation. When such emergency ends, the normal restrictive provisions are again optimized. Even during such emergency conditions, Muslim male and female are requested to conduct themselves in accordance with Islamic understanding of decent behaviour. According to Islamic thought, the prime object of human existance is to live and act for the preservation and growth of moral values,

graded, fully realised and accepted by both man and woman, as the most cohesive partnership upon which depends the integrity of the whole structure of any society.

The divine doctrines of the Islamic Shariah institutes obligatory provisions and stipulations on man and woman in order to control and deter human impulses and the voracity of the self desires. These didatic requisitions will maintain the delicate balance of the individual's self expression and self repression, between freedom and social order, between uniformity and diversity between entropy and social organization. Without proper understanding of the real concepts of freedom and equality, the whole colossal structure of human society will succomb into a degenerative process. Freedom does not mean unrestricted liscense of all human expressions; but certainly involves wholesome natural restrictions to maintain the balance of equilibrium of social harmony. Similarly, equality does not mean total obliteration of the inborn natural differences between man and woman; but certainly involves the differences naturally imposed on each according to their respective position and function in society.

Islamic teachings concede that the family unit is the building brick of social structure. In order to achieve social order, certain provisions are prescribed on both man and woman in order to regulate and purify their sex life and relationship. These provisions differ according to age, sex, martial status, position and function in society. There is no doubt that sexual impurity and unchastity of either male or female is most pathogenic and detrimental to social structure and therefore to social tranquility and stability. It is lethal to the real essence of human freedom. In order to accomplish sexual purity, it is very necessary to maintain a modest behavior in public. In this respect, the Holy Quran states "Say to the believing men that they cast down their looks and guard their private parts; that is purer for them. Surely Allah is aware of what they do. And say to the believing women that they cast down their looks and guard their private parts and do not display their ornamentation except to their husbands ....(Surat Al-Nur, XXIV, 30-31).

Another provision common to both man and woman is the compulsory duty of keeping certain parts of their bodies covered and not to expose them except to their spouses. In the case of men, the part of the body that should be covered is from the knees to the navel. In case of women, all the body should be covered except the face, hands and feet. The

MAN AND WOMAN ISLAM
PARI III

By :
Saad Moustofa Moustafa, M.D.

In the previous two articles of this treatise "Man and Woman in Islam," several issues have emerged. The attainment of spiritual elevation, refinement of behaviour, honesty and candidness in conduct and mental aptitude. This should all be ultimately integrated into individual conduct. Such ascension of character of each individual will build up harmony of social interfaces and interactions between individuals and also among the various social groups and levels. This results in achieving and maintaining a totality of understanding of respect to individual rights as part of a supervening system of human rights,which prevails in all aspects of human life.

Within this arena of stabilized human relationship, the distinctions of differences, equalities and inequalities between man and woman must be fully understood cultured and respected. Man woman relationship must be looked upon and comprehended as complementary rather than competitive and opposingly wrestling for superiority. This relationship must be understood and taught as a conjugate relationship of combination and interassociation between the two fundamental human groups in society.

As has previously been stated, Islamic teachings recognise the basic specific individualities and differences between man and woman. Islamic doctrines advocate that each sex should conserve and comprehend these differences, respect them in honour, and uphold them in pride. Again Islamic Shariah preserves and confirms the distinction of the sexes and concedes specific functions and responsibilities of each sex. This differentiation must be promoted to maximum in order that each sex will function in the most effective capacity according to position in social structure. In marriage, sex differentiation must be optimum and highly

would kill from these renegades the same number killed from Muslims. Abu Bakre the Kahlifah of the Prophet, refused to compromise in a matter related directly to the integrity and structure of the Muslim faith. The Muslims from the various tribes came to Al-Madinah to give the akat, the first were Safwan and Al-Zuberqan from Bani Tamim, Adii ibn Hatem from Taii, and others. That was a portent of opulence.

Soon after, news came to Al-Madinah that the army of Ussamah ibn Zayd was returning home driving with it the spoils of the expedition. The army was met by Abu Bakre and the compansions at Al-Garf. Ussamah went straight to the Mosque, placed his banner of colours at the entrance, and prayed in thanks and hommage to Allah. Abu Bakre with his depth of wisdom and sagacity was not to allow his enemy to rest, and planned to go out after them once more. He instructed the army of Ussamah to rest at Al-Madinah, appointed Ussamah to act on his behalf at Al-Madinah, summoned the men with him from the start and marched out of Al-Madinah in combat formation. Abu Bakre refused all advices from the companions to appoint a man other than himself to command this assignment. He marched with his men till he reached Al-Rabathah at Al-Abraq beyond zi Al-Qassah. There he attacked the tribes of Abs, zubian, and Bani Bakre and defeated them till they evacuated their positions and Abu Bakre declared that the territory of Al-Abraq is the property of the Muslims with him.

The defeated tribes were still stubborn in their thinking and irrational in their reasoning. Instead of submitting back into the arena of Islam, they left their dwellings and joined the masses around Tulayhah ibn Khuwailid Al - Assadii, the impostor from Bani Asad at Bazakhah. Abu Bakre returned to Al-Madinah to challenge and defeat the surge of defiance and insurgent denial of faith that had stormed the Arab Peninsula after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

you is boiling with heresy and denial of faith, their delegates realised the fewness of your numbers; and you do not know when they shall descend upon you, for they are close to you. They hoped that we compromise in the Faith, a matter that was rejected; so get ready and prepare". Abu Bakre then summoned Ali ibn Abi Taleb, Zubair ibn Al-Awam, Talha ibn Ubaid-Allah, Abdullah ibn Massoud, and few others and instructed them to guard the entrances of Al-Madinah; and ordered everybody else to be ready with their fighting gear assembled in the Mosque.

Abu Bakre was right, and what had expected happened. After three nights, the tribes moved in to attack Al-Madinah under cover of darkness to enforce their conditions not to practice the zakat, thereby deleting an indispensible discipline in Islamic faith. Ali ibn Abi Taleb and the men with him felt the approach of the tribes to attack Al-Madinah and sent word to Abu Bakre. Abu Bakre replied instructing them to remain in position; and himself with those assembled at the Mosque went out to confront the raiding tribes. The raiding tribes were taken by surprise not expecting the quick response and agility of the Muslims. The tribes retreated followed by the Muslims till zi Hussa where the tribes had left some groups of men. These men witnessed the retreating tribes followed by the Muslims; they prepared bellows of skin and rolled them in the face of Muslim mounts. The camels were frightened by the skin bellows, scattered and raced back to Al-Madinah with the men mounted. The tribes seeing that spectacle, were very happy and considered themselves victorious, summoned the rest of their troops at zi Al-Qassa, and after deliberation decided to storm Al-Madinah the following day and dictate their terms on Abu Bakre.

Abu Bakre and the Muslims with him prepared themselves to attack again that very night. During the last hours of the night, Abu Bakre moved out of Al-Madinah at the head of all able bodied men; his right wing headed by Al-Numan ibn Muqrin his left wing headed by Abdullah ibn Muqrin, and his middle headed by Suwayd ibn Muqrin. By dawn, the Muslims had reached the tribes as they were asleep and played their swords in them. At sunrise, the men of the tribes were in utter distress and defeat running away for their lives. Abu Bakre followed them with his men till zi Al-Qassah which Abu Bakre occupied and appointed Al-Numan ibn Muqrin as head of the occupation force which he left there, and returned to Al-Madinah with the rest of the Muslim warriors. That was the first battle in the reign of Abu Bakre, a battle of victory and triumph; a battle by which Muslim certainly established their worth and their dignity. Abu Bakre pledged that he

→

←

zakat considered the situation as very favourable to dictate their terms. Now what was to be the decision of Abu Bakre. Would it be a struggle to champion and uphold the essentials of Islamic doctrines and constitutions; or would it be a compromise to allow concessions and accept the refusal of those tribes to pay the zakat, and thereby avoiding confrontation at these critical times when the fighting force of Muslims was away with Ussamah at the syrian borders. Abu Bakre consulted several of the leading companions including Omar ibn Al-Khattab and many others. The majority including Omar were of the opinion that a compromise with these tribes was the best policy; and that according to Islamic tradition no fighting should take place against anybody who declares that there is no God save Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah. The minority of the companions including Abu Bakre were of the opinion that rejecting the practice of zakat is breaching the essential wholesomeness of the Islamic doctrines and constitution. zakat is the right of wealth and zakat is akin to Salat (prayers). No athority is allowed to compromise in Divine decrees, and zakat is certianly a Divine decree specifically instituted in the Holy Quran, it should not be at any time subject to compromise, concession, or yield. The debate on the subject was very intense and lasted a long time; and Abu Bakre himself had to interfere and was of the opinion of the minority and stated his very renouned sentence "By Allah, if they refuse me as much as a camel's head leather they gave to the Prophet. I shall fight them for it". He then looked at the companions and said "The revelation has ended, and the articles of faith are completed, and they are not to be undermind or weakened in my lifetime. By Allah if all people abandon me, I shall confront them alone." The debate of the issue by the companions was in such detail that the reasoning of Abu Bakre and his ultimate decision to fight those who rejected the practice of zakat, was accepted by all to be correct, and deep in their hearts they realised it was the right decision.

The tribes of Abs, zubian and those who joined them from Bani Kenanah, Ghattafan, and Fazarah, sent legions of men to camp near Al-Madinah. These legions split in two, one camped at Al-Abraq in Al-Rabathah, and the other went to zi Al-Qassah the nearest place to Al-Madinah on the way to Najd. The leaders of these groups sent delegates to Al-Madinah to meet the companions and Abu Bakre; to consider allowing them to keep Islam in Salat (prayers), but not to practice zakat. The answer was a blunt refusal by the Khalifah of the Messenger of Allah, Abu Bakre Al-Siddiq and the companions. The delegates returned after having discovered that Al-Madinah was virtually defenceless. Abu Bakre realised that, summoned everybody at Al-Madinah and said "The earth around

ABU - BAKRE AL- SIDDIQ

« The first Triumph »

By :

Dr. Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

As the army of Ussamah ibn zayd moved north to the Syrian borders in compliance with the command of Abu Bakre and as decreed by the Prophet before his death; the Arab tribes all over the Arab Peninsula became refractory to the new authority of Abu-Bakre at Al-Madinah. Some of these tribes near Al-Madinah declared their total refusal to practice paying the zakat. These tribes acknowledged Islam as a basic faith - that there was no God save Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah. However, they interdicted the practice of zakat on the allegation that no authority can take their money after the death of the Prophet. These tribes mainly of Abs and zubian certainly had no proper understanding of the elements of Islamic law; they believed that paying zakat was an imposition upon them dictated by the authority at Al-Madinah. They practiced that to the Prophet, but they certainly would not accept that practice with any other authority. Other tribes distant from Al-Madinah rejected Islam completely and renounced their belief in Allah and His Messenger, disavowed the Revelation of the Holy Quran and followed impostors who allegedly claimed prophethood. Such tribes were Bani Hanifah, Bani Asad, Bani Sulaym, and Ghattafan, who followed impostors like Mussaylamah and Tulayhah. The whole Arab peninsula was in mutiny and defiance to Abu Bakre and the Muslims at Al-Madinah. Only Quraysh at Macca and Thaqif at Al-Taif remained true to the Muslim faith and to the authority granted to Abu Bakre as the proclaimed successor of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The departure of the Muslim army under Ussamah, left Abu Bakre and the Muslim community at Al-Madinah in a very critical situation. The tribes who refused the practice of

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part VII

Rajab, 1408, Hijrah

CONTENTS

1) Abu-Bakre Al-Siddiq.
"The First Triumph".
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2) Man and Woman in Islam
Part III
By: Saad Moustafa Moustafa.

3) Unlawful (Haram) Earnings in Islam.
By: Tawfik M. Shahin.

4) The Most Magnificent Names of Allah.
Collected and Arranged by: Fatimah Muhammad Sirry.

This English Section is supervised and edited by Dr. Anas Moustafa El Naggar.

Prepartion of tne Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الثامن *
* السنة الستون *
* شعبان ١٤٠٨ هـ *
* ابريل ١٩٨٨ *

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المؤتمر

هو المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية إحدى الهيئات الرئيسية للأزهر الشريف، .

« ومجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية التى تقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى فى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

←

والمجمع ـ بهذا الوصف الذى حدده قانون إنشائه[1] ـ مسئول عن أحوال المسلمين فيما يلم بهم من شئون دينية ، وما يعترضهم من « جديد » يتطلب حكماً تطمئن إليه نفوسهم في مختلف المشاكل : مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية .

وهو ـ بهذا الوصف أيضاً ـ قائم على جمع كلمة المسلمين وتعميق وحدتهم لا يفرق ـ فى ذلك ـ بين مختلف هيئاتهم ، وأجناسهم ، فهو قلبهم النابض ، وضَوْءُهم إذا حلكت المشاكل ، أو جدت المشكلات فهو الأزهر فى هيئة علمائه المختارين علماً وتقى . والأزهر ـ بهذا الوصف ـ ظل يعمل للمسلمين منذ كان ، وارتباطه بالمسلمين ، وإحساسه بأوضاعهم قائم غير مفصول ؛ فرسالته العلمية لم تحل بينه وبين ما يتطلع إليه من إصلاح للمجتمع الإسلامى كله ، وفى ذلك يقول الإمام المراغى رحمه الله :

« إن لدى الأمة قضايا كثيرة معقدة في حاجة إلى الدرس والبحث ، فى مقدمتها :

١ ـ قضية الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله[2] وأعمال الراشدين .
٢ ـ قضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب وأخرجته العقول .
٣ ـ حماية الدين من العدوان والدعوة إليه كأمر الله .
٤ ـ قضية نظام الأمم الإسلامية ، وارتباط بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر .
٥ ـ قضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمورهم بحيث تخفف عنهم أعباء الحياة .
٦ ـ مقومات الأمم الإسلامية التى يجب أن يحافظ عليها »

ومن فضل الله ـ عز وجل ـ على هذا الأزهر الشريف ـ من قبل ومن بعد ـ أنه لا يوجد ناطق بالعربية ، أين كان إلا وللأزهر فضله المباشر عليه في النطق بها مُسْلِماً كان أم غيره .

** ** **

ثم هذا المؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية يدرس فى دورته هذه مسائل لها أهميتها الخاصة ، بعد أن اتسعت ـ والحمد لله ـ الجهات العاملة من أجل الإسلام : دعوة ومادة وبورك في الكثير منها ، فاحتضنته حكومات أولته اهتماماً خاصاً ، وزودته بالإمكانات المادية ، وتولت العمل على نشر الدعوة فى مشرق الأرض ومغاربها ، وأقام بعضها « جامعاتٍ إسلامية » اختصت بتدريس علوم العربية والدين لأبناء المسلمين من مختلف أنحاء العالم ، ووضعت لذلك أموالاً تساعد أولئك الطلبة على القيام بطلب العلم دون عناء الحاجة ، وافتتح بعضها مراكز إسلامية انتشرت فى العالم من أقصاه إلى أقصاه ..

---

(١) راجع قانون ١٠٣/ ١٩٦١ .

(٢) سجل الإمام المراغى ـ رحمه الله ـ مطالبة الأزهر للحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسمياً بسجلات قصر عابدين .

كل ذلك جعل أمام المؤتمر الموضوعات الرئيسية التالية :

١ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة والتكامل بين نشاطى الدعوة والإغاثة .

٣ ـ قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

٤ ـ الأقليات الإسلامية ومسئولية المسلمين تجاهها .

٥ ـ القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

ومما لا شك فيه أن هذه قضايا العصر بالنسبة للمسلمين ، وان واجب المؤتمر ليحتم عليه أن يجعل الدعاة على منهج واحد تتضافر له الجهود فيثمر النجاح الى الهدف ، ويمنع التكرار والتضارب ويساعد المسلمين ، وبخاصة ـ الذين يعيشون منهم فى المجتمعات الغربية ـ على الحياة فى غير حرج ولا ضيق ، ويجنبونهم الوقوع في فتن المقتحمين ميدان الدعوة من غير أهلها ، مما أوجد أحكاماً يبرأ منها الإسلام أذيعت بـ « توسان » من ولاية « أريزونا » منها على سبيل المثال : إن تَؤُمَّ المرأةُ الرجال ، وأن تصلى « وقت الطمث » .. الخ .

وتلك الكارثة إحدى نتائج إنكار السنة الشريفة ، وسيليها الكثير إن لم نتدارك الأمر .

ومجمع البحوث الإسلامية حريص ـ دائماً ـ على إصدار كتاب عن كل مؤتمر يجمع بين دفتيه البحوث التى نوقشت فى الدورة ، وله ـ فى هذا الجانب ـ مجلدات زاخرة بمختلف البحوث القيمة التى تعتبر مرجعاً فذا فريداً في دراسة المشكلات المختلفة في هذا العصر ، وإثارة ما لها من جوانب متعددة وتحديد الواجب الفقهى نحوها ؛ فضلاً عما أصدره المجمع من بحوث مفردة فى مختلف العلوم الإسلامية ..

« ومجلة الأزهر » بحكم حجمها لا تحرم قراءها من هذه البحوث جملة ، ولا تكلهم إلى كتاب الدورة ، لاسيما ، ولهم شغفهم للإحاطة بما دار في أروقة المؤتمر .

من أجل ذلك قامت هيئة تحرير المجلة بتقديم نماذج تلقى أضواء على أركان البحوث المختلفة ونظراً لحجمها ـ كما قلنا : قدمنا هذه البحوث خلال عملين :

أ ـ تلخيص للبحث إن لم يكن فى حدود مقال .

ب ـ ثم اختيار نص كامل منه .

ونامل ان نتمكن من نشر بعض هذه البحوث كاملاً مع اعداد مقبلة وفى الصفحات التالية يستطيع القارىء أن يتابع أعمال المؤتمر خطوة خطوة . وعلى الله قصد السبيل .

د. علي أحمد الخطيب

مع أعضاء المؤتمر

عملت لجان فنية عدة بمجمع البحوث الإسلامية - على استقبال ضيوف المؤتمر الذين قصدوا القاهرة للاشتراك فيه ، فصحبتهم من مطار القاهرة حتى أماكن إقامتهم موفرة لهم ما ييسر عليهم أداء مهمتهم .

وأشرفت الأمانة الفنية للمجمع بإعداد البحوث ، كما قامت لجان أخرى بالتحضير بقاعة المؤتمر الذى عقدت جلساته بقاعة : « صالح بن عبد الله » الملحقة بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

بلغ عدد أعضاء المؤتمر مائتين وخمسة عشر عضواً ممثلين لمسلمى آسيا وأفريقيا وأوروبا والأمريكتين[1] .

وكان أول اجتماع لهم ظهر الجمعة من يوم ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨/٣/٤ م ، وذلك لأداء صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف ، وقد استقبلهم فضيلة الإمام الأكبر وكبار رجال الأزهر ، وحضر لأداء الصلاة الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء والسيد اللواء يوسف صبرى أبو طالب محافظ القاهرة .

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بالخطبة والصلاة .

● ● ●

---

(١) بلدان آسيا الممثلة فى المؤتمر :

اليابان - أندونسيا - باكستان - أفغانستان - بنجلاديش - بورما - تايلاند - سنغافورة - سيرلانكا - الفلبين - الصين - ماليزيا - الهند - بورناى - كورباج - المالديف - لاوس هاندى - الإمارات العربية - البحرين - سلطنة عمان - العراق - قطر - الكويت - لبنان - الأردن - فلسطين - اليمن الشمالية - السعودية - تركيا .

أوربـــا : أسبانيا - ألمانيا الاتحادية - النمسا - هولاندا - يوغوسلافيا - اليونان - بلغاريا - رومانيا - بريطانيا - فرنسا - قبرص - بلجيكا .

أفريقيـــا : المغرب - الجزائر - السودان - تونس - موريتانيا - جيبوتى - بنين - بورندى - تانزانيا - زنزبار - زمبابوى - ساحل العاج - السنغال - غانا - كينيا - مالى - مدغشقر - جزر القمر - سيراليون - غينيا - الكاميرون - رواندا كيجالى - غينيا بيساو - أوغندا - فولتا العليا - الجابون - زائير - ليبيريا - جنوب أفريقيا - توجو - الكونغو .

القارة الأمريكية : البرازيل - كندا - الارجنتين - الولايات المتحدة .

خطبة الجمعة

خطة الإخاء الإسلامي

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر)

الحمد لله خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأنزل القرآن محكم الآيات ، واضح الدلالات . ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ واشهد ان لا إله إلا الله وحده الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

واشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، ختم به الرسالات ، وأتم به الحجة على الناس اجمعين .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم رسلك وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

امـا بعــد

فقد قال الله سبحانه فى كتابه الكريم :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

هذه الآية من سورة الأنعام ختام الوصايا العشر التى بدأت بآيتين قبلها ومعناها والله أعلم :

ياأيها النبي قل للناس جميعاً : إن هذا القرآن الذى أدعوكم إليه ، وأدعوكم به إلى ما يحييكم ، هو صراط الله المستقيم ، وهو منهاجى الذى أسلكه إلى مرضاة الله ، لا يضل سالكه ، ولا يهتدى تاركه .

فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق الباطلة والفرق المضلة التى نهاكم الله عنها فتصيروا شيعا وأحزابا ، وتبتعدوا بهذا عن صراط الله المستقيم الذى وصاكم باتباعه ، ونهاكم عن سبل الضلالات والأباطيل ليبعدكم عن كل ما يُشقى ويُردى فى الدين والدنيا .

أخرج الإمام أحمد والنسائى وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال :

[خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيلٌ إلا وعليه شيطانٌ يدعو إليه ، ثم قرأ ابن مسعود هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ . . . . . . ﴾]

ولقد جعل الله تعالى الصراط المستقيم واحداً ، والسبل المخالفة متعددة ؛ لأن الحق واحد والباطل كثير .

وإذا كان فى اتباع الطريق المستقيم وعدم الانحراف عنه جمع للكلمة وعز لأهله بالحق ، فإن في البعد عنه والتفرق عليه-الضعف والهوان والذل وضياع الحقوق .

إن هذه الآية من سورة الأنعام جاءت تالية لآيتين قبلها تحملُ عشر وصايا قال عنها عبد الله بن مسعود : (من سره أن ينظر إلى وصية محمد التى عليها خاتَمُهُ فليقرأْ هذه الآيات :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

أين نحن ـ المسلمين ـ اليوم من هذه الوصايا الواردة في هذه الآيات ؟ والتى تتلى علينا صباح مساء ؟

هل عرضنا عليها ما نحن فيه من تفرق فى الآراء والأحكام ، وتمزق في الصِّلاتِ والعلاقات ، وتباغض وتقاتل ومجافاة لأحكام الله ، وأهواء متبعة حادت بنا عن صراط الله المستقيم ؟

وكأن قول الله فى نفس السورة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

كأن هذه الآية تصف ما آل إليه حال المسلمين في هذا العصر؛فقد فرقوا الدين الواحد بعقائد ابتدعوها ، وشرائع باطلة وضعوها ما كتبها الله عليهم،وما أنزل بها من سلطان .

مع أن الله سبحانه علمنا أن نطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم فى فاتحة كتابه التى فرض علينا قراءتها فى كل ركعة من الصلوات المكتوبة فى كل يوم .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

إن تفرق المسلمين فى دينهم وقعودهم عن توحيد كلمتهم ، وما تبع ذلك من ضعف يعود إلى أسباب كثيرة أهمها :

— حبُ السلطة والتنازع عليها .

— تسلط العصبية النسبية والعرقية .

— العصبية المذهبية فى الأصول والفروع .

— الفتوى والقول فى دين الله بغير علم .

— دسائس أعداء الأمة الإسلامية وكيدهم للمسلمين ، وسرعة تأثيرها فى عصر سهلت فيه وسائل المواصلات والاتصالات .

إن الإسلام ليس ديناً قومياً أى خاصاً بقوم دون قوم ؛ وليس ديناً تاريخياً أى خاصاً بزمن محدد ، وإنما الإسلام دين الله الذى ختم به الأديان ، وتمم به الرسالات ، فرضه على الناس كافة منذ بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة ، أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض . ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .

إذا كان من العزائم المؤدية إلى الطريق المستقيم **الأُخوةُ في الإسلام** ، كان حتماً على المسلمين أن يعودوا إلى هذه الأُخوّة فينموا علائقها،ويُقوُّوا أواصراها حتى يتم الله نعمته عليهم ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التى أحاطت بهم .

إن الأخوة فى الإسلام تفوق كلَّ الأحلاف والمعاهدات ، بل(وتتفوق)على أُخوة الدم ، ومن ثم قال الله عن المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ حيث إن الرابطة التى تجمع بينهم حبُ الله ورسوله .

وهذا المعنى الأخوى هو الذى وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينه وبين أبى بكر الصديق من محبة خالصة مبناها عقيدة الإسلام .

فقد روى البخارى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أَمَنّ الناس على فى

←

صحبته وماله أبا بكر . ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أُخُوَّةُ الإسلام » وفى رواية للإمام أحمد « ولكن وُدٌّ وإخاءُ وإيمان » .

لا شيء يعدل أخوة الإسلام فى تثبيت أواصر المودة والمحبة ، شاء الله أن يجعل بين المسلمين أُخوة عقيدة إيمانية لا تنفصم عراها ؛ بل إن هذه الأخوة يستمر أثرها إلى ما بعد الموت يوم يقوم الناس لرب العالمين فى الدار الآخرة .

ذلك ما يشير إليه قول الله سبحانه : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

وقوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

ولقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين فى مكة قبل الهجرة ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة حيث قال لهم : « تآخَوْا فى الله أخوين أخوين » وتمَّ ذلك حتى أيقنوا أن الواحد منهم سيرثُ أخاه فى تركته كما يرث أخاه فى الدم والنسب إلى أن نزل قول الله سبحانه ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ فعلموا أن الميراث بقرابة الدم دون هذه المؤاخاة .

إن الإسلام أكد على استمرار الأخوة بين المؤمنين حتى لو نشب بينهم قتال ، فلا تزول هذه الأخوة إلا بالردة عن الإسلام والعياذ بالله .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

حيث لم ينف الله سبحانه ـ فى هاتين الآيتين ـ عن المتقاتلين من المؤمنين صفة الإيمان ، على الرغم من أن فى القتال سفك الدماء، وأن كل فريق كان حريصاً على قتل خصمه .

كما أن القتل الحاصل بين بعض أفراد المؤمنين لم يرفع عنهم هذه الصفة أيضاً . ذلك قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى . . . . ﴾ .

وفى هذا توجيه للمؤمنين بضرورة الإبقاء على هذه الصفة الإيمانية التى اجتمعوا عليها ، وإلا يُفسد عليهم ـ أىُّ أمر مهما كان شأنه ـ أخوتهم فى العقيدة .

إن للأخوة فى الإسلام غايات ومقاصد مجملها : **الحب فى الله والبغض فى الله** ، وهذا داخل فى شمول أمر الله باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ولقد عده الله من النعم التى أنعم بها على المسلمين الأولين فقال :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

ومن أسمى درجات الأخوة فى الإسلام **الإيثار** : وهو من باب الفضل وفوق العدل ، وفى أعلى مراتب التعاون ، لأن التعاون يكون بتبادل العون مع الآخرين ، أما الإيثارُ فإنه رتبة تعلو عليه ، حيث يقدم الإنسانُ غيرَه على نفسه وذويه مع حاجته ، ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، كما قال الله مادحا الأنصار ومكرما لهم : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . وكما قال فى وصف الأبرار : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ .

ومن غايات الأخوة فى الإسلام : التعاون بين المسلمين كثمرة من ثمرات الحب فى الله ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

ومن هذه المقاصد والغايات : **التراحم بين المسلمين** . والرحمة اشتق منها اسمان من أسماء الله [**الرحمن ـ الرحيم**] وَوَصَفَ القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة فى قوله : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وجعلها الله من أوصاف المؤمنين فقال : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ والتواصى بالمرحمة إنما يصدر من الرحماء فيما بينهم .

ومن تلك المقاصد : التناصح في الله لصالح الفرد والجماعة .

روى الإمام مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

ومعناه صحة الاعتقاد في وحدانية الله والإخلاص فى العبادة ، والتصديق بكتاب الله والعمل بما فيه ، والتصديق بنبوة الرسول والانقياد لما أمر به والابتعاد عما نهى عنه ، وطاعة أئمة المسلمين في الحق ونصحهم عند الحاجة لذلك ، وإرشاد عامة المسلمين إلى معالمهم بما يعود بالخير عليهم دون خديعة أو غش .

والتناصح بهذا يدخل في مفهوم التعاون ، كما يدخل فى مفهوم الشورى .

ومن مقاصد الأخوة الإسلامية : التناصر بين المسلمين ، وقد أشار إلى هذا ، الحديث الشريف الذى رواه البخارى :

« المسلم أخو المسلم ، لا يسلمه ولا يظلمه ، والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

←

ولا شك أن تباعد المسلم عن أخيه المسلم وهجرانه وخذلانه فى موطن يستحق فيه نصرته ظلم عظيم ، كما أن التطاول والسخرية من المسلم ظلم أى ظلم .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

ومن التناصر منعُ المسلم من الظلم ، ذلك ما يشير إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا يا رسول الله : ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : أن تأخذوا بيده عن المظالم فذلك نصره » .

وهذا كما يُطلبُ فى نصرة الفرد ومنعه من الظلم ، يطلب حيال جماعة أو دولة ، ذلك لأن التهاون فى الأخذ على يد الظالم ـ أيا كان فرداً أو جماعةً أو دولة ـ يعود ضرره وخطره على الجميع .

ذلك ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

ومن مقاصد الأُخوة بين المؤمنين : التكافل . وهذا المقصد إنما يبرز بصورة جلية عند الحاجة كوقوع الكوارث والأزمات وعندها يعرف المجتمع المتماسك من غيره ، وأيهما أهدى سبيلا .

وتكافل المسلمين في الملمات أمرٌ حث عليه الإسلام حتى يعيش أفراد الأمة فى أمان واطمئنان ، ومن هنا وجب على المسلمين النظر إلى نوازل الجفاف والمجاعات التى حاقت بإخوة لنا منذ سنين وما تزال تلم بهم هذه المكاره ، ووجب العمل على رفع الضر عنهم ، ليس بالإمدادات العاجلة فقط ، وإنما ـ مع ذلك ـ بتيسير أسباب الارتزاق وإعانتهم على الخروج من هذه العُسرة ، والسير على طريق الرخاء .

تلك خطة إلى توثيق الإخاء الإسلامى ، وهدايات إلى الصراط المستقيم الذى دعا الله أمة الإسلام إلى اتباعه ؛

فكونوا عباد الله إخوانا يُصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ويُجِرْكُم من كربات الدنيا والآخرة .

وهذا ما يرشدنا إليه الحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا هذا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوا جميعاً »

حفل افتتاح المؤتمر

صباح السبت ١٦ من رجب ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨/٣/٥ م

بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر بحى الأزهر كان حفل افتتاح المؤتمر الذى حضره السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

غصت قاعة الإمام بالأعضاء ضيوف المؤتمر وكبار رجال الأزهر والوزراء وأعضاء من مجمع البحوث الإسلامية والعاملين فيه ، كما حضره لفيف من ابناء جامعة الأزهر وبناته وطلبة المعهد الأزهرى بشبرا .

افتتح الحفل فضيلة الشيخ محمد بركات من الأمانة الفنية بجامعة الأزهر ـ بتلاوة طيبة لآى من الذكر الحكيم من سورة الصف .

ثم قدم للحفل فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر ، وقال في مستهل تقديمه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فبعون الله وتوفيقه وحوله وطوله ينعقد المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية على أرض « الكنانة » مصر ، ومصر هى قلب العروبة وحصن الإسلام وفى رحاب أزهرها الشريف ، والأزهر ثروة مجد ضخمة للأمة العربية والإسلامية على السواء . من رفع مآذنه رفعه الله وأيده ونصره وحفظه من كل سوء وبارك فيه :

ثم قام فضيلته بتقديمهم واحداً واحداً حسب الترتيب التالى :

فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

ففضيلة الأستاذ الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

فسيادة المشير عبد الرحمن محمد سوار الذهب .. ممثل الوفود .

ففضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

فالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

وإلى القارىء الكلمات حسب الترتيب .....

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الفتاح الشيخ
رئيس جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين ..

السيد رئيس الجمهورية ...

فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر ..

السيد الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء ..

السادة الوزراء ....

السادة العلماء أئمة الهدى

رؤساء واعضاء الوفود ...

السادة الأعزاء .....

ابنائى ، وبناتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

فبالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن زملائى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر والعاملين بالجامعة والطلاب أرحب بتشريف السيد رئيس الجمهورية لحفلنا الكريم وحرصه الشديد - رغم أعبائه الجسام - على الحضور وحرصه الأشد على إنجاح المؤتمر أرحب به قائداً إسلامياً .. مخلصاً يتحمل فى سبيل الدعوة و إعلاء شأنها ما لا يتحمله بشر .

أرحب بكم فى جوار الأزهر ورحابه ...

أرحب بكم فى جامعته بين علمائه وطلابه ...

أرحب بكم فى قاعة الإمام محمد عبده صاحب الدعوة لتجديد شبابه ...

أرحب بكم قادة للفكر فى عالمنا الصاخب الذى طغى فيه رنين المادة .. وسيطر عليه جنون الرغبة .. وضاعت من آفاقه طمأنينة النفس .. وسماحة الروح ....

وإنها لمناسبة طيبة أن نلتقى بزعماء المسلمين فى أرجاء الدنيا لنتدارس خططنا .. ونتبين أهدافنا .. ونرسم على الطريق السليم خطواتنا .. فى نطاق مؤتمرنا عن الدعوة .. الذى آمل أن ينبض بأحاسيس رجل الشارع ..

ويعبر عن مشاعر المسلمين وطموحاتهم .. وما يضعونه من آمال كبار فيكم .. بعد أن تاهت بهم الطرق .. وحارت بهم الأفكار .. وشخصت منهم الأبصار .. فصاروا يتساءلون :

أين نحن من الدنيا والدين : لم ننل هذه ولم نبلغ ذاك ... وأخشى أن يطول بهم الموقف فيأخذهم الطوفان ..

وإن كنت أتكلم .. فإنما أعبر عن تجربتى مع الشباب وتساؤلاته بحكم موقعى منهم والتى أضع خلاصتها بين أيديكم .. لتسدوا ثغرات تكاثرت فصارت فراغاً يعيشه المجتمع المسلم بصفة عامة والشباب المسلم بصفة خاصة ..

تساؤلات تتطلب منكم برامج تدعو إلى :
الدعوة إلى التوحيد الخالص والعبادة الصحيحة ...

الدعوة إلى تيسير المبادىء الإسلامية لتخرج إلى الناس سهلة سائغة ..

الدعوة إلى تنقية التراث الإسلامى مما علق به من أوهام وأباطيل ..

الدعوة إلى تأمين الفكر الإسلامى ضد المفاهيم الدخيلة المدمرة ....

الدعوة إلى مشاركة جادة فى بحث قضية الثقافة فى مجتمعنا الإسلامى وقد تاهت بين قديم وحديث ...

الدعوة إلى إنقاذ الشباب من تمزقه بين يمينية مفرطة لا يقرها الشرع ويسارية ملحدة تلعنها تعاليم السماء ...

الدعوة إلى تعميق معانى الجهاد فى سبيل الله ذودا عن الأرض والمقدسات ..

الدعوة إلى تحكيم كتاب الله فيما شجر بين المسلمين من خصومات جعلت الأخ يقاتل أخاه فأهدرت طاقات المسلمين لصالح أعداء الإسلام فى غيبة من الإدراك السليم لمصلحة أبناء الإسلام .. حيث علينا كقادة للفكر الإسلامى أن نكون قدوة للشباب فننطق بكلمة الحق فى وجه من تأخذه العزة بالإثم منادين بتطبيق قول الحق ..

﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾
هذه هى الدعوة الحقة ...

إعلاء لكلمة الله .. بالعمل بكتاب الله .. لصالح عباد الله ..

فرسالتنا هى دعوة السماء ... دعوة الرسل والأنبياء ... وأنتم كما قال الرسول الكريم ورثة الأنبياء ..

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . . .

. . . . .

السيد رئيس الجمهورية ....

وإن تكن لى كلمة أخيرة فإنما أوجهها لكم ، ..... كلمة تقدير وعرفان بجهودكم وجهود حكومتكم لعزة الإسلام وإعلاء كلمته باعتزازكم بالأزهر وجامعته وهيئاته ليفيض من خيره وحكمته وعلمه على مصرنا العزيزة وعلى وطننا الإسلامى الكبير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الفتاح عبد الله بركة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
والأمين العام للمؤتمر

الحمد لله الذى أنزل الكتاب ، دعوة قائمة ، ورسالة دائمة ، وحجة دامغة ، وحكمة بالغة ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد .

اللهم صل وسلم أكمل صلاة وأتم سلام على سيدنا محمد ، من أرسلته شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

أيها السادة الأماجد والأخوة الأفاضل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ينعقد مؤتمركم هذا العام وما يزال إخوتنا من أهل الإيمان فى بلاد الأفغان الحبيبة يجاهدون من أجل استنقاذ شخصيتهم الدينية ، واستبقاء هويتهم الإسلامية ، والمحافظة على الأرض والعرض ، وسلامة الأمة والوطن ، فى مواجهة دولة من أعتى الدول قوة وشكيمة ، وأكثرها عنفا وصرامة ، وقد أثبتوا بجهادهم وبطولاتهم أن معجزة الإسلام حية تتجدد ، وجذوته متوهجة لا تخمد ، كما أثبتوا أن معارك الشرف والفداء لابد أن تنتهى بإحدى الحسنيين بغير ثالثة ، وقد فاز الشهداء بواحدة ، وأشرف الباقون أن يفوزوا بالأخرى ، وما يزال أخوتنا من أهل الإيمان على أرض فلسطين العزيزة يثبتون للعالم أجمع بكفاحهم وثباتهم ، وصبرهم وصمودهم فى مواجهة أقسى الغاصبين قلوبا ، وأكثرهم وحشية وهمجية ، أن قضية فلسطين حية لا تموت ، وأن شعب فلسطين لا ينسى مع تعاقب الأجيال دينَهُ وأرضه ، وأنه مصمم مهما يطل الزمن على استرداد أرضه ووطنه حرا كريما ، ومايزال آخرون يعملون ويجاهدون ، ويقدمون الفداء والتضحيات

الكريمة الغالية فى بلدان كثيرة أخرى على امتداد الرقعة الاسلامية ، واذا كنا ننظر بعين الاعتزاز والفخر إلى تلك المعارك الشريفة فإننا ننظر بعين الأسف والأسى إلى تلك المعركة الحمقاء التى تدور رحاها ، ويشتعل أوارها ، بين شعبين جارين ، هما العراق وإيران : المعركة التى تدمى قلوب المسلمين ، وتجرح صدور المؤمنين ، بغير مشكلة أساسية ، أو قضية حقيقية ، ونرجو ونلحف فى الرجاء أن تنتهى هذه المأساة اليوم قبل الغد : وكفانا ما نجده من الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ، وتثلج صدورهم هذه الصغائر •

والأزهر الشريف فى هذا المؤتمر يستقبلكم — كعهدكم به — متطلعا إلى لقائكم • مرحبا بقدومكم : لتلتقوا فى رحابه لقاء الاخوة الأحباب ، والعلماء الأنجاب ، مقدما لكم أخلص تحية ، وممهدا لكم أسباب التواصل والتعارف ، والمحبة والتآلف ، والتعاون والتكاتف ، ولتقبلوا عليه — كعهده بكم — فتقدموا زبدة أفكاركم ، وتشاركوه حصياة أنظاركم ، وتعرضوا عليه آراءكم العلمية : النظرية والعملية ، وتبذلوا النصيحة خالصة لله ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم •

ولقد تعلمون فيما تعلمون أن الأزهر يضع قرارات مؤتمراتكم هذه وما تصدرونه فيها من توصيات محل الاعتبار الأول ، وذلك فى حدود طاقاته وإمكاناته ، وما تقع عليه مسئولية تنفيذه وتحقيقه منها ، من ذلك:

ما رأيتموه فى دورتكم الثانية ، من الإسراع فى تحديد الوسائل العملية لنشر الإسلام ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول ، على كافة المستويات •

ويقوم الأزهر فى مجال التعليم بإيفاد البعوث من الأساتذة الذين يقومون بالتدريس والوعظ ، ونشر الثقافة الإسلامية ، واللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولقد بلغت أعداد بعثاته فى هذا السبيل أكثر مما تحتمل موارده وأعباء موازنته المالية ، كما يستقبل فى كل عام أعدادا من الطلبة الوافدين الذين يقصدونه طلبا للعلم ، واستزادة منه ، ليعودوا إلى قومهم أئمة هداة ، اتباعا لقول الله « **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » — التوبة آية ١٢٢ — •

ويقوم فى مجال التأليف والنشر ، بإصدار مجلة الأزهر شهريا ، وهى تعالج موضوعات شتى ، بأسلوب رصين ، ومناهج علمية ، ويصدر سلسلة من الكتب الشهرية ، يعالج كل منها قضية تمس حياة المسلمين ومشاكل المجتمعات الإسلامية ، وتناقش مختلف القضايا ، وأنواع التيارات الفكرية والعقائدية التى تموج بها الساحة المحلية والعالمية ، وقد

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

صدر من هذه السلسلة حتى الآن نحو مائة وعشرين عددا •

كما فوضتم فى دورتكم الثانية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى تأليف اللجان العلمية التى يوكل إليها بحث ما يتعلق بالإسلام والدعوة إليه ، وقد قامت هذه اللجان وقدمت الكثير من البحوث العلمية فى دورات مؤتمركم ، مما كان حيا فى موضوعه ، ومرجعا فى مادته وأحكامه ، وما تزال هذه اللجان قائمة تعمل ، منها:لجنة علوم القرآن ، ولجنة علوم السنة ، ولجنة العقيدة والفلسفة،ولجنة التعريف بالاسلام ، ولجنة البحوث الفقهية ، ولجنة القدس والجهاد ، ولجنة إحياء التراث ، إلى غير ذلك من اللجان •

كما أوصت دورتكم الرابعة بأن يعهد إلى جماعة من العلماء فى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم فى أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول إلى معانيه ، وقد قام المجمع بالعمل على تنفيذ هذه التوصية وأصدر من هذا التفسير اثنين وأربعين حزبا من أحزاب القرآن الكريم ، ويوجد تحت الطبع عشرة أحزاب أخرى •

وفى دورتكم الرابعة كذلك أوصيتم بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ،لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى قوانين بلادها ، وقد استجاب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وتم تكوين لجان لتقنين الشريعة على المذاهب الأربعة ، تمهيدا لوضع تقنين موحد بعد ذلك ، يجمع ويرجح ، ويأخذ بما فيه الأيسر والأنفع للعصر والبيئة ، وقد تم هذا التقنين بالنسبة للمذهب المالكى ، وبالنسبة للمذهب الحنبلى ، وسيتم قريبا بالنسبة للمذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى •

واستجابة لرغباتكم فى العمل على إحياء التراث الإسلامى والعمل على تحقيقه ونشره فقد قام المجمع هذا العام بتشكيل إدارة خاصة بهذه المهمة ، لاتزال إدارة وليدة تحتاج إلى الدعم والتوجيه ، وهى تقوم بحصر المخطوطات التى لم تظفر بالتحقيق أو الطبع بعد ، بداية بدار الكتب الأزهرية ، تمهيدا لوضع أوليات خاصة بما يحقق منها ويعد للطبع والنشر •

وقد بقيت بعد ذلك قرارات وتوصيات يحتاج المجمع إلى تذكيركم ، وتذكير المعنيين بها ، منها:قراركم فى دورتكم الثانية بأن تؤيد جميع الحكومات الإسلامية مهمة نشر الإسلام والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وأن يمدوها بالأموال والإمكانات التى تكفل لها النجاح •

ومنها:قراركم فى دورتكم الثالثة بطلب العمل على إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة فى تمويله ، للإنفاق منه على التعريف

بالإسلام ، ونشر الثقافة الإسلامية ، وإحياء التراث الإسلامى ، وإنشاء المراكز الإسلامية وما إليها .

ومنها:دعوتكم فى دورتكم السادسة إلى إنشاء دار للفكر والنشر الإسلامى تقوم بخدمة العالم الإسلامى فى مجال التأليف والترجمة والنشر .

ومنها:قراركم فى دورتكم السابعة بالتوسع فى إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية فى المجتمعات التى تحتاج إليها لإرشاد المسلمين وتبصيرهم بشئون دينهم ، وتطهير العقائد مما يكون قد علق بها من شوائب الباطل والخرافات .

ومنها:توصيتكم فى دورتكم السابعة بأن يتخذ مجمع البحوث الإسلامية خطوات فعالة لتنسيق الجهود المشكورة التى تقوم بها عدة هيئات فى سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ، وذلك :

(أ) بالتنسيق بين مختلف الهيئات والمكاتب التى تدعو إلى الاسلام .

(ب) بالتنسيق بين المؤتمرات الإسلامية المتعددة ، بالاتصال فى سبيل ذلك بمؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية .

وأوصيتم فى دورتكم التاسعة جهات البر فى الدول الإسلامية بتنسيق الجهود فيما بينها ، حتى يتكامل نشاطها ، ويمتد إلى سائر المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى للإغاثة ، وضرورة النظر فى قيام هيئة دولية إسلامية لأعمال الإغاثة فى العالم الإسلامى .

وأوصيتم فى الدورة نفسها الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية بالتنسيق فيما بينها فى الداخل والخارج .

والحقيقة أن المسلمين الذين شقوا طويلا بالاستعمار الغربى،وما أقامه بينهم من حواجز وحدود ، وما أشاعه فيهم من جمود وعزلة،وما بثه بينهم من خرافات وأساطير ، وما ضربه عليهم من جهل وتخلف ، قد استيقظوا الآن بعد أن انزاح عن صدورهم كابوسه ، وقبح فى عينهم شرعه وناموسه ، وعرفوا مقدار الهوة العلمية والحضارية التى تفصلهم عن حياة العصر ، وتبعد بهم عن جوهر الدين وحقيقة الإسلام ، فاندفعوا بأشواقهم الحبيسة ورغباتهم المكبوتة ، وتطلعاتهم المشروعة إلى الأزهر الشريف مهوى أفئدتهم من قديم ، ومستودع علمهم الإسلامى الصميم ، والذى ظل — على توالى المحن وتراكم الظلم — يحفظ لهم ما استودعوه ، ويصون لهم ما ائتمنوه .

أيها الاخوة المؤمنون :

وشعوب الأمة الإسلامية حين تضع آمالها فى الأزهر الشريف وتجعله قبلتهم العلمية والفكرية والتوجيهية ، لا تصدر من فراغ ، وإنما تعتمد على تاريخه التليد ، وحاضره المجيد ، فقد كان ولا يزال موئل علماء المسلمين ومرجع طلاب العلم ، فى ساحته تجتمع ألوان الشعوب ، وتتجاوب أصداء الألسنة ، وتتلاقى فى موكب إسلامى مهيب ، يوحدهم الدين ، وتجمعهم الأخوة ، ويؤلف بينهم العلم .

←

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

ومن خصائص الشعوب الاسـلامية ذلك الشعور العميق بزيف الحواجز والحدود ، فى مقابلة قوة الرابطة الإسلامية والأخوة الدينية والمشاركة الوجدانية ، فهم ينظرون الى الأزهر وهو على هامة التاريخ باعتباره جزءا من تاريخهم ، وقطعة من تراثهم ، شارك فى بنائه أجدادهم المسلمون ، وشارك هو فى بناء عقولهم وثقافتهم وجهادهم ، فبينهم وبينه التحام عضوى لا ينفصم ، ولهم فيه دعوى حق لا ترد ، وله عليهم دعوى واجب لا تحد ، وعلى الأزهر أن يستجيب لمطالبهم ، ويتجاوب مع آمالهم وعواطفهم .

وإذا كانت حياة المسلمين خاصة وعامة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين ، عن صدق عقيدته يصدرون ، وبعدل شريعته يحكمون ، وفى بحبوحة أخلاقه يتعايشون ، ويجمعهم ذلك كله فى وحدة شعورية وجدانية تأخذ سبيلها إلى وحدة فكرهم ، وتظهر آثارها فى وحدة سلوكهم وعاداتهم ، وحين تصفو هذه الأصول من الشوائب ، وتتنزه عن الأغراض ، وتتعالى عن العصبية الجاهلية ، والاقليمية المحلية ، يصبح المسلمون جميعا جسدا واحدا ، يتعاطفون ويتراحمون ويتوادون ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويكونون يدا على من سواهم .

وأنتم ياعلماء المسلمين ، وياقادة الفكر والرأى تحملون مسئولية عظمى فى أن ترتفعوا بأمتنا المسلمة إلى هذا المستوى الراقى والأفق العالى ، التحاما بالعقيدة ، وارتباطا بالشريعة ، وتمسكا بالأخلاق ، ومن بين هذه المسئولية أن يرصد العلماء الواقع بكل ظواهره : سلبية وإيجابية ، وأن يعملوا على تثبيت الإيجابيات ، بربطها بأصولها وتعميق جذورها ، وأن يعملوا على تحويل السلبيات إلى إيجابيات ، بتعديل مسارها ، وإصلاح اتجاهها وعلى العلماء والقادة أن لا يكتفوا برصد الواقع وظواهره ، وإنما عليهم أن يستبقوا الزمن ، وأن يتوقعوا بعين البصيرة مستجدات المستقبل ، مهتدين فى ذلك بسنة الله فى تطور المجتمعات ، ليعدوا لكل شىء عدته ، ويأخذوا له أهبته تبصيرا لأمتهم ، ونصيحة لضميرهم ، وتربية لأجيالهم ، وامتدادا لجذور ماضيهم وتراثهم فى آفاق حاضرهم ومستقبلهم .

أيها الاخوة المؤمنون ...

إنه لابد لذلك من عمل جاد يقوم على تخطيط علمى وتوفيق إلهى ، والمسلمون جميعا فى شتى أقطار الأرض يرنون بأبصارهم ويهفون بقلوبهم إلى الأزهر الشريف ، ينتظرون منه أن ينهض بعبء هذه المسئولية الكبرى ، التى تعودوا منه أن ينهض بها ، والذى يجلس فى مواقع المسئولية فى الأزهر الشريف ، ويطلع على تلك الآمال العريضة متجلية فى تلك الطلبات التى تنهمر علينا طالبة الأساتذة المدرسين والمنح العلمية للطلاب الظامئين ، والمناهج العلمية التى تدرس بمعاهد الأزهر وكلياته ، والكتب الثقافية العامة والدراسية التى يستعملها الطلاب فى هذه

المعاهد والكليات ، ورغبة المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن ينشىء الأزهر مراكز إسلامية يتولى توجيهها ، والعناية بها ، لتسد فراغا فى هذه البلاد العطشى ، وأن يشمل معاهدهم ومدارسهم بإشرافه وتوجيهه ، وتطبيق مناهجه ودراساته ، ثم ينظر إلى ما يبذله الأزهر فى هذا السبيل ، وما تمده به حكومة مصر من تمويل ، – وهو شيء عظيم فى حد ذاته – يجد أن الامكانات ماتزال فى حاجة إلى مضاعفتها ، وأن الأزهر مايزال فى حاجة إلى مؤازرتكم ومعاونتكم .

إن ساحة العمل أمام مجمع البحوث الإسلامية ممتدة فسيحة تشمل أنحاء العالم الإسلامى على اتساع رقعته ، وتشابك علاقاته ومشاكله ، وهو لا يتقدم للقيام بهذا العمل تطفلا ولا تفضلا ، ولكنه يقوم بواجبه أمام أمته ، وهى تلح فى طلب هذا العمل ، وهو كثير متنوع يمتد على امتداد تنوع وسائل الإعلام الحديثة التى طفرت بها أجهزة المدنية الحديثة خلال ثورة الاتصالات ، وعلى امتداد تنوع وسائل التأثير والتوجيه ، "أكاديمية" تخصصية أو عامة ثقافية ، وقد امتلأت الساحة بكثير من أنواع المذاهب والأفكار ، والتيارات والاتجاهات ، وعوامل الجذب العقائدى والاجتماعى والاقتصادى ، وكلها تعمل على خلخلة البنيان الأساسى للمجتمعات الإسلامية وصولا إلى الهدف الرئيسى فى تذويب العقيدة ، وطمس معالم الإيمان .

ومواجهة ذلك كله بنفس الوسائل والأدوات تحتاج إلى أجهزة بشرية فنية وإدارية تكون على مستوى هذه المسئولية ، قادرة على تطويع وسائل العصر ، وتشكيل قواعد الفكر ، والنفاذ إلى أعماق الشعور والوجدان ، وتثبيت أركان الحق والإيمان ، ودرء مفاسد الهوى والشيطان ، كما تحتاج إلى رصيد مالى ضخم لتمويل نشاطها ، فى حلقات البحث والدرس ، وفى إصدار الكتب الدراسية والكتب الثقافية ، وبرامج التوعية العقلية والاجتماعية ، وبناء المعهد والملجأ والمستشفى ، وتزويدها بالفنيين والمتخصصين ، ومواجهة التيارات الوافدة والثقافات الدخيلة ، مواجهة حرة بعيدة عن الهوى والغرض ، بعيدة عن الضغوط والتوجيهات الضيقة ، والتخطيط لما يمكن أن يجد على الساحة نظرا لنشاط الجهات الأخرى ، من استشراق وتبشير ومحاولات مستميتة للتنصير تعتمد على أقوى وسائل العصر تخطيطا وتنفيذا وأكثر أساليب التأثير إغراء واستغواء .

ولقد تبين لكم أن مؤتمركم الموقر فى دوراته المختلفة قد قرر عدة مرات ، وأكد هذه القرارات ، أن تبذل كافة الحكومات والهيئات والمنظمات الإسلامية التى تتولى شئون الدعوة الإسلامية ، وما يتعلق بها من إمداد ومعونات وإغاثة ، قدر طاقتها من أجل تقوية مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف ، أزهركم ، وأزهر الأمة الإسلامية جمعاء ، ومن أجل تمكينه من أداء رسالته وحمل مسئوليته والنهوض بأعبائه والقيام بمهمته وأكد مؤتمركم الموقر على إنشاء صندوق

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

موحد للدعوة يتولى تمويل مشروعات المجمع ومخططاته ، ومعاونته على إنشاء فروع المجمع فى كافة البلدان ومراكز ثقافية إسلامية قادرة على إرسال ضوء الإسلام وثقافته فى كل مكان ، وكذلك على إنشاء صندوق موحد يتولى أعمال المعاونة والإمداد والإغاثة ، وهى قرارات مشكورة نابعة من شعور عميق بعظم المسئولية ؛ وبتفرد الأزهر بمكانته بين الشعوب الإسلامية مما يمكنه من حمل هذه الرسالة وأدائها ، إذا أتيحت له الفرصة ؛ وهيئت له الوسائل الكافية .

وإذ نشكر لمن أصدروا هذه القرارات وأكدوها غيرتهم الدينية ؛ وبصيرتهم الإسلامية . فإننا نسجل أن هذه القرارات لم تجد طريقها إلى التنفيذ العملى بعد .

ولعله من واجب الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية أن يضع هذه القضية بين أيديكم ، بعد أن اؤتمن عليها عدة دورات . ليطلب إليكم أن تخرجوا خلال دورتكم هذه بتطبيقات عملية لهذه القرارات ، تتحدد فيها الحقوق والواجبات ، وتبرز فيها المسئوليات والالتزامات ، وتحاط بأسباب الضمانات التى تكفل تحقيق الأهداف والغايات .

ونحن نؤمن بقضاء الله وقدره ، ونرضى بجميع أمره ، وقد حم قضاؤه فى فقيدين جليلين : هما فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ حسين عبد المجيد هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية وأمينه العام ، ووكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى عضو مجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر ، تغمدهما الله برحمته ، وألحقهما بالصالحين .

وإننى أشكر لكم جميعا ما تجشمتم فى سبيل حضور هذه الدورة والمشاركة فى أعمالها وبحوثها ومناقشاتها،وهو أمر نقدره حق قدره ونسأل الله أن يثيبكم على قدر إخلاصكم وتجردكم لله وللإسلام .

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الذى يشمل دورتكم هذه برعايته الكريمة انطلاقا من شعوره بمسئوليته الإسلامية أمام نفسه وضميره أولا وأمام شعبه وأمته الاسلامية ثانيا ، وقبل كل شىء وبعده أمام الله جل فى علاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د. عبد الفتاح عبد الله بركة

كلمة السيد المشير
عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب
«عن الوفود»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذى بنعمته تتم الصالحات ..

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،

إمام الدعاة وقدوتهم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف .

أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة .

أصحاب السعادة ، رجال الدولة .

أيها الأخوة الحضور .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسمحوا لى - ياسيادة الرئيس - أن أتحدث باسم الوفود والشخصيات القادمة إلى هذا المؤتمر المشهود من شتى أنحاء العالم : تعبيراً عن اهتمامهم العميق بأمر الدعوة الإسلامية ، وتقديراً لمكانة الأزهر ومصر ، ورغبة صادقة فى المشاركة فى أعمال المؤتمر المباركة ، بالبحوث والمناقشات والحوار الهادف البناء .

واسمحوا لى أن أشكر - باسمهم جميعاً - جمهورية مصر العربية : رئيساً وحكومة ، وشعباً على الجهود الأصيلة والمشرفة التى يقوم بها هذا البلد السمح المعطاء نحو الإسلام وأمة الإسلام . وأن أعبر عما يُكّنه ممثلو العالم الإسلامى فى هذا المؤتمر من تقدير وإكبار للأزهر الشريف ، ولرجاله الأفاضل الأجلاء ، فالأزهر الشريف قام ولا يزال يقوم ، وسيظل يقوم بإذن الله بدور رائد وعظيم ومضىء فى خدمة الدعوة الإسلامية .

وإذ أعتبر هذه الإنابة عن الوفود تشريفاً لى ولمنظمة الدعوة الإسلامية التى أمثلها ، وللسودان عامة . فإنى أسأل الله تعالى أن يعيننى على حسن التعبير عما يجيش فى نفوس المشاركين من تطلعات وآمال .

سيادة الرئيس :

إن الدعوة الإسلامية هى رسالة الأمة الإسلامية الخالدة ، وهى مجدها ، وشرفها

←

وعطاؤها الأعظم للإنسانية جمعاء ، وهذه الرسالة هى التى أخرج الله الأمة الإسلامية لها . كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

والعالم الإسلامى اليوم فى أشد الحاجة إلى دعوة هادية تصلح شئونه بالكلم الطيب ، والأسلوب الرفيق ، والقدوة الصالحة ، والبرامج الإصلاحية الشاملة .

كما أن العالم كله فى أمس الحاجة إلى الدعوة الإسلامية التى لن يرى النور ، ولن يستقيم أمره العقدى والفكرى والخلقى والاجتماعى إلا بها : ﴿ ألر . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

وفى كل العصور ، ومنذ عهد النبوة ، واجهت الدعوة الإسلامية تحديات شتى . ولكن الجهاد الصادق فى سبيل الدعوة ذلل تلك الصعوبات ، واستبقى الراية مرفوعة ، وحفظ كيان الأمة المعنوى والأدبى من الانهيار والتلاشى . الأمر الذى افتقدته أمم كثيرة فبادت معنوياً ، وإن بقى هيكلها المادى .

وتواجه الدعوة الإسلامية فى عصرنا الحاضر تحديات صعبة ، لا أرى هذا المؤتمر الموقر إلا تعرض لها بالدراسة والتحليل ، والبحث عن الحلول والمخارج .

وفى مقدمة هذه الصعوبات واقع المسلمين أنفسهم . فالدعوة لا تقوى ولا تنهض إلا فى أمة قوية ناهضة متحدة كما تمنى لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ أو كما وقع لشعيب عليه السلام من قومه : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ .

إن البطء فى خطى الدعوة ، صورة من البطء فى تقدم العالم الإسلامى .

ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية التى قعدت بها سلبيات عصور الانحطاط ، وقيدت حركتها تركة استعمارية مثقلة لم تستطع حتى الآن أن تقوم بالوثبة المطلوبة فى هذا الاتجاه .

وكان من أخطر ما أضر بالأمة الإسلامية ككل ، وعوق قافلة الدعوة الإسلامية بشكل خاص هو : استدامة التخلف ، أو استطابته أو التكيف معه ، وبث الفرقة ، وإحداث التمزيق ، وإثارة القلاقل والفتن ، وهز المسلمات والثوابت ، وتفجير البيت الإسلامى فى الداخل بقنابل المشكلات والأزمات .

ولعلنا نستطيع أن نشير إلى بعض التحديات الصعبة التى تواجه الدعوة اليوم :

لا يشك عاقل أن المشكلات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية والتعليمية والثقافية التى يعانى منها العالم الإسلامى هى بمثابة تحدٍ حقيقى لانطلاقة الدعوة الإسلامية ، ومن هنا فإن مساهمة الدعاة فى

التغلب على هذه المشكلات جزء من مسئوليتهم فى تعبيد الطريق لتقدم الإسلام .

ولا يشك عاقل أن الإغراق فى الخلافات الفرعية الجدلية بين الدعاة أنفسهم كان سبباً فى تعثر الدعوة . وأن الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق هو الاعتصام بأصول منهج أهل السنة والجماعة والتلقى عن الأئمة الموثوقين جميعاً . وتوفير الطاقة المبذولة فى الخلاف الجدلى للجهاد الإيجابى فى سبيل الدعوة .

ومن الأمور المجمع عليها : أن الدعوة بالقدوة الحسنة أعمق أثراً من الدعوة القولية ، وهذا تحدٍ كبير أيضاً . ولذا ينبغى أن يكون المسلمون صورة حية مشرقة لدينهم . يدعون إلى الإسلام بسلوكهم العملى على كل مستوى .

وقد كان سلوك المجتمع الإسلامى الأول بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم هو أبلغ دعوة إلى الإسلام . ولنا فى رسول الله اسوة حسنة ، وكذلك فى الصحابة الذين هم من أبرز آثار نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته .

إن الشقاق بين أهل الملة والقبلة الواحدة المتمثل فى التوترات الناشئة عن عصبيات الأقوام والأوطان والمذاهب . وفى النزاعات المسلحة الدائرة داخل كثير من البلاد الإسلامية أو بينها ، وفى الفتنة العظمى ، والحرب النكراء المحتدمة فى الخليج . كل ذلك تحدٍ خطر من حيث تأثير هذه الحرب على وحدة المسلمين ، وسمعة الإسلام ، ومن حيث الطاقات المهدرة التى لو وظفت فى سبيل الإسلام لكان ذلك سبباً عظيماً فى فتح إسلامى عالمى جديد ..

إن المسلم بطبعه ، وبموجب تعاليم الإسلام الواضحة ، كاره للخصومة أواب إلى السلام ، فالتمادى فى الحرب يتنافى مع طبيعة الإسلام وشريعته السمحة الداعية إلى الأخوة بين المسلمين .. وإلى حُرمة دمائهم ، ووحدة امتهم .

وإن الرفض المتكرر للمساعى السلمية الإسلامية مجافاة سافرة لتعاليم الإسلام . وقلة اعتبار لمناشدات العالم الإسلامى : حكاما ، وعلماء ، ودعاة ، وشعوبا .

إن الاخوة فى العراق قد فاءوا إلى نصاب المسالمة والتحاكم بين المسلمين ، ولن نقنط فى أن يفيىء الأخوة فى إيران ، ويجنحوا إلى السلم .

إن الحرب توشك أن تمتد لتطال أطراف مسالمة وراء طرفى النزاع بل توشك أن تتفاقم لتؤثر على العالم الإسلامى كله . ولتستدعى تدخلات دولية شاملة لا تؤمن عواقبها .

إن آثار الفتنة ، وعدوى الشر والدم قد امتدت حتى وصلت إلى اقدس بقاع الإسلام : الحرمين الشريفين . وهذا من أخطر ما تعرض له المسلمون فى تاريخهم الحديث . فالمقدسات هى المواقع والمواسم التى تجمع الأمة على

توقيرها ، واحترامها ، والنأى بها عن دواعى النزاع والصراع .

أما إذا انتهكت الحرمات ، واتخذت القبلة الواحدة الجامعة ، والحج الآمن الخاشع موطناً للتظاهر وإعلاء الشعارات الخلافية الشعوبية والطائفية ، فإن ذلك يؤذن بكارثة دينية كبرى ، على الأمة جمعاء أن تهب لدرئها واتقاء شرها : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

إن الدعوة صدق وعدل .. ومن الصدق والعدل أن نقول : إن الحرب الظالمة بين المسلمين انحراف عن طريق الإسلام وتعويق للدعوة الإسلامية وكذلك إثارة الفتنة فى الحرم الشريف .. فإذا كنا ندعو إلى الإسلام فليس من تقوى الدعاة ، ولا من القدوة الحسنة ، سفك الدم الحرام ، ولا انتهاك حرمات الله وشعائره ، ولا إثارة الفزع فى البلد الآمن ، ولا سائر ما نشاهده فى مسرح العلاقات الإسلامية من جنوح .

ومن الصدق والعدل أن نقول أن حُماة الحرمين الشريفين قد سلكوا سلوك الدعاة المخلصين فى الصبر والحكمة وسلوك الأمناء المسئولين ، فى رعاية الحرم وكفالة سلامة الحج والحاج ، وحق كل مسلم فى أن يحج بأمن واطمئنان . وعلى الرغم من الكوارث والفتن ، لا تزال هذه الأمة تتمتع ببقية من وعى وتذكر : فما إن سمع العالم الإسلامى بهذا الحدث المؤسف حتى تجاوب بموقف مخلص تأييدا لمن قيضه الله لخدمة الحرمين . وحرصاً على أن يأتى المسلمون إلى الحج بسلام . وأن يحجوا بسلام ، وأن يعودوا بسلام ، وأنه لا يجوز التشويش على الحجاج ، مثلما لا يجوز التشويش على المصلين .

ويبقى أن يتجاوب العالم الإسلامى أيضاً . وأن يتعبأ الدعاة والشعـوب ، والمسئولون من المسلمين كافة لإيقاف نزيف الدم فى الخليج فوراً حتى لا تنتهك قوة المسلمين وأثر دعوتهم وحتى لا يكذب فعلنا ما ندعو إليه من كون الإسلام دين السلام والوحدة ، وحتى لا نتعرض جميعاً لغضب الله فى الدنيا والآخرة .

سيادة الرئيس :

إن إخوانا لنا فى أفغانستان ، وفلسطين ، لا يزالون يعانون من قسوة الاحتلال وبطش الاستعمار فى زمن ودع فيه العالم عهود الاستعمار وتمتع فيه كل شعب بوطنه .

ولهاتين القضيتين علاقة راسخة بالدعوة الإسلامية . ففى أفغانستان حركة جهادية مباركة تقف فى وجه الإلحاد دفاعاً عن دينها ، وشعبها ، وعرضها ، وأرضها ، ومقدراتها ، وكرامتها ، ووجودها الدولى .

ويستحق هذا الجهاد أن يعان بالشورى والرأى والخبرة من قبل الدعاة والمسئولين .

وهو يواجه مراحل التفاوض ، والانتقال والاستقرار .

وفى فلسطين انتفاضة باسلة تقاوم البطش الصهيونى بقوة الإيمان بالله ، واليقين بالحق الوطنى .

وهذه الانتفاضة ، إنما يدور كفاحها حول القدس الشريف ، أولى القبلتين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومُصَلّاه .

وهذه الانتفاضة جديرة بأن تُمد بكل ما يعينها على النضج والاستمرار . والاستثمار حتى تنتهى إلى غاياتها المرجوة ، وحتى لا يتمكن عدوها من محاصرتها ووأدها .

ومن بين تحديات الدعوة أوضاع الأقليات الإسلامية فى العالم والمجتمعات المسلمة فى ثغور الأمة وحواشيها فى أفريقيا وآسيا ، وإحقاق حق هؤلاء فى أن يجدوا نصيبهم من الدعوة الإسلامية : تثقيفا وتوعية ، ودفاعا عن وجودهم الفكرى والحضارى ، وتبصيرا لهم بطرق التعامل الحصيف والنافع مع واقعهم ومحيطهم وجوارهم .

فالأقليات الإسلامية توجد فى محيطات غير إسلامية والمجتمعات المسلمة فى الثغور تستشعر العزلة وتجاور الفتنة . وهذه وتلك تتعرض لضغوط ثقيلة نفسية . وفكرية ، واجتماعية ، واقتصادية . ولتدافع غير متكافىء مع المؤثرات المحيطة والمجاورة . ويتحتم أن يكون الجهد المبذول لنصرة أولئك المسلمين مناسباً لما يتعرضون له من ضغوط ، فيدفع الضغط النفسى والفكرى بتقوية روابط الأقليات ومجتمعات الثغور بالأمة الإسلامية ، ويدفع الضغط الاجتماعى والاقتصادى بتنظيم برامج عملية تتوخى إسعاف هؤلاء المسلمين ، وترقيتهم اجتماعياً واقتصادياً ، وتقوية رصيدهم الدينى علماً وعملاً حتى يفيضوا بهدى الإسلام على الذين يلونهم من غير المسلمين .

ولئن شهد العالم الإسلامى صحوة واسعة فإنها تمثل تحدياً للدعاة المسلمين من حيث موافاتها بالرعاية العلمية والفكرية الكافية حتى تثمر ثمراتها الطيبة فى النفس والمجتمع . وحتى تتفادى السلبيات والعثرات . فلأسباب شتى ، وقبل ذلك بقدر الله وإرادته صحا المسلمون من نومهم ، وأقبلوا على دينهم : التزاما فى التدين الشخصى ، وفهما لشمول الإسلام ، ودعوة إليه وسعياً لتمكين الدين فى الحياة العامة . وليس من الحكمة أو فى الإمكان كبت هذه الصحوة ، أو تجاهلها ، بل إن أفضل اختيار

للتعامل معها هو تفهمها وتوجيهها وفتح القنوات أمامها لتتفقه وتترشد وتعمل بحرية مسئولة ، ولتفجر طاقاتها المخلصة فى عملية البناء الصحيح . وعلى دعاة الصحوة الإسلامية أن يتعاملوا مع الواقع والظروف بمنهج عملى حكيم يصوب الجهود ولا يبددها ، ويعالج المشكلات ، ولا يزيدها تعقيدا ..

←

ومن الصعوبات الشديدة التى تواجهها الدعوة الإسلامية ، التيارات الإلحادية ، والدعوات العقائدية الضالة التى تريد أن تفتن المسلمين عن دينهم بالتشكيك فيه أو بالإغراء المادى ، والخدمات المختلفة . مستغلة فيهم الجهل والعوز ، وآثار الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعات التى ضربت كثيراً من أقطار الأقليات والمجتمعات المسلمة . فأسلمتهم فريسة سائغة للذين يريدون فتنتهم عن دينهم وإخراجهم عن الملة .

إن هذه التيارات والدعوات تشكل زحفاً كاملاً على العالم الإسلامى ، مزوداً بشتى الإمكانات ، والوسائل ، والأساليب ، تدعمه مؤسسات : إقليمية . وقارية ، وعالمية ذات طابع معادٍ .

ولا يوقف هذا الزحف إلا عمل إسلامى منظم ، مزود بالإمكانات العلمية والفكرية ، والمادية المناسبة .

والمعنى بالعمل الإسلامى المنظم هو : وجود مؤسسات إسلامية دعوية تنبث فى قارات العالم تدعو إلى الله على بصيرة بظروف البيئة التى تخاطبها وبهدى الدين المناسب لها ، مستعينة بجميع الوسائل والأساليب العصرية فى خطاب الناس وهدايتهم من كلمة مقنعة وقدوة حسنة مؤثرة وخدمة إنسانية تؤلف القلوب . فلولا شجعنا قيام مثل تلك المنظمات الدعوية فى كل أقاليم الأرض ، وعلى كل مستويات الخطاب والتبشير بالدين . ولولا قام مجلس عالمى يتولى التنسيق بين هذه المؤسسات جميعاً .

سيادة الرئيس :

إن وحدة المسلمين وتضامنهم قضية أساسية من قضايا الدعوة ، وهى من التحديات التى يتعين مواجهتها . فالمليار المسلم ، والإمكانات المادية ، والطاقات الهائلة التى يزخر بها العالم الإسلامى . هذا كله لن يندرج فى سياق حضارى كبير ، ذى وزن عظيم إلا من خلال وحدة المسلمين وتضامنهم .

وإذ نشيد بحركة التضامن الإسلامى ، وبمن ابتدرها ، فإننا نأمل قيام تعاون وثيق بين الحكام والدعاة يستهدف تعزيز مسيرة هذا التضامن على المستوى الرسمى والشعبى : تركيزاً للبناء الإسلامى العام ، ودفعا للأخطار المشتركة .

سيادة الرئيس :

إن العالم الإسلامى يتوقع من هذا المؤتمر الشىء الكثير .

يتوقع منه أن يخطط للدعوة الإسلامية على المستوى القريب والبعيد .

ويتوقع منه : أن يوثق عرى التعاون بين الدعاة .

ويتوقع منه : قيام مؤسسات تحقق ذلك وتطبقه .

ويتوقع منه : أن يقول رأياً صريحاً فى قضايا الأمة الإسلامية . مستلهما تعاليم الكتاب والسنة فى ذلك .

نكرر شكرنا لشخصكم الكريم سيادة الرئيس .

كما نشكر الأزهر الشريف داعى هذا المؤتمر ومنظمه ، وكل من ساهم فى الإعداد والتنظيم للمؤتمر .

ثم نزجى الشكر للعلماء والدعاة الذين لبوا الدعوة وأعدوا العدة لإنجاح المؤتمر .

ثم نرفع إلى الله الشكر والحمد من قبل ومن بعد على أن هيأ لنا هذا الاجتماع المبارك .

ونسأله تعالى أن يجعلنا أفرادا وجماعات دعاة إلى الله بالكلمة الطيبة والحجة البالغة وأن يجعلنا دعاة إليه مجتمعات ودولا كذلك بالاستقامة على نهج الحق عملاً وأسوة حسنة للعاملين ، وبالوحدة بين الأمة قاطبة تعاونا فى الدعوة وقوة وأثراً كما نسأله أخيراً أن يجعلنا دعاة إليه بالتسامح واللطف والتبشير لا بالجفاء والعنف والتنفير . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ • وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ • وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ..

السادة العلماء والوزراء ..

الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فباسم الله نفتتح هذا المؤتمر ، ملتزمين بقول الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ ..

* * *

وباسم مصر أرحب بكم فى رحاب الأزهر الشريف ، الذى يدعو إلى الله على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ .

وباسم هذا الحفل الحافل بأعلام العلم والفضائل ، أتقدم إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بالشكر والتقدير على رعايته ورياسته لحفلنا هذا المبارك ، الذى نبدأ به عمل : (مؤتمر الدعوة الإسلامية) التى لا تألو - مصر - جهداً فى القيام بأعبائها بأزهرها الشريف الذى اتسع رحابه وتفتحت أبوابه لكل طالب علم يفد إليه ، يعلمه ويثقفه ويفقهه فى دين الله الإسلام ، ليعود إلى أهله ووطنه صالحاً مصلحاً .

* * *

إن الدعوة إلى الإسلام لم تعد - فى هذا العصر - محصورة فى مجرد خطبة تلقى ، أو سورة من القرآن تتلى ، أو درس يذاع ، أو كتب تنشر ، وإنما قد تطورت وسائلها

ومسائلها ، **وازدحمت الساحة بالدعاة وبالأدعياء** ، وصار على العلماء خاصة وسائر المسلمين - حكاماً ومحكومين - **عامة أن ينزلوا عند حكم الله فى قوله** : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ومن ثم : كانت الدعوة إلى هذا المؤتمر رغبة فى التشاور والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

* * *

إن الشعوب الإسلامية ، تنظر إلى جمعكم هذا وتنتظر هدايتكم لها إلى الطريق الذى تسلكه ، لتخرج من **الفرقة** **والشتات** الذى **ألم بها** ، **فانفرط عقدها** ، **وتتابعت عليها المصاعب والأزمات** ، تنتظر الشعوب أن ترى عملاً مثمراً تجتمع به الكلمة ، وتنزاح به الغمة ، وتلتئم الجراح ، ويستقيم الصف على صراط الله الذى أشار إليه فى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . .

لقد كثرت المنظمات والجمعيات والهيئات التى تعمل فى حقل الدعوة ، وتكاثرت ، ومع هذا فقد استفحلت الشرور ، وبرزت الآثام ، وتغلبت المادية ، وانحلت روابط الأخوة ، واستحكمت الفرقة ، وشاعت العصبية العرقية والمذهبية ، مع أنه لم تجتمع لأمة من الأمم من أسباب الوحدة ، وعناصر القوة ، ما اجتمع لهذه الأمة الإسلامية :

فقبلتهم فى الصلاة واحدة هى الكعبة المشرفة ، وكتاب ربهم القرآن يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . .

* * *

إن الإسلام رسالة للحياة ، له دوره فى توجيه الإنسانية والرقى بها إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان الذى استخلفه الله ليعمر هذا العالم .

رسالة الإسلام مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - سواء فى ذلك ما يتصل بالعقيدة وأصولها مما يجب الإيمان به وما يتصل بالشريعة العملية من أمور العبادات والمعاملات والأخلاقيات والسلوك ، إذ كل ذلك له فى الإسلام أسسه وأصوله وقواعده التى ينبغى الالتزام بها .

وإذا كان الاستعمار الذى منيت به بلاد المسلمين فيما مضى قد أدخل عليها الكثير من العادات والمعاملات التى يرفضها الإسلام ، وإذا كان الاستعمار - فى سبيل تثبيت أقدامه - قد تدخل فى أمور التعليم لدى

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

المسلمين فوجهه إلى خدمة غاياته ، ونحاه عن أن يثبت الإسلام فى قلوب أجيال المسلمين ، وأنشأ جيلاً من المتغربين ، نشروا فكرهم الذى تأثر به جيل من الناس .

إذا كان الاستعمار قد أثر فى مناح كثيرة من حياة المسلمين حتى نسوا الذكر ، وانساقوا وراء كل جديد ولو كان مهلكا ..

فإن الأمل معقود فى إصلاح المسار وتصحيحه .. على الجامعات الإسلامية بخاصة ، وسائر الجامعات فى العالم الإسلامى بعامة ..

إذ عليها - عن طريق العلم والدراسة والثقافة - أن تميز الخبيث من الطيب ، وأن تقول للناس حسناً : فى دينهم ودنياهم حتى يستبينوا أن الدعوة الإسلامية إنما تدعو إلى خير البشرية ، وإلى تنقية فكر المسلمين مما ران عليه من تلبيس المغرضين .

* * *

إننا فى حاجة إلى منهج للدعوة وللتعليم ، يعمق إيمان الأمة الإسلامية بعقيدة الإسلام وحقيقته:شرعة ومنهاج حياة ، ويفضح أباطيل خصوم الإسلام التى دأبوا على إثارتها - باسم الإسلام - وإشهارها فى مواجهة كل دعوة إلى الإصلاح والصلاح .

* * *

إن من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية صيانة الحقائق والمفاهيم الإسلامية من التحريف ، والحرص على إبراز السمات الإسلامية والحفاظ عليها ، لأنها حصون الإسلام المنيعة وحماه وشعائره .

وعلى رجال الدعوة ، بل ورجال التعليم البعد عن إخضاع حقائق الإسلام ومفاهيمه لمصطلحات غريبة ، لا تتفق مع روح الإسلام وأصوله .

إن على رجال الدعوة أن يهدفوا إلى إعادة صنع أمة ذات رسالة وكلمة مسموعة ، مهابة الجانب من خلال تعاليم الإسلام الصحيحة .

إن أمام المؤتمر موضوعات رئيسية مجملها :

(أ) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

(ب) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة والتكامل بين نشاطى الدعوة والإغاثة .

(جـ) قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

(د) الأقليات الإسلامية ومسئولية المسلمين تجاهها .

(هـ) القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

* * *

إن دراسة هذه الموضوعات والحوار فى شأنها ، ينبغى أن يجرى فى نطاق موضوعى ، ينتهى إلى مقررات وتوصيات ، تقود إلى خير الإسلام والمسلمين .

* * *

وهذا هو المأمول من هذه النخبة المخلصة لدينها وأمتها الإسلامية .

والله المستعان ومنه التوفيق ..

« وما ذلك على الله بعزيز » ..

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر ..

الأخوة الأعزاء العلماء الأجلاء ..

ضيوف مصر الكرام والصفوة من

رجال الدعوة ..

أبنائى الطالبات والطلبة ..

يسعدنى أن أرحب بكم على أرض مصر، وفى ظل أزهرها العريق أقدم جامعة أشعت بنور العلم وتألقت بأقباس الهداية أكثر من ألف عام ومازالت بحمد الله ، القِبْلَة العلمية لجميع المسلمين فى كل أنحاء الأرض .. كما يسعدنى أن أشكر هذه الجهود الخيرة التى أقامت هذا المؤتمر العظيم، والتى جمعت هذا الجمع الكريم، والتى حشدت هذه الصفوة من أجل النهوض بالدعوة فالحق كما نعرف جميعاً أن الدعوة فى الإسلام واجبة على كل قادر عليها وهى أوجب على المتخصصين فيها، والمتفرغين لأمرها، ومساندتها بالدعم والتأييد والحماية والرعاية من أوائل واجبات أولى الأمر فى المجتمع الإسلامى كله ، فسمة الأمة الإسلامية الحقة أن تكون فى جملتها داعية إلى الخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر فقد قال الله فى كتابه العزيز ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ صدق الله العظيم .

والصفة التى حدد بها القرآن الكريم أفضلية أمة الإسلام هى أنها أمة تأخذ نفسها بالدعوة إلى الحق، وذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

●●●

الدعوة مسئولية

وإذا كانت الدعوة واجبة فى كل وقت فهى

←

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك

فى وقتنا هذا أشد وجوباً ومسئولية الجميع هنا عنها تأتى فى صدر أولويات الواجبات ويستوى فى تحمل هذه المسئولية العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظراً لما يمر به العالم الإسلامى اليوم من معاناة وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات . إن الإسلام بعقيدته الحقة وشريعته السمحة وفضائله العالية وقيمه السامية قد استطاع أن يقيم للمسلمين دولة عظمى .. وأن يحقق لهم وللإنسانية معهم حضارة كبرى أشاد بها الأعداء قبل الأصدقاء،واعترف بدورها فى تطوير البشرية وتنويرها المنصفون من غير المسلمين...قبل أن يفخر بها أبناؤها من المسلمين .. ثم تآمرت عوامل شريرة عديدة على تمزيق هذه الدولة العظمى،وعلى إيقاف مد تلك الحضارة الكبرى وعلى تعويق مسيرة المسلمين؛ بل على دفع حركتهم إلى التخلف، وإثقالها بما يحقق الجمود ، ولست هنا فى مجال تفصيل القول فى تلك العوامل الشريرة التى تآمرت،والتى كان لها بكل أسف ما أرادت ودبرت ، وإنما حسبى هنا أن أقول: إن قروناً مرت على المجتمع الإسلامى بعد نجاح التآمر عليه ، كان فيها هذا المجتمع فى منطقة الظل من العالم ، وهو فى الوقت نفسه هدف للطامعين ونهب للمغامرين،ثم قسمة بين المستعمرين ، وبعد ذلك أراد الله لهذه الأمة التى تصون كلمته وتحمل رسالته أن تخرج من جديد من الظلمات إلى النور، وهيأ لها من رجالها المخلصين ومن قادتها الراشدين من يقود حركتها إلى حيث آفاق الحرية فاستردت استقلالها واستعادت كرامتها وألقت عن كاهلها نِيرَ الاستعمار وأغلال القهر، وخطت خطوات واثقة فى سبيل التقدم لاستعادة مكانتها الجديرة بها كخير أمة أخرجت للناس .

●●●

سفك الدم حرام

ولكن معوقات من نوع آخر ألقيت فى الطريق من جديد وكأنما أرادت قوى شريرة أخرى لأمتنا ألا تنهض وألا تسترد مكانتها تحت الشمس ، وقد تنوعت تلك المعوقات وتعددت مجالاتها واختلفت ألوانها لكنها قد اتفقت جميعا فى مؤامرة التعويق والتفريق والتمزيق .

ومن مظاهر هذه المعوقات المفرقة الممزقة ذلك الصراع الدامى بين دولتين إسلاميتين ، والذى يزعم المصر على استمراره بأن عدوانه

مد إسلامى،وبأن عمله الدموى جهاد من أجل الإسلام .. هذا رغم أن الإسلام يحرم بكل وضوح وصراحة سفك المسلم لدم أخيه المسلم ويؤكد أن دمه وعرضه وماله حرام كحرمة بيت الله فى أرض الله فى يوم الحج الأكبر .

بل إن الإسلام يوصى المسلم بأن يحب لأخيه مايحب لنفسه ويجعل ذلك الحب شرطاً لكمال الإيمان .

ومن مظاهر تلك المعوقات التى رزىء بها المسلمون أيضاً ، تلك الخلافات المذهبية المفرقة الممزقة أيضاً،والتى تظهر المسلمين فى بعض الأحيان وكأنهم ينتمون إلى ديانات شتى ، لا إلى دين واحد ، مع أن من البديهيات فى الفكر الإسلامى أنه دين يدعو أول مايدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف والبعد عن كل مايفرق الجماعة ويشتت الأمة ، وما أروع قول ربنا فى كتابه العزيز ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وما أجل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

ومن مظاهر تلك المعوقات التى أصابت المجتمع الإسلامى أيضاً اهتمام البعض بالشكل وإهمال الجوهر ، والتشبث بالمظهر وترك المخبر، ومن هنا يضيع هذا البعض جهده ويبدد طاقته فى جدل عقيم ونشاط سقيم لا يُنهض قاعداً أو يُقدم متخلفاً أو يحقق نفعاً .. والعجيب أن كل ذلك يحدث وعالمنا الإسلامى فى معظم بقاعه يعانى من سلبيات هى أَوْلَى ببذل الجهد لتلافيها ، وعلاج أمراضها ، وحسبنا أن نعرف أن مجتمعنا يقع وبكل أسف إلى الآن فى منطقة التخلف أو مايسمى تأدبا بالعالم النامى .

●●●

سماحة الإسلام تبعد عن التطرف

فنحن فى حاجة إلى نهضة فى شتى المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية حتى لا نعيش مستوردين للعلم بل للإنتاج الزراعى والصناعى ومعظم وسائل الحياة بل حتى لا نظل عالة على غيرنا حتى فى أقواتنا وضرورات حياتنا، ومن مظاهر تلك المعوقات التى تعرقل حركة المجتمع الإسلامى نحو التقدم بل تهدد وجوده الآمن ووحدته المأمولة : ظهور جماعات المتطرفين الذين قد يكونون حَسَنِى النوايا سَلِيمى الطوايا شرفاء القصد ، ولكن الكثيرين منهم وبكل أسف قد جانبوا رُوحَ الإسلام فى سماحته ورفقه ويسره وأهملوا جوهر الإسلام فى دعوته إلى السلام والأمن والإخاء والتراحم وتجنب الفتن كما تركوا الأسس التى أوجب الإسلام أن تقوم عليها الدعوة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .. نعم تركوا ذلك كله وَلَجَئُوا إلى تكفير المجتمع حيناً وإلى مقاطعته والهجرة عنه حينا آخر ، بل عملوا على مقاومته وحربه بالسلاح فى بعض الأحايين .

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

هذه بعض المظاهر الطارئة على المجتمع الإسلامى الذى أخذ طريقه إلى النهوض بعد القعود والذى دبت فيه روح الصحوة بعد قرون من الغفوة، والذى استطاع بجهود علمائه وزعمائه وبتضحيات أبنائه وشهدائه أن ينال حريته ويسترد كرامته، ثم يخطو الخطوات الأولى نحو اكتمال صحوته وتحقيق سيادته وإعلاء كلمته. وهنا تظهر الحاجة إلى الدعوة كأشد ماتكون ! .. إن هذه المكاسب التى حققها المجتمع الإسلامى بفضل دماء أبطاله وتضحيات رجاله لا ينبغى أن تتعرض للانتكاس بسبب المعوقات التى أوضحت نماذج منها ، والدعوة الإسلامية الرشيدة هى القادرة على حماية هذه المكاسب، بل على صون الفكر الإسلامى والسلوك الإسلامى والأمن الإسلامى من كل مايهدده من مخاطر، وما يعترض طريق ازدهاره من عقبات ومؤامرات فالدعوة مطالبة بأن تربى النشء على روح الإسلام وتعاليمه السمحة وقيمه الفاضلة بحيث لا يكتفى فى تقديم الإسلام للنشء بالتلقين دون التربية، وبالتعليم دون الممارسة وهذا يقتضى أن تأخذ الدعوة دورها فى العملية التربوية وتؤدى وظيفتها فى إحياء الضمائر وتهذيب النفوس وتقويم السلوك منذ البدايات الأولى للنشء فى هذه الأمة والدعوة مطالبة بأن ترشد الشباب إلى طريق الإسلام الصحيح الداعى إلى حب الوطن والارتباط الأخوى بالمواطنين طريق الإسلام الدافع إلى الانتماء لا إلى الانفصال أو الاعتزال طريق الإسلام الموجب للعمل الجاد والإنتاج الوفير والكفاح العارم من أجل الذات ومن أجل الآخرين ومن أجل الأمة الإسلامية جمعاء .

تصحيح الفكر المتطرف

والدعوة مطالبة بأن تبصر المسلمين بأمور دينهم وتعاليم ربهم حتى يعبدوه على هدى وبصيرة وحتى تثمر تلك العبادة ثمارها المرجوة فى إعلاء النفس وصقل الروح وإيقاظ الضمير وتهذيب الخلق لتتحقق بكل ذلك وجود الفرد الصالح فى المجتمع الصالح فى الأمة الصالحة .

والدعوة مطالبة بأن تصحح الفكر المتطرف وأن توضح لأصحابه من خلال الحوار العلمى المخلص الشجاع ما فى هذا الفكر من شوائب غريبة عن جوهر الأسلام، وهى شوائب ربما تكون قد علقت بهذا الفكر نتيجة لعدم التدقيق فى الفهم أو لعدم الإحاطة بالعلم أو لتلقف فكر غريب قد يكون صادراً عن ظروف سياسية، أو

اجتماعية خاصة،بل قد يكون مصدره من بلاد أخرى قد اقتضت ظروفها أن يقول بعض علمائها مايقاومون به استعماراً غاشماً أو حاكماً أجنبياً مستبداً ظالماً ، فأخذ هذا الفكر وأريد تطبيقه على مجتمع إسلامى ليس فيه استعمار غاشم ولا حاكم أجنبى ظالم والدعوة مطالبة أيضاً بأن توضح للحكام المسلمين الذين يحاربون إخوانهم فى الدين أن هذا الذى يصنعون ليس من الإسلام فى شىء أبداً ، فالإسلام سلام ومحبة .

●●●

المستويات والأهداف

فالإسلام سلام ومحبة ، وإخاء ومودة ، وتكافل وتراحم ، والمسلم الحق لا يرفع السلاح فى وجه أخيه أبداً،والدولة الإسلامية لا ينبغى أن تهدد جيرانها باسم الإسلام. والتآمر على المسلمين ليس أبداً من طباع المسلمين ، والدعوة الإسلامية مطالبة بأن تتجه فى جزء أساسى من نشاطها إلى خارج العالم الإسلامى ، وذلك لتعريف ذلك العالم الخارجى بالإسلام الصحيح وبقيمه الرفيعة وتعاليمه الراقية وحضارته الإنسانية السامية ، وكل ذلك من باب التوضيح العلمى الحضارى ، فنحن بحاجة إلى أن يعرف الناس قيم ديننا وإشراق تاريخنا وعظمة حضارتنا ، وذلك لكى تتضح الحقيقة ويزول اللبس وتتوارى تلك الصورة الشائهة التى رسمتها للإسلام والمسلمين أخيلة مريضة فى عصور مظلمة وساعد على تثبيتها بعض تصرفات معيبة لبعض من ينتسبون إلى الإسلام ، كما ساعد على تثبيت تلك الصورة إهمالنا للدعوة الخارجية فى كثير من الأحيان ، أو اقتصارنا فى حالات كثيرة على الجدل غير المثمر ، والنزال الفكرى المؤدى إلى مزيد من التباعد وربما إلى التنافر وربما إلى الاقتتال ، وهكذا تحتاج الدعوة الإسلامية فى هذه الفترة من تاريخنا إلى منهج تحدد فيه المستويات والوسائل والأهداف ، كما تحدد قبل كل شىء الأسس الصحيحة للدعوة ، وما يجب أن تقوم عليه وما يجب أن تقوم به . من إعداد صحيح لمن يتولون أمرها ويوصلون رسالتها ويتخصصون فيها ، فليس كل إنسان يصلح داعية بالمعنى الدقيق لتلك الكلمة ، وذلك لأن التدين وإن كان من الأمور العامة فالدعوة إليه من الأمور العلمية الخاصة ، بل ليس كل عالم بصالح أن يكون داعية ناجحاً ، فالدعوة على وجهها الصحيح علم وفن وموهبة وخبرة ، وإعداد وصقل ، ووسائل وأدوات .

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ...

الأخوة الأعزاء العلماء الأجلاء .

ضيوف مصر الكرام والصفوة من رجال الدعوة ،

أبنائى الطالبات والطلبة .

إن من أعظم ماتنجح فيه الدعوة أن تربى النشء على الإسلام الصحيح، وأن تعلم الشباب دينهم القويم ، وأن ترشد المسلمين إلى الأخذ بقيم الإسلام والتخلق بأخلاقه ، والسير على هدى نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما أن من أعظم ما تنجح فيه الدعوة أن تصحح للمتطرفين فكرهم ، وتبصرهم بسماحة الإسلام ويسره وإقامة دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وأن تقنعهم بأن تغيير المنكر باليد لا يعنى الاعتداء على مرتكبه وإنزال العقاب به من أى إنسان ، هذا واجب من له حق إنزال العقوبة ، وهو المسئول عن توقيع الجزاء ورعاية المصالح بصفته صاحب الولاية ، كما أن من أهم ماتنجح فيه الدعوة أن تُكَوِّنَ رأياً عاماً عالمياً ، يرفض أن يقاتل جيش مسلم إخوته المسلمين فى جيش مسلم آخر ، أو أن تهدد دولة إسلامية جارة لها من دول الإسلام ، كما أن من أعظم ماينجح فيه الصفوة ، التى تخطط لنجاح الدعوة أن تعد الإعداد الصحيح لتخريج الداعية المقتدر ، الواسع العلم ، القوى البيان ، المدرك لروح العصر المتسلح بكل وسائل الإقناع والتأثير ، الذى يرى فيه الناس القدوة فى رجاحة العقل وعلو النفس وسعة الصدر وحسن الخلق والمعرفة بطبائع الناس ومشكلات المجتمع ، واحتياجات كل قطاع من القطاعات التى تتوجه إليها الدعوة .

ومن هنا أرى أن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى فى هذه الفترة من حياة أمتنا ، وأنا واثق من أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها ، بما جمعكم من هدف كريم ، وبما حملتم من علم عظيم ، وبما عمر قلوبكم من إيمان بدينكم وأمتكم ، وبما تأخذون به أنفسكم من تفان فى سبيل أداء رسالتكم ، والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم ، فهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ، وفقنا الله جميعاً وإياكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

البيت الحرام والمسجد الأقصى
والقدس الشريف

عـودة القدس

الولاية الشرعية للأمن
فى الحرمين الشريفين

حرمة الحرمين الشريفين
والمسجد الأقصى

عودة القدس

ألقى الباحث فى بداية كلمته أسئلة ثلاثة دار حولها بحثه :

هل ستعود القدس وفلسطينها من جديد ..؟

والى من تعود ... ؟

ومتى تعود ... ؟

ثم تناول الباحث أمر سكان فلسطين منذ عصرها التاريخى الى أن جاءها العبرانيون ، وفى مراحل البحث عرج الباحث الى عصيان بنى اسرائيل للنبوة :

ففى حياة موسى ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ حرموا أنفسهم من دخول الأرض المقدسة لأن فيها قوما جبارين .

وفى ظل يوشع ــ عليه السلام ــ دخلوها عصاة مذنبين .

وعلى أرضها رفضوا أمر الله ــ سبحانه ــ أن يكون طالوت ملكا وهم الذين طلبوا أن يبعث الله ــ عز وجل ــ لهم ملكا .

وعندما قام طالوت بتصفيتهم لاختيار أحسنهم لم يجد الا قلة من آلاف .

وهكذا وضح الباحث تاريخ القوم حتى انتهى ملك سليمان ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ موضحا عجز اليهود عن اقامة حضارة ، فقد كان ما ازدهر به ملك سليمان عليه السلام من حضارة انما كان بإرشاده تعالى لهم وليس من صنعهم .

وفى المرحلة السادسة كان الفتح الإسلامى، ومن قبله كانت رحلة الإسراء فى عهد النبوة المكى فارتبطت القدس بالإسلام والمسلمين ، وصارت مشعرا من مشاعرهم الحرام ، وهكذا كان الإسراء الى هذا المسجد إعلانا من المولى ــ عز وجل ــ بأن مواريث الأنبياء جميعا قد آلت إلى خاتم الرسل ﷺ .

وصار للإسلام فى القدس منارات ومعالم منها :

حائط البراق .

المسجد الأقصى .

الجامع العمرى .

مسجد الصخرة .

ثم كانت الحروب الصليبية التى كما كانت عامل استعمار لهذه المواطن الشريفة ، كانت مثار فتن لم تعهد قبلها من مختلف الطوائف من مسلمين ونصارى .

ويتساءل : أين المسلمون والقدس فى خطر ..؟

وهل سيبقى المسلمون منقسمين ، ويضيع القدس الشريف .. ؟

* الباحث : الأستاذ الدكتور متولى يوسف شلبى (رءوف شلبى) وكيل الأزهر .

لفضيلة الأستاذ الدكتور

رءوف شلبي *

ونترك للقارىء نص الباحث ليجيب :

وبعــــد :ـ

فهل سيبقى المسلمون منقسمين ويضيع القدس الشريف ؟؟ لقد كانت الأمة العربية الاسلامية فى حاجة الى أمرين :ـ

(أ) استاذ يوقظ حماسها ويوعى عقلها ويثير همتهـا •

(ب) قائد يوحد صفوفها ويلغى تفرقها وينظمها من الشمال الى الجنوب فى عقد سياسى وعسكرى تحت علم واحد خفاق بكلمة التوحيد •

وحول هذين العاملين الخطيرين فى درء الخطر الصليبى عن بيت المقدس وتحرير الأرض العربية الاسلامية من جحافل الصليبيين يقول الدكتور جوزيف نسيم أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية :ـ

(أ) قام الجامع الأزهر بدور رئيسى فى تنبيه الأذهان الى الخطر الجاثم على أرض فلسطين فخطب العلماء وبعثوا برسائل الى الحكام مؤيدة بآيات من القرآن الكريم تهدد العدو وتنذر بسوء خاتمته ، وآيات تستنهض فى العرب عزائمهم ليحملوا أعباء الجهاد •

***

« وكذلك وضعت خلال الحروب الصليبية المؤلفات العديدة فى فضائل الشام ، والقدس ، وبيت المقدس ، وأدب الجهاد ، والحث على قتال أعداء الله ، ومن هذه الكتب المحفوظة فى دار الكتب المصرية :ـ

* فضائل بيت المقدس :

أبو المعالى المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسى •

* فضائل بيت المقدس :

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطى المقدسى •

* باعث النفوس الى زيارة القدس الشريف المحروس •

برهان الدين ابراهيم بن اسحق بن تاج الدين متوفى سنة ٧٤٩ هـ •

* اتحاف الأخصا فى فضائل المسجد الأقصى:

محمد بن أحمد المنهاجى السيوطى ٨٨٠ هـ •

* تحصيل الأنس لزائر القدس :

عبد الله بن هشام متوفى ٧٦١ هـ (١) •

***

*** ويقول أيضـــا :ـ**

مما سبق نستخلص عدة حقائق هامة تتعلق بدور الشعب العربى فى صد المستعمرين الأوربيين أيام الحروب الصليبية •

(أ) أولها : أن مصر كانت خلال الكفاح الدامى المرير عبر القرون المتعاقبة قلب العروبة النابض بالحياة ومعقلها المنيع ، ومركز امدادها بالرجال ، والمال ، والميرة والسلاح •

(١) العرب والروم واللاتين دكتور جوزيف نسيم يوسف ص ٩٤/٩٧ •

عودة القدس

ومنها كانت تنبعث دائما صيحة الجهاد الحقة ضد الغزاة الصليبيين .. وكم شهد الجامع الأزهر من خطب كانت تلقى من فوق منبره أمام الآلاف المؤلفة من أبناء الشعب العربى الذين قامت على اكتافهم مهمة الحفاظ على أرض العروبة من أطماع الطامعين (٢) .

واذن : فكل تقوية للأزهر هى فى الواقع علامة صدق على نزاهة المعركة وقادتها ان فى مصر أو فى غيرها .. من بلدان العالم الاسلامى .. »

(ب) ويقول عن العامل الثانى :

.. بوسع العرب فى مصر والشام وشمال العراق ، اذا اتحدت جهودهم ، واتفقت كلمتهم ، وتكتلت قواهم فى صدق واخلاص أن يدفعوا عنهم الخطر الصليبى .. وليس أدل على ذلك من أن الفتوحات العربية شرقا وغربا فى القرن السابع ما كانت لتتم لولا اتحاد العرب واتفاق كلمتهم على صعيد واحد فى وقت نزل فيه القرآن الكريم على رسول الله — ﷺ — يدعو فيه العرب جميعا الى الاتحاد والتآلف والمحبة ونبذ الفرقة والخلاف ، وقد أكدت الانتصارات العربية الحاسمة فى القرنين الثامن والتاسع أنه بوسع العرب اذا اتحدوا أن يأتوا بالمعجزات (٣) .

ولهذا كان صلاح الدين الأيوبى ، ومن قبله — عماد الدين زنكى ، ونور الدين محمود — يعملون من أجل تكتيل الصفوف وتوحيد الجبهات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب: يعنى من العراق الى مصر ومن الفرات الى النيل : دولة واحدة ذات كلمة مسموعة وجيش موحد وارادة واحدة .

عودة القدس

وبعد أن اطمأن صلاح الدين الأيوبى الى سلامة الكيان العربى الواحد ، قام بجهاده المعروف ضد الفرنج الذى انتهى بهزيمتهم شر هزيمة فى موقعة (حطين) فى أكتوبر سنة ١١٨٧(٤)

يقول ستيفن رنسيمان :

وفى (حطين) حلت الهزيمة الساحقة بجيش المملكة اللاتينية بأسره والبالغ عدده نحو ٢٠ ألفا — دفعتهم حماقتهم الى المسير على سهل رملى تلفحهم حرارة شهر يوليو الشديدة — ولم تلبث أن أذعنت بيت المقدس بعد حصار لم يستمر أكثر من أسبوعين « ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، ولم تنته سنة ١١٨٩ م حتى لم يبق للاتين فى مملكة بيت المقدس سوى صور ، ولم يكن للصليبيين فى الشمال سوى أنطاكية وطرابلس .. **وبذلك ارتدت عقارب الساعة الى الوراء وعادت الأمور من جديد الى ما كانت عليه قبل الحملة الصليبية الأولى ، ولابد للغرب أن يتجهز من جديد لحرب صليبية مرة**

(٢) العرب والروم واللاتين ص ٢٧٩ .
(٣) العرب والروم واللاتين ص ٢٦٨/٢٦٩ .
(٤) النجوم الزهراة جـ ٦ ص ٣١ .

أخرى لاستعادة بيت المقدس غير أنه لابـد أن يواجـه العالم الإسلامى متحـدا لأنه لم يواجهه عام ١٠٩٩ م الا وقد نخرت فيه سوس المنازعات السياسية والدينية (٥) .

ومن محاسن الصدف ، وروائع الأحداث الدالة على الإخلاص فى النية وحسن القصد ، وحسن القبول معا أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ جعل عودة القدس على يد صلاح الدين يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب من عام ٥٨٢ هـ .

يقول ابن تغرى بردى : « وسلموا المدينة فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، فانظر الى هذا الاتفـاق العظيم ، كيف يسر الله ــ تعالى ــ عودة القدس الى المسلمين فى مثل زمان الإسراء بنبيهم ــ ﷺ ــ (٦) .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ــ

هل ستعود لنا القدس كما عادت الى صلاح الدين ؟

***

وايم اللـه لتعودن القـدس

فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة ٦٣٢ م فتح الله على المسلمين بيت المقدس ، وظـل القدس الشريف تحت راية الإسلام .. حتى كانت الهجمة الصليبية التبشيرية ، وأخـذ المسجد الأقصى من المسلمين يوم الجمعـة ٢٣ شعبان عام ٤٩٢ هـ الموافق ١٥ يوليو عـام ١٠٩٩ م ، وظل المسجد الأقصى حزينا على الدماء التى أريقت من حواليه زهاء تسعين عاما ثم عـاد :

فقد أعاده الله للمسلمين بفضل جهـاد صلاح الدين الأيوبى فى ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ الموافق أكتوبر ١١٨٧ م :

٤٩٢ هـ ــ ٥٨٣ هـ (٧) .

فترة اغتصاب الصليبيين للمسجد الأقصى

١٠٩٩ م ــ ١١٨٧ م

وعودة المسجد الأقصى من جديد .

ولما استسلبه المبشرون الصليبيون دخلـوه والدماء الى منتصف أطوالهم ، ولما اسـترده المسلمون نفذوا رحمة الإسلام فأمر صـلاح الدين بإيصال من قاوم القتال بقطيعته من الفرنج الى مأمنه ، ولم يسفك الدماء المعتدية المحتلة المغتصبة الضالة كما فعلـوا وهم المعتدون . ؟؟

والآن وحال العرب والمسلمين مثل حالهم ابان القرن العاشر الميلادى والخامس الهجرى وما بعده من حيث الضعف، والعجز ، والتفرق، والخلاف والاختلاف والحروب ، والتـدابر ، والتقاطع ... مما سبب سقوط القدس من جديد فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ م ولم تفلح مع اليهود طريقة لا بالحرب ولا بالسلم فهم لا يرغبون فى السلام مطلقا لأنه مبدأ يتناقض مع فكرة دولة عرقية عنصرية تقوم حياتها على استمرار اثارة الصراع مع الجيران كما ذهب الى ذلك (نيلز جونسون) فى كتابه : (قضية حدود اسرائيل الآمنة وتناقضـات الدول

(٥) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٨٢/٨٣ .
(٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهـرة جـ ٦ ص ٣٦ .
(٧) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهـرة جـ ٦ ص ٣٧ .

عودة القدس

الاستيطانية) فهل يا ترى سيظل القـــدس الاسلامى أسيرا عند من ليسوا له أهلا (٨) •

اننا لا نجيب هنا من منطق عـــاطفى ، ولا منطق محلل سياسى أو مؤرخ فيلسوف يتكهن بما تخفيه الأيام والعصور ، ولكننا نصـــدر عن يقين ثابت من منطلق النصوص الإسلامية التى قيلت فى ساعات العسرة وتحققت عـلى مدى العصور ، فيروى تاريخ الدعوة أن النبى — ﷺ — فى غزوة الخندق ســاعة أن كان سيدنا سلمان الفارسى يحفر فى الخندق واجهته كدية اشتدت عليه فأخـذ — ﷺ — المعول من سلمان الفارسى — رضى اللـــه عنه — وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثهـا وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله — ﷺ — وقال :

« أعطيت مفاتيح اليمن ، انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها أنياب الكلاب »•

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رســـول الله — ﷺ — وقال : —

« أعطيت مفاتيح الشام ، والله انى لأبصر قصورها » •

ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرق برقة فكبر وقال :

« أعطيت مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنيـــاب الكلاب فى مكانى هذا » •

وجعل رسول الله — ﷺ — يصف مدائن كسرى لسلمان فيقول سلمان : صدقت يا رسول الله : هذه صفتها ، أشهد أنك رسول الله ، ثم قال رسول الله — ﷺ — : هذه فتوح يفتحها الله بعدى يا سلمان (٩) •

ومحل الشاهد : أن رسول الله — ﷺ — فى لحظة الضيق والكرب يؤكد للمسلمين رؤية آفاق الفتح الإسلامى من بعده ويصفها لمـن يعرفها ويصدقه سيدنا سلمان الفارسى — رضى الله عنه — ثم يحدثنا التاريخ عن فتوح الشام، واليمن وحمص وبصرى ••• الخ •

فأية قوة لسيدنا محمد بن عبد الله — ﷺ — ليلقى بكلمات تعنو لها جباه الزمن ، ويأتمر بها من بعده جيوش وقادة •• لولا أنها كلمة حـق من فم لاينطق عن الهوى فإنه وحى يوحى •

وتنضم الى شهادة سيدنا سلمان الفارسى شهادة عدى بن حاتم ، فقد روى صاحب السيرة الحلبية حديثا يتعلق بما دار بين سيدنا رسول الله — ﷺ — وبين عدى بن حاتم : قال :

* لعلك يا عدى انما يمنعك من الدخـول فى هذا الدين ما ترى ، تقول : انما اتبعـه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهـم العرب مع حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه •

(٨) راجع مجلة عالم الفكر ، العدد الأول من المجلد ١٤ أبريل سنة ١٩٨٣ ص ٩٣ وما بعدها •

(٩) راجع السـيرة الحلبيـة جـ ٢ ص ٣١٣/٣١٤ •

* ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها ، قال : فوالله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد .

* ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال عدي : وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت ، وأيم الله لتكونن الثانية (١٠) .

اذن وأيم الله لتعودن القدس ، فقد قال — ﷺ — :

* تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

(رواه مسلم)

* لتقاتلن اليهود فاتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى فتعال فاقتله .

(رواه مسلم)

* تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

(رواه مسلم)

* لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

(رواه مسلم)

* فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ .

(رواه أحمد)

والأحاديث فيها عدة حقائق :

* فيها استمرار القتال بين المسلمين واليهود فهى معارك دائرة لا تنقطع حتى يأتى نصر الله لمن اصطفاهم لهذا الشرف الجليل .

* وأنهم سوف يبدأون بمعركة فيسلط الله المسلمين عليهم فتسخر كل أدوات القتال لنصرة المسلمين .

* وأن ذلك لابد أن يقع قبل أن تقوم الساعة .

* وأن أرض الملحمة الكبرى فى أرض يقال لها الغوطة .

وكما صدق رسول الله — ﷺ — فى كل ما قاله وبلغه عن ربه وفتح الله على المسلمين كل بلد ذكرها لهم رسول الله — ﷺ — من المدائن الى القسطنطينية ، فان القدس وأيم الله لعائد يوم يبعث الله عبادا له يجوسون خلال الديار ، وكان وعد الله مفعولا .

***

*** أما من سيعيد القدس ؟**

فانهم رجال لهم من السمات والأخلاق

---

(١٠) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٢٢ راجع كتابنا الدعوة الاسلامية فى عهدها المدنى ص٤٨٠ .

(١١) هذه الأحاديث أخرجها مسلم فى صحيحه كتاب الفتن جـ ٨ ص ١٨٨ طبع بيروت .

عودة القدس

مثلما كان لفاتح القدس ومحررها أبى عبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة ، والناصر صلاح الدين الأيوبى من الذين أنعم الله عليهم باخلاص النية ، وصدق العمل ، ومراقبة الله فى السر والعلن •

*** وأما متى ؟**

فيوم أن يتمنى القادة العرب والمسلمون أن يجتمعوا فى صلاة جامعة بالمسجد الأقصى مثلما تمنى الفيصل بن عبد العزيز فان ذلك هو أول خطوة صادقة على الطريق الى القدس الشريف ، وفى كل الأحوال فان الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون •

هذا وبالله التوفيق ••

أ • د رءوف شلبى

معاهدات

أهل ايلياء :

صالح عمر أهل ايلياء (القدس) بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل ايلياء :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم ، **ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود** ، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية •

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة (١٢) :

أهل لد :

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد •

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من

(١٢) الطبرى ٤ : ١٥٩ •

حيزها ولا مالها . ولا من صليبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم . وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام وعليهم ان خرجوا مثل ذلك الشرط .. الخ (١٣) .

معاهدة مع نصارى الشام :

روى عبد الرحمن بن غنم قال : كتبنا لعمر ابن الخطاب حين صالح نصارى أهل الشام .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيى ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين ، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ، وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ، ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ، ولانكتم غشا للمسلمين ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه أحدا ، ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الإسلام اذا أراده ، وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم فى شىء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكنى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، و لا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر ، وأن نجز مقاديم رؤوسنا وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر الصلب على كنائسنا، وأن لا نظهر كتبنا فى شىء من طرق المسلمين وأسواقهم ، ولا نضرب ناقوسا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة فى كنائسنا فى شىء من حضرة المسلمين، ولا نخرج سعانين (١٤)ولا باعوثا ، ولانرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم فى شىء من طرق حضرة المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نجاورهم بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق من جرت عليه سهام المسلمين ، ولا نطلع عليهم فى منازلهم .

ولا نضرب أحدا من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا ، وقبلنا عليه الأمان ، فان نحن خالفنا فى شىء مما شرطنا لكم وضمنا على أنفسنا فلا ذمة لنا ، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من أهل المعاندة والشقاق (١٤) .

←

---

(١٣) الطبرى ٤ : ١٦٠ .
(١٤) عيد السعانين ، والمشهور بالشعانين : عيد الأحد .

المراجـــع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ صحيح البخارى ومسلم .

٣ ــ التفسير الكبير . للفخــــر الرازى .

٤ ــ تفسير القرآن العظيم . لابن كثير .

٥ ــ تفسير البحر المحيط . لابن حيان .

٦ ــ تفسير روح المعانى . للآلوسى .

٧ ــ الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى .

٨ ــ تفسير الطبـــرى . لأبى جعفر الطبرى.

٩ ــ الدر المنثور . للســـيوطى .

١٠ ــ تاريخ الطبـــرى .

١١ ــ السيرة الحلبية .

١٢ ــ امتاع الأســـاع . للقزوينى .

١٣ ــ النجوم الزاهـــرة .
جمال الدين بن تغرى بردى .

١٤ ــ البداية والنهاية . لابن كثير .

١٥ ــ تاريخ الحروب الصليبية .
ستيفن رنسيمان .
ترجمة د . السيد الباز العرينى .

١٦ ــ الحروب الصليبية .
ارتست باركـــر .
ترجمة / د . السيد الباز العرينى .

١٧ ــ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى .
دكتور جوزيف نسيم يوسف .

١٨ ــ موجز تاريخ العالم .
هرجر ولـــز .
ترجمة عبد العزيز جاويد .

١٩ ــ تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الاسلامى .
بريســـتد .

٢٠ ــ المسيحية نشأتها وتطورها .
شارل جنى بير .

٢١ ــ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين .
دكتور فليب حتى .

٢٢ ــ بيت المقدس فى ضوء الحق والتاريخ.
دكتور عبد الفتاح أبو علية .
دكتور عبد الحليم عويس .

٢٣ ــ الدعوة الاسلامية فى عهدها المدنى
دكتور رءوف شلبى .

٢٤ ــ اضمحلال الامبراطورية الرومانية .
ادوارد جيبـــون .
ترجمة د . محمد سليم سالم .

٢٥ ــ مجلة : عالم الفكر المجلد الرابع عشر ــ العدد الأول أبريل/يونيو ١٩٨٣ ــ الكويت.

٢٦ ــ انجيل متى ، وتفسيره .
طبع دار المعارف بمصر .

د. رءوف شــلبى

الولاية الشرعية للأمن في الحرمين الشريفين

للدكتور عبدالله مبروك النجار*

لا شك أن الله تبارك وتعالى قد شرف أرض العرب حين اصطفاها من بين بقاع الدنيا ، واختارها من بين أماكن الأرض لتكون مستقراً للأماكن المقدسة وموطناً للحرمين الشريفين ، فجعلها بهذا الاختيار المبارك قبلة للمسلمين يتجهون إليها بقلوبهم وأرواحهم وأجسامهم في اليوم خمس مرات ، ولا ينفك الأمل الكبير يراود قلب كل مسلم وعقله وخاطره فى زيارة تلك البقاع الطاهرة ، والتمتع بأداء المناسك فيها ، ليهدأ خاطره ويطمئن فؤاده ، لأن زيارة تلك الأماكن المقدسة فضلاً عن كونها استجابة لنداء الإيمان امتثالاً لما أمر الله به وطلبه من خلقه بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(١) ، فإنها مع ذلك تصادف هوى فى قلوب المؤمنين فطر الله قلوبهم عليه ، استجابة لدعاء أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين دعا ربه بقوله كما حكى عنه القرآن الكريم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢) ، وقد استجاب الله هذا الدعاء المبارك فما من مسلم إلا ويحن قلبه لأداء تلك الفريضة ، وزيارة تلك البقاع ، فتوافرت الأسباب التى تجعل من الحرمين الشريفين محطاً لرحال فى كل وقت وزمان ، وأصبح الحج والاعتمار لا ينقطعان عنه أبدا ، وكان إقبال المسلمين عليه من كل أنحاء العالم لا يفرغ ولا ينتهى .

←

(*) الباحث : مدرس بكلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر .

(١) سورة آل عمران - آية ٩٧ .
(٢) سورة إبراهيم - آية ٣٧ .

معنى أمن الحرمين ونطاقه :

وقد اقتضت رحمة الله بخلقه أن يحيط هذا التجمع العالمي حول الحرم بمظاهر فضله وكرمه فمن عليهم بنعمة الأمن وجعلها من خصائص هذا البيت العتيق المبارك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾[٣] ، وقال عز من قائل : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾[٥] ، حيث دل هذا القول الكريم على أن الأمن من أهم صفات بيت الله الحرام ومن أعظم خصائصه ، حتى يتمكن المسلمون من عبادة ربهم على أحسن الوجوه ، ويتفرغوا لأداء المناسك على خير ما يجب .

والأمن الذى جعله الله من خصائص حرمه المبارك لا يقف عند حدود ما يزيل خوف الإنسان على حياته ولكنه يمتد ليشمل كل ما يخاف عليه من المصالح الضرورية التى يود أن يأمن عليها ، ويتبدد خوفه على ما قد يصيبها ، فجاء معنى الأمن شاملاً لكل ما يقيم النفس ويحفظها من وقوع التعدى عليها وحلول الخطر بها ، كما يشمل توابع النفس من المآكل والمشارب والملابس ولواحقها من المصالح الضرورية التى تحظى بخوف الإنسان ، مثل خوفه على ولده أو عرضه أو ماله ، مما تستقيم به حياته عزيزة كريمة .

وإذا كان معنى الأمن على هذا النحو يكاد يكون متصلاً بحياة الإنسان ووجوده ، فإن حدود الأمن فى الحرمين الشريفين ، لم تقف عند الإنسان وحده ، بل شملت كل ما فى رحاب بيت الله من الطير والحيوان والزرع والجماد والمال ، ونطقت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيما صح عنه أنه قال : « إن مكة حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يخبط شوكها ولا يعضد شجرها ، ولا يلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، ولا يحل صيدها ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظر إما أن يعطى وإما أن يقاد[٦] ، وهكذا شملت الحماية الأمنية كل ما يحوم حول الحرم .

تحريم بواعث التعدى على الأمن

وتأكيداً لمعنى الأمن حرم الله تبارك وتعالى كل ما يخل بمعناه مثل حمل السلاح لما قد يؤدى إليه من مساس بمعنى الأمن ، يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »[٧] ، كما حرم بواعث التعدى على الأمن ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .
(٤) سورة القصص ـ ٥٧ .
(٥) سورة البقرة ـ ١٢٥ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ ٩ صـ ١٢٥ وما بعدها ، وسبل السلام جـ ٢ صـ ١٩٦ .
(٧) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ صـ ١٣٠ .

أَلِيمٍ ﴾[8] ، وذلك حتى يقطع دابر الجريمة ، ويغلق الباب أمام كل أسباب التعدى والانحراف ، كما أجاز قتل الهوام المؤذية في الحرم لذلك .. وقد قرر جمهور الفقهاء أن للمدينة حرمة كحرمة مكة ، ونطقت بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم حين حرم المدينة وجعل لها مثل ما لمكة من حرمة[9] .. وما يجب أن يتوافر فيها من أمن يشمل كل لائذ بالحرم المدنى من إنسان وحيوان وطير وزرع ومال ، ولتكون الحماية كاملة فى الحرمين الشريفين .

إقامة الأمن فى الحرمين واجب :

وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم عن الأمن كأهم سمة من سمات الحرمين الشريفين ، فأرشد من خلال هذا الإخبار إلى وجوب حماية الأمن وكفالته فى تلك البقاع الطاهرة .. يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[10] ، حيث دل هذا الخبر على وجوب تأمين من يدخل الحرم ، لأنه فى معنى الأمر كما قرر جمهور الفقهاء والمفسرون ، والواجب يتطلب وجود من يخاطب به ، ويكلف بمضمونه والمكلف بخطاب الله تعالى يجب أن يكون أهلاً لما كلف به ، فمن خصائص التشريع الإسلامى أن التكليف فيه منوط بالاستطاعة ، وقد قسم الفقهاء الواجب باعتبار من يكلف به إلى نوعين ، أولهما فرض عين ، وثانيهما فرض كفاية ، والأخير هو الذى تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، والتى تهم جماعة المسلمين ، والأمن من بين أنواعها ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى فروض الكفاية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالولايات العامة أن تناط إلى أكفأ الناس وأولاهم فى القيام بها ؛ لأن فرض الكفاية يدل من خلال تسميته على أن سببه كفاية من يقوم به في كل ميدان من ميادين الحياة العامة للمسلمين أو ما يسمى بالمصالح العامة ، وكان لهذا يختلف عن فرض العين الذى لا يشترط فيه أكثر من الأهلية والاستطاعة . يقول عليه الصلاة والسلام : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » [11] حيث دل هذا الحديث الشريف على وجوب اسناد الأمر إلى أولى الناس به .

الولاية لدولة الحرمين :

.. وأولى الناس بحماية الأمن فى الحرمين الشريفين هم أهل الحرمين ، يدل على ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع بنى شيبة ، الذين نزل بسببهم قول الله تبارك تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[12] .

←

(٨) سورة الحج ـ آية ٢٥ .

(٩) راجع أحاديث حرمة المدينة فى صحيح مسلم ـ جـ ٩ صـ ١٣٥ ، ونيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٥ صـ ٣٤ وما بعدها .

(١٠) سورة آل عمران ـ آية ٩٧ .

(١١) رواه الإمام البخارى ـ راجع السياسة الشرعية لابن تيمية ـ صـ ٢٣ .

(١٢) سورة النساء ـ آية ٥٨ .

وبمقتضاه دفع الرسول عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعبة إلى (عثمان بن أبى طلحة) و(شيبة) وقال لهما : هى فيكم خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم(١٣) ، فدل قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله على أن الولاية فى شئون الحرم قد ثبتت لأهله بصفة عامة ولبنى شيبة بصفة خاصة ، والأمن من أهم شئون تلك الولاية .

ولما كان بنو شيبة من أتباع دولة مسلمة لها من الكفاية والاقتدار والمنعة ما تستطيع به أن تحفظ الأمن وبنو شيبه غير قادرين بحكم العادة على حماية مقومات الأمن فى الحرمين وحدهم وبخاصة أن مجالاته متعددة كما رأينا ، لذلك فإن عبء حفظ الأمن ، وحق ولايته يثبت الدولة التى يتبعها بنو شيبة ، ويعدون من رعاياها ، وإذا تقرر ذلك يكون لدولة الحرمين الشريفين وحدها حق إقامة الأمن ورعاية شئونه فى الحرمين الشريفين ، وإذا كان إثبات الحق لدولة الحرمين الشريفين هو ما يتفق مع القواعد الفقهية والأدلة الشرعية ، فإنه كذلك يقوم على أسس قوية من مبادىء القانون الدولى التى تؤكد سيادة كل دولة على أرضها ، وحماية الأمن من أهم مظاهر تلك السيادة ، والمبادىء التى يقررها القانون الدولى فى هذا الصدد منسجمة تماماً مع مبادىء الشريعة ، وتكاد تكون تطبيقاً عملياً لها .

وتأكيداً لمبدأ سيادة الدولة على أرضها استعار فقه القانون الدولى اصطلاح الميراث الدولى ليعبر عن مدى سلطان الدولة على أرضها ، حيث يشبهه بتصرف المالك فيما يملك ، وذلك تعبير مجازى عن حدود تلك السيادة الوطنية على الأرض ومداها .

التدويل فكرة باطلة :

ولا شك أن إسناد ولاية الأمن للدولة التى يقع فيها الحرمان الشريفان يقوم على أسس قوية ، تضمن وجوده في تلك البقاع الطاهرة على أحسن صورة ، لما يتوافر لها من إمكانات تلك الولاية من سيادة دولية محترمة ، وحرص ديني واضح ، وتاريخ يبعث على الطمأنينة في قلب كل مسلم ، وغيرة إسلامية على أن تلك المناطق ممتزجة بالمشاعر الوطنية التى تدفع صاحبها إلى بذل أغلى ما يملكه ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر على إنكارها أحد ، ومن ثم كان إسناد تلك الولاية إليها واجباً شرعياً ، ويجب على المسلمين جميعاً أن يحترموا هذا الحق لدولة الحرمين الشريفين ، وأن يعملوا على إقراره لها .

مفاسد فكرة التدويل وأساس حرمتها :

وحيث تقرر ذلك فإنه لا يستقيم شرعاً ما يحاول بعض الناس أن يروجوا له مما

(١٣) تفسير ابن كثير - جـ ١ صـ ٥١٥ وما بعدها ، والقرطبى - جـ ٥ صـ ٢٥٦ وأسباب النزول للسيوطى - صـ ٧٩ .

يسمونه ، « تدويل الحرمين الشريفين » ، تلك الفكرة الخبيثة التى تستهدف سلب (ولاية) من (أهلها) ، واغتصاب حق من أصحابه ، وطعن دولة مسلمة فى سيادتها ، والتدخل فى أمر من أخص شئونها .

.. إن هذه الفكرة ستؤدى إلى شيوع المسئولية عن أمن الحرمين الشريفين مما يعطله ، وقد أمر الله بإقامته على خير الوجوه وأحسنها ، كما أنها ستكون ذريعة لمفاسد كبيرة وشرور كثيرة ، منها ـ بعد تهديد كيان الأمن فى ربوع الحرمين الشريفين ، خلق الفتن والحروب وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح إن ضحية هذه الفكرة سيكون أمن المسلمين فى رحاب حرم الله الآمن ومن ثم كانت فكرة التدويل محرمة ، لما هو مقرر من أن للشىء حكم غايته .

قال الباحث :

ولاية الأمن لغة واصطلاحاً :

والولاية فى اللغة : النصرة والمحبة وهى مصدر ولى ، فيقال : ولى الشىء إذا ملك أمره . والولى : هو الصديق والنصير كما تطلق الولاية على الإمارة والسلطان .(١٤)

وفى اصطلاح الفقهاء : هى سلطة شرعية بها يتمكن الإنسان من تنفيذ التصرفات على الغير قولاً أو فعلاً دون توقف على رضاه(١٥) .

أو هى سلطة شرعية بها تكون أقوال الإنسان وتصرفاته نافذة .(١٦)

والولاية قد تكون عامة مثل ولاية الحاكم على أفراد الأمة التى استمدها من البيعة ، ومنها ولاية القضاء فيما للقاضى من الولاية العامة فقد جعله الشارع ولى من لا ولى له ، وقد تكون خاصة كولاية الوصى أو الوكيل(١٧) والذى يعنينا هو النوع الأول ، لأن ولاية الأمن تعتبر من بين ضروبها وولاية الأمن ، من باب إضافة الولاية إلى سببها ، أى ولاية سببها قيام الأمن وحفظه ورعايته ، والأمن من أعظم مصالح الجماعة ، ومن ثم كانت الولاية عليه من قبيل الولاية على أمر من أخطر أمور الناس ، وكانت الولاية فيه عامة لذلك .

أهمية ولاية الأمن فى الحرمين الشريفين :

ولما كانت ولاية الأمن من قبيل الولايات العامة ، فإنها من هذا المنطلق اكتسبت أهمية خاصة فى دين الله الذي يجعل لمصالح الجماعة حقاً يجب أن يحترم ، وفى هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية : « يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بنى آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى

(١٤) القاموس المحيط ـ جـ ٤ ص ٤٠٤ .

(١٥) دكتور محمد مصطفى شحاته ـ الأحوال الشخصية ـ ص ٥ ـ طبعة ١٩٧٤ .

(١٦) دكتور محمد الحسيني حنفى ـ الأحوال الشخصية ـ ص ٢٣٣ ـ طبعة ١٩٦٥ .
ودكتور محمد سلام مدكور ـ الوجيز لأحكام الأسرة فى الإسلام ـ ص ٥٠٩ ـ طبعة ١٩٧٨ م .

(١٧) دكتور محمد سلام مدكور ـ المرجع نفسه .

بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس حتى قال النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » ، فأوجب رسول الله ﷺ تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه ، من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمَع والأعياد ، ونصر المظلوم ، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة[١٨] ، أقول : وكذلك ولاية الأمن فى الحرمين الشريفين ، فإنها من أعظم مصالح المسلمين مكانة وأهمية .

ثم يقول : « فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها الناس إلى الله فإن التقرب إليه بها لطاعته ، وطاعة رسوله من[١٩] أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها » .

وقد جاء فى الأثر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن »[٢٠] .

الكفاءة أساس الولاية العامة :

ومن الثابت شرعاً أن الولاية العامة يشترط فيها أول ما يشترط أن يكون من يتولى أمرها على درجة من الكفاءة تمكنه من القيام بمسئولياتها أحسن من غيره بحكم إمكاناته واستعداداته وموقعه ، وتاريخه فى القيام على شئون تلك الولاية بما يكشف عن نجاحه فى مضمار ما أنيط به ، وقد رأينا أن الكفاءة أوالكفاية من شروط إسناد القيام بالواجب إلى صاحبها ، فإذا ما وجدت كانت الولاية له شرعاً لا لغيره ، وقد قامت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة نبيه ﷺ : على وجوب تولية الأصلح فى الولايات العامة بصفة عامة ، وفى الولايات التى تتعلق بشئون الحرمين الشريفين بصفة خاصة .

أدلة اعتبار الكفاءة فى الولايات العامة :

وقد قامت الأدلة على اعتبار الكفاءة فى تولى الولايات العامة التى تتعلق بمصالح جماعة المسلمين ، حتى لا يجوز أن يتولاها غير الأصلح ، وهذه الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

أ ـ من الكتاب الكريم :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٢١] ، ووجه

(١٨) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ـ لابن تيمية ـ ص ١٨٤ وما بعدها ـ طبعة دار الشعب .
(١٩) المرجع نفسه ـ ص ١٨٦ .
(٢٠) دكتورة عائشة بيومى ـ الأمور بمقاصدها ـ ص ٤٢ .
(٢١) سورة النساء ـ آية ٥٨ .

الدلالة فى هذا القول الكريم كما يقول الإمام ابن تيمية : أنه يوجب على أولياء الأمور أن يولوا على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجدونه لذلك[٢٢] ، فدل هذا على أن إسناد الأمر إلى أصلح من يقوم به من الأمانات التى يجب أن تؤدى .

ب ـ ومن السنة الشريفة :

ما ذكره الإمام ابن تيمية عن رسول الله ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين وفى رواية : « من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين »[٢٣] ، ووجه الدلالة في هذا كما يقول الإمام ابن تيمية : أن الحديث يوجب على المسلمين البحث عن المستحقين لولايات الأمصار من الأمراء والقضاة وأمراء الأجناد والوزراء ، والسعاة على الخراج والصدقات وغير ذلك مما يهم جماعة المسلمين ، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده ، فيجب على كل من ولى من أمر المسلمين شيئاً أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم رجلاً لاعتبارات أخرى غير الصلاحية والكفاءة .[٢٤]

الولايات فى الحرمين الشريفين :

وإذا ما أردنا تطبيقاً لتلك القواعد العامة المستقاة من كتاب الله تبارك وتعالى ، لوجدنا أن خير من يقوم بالولاية على شئون الحرمين الشريفين نيابة عن جميع المسلمين فى كل مكان هم أهل الحرمين أنفسهم حيث تعتبر تلك الولاية بعد أن تخصصت فيهم من قبيل الواجب العينى عليهم لا يشاركهم فيه أحد سواهم من أبناء الدول الأخرى لأن أساسه شرعاً فرض الكفاية ، وهو واجب الإسناد لأكفأ من يقوم به من جماعة المسلمين ، وليس جميعهم ، فإن القادرين بالتعيين والتخصيص صاروا أصحاب حق فى الولاية لا يشاركهم فيه أحد سواهم ، لأن المسئولية أصبحت مقصورة عليهم ، ومن ثم وجب التسليم لهم بهذا الحق ، ومؤازرتهم على حسن القيام به لصالح الجماعة المسلمة في العالم أجمع .

أدلة ثبوت الولاية لأهل الحرمين

وقد قامت الأدلة الشرعية على ثبوت الولايات الشرعية فى الحرمين الشريفين لأهلهما ، وإسنادها لهما ، لما يتوافر لهذا الإسناد فى أهل الحرمين الشريفين من المؤهلات ، والقدرات والإمكانات ، والحرص على قدسيتهما بحكم المواطنة والمجاورة والتاريخ الناطق بحسن القيام بأمرهما ، ومما

←

(٢٢) السياسة الشرعية ـ ص ١٨ .
(٢٣) المصدر نفسه ـ ص ١٩ .
(٢٤) فى هذا المعنى : ابن تيمية ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٠ .

يدل على ذلك من الكتاب الكريم وسنة رسوله ﷺ .

أ - قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٢٥] ، فقد دل هذا القول الكريم على وجوب إسناد الولاية لأصلح الناس في توليها ، ومعنى الآية ، وإن كان يدل على ذلك في جميع الولايات ، إلا أن سبب نزول الآية كما حكى جمهور الفقهاء والمفسرون يدل أنها نزلت في صلاحية أهل الحرم ، وخاصة حاملي مفتاح الكعبة من بني شيبة ، كما سنرى .

ب - ما فعله النبي مع بني شيبة :

ومما يدل على ذلك من السنة ، ما فعله النبي ﷺ مع بني شيبة لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة منهم ، وطلب العباس منه المفاتيح ليجمع بين سقاية الحاج وسدانة البيت ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ، فأعاد الرسول ﷺ مفاتيح الكعبة إلى بني شيبة[٢٦] ، قال الإمام ابن جرير : الآية نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .... ﴾ الآية فدعا عثمان إليه ، فدفع إليه المفتاح . فقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية : فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك ، وعن الزهري أن رسول الله ﷺ ، دفع المفتاح إلى عثمان ، وقال : أعينوه ، وروى ابن مردويه عن ابن عباس بعد أن ذكر سبب نزول الآية في بني شيبة قوله : من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك[٢٧] ، وروى الإمام القرطبي أن عمر بن الخطاب قال : وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال : « خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » ، ثم يقول الإمام القرطبي : والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات ورد الظلامات والعدل في الحكومات .[٢٨] .

جـ - السدانة مخلدة في بني شيبة :

وهكذا دلت السنة الصحيحة ، كما دل كتاب الله تبارك وتعالى على أن سدانة البيت الحرام ومفتاح الكعبة مع نسل بني شيبة إلى أن تقوم الساعة ، يدل على ذلك ما رواه الإمام القرطبي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعثمان وشيبة : خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، فدل هذا الحديث الصحيح على ما نزلت من أجله الآية الكريمة . وهو النص على أداء الأمانة لأهلها .

(٢٥) سبق تخريج الآية .
(٢٦) السياسة الشرعية - ص ١٨ .
(٢٧) تفسير ابن كثير - جـ ١ ص ٥١٥ وما بعدها - طبعة الحلبي .
(٢٨) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٢٥٦ ، وأسباب النزول للسيوطي جـ ص ٧٩ .

ومنهم بنو شيبة وهو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة[٢٩] الحجبى العبدرى من بنى عبد الدار وشيبة كان صحابياً أسلم يوم حنين وفى رواية : أن شيبة هو ابن عم عثمان بن أبى طلحة[٣٠] ، وسواء كان ابنه أم ابن عمه فإن السدانة في بنيه خالدة تالدة عملاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

حماية حق بنى شيبة :

وحق بنى شيبة في سدانة البيت الحرام ، والقيام بشئون الكعبة المشرفة حق خالد بقدر ما هو ثابت لهم شرعاً على وجه لا يقبل فكاكا عنهم أو انتزاعاً منهم ، حيث أخبر الرسول ﷺ : أنه لا ينزع هذا الحق منهم إلا ظالم ، فيكون سلب ذلك الحق منهم ظلم ، والظلم حرام فى شريعة الله ، وبنو شيبة لا يقدرون بأنفسهم على رد ما قد يراد بحقهم هذا من نيل أو مساس ، فالناس ليسوا ملائكة يطيعون الله ولا يخلفون له أمراً ، ومن ثم كان إيراد هذا الاحتمال قائماً ما دام المخاطبون بهذا الحكم بشرا تحكمهم الأهواء ، وتحركهم الأغراض ، ومن ثم كان من اللازم لحماية هذا الحق أن يوجد من يكفل له الحماية والمنعة من مظنة التطاول عليه أو المساس به .

ولما كان بنو شيبة من رعايا دولة مسلمة ، وأتباع وطن مسلم اختصه الله بشرف وجود الحرمين الشريفين على أرضه ، وهذه الدولة المسلمة لها من القوة والمنعة والسيادة ما يمكنها من أداء الأمانة لأهلها وحماية الحق من الطامعين فيه ، فإن عبء القيام بواجب تلك الحماية يقع شرعا على عاتق الدولة المسلمة التى يقع الحرمان الشريفان فى ربوعها والتى يعد بنو شيبة من رعاياها ، ولهذا قيل إن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن[٣١] .

وإذا تقرر ذلك يكون لدولة الحرمين الشريفين ، قياساً على حقها فى شمول بنى شيبة بالمنعة والحماية أن تكون صاحبة الحق فى إقامة الأمن ورعاية شئونه فى الحرمين الشريفين ، بعد أن تعددت مجالاته ، واتسع نطاقه ، وأصبح من العسير أن يقوم به فرد أو مجموعة ، فكل من الأمرين امتداد للآخر واستكمال له ، فالأمن معنى كلى لا يقبل التبعيض ولا التجزئة لأن أى إخلال به ولو كان جزئياً يخل بمعنى الأمن ويهز بنيانه ، ولهذا كان الأمن متعلقاً بحق من حقوق الله ، التى يتعلق بها النفع للمسلمين جميعاً .

أساس هذا الحق شرعاً وقانوناً :

وهذا الذى نقرره ليس كلاماً مرسلاً ، لأنه لا يخرج عن كونه تطبيقاً للقواعد الفقهية ، كما أنه هو الذى يتواءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، ويتفق مع قواعد القانون الدولى .

←

(٢٩) السياسة الشرعية جـ ص ١٨ .
(٣٠) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٢٥٦ ، وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤١٢ . وصحيح البخارى جـ ٤ ص ١٨٩ .
(٣١) الحسبة فى الإسلام ـ لابن تيمية ـ ص ٤٦ .

أ ـ أما بالنسبة لقواعد القانون الدولى :

فإنها في حقيقتها لا تخرج عن كونها تطبيقاً متعارفاً عليه لما يقرره الإسلام من مبادىء فى إطار العلاقات الدولية ، تدعو إلى التعاون واحترام الحقوق ، وهذه القواعد تنص على أن كل دولة لها على أرضها حق السيادة وبمقتضى هذا الحق يكون لها اتخاذ جميع التدابير التى تحمى كيانها وتصون مقدساتها ، ولها أن تستعمل القوة فى إطار حماية تلك المقدسات كما تفرض تلك المبادىء على جميع أفراد الأسرة الدولية أن تحترم كل دولة سيادة الأخرى وألا تتدخل في الشئون الداخلية لأى دولة ، فإن هذا التدخل ينطوى فى حقيقته على مساس بالسيادة ، وتعد على حق دولة داخل أراضيها ، وذلك كله قد يسفر عن نتائج وخيمة تعلن فيها الحروب ، وتراق فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح ، ويضيع فيها الأمن والسلام . وسيادة الدولة على أرضها تمثل ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد في داخل إقليمها ، فتشملهم بالمنعة ، وتحمى حقوقهم ، وتواجه به الدول الأخرى بإرادتها وحدها دون تدخل من دولة أخرى .(٣٢) .

وتفرض مبادىء القانون الدولى ، على الدول جميعاً أن تحترم كل منها سيادة الأخرى بحيث يمثل الالتزام بذلك واجباً دولياً يقع على عاتق كل دولة ، وقد نصت على ذلك المادتان : ١ ، ٢ من مشروع إعلان حقوق الدول وواجباتها الذى وضعته لجنة القانون الدولى التى كونت في هيئة الأمم المتحدة . حيث ورد فى هاتين المادتين من تلك الواجبات : مراعاة أحكام القانون الدولى فى علاقة كل دولة بغيرها أو الامتناع عن التدخل فى شئون الدول الأخرى ، فالتدخل فى شئون أية دولة عمل غير مشروع .(٣٣)

كما نصت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة فى فقرتها الأولى على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها ونصت في فقرتها السابعة على أنه ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما ، وليس فيه ما يلزم الأعضاء بأن يعرضوا عليها مثل هذه المسائل .(٣٤)

وظاهر من هذا النص أن التنظيم الدولى يقوم أساساً على فكرة السيادة ، وأن الاتفاقات الدولية عالمية وإقليمية لا تزال تجعل من مبدأ السيادة قاعدة أساسية بل ما زالت السيادة تعتبر ركناً أساسياً فى النظام الدولى الجديد ، واعتراف ميثاق الأمم المتحدة بسيادة الدول الأعضاء قد أبقى الأمم المتحدة ، منظمة دولية دون أن تصبح حكومة عالمية فوق الجميع .(٣٥)

وقد ترتب على إقرار الأمم المتحدة لنظرية

---

(٣٢) على منصور ـ الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام جـ ص ١٢٦ ـ دار القلم .

(٣٣) المرجع نفسه ـ ص ١٧٨ .

(٣٤) دكتور محمد كامل ياقوت ـ الشخصية الدولية ـ فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية ص ٣٣٩ .

(٣٥) المرجع نفسه ـ ص ٣٤٠ .

السيادة الدولية ، أن تمارس الدولة بإقليمها المستقرة عليه كل حقوقها على أرضها ، وقد استعار الفقه للدلالة على نطاق هذا الحق ومداه ، ما يسمى فى فقه القانون الدولى : « بالميراث الدولى » ، الذى تقوم فكرته على ركيزة رئيسية مفادها : أن حق الدولة على إقليمها هو حق ملكية تمارس عليه سلطاتها كما يمارس المالك سلطاته على ما يملكه ، وذلك تعبير مجازى عن مدى سلطات الدولة في ممارسة سيادتها على أرضها ، ومقدساتها على تلك الأرض ، دون أن يشاركها أحد غيرها في هذا النطاق ، وفكرة الميراث الدولى وإن كانت قد نشأت في ظل النظرية التقليدية إلا أنها ورغم التطور الذى لحقها مازالت هى التعبير الأقرب دلالة على ممارسة الدولة لسيادتها على تراثها وثرواتها ومقدساتها بإقليمها .[٣٦]

وعلى ضوء تلك المبادىء يكون حق ولاية الأمن كأحد مظاهر السيادة الدولية لدولة على أرضها ومقدساتها يثبت للدولة التى يقع فيها الحرمان الشريفان .

ب - إسناد الأمر لأولى الناس به واجب شرعاً :

وهذا الذى يقرره القانون الدولى ، لا يمكن أن يتنافى مع مبادىء الشريعة الإسلامية ، التى تدعو إلى التعاون الدولى على أساس من البر والمودة والقسط واحترام الحقوق المقررة والمواثيق المبرمة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[٣٧] ويقول الله تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾[٣٨] ، ويقول عز من قائل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾[٣٩] ، حيث أمر الله تبارك وتعالى باحترام العهود والمواثيق التى تلتزم بين دولة وأخرى ، وذلك أدعى لاحترام أرضها وسيادتها عليها .

وعلى هذا فمبادىء القانون الدولى تعتبر بمثابة التطبيق العملى لتلك المبادىء التى يقررها الإسلام الحنيف .

ولكن الذى أود أن أضيفه مع ذلك أن هذا التوصيف هو ما يتواءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، فإذا كانت المبادىء القانونية تقضى بأن الدولة التى يوجد الحرمان الشريفان بها هى التى يتقرر لها حق ولاية الأمن فيهما ، من منطلق حقوقها الشرعية وشخصيتها الدولية وسيادتها الوطنية ، فإنه مع كل ذلك ينسجم مع مبادىء الشريعة الغراء ، ويتمشى مع القواعد الفقهية الثابتة بالاستقراء لفروع الشريعة ، والتى يجمعها حديث النبي ﷺ الذى رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل : يا رسول الله وما إضاعتها ، قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله

(٣٦) فى هذا المعنى - المرجع نفسه ص ٦٩٤ .
(٣٧) سورة النحل آية رقم (٩١) ، (٩٢) .
(٣٨) سورة الأنفال آية رقم (٧٢) .
(٣٩) سورة النساء آية رقم (٩٠) .

فانتظر الساعة »[٤٠] ، فالحديث يدل على أن من يتولى أمراً عاماً يهم جماعة المسلمين يجب أن تتوافر فيه الأهلية التى تجعله أولى الناس بالقيام به حتى لا تضيع المصلحة المرادة بالولاية ، وقد أجمع المسلمون على هذا المعنى [٤١] ، وليس هناك أولى من الدولة التى يقع الحرمان الشريفان فيها في حماية الأمن فيهما ، والقيام بشئونه على خير الوجوه وأحسنها ، لما يتوافر لها من إمكانات تلك الولاية ، من سيادة دولية محترمة ، وحرص دينى واضح ، وتاريخ يبعث على الطمأنينة فى قلب كل مسلم وغيرة إسلامية ممتزجة بالمشاعر الوطنية التى تدفع صاحبها إلى بذل أغلى ما يملكه في سبيل رعايته ورفعته ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر على إنكارها أحد ، ومن ثم كان إسناد الولاية إليها واجباً شرعاً ، كما يجب على المسلمين جميعاً أفراداً ودولاً أن يحترموا هذا الحق ، وأن يعملوا على حفظه واستقراره لأن نعمة الأمن ستعود عليهم جميعاً ..

د . عبد الله مبروك النجار

(٤٠) السياسة الشرعية ـ ص ٢٣ .

(٤١) نقل الاجماع الامام ابن تيمية ـ السياسة الشرعية ص ٢٣ .

حرمة الحرمين الشريفين

والمسجد الأقصى

للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

بيت الله الحرام ، ومسجد النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى تلك المساجد الثلاثة فى القمة من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتؤدى فيها فرائضه على ثواب شاء الله ـ سبحانه ـ أن يبره بفضله ، ويزيده من نعمته فيجعله يسمو على غيره أضعافا مضاعفة .

وهى حرمة الاسلام وكرامة المسلمين ، تعلقت بها القلوب ، وطافت بها المشاعر ، وسعى اليها المسلمون طلبا لمرضاة ربهم وغفرانه وتكريمه :

فالمسجد الأقصى ، مجمع الأنبياء ، فيه أم رسول الله ﷺ المرسلين ، باركه الله ـ سبحانه ، وبورك ، وظل شعيرة الى يوم الدين .

ومسجد النبى ﷺ هو مجد تلك الأمة التى أرادها الله خير أمة أخرجت للناس ، عز بالاسلام وعز به المسلمون ، وضاءت به

« المدينة » فهى « المنورة » اذ ضم تربها الغالى جسد رسول الله الشريف ﷺ ، وقام بها هذا البيت .

قال فيها ـ رسول الله ﷺ : « ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت

←

* الباحث : مدرس العقيدة والفلسفة ـ جامعة الأزهر .

المدينة كما حرم ابراهيم مكة ، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل ما دعا ابراهيم لمكة » (١).

وهذا البيت الحرام قبلة الأمة الى يوم الدين ، ووحدتها على الصراط المستقيم تلك هى المساجد الثلاثة شعائر ومناسك وحرمات ، تفاضلت فى ثواب العبادة فيها حتى انتهى الى البيت الحرام ، وفى البيت الحرام ذروة التعظيم والتشريف والتكريم فيه روى ابن ماجه عن عياش بن أبى ربيعة — رضى الله عنه قال قال رسول الله — ﷺ « لاتزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » .

قال الامام الزركشى — فى اعلام الساجد بأحكام المساجد — فى شأن البغى اذا تطاول على البيت الحرام محدثا بما عليه جمهور الفقهاء :

« ان أهل البغى — فى الحرم — يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال ، لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من اضاعتها » .

والله — سبحانه — من وراء ذلك الحافظ الأمين .

وهذا جزء من البحث ، قال الباحث :

ان المستقرىء لتاريخ الانسانية فى القديم والحديث لن يجد ما هو أعز على الناس وأقدس فى حياتهم من مواطن الطهر والصفاء ، حيث تبلغ الروح قمة الاشراق ، والاستعلاء الروحى الفريد .

وفى طليعة هذه المواطن ما كان مرتبطا منها بالعاطفة الحية والوجدان الرقيق ، والايمان الحق ، واليقين الوثيق فى الله رب العالمين .

ولا ينطبق هذا على مكان قدر ما ينطبق على البيت العتيق ، الذى جعله الله مثابة للناس ، وجعله حرما آمنا ، وجعله أول بيت وضع للناس ، فى الشرف والمكانة .

ولقد تعلق الناس منذ فجر الحياة ، بهذا البيت العتيق ، وارتبطوا به ، وهفت اليه نفوسهم ، من حيث كان ولا يزال موئل عبادتهم ومحل طاعتهم ، ومنطلق صلتهم بالملأ

(١) رواه الشيخان .

الأعلى ، مما حدا بالمؤمنين أن يستقر لديهم ، ويتأكد فيهم الاستعداد التام ، لحمايته والذود عنه ، وبذل المهج من أجله ماوسعهم هــــذا وأطاقوه ، وأن يقفوا من كل عاد عليه متربص به ، موقف العداء العلنى الذى لا مواربة فيه، ولا حيلة ، ولا حيدة عنه ، ولا مناص منه •

ولما كان للكعبة المشرفة من القداســــة والجلالة فى هذا البيت ما ليس لبيت ســـواه ، فقد حرمها الله ، وجعلها حرما آمنا ، لا يحل انتهاكه ، ولا افزاع الناس فيه أو من حوله ، ولا شن الحرب فيه ، ولا فى رحابه الملحق ، ولا فى مكة المكرمة التى تضمه بحال من الأحوال •

وفى الصحيحين ــ واللفظ لمسلم ــ عن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى الا فى ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيــامة ، ولا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده » •

وقال رسول الله ﷺ « ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم • وانما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتهــا اليوم كحرمتهــا بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب •

وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « لا يحل لأحــدكم أن يحمل بمكة السلاح »•

وما أخبث الأهواء : حين يحتكم اليها البشر وتتحكم فيهم • فتلوى أعناقهم عن الحق وكل ما يرتبط به ويدور فى فلكه ، وتعمى بصائرهم عن ادراكه ومعرفته ، وحالئذ لاتجــدهم الا عبيدا للأوهــام ، وأدوات للغرور ، مدفوعين بصلفهم الى العدوان والطغيان ، والعســـف والقهر ، ومصـــادرة النـــاس فى عقائــدهم ، وأديانهم ، وحرياتهم ، وحقوقهم •

ولقد تربص بالبيت العتيق ــ بضع مرات ــ أعداء الحق ، وعشاق الهمجية وأصحاب الحقد والضغينة ، وذوو الميول الهابطة ، والأطماع الدنيئة ومن جبلوا على أساليب الكيد ووسائل البغى ، وحب العنجهية والغطرسة والغرور •

كادوا له ، ومكروا ، ودبروا للنيل منه بغية محوه ، وصرف الأنظار عنه ، بيد أن كيد الله

←

لهم كـــان أكبر ، ومكره كـــان أعظم ، وتدبيره دائما أعلى وأجل •

أجل ، لقد رد الله البغاة على الحـــرم على أعقابهم خاسرين وجعل كيـــدهم فى نحورهم على اختلاف منازعهم ومشاربهم ، وأهدافهم ، وسواء أمر هؤلاء جميعا فى الجاهلية والاسلام حيث لم تقم لمعتد على الحرم العتيق فى البلد الأمين قائمة من قريب أو بعيد ، بل أنفذ اللـــه فيهم سنته ، وسلط عليهم جنده ، قال تعـــالى فى سورة الفتح : « **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** » • وقال تعالى فى سورة المدثر : « **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** » •

فلم يلبثوا برغم كيدهم ومظاهراتهم ومكرهم الا ريثما أعمل الله فيهم أمـــــره المبرم ، وأنفذ فيهم قضاءه المحكم ، فاذا كيدهم فى ضـــلال وضياع •

ولقد حاول غير واحد مـــن أولى البـــأس والسلطان فى عصور مختلفة أن يصرفوا الناس عن هذا البيت فذهبت محاولاتهم هباء وبـــاء أبرهة ومن ســـبقه ومن لحقـــه ، بالاخفاق فى مآربهم من صرف الناس عن بيت الله لأنهم كانوا يرمون من ورائه الى غاية لا تدين للحق أو تنتهى اليه •

انها غايات دنيوية سياسية •

والغايات السياسية موقوتة مصـــيرها الى الزوال والفشـــل ، وهى كذلك لا تســـتند الى أساس ثابت فى قرارة النفس الانســـانية ولا تمثل المعنى الروحى ، ولا الحقيقة العليـــا ، التى يتعلق بها الفؤاد ويتوق اليها القلب •

والحق أن كعبة الله المشرفة فى مكة المكرمة هى أمنع من حصن الكمى بحماية الله لهـــا ، وحفاظه عليها ، ودفاعه عنها •

فاذا انتقلنا الى المدينة المنورة التى تضم أطهر البقاع على الاطـــلاق لاحتوائهـــا على الرفات الشريف الطهور للرسول ﷺ طالعتنـــا هناك مشاهد ومواطن أفضلها على الاطـــلاق مسجده الشريف ﷺ الذى شهد كفـــــاحه وجهاده •

وللمسجد النبوى بعـــد المســـجد الحرام قداسته التى لا تعادلها قداســـة فقد أنشـــأه النبى ﷺ بيده الشريفة وأم فيه هذه الأمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وبه منبره الشريف ، وحيث توجد به أفضل بقعـــة على الأرض ، قال صلى الله عليه وسلم فيمـــا رواه البخارى : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » •

وروى أن رســـول الله ﷺ قال : اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وانى عبـــدك ونبيك ، وانه دعاك لمكة ، وانى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة » •

وروى البخارى ومسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « ان ابراهيم حـــرم مكة ودعـــا لهـــا ، وحرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل مادعا ابراهيم لمكة »

ومن هذا ندرك أن لهذين الحرمين الحـــرم

المكى والحرم النبوى ولهذين البلدين ــ مكة والمدينة المنورة ــ مكانة عظيمة ، فهما أفضل بقاع الأرض قاطبة رعاهما الله وحماهما ، ورد عنهما كيد الأعادى ، وعاديات الزمن •

واذا بلغنا المسجد الأقصى وجدناه المنارة التى تشد المسلمين • قال تعالى : « **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ** »•

وهذه الآية هى المعظمة لقدره باسراء سيدنا محمد ﷺ اليه قبل عروجه الى السماء •

وقد رويت أحاديث عن رسول الله ﷺ تذكر مضاعفة الصلاة فيه •

وجدير بالأمة الاسلامية أن ترعى حرمة هذه المساجد التى أشار الرسول الكريم ﷺ الى شد الرحال اليها •

وحرى بنا ــ أمة الاسلام ــ أن نعقل دور بيت الله الحرام فى التاريخ ، وأثره فى الايمان وعطاءه للبشر فى مجالات السلام والأمن ، والاستقامة والرشاد واشعاعاته فى الأجيال ، والأفراد والجماعات والأمم •

روى ابن ماجة عن عياش بن أبى ربيعة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ « لاتزال هذه الأمة بخير ماعظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » • وفى الستة الذين لعنهم رسول الله ﷺ قوله : « والمستحل لحرم الله » والأحاديث والآثار فى تعظيم الحرم أكثر من أن تحصر •

وقد بدا واضحا أن لله فى خلقه وكونه نماذج اختصها بفضله وحباها برعايته •

ولقد بدا هذا جليا فى البيت العتيق وكعبته المشرفة فى مكة المكرمة ، وفى أبى الأنبياء ، ابراهيم الخليل عليه السلام ، واسترواحه لأريج هذا البيت ، وعطر بقعته الطاهرة ، وعبق تاريخه الضارب فى أعماق الحياة وطوايا المستقبل •

كما بدا أيضا فى اجابة الله وقبوله لدعوة ابراهيم وتلبية رغبته • وبدا كذلك فيمن هيأهم الله عبر العصور ، وأعدهم ووفقهم وهداهم لكفالة هذا البيت ورعايته وتجديده ، وصيانته وتعهده والقيام على أمره وخدمته •

وبدا كذلك واضحا فيما خص الله به المملكة العربية السعودية من نعيم العطايا ، ورعاية حرمة الحرمين الشريفين ، والسهر عليهما ، وحراستهما وتوفير كل ما يلزمهما ، ويلزم الوافدين اليهما •

ومن هنا كان من حق المملكة العربية السعودية أن تدفع عن الحرم أهل البغى والعدوان ، وقد قال جمهور الفقهاء ، كما ذكر الزركشى فى اعلام الساجد بأحكام المساجد : « ان أهل البغى فى الحرم يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال ، لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من اضاعتها»•

وذهب الحسن البصرى : الى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة لأن القتال فيه منهى عنه فلا يحل ما يسببه •

وما أولانا أن نوقن تماما ــ وبصورة وثيقة لا تقبل الشك أو التردد ــ أن الله تعالى جلت قدرته ، وعز شأنه من وراء بيوته ، يحميها ويدافع عنها وهو مع أهلها « والقائمين عليها ، وعلى أمر الدعوة والبلاغ والتوجيه فيها كما عودهم دائما يكلؤهم ويرعاهم ويحمى ظهورهم « **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** » •

المصادر والمراجع

ـ الامام مسلم	صحيح مسلم
ـ الصالحى الشامى	سبل الهدى والرشاد
ـ ابن كثير	السيرة النبوية •
ـ ابن هشام	سيرة النبى صلى الله عليه وسلم •
ـ الفيروزأبادى	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز
ـ وزارة الأوقاف	الدين والحياة •
ـ الجمل	الفتوحات الالهية •
ـ الزركشى	اعلام الساجد بأحكام المساجد
ـ القرطبى	احكام القرآن •
ـ عبد الكريم الخطيب	التفسير القرآنى للقرآن
ـ الفخر الرازى	تفسير القرآن •
ـ الشيخ السبكى	نفحات القرآن •

الاستشراق وعلاقته بالإسلام والمسلمين

الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين

مسئولية الاستشراق وسموم
دائرة المعارف الإسلامية

الاستشراق

وواقعه وجهود المستشرقين

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بأحسان الى يوم الدين ، وبعد ..

فان للمستشرقين اتجاهات وأبحاثا رصدت كل ما يتصل بالاسلام والمسلمين لأغراض خاصة وعلى المسلمين أن يخصصوا من بينهم من يقوم بمواجهة هذا النوع من المخططات حتى يتمكنوا من الاستفادة من الثمين ويردوا على المفتريات هذا وبالله التوفيق ...

التعريف بالاستشراق :

الاستشراق بتعبير موجز : الدراسات التى يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وألحق بهم كل من يتصدى لهذه الدراسات من غير الشرقيين ، بعد اتقان لغات الشرق وبخاصة اللغة العربية . وهى المادة الخصبة لموضوع الاستشراق ، وطغت هذه اللغة على ماسواها ، ولقد قدر للقرآن الكريم أن يحتضن الاسلام واللغة العربية فى وقت واحد حتى أضحى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة أغنى المواضيع عند المستشرقين على الاطلاق فبحثوا جزئيات الكتاب والسنة وكليات الكتاب والسنة .

وانصبت الدراسات والبحوث بشكل يلفت النظر حول الكتاب والسنة، وبخاصة كل مايتصل بالاسلام والمسلمين بعامة . ولقد بلغ المستشرقون من تعليم لغاتنا وحفظ تراثنا مبلغا عظيما وأخذوا اللغات وأمهاتها (سامية) أو (آرية) فدرسوا الكلدانية والأشورية والآرامية والسريانية والعبرية والفارسية والتركية وحلوا الكتابات الهيروغليفية والمسمارية والفينيقية والنبطية فأدى ذلك الى اكتشافات لها أثرها العظيم على تاريخ الحضارات البشرية .

ولما كان معظم المستشرقين يحفظ أكثر من لغة عدا اتقانه غيرها من لغات الغرب واطلاعه على ما نشر فيها عن الشرق فكانت المعرفة عنده أكثر من غيره وتتناول التراث الانسانى بالبحث والنظر والتحليل .

* الباحث : أستاذ بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

للأستاذ الدكتور
طلعت أحمد على محسن*

والتخصص المستقل للأفراد أو المدارس أو المؤسسات أدى الى التعمق فى الفروع التى تخصصوا فيها ، وكانت لهم ثمار طيبة فى أبحاث تخصصاتهم المتعددة المتنوعة التى خرجت بعد جهود مضنية وزمن طويل وصبرهم وتحملهم للعمل الشاق فربما ينقضى عمر أحدهم فى تحقيق مخطوطه أو تصنيف كتاب دون كلل أو ملل •

تصنيف المستشرقين :

ونعنى هنا بالمستشرقين الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامى وعن الحضارة الاسلامية •

فمن حيث الزمان : طبقة القدماء مثل (جرير دوريباك ، توماس الأكوينى والمحدثين مثل جولد تسهير) •

نشأ المستشرقون قديما وحديثا فى كنف الكنيسة التى كانت ترعاهم وتوجههم وتستغلهم بكل وسعها وامكاناتها •

وقد اتسمت هذه العصور كلها بتعصب أعمى ضد الاسلام ورسوله ﷺ وظلت مبادئه وتعاليمه عبئا ثقيلا على العقل الأوروبى•

وبعد الحروب الصليبية التى كانت سببا فى تحول كبير فى العقلية الغربية التى شرعت فى دراسة الحياة الاسلامية حيث تأكد لها أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير •

ويرى كثير أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما الاستعمار والتبشير وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذى وجد من أجله وان غير أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة وبخاصة بعد أن تكشفت أغراضه للمفكرين المسلمين الذين أخذوا يدحضون شبهاته •

أما الاستعمار فهو يرى أن المفهوم الاسلامى السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره فهو يستهدف تقويض هذه العقيدة واحلال مفاهيم تحمل الولاء والصداقة مع الأمم المحتلة تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشرى •

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون التوسع الإسلامى وانتشاره وحتى لا يكون منازعا أو منافسا للمسيحية ، والخطر الأكبر هو أن تصل المفاهيم الإسلامية الصحيحة الى عالم الغرب نفسه •

وأضيف الى هذين الأبوين أب ثالث هو : الصهيونية التى تستهدف من سيطرتها على الاستشراق الحيلولة دون تجمع العرب فى وحدة تقاوم الصهيونيه وتواجه إسرائيل •

وأغلب المستشرقين يجمعون بين العمل بالاستشراق والعمل بالتبشير والعمل مع دوائر الاستعمار فى وقت واحد مثل جب الانجليزى ، وماسنيون الفرنسى ، وسنوك هونجو الهولندى • الذى يقول : يجب على

الحكومات الأوروبية أن تجتهد فى اظهار التناقض بين الاسلام والمدنية الحاضرة ، ويذهب الى هذا (كرومر) من قادة الاستعمار . لذلك عمل هؤلاء على اظهار عجز الاسلام عن أن يتمشى مع التقدم الحضارى .

دوافع الاستشراق :

للاستشراق بوجه عام من خلال دراساته العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفا اتسم بعضها بهدف تبشيرى ، واتجه البعض الآخر إلى غرض استعمارى ، وخلص القسم الثالث لاتجاه علمى .

الدوافع التبشيرية :

ذهب (رودى بارت) الى أن الهدف الرئيسى من جهود المستشرقين فى بدايات الاستشراق فى القرن الثانى عشر الميلادى وفى القرون التالية له : هو التبشير وعرفه بأنه : اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم الى الدين المسيحى . وقد أوضح هذا (نورمن دانيل) فى كتابه الإسلام والغرب ، وعرض الاستاذ الدكتور محمد البهى لهؤلاء المستشرقين المبشرين وموقفهم من الإسلام .

وهذا النوع من المستشرقين قد دفع تبشيريا إلى الغض من مكانة الاسلام والقرآن لتقليل أهميتهما وزعزعة النفوس عنهما .

وعمد قسم من المستشرقين الألمان واليهود أمثال (فيل) و (جولد سهير) و (يول) وغيرهم إلى القول بأن القرآن حرف وبدل بعد وفاة النبى ﷺ وفى صدر الاسلام الأول ، وأن النبى ﷺ ، كان يصاب بالصرع ، وأن ما كان يسمى بالوحى الذى ينزل عليه انما كان أثرا لنوبات الصرع ، وكان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحى اليه .

وقد تكفل بالرد على هذه المزاعم الكاذبة (السير وليام موير) فى كتابه « حياة محمد » فتحدث عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالما خير رد على هذا التجنى واعتبر ما ذهب إليه (جولد سهير) تهربا من البحث العلمى الرصين وبين — موير — أن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أى ذكر لما مربه ، وأيد كل من (رالاب هنرى لامنس) و (فون هامر) مذهب موير فى التفريق بين حالتى الصرع والوحى .

وفند (آميل درمنجم) أباطيل هؤلاء وحمل عليهم ، بذلك أدين المستشرقون المتطرفون بقلم المستشرقين المنصفين .

الدوافع الاستعمارية :

وجه الإستعمار المستشرقين لبث سمومهم بالطريقة التى برمجها من :

تشتيت أمر الأمة ، والدعوة الى تفريق الكلمة وابراز وجهات الاختلاف ، أو تعدد المذاهب ، وتضخيم هذه النزعات وتكثيف تلك الدعاوى ، ويمثل الإسلام بأنه دين فرقة وخصومة وتصدع والأغلب أن يضيف من عندياته ما لم يكن ، فيصور مالم يحدث ويناقش ما لم يقع لا سيما اذا كانت كتاباته تتعلق بالاسلام .

يقول الأستاذ نجيب العقيقى .

فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه والانتفاع بثرائه والتزاحم على استعماره أحسنت كل دولة الى مستشرقيها فضمهم ملوكها الى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمة

وانتدبوهم للعمل فى سلك الجيش والدبلوماسيين الى بلدان الشرق ، وولوهم كراسى اللغات الشرقية فى كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة وأجزلوا عطاءهم فى الحل والترحال •

بجانب ما سبق الدوافع العلمية : وهى ذات شأن عظيم فى حركة الاستشراق لأن العالم العربى يعد كنزا حضاريا لا نظير له فى بقاع العالم الآخر ففيه شيدت الحضارات والثقافات ونشأت لغات وعلوم وفلسفات ونزلت شرائع وأديان ، لذلك اهتم المستشرقون بالجانب العلمى • حتى وصل بعضهم الى الثقة من بعض المثقفين برغم معرفة هؤلاء المثقفين بطبيعة الاستشراق ، ومن هؤلاء المستشرقين من تطرف فى تعصبه واتخذ العلم ستارا يخفى وراءه كل حقد وتعصب ، ومن أخطر هؤلاء (لويس ماسينيون) و (هملتون جب) و (هنرى لامنس) و (كريستيان سنوك) و (جستاف فون جرونبوم) من النصارى •

ومن الذين عملوا فى الاستشراق من اليهود : مرجليوث ، واسرائيل ولفنسون ، وليفى بريل ، وجولد سهير ، وبرنارد لويس ، ومكسيم رودندن ، وماكس نورده • فبحثوا فى الموضوعات التالية :

الاسلام ، الرسول ﷺ ، القرآن الكريم اللغة العربية ، التراث ، السنة ، الحضارة الإسلامية ، الشريعة الإسلامية ، الإدارة فى الإسلام ، التاريخ الإسلامى •

وتناول المستشرقون كل موضوع من الموضوعات السابقة بالدراسة والبحث والقاء الضوء على ما يريدون اظهاره وترويجه بين الشعوب الإسلامية ، وعرض هذا كله بلغات هذه الشعوب : باللغة العربية أو الفارسية أو الأردية أو الماراوية أو غيرها من اللغات واللهجات حتى يتمكن من التأثير على قطاعات من بين المثقفين فى هذه الشعوب ، ولهم جهود فى الوصول الى ما يريدون ومن خلفهم حكوماتهم ودولهم ومؤسساتهم بكل ما تملك للنيل من الإسلام والمسلمين •

ولا نغفل بعض المستشرقين الذين عملوا على اخراج التراث أو فهرسته وهذا جهد مشكور •

جهود المستشرقين :

* الطعن فى حقيقة الاسلام وحقيقة القرآن والنبوة •
* الادعاء بأن الإسلام استنفد أغراضه ومحاولة العمل لذلك ونشر هذا الادعاء بأساليب كثيرة •
* الادعاء بأن الإسلام لا دخل له فى توجيه حركة الحياة للمجتمعات الانسانية وهو عبارة عن شعائر وطقوس دينية •
* التشكيك والتهوين فى الحضارة الاسلامية وتشويه هذه الحضارة •
* طرح الأفكار والمبادىء المعادية للاسلام داخل المجتمعات المسلمة •
* إثارة القوميات القديمة وتسليط الأضواء على العامية •
* محاولات ربط كل جوانب الاسلام بالحضارات الغربية القديمة كاليونانية والرومانية فإذا لم يجدوا فى هذه الحضارات ما يخدم أفكارهم طعنوا فى الحضارة الاسلامية واتهموها بأنها لا تتمشى مع التقدم البشرى ، وادعوا أنها أصل تخلف المسلمين حديثا •

* وضع المناهج للبحث العلمي بعيدة عن الاسلام ، وقطع الصلة بين العلم والدين ،لذلك نرى مدارس وجامعات فى العالم الاسلامى تدرس الإسلام وفق ذلك المنهج على أنه تراث اندثر ، وتدرس كل العلوم فى غيبة عن العقيدة الاسلامية والتوحيد الخالص وهذا ما يسمى بالغزو الفكرى .

بعد عودة لويس ملك فرنسا من أسره الى فرنسا أيقن أنه لا سبيل الى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار المسلمين وصون الحرمات والأعراض ، والمسلمون قادرون دوما على الانطلاق من عقيدتهم الى الجهاد ودحر الغزاة . وأنه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامى . وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة فى ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان عن طريق : التفرقة بين العقيدة والشريعة ، والفصل بين الدين والدولة . وبذلك عمل المستشرقون على إحلال مفاهيم جديدة لخدمة هدفهم .

قاعدة التفكير الاستشراقى :

دأب كثير من المستشرقين على تعيين غاية لهم ويقررون تحقيق تلك الغاية بكل طريق ويجمعون لها من المعلومات ما ليس له أية علاقة بالموضوع سواء من كتب التاريخ ، أو الأدب والشعر ، أو التقصص أو المجون والفكاهة .

وان كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها ، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا فى أنفسهم وأذهانهم ، ولذلك يمدحون حتى نثق بهم ويقدمون ما يريدون بأسلوب خبيث داخل هذا المدح .

جهود المستشرقين فى الميزان :

أصبح للمستشرقين كم هائل من المؤلفات والدراسات كتب عنها كثير من المسلمين وجمع الأستاذ نجيب العقيقى ثلاثة مجلدات ضخمة تحت اسم المستشرقين .

والواجب على العلماء المفكرين فى العالم الاسلامى استعراض هذه المؤلفات والدراسات العلمية التى أنتجها الفكر الاستشراقى المباشر وغير المباشر — إنتاج التلاميذ — ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الستار عن تلبيساتهم ، وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعانى ويبدو للناس ضعف مصادرهم التى يعتمدون عليها وأخطاء النتائج التى يستنبطونها منها ، ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم فى نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم .

أبحاث المستشرقين :

سبق أن أشرت الى أن كثيرا من مؤلفات المستشرقين تحاول إضعاف المسلمين والإسلام والتشكيك فى قيمه باثبات فضل اليهودية على الإسلام وكذلك المسيحية . وقد تركزت أهداف

أبحاث المستشرقين مع تنوعها فى :

خلق التخاذل الروحى ، وايجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية .

وهذه الأبحاث قام بها أفراد ومؤسسات مثل جمعية المستشرقين بفرنسا ، وأصدرت المجلة الأسيوية جمعية الدراسات الشرقية ، وأصدرت مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، والجمعية الشرقية الأمريكية وكذلك فعل المستشرقون فى كل من ألمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا وغيرها وصدرت سلسلة دوائر المعارف الاسلامية ، واشترك المستشرقون فى المجامع العلمية بالدول الإسلامية .

وتقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الانفاق على المستشرقين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق . وبهذه الأموال تصدر الطبعات الفخمة والمؤلفات الكبيرة والأبحاث وتقام المؤتمرات .

وإذا كان كثير من المستشرقين حارب من أجل مهمته فبعض المستشرقين قام بأعمال جليلة يجب أن تذكر لهم فقاموا بتنظيم الكتب العربية فى مكتبات الغرب ، ووضعوا لها الفهارس وسهلوا الرجوع اليها وأدى بعضهم دورا بارزا فى التعريف بالاسلام ، وبفضل جهود هذا البعض برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة . مثل كتاب « الإصابة » لابن حجر العسقلانى ، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى وضعه (ونسنك) صاحب (مفتاح كنوز السنة) والدكتور مارسدن جونس المحقق لكتاب المغازى وغيرهم .

واذا كان بعض المستشرقين منصفا للدراسات الاسلامية خادما لها فالكثير وجه أبحاثه المتنوعة للنيل من الإسلام، ويجب التحفظ فى دراسة أبحاث المستشرقين لأنها موجهة لخدمة أهداف معينة ، كابراز الفرق الخارجة كالباطنية وغيرها على أنها فكر إسلامى ، ونشر الفكر الخيالى كألف ليلة وليلة . وكليلة ودمنة وغيرهما ، وعرض الانحلال من خلال الأدب والشعر كأبى نواس ، وبشار بن برد ، وكذلك على الخلل فى العقيدة مثل الراوندية والقرامطة وغيرهما توجه الأبحاث لابراز العرب قبل الإسلام فى صورة التحضر ويقوم بهذه الأبحاث التلاميذ باشراف المؤسسات الاستشراقية فى الخارج والواقع أن العرب لم يكن لديهم حضارة ولم يكونوا أمة الا بعد الإسلام .

ومن الأخطاء المنتشرة بين المثقفين المسلمين أن الاستشراق لديه المنهج العلمى فى أبحاثه ، وفى مختلف مجالات الدراسات التى اتصلت بالإسلام . وهذا ممسوخ كما أشرت سابقا ، على أن الباحثين يدخلون بفكر مسبق قبل البحث يجمع له الشتات ويؤلف من هذا الشتات أبحاث تسمى علمية والمنهج العلمى المنصف خرج من الإسلام وقد أنصف القرآن الكريم الحق وعرى الباطل .

ان البحوث التى يعرضها المستشرقون تحتاج الى إعادة النظر .

←

ولابد من سرعة الاطلاع على ما يخرج من دوائر الاستشراق للرد السريع عليه قبل نشر سمومه بين الناس ، والسفارات الاسلامية فى العالم يجب أن تتعاون فى جمع ما ينشر عن الإسلام وترسله إلى بلدانها لتقوم المؤسسات الإسلامية بدراستها ، وتحليلها ، والرد عليها حتى لا يكون عامل الزمان مساعدا على نشر هذه السموم ، كما تفعل السفارات فى العالم الإسلامى حيث تجمع كل ما ينشر عن الإسلام وترسله الى بلدانها لدراسته ، ودراسة المؤلفين لهذه الابحاث ، وتحليل آرائهم واستنباط أحكام منها من حيث تأثيرها على جماهير المسلمين سلبا وايجابا وكيفية مواجهتها .. الخ .

مواجهة الاستشراق :

حتى نتمكن من هذا العمل والرد على المفتريات وإصلاح الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام بكتابة الموضوعات العلمية المؤكدة ووجهة نظر الإسلام الصحيحة مع مراعاة الجوانب المعهودة التى يمتاز بها المستشرقون بل والزيادة فيها ، ويجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكيد المصادر وصحتها وأن تكون حاملة لجميع نواحى الإتقان والصحة بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية.

ولابد لهؤلاء العلماء من توفير الظروف التى تمكنهم من هذا العمل واجادته ، وهذه الأعمال لا يقوم بها فرد ، ولكن تقوم بها مؤسسات مخلصة لله ولرسوله وللمؤمنين ، تمول من خلال صندوق التمويل الإسلامى الذى يعمل المسلمون على انشائه تحت رعاية الأزهر لأنه هو الحصن المنيع المدافع عن الإسلام على مدى (١٠٠٠) ألف عام بعلمائه وأبحاثه ومؤلفاته ومؤسساته .

وبهذا يمكن توجيه المجتمع المسلم بأسلوب واضح فى شتى جوانب الحياة ، ولابد من وضع المؤسسات الثقافية تحت التوجيه لكل انتاجها بما يخدم المجتمع المسلم المعاصر ورصد كل ما ينشر والرد عليه من خلال المتخصصين الواعين المخلصين لخدمة المسلمين .

تربية جيل صبور على البحث والدراسة حافظ للكتاب ، مطبق للسنة ، متعلم للغات المستشرقين ليتمكن من قراءة ما ينشره هؤلاء المستشرقون والرد على ما ينشر وتفنيد المزاعم .

هذا الجيل يختار من شباب العالم الاسلامى الواعى الفاهم ليتحمل مسئولية الرد وتحصين الشعوب الاسلامية ضد ما ينشر بينهم من سموم كل بلغته والتعاون الكامل بين المؤسسات العلمية فى العالم الاسلامى وتبادل المعلومات ووحدة العمل الاسلامى المنطلقة من القرآن والسنة وترك التبعيات الاقليمية أو المذهبية .

اقامة بنوك استثمار خاصة بالدعوة الاسلامية لرعاية الدعوة الاسلامية العالمية يكون مقرها الأزهر الشريف .

التنسيق بين العلماء والأغنياء فى هذا العمل لمواجهة التبشير فى العالم الإسلامى وسد الطريق عليه بإقامة المشروعات الخادمة لهذه المجتمعات .

وبذلك نحقق الإسلام فى أنفسنا ومجتمعاتنا والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير

دكتور / طلعت احمد على محسن

مسئولية الاستشراق

وسموم دائرة المعارف الإسلامية

للأستاذ/ أنور الجندى *

عندما وصل الاستشراق إلى ذروة نفوذه وغاية تاثيره ، جمع كل شبهاته وتاثيراته وسمومه فى موسوعة جامعة اطلق عليها اسم « دائرة المعارف الإسلامية » جمعت خلاصة فكر المستشرقين الكبار جميعاً ، كل فى المجال الذى تخصص به ، وقدمت هذه الموسوعة اساساً لتشكيك الباحثين فى الغرب فى حقائق الإسلام وعظمة تاريخه وسماحة ابطاله واعلامه ، ثم ترجمت إلى اللغة العربية لتكون مرجعاً فى الجامعات والمعاهد والمدارس فى مختلف انحاء العالم الإسلامى ، ثم اضيف إليها روافد اخرى اهمها « المنجد » والموسوعة الإسلامية الميسرة والموسوعة العربية الميسرة[1] .

ثم اتسع نطاق عمل الاستشراق فامتد إلى دوائر المعارف الغربية البريطانية الأمريكية ودائرة معارف لاروس الفرنسية .

ثم بلغ غايته حين أصدرت اليونسكو كتابها الضخم عن تاريخ العالم ، وأفردت للإسلام والعالم الإسلامى مجلداً حشته بتلك السموم الاستشراقية ، ثم وعدت بالتصحيح وإعادة النظر ولا يزال الأمر معلقاً .

ومن هنا فإن أخطر أعمال الاستشراق قاطبة هى دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة باللغة العربية والصادرة منذ عام ١٩٣٢ م والتى أعيد تجديدها بطبعة جديدة من عام ١٩٦٢ م .

وقد جرت محاولات كثيرة لتصحيح سموم هذه الدائرة وتحريرها من هذا الاحتواء الخطير ، وأسجل هنا التجربة التى قامت بها

←

* الباحث : عضو نقابة الصحفيين ، واتحاد الكتاب .

(١) وهناك روافد أخرى تتمثل فى كتب : يقظة العرب وشمائل المصريين المحدثين وغيرها .

جامعة البنجاب فى تأصيل المواد الإسلامية فى تجربة ضخمة ، نرجو أن يتاح لدوائر الأزهر الشريف العمل على استقدامها وترجمتها من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية وتقديمها بديلاً لتلك المواد المسمومة التى لا يزال يتداولها شبابنا الباحثون فى الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية .

والواقع أن حركة اليقظة الإسلامية لم تتوقف منذ اليوم الأول عن دحض هذه الشبهات وكشف زيفها وتصحيح المفاهيم ، منذ قام السيد جمال الدين الأفغانى بكتابة بحثه « الرد على الدهريين » وما كتبه الأستاذ الإمام فى الرد على فرح أنطون فى كتابه « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية » والرد على هانوتو ، وجاءت بعد ذلك كتابات فريد وجدى ، ومصطفى الغلاييني ، ومصطفى السباعى ، ورشيد رضا ، والمودودى ، والندوى ، ومحمود محمد شاكر ، وسليمان الندوى ، وشكيب أرسلان ، وعباس العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعمرو فروخ ، وهلال الفاسى ، ومالك بن نبى ، وأبو زهرة وعشرات لا يحصيهم العد ، وكان من أعظم الأعمال التي قدمت أخيراً تلك الدراسة الضخمة التى أعدها مكتب التربية العربى لدول الخليج .

وكان للمؤتمر الذى عقدته ندوة العلماء منذ سنوات معدودة حيث تدارست فيه قضية « الإسلام والمستشرقون » بالغ الأثر فى تحديد وجهة هذا العمل الخطير .

وقد جرى العمل على تصحيح شبهات دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف الغربية ، فركز البعض على قاموس المنجد ، وراجع البعض الآخر مواد من دائرة المعارف الإسلامية ، وتناول باحثون آخرون أخطاء فليب حتى ، وكارل بروكلمان ، كما تناول الباحثون فى الموسوعة التى أشرنا إليها والتى صدرت تحت اسم « مناهج المستشرقين » فى مجلدين « ١٠٦٤ صفحة » قضايا : « القرآن - السنة - السيرة - العقيدة - القانون والشريعة - الفلسفة - اللغة والأدب - العلوم - الجغرافيا - النظام السياسى - الحياة الاجتماعية - الفن العربى الإسلامى - الاقتصاد والمعاملات البنكية - الحضارة العربية الإسلامية فى الاندلس » .

حيث تناولت بالرد المفصل آراء كبار المستشرقين فى نسق علمى رفيع كاشفة عن زيوف هذه الآراء وأخطائها .

ولكن هذا كله لا يكفى ونحن نطالب بخطوة إيجابية تحسم الموقف ، وتقدم مفاهيم العلوم الإسلامية صافية نقية وذلك حماية لإيمان الأجيال الجديدة من الشباب المسلم المتطلع إلى فهم حقيقة الإسلام ، فضلاً عما سيكون لذلك من أثر طيب فى حماية الجاليات المسلمة الجديدة فى الغرب ، والتى يصادم إيمانها ركام كبير من مفاهيم مختلطة بالوثنية والباطنية .

غير أن أخطر ما تقوم عليه دائرة المعارف الإسلامية هى الخلط بين قيمة الإسلام الحقيقية وبين تصورات المذاهب الهدامة ، والفرق الضالة وهو أمر أشار إليه كبار كتاب الإسلام منذ صدرت دائرة المعارف الإسلامية لأول مرة فكيف يمكن أن تدخل دائرة المعارف

الإسلامية دراسات مستفيضة عن القرامطة والقاديانية والحلول والاتحاد على النحو الذى نوه عنه العلامة فريد وجدى وهو : ظاهرة سيطرة البدع الدخيلة فى الدين الإسلامى على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة حتى ليظن الباحث أنها من أصول الإسلام ، فى حين تسطر هذه البدع على أنها من المعارف الإسلامية فإن الإسلام يبرأ منها وهو ما جاء إلا لمحاربتها .

وهذا يعنى القصد المتعمد فى الجمع بين أساطير البدع وحقائق الشريعة فضلا عن أن أكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه ، وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب ، وليس كتاب الدائرة وحدهم من هذا النمط ، بل إن جل المشتغلين بالدراسات الإسلامية فى الغرب لا يتجاوزون صناعة التبشير تعرفهم من لحن القول ومنهم « توماس باترك هيوز » صاحب قاموس الإسلام وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوروبية وملىء بالسموم .

وقد أشار باحثون كثيرون إلى أن أبرز نواحى الخطر فى هذه الدائرة : أن ما يترجم منها لا يرد عليه إلا ردوداً ضعيفة جانبية ، وبذلك تبقى هذه السموم الدخيلة على الإسلام قائمة باستفاضة شديدة فضلاً عن دعاوى كتاب الدائرة بأن ما يكتبون هى أصول مقررة لابدعا دخيلة .

ثم وجدت ترجمتها إلى اللغة العربية تقبلاً فى دوائر التعليم والثقافة حتى عدت فى بعض البلاد العربية على أنها « نص مقدس » يدافع عنه مسلمون معاصرون ، ويعجبون من مقولة تصحيح الأخطاء ومن وراء الموسوعة مؤسسات ضخمة تحميها من محاولة إدخال الحقائق إليها ولذلك فإننا يجب أن نصدر عن تحذير شامل لمثقفى الإسلام من اصطناع هذه الدائرة مرجعاً لها وأن يكونوا على وعى بالوجهة والهدف والأخطار التى تحملها فى طياتها ، وأن يكون واضحاً أن فكر الاستشراق يصدر عن جماعة من العاملين فى حقل اللاهوت أو حقل الاستعمار ، وأن الهدف الأساسى هو « التمويه » حتى لا يعرف المسلم حقائق دينه ، وأن يتسرب إليه الشك فى القيم الأساسية للإسلام ، وأن يزدرى قيمه ، ودينه ، وتاريخه ، ولغته ، ويتحول مثله الأعلى وجهة الغرب وحضارته وأبطاله . وأن فكر الاستشراق يتقدم إلى مباحثه بفكرة مسبقة وغاية واضحة ، وأنه يبحث فى نصوص الفكر الإسلامى ليجد ما يؤيد هواه ، ولا يمنع ذلك من تزييف النصوص واقتطاعها ، أو العمل على إيقاع التضارب بين الروايات.

ولا ريب أن الخلاف العميق بين العقائد والقيم والثقافات الإسلامية والغربية يحول تماماً دون فهم أبرز القيم الأساسية وهى الألوهية والنبوة والوحى والغيب والبعث والجزاء ، وهى القيم التى يصدر عنها مختلف المفاهيم الفرعية فى الأغلب ، وفى ظل التصور الغربى للدين ومن خلال مفهوم الفلسفة المادية وفى محيط الخلاف العميق بين دوائر العلم وبين الدين الغربى يبدو الأمر بالنسبة لحقائق الإسلام مضطرباً أشد الاضطراب .

وحتى لو سلمت النيات وخلصت الغايات

←

فإن هناك عناصر ثلاثة تحول بين الاستشراق وبين التعرف على وجه الحق فى الإسلام :

الأول : العجز عن الاستيعاب لمفاهيم الإسلام .

الثانى : الوجدان المسيحى بمفاهيمه ومشاعره .

الثالث : طبيعة الاستعلاء الغربى بالعنصر والجنس .

وليست المسألة فى هذا الأمر مسألة بحث علمى مجرد ، وإنما هو أمر متلبس بالعلاقات القديمة بين الشرق والغرب وبين الإسلام وأهل الكتاب وما يستعمل مصطلحات المنهجية والعلمية والموضوعية إلا كوسائط للخداع والتضليل عن الغايات الحقيقية ، وذلك فى سبيل غاية معروفة هى دفع تيار الإسلام عن مثقفى الغرب من ناحية ، وتشكيك مثقفى الإسلام فى عقائدهم وقيمهم .

ولقد تبلورت الآن مفاهيم الاستشراق ودعاواه ، فلم يعد هناك جديد فيها وما تزال تتجدد فى الوسائط دون أن يخرج عما كان يقوله كرومر ودنلوب وزويمر منذ مائة عام :

أن القرآن من تأليف محمد ﷺ ، وأن الحديث النبوى من صنع الفقهاء .

وأن الشريعة الإسلامية مقتبسة .. من الديانات الأخرى .

وأن التشريع الإسلامى متأثر بالقانون الرومانى .. إلخ .. إلخ ..

وإن هناك إصرارا بالغا على إعادة تزويد هذه المفاهيم بالرغم من التحول الكبير الذى حدث فى أسلوب الغرب فى تقديم هذه الشبهات ، وبالرغم من محاولته تقديم أسماء جديدة « من العرب » فى كتابة مادة دائرة المعارف الإسلامية فى طبعتها الجديدة .

ولقد مد الاستشراق نفوذه إلى مختلف القضايا سواء بإحياء الدعوات الشعوبية القديمة ، أم مساندة الدعوات الجديدة : كالبهائية والقاديانية ، وكان له تأثيره على لغة الصحف بتحويلها ، عن العربية الفصحى إلى لغة أشبه بالعامية ، وما يتصل بالمسلسلات والمسرح والحوار القصصى ، وكل هذا بهدف إحداث فجوة بين لغة الكتابة والكلام ، وبين لغة القرآن الكريم فى طموح خطير إلى الفصل بينهما على النحو الذى حدث للغة اللاتينية ، كذلك جاءت محاولته التشكيك فى الشعر الجاهلى لإثارة الشبهة حول بيان القرآن الكريم ، ومن ذلك ما وجهوا إليه تلاميذهم من انتقاص الغزالى وابن خلدون وابن تيمية ، فضلاً عن أن يقضى أحدهم أربعين سنة فى إحياء تراث التصوف الفلسفى ولا يزال

أتباعهم يحيون مفاهيم القرامطة والزنج والباطنية ، ويدعون أنهم أهل العدل والحرية لا يزال الفكر المعتزلي يُرْثَى ، لأن ذهابه وقيام مفهوم السنة هو الذى جعل الإسلام يتراجع ، تلك دعاوى العقلانيين والعلمانيين التى صنعها الاستشراق .

* * *

يقول العلامة أبو الحسن الندوى : إن دائرة المعارف الإسلامية التى ألفها المستشرقون والتى تعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية كان من الواقع المأمول أن توضع موسوعات إسلامية أصيلة تعلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص فى الموضوعات الإسلامية ، لسد تأثير المستشرقين السلبى ، ولإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، وأن يقدموا المعلومات الإسلامية المؤكدة من وجهة نظر الإسلام الصحيحة ، وأن تكون كتاباتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها واستدلالها القوى ، ومما يجب أن يقوم به علماء الإسلام استعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى يكشف الغطاء عن تلبيساتهم وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعنى وكشف ضعف مصادرهم التى يعتمدون عليها وأخطاء النتائج التى يستنبطونها وأن يطلعوا الناس على ما يغمر كثيرا منهم فى نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنون من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها .

ومن ناحيتنا نحن هنا فى الوطن العربى نحتاج إلى استيعاب الخطة التى قامت بها جامعة البنجاب فى لاهور فى إخراج الموسوعة على النحو الذى وصفه السيد أبو الحسن بأنه يتسم بكثير من الأصالة والتفتح والحذف والزيادة حتى أصبح الكتاب مستقلاً له قيمته العلمية .

هذا وبالله التوفيق ..

« أ . انور الجندى »

القرآن الكريم ومعرض تورينو

تعرض الكتاب العزيز لإساءة أحد مدعى الفن بمعرض تورينو بما قام به من رسوم على صفحات من القرآن الكريم . أحدثت بين المسلمين ثورة جامحة غضبا لكتاب الله وبخاصة حين ادعى المسئولون الإيطاليون أنهم لا يستطيعون التدخل فى هذا الأمر مما دفع الطلبة المسلمين إلى مهاجمة المعرض وتحطيم بعض اجزائه .

وكان للأزهر أسلوبه في معالجة هذا الأمر ، وهو أسلوب يتم في غير إعلان ، وقد أدى الأزهر ما استطاع فى هذا الأمر .

وقد تلقى مكتب وكيل الأزهر البرقية التالية من وزارة الخارجية بشأن هذا الموضوع فى التاسع من رجب ١٤٠٨ هـ - ٢٧ - ٢ - ١٩٨٨ م

١ - سفراء الدول الإسلامية اجتمعوا فى روما وشكلوا وفدا لمقابلة السنيور انتربونى وزير الخارجية وتسليمه مذكرة تعبر عن استيائهم تجاه معرض تورينو .

٢ - وقد تمت المقابلة فى ١٣/٢/١٩٨٨ م .

٣ - وزير الخارجية الإيطالى أعرب عن أسفه وأفاد بأن حاكم تورينو قد أغلق المعرض كما أعلن الفنان أنه لم يقصد الإساءة إلى الإسلام وانه على استعداد لمقابلة السفراء المسلمين لتوضيح موقفه .

وكل السفراء كلفوا المركز الإسلامى برفع دعوى أمام القضاء .

١٩٨٨/٢/٢٥ الساعة الثانية بعد الظهر

التنسيق بين الدعوة والإغاثة

التعاون والتنسيق في نشر الدعوة الإسلامية في الخارج

تنسيق الجهود من أجل إعداد داعية واع

التنسيق بين
أجهزة الدعوة والإغاثة

تلك خلاصة عن البحث نقدم بعدها نصا من نصوصه بعنوان : الدعوة الإسلامية وجبهات المقاومة للإسلام .

الإسلام هو : مجموعة الأحكام والتشريعات التى تكفل للإنسان ـ كل إنسان ـ حياة طيبة فى الدنيا ، ونعيماً مقيماً فى الآخرة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

ولذا فإن حاجة البشر إليه تعتبر أمراً ضرورياً . فإنه لا يفرق بين أبيض وأسود أو عربى وحبشى ، ولا يمنع أن يستظل بلوائه متكلم بأية لغة من اللغات ، وهذه خاصية اختص الله بها الإسلام لتكون دعوته عالمية ، ونظرة عجلى إلى نظمه وقواعده ومبادئه تكشف لنا عن هذه الخصوصية التى لم تكن لغيره من الأديان ، فالديانتان السابقتان عليه كل منها خاصة بقومها وبعصرها المعين ، وهذه القضية قضية : « الإسلام هو الدين العالمى » من الأهمية بمكان ؛ وهى قضية بحاجة إلى دعمها بالأدلة حتى يُرَدَّ زعم من يقول : إن عالمية الإسلام فكرة لم تكن عند محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أرسل إليه ، بل جاءت فى عهد خلفائه .

وهاهو القرآن الكريم مكيه يبين عالمية الرسالة : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ التكوير ٢٧ ، ومدنيه على ذلك : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران ٨٥ .

وقال الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه : « إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة » [رواه البخارى] .

والإسلام بحق دين عام خالد ، وقد تذرع بكل الأصول العليا التى تمكنه هذه المكانة ؛ فمثلا دعا إلى الوحدة الإنسانية ، وقرر أن أصل الأديان واحد ، ووجه دعوته إلى الناس كافة ، وطالب بنبذ التقليد ، وأوجب على كل (معتقد) البرهان والدليل ، وحض على طلب العلم والحكمة ، لا فرق فى ذلك بين ذكر أو أنثى .

وتحلى الإسلام ـ بكل ما يقيه شر الجمود والتحجر الذى تُمنى به التعاليم الدينية لتقف فى حيز محدود مع تقدم العلوم فى مدى العصور ، وتطور العقول بتوالى المتغيرات ، وهو عندما ينشر دعوته ينشرها بالإقناع ، وينهى عن الإكراه ، والأمة كلها مطالبة بإعداد فئة منها للقيام بواجب الدعوة ، الدعوة إلى كل ما هو خير .

لفضيلة الشيخ

إبراهيم الدسوقي مرعي

والدعوة تشمل دعوة جميع الأمم إلى الإسلام . وهذا واجب المسلمين بمقتضى كونهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ودعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير ولها مراتب : المرتبة الأولى : دعوة الأنبياء والمرسلين وهى أهم الدعوات ، المرتبة الثانية : دعوة العلماء وهم خلفاء أنبياء الله فى الأرض ، والمرتبة الثالثة : دعوة الحكام العادلين فهم خلفاء العلماء فى تنفيذ أحكام الله .

لقد عادت الغزوات التى وجهت إلى الإسلام سابقاً من داخل مجتمعه على يد المارقين من أبنائه ، ومن خارجه بالتشكيك فى أصله تارة ، وبالدعوة إلى الإلحاد تارة أخرى لتحل بذلك الآراء الهدامة محل الآراء الدينية ليسلخ المسلمون من مقومات شخصيتهم الأصيلة ، وليحصروا فى دائرة ضيقة بعيداً عن المجتمع تطبيقاً لمبدأ (فصل الدين عن الدولة) ، ولقد بدا ذلك واضحاً فى شروط الصلح مع تركيا فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ المعروفة بـ (شروط كرزون) .

والمجتمع الإسلامى لابد له من أن يتنبه إلى هذه المخططات ، ويعد لها العدة ، وقد تحتاج هذه العدة إلى استخدام سلاح مثل أسلحة العدو بالكلمة تارة وبالنزول إلى الميدان الاجتماعى تارة أخرى حتى تعود للمجتمع الإسلامى سماته .

المجتمع الذى يعرف فيه المسلم كفرد أنه خلق لعبادة الله - عز وجل - ، وأنه يقوم بالخلافة عن الله فى الأرض . فالعبادة والخلافة هما هدف المسلم ، وهدف المجتمع الإسلامى :

أما العبادة : فهى الجانب الروحى ، وأما الخلافة فهى الجانب المادى والعمل الصالح الذى يحقق هذه الخلافة التى شرفنا بها الله - عز وجل - وحيث المرء لا يستطيع القيام بأعباء الحياة وحده ويؤدى حق الخلافة عن الله بمفرده فإنه لابد له من الاجتماع والتعاون مع غيره من الناس ، ولقد بنى الإسلام كثيراً من تشريعاته الحكيمة على التعاون ليمكن له من النفوس ، ودعم روابط الأخوة بين الناس ، وخرج بها عن أن تكون بين المرء وعشيرته إلى أن تكون عامة بين بنى الإنسان . فاتسعت دائرة التعاون وكثر خيره . والتكافل الاجتماعى لازمة من لوازم الأخوة بل هو أبرز لوازمها وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد

←

منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول عليه يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره ، وذلك قانون من قوانين الاجتماع الراقى ، وعنصر من عناصر الحياة الطيبة ، بل هو الأساس فى حياة الأمم ، وبقائها عزيزة كريمة لها هيبتها قائمة بواجبها على النحو الذى يحقق لها أمجادها ، ويفرض على الدنيا احترامها .

والتكافل إما تكافل مادى : وسبيله مد يد المعونة بإغاثة الملهوف وتفريج كربة المكروب وتأمين الخائف وإشباع الجائع ، أو تكافل أدبى بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه .

وحتى تتحقق الأهداف المنشودة لابد من :

إنشاء مجلس أعلى للدعوة يضم ممثلين للدول الإسلامية ، وإنشاء صندوق للتضامن الإسلامى يكون الغرض منه الانفاق على الدعوة بانشاء مكتب فنى لتلقى التقارير ودراستها .

وإنشاء معهد للدعاة يستقبل أبناء المسلمين من جميع العالم الإسلامى .

ووضع دائرة معارف إسلامية تكون مرجعاً للراغبين فى المعرفة الحقة وتنقية الإسلام من كل دخيل .

والتوسع فى المنح واستقبال الطلاب الوافدين .

ودعم الإعلام الإسلامى من صحافة وإذاعة وتليفزيون ودور نشر ووكالات الأنباء ، والأخذ بيدها إلى الطريق السليم مع تطهيرها من كل ما يتعارض والقيم الدينية ، والدقة المخلصة فى اختيار القائمين عليها من بين المخلصين لدينهم وأوطانهم .

ثم ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة صحيحة سهلة مع وضع تفسير مبسط ، على أن تتم هذه الترجمة بأكثر من لغة توجه إلى البلاد غير الناطقة باللغة العربية .

قال الباحث :

الدعوة الاسلامية وجبهات المقاومة للاسلام وواجب المسلمين اليوم

فطنت الدول الإسلامية إلى ما يعترض سبيل الدعوة بين أبنائها محلياً وعالمياً فقامت هذه الدول كل بقدر استطاعته - بتجنيد الدعاة وبثهم فى محيط المجتمعات الإسلامية محلياً لحماية أفكارهم من الآراء الخاطئة أو الأفكار المتشنجة ، المتعصبة باذلة فى ذلك ما تستطيع .

وعلى الصعيد العالمى رأينا كل دولة توفد من رجالها الدعاة من يستطيع حفظ العقيدة على مسلمى الدول غير الإسلامية وتبصير أبنائها بشئون دينهم ودحض المزاعم الباطلة التى يفتريها أعداء الإسلام زورا على الإسلام وعلى نبى الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - وبالتالى يكشفون فى هذه التجمعات ما فى الإسلام من سماحة ويسر وما يحمله للبشرية من أمن وسلام وخير .

وكل ذلك جهد مشكور إلا أنه قليل الأثر فى تحقيق الهدف النبيل المرجو منه أمام

التكتلات القوية التى تناوئه وتعمل على إحباط عمله ، وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد عادت الغزوات التى وجهت إلى الإسلام وحيكت المؤامرات من داخل المجتمع المسلم على يد المارقين من أبنائه ، ومن خارجه سواء بالسلاح المادى بإثارة الفتنة بين أبناء الإسلام وإغراء بعضهم ببعض حتى كانت الحروب التى تأكل الأخضر واليابس ، أو بالسلاح المعنوى بالتشكيك فى أصل الدين وبالدعوة إلى الإلحاد ومرة بالغزو الثقافى لتحل الآراء الهدامة محل الآراء الدينية ، وأخرى بالغزو الخلقى والاجتماعى - لينسلخ المسلمون من مقومات شخصيتهم الأصيلة ، وكذلك بالنظم السياسية وقواعد الحكم بمسمياتها المختلفة وعنوانيها الخلابة بعداً بهذه المجتمعات عن التشريع الإلهى الذى هو فطرة الله وبه صلاح الحياة وما بعد الحياة ، ولقد كان من أسوأ آثار هذه الموجة العاتية من العداء للإسلام وإضعاف شوكته وحصره فى دائرة ضيقة بعيداً عن المجتمع تطبيقاً لمبدأ فصل الدين عن الدولة هذا المبدأ المسموم الذى يعزل الدين عن الحياة .

ولقد بدا ذلك واضحاً فى شروط الصلح مع تركيا فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزون الأربعة دليلاً على نوايا الاستعمار السيئة ضد الإسلام وهى :

١ - قطع كل صلة بالإسلام .

٢ - إلغاء الخلافة الإسلامية .

٣ - إخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد .

٤ - اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

وكان من آثار ذلك :

أ - الوقوف أمام كل حركة إسلامية تقوم على الدين .

ب - تفتيت الوحدة الإسلامية بخلق الفتن والمشاكل وإحياء القوميات المحلية للحيلولة بها دون قيام جامعة إسلامية عامة وليشغل المسلمون بعضهم ببعض .

جـ - وكان بعد ذلك إطلاق يد التبشير فى البلاد الإسلامية بوسائله المتعددة من مدارس ومعاهد وجامعات وملاجىء ومستشفيات ، وأقلام وصحافة وإذاعة ودور نشر وندوات ومؤتمرات وما شابه ذلك .

د - وبجانب التبشير لجأ إلى حيلة أخرى وهى العمل على إضعاف الشخصية الإسلامية أو القضاء عليها وإذابتها فى شخصيات أخرى ، والحد من التعصب لها والحفاظ على مقدساتها وإفساح المجال للأديان الأخرى أن تشق طريقها إلى أذهان المسلمين عن طريق المؤتمرات والندوات واللجان والجمعيات والمؤسسات التى ينشئونها بعناوين خداعة . وفى المجتمع الإسلامى الكثير من الكتب المترجمة عن الفكر الأوروبى والأمريكى وفيها أمور فى غاية الخطورة على العقيدة والسلوك .

كما غزت الأقلام الأجنبية حقل السينما العربية والإسلامية وفيها سموم كثيرة . والمجتمع الإسلامى لابد أن يتنبه إلى هذه

المخططات ويعد لها العدة حتى لا يفاجأ بها فينهار وتنهار معه القيم الإسلامية وبناء الإسلام العظيم .

هذه لمحة سريعة عن جبهات المقاومة للإسلام علاوة على التبشير الذى يريد أن يبسط سلطانه فى جميع بقاع الأرض ويتفنن فى اختراع الأباطيل ، وتضليل البسطاء فى قارات العالم ، وهم مع هذا لا يتورعون أو يخجلون أن ينفثوا سمومهم بين المسلمين أنفسهم بأساليبهم الملتوية وخداعهم الماكر الأمر الذى يجب دراسته والتبصير بحيله وخداعه ، وكشف أكاذيبه حتى نحمى الدعوة الإسلامية والعقيدة من أن تهتز أو تتأثر بمثل هذه الترهات والأباطيل .

وقد نحتاج إلى استخدام مثل أسلحته فى أداء رسالتنا على الصعيدين الإقليمى والعالمى وذلك ما يحتاج إلى تكتل الجهود للحد من هذا السرطان المدمر .

وإن أسلحته لشتى فتارة بالكلمة وتارة بالنزول إلى الميدان الاجتماعى بالخدمات التعليمية ببناء المدارس والمؤسسات العلمية أو إنشاء الجمعيات الخيرية متعددة الخدمات أو المصحات والمستشفيات أو المساعدات العينية ، وغيرها للعاجزين ، ولمن نزلت بهم الملمات ومن خلال ذلك يقدمون ماشاءوا من الأباطيل والمفترات مغلفة بشتى المغريات .

واجب المسلمين اليوم

المسلمون أمة واحدة يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[1] وقد دعم هذه الوحدة بالعقيدة الواحدة التى تربط بين قلوب المسلمين على أى أرض عاشوا وتحت أى سماء وجدوا فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والمسلمون على الصعيد العالمى اليوم ومن يتأمل حالهم يرى واقعهم الأليم فى تخلفهم عن مواكبة مسيرة المجتمعات الحضارية وكيف أن هذه المجتمعات تمضى بخطى سريعة فى هذا المضمار . وبمقدار ما تصل إليه من تقدم تتسع الشقة بيننا وبين هذه المجتمعات .

وقد يثير هذا عند المسلم الغيور على دينه أن يتساءل عن سبب ذلك . وهل سببه كما يزعم أعداء الإسلام هو الإسلام ؟ أم أن لذلك سبباً آخر يرجع للمسلمين أنفسهم .

إن نظرة منصفة إلى أبعاد الحياة التى يعيشها المسلمون وما يعيش فيه غيرهم يجد لذلك أسباباً ملخصها :

١ ـ التقدم الملحوظ فى مضمار العلوم والمخترعات الأمر الذى حول الأنظار إلى زخارف الحياة ومباهجها وافتتن العالم بهذا التقدم بكل ما فيه من ألوان وفنون وتطور ، ولقد كان لذلك أثره فى ابتعاد الناس عن الدين وتعاليمه وهديه بل ربما نسوا الخالق وغرهم بالله الغرور .

والعالم الإسلامى جزء من هذا العالم يتأثر بكل ما يتأثر به الأمر الذى يجب معه مضاعفة الجهد من القائمين على أمر الدعوة إلى الله . بالدعاة أو بتوفير الإمكانات المادية من مال وغيره مع التخطيط السليم ، ووضع البرامج المنتجة ، واختيار الدعاة الأكفاء المخلصين لأداء هذا الواجب .

٢ ـ كان من آثار هذا التقدم المادى التأثير على مجرى حياة الإنسان وضعف المقومات الإنسانية فيه إلى حد أصبحت فيه الأثرة والأنانية وحب الذات شعار المجتمع الإنسانى ، وذلك يقتضى التجديد والابتكار فى أساليب الدعوة الإسلامية ، فهى الوسيلة المثلى لإعادة الإنسانية إلى فطرتها النقية الطاهرة أو تأمينها ضد كل عدوان يتهددها .

٣ ـ حب التقليد أمر طبعى فى الإنسان تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل . وقد عانى منه الرسول فى صدر الإسلام وهو الطاقة الكبرى اليوم على الأفراد والأسر والمجتمعات ، ولا طريق لمحاصرة هذا الوباء والقضاء عليه إلا بالدعوة إلى الله، وتعزيز وسائلها حتى نحمى المجتمع من سموم هذا التقليد لمبتكرات الحضارة الحديثة المدمرة للقيم والفضائل وتنشر فى دنيا الناس عبير الأخلاق الفاضلة وكريم الخلال ، ولا يعنى ذلك أن نقاطعهم بل نستفيد من خبرتهم ونخضعها لتعاليم الإسلام فى الاستعمال لخير الإسلام والمسلمين . وهناك أسباب أخرى ثانية منها :

١ ـ تفكك الجماعات وإثارة روح العداوة والبغضاء فيما بينها بدلًا من التعارف والتراحم والتواد والتواصل حتى عُمىّ على الجميع ما يدعو إليه الإسلام من الأخوة وأن المسلمين أمة واحدة ..

٢ ـ شيوع الخوف والقلق والذى عم العالم وأصبح هَمًّا لا يترك لأمة أو فرد فرصة إلى الاستقرار الأمر الذى يجعله من الخوف دائماً ولا هَمَّ له إلا بذل كل مرتخص وغال فى الإعداد والاستعداد لمواجهة ما قد يفجؤه على غير انتظار من الشر .

٣ ـ استثمار الحضارة الحديثة كأداة للإرهاب والتدمير بدلًا من استثمار ما جاءت به من علوم ومخترعات فى خير الإنسانية والأمن على مقدرات حياتها ، وذلك لا يزول إلا بالإيمان بالله وليس من سبيل إلى التمكين للإيمان وعمارة القلب به إلا الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ والتوعية الدينية المخلصة فهذه وحدها السبيل الأوحد إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ سورة الرعد ؛ الآية : ٢٨ .

إبراهيم الدسوقى مرعى
وزير الأوقاف الاسبق

إعداد داعية واع

تنسيق الجهود من أجل

إن تجمع العلماء فى مؤتمرات علمية إسلامية تدرس مشكلات الأمة الإسلامية ، وتضىء لها الطريق بالرأى والفتوى عمل مقدر وجليل .

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١) .

وإن اجتماع الأمة الإسلامية حول مبادىء القرآن الكريم لهو غاية الغايات ، ومطلب أسمى تسعى إليه جهود الأوفياء المخلصين من علماء أمة الإسلام على مدى الأجيال المتعاقبة .

غير أن فكرة التصورات الأكاديمية وتوصيات المؤتمرات الإسلامية التى تنعقد فى فينات متتابعة من هذا العصر الذى تحياه لم تعد هى المطلب المرموق لواقع الأمة الإسلامية على امتدادها فى جميع قارات العالم .

إن الأمة الإسلامية تملك ثروات عديدة :

إنها تملك الثروة البشرية ، وتملك الثروة المعدنية والبترولية والزراعية وتملك الثروة الاستراتيجية ، بحسب ما وهبها الله - تعالى - من كثرة فى العدد وسعة فى الموارد وامتداد جغرافى فى أقطارها العالمية ، ولكنها تحتاج إلى إيجابية فى العمل للدعوة الإسلامية .. فواقعها الاجتماعى مزيج من الخلافات التى صارت لديها مادة تقليدية .

وواقعها الحيوى ضعيف : لبعدها عن استخدام أصول الحياة على النسق الربانى الذى رسم لها لتعمر هذه الأرض .

وواقعها الثقافى مشوش : لكثافة وجدانها بالخليط من التعاليم الأخرى . ومع هذا فإن علماء هذه الأمة مازالوا يحاولون التخلص من كل ذلك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وتلك المحاولة فريضة إسلامية ، « فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » إذن فإن فكرة مؤتمر إيجابى فعال للدعوة الإسلامية يجب أن تولد ، وفكرة مؤتمر إيجابى كهذا ليست فكرة

---

* الباحث : وكيل الأزهر

(١) سورة التوبة ١٢٢ .

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي*

مؤتمر أكاديمي تعد له الأبحاث ، وتلقى ثم تناقش ، ثم تطبع وتوزع .

لقد أنفقت المؤتمرات الأكاديمية جملة كبيرة من آلاف الجنيهات .. في سبيل أن تصدر أبحاثا قد يكون لها اتصال بواقع الحياة الإسلامية وفي سبيل أن تصدر توصيات وقرارات .. وهو عمل لا نقلل من أهميته ولكنه ليس هو مطلب الحياة المعاصرة للأمة الإسلامية .

هجمات التبشير :

إن الأمة الإسلامية في آسيا وأفريقيا تعاني هجوما عنيفا من التبشير :

تعانيه في مدارسه حيث تبتلع المدارس التبشيرية أبناء المسلمين ، وهم في عجز كلي عن إقامة مأوى ثقافي لأبنائهم .

وتعانيه في الضغط الثقافي الذي يزاوله التبشير بنشر الكتاب والمجلة ، والنشرات .. والندوات .

وتعانيه اجتماعيا بما يقدمه لها التبشير من خدمات صحية ومعونات متعددة الألوان والاتجاهات من المستشفى إلى لقمة العيش .. ثم بألوان شتى من المغريات من المنح الدراسية إلى المنح الجمالية ..

والأمة الإسلامية وهي تعاني فنون المعاناة من نشاط التبشير تجدها منقسمة : منقسمة في التفكير ـ منقسمة في النزعات ـ منقسمة في الأيدلوجيات .. والتبعية في وجودها العمراني .. والسياسي .. والاقتصادي .

ولهذا الانقسام مشارب ، وله منابع .. ومن أوليات تلك المنابع المكتبة الاستشراقية الضخمة التي تعددت فيها المناهج لتحريف الإسلام عن موضعه القرآني وتشويهه عن جماله الرباني .. ومهما اختلفت درجات المستشرقين فإن القدر المشترك بينهم أنهم : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢)

إذن ، فإن صورة المؤتمرات الإسلامية ينبغي أن تتجدد لتنقل أمة الإسلام من واقعها الميت إلى الواقع الإسلامي الذي أخبرها به الرحمن ـ جل شأنه ـ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(٣) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾(٤) .

والإيجابية التي تدعو إليها ، هي ايجابية تنفيذ لبرنامج يجابه جحافل الظلمات التي التفت حول الأمة الإسلامية .

---

(٢) سورة التوبة ٣٢ .
(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .
(٤) سورة آل عمران . ١١٠ .

الإيجابية التى نريدها :

وهذه الإيجابية هى تعديل فى اقتصاديات المؤتمرات ، وتوجيه الماليات التى تنفق على السفر والإقامة والتحضير وطبع البحوث والنشرات إلى برنامج تربوى يغطى حاجة المسلمين فى آسيا وأفريقيا .

وهذه الإيجابية يمكن تحقيقها بحيث تشمل :

١ ـ دراسة أحوال المسلمين فى كل قطر من أقطار آسيا وأفريقيا ، وكثير من هذه الدراسة موجود لدى المؤسسات الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامى ، والأزهر .

٢ ـ تحديد المشكلات التى تعترض الوجود الإسلامى لكل أمة فى بلدها وهذه المشكلات قد عرضها أبْنَاء الوطن الإسلامى فى عديد من المؤتمرات العلمية الإسلامية ويمكن حصرها وتبويبها وترتيب أولوياتها .. إلخ .

٣ ـ رسم منهج ثقافى متكامل لكل بيئة خاصة ، يشمل : خطة الدراسة والمنهج والمنح الدراسية ، ونوعيات الكليات .. والمعاهد حسب حاجات البيئة .

٤ ـ طبع هذا المنهج الثقافى وإرسال البعثات الإسلامية لرعايته وتطبيقه ، بعد انتخابهم وتدريبهم ..

٥ ـ الإسهام بالخدمات الاجتماعية لتخفيف الضغط التبشيرى .

٦ ـ متابعة التنفيذ لهذه المشروعات لتقويمها وتعديلها .. والاستفادة من إنتاجها فى مشروعات أخرى .

● وهذه الإيجابية تحتاج أكثر ما تحتاج إلى :

١ ـ مال ... ويمكن توفيره بتضافر المؤسسات الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية ، عن طريق جمع المال فى صندوق واحد أو عن طريق الالتزام بتقديم نوع خاص من الخدمات الثقافية والاجتماعية ، تقوم به كل دولة بحيث تغطى الجانب الذى تقدر عليه ، ويكون ميسورا لها الاضطلاع به حسب مقدورها إن كان ماليا أو إن كان علميا .. إلخ .

٢ ـ هيئة علمية مركزة تضم أصحاب الخبرات فى العمل الإسلامى : لتشرف على تنفيذ المشروعات التى سترسمها بناء على الدراسات التى تصل إليها .

وليس مشكلا أن يُتَعَّرف على مشكلات العالم الإسلامى .. فلقد أنَّ كل قطر باحتياجاته ، وصرخ بما عنده من آلام ، وعرض ما يعانيه من مشكلات ..

وأمر تنفيذ هذه الإيجابية سهل ميسور ، فكل مؤسسة إسلامية لها ميزانية ولها نشاط فإذا توجَّه هذا النشاط فى أسلوب منسق ، واقتسمت الإدارات الإسلامية تنفيذ احتياجات العالم الإسلامى أمكن أن ينجح المؤتمر الإيجابى الفعال للدعوة الإسلامية ، وأمكن أن تقدم للدين حقه الذى ألزمنا الله ـ تعالى ـ به : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٥] .

---

(٥) سورة فاطر ٣٢ .

وأمكن بهذا الأسلوب أن تحقق الإدارات الإسلامية فى الأمة الإسلامية وجودها الإسلامى .

وهذا الأمر يتطلب من هذا المؤتمر الجاد المصمم على خدمة الدعوة الإسلامية أن يتخذ قرارات حاسمة من أجل إنشاء صندوق لخدمة المسلمين والدعوة الإسلامية تتجمع فيه :

أ ـ المعلومات عن أحوال المسلمين وبخاصة الأقليات والمواطن التى يعمل فيها التبشير .

ب ـ الإمكانات المادية والمالية التى تغطى حاجيات العوز والنكبات الطارئة ورعاية المحاويج .

جـ ـ الطاقات العلمية : والإدارية والفكرية التى تسهم فى سرعة توصيل المعونات المطلوبة : علمية أو اجتماعية إلى مستحقيها .

اخلاص النوايا :

ولا تحتاج هذه الإيجابية فى تحقيقها إلَّا إلى :ـ

* إخلاص النيات لله رب العالمين .

* وأن ينعقد العزم على توجيه العمل عبادة لله وحده .

* وأن يهتم العلماء بشئون المسلمين على مستوى : « من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » رواه مسلم فى كتاب الذكر .

* وعلى مستوى : « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه ورواه البخارى فى كتاب الأدب ومسلم فى كتاب البر .

* وعلى مستوى : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »

رواه البخارى فى كتاب المظالم

* وعلى مستوى : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ١/١١٩ حديث رقم ٩٥٩ ب شاكر .

* وعلى مستوى : « والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه ».

رواه أحمد فى مسنده ٢/٢٧٤ ومسلم فى كتاب الذكر .

وفى رواية مسلم حدثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله ، ولا تفرقوا .

ويكره لكم : قيل وقال : وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه مسلم « فى كتاب الأقضية باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة » .

صفات الداعية :

أما فيما يتعلق بالمواصفات الضرورية للداعية فهى :

أولا : فى الشروط الواجب توافرها فى الداعية :

أولا : الصفات الذاتية :

١ ـ الذكاء ، ولهذا فإن المتقدمين لكليات الدعوة الإسلامية ينبغى أن يختاروا عن

طريق الاختبار الشخصى عند الدخول .

٢ ـ القدرة على التصرف فى الموقف ، ولهذا يجب أن يكون منهج الدراسة عمليا ، وأن يكون السكن تحت إشراف الكلية المعنية بالتربية .

٣ ـ دماثة الخلق .

٤ ـ قوة احتمال الشدائد .

٥ ـ حسن الهيئة .

٦ ـ طلاقة اللسان .

٧ ـ غير ميال للكسل ، طموح ، ومؤمن ، ومضح .

٨ ـ أن تكون شخصيته أكبر من مغريات الماديات ...

٩ ـ أن يكون كريما .

ثانيا : الصفات الثقافية :

١ ـ أن يكون حافظا للقرآن الكريم .

٢ ـ مدركا لأحاديث السنة النبوية .

٣ ـ عارفا لفنون الفقه الإسلامى .

٤ ـ محيطا بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين .

٥ ـ أن تكون له دراسات بقواعد علم الاجتماع ومدارسه ونظرياته .

٦ ـ له دراسات للتيارات المخاصمة للإسلام ، واقفا على مبادىء المنظمات المجابهة له .

٧ ـ لديه خبرة بالعمل مع الجماعة .

٨ ـ ذو منهج فى تبليغ الدعوة .

ثالثا : الصفات الأسرية :

ان يتمثل فى سلوك الأسرة كل مبادىء الإسلام تطبيقا متكاملا ..

رابعا : الصفات الاجتماعية :

١ ـ أن يكون ودودا يحب إقامة صلات طيبة .

٢ ـ أن يكون حدوما للناس .

٣ ـ أن يكون معطيا غير مكافىء ، (موطأ الأكناف من الذين يألفون ويؤلفون) .

وهذه الصفات المطلوبة فى الداعية لا يتأتى لنا معرفتها إلا عن طريق إعداد تربوى ميسر بحيث تكون المؤسسات التربوية التى تعد الداعية لديها جهاز تربوى منذ السن المبكرة لمعرفة سجايا وملكات النفس وسلوكيات الذين يربون للعمل فى الدعوة بمعنى أن من لا تبدو عليه ملكات رفيعة وأخلاقيات نبيلة وتصرفات سامية لا ينبغى أن يستمر فى مرحلة الإعداد ليكون داعية ، فالتنقية أمر لازم فى إعداد القيادات ، والترقيع والإصلاح فى مجال التربية لا يفيد فإن ما بالطبع لا يتخلف وهذه مرحلة حاسمة فى اختيار الداعية بحيث نكون صادقين فيها وغير مجاملين .

اعداده جامعيا :

الأستاذ :

أما تربية داعية فليست كتربية مدرس أو مهندس أو طبيب إنما هى تربية لخلافة النبوة الكريمة فى اداء الرسالة ، ولهذا يتطلب الأمر فى إعداد الداعية أن تكون تربيته على يد أفذاذ من رجالات العلم والأخلاق وفضائل المحامد .

فإن الأستاذ قدوة لطالبه ، والطالب ظل لأستاذه ، وإذا كان الظل لا يستقيم والعود أعوج فكذلك الطالب لا يستقيم إذا كان الأستاذ أعوج ، ومن أوليات العوج فى الأستاذية أن يقول الأستاذ ما لا يفعله وهو أمر ممقوت عند الله وعند رسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾(٢ ـ ٣ الصف) .

ولهذا فإن اختيار الأستاذ للعمل فى تربية الدعاة أمر خطير وجليل أكثر خطراً من اختيار الطالب نفسه لأنه النبع الذى يغذى والمرعى الذى ينبت العقل والفكر والأخلاق والقدوة التى تغرس القيم والسلوك والمحامد .

السكـــــن :

وإذا كنا جادين حقا فى إعداد داعية فيجب أن يكون منهج الإعداد الأكاديمى قسيماً لمنهج حياته المعيشية فلا يترك الطالب بعد الدراسة يسبح فى الحياة كيفما شاء ، بل لابد له من سكن خاص يزاول فيه بقية المنهج الذى يجب أن يعد له ليكونه أخلاقيا وسلوكيا ولا يترك له أدنى وقت ليضيعه سدى بل يجب أن تحسب عليه كل دقيقة حتى فى مجال الترويح الذى يعد له داخل السكن ، وأن يعد له جدول يومى ليكون منظما دقيقا واعيا محترما للزمن واعيا لحصاد الوقت فاهما لقضايا عصره مدركا لأساليب العمل التى يجب أن تتنوع بتنوع البيئة والزمان والمكان ، والظروف والأحوال وأن تحسب عليه أَوْ له علاقته مع إخوانه من حيث الجود النفسى والفسحة العقلية ، وكيفية رد الإساءة ، ومقابلة الحسنة وأسلوب التعبير فى الفرح وفى الحزن ، فى الغضب ، وفى الشدة ، فى السراء وفى الضراء ، وكيف يكظم غيظه ، وكيف يعفو وكيف يحاسب .. الخ الأمور التى تفرز لنا داعية يصح أن يضطلع بأعباء الرسالة الإسلامية الخاتمة .

خامسا : اعداده قبل سفره :

ينبغى أن يعد الداعية بعد الانتهاء من دراساته الجامعية الأولى ، يختار أولا حسب القواعد السالفة بواسطة امتحان الذكاء .. وبعد أن يجرى عليه بحث اجتماعى من حيث وضع الأسرة ، ثم تنظم له دراسات وتدريبات عملية كالآتى :ـ

أولا :

١ ـ حسب تقسيم المناطق التى سيرسل إليها الدعاة يقسم الدعاة إلى مجموعات .

٢ ـ كل مجموعة تدرس جغرافية وتاريخ واقتصاديات ولغة وتقاليد وعادات وتيارات السياسة والفكر للمنطقة التى سيرسلون إليها .

٣ ـ ينظم لهم برنامج عبادى : جماعى لتأدية فرائض الإسلام وسننه ، لمعرفة مدى قدرة الداعية على تطبيق الإسلام على نفسه واستعداده لذلك .

٤ ـ تستمر هذه الفترة إلى عام مثلا ...

٥ ـ يقدم الداعية فى نهايتها بحثا عن منهجه للعمل فى هذه المنطقة كجزء من الامتحان الذى يؤديه فى آخر العام .

ثانيا :
ما ينبغى أن يكون له من حقوق :

١ ـ يهيأ له جو مالى ، يضمن له استقراره

النفسى ويضمن لأسرته القدرة على أن تكون أسرة داعية ، يفتح بيته للجميع .

٢ ـ يعاون فى عمله بالاستجابة لاقتراحاته التى سيستخلصها من عمله فى البيئة التى بعث إليها .

٣ ـ ترتبط سياسة توزيع المنح الدراسية بنشاطه ، ويكلف باختيار العناصر الأجود للدراسة بالجامعات الإسلامية المشتركة بلادها فى تنفيذ هذا المنهج .

خطة عمل مرحلية :

ثالثا :

فى صيانة المجتمعات الإسلامية :

يقسم العمل بين المؤسسات الإسلامية التى ستقبل تنفيذ خطة خدمة الدعوة كالآتى :ـ

١ ـ إحدى المؤسسات الإسلامية تتكفل بإعداد وطبع كتب دراسية للفقه مثلا لإحدى مناطق العمل فى البلاد والمناطق التى يخدمها النشاط الإسلامى .

٢ ـ إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بإرسال المدرسين .

٣ ـ إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بتمويل المشروعات الاجتماعية كالمستشفيات وبناء المدارس ... و ... الخ .

٤ ـ تنفيذ هذا الجزء من خطة العمل المرحلية فى المناطق الإسلامية التى ترزح تحت وطأة التبشير بمدارسه ومؤسساته .

وبعـــد :

يا أيها العلماء الأجلاء والوجهاء الكبار إن الحق يناديكم :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٠ ـ ١١ الصف] .

ومن ثنايا هاتين الآيتين الشريفتين تستمع القلوب إلى هذا النداء الحبيب من الرحمن الرحيم لربح عظيم بتجارة أمينة مع الله مضمونة العواقب نفيسة الغايات جليلة الأهداف .

* تؤمنون بالله ورسوله .

* وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم .

ولقد قالها السلف الصالح يوم أن بايعوا على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وقالوا : « ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل » .

والأمة الإسلامية المعاصرة مدعوة من الرحمن الرحيم الذى أغدق عليها الأرزاق من كل صوب وحدب لتقيم من جديد فى حياتها الإسلامية تجارة رابحة مع الله ، ولقد أتيحت

الفرصة للأمة الإسلامية أن تلتقى فى صعيد واحد فى رحاب الأزهر الشريف من خلال أئمتها وعلمائها ووجهائها لمدارسة قضايا الدعوة الإسلامية للوصول إلى أنجع الوسائل للنهوض بها منهجا ، وأسلوبا ، ورد كيد الكائدين للإسلام وأهله .

فاغتنموا هذه الفرصة أيها السادة المجتمعون : واصنعوا شيئا لدينكم وجماعتكم فيوم تبلى السرائر فلن ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين .

وفى آخر حديثى

أستأذن أصحاب الفضيلة والوجاهة فى هذا المؤتمر أن أتقدم باقتراحين :

الأول : ضرورة إنشاء صندوق لتمويل الدعوة الإسلامية يكون مقره فى الأزهر الشريف على أن تشكل له هيئة وتوضع له لائحة .

الثانى : ضرورة إنشاء بنك للمعلومات تيسر على العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية مجال الخدمات وأنواعها وظروف المجتمعات الإسلامية وأحوال الأقليات الإسلامية وما يتطلبه الموقف من إجراءات فإن المعلومات فى العصر الحديث هى الخطوة الأولى فى تشخيص السلوك المطلوب لأداء الخدمات .

والله ولى التوفيق

أ . د / رءوف شلبى

التعاون والتنسيق في

نشر الدعوة الإسلامية

في الخارج

عنى الباحث فى هذه الدراسة بتقديمها فى فقرات عدة :

بدأ بمقدمة وجيزة اشار فيها إلى حاجة الدعوة إلى التنظيم فى ممارستها ونشرها مشيراً إلى هيئات ومنظمات ومؤسسات إسلامية عديدة لبعضها صفته الدولية نشطت فى الربع الأخير من هذا القرن فى هذا الميدان واسهمت إلى حد كبير فى تعميق التعاون فى العمل الإسلامى ، وكل هذه المنظمات تعنى بتنمية المسلم فردياً وجماعياً على الأساس الإسلامى فى جميع مجالات الحياة ، وقال ـ فى مقدمة ذلك : « ونحن نستهدف أن يكون التعاون فى ممارسة الدعوة ونشرها خارج العالم الإسلامى داخل نظم وإطارات متفق عليها » ، ثم يقول عن هذه المنظمات : « يمكنها أن تقدم الكثير إذا نجحت فى التنسيق بين نشاطاتها وبين الاحتياجات المختلفة فى هذه النواحى داخل كل بلد إسلامى او اقلية إسلامية .

ثم تناول فى فقرة : « التعاون والتنسيق : أهدافه ومشكلاته » ضرورتهما ـ أى التعاون والتنسيق ـ فى العمل الداخلى والخارجى على السواء موضحاً يسر ذلك بين المنظمات داخل البلد الواحد ، فأما فى المجال الخارجى فإنه يلقى صعوبة لسببين :

الأول : عدم توافر المعرفة والمعلومات لدى كل منظمة أو هيئة عاملة فى حقل الدعوة عن مثيلاتها فى الخارج وهذه المعلومات حين تتوافر تعين فى تحديد المشاكل وإيجاد الحلول واكتشاف طرق التعاون والتنسيق بين تلك المنظمات .

الثانى : أن وجود الهيئات والمنظمات داخل البلد الواحد يجعلها بالضرورة خاضعة لسلطة تنظيمية واحدة وربما سلطة إدارية واحدة فيجعل التنسيق والتعاون بين هذه المنظمات داخل إطار ، أمراً سهلاً .

ثم تناول موضوع التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية من ناحية النشاط الخارجى لها فتحدث عن مشكلات هذا التعاون والتنسيق ، ثم تحدث عن أهداف التنسيق المطلوب وركزها فى أربعة : أن يكون أسلوب الدعوة متفقاً عليه ، وأن تتحدد ـ

للأستاذ المستشار
جمال الدين محمود

بصفة واضحة ـ الأنشطة التى يمكن التعاون والتنسيق فيها وأن يهدف التعاون والتنسيق إلى توفير جهد الدعاة وجعله مثمراً إلى أقصى حد ، ورابعها التكلفة المالية التى هى ضمن أهداف التنسيق والتعاون . وجعل النظر فيها يؤدى إلى تحقيق الأهداف وجعلها أقل فى المجموع .

ثم تناول فى دراسة تطبيقية الحديث عن أهم المنظمات الإسلامية الدولية التى باشرت نشاطا تخطى حدود بلدها فبدأ برابطة العالم الإسلامى بمكة فتحدث عنها ، وعن التشكيلات المنبثقة منها ، فمنظمة المؤتمر الإسلامى ، ثم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالمغرب ، فمنظمة اتحاد الإذاعات الإسلامية بجدة ، فمنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم ، فمنظمة الاتحاد الإسلامى العالمى للطلاب ، فالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، فمنظمة العواصم والمدن الإسلامية ، وانتهى إلى الحديث عن خطة التعاون والتنسيق ـ قال الباحث :

خطة التعاون والتنسيق

أشرنا فيما سبق إلى مشكلات التنسيق والتعاون بين المنظمات الإسلامية وإلى الأهداف المطلوبة منه ثم عرضنا لمجموعة من المنظمات الدولية الإسلامية لا خلاف فى نشأتها وأهدافها وصفتها الدولية (بمعنى امتداد أنشطتها خارج المجال الإقليمى لدول معينة) . وهذه المجموعة تشمل منظمات تتعدد أنشطتها العلمية والعملية وتختلف طرقها ووسائلها لتحقيق أهدافها ويمكن أن يضاف إليها كل المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية المناسبة وباستعراض الأنشطة الرئيسية فى عمل مجموعة المنظمات المختارة سابقاً تبين الآتى :

أولاً : أنها جميعا لها أنشطة علمية وأنشطة عملية ـ ويلاحظ أن الأنشطة ليست مقصورة على علوم التراث الإسلامى (مثل التفسير والفقه) إذ أن بعضها يهتم بالعلوم الطبيعية والفنون (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم) كما أن بعضها الآخر تتركز أنشطته العلمية فى صورة وسائل معينة كالبث الإذاعى أو التليفزيونى ـ (منظمة اتحاد الإذاعات الإسلامية) وتتميز بعض المنظمات بأن نشاطها فى الدعوة الإسلامية بارز وظاهر ويغطى جميع وسائلها وهو الهدف الرئيسى وتعتبر هذه المنظمات هى النموذج الأمثل فى منظمات الدعوة الإسلامية ذات الصفة الدولية (مثل رابطة العالم الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة) ومن الملاحظ أن الأنشطة العلمية بهذه المنظمات تغطى احتياجات المجتمعات الإسلامية الفقيرة فيما يعتبر من مقاصد الدعوة الإسلامية عامة إذ يجب أن ينظر إلى جانب أساليب الدعوة ووسائلها إلى ناحية

التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج

أخرى هامة هى مقاصد الدعوة العامة ـ وهى نشر الإسلام وتنمية الفرد والجماعة المسلمة (فى صورة تجمع إسلامى أو أقلية إسلامية أو شعب مسلم) ويتبين من مجموعة المنظمات التى أوردنا موجزا فى التعريف بها أنها بصفة عامة تمارس أنشطة علمية وعملية وتغطى هذه الأنشطة داخل نطاق الدعوة الإسلامية ومقاصدها المجالات الآتية :

١ ـ أنشطة دينية تتمثل فى نشر المصحف الشريف والعلوم الدينية (فى أحكام العبادات والمعاملات) والمجالات الإسلامية وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية .

٢ ـ أنشطة ثقافية تتمثل فى نشر الثقافة الإسلامية بالكلمة المسموعة والمذاعة بمختلف الوسائل وتقديم المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامى وإقامة الندوات والمؤتمرات لبحث ومناقشة القضايا الإسلامية والحفاظ على التراث الإسلامى (العلوم اللغوية والفقهية والتاريخية والتربوية وغيرها) .

٣ ـ أنشطة اجتماعية تتركز فى الاتصال بالتجمعات الإسلامية والأقليات الإسلامية فى بلاد العالم المختلفة ومحاولة تنمية المجتمعات الإسلامية (عن طريق المشروعات المتكاملة دينيا وثقافيا واجتماعيا كالمدارس والمستشفيات) ومعاهد التدريب ومواجهة المحن والكوارث ومساعدة الأسر الفقيرة فى التجمعات والأقليات أو البلاد الإسلامية .

٤ ـ أنشطة سياسية وهى فى عمومها تهدف إلى خدمة الإسلام والمسلمين على المستوى الدولى .

متطلبات تنفيذ البرنامج :

يتطلب تنفيذ برنامج التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية بمعناها الواسع خارج النطاق الإقليمى أن تتوافر عدة شروط :

أولها : وضع معايير محددة توضع فى الاعتبار عند الاتصال للتعاون والتنسيق بين المنظمات سالفة الذكر مثل نسبة المنظمات إلى دولة معينة أو هيئة دولية أو مؤسسة دينية معترف بها (داخلياً وخارجياً) وكذلك على بنية نظامها التأسيسى ومصادر تمويلها والمراكز الرئيسية التى تتولى قيادتها .

ثانيا : وجود إدارة خاصة للاتصال والتنسيق داخل منظمات الدعوة الإسلامية التى تمارس نشاطها خارج النطاق الإقليمى .

ثالثا : دراسة وثائق إنشاء وتأسيس المنظمات الإسلامية سالفة الذكر للتبادل فيما بينها والاتفاق على المجالات التى يتم التعاون والتنسيق خلالها وذلك من واقع أهداف المنظمة ووسائلها وخبراتها السابقة .

خطوات تنفيذ البرنامج :

يمكن أن نحدد ـ بناء على التعريف الذى صدر ببعض المنظمات الإسلامية ذات الصفة الدولية ـ بعض الأنشطة التى تحتاج إلى التعاون والتنسيق فى المرحلة الأولى سواء كانت هذه الأنشطة علمية أو عملية وهذه الأنشطة هى :

أولاً : تبادل المعلومات ويمكن البدء بتبادل وثائق التأسيس والتعريف بين المنظمات

وبعضها ثم تبادل المعلومات بشأن المسائل الآتية على وجه التحديد :-

١ - المراكز الإسلامية التابعة لهذه المنظمات أو التى تشرف عليها ماليا أو ثقافيا أو تدعم بأية صورة من صور الدعم .

٢ - المناطق التى تحتاج إلى إقامة المساجد التى تكفى الأقليات أو التجمعات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية .

٣ - الأقليات أو التجمعات الإسلامية فى دول أوروبا والأمريكتين وأوضاعها وظروفها (الدينية والثقافية والاجتماعية) واحتياجاتها من الدعاة أو المطبوعات .

٤ - المنح الدراسية التى تقدم سنوياً من هذه المنظمات وأنواعها ومجالات الدراسة وتوزيعها الجغرافى على البلاد الإسلامية والأقليات والتجمعات المسلمة فى البلاد غير الإسلامية .

٥ - المطبوعات التى أصدرتها تلك المنظمات باللغات الحية ومدى توزيعها وتأثيرها فى البلاد غير الإسلامية وبين الأقليات والتجمعات الإسلامية ..

ثانياً :المنح الدراسية :

تتولى المنظمات الإسلامية (مثل رابطة العالم الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وغيرها) دراسة الاحتياجات البشرية من أبناء العالم الإسلامى فى دراسات معينة علمية وعملية وفى الدراسات الدينية وغيرها . وتحدد بالتعاون الأعداد التى يمكن تقديم المنح الدراسية لها (من البلاد الأفريقية والآسيوية والأقليات والتجمعات الإسلامية) والبلاد التى يكون بها مقر الدراسة وأوجه رعايتها وتوجيههم ومتابعة نشاطهم بعد ذلك فى بلادهم فى مجال الدعوة الإسلامية والتعاون فى مجال المنح الدراسية هو الصيغة السائدة المعاصرة فى المنظمات الدولية التى تتولى هذا النوع من المعونة الثقافية وفى مجال الدعوة الإسلامية فإن الهدف هو :

تنمية الفرد المسلم والجماعة المسلمة ثقافياً ويمكن بالتعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية التى تقدم المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامى أن تتحقق أقصى فائدة لهذه المنح عن طريق التنسيق والتعاون بينها .

ثالثاً :المطبوعات :

يمكن البدء بتبادل قوائم المطبوعات والمجلات التى صدرت عن المنظمة الإسلامية المعينة والخاصة بالتعريف للإسلام والتى نشرت باللغات الحية ويتم التعاون بين المنظمات فى تحديد الموضوعات والمواد العلمية وطريقة الإصدار ونظم التوزيع فى البلاد غير الإسلامية .

رابعا :المؤتمرات :

يجرى الاتصال بين المنظمات المعينة بخصوص المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى السنوات العشر الأخيرة عن طريق هذه المنظمات والبلاد التى عقدت فيها والقضايا التى عرضت للبحث والمناقشة فى هذه المؤتمرات . ويمكن التعاون بين المنظمات

←

التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج

الإسلامية ورسم خطة مستقبلية بالمؤتمرات الإسلامية تراعى فيها التنسيق من ناحية أماكن عقد المؤتمرات وموضوعاتها ومتابعة توصياتها ونتائجها .

ضمانات تنفيذ برنامج التعاون والتنسيق

كان الهدف الرئيسى من البحث أن يكون اقتراحاً عملياً لتحقيق الهدف المطلوب وهو التعاون والتنسيق بين منظمات الدعوة الإسلامية ـ واخترنا من بين هذه المنظمات أمثلة لمنظمات إسلامية تقوم بالعمل فى حقل الدعوة الإسلامية بمعناها العام الواسع والذى نستطيع تحديده بأنه « التعريف بالإسلام عقيدة وأخلاقاً وشريعة وتنمية الفرد والمجتمع المسلم مادياً وروحياً » وهذه المنظمات كما يتبين من التعريف الموجز بها تقوم بأنشطة علمية وأنشطة عملية تغطى أهداف الدعوة الإسلامية بوجه عام .

ولذلك فإن البحث عن كيفية التعاون والتنسيق فى المستقبل كان رائدنا ولم نر بأسا من دراسة نظام بعض المنظمات الدينية دراسة عامة ـ « حتى ولو لم تكن إسلامية » بقصد اكتشاف طرق ووسائل جديدة أو حتى لمعرفة كيفية أدائها لعملها خارج النطاق الإقليمى للبلاد التى تنتسب إليها أصلاً .

ولابد من الإشارة إلى وجوب توافر بعض الضمانات لإمكان البدء فى التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية تعاوناً فعالاً .

أهم الضمانات :

أولاً : الابتعاد عن وضع الأنشطة الخاصة بالدعوة الإسلامية ـ خارج النطاق الإقليمى لدولة المنظمة ـ فى صورة إقليمية أو وطنية بحتة من حيث الأهداف إذ المفروض فى التعاون أن يكون الهدف فى الخارج هو نشر الدعوة الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم روحياً ومادياً « فى صورة أقلية إسلامية أو تجمع إسلامى » .

ثانياً : هناك دول إسلامية تتمتع دولياً بالاحترام الكبير والتقدير بما يتعلق بأنشطة الدعوة ولا سيما العملية منها ـ مثل الدعم المادى والثقافى مثل المملكة العربية السعودية ـ مصر ـ ودول الخليج عامة وسوف يكون للتعاون بينها أثره الكبير فى دفع التعاون والتنسيق خطوات كبيرة ـ إذ أن كثيراً من المنظمات التى تتبع دولاً أخرى ـ ولها دورها فى مجال الدعوة الإسلامية بوجه عام خارج النطاق الإقليمى ـ سوف تجد هذا التعاون مكملاً لأنشطتها وباعثاً لها على اتخاذ التنسيق فى العمل الإسلامى منهجا وطريقاً .

ثالثاً : دراسة المشروعات المتكاملة التى تتضمن نشر الدعوة الإسلامية فى المجتمعات غير الإسلامية وتنمية الفرد المسلم والمجتمع المسلم مادياً وروحياً والتى يدخل فيها إنشاء المساجد والمدارس ومعاهد التدريب فى البلاد الأفريقية بالذات » بحيث تشترك منظمات إسلامية لها وضعها المتميز ومستواها الرفيع دولياً فى إنشاء ورعاية هذه المشروعات المتكاملة .

والله ولى التوفيق ،،،،

أ . جمال الدين محمود

فى الدعوة

في موكب الدعوة والدعاة

اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية

الدعوة إلى الله بين المنهج والغاية

الدعوة والدعاة

بدأ الباحث بتمهيد عن حال العالم قبل الإسلام وشهوده الوانا مختلفة من الديانات والعقائد لم يجد فيها صلاح امره واستقامة حياته، ثم أذن الله سبحانه للعالم أن تنقشع ظلماته وتنجلى غمراته فأشرقت الأرض بنور ربها وبعث الله سبحانه رسوله محمد بن عبد الله بدعوة الإسلام، وأنزل عليه القرآن الكريم كتابا سماويا ووحيا إلهيا هو دستور الخالق لإصلاح الخلق .

ثم تناول الباحث الدعوة والحاجة إليها وعرفها : بأنها "حث الناس على الهدى والخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" ليحوزوا رضوان الله ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة . وهى انواع ثلاثة :

دعوة الأمة المحمدية غيرها من الأمم إلى الإسلام .

دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتامرهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر .

ما يكون بين افراد المؤمنين بعضهم مع بعض - سواء فى ذلك الخاصة والعامة .

وللدعوة مقومات أهمها :

ان تقوم الدعوة على الحجج البالغات والآيات البينات بما يتقبله العقل السليم ويالفه الذوق الرفيع، ويتلمسه الوجدان ولا تقف دونه البديهة ولا تنكره الحقيقة .

ان تعتمد الدعوة على الأسلوب الحكيم فى عبارات رائقة فيسوق الداعى لكل مقام مقالا يليق به ويخاطب كل طبقة بما يناسبها .

ان يكون كل من يتصدى للدعوة مثلاً اعلى فى الأدب الكامل والخلق الفاضل .

والدعوة إلى الله تعتمد على رجاحة العقل، واصالة الراى، وصدق الفراسة وصواب التدبير . و للدعاة زاد و آداب لابد منهما حتى يكونوا اهلاً لتحمل أمانتها والقيام بتبعاتها تتفجر من معانى القرآن الكريم وأهدافه ، ثم تجىء السنة المطهرة بانماطها وهديها،ثم وقائع التاريخ،ووقائع الحياة الإنسانية، ثم جانب من العلوم الإنسانية التى لابد من الإلمام بها أو استيعابها ليتمكن الداعية من تحمل

* الباحث : وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

فضيلة الشيخ
عبد الحكيم حسن نعناع

مسئولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه الروافد جميعا .

تناول الباحث آداب الدعاة حتى يكون الداعية عاملا بما علم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح .

وجدير بمن نصب نفسه لهداية الناس أن يكون سهل الخليقة لين العريكة واسع الصدر ، لا تستخفه جهالة الجاهل ولا تستفزه رعونة الأحمق، ياخذ الناس بالرفق ويجادلهم بالحسنى . ومن ادب الداعية أن يكون شجاعا عف اللسان لا يهاب أحداً فى الجهر بالحق، ولا تاخذه فى الدعوة إلى الله لومة لائم . فتعلو كلمة الله وتسعد الدنيا ويسودها الأمن والسلام وتحكمها موازين الله فى دروب الحياة ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وعلى الله قصد السبيل .

قال الباحث :

زاد الدعاة

إن الداعية لا يمارس وظيفته من فراغ بل لابد له من مصادر دينية وعلمية وثقافية تحيى قلبه وتمده بثروة من المعانى والأفكار وتعينه على اختيار الحلول اللازمة لمشاكل الفرد والمجتمع وهى مناهل يغترف منها ليقدمها بدوره شرابا سائغا للشاربين فإذا لم يجدد الداعية حياته بزاد متجدد من المعرفة يواكب الحياة المتجددة المتغيرة فسوف يكرر نفسه دائما، ولن يحسن الناس الاستماع إليه ولا يفيدون منه . والدعوة فى الإسلام هى مظهر الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر .

ينابيع الدعوة تتفجر أول ما تتفجر من معانى القرآن الكريم وأغراضه، ثم تجىء السنة المطهرة بأنماطها وهديها، ثم وقائع التاريخ، ووقائع الحياة الإنسانية ثم جانب من العلوم الإنسانية التى لابد من الإلمام بها أو استيعابها ليتمكن الداعية من تحمل مسئولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه الروافد جميعا فإذا كان الإيمان بالله أساس البنيان كله وكانت الأخلاق الفاضلة سلاحه فى معركة الدعوة فإن الثقافة الحية والتأمل الواعى فى مسار الحياة هو الجانب الفكرى إلى جانب الأسلحة الإيمانية وفيما يلى شىء من التفصيل بعد هذا الإجمال ..

القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم بألفاظه ومبانيه ومعانيه وأغراضه هو الكتاب الهادى للأحياء ذو القدرة الفذة على استنارة أفكار الجماهير ، واستجاشة مشاعرهم ، والسمو بهم إلى الكمال ، وتأسيس حياتهم على الطهر والنقاء والصفاء ، فلا غرو أن كانت الدعوة المستمدة منه وقود النهضة وضياء الأمة . ←

ومن هنا كان أول واجب على الداعى صحبة القرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما وتدبرا؛ فإن للقرآن الكريم دوراً إيجابيا فى الاتجاه بالحياة إلى التى هى أقوم ، والداعية الناجح هو الذى يحسن صحبة كتاب الله بالتلاوة والتدبر واستنباط القواعد التى يعالج بها أدواء البشر ، ولن يصل الداعية إلى هذا المستوى لمجرد أنه حفظ القرآن ؛ فإن القرآن الكريم لا يعطى سره لهؤلاء الذين يحفظون ولا يفهمون ويستنبطون ، وإنما يعطى ثماره للذين صقلوا أنفسهم بالتجربة ، وربطوها بالفلك القرآنى فانعكست هذه الصحبة المباركة على أنفسهم خلقا عظيما يشيع فى كل اتجاه ، وهديا إلهيا يشع فى كل اتجاه ، وعلى هذا الأساس ربى محمد صلوات الله وسلامه عليه أصحابه لتكون هذه التربية من بعده معراك السالكين للدعاة فى كل عصر ومصر .

إن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع كتاب ضمت أياته مبادىء وحقائق تصلح بها الحياة والأحياء ، واكتست معانيه بحلل من الأساليب الجزلة البليغة ، والداعية منه فى رياض نضرة حافلة بكل ما يجدد شباب الحياة والذين يحسنون صحبته ، والإصغاء إليه ، يعطيهم من أسراره طيب القلوب وشفاء الأرواح وبلاغة البيان .

السنة المطهرة :

إن فى حياة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه العملية والقولية نماذج رائعة استوعبت شئون الحياة بكل تفصيلاتها ووقائعها وهى فى الوقت نفسه بيان لما أجمله كتاب الله من أمور الدين والدنيا وعلى الداعية أن يعى السنة المطهرة ما أمكن حفظا وفهما متنا ورواية ودراية ، وأن يرتبط بمواطن الأسوة فى حياة صاحبها صلوات الله عليه ، فذلك سبيله إلى فتح أبصار الناس وبصائرهم عليها .

لقد كان من رحمة الله سبحانه أن أرسل إلى الناس بشرا رسولا فهيأ لنا بهذه البشرية المحكومة بالرسالة فرصة الاقتداء والتأسى بأعلى صور الكمال الإنسانى ، ولن يتم ذلك إلا بوقفات داعية يتأمل دقائق حياته وأسرار هديه ، وتجليتها للناس بما يكشف عن جوانب العظمة فيها وسمو إرشاده وتوجيهه .

والسنة المطهرة كما هى المصدر الثانى للتشريع هى كذلك أعلى فى البلاغة والبيان تزود الداعية بصور جمالية تجعل لحديثه قيمة مما يفرض عليه تمليها والوقوف حيال بيانها الرائع ليقبس منها ، ويسير على هديها .

أحداث التاريخ ووقائعه :

إن التاريخ الإنسانى والإسلامى بخاصة حافل بمواقف ومشاهد لم تستنفد أغراضها بمجرد وقوعها فى أزمانها ، بل بقيت عامرة بدروس وعبر ، ما أحوج الناس إلى تدبرها ، على ضوء ما يشع من تجربتها ، يرون طريقهم فى صحبة هذه الدروس وتلك العبر ، يمضون فى حياتهم على هديها يحذرون فى نفس الوقت التورط فى مثل ما وقع من أخطاء أسفرت عنها تجارب الإنسان .

والداعية الناجح هو الذى يعيش هذا التاريخ ويسبر غوره ليحكم الحياة بقانونه مبشرا ومنذراً ، وله من أخبار القرآن الكريم

خير معين فعندما ذكر كتاب الله أخبار الأولين والآخرين وقص قصصهم ، لم يقصد إلى التسلية وامتاع الأسماع ، بقدر ما كان يقصد لفت القلوب إلى ما فى هذه الأخبار وتلك القصص من قواعد وفوائد ، وإنه فى سبيل ذلك يطوى من القصص ما لا صلة له بجوهر القضية المعروضة ، مكتفيا بما يحقق للبشر سعادتهم فى ضوء التأسى بما فى قصص الأولين والآخرين ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . . ﴾ .

واقع الحياة :

إن واقع الحياة اليومية هو تاريخ الإنسانية الحاضر ، هو كتاب أخطائها وصوابها ، وقد يعمد الداعية إلى بطون الكتب ينقل منها ثم يعرض ما نقله عرضا ، بينما البيئة حوله وأحداث مجتمعه تعج بمختلف الأحداث الحية ، التى يعيشها الناس فعلا ، والتى يمكن أن تستغل لشد انتباه الناس من جهة ، ومن جهة أخرى هى فرصة متاحة لعلاج الأمراض السارية فى أوصال المجتمع .

ثم إن المشاهد الكونية وصور الطبيعة مجال نسج بعض وسائل إيضاح تجسم المعانى المجردة ، وحسن استغلالها يعين على أمر الله تعالى ، والداعية الناجح هو الذى يشاهد ببصره وبصيرته معا ، ثم يختار من أحداث البيئة قضاياه ، ومن مشاهد الطبيعة الوانا يظلل بها حديثه ، ليتمكن من الوصول إلى مكان التأثير فى قلوب تفتح مغاليقها لكل داعية يشاركها حياتها ، فإذا أخذ الداعية مادة حديثه من المشاهد الكونية ، ومن صميم ما يجرى فى هذه الحياة ، وتحدث عن صوابه وخطئه ، وعالجه بروحه الربانى ، ووزنه بميزانه الإلهى ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

العلوم الانسانية :

ينبغى للداعية أن يلم بطرف من العلوم الإنسانية وغيرها التى تعينه على أداء مهمته كعلم النفس والمنطق وتقويم البلدان والملل والنحل والعلم بلغات الأمم وفيما يلى عرض وجيز لهذه العلوم .

أ ـ فإذا كانت وظيفة الداعية هى قيادة النفوس إلى الحقيقة وهدايتها إلى ما يصلح دنياها وآخرتها فعليه أن يعرف طبيعة النفس البشرية وما لها من أنواع وعلى قدر هذه الأنواع تكون الصفات ولكل حالة نفسية لون خاص من الكلام ، والداعية الذى لا يعرف غرائز النفوس وطبيعتها واتجاهها ورغباتها واتجاهاتها لا ينجح فى امتلاك زمامها فإن الوقوف على أسرار طبيعة النفس البشرية بكل غرائزها وتطلعاتها عامل حاسم فى الوصول بالإنسان إلى ما يراد له من خير ، وذلك جوهر علم النفس ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على حظ كبير من هذا العلم ، كانوا بسلامة فطرتهم وذكاء قريحتهم ، وبما هداهم القرآن بآياته والرسول ببيانه وسيرته على بصيرة من هذا العلم وإن لم يتدارسوه بطريقة صناعية .

ب ـ وإذا كان طالب اللغة لا يتمكن من التكلم بها على وجهها إلا إذا عرف قواعدها وقارض الشعر لا يستقيم له وزنه إلا إذا درس قواعده فكذلك الداعية يجمل به أن يلم بطرف من المنطق ليعصم ذهنه من الخطأ فى

الفكر وصولا إلى عقل المستمع والوصول به إلى مرفأ اليقين .

جـ - أما علم الاجتماع فإن مهمة الداعية تبدأ بتشخيص العلة ثم وصف الدواء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومعرفته بطبيعة المجتمعات وسنن الله فيها تعينه على أداء مهمته .

إن لله سبحانه فى الاجتماع سننا لا تتخلف ، وفى دوامة الصراع بين الحق والباطل تبدو الحاجة ماسة إلى تأمل واع من قبل الدعاة لظواهر المجتمع حولهم ، من حيث نشوئها وتطورها وأسبابها يقول الشيخ على محفوظ - رحمه الله - فى كتابه هداية المرشدين (مما يلزم الخطيب العلم بحال من توجه إليهم الدعوة فى شئونهم واستعدادهم وطباع بلادهم وأخلاقهم وما يعبر عنه فى العرف بحالهم الاجتماعية) .

د - وعلم تقويم البلدان يعين الداعية فى أداء رسالته ، ويساعده ليعد لكل بلاد عدتها إذا أراد السفر إليها فهو سبيله لمعرفة مسالكها وطرقها وطبيعة أرضها ولغاتها ومواطن الثروات فيها وجغرافيتها .

هـ - ومن أهم زاد الدعاة معرفة علم الأخلاق الذى يبحث عن الفضائل النفيسة كيفية تربية المرء عليها ، كما يبحث عن النقائص وكيفية الوقاية منها ، حتى يستطيعوا معالجة النفوس وتهذيبها،والقرآن الكريم والسنة الشريفة وآثار الصحابة والسلف الصالح مصدر وثيق فى هذا المجال وماورد فيه مستفيض يغنى عن الإطالة فيه .

و - ومعرفة الملل والنحل زاد أصيل فى ثقافة الدعاة بها يعرفون أساليب أهلها وضلالاتهم والشبه التى يثيرونها لبلبلة العقول وطمس معالم الدين الحق وغير ذلك من أباطيلهم وترهاتهم.وبهذه المعرفة يستطيعون فضحهم ودحض مزاعمهم وإبطال دعاواهم التى يضللون بها الناس ويثيرون بينهم الفتن الطائفية .

ز - ومن المهم أن يكون الدعاة وبخاصة من يبعثون لنشر الثقافة الإسلامية من المهم أن يكونوا على علم ببعض اللغات الأجنبية حتى يمكنهم التعرف على ثقافة أهل هذه اللغة وطريقتهم فى فهم الإسلام ، ورد شبهاتهم ومزاعمهم التى يصوبونها إلى دين الله وحتى يستطيعوا أن يخاطبوهم بلغتهم ، وينقلوا إليهم حقائق الإسلام ، ومافى تشريعاته ومبادئه وآدابه من أحكام وأخلاق تضمن سعادة العالم كله .

وقبل هذا كله وبعد هذا كله فالأصل فى الداعية أنه على قدر كبير من ثقافة علوم اللغة العربية وقواعدها وآدابها فذلك سبيله إلى امتلاك ناصية البيان وعرض القضايا فى أسلوب جميل وعبارات بليغة تتطابق ومقتضى الحال ليستميل القلوب ويشبع العقول ويكشف الحقائق ويثير الانتباه فتتحقق له الغاية من رسالته .

وبالجملة فإن « الدعوة عطاء وإنفاق ومن لم يكن عنده زاده من العلم والثقافة فإنه لا يستطيع أن يعطى غيره ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، ومن لم يملك النصاب كيف يزكى ؟ »

منهج الدعوة الإسلامية

من القرآن الكريم والسنة النبوية

فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح *

يبدأ الباحث بحثه بتعريف الدعوة لغـــــة واصطلاحا مستدلا على ذلك بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولأن الدعوة موضوعها الاسلام الذى أوحى الله — تعالى — به الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهى أشرف غاية ، وأنبل مقصد ، وأقوم سـبيل ، وهى رســـالة الأنبيـــاء والمرسلين ، وشـيمة الدعاة المخلصين ، وشـــعار الهداة المرشدين وهى واجبة على كل مسـلم ومسلمة ، فى كل عهد وفى كل زمان ، وكل عاقل بالغ مكلف بهـا ذكـرا كان أو انثى : "قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

ووظيفة الأمة الاسلامية هى الدعـوة الى المبادىء السامية ، والقيم الدينية •

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » •

ولأن الدين الاسلامى حينما أشرقت شمسه على العرب شحذهم وأنار عقـــولهم ووحد صـــفوفهم فقد وكل اليهم أن يحملوا تعاليم الاسلام الى جميع أرجاء العالم فالاسلام — وهو الدين الحق — لن تطمس شاراته أو تضيع آياته وعلى كل مسلم أن يواجه قدره ، ويؤدى واجبه حتى يعود للاسلام مجده الضـائع ، وعزه التليد •

ثم يوضح الباحث أن الدعوة الاســلامية

←

* الباحث : مدير عام الدعوة والاعـــلام بالأزهر سابقا •

بحاجة الى أسلوب جديد للدعوة والى جيل جديد من الدعاة المخلصين ، فتيار الدعوة يتجدد بتجدد الزمان والمكان ، والأسس التى تقوم عليها الدعوة هى : الحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الطيبة • وللداعى الى الله فى الاسلام منزلة رفيعة ، ومكانة عظيمة :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » •

والتسلح بالصبر ومقابلة الأذى أمر واجب بالنسبة للداعى ، وكم تعرض الأنبياء والمرسلون للايذاء والتعذيب بسبب قيامهم بواجب الدعوة الى الله لكنهم صبروا حتى أتاهم نصر الله •

والاسلام عبر تاريخه الطويل يواجه مؤامرات دنيئة ، وتيارات فكرية فى حرب لا هوادة فيها لم تتوقف منذ أشرقت شمسه تأخذ فى كل يوم صورا متنوعة وأشكالا مختلفة من ذلك اظهار الاسلام بمظهر الدين البدائى الذى لا يصلح لمتطلبات هذا العصر ، بجانب دعوات الحادية كثيرة تستهدف النيل من عقيدة المسلمين ، مما جعل الكثير من المثقفين يتوهم أن الحضارة الاسلامية لا وجود لها الا فى عالم الخيال ، وما هى الا نوع من الوهم ، وفاتهم أن الحضارة الاسلامية حقيقة واقعة ، ظلت تتلألأ فى سماء الوجود قرونا عديدة ، نعمت فى ظلها الانسانية ، وسوف تظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

ثم ختم الباحث بحثه بنصائح وارشادات للدعاة الناشئين •• قال الباحث :

أهمية الخطابة فى الدعوة الاسلامية :

فرض الله تبارك وتعالى على المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجتمعوا فى كل أسبوع مرة فى المسجد الجامع : يوم الجمعة •• ثم يلقى عليهم الخطيب ، أو الواعظ: خطبة تتعلق بشأن من الشئون الدينية أو الدنيوية ، أو تكون علاجا لمرض من الأمراض الخلقية أو الاجتماعية ، أو تصحيحا لبعض المفاهيم الاسلامية التى انحرف بها بعض ذوى الأهواء : عن غرضها السامى النبيل ، واجتماع هذا شأنه جدير حقا بأن يكون فرصة ثمينة لتغذية العقول ، وتنوير الأفكار ، وتحريك الأذهان ، وغرس الأخلاق الكريمة ، وبث روح الفضيلة فى نفوس المستمعين •• وبالتالى : فهو خير وسيلة لحفز الهمم ، وتوليد الارادات الصالحة ، والعقائد السليمة ، والأفكار الصحيحة ، وعندئذ ينطلق الاصلاح من عقائد الأمة الى أعمالها ، ومن أفكارها الى مصالحها ، مما يكون سببا فى نهضتها ورقيها ، وتقدمها وازدهارها ، وكفى بذلك غرضا نبيلا ، ومقصدا جليلا •

الفرق بين الخطيب والداعية :

الخطيب : يقول كلمته ، وينتهى دوره — بينما الداعية يقول كلمته ، ويحرص على أن تكون مبنية على كلام سابق ، ومقدمة لكلام لاحق — ويتابع أفكاره : بالمحاضرات والندوات ، والعظات والزيارات ، حتى يصل الى اقناع الناس ، وتأثرهم بها •

كيفية تحضير الموضوع :

١ — معرفة أحوال المخاطبين ، وتحديد الهدف من الخطبة •

٢ ــ جمع الأدلة الشرعية : من الكتاب والسنة .

٣ ــ ترتيب عناصر الخطبة ، ودليل كل منها .

٤ ــ الواقعية : بحيث يكون الموضوع مناسبا للزمان والمكان ، وحال المستمعين .

٥ ــ الوحدة : بحيث يكون مستوعبا لأطراف البحث من كل جانب .

٦ ــ اختيار العبارات المؤثرة المفهومة .

٧ ــ الاستعانة بالأمثلة والقصة ، مع الاحتراز عن القصص الاسرائيلى الذى يتعارض مع القرآن والسنة .

٨ ــ مخاطبة العقل والعاطفة معا .

فن الالقاء :

١ ــ براعة الاستهلال ، لجذب انتباه السامعين .

٢ ــ اثارة العواطف والمشاعر بمعالجة الأحداث التى تهم المسلمين ، وبأسلوب مبسط جزل ، لا تعقيد ولا تعمق فيه .

٣ ــ النبرات القوية عند ذكر المواقف الهامة .

٤ ــ عدم المضى فى أثناء الخطبة على وتيرة واحدة : كانخفاض الصوت أو ارتفاعه .

٥ ــ تلخيص أهم نقاط الموضوع ولو فى الخطبة الثانية ، بحيث ينصرف الناس وقد عرفوا ما طلب الخطيب منهم : عن طريق النصح والتوجيه .

من أدب الخطيب والداعية :

١ ــ القدوة الحسنة ، والأسوة الصالحة ، بحيث يطابق فعله قوله .

٢ ــ مراعاة الاخلاص لله ، والبعد عن الرياء .

٣ ــ الحكمة فى الوعظ ، والبعد عن التعنيف ما أمكن ، وعدم الاستخفاف بالمستمعين ، او التهكم بهم ، ازدراء لشأنهم ، وسوء تصرفاتهم .

٤ ــ عدم تجريح الأشخاص أو الهيئات بالاسم .

٥ ــ الاهتمام بالأحداث الجارية ، ومعالجة المشاكل على ضوء ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعدم الجمود على المألوف لدى الناس .

٦ ــ التركيز على قضايا العقيدة ، ودحض الشبهات المفتراة على الاسلام .

٧ ــ حسن المظهر والزى ، والوقار فى السير والمجالس .

٨ ــ كثرة القراءة والمطالعة والحفظ بالنسبة للنصوص ، والاختلاط بالعلماء والدعاة ، للاستفادة منهم .

٩ ــ الاختلاط بمختلف طبقات الناس ، لاكتساب محبتهم ، والتعرف على مشاكلهم ، وطرق علاجها ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

١٠ ــ التعفف عما فى أيدى الناس ، ومعاملتهم بالحسنى .

١١ ــ عدم التهيب من الحاضرين ، مهما كانت مكانتهم ومستوياتهم .

١٢ ــ عدم تكلف السجع ، والبعد عن الانفعالات بدون مبرر .

١٣ ــ الجمع بين الخوف والرجاء ، وعدم اشاعة روح اليأس .

١٤ ــ تجنب الأخطاء فى الآيات القرآنية ، أو الأحاديث النبوية ، وكذا الأخطاء اللغوية .

١٥ ـ عدم النظر الى أعلى ، أو اغماض عينيه ، أو تركيز النظر الى جماعة دون أخرى ، وأيضا عدم الاكثار من تحريك يديه وجسمه •

آداب أخرى يجب مراعاتها :

١ ـ الاهتمام بمعالجة الأمور المهمة ، دون ضياع الوقت فى معالجة الأمور الصغيرة •

٢ ـ الترفع عن الجدل الذى لا يفيد ، وتوفير الاحترام للسامعين •

٣ ـ الصدر الرحب ، وسعة الأفق ، والتسامح مع الآخرين •

٤ ـ عدم الجمود على شىء معين مما يشعر بالتزمت ، ولا يتمشى مع سماحة الاسلام ويسره •

٥ ـ عدم الاعتماد على النقول الضعيفة ، وتجنب المسائل الخلافية ، قدر الاستطاعة •

٦ ـ عدم الاطالة أو الاسترسال فى الخطبة أو العظة ، خشية الملل •

٧ ـ الحذر من الوقوع فى التناقض ، وعدم الاطناب فى البدهيات •

٨ ـ عدم تحدى الأمر الواقع ، مادام يتمشى مع روح الاسلام ، وعدم الاصطدام بالعلوم الحديثة المبنية على أسس سليمة •

٩ ـ مخاطبة الناس بما يمكنهم تنفيذه والقيام به ، أو بما يمكنهم تفاديه والبعد عنه •

١٠ ـ عدم الخروج عن الموضوع الا بالقدر الذى يتطلبه حال السامعين •

١١ ـ اليقظة أو حسن التخلص ، وتفادى الاصطدام مع الآراء والمعتقدات ، والخلافات المذهبية •

١٢ ـ حسن اختيار الموضوعات ، أو المشاكل أو الأمراض الاجتماعية التى يراد علاجها •

١٣ ـ اجادة فن الاثارة وتهييج المشاعر والأحاسيس ، لشد انتباه السامعين ، وتأثرهم بالعظة •

١٤ ـ الشجاعة الأدبية ، والنقد الهادف النزيه •

١٥ ـ تفهم العلوم المدنية ، وتحويلها الى شراب سائغ ، مختلف ألوانه ، وعرضها فى أسلوب مشوق لتوضيح بعض ما تضمنته تعاليم الاسلام •

١٦ ـ محاولة التجديد المتواصل فى العلوم الدينية ، والتعمق فيها قدر الامكان •

١٧ ـ أن تكون الكلمة نابعة من القلب ، ليكون لها تأثيرها فى النفوس ، فما خرج من القلب حل فى القلوب ، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان •

١٨ ـ ايمان الدعاة برسالتهم ، وتفاعلهم بها ، مع الاخلاص لله فيها •

١٩ ـ القدرة على تشخيص الداء ووصف العلاج المناسب ، على أن يكون الترغيب والترهيب كالعقاقير : تختلف باختلاف الأشخاص وأدوائها ، والمجتمعات وظروفها •

٢٠ ـ أن يكون مثل الداعية كالطبيب الجراح ، يقوم بتخدير المريض ، قبل اجراء العملية الجراحية ، بمعنى : أن يكون حليما رفيقا بالذى يأمره أو ينهاه •

« رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً » (١) •

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

(١) الكهف : ١٠ •

اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية

للأستاذ المستشار
عبد الحليم الجندى*

فى افتتاح المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية عام ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٥ م بقاعة الامام محمد عبده حدد السيد رئيس الجمهورية أهدافا وأرشد الى وسائل يحق علينا ان نتقياها وان نسلك سبلها •

قال : (فلعل اجتماعكم هذا — أيها العلماء الأجلاء — يكون خطوة مباركة على الطريق ، طريق التلاقى الإسلامى والتضامن الإيمانى ، فى ظل حياة إسلامية حقه يقوم على الأخوة والتضامن والتآزر والمحبة والسلام) •

قال : (ففى أحاديث رسولنا العظيم دعوات متكررات تؤكد أن المسلم أخ المسلم •• كما أن سيرة الرسول الكريم تنطق صفحاتها بكل ما يدعو الى التسامح والمحبة ودفع السيئة بالحسنة ، كما تصور تلك السيرة العطرة ما يجب أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين من نبذ للخلاف وطرح للشقاق وأخذ بكل ما يجمع الكلمة ويوحد الصف ويبعث القوة ويؤكد الاعتصام بحبل الله) •

وقال : (فتجلية هذه السيرة والكشف عن جوهرها وتقديم حقيقتها للمسلمين وللعالم من حول المسلمين إنما هو تجلية للحق وكشف عن جوهر الخير وتجسيد للمثل الأعلى) •

وقال : (فنحن فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة) •

وقال : (ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة المطهرة) •

ثم قال : (نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين • وهو تقديم ما تطرحه السنة وتمثله السيرة من قيم إسلامية ومبادىء إنسانية ، يمكن أن تكون فى بيانها لمحكم كتاب الله ، يمكن أن تكون الدستور الإسلامى

←

* الباحث : عضو مجمع البحوث الاسلامية — الأزهر الشريف •

فى الأخلاق والسلوك والتعامل وكل صنوف العلاقات بين الناس) •

ومن هذا المنطلق ، واستهداء بالقرآن الكريم وبسيرة وسنة رسول الله أصدر المؤتمر بضع عشرة توصية أهاب فى واحدة منها بوسائل الإعلام الإسلامية أن تتضافر للتعريف العالمى بالسيرة والسنة وما حوتهما من قيم اجتماعية ونشر الثقافة الإسلامية بوجه عام • وهو تضافر لم يعد كافيا ، مع ما يضاف اليه من عمل مبعوثى الأزهر وغيرهم ، لتحقيق ما يتغياه السيد رئيس الجمهورية ويحذو حذوه جماهير الأمة الاسلامية ، فأصبح لزاما على الأزهر ومؤسساته أن تنهض فى هذا المجال بتبعات تفرضها عليه مسئولية الدعوة للإسلام والأمال التى تعقدها عليه الأمة لتعريف أبنائها بالدستور الإسلامى فى الأخلاق والسلوك لتعميق الاحساس بقيم دينهم وأسباب صحوتهم ، والإسلام — وقد وعد الله بحفظه — يشق الطريق الى القلوب بقوته ويغنى أكبر الغناء فى انتشاره أن يأخذ بنوه بأسبابه •

من أجل ذلك يتعين ان تتكفل بالدعوة « قوة متخصصة » من أهل العلم تلتزم المنهج الإسلامى بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بأسلوب إيجابى يشرحها فى دأب وقوة ، سواء فى العبادات أو المعاملات أو شئون الحياة أو مصالح الأمة أو كيان الدولة ، وكلها أمور وطأتها لنا كتب ليس علينا الا أن نفتح للمسلمين صحائفها وفى صدارتها القرآن وإعجازه ، ثم السيرة والسنة بما فيهما من أسوة حسنة وتفسير للقرآن بالعلم والعمل ، وحياة الصحابة الذين اقتدوا بالرسول ﷺ ، وفقه الأئمة الذين فتحوا للمسلمين أبواب الاجتهاد فيما استخلف الله فيه عباده من دنياهم ، والتراث الإسلامى الذى أضاء وحده ظلمات القرون الوسطى ، للدنيا ، قرونا عشرة ، بالعلم وفتوح الفكر والجهاد الهادى الى التقدم حيثما رفرفت الأعلام بحضارة الإسلام •

ولما كان « العضو ينشىء الوظيفة » أو يتيح لها قدرة على النماء ، والجهاز الفعال يحدث أثره اذا تولته يد أمينة بتنسيق مستمر وابتكار للوسائل ، واقتدار فنى من المتخصصين يتنامى نشاطه فى سبيل الله فى داخل مصر وخارجها حيث العالم الإسلامى يستمع الى دقات قلب الأزهر •

ولما كان الناس أسمع وأبصر بالأزهر ، فإن إنشاء مركز للدعوة فيه يصبح ضرورة اسلامية •• وفيما يلى تصور تقريبى فى هذا الصدد : —

مركز للدعوة الإسلامية

أولا : مركز الدعوة :

١ — ينشأ بالأزهر «مركز للدعوة الإسلامية» برياسة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر تعاونه هيئة مكتب برياسته لا يزيد أعضاؤه على عشرة يختارهم ممن لهم سابقة علمية أو عملية

فى خدمة الإسلام • ويكون للمكتب مقرر يرأسه اذا لم يحضر الرئيس •

٢ ــ يجتمع المكتب مرتين فى كل شهر بناء على دعوة الرئيس •

٣ ــ يختص المكتب بوضع الخطط العامة للدعوة الى مبادىء الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فى الداخل والخارج وإبداء الرأى فيما يعرضه عليه الرئيس •

٤ ــ لرئيس مركز الدعوة تبليغ كليات الدعوة بالأزهر بما يقرره المكتب فى صدد مواد مطلوبة للتدريس أو ملاحظات تظهر نتيجة الامتحان الوارد ذكره فيما بعد •

٥ ــ يضع المكتب قواعد انتخاب المبعوثين والمناهج والخطط العامة للدعوة •

٦ ــ يختار المبعوثون بعد تحقيق توافر الشروط الواردة فيما بعد •

٧ ــ يختص المكتب بوضع نظام لتدريب المبعوثين واختيار الأساتذة وتقرير البرامج سنويا •

٨ ــ يشارك أعضاء المكتب فى امتحانات المبعوثين بعد أداء مدة التدريب •

٩ ــ يعين المبعوثون بعد النجاح فى الامتحان الوارد ذكره فيما بعد •

ثانيا : الدعاة :

يشترط فيمن يتم اختياره لوظيفة المبعوثين من الأزهر : ــ

(أ) أن يكون من خريجى جامعة الأزهر أو الجامعات الإسلامية حائزا درجة العالمية من جامعة الأزهر أو الدكتوراه من احدى الجامعات المصرية أو الإسلامية •

(ب) أن يقضى عاما فى قسم « تدريب الدعاة » يحضر فيه عددا من الدروس فيما لا يقل عن ألف ساعة طوال عام التدريب •

(جـ) أن يؤدى بنجاح فى احدى محافظات مصر مهمة عملية للدعوة مدة شهر يحددها له ادارة القسم ، ويقدم تقريرا عنها احد أعضائه بعد تحقيق دقيق •

(د) أن يجيد اللغة العربية مع إلمامه بلغة أجنبية (الانجليزية ــ الفرنسية ــ الهوسا ــ لغة افريقية رابعة) ويجوز أن يؤجل امتحانه فى اللغة الأجنبية حتى نهاية مدة التدريب الواردة فيما بعد •

(هـ) أن يكون حسن السمعة حافظا للقرآن لا يقل عمره عن ٣٠ سنة ولا يزيد على ٥٠ سنة، ويجوز على سبيل الاستثناء قبول الأقل سنا بقرار مسبب •

(و) لرئيس المركز بناء على قرار من مكتب المركز أن يضيف شروطا الى الشروط السابقة •

١١ ــ يمنح المبعوث مرتب درجته بمجرد صدور قرار بتعيينه •

١٢ ــ يلحق بإدارة الأزهر قسم لتدريب المبعوثين على النهوض بمهامهم فى الداخل والخارج •

١٣ ــ يلتزم المبعوث بمداومة الحضور بهذا القسم مدة عام أو أكثر وأن يجتاز الامتحان تحريريا وشفويا بدرجة جيد على الأقل •

١٤ ــ يضع المكتب المشار اليه فى المادة الأولى برنامج التدريب فى أول كل سنة هجرية قبل بدء التدريب بمدة كافية لاعداد الدروس ويحاط المنتدبون لتدريسها بقرار ندب قبل بدء التدريس بمدة كافية •

١٥ ــ يمنح شيخ الأزهر الناجحين شهادة بأداء الامتحان ودرجة النجاح فيه •

١٦ ــ يجوز للعضو أن يعيد الامتحان مرة واحدة فى العام التالى ولا يعتبر عندئذ ناجحا الا اذا أحرز درجة جيد جدا •

١٧ ــ يجوز أن تمتد الدراسة لأكثر من عام حتى يتم الفراغ من تدريس المنهج •

١٨ ــ يتولى التدريس بالقسم أصحاب الخبرات العملية والعلمية من أساتذة تخرجوا فى الجامعة الأزهرية أو الجامعات المصرية أو الاسلامية •

١٩ ــ يرتب الخريجون حسب درجات تخرجهم فى سجل عام ليختار المبعوثون منهم عند الحاجة حسب تقدمهم فى الدرجة •

٢٠ ــ يقدم كل أستاذ درس مادة فى قسم التدريب صورة مكتوبة مما درسه للمبعوثين فى نهاية مدة التدريس •

٢١ ــ يعتبر مستقيلا المبعوث الذى ينقطع عن التدريب بغير عذر مقبول أكثر من شهرين أو لا ينجح فى الامتحان فاذا أعلن رغبته فى إعادة التدريب امتد عمله لمدة سنة وإن رسب نقل الى وظيفة أخرى ، كما ينقل من رسب ولم يعلن رغبته •

رابعـا : التدريس بقسم التدريب :

٢٢ ــ تشتمل مواد التدريس على ما يلى : ــ

أولا :

(أ) دراسات فى القرآن وإعجازه (فى لفظه وهديه وتشريعه وعلومه) •

(ب) السنة وعلومها والسيرة بتمامها •

(جـ) أصول الدين الخمسة بتفصيل العبادات بوجه عام ، واليسر فى الإسلام •

(د) أصول الفقه ــ علل الأحكام ــ القياس ــ المصلحة •

(هـ) تدريب على القياس وتحقيق المناط وتنقيحه والمصلحة الشرعية •

(و) تدريس أبواب من رسالة الشافعى وأعلام الموقعين والموافقات والفروق للقرافى وفى كتاب معاصر كذلك •

ثانيا : دراسات فى التراث الإسلامى :

(أ) تاريخ الخلفاء الراشدين والفتنة التى أدت الى استشهاد أمير المؤمنين عثمان ابن عفان •

(ب) نشأة المذاهب الأربعة والأسباب البيئية .. طابع كل منها « المصلحة فى اختلافها » مكانها فى كل قطر .

(جـ) إلمامه بتاريخ الأمة الإسلامية فى القرون التالية .

(د) دراسة محاولات التجمع الإسلامى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر منذ الجامعة الاسلامية الى المؤتمر الاسلامى .

(هـ) ما ينسب الى الإسلام من افتراءات بعد انقضاء عهد الاستعمار وقبله .

(و) بيان خلود القرآن بتأثيره فى غير المسلمين بالمنهج العلمى والعالمى فى التجربة والاستقراء .

(ز) بيان المنهج العلمى (الاجتهاد) فى فقه الأئمة الأربعة وكتب الغزالى وابن رشد وابن تيمية ومن جاء بعدهم أو عاصرهم من علماء الطبيعة والفلك والصيدلة والطب والهندسة والجغرافيا والجيولوجيا الخ .

ثالثا : ما يجب أن يتحلى به الداعية ابتداء من عصر رسول الله ﷺ الى مصعب بن عمير الى معاملة أبى بكر وخالد بن الوليد وعمر ابن الخطاب للذميين بتسامح أدى الى دخول الناس أفواجا فى الإسلام .

٢٣ ـ تصدر لائحة خاصة فيما يتعلق بالموارد والمصارف والمرتبات للعاملين بالمركز .

عبد الحليم الجندى

الى الاخوة الأساتذة
الراغبين فى الكتابة بمجلة الأزهر

نرجو معاونتنا فى تحقيق الآتى :

١ ـ أن يتم للمقال كيانه علميا .

٢ ـ أن يضع الكاتب اسمه مكونا من ثلاثة أسماء على الأقل .

٣ ـ أن يزود إدارة المجلة بعنوانه فى المنزل والعمل بوضوح ورقم تليفونه إن أمكن .

٤ ـ أن يشير إلى مكان الآيات القرآنية وأرقامها من السورة فى وضوح .

٥ ـ أن يذكر مراجع الحديث الشريف الواردة بمقاله موضحاً مكانها منها :

يذكر المؤلف ، والكتاب ، ورقم الطبعة ، والمطبعة ، وسنة الطبع .

هذا وتأسف المجلة أن تبلغ حضرات الكتاب بأن لديها كمية كبيرة من المقالات توقف نشرها تماما لفقدها واحداً أو أكثر من المطالب سالفة الذكر .

رئيس التحرير

الدعوة إلى الله

بين المنهج والغاية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون رسالة سيدنا محمد ﷺ ـ هى الرسالة الخاتمة والدين الكامل ولذلك جعلها عامة وخالدة ، ولما كانت على هذا النحو من العموم والخلود ، لم يشأ الحق سبحانه أن تكون لزمان بعينه ، ولا لفئة دون أخرى ، فقضى أن تكون دينا للناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] ، واقتضى ذلك أن يوجد من العلماء من يرث الأنبياء فى القيام بشئون الدعوة إلى الله وتذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم واجبة ليؤدى هذا المقصد الجليل فى حياة الإنسانية ، ولتظل مسيرة النور متصلة ، ومبادىء الخير والإيمان قائمة .

معنى الدعوة وحكمها :

والدعوة تتمثل فى إبلاغ الناس برسالة سيدنا محمد ﷺ وتذكيرهم بها ، ببيان أحكامها ، ومنزلتها فى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة اقتداء به ﷺ .

وإذا كانت الدعوة إبلاغاً برسالة سيدنا محمد ﷺ ، وهى عامة للناس أجمعين ، والإسلام دين الكافة ، فإن الإعلام بها يكون واجباً وتكون الدعوة مما يفرضه الإسلام ، إذ من المعروف أنه لا تكليف من غير إعلام ولا جزاء من غير علم بالرسالة ودعوة إليها ، وقد دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة كما أدى صحابته وأتباعه واجبهم فى هذا الميدان على أتم الوجوه وأحسنها متمثلين لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3] ، وقوله عز من قائل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة سبأ آية ـ ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ـ ١٠٧ .

(٣) سورة التوبة ـ آية ١٢٢ .

(٤) سورة آل عمران ـ آية ١٠٤ .

د.عبدالله مبروك النجار

الدعوة واجب يقوم على الكفاية :

وقد استدل الفقهاء من النصوص التى تدل على مشروعية الدعوة إلى الله أنها واجب على سبيل الكفاية ، حيث يشترط فيمن يقوم بها أن يكون ممن تتوافر فيهم مقومات الداعية الصالح من علم بالكتاب والسنة وأسرار التشريع ومقاصده يمكنه من الإفهام والإرشاد وسيرة حسنة ، وسلوك يتواءم مع مبادىء الاخلاق والدين التى يدعو إليها حتى لا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وكان من الواجب على الداعية أن يراعى أدب الدعوة على خير وجه اقتداء به ﷺ .

معنى التزام المنهج و آثار عدم الالتزام به :

ومن أهم واجبات الداعية أن يلتزم حدود المنهج فى الدعوة إلى الله عز وجل ، ذلك أن من أهم الأخطاء التى تواجه كثيرا من الدعاة ، أنهم يخلطون خلطا واضحا بين منهج الدعوة وغايتها ، وهذا الخلط من شأنه الإضرار بالدعوة ، كما أنه يقدم الإسلام فى غير صورته الحقة ومبادئه التى تقوم على التسامح ، وقد يجر ذلك الخلط الداعية إلى أمور تخرج به عن مسار الدعوة الصحيح ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(٥) .

نطاق المنهج فى الدعوة إلى الله:

أما المنهج فإنه يتمثل فى تذكير الناس بدين الله عقيدة وشريعة وأخلاقا ، عبـــادات ومعاملات ، لتكون عبادتهم لله على علم وبصيرة ومن المعروف أن العلم بما يجب على الإنسان اداؤه أمر واجب ، لما هو مقرر أن « مالا يتأتى الواجب إلا به يكون واجباً » ، والعلم هو السبيل لعبادة الله على نحو صحيح ، وطريقه هو الدعوة وتذكير الناس ، وتعليمهم ما تستقيم به مسيرتهم فى طاعة الله سبحانه وتعالى ، والمنهج كما يستلزم بيان أحكام الله للناس ، فإنه يقتضى فى وقتنا الحاضر : رد شبه الملحدين ونفى مزاعم الشيوعيين ومن يسلكون مسلكهم الخبيث فى محاربة الإسلام والطعن على أحكام شريعته الغراء حقدا عليه وحسدا من عند أنفسهم .

ومن المعروف أن الساحة الإسلامية تموج فى وقتنا الراهن بحصاد افكار غير إسلامية تطل على القارىء المسلم عبر القنوات الإعلامية ، خاصة المقروءة منها وتستهدف الإسلام فى الصميم .

ومن الواجب أن يدخل فى إطار منهاج الدعوة رد تلك الأباطيل عن الإسلام ، ونفى ما يثيره حوله خصومه من مزاعم .

والمنهج : هو الحد الذى يجب أن يقف عنده الداعية ، لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه ﷺ ، ولن يكون هناك داعية أعظم منه ﷺ قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ

(٥) سورة البقرة ـ آية ٢٥٦ .

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾(٧) ، فأرشد بهذا التوجيه الإلهى الحكيم رسوله الداعية ﷺ إلى وجوب التزام المنهج فى الدعوة إلى الله ، دون تجاوز إلى الغاية لأنها من اختصاص الله تبارك وتعالى .

غاية الدعوة امرها لله :

فغاية الدعوة ، هى الهداية ، وخلق الاعتقاد السليم فى قلب المؤمن ليؤمن بالله إيماناً كاملاً ، وليكون مسلكه فى حياته من منطلق هذا الإيمان وقد بين الحق تبارك وتعالى أن أمر الهداية من اختصاصه تعالى المقتصر عليه وحده ، والذى لا يدخل فى اختصاص أحد من خلقه .

يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٨) ويقول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٩) .

فالهداية من اختصاص الله ، أما المنهج فإنه الحد الذى يجب أن يقف عنده أى داعية ، وتأكيداً لذلك قرر الإسلام حرية العقيدة ليكون إقبال الناس على الله عن طواعية واختيار(١٠) ، كما نهى عن الإكراه فى الدين ووضع له الضوابط التى تنفى وجوده فى الدعوة إلى الله قال الباحث :

الوصف الشرعى للتكليف بالدعوة :

وقد اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية . وكان ذلك الاتفاق إجماعا انعقد فى عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين ،(١١) ولكنهم اختلفوا فى طبيعة هذا الوجوب على من يكلف به ، وهل هم الخاصة أم الكافة ، وبعبارة أدق هل هو فرض كفاية أم فرض عين ؟ ، وهنا نجد للعلماء رأيين :

فيرى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة كل حسب قدرته واستطاعته وعلمه ، ويقرر أننا لو رجعنا إلى ما كان يفعله الصحابة ، والتابعون من بعدهم ، نجد كل من كان يعلم بالإسلام وحقائق الإيمان يعلم غيره من المشركين ومن يتصلون به بصلة القرابة أو الجوار أو اللقاء ، فالدعوة كانت عامة لإحساسهم بمسئولية التعليم لمن لا يعلم ، ولأنهم يعلمون أن الإسلام هداية إلى الحق ، فيدعون إليه من يكون فى ضلال من أمره ، مثل ما حدث من جعفر بن أبى طالب حين وقف يشرح للنجاشى ملك الحبشة حقيقة الإسلام وقت أن هاجر إليها .(١٢)

وكذلك كان كل رجل مؤمن مع من ارتبط برابطة صداقة أو قرابة أو جوار أو معرفة يذكر ما هداه الله به ، موازنا بين الحق الذى اعتنقه والباطل الذى تركه ، ثم يقول

---

(٦) سورة الغاشية ـ آية ٢٢ .
(٧) سورة الشورى ـ آية ٤٨ .
(٨) سورة البقرة ـ آية ٢٧٢ .
(٩)سورة القصص ـ آية ٥٦
(١٠) وحيث اعتنق الإسلام عن كامل الطواعية والاختيار فلا يجوز له من بعد أن يتلاعب بهذا الدين فيرتد عنه ، فإن ما أعطاه الله له عن طواعية واختيار لم يكن عبثا ،، فإن فعل وجب عليه حكم الإسلام .. مجلة الأزهر .
(١١) الشيخ محمد ابو زهرة ـ المرجع نفسه ص ٥٧ .
(١٢) نفس المرجع ص ٥٨ .

فضيلته : وننتهى من هذا إلى أن الهدى المحمدى فى العصر النبوى كان فيه الدعوات الافرادية ، التى يتولاها بتوجيه من النبى ﷺ كل مؤمن مدرك يعرف الحق ويستطيع أن يؤديه كما يتسع بيانه ، وكان النبى ﷺ يتولى الدعوة بنفسه الطاهرة العالية ، ويرسل أصحابه إلى الجماعات والقبائل ممن أوتوا القدرة لذلك ، ولذلك نرى : أن الدعوة إلى الإسلام فرض عينى على كل قادر عليها ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، وهو فرض كفاية على الجماعة الإسلامية إذ يجب الا يخلو عصر من الدعوة بحيث لو تقاصرت أو لم توات لهم الفرصة ، قام من عينتهم الدولة أو تهيأت لهم الأسباب ليقوموا بذلك الواجب المقدس[١٣] .

الدعوة إلى الله واجب كفائى :

وإذا كان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ يرى أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة فإن ما يفهم من قول الإمام السيوطى أنها واجب على سبيل الكفاية ، حيث يقرر أن من جملة فروض الكفاية تعليم الطالبين ، وهداية الضالين والإفتاء ثم نقرر لا يكفى فى إقليم مفت واحد والضابط أن لايبلغ ما بين مفتيين مسافة قصر [١٤] .

وواجب الكفاية أمر كلى تتعلق به مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر بحصولها فطلب الشارع تحصيلها ، لا بتكليف واحد منها بعينه بخلاف العين ، وإذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين وإن قعدوا عنه اثموا جميعاً[١٥] ، وللقائم به مزية على القائم بالعين لإسقاط الحرج عن المسلمين بخلافه ، ومن ثم ادعى إمام الحرمين ووالده والأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني : أنه أفضل من فروض العين .[١٦]

ادلة هذا الرأى :

ويقوم هذا الرأى على أدلة قوية تؤكد معناه وتبين صحته ، ومن هذه الأدلة :

(أ) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١٧]

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم : أن الله قد جعل النذارة واجبا على أهل الكفاية ممن توافر فيهم شروط الدعوة من المسلمين الذين تفرغوا لأسباب الدعوة وأحاطوا بعلومها والآية ليس فيها ما يفيد أنها واجب عينى على كل واحد من آحاد المسلمين .

(ب) وقوله عز من قائل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١٨] حيث دل هذا القول الكريم على أن الدعوة لا تجب على كل الناس ، وإنما تجب على بعضهم ممن تتوافر فيهم شروط الكفاية والقدرة عليها والتوفيق فى أدائها ، يستفاد ذلك من قول الله تعالى : ولتكن منكم ، حيث إن « من » فى قوله تعالى : « منكم » تبعيضية ، ومعنى ذلك : أن الدعاة والآمرين يجب أن يكونوا علماء ذوى

←

(١٣) المرجع نفسه ـ ص ٥٩ .

(١٤) الأشباه والنظائر ـ للسيوطى ـ ص ٤١٤ .

(١٥) المرجع نفسه ـ ص ٤١٠ .

(١٦) المرجع نفسه .

(١٧) سورة التوبة ـ آية رقم ١٢٢ .

(١٨) سورة آل عمران ـ آية رقم ١٠٤ .

قدرة على الدعوة ، وليس كل الناس كذلك[19] .

يقول الإمام ابن كثير : عن الضحاك ، هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعنى المجاهدين والعلماء ، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن فلا تكون واجبة على كل آحاد الناس .[20] وهكذا فإن هذا القول الكريم يدل على أن الدعوة إلى الله واجب على سبيل الكفاية .

الرأى الراجح ومبرراته :

والرأى الراجح فى نظرنا هو الذى يقرر أن الدعوة إلى الله واجب كفائى ذلك أننا مع تقديرنا لرأى فضيلة الشيخ المرحوم أبو زهرة ، إلا أنه قد ورد عليه من الأدلة ما يجعله مرجوحا ، ومن ذلك ما يبدو فيه من تشابه ، بين واجب الدعوة إلى الله التى هى واجب كفائى ، وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولعل عذره فى هذا أن قول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قد جمع بين الأمرين بالواو فأعطى الدعوة حكمة من ناحية الوجوب على جميع آحاد الناس ، مع أن هناك فرقاً بينهما فى متعلق الوجوب ، ذلك أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى أهلية خاصة ، وكفاءة معينة وعلم يقدر به الداعية على التأثير والإقناع ، .. يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[21] ، والبصيرة ، والقدرة على التأثير والعلم كل هذه من الشروط التى تتحدد بمقتضاها كفاءة الداعية .

ولهذا كانت واجبة على سبيل الكفاية ، وهى بهذا النظر تختلف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الاستطاعة فيه لا تحتاج إلى أكثر من الإحاطة بحل أمر ما أو حرمته ، وهذه الدرجة من العلم وإن كانت كافية لتحقيق الاستطاعة فيه فهى محدودة فى العلم بالحل أو الحرمة فى الأمور الظاهرة التى لا تحتاج إلى بحث وتخصص وهذا القدر من العلم لا يكفى لتأهيل داعية يحيط بجميع مقاصد الشريعة وأحكامها ، ويدفع عنها شبهات الضالين ، وتقولات الطاعنين .

والقول بأن الدعوة واجبة على كل آحاد الناس من شانه انه يدفع بالكثيرين من غير المؤهلين للدعوة إلى اقتحام مجالها دون أن يكونوا على علم كاف أو إحاطة شاملة بمبادىء الشريعة واحكامها ، وفى هذا من الخطر ما لايخفى ، حيث إن بعضهم قد يفتى بحل امر وهو محرم ، كما انه قد يدعو إلى تحريم أمر وهو محلل وفى كلتا الحالتين ، فإن الاجتراء على ميدان الدعوة والتزاحم فى مجالها من غير القادرين

---

(١٩) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ١٦٥ .

(٢٠) مختصر تفسير ابن كثير ـ تحقيق الأستاذ الصابونى جـ ١ ، ص ٣٠٦ .

(٢١) سورة يوسف ـ آية ١٠٨ .

عليها ، المؤهلين لها ، سيترتب عليه ارتكاب امر اشد حرمة من ترك الدعوة عند عدم القدرة ، وهو الكذب على الله وإضلال الناس بغير علم وهو عمل ظالم يحرمه الله تعالى بقوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٢٢) ومن المؤكد أن اقتحام ميدان الدعوة دون علم وخبرة من غير القادرين عليها يضر الدعوة اكثر مما ينفعها لأن فاقد الشيء لا يعطيه وسيكون ذريعة للضرر والفساد ، واتهام الناس بالتحلل من احكامه دون سند شرعي ، وقد يصل إلى حد إباحة الدماء والأموال والأعراض التى حرمها الله ـ تبارك وتعالى ـ وسيؤدى إلى الخلط بين منهاج الدعـوة وغايتهـا ، وهى من اختصاص الله تعالى ، فيصل بمن يزعم انه داعية إلى حد الإكراه فى الدين ، وحمل الناس على الدخول فيه بالقوة ، دون احترام لآداب الدعوة ومقوماتها وفى كل ذلك من الضرر بالدعوة ما يفوق النفع ، والواقع الحاضر فى كثير من المجتمعات الإسلامية يؤكد هذا ، ومن ثم فإننا نرجح القول بان الدعوة إلى الله واجب كفائى حتى ننقى ميدانها من الدخلاء والأدعياء ، وحتى نتلافى كثيراً من السلبيات التى تنسب إلى الدعوة الإسلامية ، والدعوة منها براء .

ثم بعد ذلك يكون هناك واجب على الآحاد والجماعات ، يتمثل فى وجوب مساعدة الطائفة التى تتفرغ للدعوة وتتخصص لها ، او تكون اقدر على نشرها والقيام بحقها والدولة هى الجامعة لهذا الوعى الإسلامى فى مجال الدعوة إلى الله وعليها ان تخصص جماعات لها كما تخصص جماعات للقضاء والهندسة ، وللطب والجيش فكل هذه فروض كفاية ، والجماعة الإسلامية ممثلة فى دولها عليها ان تخصص لكل فرض كفائى من يقوم به ، ويسقط به الحرج عن الباقين فى الدعوة التى لا يمكن ان يقوم بها إلا الخاصة ، القادرون على مخاطبة الكافة فى اقاليمها وشعوبها بلغاتهم .(٢٣) .

د . عبد الله مبروك النجار

---

(٢٢) سورة الأنعام ـ اية رقم ١٤٤ .

(٢٣) فضيلة الشيخ ابو زهرة ـ المرجع نفسهص ٦٤ .

الدعوة والدعاة

يرى الباحث أن وسائل النهوض بالدعوة الاسلامية تتمثل فى الأمور الآتية وهى :

أولا : فقه الداعية لمهمته ودعوته •

ثانيا : طريقة اعداد الدعاة •

ثالثا : وسائل الدعوة ومناهجها •

أما عن فقه الدعوة فيقول : ان الدعوة الى الله من أعظم القربات وكفاها فخرا أنها وظيفة الأنبياء والرسل — صلوات الله وسلامه عليهم وهذه المهمة جعلها رسول الله ﷺ ملقاة على عاتق العلماء المخلصين والدعاة الصادقين فى قوله : « بلغوا عنى ولو آية » (١) •

وقد بشر الله — سبحانه وتعالى — الدعاة الى الله بالفلاح فى قوله — تعالى : **« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »**

وقد اقتضت حكمة الله وسنته أن تظل الدعوة الى هذا الدين قائمة وتظل طائفة من أمته — صلى الله عليه وسلم — ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وعلى ذلك يكون الاسلام دين الأجيال ، فهو دين الجيل الذى بعث فيه محمد ﷺ ودين الأجيال بعده حتى يوم الدين •

وأنه لا تكليف من غير اعلام ، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة اليها ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذى هو دين الله كما قال — تعالى — عنه فى كتابه العزيز « **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** » •

ولابد للداعى أن يكون له بصر بالأمور يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق لينا فى دعوته ، يأتى الأمور من مصادرها ومواردها مؤمنا بها على بينة من أمرها لا تأخذه فى الحق هوادة ، وليس للباطل عنده ارادة •

واذا كانت هذه هى مهمة الدعاة فمن الواجب الاهتمام باعدادهم وذلك عن طريق انشاء مركز عالمى للدعوة والدعاة يشرف على التخطيط والتنفيذ والمتابعة ويكون من مهامه :

١ — الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم •

٢ — الاهتمام بفقه الداعية ليكون على بصيرة •

٣ — بيان أهمية القدوة الحسنة •

والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم يجب أن يكون موصولا بكل المراحل التعليمية وبجانب حفظه تكون المعرفة بعلومه ، وعلوم السنة وفقهها •

وحتى يتحقق قول الله تعالى : **« قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »** •

---

(١) أخرجه البخارى

للأستاذ الدكتور
محمد عبد العليم العدوى*

لابد أن تكون تربية الداعية على بصيرة بالدعوة التى يدعو بها يعرف أصولها وقواعدها وأساليبها ومناهجها ، ويعرف أن الاسلام رسالة عامة تامة كاملة شاملة مثالية واقعية ، صالحة لكل زمان ومكان وللناس جميعا وأن الاسلام كل متكامل عقيدة وشريعة ومعاملة وأخلاقا •

أما البصيرة بالمدعو فيراعى مقتضى الحال وينوع أساليبه ومنهجه تبعا لتنوع طبائع الناس واختلاف مشاعرهم وأحاسيسهم وأحوال حياتهم ، ولكى يستطيع الداعى أن يصل الى هدفه لابد أن يكون قدوة حسنة وأسوة طيبة ويكون اقتداؤه برسول الله ﷺ محتذيا به قولا وعلما وعملا فحينما فقدت الدعوة القدوة الحسنة والأسوة الطيبة فى بعض القائمين على أمرها ضعف شأن المسلمين وانفصل الدعاة عن المدعوين ، فانصرف الناس عنهم •

أما عن وسائل الدعوة ومناهجها فيرى الباحث أن المنهج يتنوع بتنوع أحوال المدعوين من منهج فطرى الى عاطفى الى عقلى الى علمى الى منهج قوة للتمكين لدعوة الله فى الأرض ولاعلاء كلمته ، ويعنى بالوسائل أدوات التبليغ سواء كانت وسيلة مقروءة أو مسموعة أو مرئية والمنطلق فى ذلك يكون قول الله تعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

قال الباحث :

والحكمة فى اللغة : بمعنى العدل ، والعلم والحلم ، والنبوة والقرآن والانجيل (٢) •

والحكمة : العلم بحقائق الأشياء على ماهى عليه والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت الى عملية وعلمية •

والحكمة : اصابة الحق بالعلم والعمل (٣) •

وفى الشرع جاءت بأكثر من معنى • ويجمعها (الاصابة فى القول والعمل معا) وفى معنى قوله تعالى : « **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ • وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** ••• » ذكر المفسرون أن الحكمة هى القرآن والفقه به •• وعن ابن عباس فى قوله :

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه • ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله •

وقال آخرون : الحكمة : الفهم •• والخشية (٤) • وعن مقاتل : أنها تفسر فى القرآن بأربعة أوجه : فتارة بمواعظ القرآن ، وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار ، ومرة بالعلم والفهم ، وأخرى بالنبوة •

←

* الباحث : أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة • جامعة الأزهر •

(٢) الفيروز أبادى : القاموس المحيط ج ٤ ص ٩٨ •

(٣) الزبيدى : تاج العروس ٨ / ٢٥٣ •

(٤) تفسير الطبرى ٣ / ٦٠ •

ولعـل الأنسب بالمقام ما ينتظم الأحكـام المبينة فى تضاعيف الآيات الكريمة من أحـد الوجهين الأولين ، ومعنى ايتاء الحكمة تبيينها والتوفيق الى العلم والعمل بها ، أى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده .

وتعنى الحكمة أيضا العلم الصحيح ، يكون صفة محكمة فى النفس وحاكمة على الارادة ، توجهها الى العمل ، ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى الى السماح (٥) . وهو الذى ينهض بأمر الدعوة ويرفع شأن الأمة « **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** » أوتى القصد والاعتدال فلا يفحش ، ولا يتعدى الحدود ، وأوتى ادراك العلل والغايات فلا يضل فى تقدير الأمور ، وأوتى البصيرة المستنيرة التى للصالح الصائب للحركات والاعمال وذلك خير كثير متنوع (٦) .

وعليه فان نسبة العلوم الى الحكمة كنسبة الأعضاء الى الجسد (٧) .

كيف يستفيد الداعية من شروح الحكمة (مدلولاتها) ؟

ويستفيد الداعية من شروح الحكمة ما يتخذ منه دعامة لدعوته على وجه العموم ، وعلى وجه الخصوص ، فانه يستفيد من الحكمة القولية بشتى ضروبها نثرا وشعرا (فان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) ... (والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) .

وكذلك يستفيد من الحكمة العلمية كل تدبيرمن شأنه أن يجعل الداعية قدوة حسنة فى أفعاله وأخلاقه ويجعله عند أهله محبوبا مسموع القول متبوع الرأى .

والموعظة الحسنة : عند علماء اللغة : الوعظ والتخويف والعظة الاسم منه .

قال الخليل : هو التذكير بالخير وما يرق قلبه (٨) .

وقال الراغب فى المفردات : الوعظ زجر مقترن بتخويف .

وقال الجوهرى : الوعظ : النصح والتذكير بالعواقب فهو اذن اخلاص المنصوح له فى القول وتذكير له بالعواقب ، وأما الفيروزأبادى فيقول : وعظه يعظه وعظا وعظة وموعظة : ذكره مايلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ ونلمح من خلال هذا التعريف عنصرى الترغيب والترهيب أو التبشير والانذار (٩) .

وعند المفسرين :

يقول الطبرى عن الموعظة : هى العبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله .

ويقول القرطبى : أمره أن يدعو الى دين الله بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف (١٠) والموعظة الحسنة : هى المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التى يستحسنها السامع وتكون فى نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع

(٥) تفسير المنار الشيخ رشيد رضا .
(٦) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب .
(٧) المفردات للراغب .
(٨) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة .
(٩) جامع البيان ١٢ / ١٩٤ .
(١٠) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٠ .

بها • قيل وهى الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة ، قيل وليس للدعوة الا هاتان الطريقتان (١١) •

وبالموعظة الحسنة التى تدخل الى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب فى غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق فى الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ (١٢) •

العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة :

وعلاقة الحكمة بالموعظة الحسنة علاقة تأكيد وتكميل ، فليس المقصود بالموعظة الحسنة ، مجرد الاثارة للشعور والوجدان ، والهاب العواطف دون اعمال فكر أو روية ، وبلا وعى وفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الحق والباطل فيهما ، فلا فائدة من عاطفة عمياء لا يقودها عقل ولا فى عقل مجرد لا يقوم على عاطفة ترغبه وترهبه ، والاقناع المجرد لا يكفى وحده للانصياع للحق والخضوع له ، بل لابد من ترويض النفس وتهذيبها حتى تخضع للحق وتنقاد له •

فالانسان جسد وروح وعقل وعاطفة لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، والحكمة بمعناها اللغوى تتصل اتصالا تاما بالموعظة الحسنة، ويتوقف نجاح هذا الاسلوب على استعمالها وذلك بأن يوضع كل شىء فى مكانه وزمانه المناسب فلكل مقام مقال •

فليس من الحكمة أن يخاطب الداعى الناس بما هو فوق عقولهم ويكثر عليهم حتى يملوا ، ولاسيما أن النبى ﷺ قد أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وكان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم •

وكذلك ليس من الحكمة أن يفرط الداعى فى ترغيب أو ترهيب بل يوازن بينهما ، ويتوسط فى الانذار والتبشير •

وليس من الحكمة أن يدعو الناس الى الصبر وهو متعجل فى حديثه ، ولا أن يدعوهم الى الرفق وهو متغيظ فى كلامه •

وجادلهم بالتى هى أحسن :

والمتأمل فى القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة لجدال الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم ، اذ أن البشر يختلفون اختلافا كبيرا فى ميولهم واستعدادهم ومداركهم وبيئاتهم •

ولقد جادل الرسول ﷺ أهل مكة كما جادل أهل الكتاب فى المدينة ، ولكنه سلك معهم ألطف السبل وأفضلها فى ذلك لأن الهدف منه اظهار الحق وتأييده ، ودفع الباطل ودمغه ، فمن أبطل دعوى الخصم فهو مجادل جيد يدفع كيد أعداء الله •• ويعلى كلمة الله •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : ان الناس بالنسبة للدعوة ثلاثة أصناف : صنف عرف الحق ويعمل به ، وآخر يعرف الحق ولا يعمل به ، وثالث يعرف الحق ولكنه يصد عنه ويحاول أن يقف فى طريقه • فالأول يدعى بالحكمة

←

(١١) الشوكانى : فتح القدير ٣ / ٢٠٣ •
(١٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ٤ / ٢٣٠٢ •

والثانى يذكر بالأمر بالمعـروف والنهى عـــن المنكر والثالث يجـادل بالتى هى أحســن ..

والجدل أمر تدعو اليه الحــاجة فى كثير مــن المواقف .والداعية الناجح لابد أن يأخذ بمنهج الجدل كما جاء فى القرآن الكريم والسنة لأنه أقرب الى قناعة العقول ويرضى النفوس .

والجدل بالتى هى أحسن ــ بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل لــه ولا تقبيح حتى يطمئن الى الداعى ويشعر أن ليس هـدفه الغلبة فى الجدل ولكن الاقناع والوصول الى الحـــق فالنفس البشرية لهـا كبرياؤها وعنادها ، وهى لاتتنزل عن الرأى الذى تدافع عنه الا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها .

والجدل بالحسنى هو الذى يطامن هــذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاتــــه مصونة ، وقيمته كريمة ... ، ... وأن الداعى لا يقصد الا كشف الحقيقة فى ذاتها والاهتداء اليها فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر ... فلا ضرورة للحاجة فى الجدل انما هو البيان والامر بعد ذلك لله .

وبعـــــد :

فاذا أردنا النهوض بالدعوة الاسلامية فيجب أن يكون اهتمامنا بفقه الدعوة ومنزلتها وبيان مهمة الداعية واعداده اعدادا سليما على منهج كتاب الله وهدى رسوله ﷺ عن طريق القدوة الحسنة والاسوة الطيبة ، وأن يعاد النظر فى وسائل الدعوة ومناهجهــا لتعــود الى سالف عهدها ، يوم حملها أصحاب رســول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وسلف الأمة الصــالح ، فأصبحت كلمة الله هى العليــا وكلمة الــذين كفروا السفلى ومكن الله لدينه فى الأرض ... وذلك بفضــل الايمــان والعمــل الصــالح والاعتصام بحبل الله . والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة مصداقا لقوله تعالى : « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنـًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** » .

وقوله سبحانه وتعالى :

« **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِـلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

د/محمد عبد العليم العدوى

قرارات وتوصيات

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الحادى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعـــــد ....

فقد قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1].

وقال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

ونزولاً على أمر الله فى كتابه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾[3].

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[4].

وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الطبرانى فى الأوسط عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

قلت : يارسول الله إن عرض لى أمر لم ينزل فيه قضاء ولا سنة كيف تأمرنى ؟

قال : (تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تَقْضِ فيه برأيك خاصة) .

ولما كان المسلمون ـ بحمد الله ـ قد تكاثروا واتسع نطاق بلادهم وأوطانهم ، وكانت الفرقة قد بدأت تهز كيانهم ، والفتن تحوطهم ، وتساق إليهم ، وكانت الدعوة إلى الله بإخلاص وصدق ، هى مهمة العلماء طلباً لإصلاح حال الأمة واستقامتها على الطريق المستقيم .

وكانت الجهات التى تقوم على شئون الدعوة الإسلامية قد كثرت ، دون أن تتساند فى أداء هذه الأمانة،وتتكامل وصولاً إلى تقوية الروابط الإسلامية بين شعوب الأمة، وكان الأزهر الشريف بموقعه العلمى والتاريخى قد قام بالدعوة الإسلامية وما زال يواصل مهامها بين الشعوب الإسلامية .

وكان من توجيهات القرآن الكريم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[5].

دعا الأزهر إلى عقد هذا المؤتمر لبحث شئون الدعوة ولمواجهة بعض قضايا المسلمين التى من أهمها :

←

---

١) الأحزاب ٧٠ ، ٧١
٢) النحل ١٢٥
٣) البقرة ٨٣
٤) الشورى ٣٨
٥) المائدة ٢

أ : التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

ب : التنسيق بين الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة .

جـ : قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

د : وضع الأقليات الإسلامية فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها .

هـ : القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

وقد انعقد المؤتمر - بتوفيق الله - بحضور العلماء والوزراء الممثلين لشعوب الأمة الإسلامية وللأقليات الإسلامية التى تعيش خارج دار الإسلام .

حيث بدأت أعماله بصلاة الجمعة فى جامع الأزهر الشريف يوم ١٥ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس سنة ١٩٨٨ م ، ثم افتتحت جلسته الأولى فى اليوم التالى بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بالقاهرة بحضور السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ورجال الدولة والوفود الممثلة للدول والشعوب الإسلامية وذلك بتلاوة آيات من القرآن الكريم وكلمات من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ رئيس جامعة الأزهر ثم من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ثم كلمة الوفود المشاركة فى المؤتمر من السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب من وفد السودان ثم كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . وقد ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية كلمته مرحباً بالوفود المشاركة مؤكداً على أن الإسلام يدعو إلى وحدة الصف والبعد عن تفريق كلمة الأمة ، وعلى أن الدعوة فى الإسلام واجبة وأنها مسئولية الجميع ، وأنها تأتى فى مقدمة الواجبات التى يستوى فى حمل مسئوليتها العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظرا لما يمر به العالم الإسلامى اليوم من معاناة، وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات ، مؤكداً على سماحة الإسلام، وعلى ضرورة الحوار العلمى لحل المشكلات والمصاعب التى تقوم فى سبيل الدعوة الإسلامية ، والعمل على تربية النشء على روح الإسلام وتعاليمه وإرشاد الشباب إلى الطريق الصحيح .

وقد اختتم السيد الرئيس كلمته مخاطباً الحضور : فإن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى فى هذه الفترة من حياة أمتنا ، وأنا واثق أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها بما جمعكم من هدف كريم وبما حملتم من علم عظيم وبما عمر قلوبكم من إيمان بدينكم وأمتكم ، وبما تأخذون به أنفسكم من تفان فى سبيل أداء رسالتكم والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم فهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ولقد تدارس المؤتمر فى جلسات جماعية الأمور المطروحة عليه ، كما تدارس البحوث المقدمة فى جلساته التى استمرت - صباحاً ومساء - من مساء السبت الموافق ١٦ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ - ٥ من مارس سنة ١٩٨٨ م إلى مساء الاثنين ١٨ من رجب سنة

١٤٠٨ هـ ـ ٧ من مارس سنة ١٩٨٨ م بمركز الشيخ صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية بكلية التجارة جامعة الأزهر بالقاهرة .

وقد انتهى المؤتمر إلى التوصيات والقرارات التالية :

(١) إرسال برقية شكر وتقدير إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك واعتبار الخطاب الذى القاه فى افتتاح المؤتمر وثيقة من وثائقه وخطة عمل للدعوة الإسلامية .

(٢) تأكيد التوصيات والقرارات التى اصدرتها المؤتمرات السابقة التى انعقدت فى رحاب الأزهر الشريف .

(٣) التنسيق بين الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية والإغاثة فى العالم الإسلامى .

وفى سبيل ذلك وافق المؤتمر على ما يلى :ـ

أولاً : ضرورة تنسيق جهود العاملين فى هذين المجالين وذلك بإنشاء (مجلس إسلامى عالمى للدعوة والإغاثة) بمراعاة أن يضم هذا المجلس المنظمات والمؤسسات التى تعمل فى مجال الدعوة والإغاثة وإعداد الدعاة، والتى يمتد نشاطها خارج حدود بلد المقر .

ثانياً : يختص المجلس بالتخطيط والتنسيق والتعاون والمتابعة .

ثالثاً : تقوم فى كنف هذا المجلس ثلاث إدارات فرعية متخصصة هى :

أ ـ إدارة الإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى الإغاثة .

ب ـ إدارة إعداد وتدريب الدعاة : وتضم الجهات العاملة فى هذا النوع من التعليم والتدريب .

جـ ـ إدارة تمويل الدعوة والإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى تمويل الدعوة والإغاثة .

رابعاً : يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن .

خامساً : يضم الاجتماع التأسيسى الجهات الآتى ذكرها :

١ ـ الأزهر الشريف بمصر .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .

٤ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .

٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .

٦ ـ لجنة مسلمى افريقيا بالكويت .

٧ ـ الرياسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض .

٨ ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب .

٩ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

١٠ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى بجدة .

١١ ـ اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .

١٢ ـ بيت الزكاة بالكويت .

١٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بمكة المكرمة

١٤ ـ وكالة الإغاثة الإسلامية بالخرطوم .

١٥ ـ لجنة الإغاثة الكويتية بالكويت .

←

١٦ ـ اتحاد الهلال الأحمر العربى بالرياض .

١٧ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس بالأردن .

١٨ ـ "مؤسسة اقرأ" بجدة .

١٩ ـ ممثلو وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية التى يمتد نشاطها فى أمور الدعوة والإغاثة خارج موطنها،وهى القائمة فى البلاد الآتية :

أ ـ جمهورية مصر العربية .
ب ـ المملكة المغربية .
جـ ـ الجمهورية العراقية .
د ـ دولة الكويت .
هـ ـ دولة قطر .
و ـ دولة الإمارات العربية المتحدة .
ز ـ المملكة الأردنية الهاشمية .

معوقـــات الدعــوة

تواجه الدعوة الإسلامية فى هذا العصر تحديات بالغة تعوق مسيرتها وتحد من إنجازاتها .

وأهم هذه المعوقات :ـ

(١) القصور فى تطبيق الشريعة .
(٢) تصدير الشعارات الزائفة وإثارة الفتن باسم المذهبية بين شعوب الأمة .
(٣) ظهور الفئات والفرق الضالة والهدامة التى تعيث فى ديار المسلمين فساداً .
(٤) الغزو الفكرى المعادى للإسلام .
(٥) سوء الفهم لأحكام الإسلام من بعض المنتسبين إليه ، وتصدى غير المؤهلين للدعوة الإسلامية للعمل فى مجالها ، والفتوى فى دين الله بغير علم .

مواجهــة المعوقــات :

وفى مواجهة هذه المعوقات وغيرها اتخذ المؤتمر ما يلى :

أولاً : يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق شرع الله فى كل أمور المسلمين إعلاء لكلمة الله باعتبارها تعلو على كل قانون من صنع الناس، وفرضاً محكماً على المسلمين .

ثانياً : يؤكد المؤتمر على ما سبق أن قررته مؤتمرات علماء المسلمين بالأزهر الشريف والمجامع والهيئات الإسلامية من أن فكر البهائية والقاديانية والأحمديـة مناهض للإسلام ، وأن كل من اعتنق هذا الفكر وأمثاله لا يعتبر من المسلمين . ويدعو المؤتمر كافة الشعوب الإسلامية حكاماً ومحكومين إلى مقاومة هذا الفكر ونبذ كل من اعتنقه أو دعا إليه .

ثالثاً : يرى المؤتمر أن النظام الإيرانى الراهن قام على أساس فكرى ودينى خاطىء ، وأحدث بدعاً منها « ولاية الفقيه » وسعى إلى تصديره إلى العالم الإسلامى للتفريق بين المسلمين والإساءة إليهم ..

ويدعو المؤتمر المجامع والهيئات الإسلامية والمفكرين المسلمين إلى مقاومة هذا الفكر وبيان خطئه لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإجماع الأمة .

رابعاً : ينصح المؤتمر شعوب الأمة

الإسلامية وحكامها بالاهتمام ببناء الشخصية الإسلامية المتميزة عن طريق العناية بمناهج التربية والتعليم وفق أسس إيمانية شاملة وخطط علمية مدروسة وبرامج عملية تأخذ بعين الاعتبار الحرص على تنمية المجتمعات الإسلامية وتطويرها على أساس منهج يهتم بالحفاظ على إنسانية المسلم وبنظر عصرى متوازن يؤمن الطاقات البشرية المؤهلة لسد حاجات المجتمعات الإسلامية فى كل مرافق الحياة .

خامساً : وفى مجال سوء الفهم لأحكام الإسلام ينبه المؤتمر إلى خطورة الأفهام التى لا تدرك مقاصد الشريعة وأحكامها .

ويدعو المؤتمر إلى أن تكون الدعوة إلى الإسلام والتربية عليه وفقا للأصول الإسلامية ، وعلى أسس من التيسير والتسامح من منطلق الفهم السوى لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

سادساً : يوصى المؤتمر قادة المسلمين فى بقاع العالم الإسلامى أن يوجهوا المسلمين إلى نبذ التعصب المذهبى .

سابعاً : يوصى المؤتمر الجهات القائمة على الدعوة بالعمل على نشر الأحكام الشرعية وبيانها للمسلمين الذين يحتاجون إلى مزيد من التبصرة بشئونهم الدينية ، كما يوصى جهات الفتوى بإيضاح المذاهب التى يفتون وفقاً لفقهها تيسيرا على الناس .

ثامناً : يوصى المؤتمر هذه الجهات بضرورة الاهتمام بإعداد الدعاة وتأهيلهم وإمدادهم بما يساعدهم على أداء مهامهم .

تاسعاً : ينصح المؤتمر الحكومات الإسلامية بالعمل على تمكين العلماء من أداء واجباتهم نحو الدعوة الإسلامية .

قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

عظم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى تعظيماً بينه القرآن الكريم ، وفصلته السنة المطهرة .

وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وأحبوه ، وتربوا عليه ، والتزموه وتواصوا به ، إجماعاً يترجم إخلاص التوحيد لله ، وصدق الطاعة وحسن الاستجابة لله ورسوله .

ومن هنا ، فإن الحرمين الشريفين ، والمسجد الأقصى مقدسات عظيمة لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر انتهاكها ، والاعتداء عليها ، والإفساد فيها بالنية الخبيثة ، والكلمة السيئة والسلوك المنحرف ، فضلاً عن أن يسفك فيها الدم الحرام ، ويروع المؤمنين والمؤمنات .

وإن الحفاظ على قدسية هذه المقدسات ، والذود عنها واجب دينى ماض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد تعرض الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى لعدوان أثيم استنفر ضمير الأمة الإسلامية ، واستنهض إيمانها ـ وفى مقدمتها العلماء والدعاة ـ غيرة على حرمات الله وقياماً بالمسئولية والواجب .

إن الفتنة التى أوقدها نظام الحكم الإيرانى فى حج العام الماضى ١٤٠٧ هـ فى بيت الله الحرام ، والبلد الآمن جريمة نكراء ، لا يقدم عليها من يعرف لله حقه ، وللرسول صلى الله عليه وسلم مقامه ، ولمقدسات

الإسلام حرمتها ، وللمسلمين قيمتهم واعتبارهم .

إن المؤتمر ـ اهتداء بتعاليم الإسلام ـ يقرر :

أ ـ إدانة ما وقع من بعض الحجاج الإيرانيين بتخطيط من النظام الإيرانى فى الحرم المكى فى موسم حج عام ١٤٠٧ هـ باعتباره انتهاكاً لقدسية هذا الحرم المقررة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وإدانة المسئولين عن فعله وتنظيمه والدعوة إليه .

ب ـ رفض بدعة تدويل الحرمين الشريفين واستنكار المناداة بها واعتبارها خروجاً على أمر الله ورسوله وجماعة المسلمين وخرقاً لمقدسات الإسلام التى استقرت لدى فقهاء جميع المذاهب الإسلامية .

ويقرر المؤتمر أن بدعة التدويل غريبة عن الإسلام كما يقرر أن الولاية على البيت الحرام لمن ولاهم الله ورسوله حجابته وسقايته ورفادته .

وَأُمُّ القُرَى لها ولاتها وهم ولاة الأمر فى المملكة العربية السعودية فتقع البقعة المباركة فى ولايتهم قولاً واحدا متفقاً عليه بين أئمة المسلمين إمضاء لحكم الله ورسوله ، وما يجرى على مكة يجرى على المدينة المنورة بالأحاديث الواردة فى الصحيحين بهذا الشأن .

جـ ـ يؤكد المؤتمر حرمة القيام بالمظاهرات والمسيرات السياسية والمذهبية فى الحرمين الشريفين وحرمة الهتاف بأى اسم أو وصف غير ذكر الله سبحانه والصلاة والسلام على رسوله كما يؤكد المؤتمر أن لحكومة المملكة العربية السعودية أن تتخذ من الإجراءات ما يكفل الحفاظ على حرمة الحج والحرمين وأمن الحجاج وتنظيم إقامتهم وسيرهم وتنقلاتهم فى المناسك والطرقات ومداخل المملكة ومخارجها ، وأن تمنع كافة المظاهرات والمسيرات المذهبية والسياسية والملصقات والنداءات .

د ـ ينوه المؤتمر بالخدمات الجليلة العظيمة التى توفرها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والحج والحجاج والعمار والزوار .

كما ينوه المؤتمر بوجه خاص باستتباب الأمن واستقراره على الوجه الذى يوفر ـ دائماً ـ للحرمين الشريفين وللطائفين والركع السجود الطمأنينة فى عبادتهم وزيارتهم .

هـ ـ يؤيد المؤتمر ما اتخذته حكومة المملكة العربية السعودية تجاه الفتنة التى وقعت فى الحرم المكى فى موسم الحج عام ١٤٠٧ هـ من إجراءات ويدعو المؤتمر أولى الأمر فى المملكة العربية إلى أن يتخذوا ما يرونه من إجراءات وقائية لصون الأمن والنظام سدا لذرائع البغى والفتنة وتمكينا للمسلمين من أداء شعائرهم فى سكينة وهدوء وسلام .

و ـ يقدر المؤتمر موقف علماء المسلمين والشعوب والحكام المسلمين الذين وقفوا ـ وقفة إيمان وشرف ـ دفاعاً عن قدسية الحرمين وتأييدا للقائمين على شأنهما وخدمتهما .

ز ـ يقرر المؤتمر ـ أنه إمضاء لحكم الله ورسوله ـ لا يجوز لأحد كائنا من كان أن

يحدث أى حدث فى الحرمين الشريفين أو أن يتعاون فى إحداث أية فتنة فيهما؛لأن الإسلام حرم التعاون على الإثم .
﴿ . . . وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[٦] .

ويقرر أن كل من يشارك فى هذه الفتن أو يعاون عليها يكون شريكاً مؤثماً وتنسحب عليه أية أحكام تسرى على محدثى الفتنة ومدبريها .

حـ ـ ينصح المؤتمر باستمرار اليقظة والترقب حتى تموت الفتنة وينكسف البغى .

ط ـ مطالبة الإعلام فى العالم الإسلامى بإبراز ما يلى :

- تجديد التوعية بعظمة الحرمين الشريفين وحرمتهما .
- إبراز واقع الأمن والأمان المتوافر للأماكن المقدسة وشكر الله سبحانه وتعالى على تيسيره واستدامته .
- التحذير المستمر من تحويل الحرمين الشريفين والحج إلى ساحة ملتهبة للصراع السياسى والطائفى إذ فى هذا جناية على قدسية الحرمين وخدمة للقوى المعادية للإسلام .

المسجد الأقصى :

١ ـ يحيى المؤتمر الانتفاضة الشعبية الفلسطينية فى وجه الاحتلال التى تمثل أصالة هذه الأمة فى مواجهة المخططات الهادفة لطمس ذاتيتها وقتل روحها الإسلامية .

ويناشد شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها دعم أهل الأرض المحتلة : فلسطين ـ مادياً ومعنوياً ـ حتى تصل هذه الانتفاضة إلى أهدافها فى دحر العدوان وتخليص الديار المقدسة من نير الاحتلال الصهيونى .

٢ ـ يهيب المؤتمر بالمجتمع الدولى ومنظماته المتخصصة ومن بينها مجلس الأمن أن يعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطينى المطالب بحقه ، كما يهيب بجهات الإغاثة العالمية وحقوق الإنسان أن تبادر إلى القيام بواجباتها نحوه حتى يحصل على حقه فى تقرير مصيره .

٣ ـ يناشد المؤتمر المسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا عن واجبهم الدينى نحو تخليص بيت المقدس وسائر المقدسات من أيدى إسرائيل ، ويؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الأرض المحتلة ـ فلسطين ـ بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ١٩٦٧/٨/٢٢ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بها وما عليه من السور والأبواب .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن المسجد الإبراهيمى فى

٦) المائدة ٢

الخليل مسجد إسلامى مقدس ، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته المقدسة .

٤ ـ يؤكد المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها فهم مسئولون كذلك عن المحافظة على مقدسات المسيحيين فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملاً بحكم العهدة العُمَرِيَّة وتعاليم الشريعة الإسلامية .

٥ ـ يهيب المؤتمر بالدول الكبرى وبسائر الدول والمجتمعات التى تنادى بحقوق الإنسان أن تكف عن تشجيع إسرائيل على عدوانها،وأن تطالبها بتطبيق الاتفاقات الدولية الخاصة باحترام حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة .

ويؤكد المؤتمر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية ولجنة القدس فيما يختص بالأرض المحتلة والقدس الشريف .

الأقليات الإسلامية :

يجمع بين الأقليات الإسلامية إيمانها بالانتماء الإسلامى، والرغبة فى الصعود بحاضرها إلى مستقبل أفضل .

وتتباين أوضاعها تبعا لظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية .

وقد بحث المؤتمر أمور الأقليات واستمع إلى الكثير من مشكلاتها وقد تبين أن هذه الأقليات صنفان :

الأول : مواطنون مسلمون يعيشون فى أقاليم كانت ضمن دار الإسلام ثم انحسرت عنها تبعيتها لهذه الدار .

الثانى : جاليات مسلمة من ديار الإسلام مهاجرة من أوطانها إلى مواطن جديدة ليست من ديار الإسلام .

ويتنوع هذان الصنفان إلى مستويات اقتصادية ثلاثة :

أولاً : جاليات تعيش فى مناطق الوفرة والغنى .

ثانياً : جاليات تعيش فى مناطق كفاح فى طلب الرزق .

ثالثاً : جاليات تعيش فى مناطق العسرة وقلة الموارد .

وقد تكون الجالية فى موقعها متجانسة من حيث المذهب الفقهى الذى تنتمى إليه . وقد تكون تبعيتها لعدد من هذه المذاهب ، وهذا التنوع فى آفاق الحياة يدعو إلى معالجة ذات شقين :

الأول : تأكيد العقيدة الإسلامية باعتبارها الركيزة الأولى للحياة الإسلامية وربط الفرد بخالقه وتأكيد الإخاء باعتباره الرباط بين الفرد ومجتمعه الاسلامى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات ١٠)

الثانى : دراسة كل جالية على حدة حسب خصائصها الحضارية ورسم طريق نموها وفى هذين الشقين يأتى التعاون بين مراكز الدعوة الإسلامية .

توجيهات وتوصيات بالنسبة للأقليات :

لما كان قد ظهر من مداولات المؤتمر افتقار التنسيق والتعاون بين المراكز الإسلامية

القائمة على شئون الأقليات فى مواقعها المختلفة والتناقض بين مخططاتها .

يوصى المؤتمر ـ فى سبيل التوجيه إلى واجبات الأقليات وواجبات الدول والشعوب الإسلامية نحوها ـ بما يلى :

أولاً : تأكيد السماحة الإسلامية فى التعامل بين أبناء الجالية الإسلامية وعليهم ألا يحملوا معهم مشكلات أوطانهم التى هاجروا منها .

ثانياً : أن تكون الأسرة الإسلامية صورة لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى ، فتربى أبناءها على النهج الإسلامى بحيث تتكامل الصلة بين الأسرة والمجتمع الإسلامى باعتبار أن هذا المجتمع يستمد نظمه من أصول الإسلام .

ثالثاً : العناية فى المنزل وفى تجمعات الجالية باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولغة الصلاة والمناسك والوعاء الذى حفظ القدر الأكبر من التراث الإسلامى .

رابعاً : حث أبناء هذه الجاليات على الاتجاه إلى دراسة العلوم الحديثة والعملية لتكون منهم الصفوة القادرة على تأكيد الهوية الإسلامية فى العالم المعاصر فى لقاء بين الإسلام وشئون الحياة .

خامساً : يوصى المؤتمر كل جالية إسلامية بإيجاد أسلوب للتكافل الاجتماعى بين أبناء الجالية يرعى الضعفاء من ناحية والموهوبين من ناحية أخرى ، فتربية الجيل الجديد ورعايته من أعظم الاستثمارات فى حياة المسلمين .

وفى شئون الدعوة الإسلامية بين الأقليات :

يوصى المؤتمر المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى تقرر إقامته بمايلى :

(أ) إنشاء مركز لشئون الأقليات .. ويمكن لهذا المركز أن يقبل التبرعات المنتظمة والهبات، وأن يوزعها فى إطار التنسيق بينه وبين المراكز الأخرى .

(ب) إنشاء بنك معلومات عن الأقليات ، تتجمع لديه المعلومات عن كل جالية ، وأن يكون مزوداً بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات واختزانها وتصنيفها واسترجاعها .

(جـ) إصدار نشرة دورية ، تكون وسيلة منتظمة لتبادل المعلومات .

(د) إعداد مراكز متخصصة لإعداد الدعاة للمهجر فى أقطاره المختلفة ، وتكون أولوية الدراسة لأهل الأقطار المحتاجة إلى هذا النوع من الدعم .

(هـ) وضع "أطلس" للأقليات الإسلامية يرصد القائم من أنشطتها ويخطط لمستقبلها ويكون وسيلة للتعاون بين الخبرات والكفاءات الإسلامية العالية من ناحية وبين مناطق الحاجة إليها من ناحية أخرى .

يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى والحكومات الإسلامية والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وما يضمه فى عضويته من هيئات ومؤسسات فى شأن الأقليات الإسلامية بما يلى :

(أ) بذل نفوذها نحو رعاية هذه الأقليات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومساعدتها على حل مشكلاتها ، والمحافظة على الهوية

←

الإسلامية . وحريتها فى ممارسة شعائر الإسلام وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات ، واستمداد شئون حياتهم من أصول الإسلام ، والتعبير عن عقيدتهم .

(ب) مساندة الأقليات التى تتعرض للضغوط فى أمر تسمية أولادهم ، وطرق تعليمهم ، وضمان حقهم فى العمل والإنتاج ، وتيسير تنقلهم بين الأقطار الإسلامية وغيرها وإلحاق أولادهم بالتعليم لديها .

(جـ) التعاون على إصدار سلسلة من المطبوعات وشرائط (الفيديو) والمسجلات الصوتية ، لتكوين مكتبة قرآنية وإسلامية مقروءة ومسموعة ومرئية ، ميسرة متدرجة مع مستويات العمر والثقافة .

(د) يوصى المؤتمر هيئات الإذاعة والتليفزيون فى البلاد الإسلامية باستثمار هذه الوسائل فى برامج معبرة عن الإسلام ، تذاع على الموجات المختلفة والأقمار الصناعية تعرّف بالإسلام وحضارة المسلمين وثقافتهم فى الماضى والحاضر بحيث ينتفع به المسلمون فى المهجر وفى غيره ، وتكون دعوة حية للإسلام وشرحاً لمقاصده وأحكامه وأخلاقه وعدله ومساواته بين الناس فى الحقوق والواجبات .

من القضايا المعاصرة

يؤكد المؤتمر أن الأخوة والسلام والوحدة بين المسلمين فرض لازم لا يجوز المساس به .

الحرب الإيرانية العراقية :

تدارس المؤتمر قضية الحرب الإيرانية العراقية باعتبارها أخطر وأبشع صور الاحتراب بين المسلمين فى هذا العصر ، ووقف المؤتمر على إصرار إيران على استمرارها ورفضها المساعى الإسلامية والدولية والإقليمية الرسمية والشعبية ، وعملها على توسيع رقعة الحرب لتشمل دول الخليج وتهديد الملاحة فيه مما يجعل بلاد المسلمين فى المنطقة ساحة ساخنة للصراعات الدولية بكل تعقيداتها وأخطارها .

كما وقف المؤتمر على ما أبداه العراق من قبول وقف الحرب فوراً والجلوس للصلح وذلك على لسان قيادته .

وقد تدارس المؤتمر قول الله تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات ٩

وقرر ما يأتى :

(١) تأكيد كل الدعوات التى وجهت من الهيئات الإسلامية والدولية إلى ضرورة وقف هذه الحرب الدائرة بين الدولتين : إيران والعراق .

(٢) إدانة موقف النظام الإيرانى المتعنت فى وجه كل المحاولات التى بذلت لوقف الحرب واعتبار هذا النظام باغياً ويجرى عليه حكم الله فى هذه الآية الكريمة : ﴿ حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ وإدانة تعاونه مع إسرائيل ضد المسلمين .

(٣) يشيد المؤتمر بإعلان العراق قبول كل مبادرات السلام الصادرة من الهيئات الإسلامية والدولية والشعبية لوقف الحرب ، وإحلال السلام بين البلدين المتجاورين وحقن

دماء المسلمين والحفاظ على أموالهم وطاقاتهم وإعلان قبوله قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٥٩٨ الصادر فى العشرين من يوليو سنة ١٩٨٧ م .

إزاء هذا الموقف المتعنت من النظام الإيرانى يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكامها تأييد العراق فى تصديه المشرف لإصرار حكام إيران على استمرار الحرب .

(٤) التوجه إلى المجتمع الدولى ومنظمته لدعوة مجلس الأمن إلى تطبيق القرار رقم ٥٩٨ نصاً وروحاً وحسب تسلسل فقراته والنظر فى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذه بما فى ذلك فرض العقوبات على الطرف الرافض .. ودعوة الأمة الإسلامية إلى إنزال حكم الله سبحانه وتعالى ضد حكومة إيران لرفضها وقف هذه الحرب والجلوس للصلح .

جهاد الشعب الأفغانى

يحيى المؤتمر جهاد الشعب الأفغانى ضد الاحتلال الذى عمل على طمس هويته الإسلامية وكبت الدعوة الإسلامية .

ويدعو المسلمين فى كل مكان إلى مساندته مادياً ومعنوياً ويطالب الاتحاد السوفييتى بالإسراع فى الانسحاب من الأرض الأفغانية لتمكين الشعب الأفغانى المسلم من تقرير مصيره دون تدخل خارجى ووفق إرادته وعقيدته .

نداء الى الشعب اللبنانى وإلى زعمائه

يوجه المؤتمر رجاء ونداء إلى الشعب اللبنانى و إلى زعمائه - أن يوحد كلمته ، ويوقف القتال على أرضه ، وأن يرتفع فوق الخلافات الطائفية والشخصية حتى يعود إلى موقعه بين أمته عضواً عاملاً ، وحارساً لمبادئها ، ومجاهداً لأعدائها .

توصيات ختامية

أ - يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى وحكومات الدول الإسلامية بتوجيه بعثاتها الدبلوماسية متعاونة على تتبع كل ما ينشر ماسا بالإسلام ، ودراسته واتخاذ ما يلزم نحوه بالأسلوب المناسب .

ب - فوض المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى إبلاغ القرارات والتوصيات التى انتهى إليها هذا المؤتمر إلى كل الجهات المعنية فى الدول والشعوب الإسلامية طلبا لوضعها موضع التنفيذ .

جـ - يوجه المؤتمر شكره إلى الأزهر الشريف بجميع هيئاته لاستضافته هذا المؤتمر ورعايته .

كما يوجه خالص التقدير لحكومة مصر على ترحيبها وتكريمها لأعضاء المؤتمر .

هذا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد - ٧)

فى يوم الثلاثاء الموافق
١٩ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ
٨ من مارس سنة ١٩٨٨ م

شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر
جاد الحق على جاد الحق

أنباء وآراء

من أروقة المؤتمر وقاعته :

الهدف الأساسى لرسالة الأزهر وواجبه :

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر : بأن الهدف الأساسى لرسالة الأزهر تتركز فى تحمله لمسئولية الدعوة ، ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ، بكافة الوسائل ، وذلك منذ نشأته من أكثر من ألف عام . وهو يحمل عبئها ، ويعمل على توجيهها كمنهج ثابت منتهجا فى ذلك كافة السبل المشروعة التى تؤدى إلى الغاية التى ينشدها كل مسلم فى فهم الإسلام ، ونشر مبادئه السمحة بين شعوب الإنسانية جميعا ، ومن تصحيح للمفاهيم الخاطئة التى انتشرت لدى بعض الشعوب وربما لدى جيل من الشباب فى هذا العصر .

ومن هذا المنطلق كان على الأزهر دائما واجب المبادرة نحو مواجهة كل ما يقال خطأ عن الإسلام، ثم العمل على نشر تعاليم الدين كما أنزلها الله سبحانه وتعالى . وكذلك التواصل مع الشعوب الإسلامية بعدة وسائل منها : استقبال طلاب العلم للدراسة فى الأزهر، وإيفاد العلماء إلى جميع القارات ليقوموا برسالة العلم والتثقيف والدعوة إلى الله .

التنسيق بين الجهات العاملة فى الدعوة

بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية بالأزهر ، صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : أن قضية الدعوة الإسلامية التى تعمل فى حقلها هيئات وجهات متعددة منبثقة عن الشعوب الإسلامية لابد أن تستثمر من أجلها الجهود وتتضافر حتى تصل إلى الغاية المرجوة من وحدة كلمة المسلمين ، واستقامة أمورهم على طريق الدين الذى قال الله تبارك وتعالى عنه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وأضاف فضيلة الإمام قائلاً : لذلك كان للوصول إلى هذه الغاية وهذا الهدف أن يعمل الأزهر الشريف على التنسيق والتكامل بين الجهات القائمة على شئون

إعداد الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الدعوة فى العالم الإسلامى . ولما كانت أمور الدعوة وأعباؤها لا تقوم على الكلمة وحدها بل لابد من التكامل والتنسيق مع الجهات القائمة على أمور الإغاثة فى العالم الإسلامى ... من هنا ... كانت توصيات المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الذى عقده الأزهر فى عام ١٩٨٤ م وكان من أهم توصياته دعوة جهات البر فى الدول الإسلامية لتنسيق جهودها فيما بينها حتى يتكامل نشاطها ويمتد إلى سائر المسلمين فى جميع أنحاء العالم من أجل الإغاثة وضرورة النظر فى تشكيل هيئة دولية إسلامية لأعمال الإغاثة فى العالم الإسلامي .

كلمات الافتتاح ومتاعب المسلمين :

● أجمعت كلمات الافتتاح على وجوب تخليص الأمة الإسلامية من متاعب تركزت فى حياتها :

أ ـ التخلف .

ب ـ الفرقة التى انتهت بقتال المسلم لأخيه تحت شعارات يبرأ منها الإسلام .

جـ ـ تتابع المصاعب والأزمات التى تهت إلى « لقمة العيش » نفسها .

د ـ العادات والمعاملات والأخلاقيات المرفوضة التى بثها الاستعمار في المسلمين .

تميزت الكلمات بالصراحة والوضوح والتأكيد على المطالبة بالدراسة التى تحدد العلاج وتنفذه .

بحوث المؤتمر

● قامت الأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية بواجبها فى إعداد بحوث تقرب من المائة ، تناولت :

أ ـ الدعوة منهجا وغاية .

ب ـ التنسيق بين أجهزة الدعوة ، والتنسيق بين جهات الإغاثة ، ثم بين الجهتين .

جـ ـ التبشير والاستشراق .

د ـ الأقليات الإسلامية .

لجنة الصياغة :

● ضمت لجنة صياغة قرارات المؤتمر وتوصياته كل من : السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب ، والدكتور حسن الشاذلى ، والدكتور داتو عبد الحميد عثمان ، والدكتور حسن الترابى ، والشيخ يوسف حجى ، والدكتور عبد العزيز كامل .

أهمية هذه المؤتمرات :

● صرح السيد محمد يوسف نور الوزير الماليزى وعضو المؤتمر بأهمية عقد مثل هذه المؤتمرات للوقوف على قضايا المسلمين ومتابعتها ومواجهة الغزو الفكرى المعادى للإسلام ، وبخاصة فى هذه المرحلة من الصحوة التى تواكب المجتمعات الإسلامية .

←

أنبـاء وآراء

ضرورة تحديد ماهية الدعوة

● أكد السيد على أوزال رئيس وفد تركيا فى المؤتمر على ضرورة تحديد ماهية الدعوة ، من « داعية » إلى « مُتَلَقٍّ » كما أكد على ضرورة تعليم المسلمين أصولا أساسية كالقراءة والكتابة إلى جانب تعليمهم حِرَفًا وتجارة عن طريق الدعوة وذلك ضمان لمستقبلهم حتى لا يعتمد المسلم على الإعانات المؤقتة .

التنسيق والدعاة وكلمة الرئيس :

● اقترح السيد آدم عبد الله ممثل نيچيريا أن يقوم التنسيق فى مجال الدعوة على مستـويات مختلفـة : محلية ، وإقليميـة وعالمية . على أن يتناول التنسيق الدعاة والمنظمات .

وحذر سيادته من الدعاة المصطنعين الذين يرتزقون بالدعوة ، وأشار إلى دور الأزهر الضرورى فى تحقيق هذا التنسيق .

كذلك اقترح تعيين سفير متجول مهمته القيام بجولات فى مختلف أنحاء العالم لمباشرة أمر الدعوة والدعاة وحل ما يجد من مشكلات بالتعاون مع كافة المنظمات الإسلامية .

وطالب بأن تكون كلمة الرئيس مبارك فى حفل افتتاح المؤتمر « ميثاق عمل » للمؤتمر تنطلق منها التوصيات والقرارات .

هيئة عليا للتنسيق

● قال الدكتور عبد العزيز كامل : إن التنسيق يجب أن يكون له هيئة عليا تشرف على التقسيم الإقليمى ، سواء فى ذلك مستوى القارات أو أجزاء منها ، ثم يختار من كل إقليم أنسب الهيئات القائمة لتتولى المسئولية التنفيذية والتنسيقية عن رضا وتشاور من أهل الإقليم نفسه ، ثم يحدث التعاون على المستوى العام .

الانتفاضة جهاد فى الله

صرح الدكتور عبد العزيز خياط وزير الأوقاف بالأردن بأن الانتفاضة المباركة داخل فلسطين المحتلة ، ليست منتمية لأحد ، إنها جهاد فى الله مقدس نابع من أبناء الجيل الثالث الذين يتخذون من الحجارة وحدها سلاحهم ويأبون غيره برغم المحاولات التى افتعلتها اليهود لتشويه المحاولة من داخل أوساطهم .

ما يجب على المجتمع الدولى نحو الانتفاضـــة

حيا مؤتمر الدعوة الإسلامية : الانتفاضة الفلسطينية ، وناشد شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها دعم أهل الأرض المحتلة ماديا ومعنويا حتى تصل هذه الانتفاضة إلى أهدافها فى دحر العدوان ، وتخليص الديار المقدسة من نير الاحتلال الصهيونى .

وأهاب المؤتمر بالمجتمع الدولى ومنظماته أن يعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطينى ، وناشد المسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا عن واجبهم فى تخليص بيت المقدس وسائر المقدسات من أيدى إسرائيل .

فهـــرس العــــدد

- الافتتاحية « هذا المؤتمر »
د . على أحمد الخطيب ٩٧٧
- مع اعضاء المؤتمر ٩٨٠
- خطبة الجمعة « خطة الاخاء الإسلامى »
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق ٩٨١
- حفل افتتاح المؤتمر ٩٨٧
- كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الفتاح الشيخ « رئيس جامعة الأزهر » ٩٨٨
- كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الفتاح عبد الله بركة ٩٩٠
- كلمة السيد المشير
عبد الرحمن سوار الذهب ٩٩٧
- كلمة فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق ١٠٠٤
- كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ١٠٠٧

« البيت الحرام، والمسجد النبوى، والقـدس الشـريف »

- عودة القدس
لفضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى ١٠١٤
- الولاية الشرعية للامن فى الحرمين الشريفين
لفضيلة الدكتور عبد الله مبروك النجار ١٠٢٣
- حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى
لفضيلة الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ١٠٣٥

الاستـــشراق وعلاقته بالاسلام والمسلمين

- الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين
لفضيلة الدكتور طلعت أحمد محسن ١٠٤٢
- مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية
للأستاذ أنور الجندى ١٠٤٩

« التنسيق بين أجهزة الدعوة والاغاثة »

- التنسيق بين اجهزة الدعوة والاغاثة
لفضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى مرعى ١٠٥٦
- التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج
للأستاذ المستشار جمال الدين محمود ١٠٦٢
- تنسيق الجهود من اجل اعداد داعية واع
لفضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى ١٠٧٠

« فـى الدعــوة »

- فى موكب الدعوة والدعاة
لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم حسن نعناع ١٠٧٦
- منهج الدعوة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية
لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنصف محمود ١٠٨١
- اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية
للأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى ١٠٨٥
- الدعوة إلى الله بين المنهج والغاية
لفضيلة الدكتور عبد الله مبروك النجار ١٠٩٠
- الدعوة والدعاة
لفضيلة الدكتور محمد عبد العليم العدوى ١٠٩٦
- قرارات وتوصيات المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ١١٠١
- انباء وآراء
د . عبد الرحيم السايح ١١١٢

القسم الانجليزى

اشراف د. أنس مصطفى النجار

- المقالة الأولى
د . أنس مصطفى النجار ١١٢٦

Islamic countries. This entails the building of the necessary infrastructure. It also entails the opposition of all aberrant devious teachings facading behind the name of Islam.

Efforts must be made by all State Leaders in all Muslim territories to discard sectorial disputes, and to follow a policy of peace and the propagation of fundamental Islamic teachings.

The care for Muslim minorities in non-Muslim states that are subject to various political, social and economic adverse conditions. This care should include basically a sense of creedal belonging; social and economic support should also be extended when required. Care should also be given in matters of religious and language education.

Steps should be taken to improve the educational and moral standards of Muslim generations at all levels of knowledge, in order that these generations may face the problems of life as related to religion.

An urgent solution to cease the existing war between Iran and Iraq. This conference condemns the State of Iran as belligerent and disrespectful to all International, National, Islamic, Regional efforts to put an end to this cryptic malignant bloodshed. The conference considers Iran as a transgressor, according to Islamic law.

The Conference accalims with honour, the struggle of the Afghanistan nation against the brutal forces of Soviet occupation which tries to irradicate its religious identity. The conference calls on all international bodies to enhance the process of termination of Soviet presence in Afghanistan and accelerate their evacuation.

The conference also highly condemns the Jewish atrocious brutal criminal conduct in Palestine and Lebanon.

****

The Final Speaker was His Excellency Muhammad Hosney Mubarak, President of the Arab Republic of Egypt, under whose auspices, the conference convened. In his words, he ascertained that Islam calls for unity and the rejection of dispute. The dawah to Islam is the duty of every Muslim, and the responsibility of individuals, scholars, institutions, heads of states, and governments. It is important to realise the severe adverse conditions and contraïrties that cloud the Muslim nation and impede the efforts of progress. Islamic scholars should provide the grounds for fruitful dialogue on scientific Islamic basics, to find solutions for problems and difficulties facing the implementation of Islamic Dawah. Islamic teachings in their original spirit of wisdom and sagacity are essentially the functional elements of Islamic education. This convention bears a responsibility at this stage in the history of the Islamic world. There is confidence in your ability to bear the responsibility, for this gathering is indeed equipped with knowledge, faith, convictions and industrious intentions. May Allah provide you with knowledge and support that you may achieve your goals and realize your intentions.

****

The actual proceedings of the conference took place at "Saleh ibn Abdullah Hall" at Al-Azhar University, Nasr City, Cairo. During the final session of the conference, certain resolutions and recommendations were discussed and approved by the participants of the conference.

A message of thanks to President Mohammad Hosney Mubarak and accepting his address to the conference as a working document.

Ensuring the importance of resolutions and recommendations that were decided in previous conferences held at Al-Azhar.

Organization between the various foundations involved in Islamic Dawah, relief and wellfare in the Islamic world. (The specific ordinations of this item is detailed in the original Arabic text).

Relieving the Islamic Dawah from all factors that impede its advancement. This essentially entails the legislation of Islamic Doctrines to be the state laws of government in

the Muslim nation; and yet the contrary is the case, hostility, dispute, disagreement prevail. The Holy Quran indicates "And hold fast, all together, by the Rope which Allah (stretches out for you), and be not divided among yourselves. And remember with gratitude Allah's favour on you (Surat Al-Imran, III, 103).

Islam is the Message to mankind, the document that lights the path for human spiritual elevation and dignity. This Message is doctrinated in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). These doctrines encompass and constitute all aspects of human life in specific detail. In this respect, it is the duty of Islamic Institutions to provide and present Islamic doctrines and teachings in a manner that is effective and optimized. There is no compromise in the doctrines of Islam, however, the manner and mode of presentation should be campatible with the changes of times. It is very fundamental for Muslims to realize that Islamic Dawah is most effective by the practice of wisdom, the kind word, and by setting the example.

Based on such understanding, the need for a curriculum for education, culture and dawah becomes necessary. This should aim at optimizing the understanding of Islam and deeping the conviction. It is the duty of shcolars working in the field of Dawah to safeguard the true Islamic beliefs from wrong interpretations; or subjecting Islamic facts to foreign phrases that do not coincide exactly with the original specific Islamic understanding. It is the duty of the scholars of Dawah, and of every Muslim to share in the reshaping of the Muslim nation to be integrated, respected, dignified, strong in faith and belief, excelling in character and conduct. Such qualities are the fruits of Islamic teachings if adopted by individuals, communities and nations.

The present conference is confronted with urgent issues mainly:

1) Proper planning and organization between all the foundations that are active in the field of Islamic Dawah.
2) Formulation of a working policy between all the institutions engaged in relief and wellfare.
3) The sacred status of the Macca Haram, the Madinah Haram, and the Jerusalem Mosque.
4) The conditions of the Muslim minorities in various world territories, and the duty of Muslims towards them.
5) Contemporary and current problems of the Islamic nation at large.

May Allah bestow upon you peace and grant you mercy. We all seek support from Allah, The Bestower, The All-Cognizant....

widespread idiologies of heresy, disbelief and denial of faith; the devaluation of standards; and the lust for material gains. Such trends are well programmed and organized against the Muslim communities everywhere, using all facilities and capabilities. This avalanche of Anti-Islamic movement can only be confronted and counteracted by a well discplined, planned objectives, supported with financial, cultural and political resources. This entails the presence of Islamic Institutions for Dawah highly efficient and very capable, both in man power and assets. This is the first act towards the rejuvenation and preservation of the authoritative dignity of Islam and Muslims.

The Muslim world has great expectations from this conference. Expectations of sincere honest organized planning at all levels for the Islamic Dawah in all its ingredients as an immediate and a long term policy. Expetations of bringing up well-trained, well-cultured, well-educated knowledgeable scholars to function in the field of Islamic Dawah. The organization of Islamic Institutions to supervise and machine the various demands and resources for Dawah. The original doctrines should be the Holy Revelation and the purified Sunnah of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

Finally, let us all supplicate to Allah to support our efforts, and enable us to summon for the cause of Allah in wisdom and by the kind word: and to be exemplary in our conduct. May Allah have peace and mercy upon you all.

The fourth speaker was the Grand Imam of Al-Azhar, Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq. The Grand Imam began his address by praising Allah, and offering peace and prayers to the Prophet of Islam. He quoted from the Holy Quran "who is better in speech than one who calls (men) to Allah, and works righteousness, and says - I am of those who bow in Islam". (Surat Fussilat, XLT, 33). I welcome you all in the precincts of the Al-Azhar, whose message is to call mankind to Allah, taking its teachings from the doctrines of the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The Islamic Dawah is not just sermons and speeches to be addressed, nor quotations from the Holy Quran to be recited, nor literature to be published. It is the resultant efforts and thoughts of all men of knowledge to seek a system that is collective in totality and effective in practice. No other nation has the means of union, agreement and integration as

ly organised and efforts should be spend at all levels of responsibility and authority to bring about a ratification. Again, the argumental debates between Muslim scholars themselves certainly hinders any progress. The solution to such is that all should abide closely to the elements of the Sunnah and receive the knowledge from scholars of reputation and confidence. Again, it is essenital to realise that the most important processes of Dawah is setting the example on the individual scale, the group scale and the community scale. This important aspect is of utmost importance and the conduct of Muslims should be responsible and exemplary. This was the model of life of the early Muslims at the time of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The disputes and hostilities between the Muslim nations are indeed very strong and effective against Islam. The war staged and continued between two Muslim countries is a black mark that is very destructive to the integrity and wholesomeness of Islamic unity, and to the dignity of Islam as a faith. The repercussions of these armed hostilities have reached the sacred precincts of the Holy Mosques. This is disasterous to the Muslim nations and deterimental to the propagation of Islam. In the Holy Ouran "And fear tumult or oppression which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong: And know that Allah is strict in punishment". (Surat Al-Anfal, VIII 25). It is the urgent compulsory duty of the Muslim nations to stand firm to stop this ridicule of malignant destruction. Such action is most certainly an active act of Dawah that should be given immediate attention by this conference.

In some Muslim States, there still remains the ancient practices of imperialist colonization by brute force; namely, in Afghanistan and Palestine. In these two parts of the muslim nation, there are examples of martyrdom and adamant bravery to establish what is right. This struggle is for the integrity, the honour, the faith, the land, the dignity of a nation against an insolent unscrupulous intruder. Such effort of struggle is an act of Dawah, and its continuation is a perpetuation of the true elements of Dawah.

Other areas where Islamic Dawah is severely challenged are countries where Muslim communities are minorities; and there are several of these countries all over the world. It is their full right to receive their full share of the Dawah in education, culture, financial support, political respect, and how to best conduct themselves as Muslims within the nature of their environment.

Other means of contrariety to the Islamic Dawah are the

love, esteem and respect to Al-Azhar, and to Egypt. On behalf of the delegates, Marshal Swar Al-Thahab extended all reverence, fidelity, honour and prestige to the Scholars of Al-Azhar for the advancement of Islamic knowledge and the propagation of Islamic Dawah with the limited resources at hand.

The Islamic Dawah is essentially the basic message of all the Islamic nation, and their gift to humanity. In the Holy Quran "Ye are the best of Peoples, evolved for mankind. Enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in Allah" (Surat Al-Imran, III, 110). The Islamic world at this age is in need for Dawah as guidance to set the example and light the path by suitable words and wisdom of action. The whole of mankind all over is in great need for Islamic Dawah to deliver humanity from the dark pits of spiritual proverty to the light of understanding.

The preservation of values, the homogenity of social conduct and behaviour, the stability of mental and psychic patterns. The Holy Quran states "A.L.R. A book which we have revealed unto thee, in order that thou mightest lead mankind out of the depths of darkness into light - by the leave of thier Lord - to the Way of (Him) The Almighty, the Laudable" (Surat Ibrahim, XIV, 1)

At all ages, and since the coming of the Holy Revelation, the Islamic Dawah has been faced with challenges. It is the effort exerted in honest sincerity against the challenging forces, that has kept the integrity of the Islamic creed. In recent times, the Islamic Dawah is also confronted with forces of destruction. It is the duty and function of this conference to take the necessary practical steps to defeat the forces of destruction.

The foremost issue in this connection is the deplorable situation of Muslims, countries and communities alike. Successful Dawah requires a suitable compatible medium, a healthy matrix that is poorly existant in Muslim communities. The Muslim nations have not yet thrown from their shoulders the yoke of imperical colonization. They remain mostly in the confines of subjective personal attitudes of thought. They fall into entropy and dispersion, tearing their unity of language and unity of creed, they shake standards and values; and the whole Muslim arena is devastated with exploding issues and continually emergent crisis.

One of the most challenging conditions to the Islamic Dawah is the social, political, cultural and economic disorganisation among Muslim nations. This should be primari-

thoughts and ideologies, various trends of extremist social and political beliefs, vairous immoral entertainment progammes; all of which essentially aim at dissolution of the faith and to blemish and mar the elements of belief. It is the duty of the Academy of Islamic Research to confront such forces of moral and spiritual decay. This confrontation requires the recruitment of human elements capable of defining and implementing the suitable strategy to penetrate into the basic forces and substance of human nature, to stabilize the roots of belief strong enought to oppose and reject the forces of evil. Such a challenge also requires a suitable monetary framework to constitute the multi-disciplinary structure to act as the deterent against the various facades, appearances or pretexts that anti Islamic forces may use. These forces that are out to stage a very fierce stringent battle against Islam and Muslims using for that every possible available means.

In previous similar conventions, specific resolutions were taken that Islamic Governments, Organizations, Institutions should give support to the Al-Azhar and to the Academy of Islamic Research. It is the Al-Azhar of the whole Islamic nation at large. This support should be moral, political, financial, and cultural. The Islamic Dawah must have strong stable feet in order to travel in dignity and with confidence of knowledge. Islamic Centres must be instituted to be the lighthouse for the propagation of the Islamic faith. Such resolutions have not yet been put into effect. It is the duty of Al-Azhar to place this matter in your hands in order to specify the exact roles and responsibilities of the various parties.

Finally, Dr. Barakah made an obituary tribute to the Late Dr. Hussein Abdel-Magied Hashem, and the Late Dr. Muhammad Abdalla Madi: both were leading figures at the Academy of Islamic Research, and at Al-Azhar. He ended his words by thanking the participants, and wishing them constructive participation.

The third speaker was Marshal Abdel-Rahman Muhammad Hasan Swar Al-Thahab, who delivered the message of the delegates. He praised Allah and offered peace and prayers to the Prophet of Islam, the first person to practice Islamic Dawah, and the one to formulate its fundamental elements. He indicated that he speaks on behalf of the delegates who came from various and far distant countries to participate in this conference of Islamic Dawah. Their presence is an expression of their great interest in Islamic Dawah, and of their great

periodicals and extends to classical text books of reference. The Al-Azhar Magazine which is a monthly periodical, first published sixty years ago, provides a condensation of classical and current topics and discusses them in the light of authentic Islamic doctrines. Also, several committees were formed under the rectorship of Al-Azhar, these included the Committee of Quranic Sciences, the Committee of Sunnah Sciences, the Committee of Islamic Faith and Philosophy, and the Committee of Fiqh Research, and several others. The Academy of Islamic Research authorized a group of Ulama to put down a standard text of Quranic Interpretation that should be easy to comprehend. Some volumes of this text have already been published.

The Academy of Islamic Research also commissioned a group of Ulama to formulate a text of Islamic Shariah (Islamic law) to be taken as the reference Code of Practice in Islamic countries. This will include the features of the four leading sects of the Islamic Sunnah, the Maliki, the Hanbali, the Hanafi, and the Shafie.

The Academy of Islamic Research confronts the members of this conference to urge the Islamic Governments to give effort to the propagation of Islam and the Dawah to Islamic doctrines with wisdom, knowledge, and the good example. These efforts must be cultural, social and economic. The institution of Islamic cultural centres in various countries has become a necessity in order to present Islam in the authenticity of its reality. It is also the duty of Islamic governments to establish Pan-National Islamic Trust for the relief and wellfare of Muslims in the event of disaster. It is the duty of the Ulama in all Muslim communities, to give an effort to raise the standards of understanding of Islamic doctrines to achieve a higher grade of conviction to the faith, coherence to the Shariah and observance of moral values. Such efforts require serious work, management, planning, financing, scientific organization, and above all serious intention, honesty, and blessing from Allah. Muslims in every country expect Al-Azhar to carry the responsibility of all these combined efforts; and in that respect the Al-Azhar requires your support in order that it may meet with these obligations and also with your expectations.

The Academy of Islamic Research bears its heavy responsibility to the whole Islamic world which is extensively and widely spread. The problems of the Islamic world are complex, diverse and different in nature from one country or Muslim community to the other. These problems become more complicated and extensive because of the modern means of mass communication systems, and what they present of various

Doctrines of the Holy Revelation, and the Sunnah of the Prophet of Islam. Our message is the Divine Message, the Message of all the Prophets and the Apostles that summoned mankind throughout the ages. The Quranic statement indicates "Let there arise from amongst yourselves, a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right, and forbidding what is wrong; they are the ones to attain felicity" (Surat Al-Imran, III, 104). May Allah bestow peace and mercy upon you.

The second speaker weas Dr. Abdel-Fattah Barakah General Executive Secretary for the Academy of Islamic Research. After praising Allah and offering prayers and peace to the Prophet Muhammad; words of greetings and welcome to the members of the Conference were spoken. He indicated that this conference convenes at a time when the human race at large is under the sinister dark cloud of hatred, conflict, socio-economic breakdown and moral devaluation. Territories of Islamic nations are being occupied and suppressed by tyranny and brute force in Afganistan and Palastine, where mass slaughter and bloodshed are large scale practices. These tools of oppression are resisted, and the struggle for freedom and dignity continues, the battle for survival and existance remains the perpetual sign of identity. Also, in other countries where Muslim groups are a minority where they are subject to exploitation and deprivation from essentials of human rights and dignity. They suffer in silent patience the true conviction to their faith. To all those we offer prayers and peace and look upon them with respect and honour. Yet, we vision with sorrow, pity and disgrace the stupid hostility that is burning between two neighbouring Islamic countries Iran and Iraq for no reason or purpose, for no end. The flame of this war is kept burning by exogenous anti-Islamic forces, and the two Muslim countries stupidly fall into the web of this malicious strategy to split and weaken Islamic solidarity.

Dr. Barakah continued his words to highlight the efforts and services of Al-Azhar in the various fields of Islamic disciplines, and the propagation of Islamic culture and the Arabic language as the language of the Holy Quran. These efforts are put into effect by sending members of the Al-Azhar faculties to teach and instruct in various countries all over the world. The Al-Azhar also receives students of world wide distribution who study and graduate from Al-Azhar in the different fields of Islamic Theology.

In the field of authorship and publication, the Al-Azhar produces a vast body of literature encompassing monthly

Islamic Dawah was declared open on the grounds of Al-Azhar the bastion of Islam, and the throbing heart of Arabism. The towering minerets of Al-Azhar will remain to shine the path for the propagation of true Islam and the genuine Sunnah of the Prophet. Allah the Al-Mighty, the All-Embracing will remain to be the Guardian of the Holy Revelation to infinite eternity. The celebrated speakers were then introduced.

The first speaker was Dr. Abdel-Fattah Al-Shiekh, the Principal of Al-Azhar Univeristy. After praising Allah and offering prayers and peace to the Prophet; words of greetings and welcome to the assembly were spoken. He pointed out that a portentuous urging need for Islamic Dawah was very necessary to the salvation of mankind in these malignant materialistic times: in this age where the evil forces of egoism, lust and coruption are dominating: in this life where human peaceful tranquility and the decorum of the soul are no longer optimized as human values. In every part of the globe, mankind is impoverished for values: and Muslims are drowned in the tubulence of the various forces: asking where they are in this life and the demands of their faith. This turmoil and entropy of throught formulates a void in the minds of Muslims in general, and in particular Muslim youth. This has become an inevitable challenge to the distinguished members of this assembly. Upon their shoulders lies the formulation of the proper elements of Islamic Dawah.

The Dawah to the proper concepts of faith, and the implementation of worship.

The Dawah to facilitate the proper understanding of Islamic teachings.

The Dawah to purify the Islamic literature and thought from inerudite ideas and impurities.

The Dawah to safeguard the Islamic Sunnah, Shariah, and thought from the infiltration of unorthodox unqualified nonconforming understandings.

The Dawah to the true Islamic moderation that defeats the monosterous extremes of capitalism and communism.

The Dawah for the proper implementation of cultural, educational and mass communication programmes of the generations of the population.

The Dawah for the true understanding of "Jehad" in the cause of Allah against the forces of evil to safeguard human values and the sacredness of territorial possessions.

The Dawah to uphold the Holy Quran as the dominant doctrine to judge the disputes between the Muslim nations.

These are the real elements of the Islamic Dawah: to uphold and optimize the words of Allah by implementing the

THE INTERNATIONAL CONFERENCE OF ISLAMIC DAWAH
"AN OVERVIEW"

By :- Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD

The International Conference of Islamic Dawah was held in Cairo-Egypt on Fridiay 15th Rajab of the year 1408 Hijriah, the 4th of March, 1988 A.D. The closing session of the conference was held on Tuesday 19th Rajab, 1408: the 9th March, 1988. The conference was attended by 215 delegates from 88 countries from all over the world, not including the participants from Egypt. The "Theme" of the conference was "Islamic Dawah" on which about one hundred presentations were addressed by the participating members of the conference and were discussed by the attendants.

The initial activity of the conference actually started at noon when all the delegates and members of the conference assembled to participate in the Jummah (Friday) congregational Salat prayer. This took place at the famous ten centuries old Al-Azhar Mosque. This congregational prayer which was attended by that large consortium of Islamic distinctions, was also attended by the Prime Minister of Egypt "Dr. Atef Sidqui" some ministers of the Egyptian cabinet, and the Governer of Cairo. The Jummah sermon was addressed by the Grand Imam of Al-Azhar - Imam Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq, who also lead the congregational Jummah prayers.

The opening ceremony of the conference took place on Saturday morning (16th Rajab, March 5th) in the Hall of the Late Imam Muhammad Abdu at Al-Azhar University at Al-Azhar district. This opening ceremony was attended by His Excellency President Muhammad Hosney Mubarak, President of Egypt. The ceremony started by a recitation from the Holy Quran by Shiekh Muhammad Barakat. The recital was from Surat Al-Saff.

The master of ceremonies was Dr. Rauof Shalaby the Vice-Rector of Al-Azhar. He advanced the presentation of the speakers by praising Allah the Merciful and Compassionate, and giving hommage to our Prophet Muhammad prayers and peace from Allah upon him. With Divine support, the Conference of

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part VII

Shabaan, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

CONTENTS.

An Overview of the International Conference of Islamic Dawah.

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

Preparation of prints by:

Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

****

This month of Shabaan, 1408, the English Section of the Al-Azhar Magazine publishes an overview of "The International Conference of Islamic Dawah", which was held in Cairo during Rajab, 1408. This is because of the importance of the subject.

The English Section will resume (insha Allah) the publication of the article on Abu Bakre Al-Siddiq, and other articles on various Islamic topics in the next month issue of the Al-Azhar Magazine (Ramadan, 1408).

****

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
الجزء التاسع
السنة الستون
رمضان ١٤٠٨ هـ
مايو ١٩٨٨ م

« مسجد تجرى سلانجور
دار الاحسان - ماليزيا »

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوار بعد أبى طالب

٣

انتهى « جوار » أبى لهب !

وَلِرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقتئذ عبارة حاسمة فى الموقف كله وهى تبين - إذ تبين - عن تفاهة هذا الجوار ؛ فقد روى ابن كثير - بسنده - إلى العباس - رضى الله عنه - قال ، قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« لا أرى لى عندك ولا عند أخيك مَنَعَةً »

وإذا كنا بصدد دراسة « الجوار » فى ذاته نتتبعه من بين أحداث السيرة النبوية الشريفة ، لنبين عن منزلته ، وأثره فى الدعوة ، فلم نكن - بحال - نستطيع أن نغضى عن جوار « أبى لهب » كما أغضى عنه بعض كتاب السيرة ممن يسجلون تاريخها جملة .

ذَكَرَ جوارَ أبى لهب من أقطاب أهل السير : الحافظُ ابن أبى الفرج الجوزى ، والحافظ ابن كثير القرشى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات ، والعلامة على بن برهان الدين الحلبى فى موسوعته « السيرة الحلبية » نقلا عن أحد مَصْدَرَيْه : « الشمس الشامى » أو ابن سَيِّدِ الناس . وأولئك من حضرنى ممن سجل « جوار » أبى لهب .

←

الجوار بعد أبي طالب

على أى حال انتهى جوار أبى لهب[١]؟

وبانتهائه عاد « الأذى » سيرته الأولى ، بل اشتد وتمادى على أعنف ما يكون ، تدفعه « روح الاشتفاء » فى نفوس الوثنيين من قريش ، وقد حملتْ فى أمشاجها حقدَ السنين التى لم تستطع قريش أن تنال فيها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ جهر بالدعوة ، فانطلقت فى إيذائها كأنما تريد أن تستعيض ما فاتها من أذى وأضعافه مضاعفة ، وحدا لهذه الرغبة فى نفوس القوم شعورُهم أن أحدا من بنى هاشم أو المطلب لن يتقدم لِيُجِيرَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وَخَيَّلَ إليها غرورُها أنها تستطيع أن تفعل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تريد .

وترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قريشا لاشتفائها ، فقد رفع الله ـ سبحانه ـ عنه عِبْئَهَا إلى حين ؛ فإن الإسلام لم يكن دعوة تخصها ، وإنما هو دين أُرْسِلَ به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس أجمعين ؛ ﴿ لِأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[٢] فأمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعوةُ العامة ـ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسئول عنها .

قال الإمام الحسن بن محمد النيسابورى ـ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[٣] :

« فتول عنهم ؛ فإن تكذيبهم لا يوجب ترك الدعوة العامة .

فما أنت بملوم على إعراضك عنهم بعد التبليغ ؛ لأنك قد بذلت مجهودك ، واستفرغت وسعك » .

وإذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ بَدَأَ بالدعوة يبثها فى قريش ، وفى غير قريش من عرب وغيرهم ، فإنه ـ باستثناء قريش إلى حين ـ قد خلصت الدعوة إلى غيرهم

---

(١) قد نتساءل : لماذا اغفل بعضُ مؤرخى السيرة الشريفة جوارَ ابى لهب فلم يذكره ؟ يبدو لى ـ والله اعلم ـ ان هذا الإغفال مَرَدُّهُ أحد ثلاثة :

إما لما فى بعض نصوصه من معارضة لما هو معروف من امر « اهل الفترة » ، وإما لانه لم يكن ذا قيمة تذكر فى الدفع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وإما فى تطبيق « منهج الحديث الشريف » على هذا « الحدث التاريخى » فادى ذلك إلى إنكاره فنفيه .

وإذا كان اختلاف المناهج من « فن » إلى « فن » امرا مقررا فإن استخدام بعضها مكان بعض امر مرفوض .

ونحن ـ إلى جانب ذلك ـ نقول :

إننا إذا طرحنا من نصوص جوار أبى لهب ما يتعارض والعلم بأهل الفترة سنخلص إلى جوار لأبى لهب ، تستطيع قريش ـ بما عرفت عن أبى لهب ـ أن تصرفه عنه .

(٢) الأنعام ١٩ .

(٣) الذاريات ٥٤ .

ممن يرد مكة من حجيج ومعتمرين ، وممن يمر بها مُصعداً إلى الشام ، أو نازحا إلى اليمن ، كذلك خلصت إلى ما قَرُبَ منها من بلد أو دار .

لكن كان لابد من جوار !

فقد كان « الجوار » ـ كما نقول بلغة عصرنا ـ الغطاء الذى يتحرك به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنا ويتنقل فى ظله حيث شاء ، فليس ممكنا من حيث العرف والواقع أن ينطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى موطن قبيلة ليدعو أفرادها إلى الإسلام دون أن يكون له « جوار » من سادتها يسمح له بما يريد .

واختار ـ عليه الصلاة والسلام ـ الطائف ليلقى فيها كلمة الله .

وكان طبيعيا أن يلجأ إلى سادتها من ثقيف فى طلب الجوار فقد كانوا أقرب إلى مكة مركز الدعوة ، وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم خؤولة ، فارتحل إلى الطائف فى شوال من السنة العاشرة من النبوة(٤) .

• • •

سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« هل(٥) أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد »(٦) ؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام :

لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم « يوم العقبة » إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهى ، فلم أستفق إلا بقَرْن الثعالب »(٧) .

كان « يومُ العقبة » إذاً أحلكَ يوم مرّ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو اليوم الذى اجتمع فيه بسادة ثقيف بالطائف يطلب جوارهم ليمضى فى الدعوة ، بعد رحلة شاقة يعرفها من كابد الصعود إلى الطائف حيث التقى برؤساء القوم :

عبد ياليل : كنانة بن عَمرو بن عُمَير بن عوف بن عُقْدَةَ الثقفى ، وأخويه : كلال ، وهو مسعود بن عمرو .

وحبيب بن عمرو .

جلس إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحدثهم فيما جاء من أجله طالبا نصرته ليمضى فى الدعوة إلى الإسلام ، وليس شيئاً أكثر من « إجارتهم » وإن

---

(٤) الحلبية ٣٥٣/١ باب ذكر خروج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف .

(٥) انظر صحيح البخارى ١٣٩/٤ طبعة الشعب ، ومسلم بشرح النووى ١٥٤/١٢ المطبعة المصرية بالأزهر .

(٦) اى كان اشد عليك .. صرح به ابن كثير .

(٧) قَرْن الثعالب : هو قرن المنازل : جبل مطل على عرفات شرقى مكة يميل قليلا إلى الشمال على بعد اربعة وتسعين ك م من مكة .

شاءوا آمنوا بما جاءهم به ، أو ظلوا على ما هم عليه ؛ فلقى منهم شَرَّ ما يلقى ضيف من مضيف إذ أجابه أحدهم بقوله : إنه يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الثانى : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك .

وقال الثالث ـ فى سفسطة : والله لا أكلمك أبدا ؛ لئن كنت رسولا من الله ، كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أَرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك[8] .

فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهم وقد يئس من خير ثقيف .

جاء ـ فى حديث محمد بن كعب القرظى ، رضى الله عنه ـ محدثا عن هذه الجلسة ـ أنه بلغه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم :

« إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على » .

وإنما كره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُذيعوا حديثه إليهم فتتلقفه آذانُ قريش فتمضى فى تأويله على هواها ، وتدعى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما ذهب إلى ثقيف للتأليب عليهم ، فيشتد أمرهم أكثر وأكثر عليه .

لكن ثقيفا تغافلت حتى عن المروءة العربية وأدنى واجب الضيف إذ قالوا له :

اخرج من بلدنا وَالْحَقْ بمنجاتك من الأرض،وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر ـ عليه الصلاة والسلام ـ جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا أرضخوهما بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء ؛ فإذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى عادوا لما يفعلون .

ولم تعد رحلة الطائف بطائل ، وكان يومها أشد يوم مَرَّ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته كلها حتى إنه انطلق يمشى غير مُنْتَبه لحاله تحمله قدماه دون أن يلتفت إلى الموضع الذى فيه لكثرة ما اشتد به من هَمٍّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى قطع فى مسراه

---

(٨) يعنى صاحب السفسطة بإثبات ما يراه من (نتيجة) بغض النظر عن المقدمات ، ومقدمات المتحدث كما نراها هنا لا تقوم على قضايا منطقية مسلمة .

شوطا بعيدا فلما كان بقرن الثعالب تنبه لأمره ، وإذا الحالُ لا « جوار » ولا « كتمان » !
لقد سرى النبأ إلى قريش :

فهل أسرع بنو عَمرو بن عُمَير بإبلاغ قريش ؟
إن من يقف من ضيفه هذا الموقف لابد أن يفتقد نُبْلَ النفس وشهامة الكريم ، ومثله لا يحجم عن البلاغ .

على أن ثمة رواية للإمام أحمد ـ رضوان الله عليه ـ تدل على أن بعض القرشيين كان بالطائف حينئذ ، وما أيسر أن يطرق سمعَهُ ضجيجُ الساخرين ، فيعرف الخبر .

روى الإمام أحمد بسنده إلى خالد بن أبى جبل العَدْوانى ـ رضى الله عنهما :

« أنه أبصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مشرق ثقيف ، وهو قائم على قوس أو عصا ـ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعتُه يقول : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) حتى ختمها .

قال : فوعيتُها فى الجاهلية ، وأنا مشرك ، ثم قرأتُها فى الإسلام ، قال :

فَدَعَتْنِى ثَقِيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم .

فقال ـ من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم مايقول حقا لاتبعناه » .
على أن ما حدث بـ « ثقيف » لم يمنع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطرق بالإسلام أشرافهم ، فلم يقتصر على أولئك المتقدمين ـ بنى عُمَير ـ بل تذكر « الحلبية » أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أقام بالطائف شهرا وعشرة أيام خلص من بعدها إلى « نخلة »[٩] فأقام بها أياما لم يكن حظه فيها بأفضل منه فى « ثقيف » .

وأسفرت الرحلة عن حقائق :

١ ـ وجد أساطين الوثنية بقريش سببا أو أكثر يضيفونه إلى مبرراتهم فى الإيذاء ، سواء فى ذلك إيذاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو إيذاء أصحابه ـ رضوان الله عليهم ، وفى الحلبية : أن قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة بسبب ذهابه إلى الطائف ودعائه لأهله .

←

(٩) بلدة قريبة من الطائف ذات واديين : قسمها الأعلى نخلة الشامية ، ويعرف بـ « ذات عرق » ، والجنوبى يعرف بـ «نخلة اليمانية» ، وهما واديان لـ « هذيل » .
وأعلى ذات عرق كان لبنى سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ لم يكن له ـ عليه الصلاة والسلام ـ (جوار) بمكة حين خرج ليدخل فى ظله عقب تلك الرحلة .

٣ ـ لا (إذْن) له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بـ (الهجرة) وإلا فما أيسرها من (نخلة) أو (قرن الثعالب) حيث لامُطارِد ولا مُطالِب .

ويعنى ذلك ـ فى وضوح :

وجوب العودة إلى مكة حيث لا تريده مَشْيَخَتُها وليس يستقيم ذلك إلا بـ (جوار) . فبدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلب (مُجِيرا) قبل الدخول إليها .

●●●

ذكر الأموى فى (مغازيه) أن رسول الله ـ ﷺ ـ استعان برجل اسمه « أريقط »[١٠] رَضِىَ أن يكون رسولا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى من يطلبه مجيرا .

فأرسله إلى « الأَخْنَس بن شَرِيق »[١١] يطلب إليه أن يُجيره بمكة ، فاعتل بقوله : إن (حليف) قريش لا يُجِير على (صميمها) .

فأرسله إلى (سهيل بن عمرو)[١٢] فقال سهيل : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى .

وقد تعقب علىّ بن برهان الدين الحلبى كلتا الدعويين حتى كاد لا يسلم بهما إلا على تأويل بعيد ؛ فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عربى قرشى ـ يعلم قانون قومه وقواعدهم فى الجوار ، ولعل كلا الرجلين قد آثر السلامة . والله أعلم .

ثم أرسله فى الثالثة إلى مُطْعِم بن عَدِىّ لِيُجِيرَه فقال : نَعَمْ ، قل له فَلْيَأْت .

قال ابن كثير :

فذهب إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه : ستة أو سبعة ، متقلدى السيوف جميعا ، فدخلوا المسجد ، وقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : طُفْ .

---

(١٠) فى الشامية : عبد الله بن أريقط .
(١١) لم يكن أسلم بعد .
(١٢) لم يكن أسلم بعد .

وَاحْتَبَوْا بحمائل سيوفهم فى المطاف
فأقبل أبو سفيان إلى مُطْعِم فقال : أمجير أو تابع[١٣] ؟
قال : بل مجير .
قال : إذاً لا تخفر

● ● ●

ولم ينس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا المسلمون هذه اليد لمطعم ، وبخاصة وقد سبقها موقفه الكريم من نقض الصحيفة . فلما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة توفى المطعم ـ قبل بدر ـ بنحو سبعة أشهر، على ما ذكره ابن الأثير[١٤] وفى وقعة بدر أسر المسلمون الكثير من قريش .

قال ابن كثير ، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألنى فى هؤلاء النَّتْنَى[١٥] لوهبتهم له .

وفى رواية الحلبية : أن جبيراً وَلَدَ المطعم ـ وكان لا يزال مشركا ـ جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فسأله فى أسارى بدر ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام :

لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه فيهم .

فأما حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فقد قال ـ حين بلغته وفاته : والله لأرْثِيَنَّه ، فكان فيما قال :

فلو أَنّ مَجْداً أَخْلَدَ اليومَ واحداً
من الناس أبقى مَجْدُهُ اليوم مُطْعِماً
أَجَرْتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا
عبادك ما لبَّى مُحِلٌّ وأحرما
وما تطلع الشمس المنيرةُ فوقهم
على مثله فيهم أَعَزُّ وَأَكْرَما

● ● ●

د. على أحمد الخطيب

كتب إلى المجلة الأستاذ الشاعر : أحمد قاسم أحمد يلفت نظرنا إلى خطأ استعمال الفعل (يرضخ) بمعنى (يخضع) فشكرا جزيلا له .

---

(١٣) أو تابع ، أى مسلم يتبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .
(١٤) أسد الغابة ١/٣٢٤ . الشعب .
(١٥) اطلق عليهم (نتنى) لكفرهم .

صيام رمضان
بين أحكامه وحكمه

يرحم الله عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فقد قال : « إذا سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فأرْعِها سمعك فإنها خير تؤمر به أو شر تنهى عنه والله تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . . وبهذه الآية تتم فريضة الصيام على الأمة الخاتمة كما فرضه الله على أمم سبقت ، وفى رسالات سلفت ، حتى لا تذهب أمة بشرف طاعةٍ لله لم تقاسم فيها خير أمة أخرجت للناس .. ولقد اقتضت رحمة الله بالمؤمنين أن يذكر الحكمة من الصيام فى الآية التى فرضه عليهم فيها ، حتى يستجيبوا مطمئنين إلى أداء هذه الطاعة مستهدفين غاية الله منها ومراده سبحانه من تكليفهم بها فقال : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والعبادات الإسلامية .. ومنها صيام رمضان ، وسائل لغايات ، قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) ولا يبالى تعالى بعبادة لم تثمر في أنفس العابدين ثمرة خشية الله ومراقبته والانس بذكره ، والارتياح إلى طاعته ، ولا يكون الصيام مقبولاً عند الله ، يرضاه الله من الصائم ، ويستتبع شرف قوله تعالى في الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به »(٢) حتى يربى فينا الإرادة الخيرة ، فلا تغلبنا شهواتنا وميولنا على غير ما يريده الله منا ، وإنما تكون بعد تربية النفس وتهذيبها بالصيام وفق ما أمرنا الله به ، وتبعاً لما جاء به النبي صلوات الله عليه عن ربه ، وسيبقى الصيام في معناه الضيق جوعاً وعطشاً فحسب إن لم يَصُمْ معه اللسان عن الكذب والنميمة والخداع وإذاعة ما اؤتمنا عليه من أسرار الأوطان والخلان ، ومن وراءهم ، ولم تَصُمْ معه الآذان عن فحش القول ، ومنكر الحديث ، وزور الكلام ، ولم تصم معه العين عن النظر إلى ما أمر الله به المؤمنين أن

(١) البقرة ـــ ٢١

(٢) يؤسفنا عدم ذكر الكاتب لمرجع الحديث وقد نبهنا إليه مراراً ولا حجة لأحد على تحرير المجلة في هذا الشأن ، والحديث على أى حال أخرجه مسلم في صحيحه .. مجلة الأزهر .

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

يغضوا عنه أبصارهم ، وصوم تنطلق معه الجوارح على هواها دون أن تراقب الله أو تخشاه أكرم منه صوم الحيوان الذي يعود عليه بشيء من الصحة من علة ، والسلامة من داء ، ثم لا يكون بالنسبة لبعض الناس غير تعذيب وحرمان ومظهر يرده الله الذي ينظر إلى نياتنا وبواعث أعمالنا ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه . وفى الحديث :

(كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر)

أخرجه ابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

حقيقة الصوم :

إن الصوم في دين الله شيء أجمع وأرفع من مجرد قهر النفس على ترك طعامها وشرابها . إنه تكليف ربانى وتربية إلٓهية وسلوك وضع القرآن الكريم خطوطه وإطاره الجامع في ليل الصائم ويومه قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾(٣) .. أى الاستمتاع بهن من حيث أمركم الله ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ـ [ضوء الفجر] ـ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [ظلام الليل] .. ﴾ «وعمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع التوجيه الربانى فى الآية الكريمة وفى قوله تعالى فى الحديث القدسي : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ـ لا يتكلم الكلام الفاحش ـ ولا يصخب ـ ولا يصيح ـ وإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى صائم إنى صائم »(٤) .. والمراد بالكلمة ما وراءها من ذكر الله العاصم من الانسياق فى قول أو عمل لا يتفقان مع الصيام ، وكم من أقوال تفضحها الأعمال .

إن عمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصاياه في الصيام في مثل قوله : « من لم يدع قول الزوروالعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . هو المقياس الذي نقيس به صيامنا ، وهو المنهاج الذي نقيم على أساسه هذه العبادة الخاصة التى جعلها الله سراً بين العبد وربه ، أجل إن الصوم في حقيقة أمره إمساك عن الطعام والشراب الضروريين لبقاء حياتنا ونماء أجسامنا ،

←

(٣) البقرة الآية ١٨٧ .

(٤) جزء من الحديث الذي أشرنا إليه .... مجلة الأزهر .

صيام رمضان

واقتدارنا على أداء الواجب الذي نيط بنا في مجال الاستخلاف الحقّ .. والصوم إمساك عن الشهوة الجنسية ودواعيها من القول المثير ، والعمل الدافع إليها ، وهي من حوائج الإنسان الماسة والمشروعة في رسالات الله التى ترعى فطرة الله لعباده لبقاء الجنس البشرى والقدرة على ترك ألزم ما يلزم الحى انطلاقاً من دينه واستجابة لله تعالى ، ركضةً إلى حكمة الله من هذه العبادة التى أجملها في قوله سبحانه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وما أجل التقوى من غاية تغلف طاعة الله والإذعان لأمره ، واكتساب فضائل النفس من صبر على تكاليف العبادة ، ومن إعلاء إرادة الخير في أنفسنا على الأهواء الجامحة ، والشهوات التى تتنافى وما أراد الله للمؤمن من عزة وكرامة وشرف وهو يحل للمؤمنين الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويحبب إليهم معالى الأمور ، ويكره إليهم سِفْسَافَهَا .

إن المؤمن بذلك يكون عبد ربه ، لا تذهله المطامع وبهارج الحياة ، ولا تذله شهوة هابطة ، ولا نزوة آثمة ، ولا يعطى الدنية من نفسه ، ويأبى أن يهضم دينه ومقدساته ، ويقمع إخوانه في بقعة من ديارهم ، وتوصد في وجوه بعضهم أبوابها دون أن يسارع وكل قادر في أى بلد إسلامى ، وموقع إنسانى للذب عن الحياض ، وافتداء حمى المسلمين من قريب وبعيد بعد أن صار واقعاً ما أنذر به وحذر منه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » . أخرجه أصحاب السنن .

وغثاء السيل مثل لمن لم يصوموا بحق ، فهل يربأون بأنفسهم عما لا يكرم بها ؟

إذا لم يكن في السمع منى تصامم
وفى بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي من صومي هو الجوع والظما
وإن قلت إنى صمت يوماً فما صمت

لقد أوجب الله الصوم على المسلم الصحيح المقيم أياماً معدودات في شهر سماه في القرآن الكريم دون غيره من الشهور بياناً لفضله ، وإعلاء لقدره ، كما سمى يوم الجمعة دون غيره من الأيام لتعرف الأمة مكانته فتحرص على الصلاة الخاصة فيه ، وتعمل على أن ينتفع المجتمع المسلم بأسرار اليوم وصلاته في دعم صرحه ، وتوكيد وشائجه ، وتعميق جذور الجماعة التى تفسح فرصة التجمع أسبوعياً أكثر مما تتيحه الصلوات الخمس في اليوم والليلة إلى العيدين ويوم عرفه ـ ولقد وصف الله تعالى الشهر ـ شهر رمضان ـ بأعظم ما أنعم الله به على البشرية كلها وهو (إنزال القرآن) ، ولفت الأنظار إلى أهم مقاصده سبحانه وتعالى من كتابه الكريم فقال :

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾(٥) .

ورحم الله ذلك الإمام الذى نظر إلى هذا الجزء من الآية ونظر إلى قول الله فى صدر سورة البقرة : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ثم قال : « إن من لم يهتد بالقرآن فليس من الناس » ... ولقد أبصر الرجل الحقيقة التى فاتت الذين قالوا ﴿ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ .. فصلت - ٥

وفاتت أقواما كثيرين في مواقع من المجتمع المسلم وغيره يصمون عن آيات الله فى كتابه آذانهم ويهشون لما تقذفهم به الحياة من قريب وبعيد من أفكار ومبادىء لا تزن شيئاً أمام هدايات القرآن الكريم . أو يوعون لبعض الغافلين أن يقولوا نفطر حتى نذاكر ونحرز تفوقاً في الاختبارات ، جاهلين قول الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ البقرة .

وتعظم رحمة الله تعالى بأمة مصطفاه صلوات الله عليه وهو يوجب الصيام على الذين لا يعذرهم عذر المرض ، ولا يعوقهم السفر ، أو الهرم وفقدان الوسع والطاقة فيه وذلك حيث يقول الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾(٦) .

ويقول ثانياً : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٧)

أجل يريد الله بالمكلفين مالا يجاوز وسعهم أو يشق عليهم القيام به ، وهو سبحانه الذى علمهم أن يقولوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . البقرة / ٢٨٦ .

وتتخلل آيات الصيام آية يدل الله بها عباده عليه ، ويدعوهم أن يسألوه من فضله فهو الغنى المغنى الذي يجعل الفلاح والرشاد للمؤمنين القائمين على صراط طاعته ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ . البقرة / ١٨٦ .

فحقيقة الطاعة وإن كانت في ظاهرها لله ، فإن بركاتها ترتد عليهم ، وسبحان من لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه . كما رووا ذلك عن أبي الحسنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

يســـر الإســـــلام

ونطل من الآية الأخيرة وهى خامسة آيات الصيام في سورة البقرة على تصحيح أمور كان

---

(٥) البقرة ١٨٥ .
(٦) البقرة ١٨٤ .
(٧) البقرة ١٨٥

صيام رمضان

يواجه المسلمون منها شدة ، حين كانوا يظنون أن نساءهم يحرمن عليهم في ليلة الصوم ، فبين سبحانه حل مباشرتهن والغاية من اللقاء المشروع بين الزوجين وهو يقول : ﴿ أُحِلَّ لَـكُـمْ . . . . ﴾ . . ﴿ فَـالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ . . ﴾

وَيُحَدِّدُ ـ سبحانه ـ المدى الذي ينتهى عنده أكلنا وشربنا واستحلالنا ما أحل لنا من أزواجنا لندخل مع الله في العبادة والطاعة . فقال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ويبين المدى الذي ينتهى عنده صوم الصائم فقال : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

وسنّ لنا الرسول الرءوف الرحيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعجيل الفطر وتأخير السحور وهو رفق يتسق مع رحمة الله بنا إذ جعل الصوم (أياماً معدودات) ، بل ساعات حددها تعالى بدءاً ونهاية من هذه الأيام .

ثم ختم الله هذه الآيات الخمس بقوله : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

فيقفنا لفظ التقوى مرة أخرى على تزكية النفس بالصوم ، بعد اصلاحها بدنياً بالتدريب على الاعتدال فى الأكل والشرب وغريزة الزوج ، ويرحم الله الشيخ محمد رشيد رضا . فقد قال : « إن تزكية الأنفس إنما تكون بإيقافها عند حد الاعتدال ، واجتناب الافراط والتفريط وذكر أن الإنسان مركب من مادة وروح ، وأنه تعالى سخر له رعاية لجانب المادة فيه جميع ما فى عالمه الذي يعيش فيه من المواد والقوى ، وجعل سبحانه صحة البدن وسلامته من أسباب صحة العقل وسائر قوى النفس ، فحرم عليه ما يضر بجسده كما حرم عليه ما يضر بروحه وعقله ومن ضعف جسمه عجز عن القيام بالصلاة والصيام والحج والجهاد والكسب الواجب للنفقة على نفسه وعلى من يجب عليه نفقتهم ، وعلى مصالح أمته العامة ، فإن لم يعجز عن القيام بها كلها عجز عن بعضها أو عن الكمال فيها غالباً .

وانتهى رحمه الله فقال : « إن الصيام رياضة بدنية نفسية ، وجمع بين حرمان النفس من لذاتها ، بقصد التربية ، وبين تمتيعها بها توسلاً إلى شكر النعمة والقيام بالخدمة » .

أجل إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال حتى في تناول الحلال وقد ذم الله المسرفين والمبذرين كما ذم المسكين والمقترين . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ الإسراء / ٢٩ .

وقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .. الأعراف / ٣١

فمتى نجد أثر الصوم فى الأنفس والمجتمع ؟

معوض عوض إبراهيم

من توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم

فى الصوم

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فضيلة الصوم :

الصوم هو الشعيرة الثانية فى الإسلام بعد الصلاة ، وفضله يظهر فى قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ـ البقرة ١٨٣ ـ وكفى بالتقوى فضلاً .

وروى الإمام النووى فى رياض الصالحين حديث مسلم عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك » من حديث رقم ١٢١٣ صـ ٣٤٧ .

وروى ابن الأثير فى ترجمة عبد الله بن سفيان الأزدى ما ذكره مسلم ١٥٩/٣ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ما من رجل يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعده الله من النار مائة عام . قال عبد الله : إنما أحدثكم ما سمعت من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ » أسد الغابة ٢٦٢/٣ .

وروى النووى عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن فى الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » قال

←

النووى : متفق عليه .. رياض الصالحين صـ ٣٤٧ .

ولهذا الفضل العظيم كان صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتسابقون فى الإكثار من الصوم . ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يوجههم إلى ما ينبغى صومه ، وما ينبغى أن يكون عليه الصائم من آداب .

من توجيهاته الكريمة :

روى ابن الأثير فى ترجمة أبى عقرب ما حدث به عنه ابنه نوفل قال : « إنه سأل ـ أى أبوه ـ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الصوم ، فقال : صم يوما فى الشهر، فقال : يارسول الله زدنى ، فلم يزل يستزيده حتى قال : ثلاثة أيام من الشهر » ـ أسد الغابة جـ ٦ صـ ٢١٨ .

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير قدوة لأصحابه ، فلم يكن يفرط فى مواصلة الصوم ـ رغم قدرته على ذلك لو أراد . فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه ـ ولكنه كان رحيماً بأمته . يسلك فى فعله طريق الرأفة بهم .

روى ابن سعد فى طبقاته جـ ١ صـ ١٠٥ عن يونس بن خباب عن مجاهد أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصوم الاثنين والخميس .

وروى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصوم حتى يقال : قد صام . ويفطر حتى يقال : قد أفطر .

ومن الأيام التى كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو أصحابه إلى الصوم فيها يوم عاشوراء ـ جاء فى مسند الإمام أحمد جـ ٥ صـ ٤٠٩ ـ عن روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة عن عبد الرحمن بن سلمة الخزاعى عن عمه قال : غدونا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صبيحة يوم عاشوراء ـ وقد تغدينا ـ فقال : أصمتم هذا اليوم ؟ قال : قلنا قد تغدينا . قال : فأتموا بقية يومكم ، وروى ابن الأثير فى أسد الغابة جـ ٦ صـ ٣٧١ مع هذه الرواية رواية أخرى هى : أن « أسلم[1] » أتت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أصمتم يومكم هذا ؟ قالوا : لا . قال : فأتموا يومكم واقضوه .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم فى رجب ، روى ابن الأثير بإسناده إلى عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن رجبا شهر عظيم ، تضاعف فيه الحسنات ، من صام فيه يوما كان كسنة » ـ أسد الغابة جـ ٣ صـ ٥٠٦ .

النهى عن صوم يوم الجمعة مفردا :

ونهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن

(١) أسلم قبيلة ، أى جاء وفد منها ..

صيام يوم الجمعة مفردا ، جاء فى ترجمة جنادة الأزدى ـ فى أسد الغابة جـ ١ صـ ٣٥٥ ـ أنه قال : « دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجمعة مع نفر من الأَزْد ـ سبعة أنا ثامنهم ، ونحن صيام ، فدعانا لطعام بين يديه ، فقلنا : يارسول الله إنا صيام . قال : فهل صمتم أمس ؟ قلنا : لا ، قال : فتصومون غداً ؟ قلنا : ما نريد ذلك . قال : فأفطروا » .

النهى عن صوم الدهر :

ونهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم الدهر ، فقد روى مسلم بن عبيد الله القرشى عن أبيه أنه سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم الدهر ، فقال : « يارسول الله أصوم الدهر كله ؟ قال : فسكت ، ثم سأله الثانية فسكت ، ثم سأله الثالثة . فقال : أين السائل عن صوم الدهر ؟ قال : أنا . قال : أما لأهلك عليك حق ؟ صم رمضان ، والذى يليه ، وصم الأربعاء والخميس . فإذا أنت قد صمت الدهر » أسد الغابة جـ ٣ صـ ٥٣١ .

وروى ابن الأثير مثله عن حكيم بن حزام . أن أباه حزام بن خويلد سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصوم الدهر ، فأجابه بما سبق . أسد الغابة ٢/٣ .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥ صـ ٤٠٩ عن مجاهد بن جبر قال : حدثنا رجل من الأنصار من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن فلانة ـ مولاة لبنى عبد المطلب ـ قامت الليل مانامت ، وتصوم فما تفطر . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ونهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحجامة للصائم والمواصلة فى الصوم ـ ولكنه لم يحرمهما ـ وإنما نهى عنهما إبقاء على أصحابه رأفة بهم ورحمة لهم ، وقد أرسله الله رحمة للعالمين . وحين سئل عن ذلك وقيل له ـ فيما رواه عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل من الصحابة ـ « إنك تواصل إلى السحر ، فقال : أنا أواصل إلى السحر وربى يطعمنى ويسقينى » ـ سنن أبى داود ، كتاب الصيام ، باب الرخصة فى ذلك جـ ٢ صـ ٣٠٩ ، وأسد الغابة جـ ٦ صـ ٤٣٢ .

الصوم فى السفر :

وإفطار الصائم المسافر رخصة له إذا أراد ، وفى القرآن الكريم قوْل الحق تبارك وتعالى : ﴿ فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر . وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ﴾ البقرة ١٨٤ .

وروى ابن الأثير عن إبراهيم بن محمد الفقيه وغيره بإسنادهم عن أبى عيسى الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن حمزة بن عمرو الأسلمى سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم عن الصوم فى السفر ـ وكان يسرد الصوم ـ فقال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » ـ أسد الغابة جـ ٢ صـ ٥٥ .

من توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم

إجابة الداعى :

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - لا يحب التزمت فى العبادة ، فينبغى للمتطوع بالصوم أن يفطر إذا دعى ، ثم يصوم يوما غيره .

حدث إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصارى قال : صنع أبو سعيد الخدرى طعاماً ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه . فقال رجل منهم : إنى صائم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « تكلف لك أخوك وصنع طعاماً . فاطعم وصم يوما مكانه » - أسد الغابة جـ ١ صـ ٥٤ .

تمرين الصبيان على الصوم :

ولا يكره للصبيان أن يمرنوا على الصوم حتى ينشأوا على الالتزام بالفرائض وأداء الشعائر والإقبال على العبادة ، وقد روى عبد الرحمن بن لبيد عن أبيه أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا صام الغلام ثلاثة أيام وقوى عليها أمر أن يصوم رمضان » - أسد الغابة جـ ٤ صـ ٥١٩ .

آداب الصوم :

وللصوم آداب أهمها الإمساك عن الإثم والخوض فى الباطل ، ووجوب الإكثار من ذكر الله تعالى .

روى الإمام النووى فى رياض الصالحين صـ ٣٥١ عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى صائم » .

وروى رواية البخارى عنه قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وروى ابن الأثير فى ترجمة سعد مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم أمروا بصيام يوم ، فجاء رجل فى بعض النهار فقال : يارسول الله . إن فلانة وفلانة بلغهما الجهد ، فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً . فقال : ادعهما . فجاء بعُس - قدح كبير - أو بقدح ، فقال لإحداهما : قيئى فقاءت لحماً عبيطاً - طريا غير ناضج - وقيحا ودما ، وقال للأخرى

مثل ذلك فقاءت . فقال : إن هاتين صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرم عليهما . أسد الغابة جـ ٢ صـ ٣٤٩ .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على علم بدقائق النفوس وتصرفات البشر وأخلاق الناس ، فلم يفته التنبه إلى أن الجوع والعطش إذا اشتدا أقلقا صاحبهما ، وربما جره ذلك إلى الغضب والخروج على حد الاعتدال فى الخطاب والمناقشة ، وقد وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى احتمال من يصدر عنه حدة فى الجواب فى أثناء صومه ـ وإن كان هذا لا يعفى الصائم من ضرورة الالتزام بآداب الصوم وحكمته التى تفرض على صاحبها الصبر والأناة وحسن الخلق .

فقد روى ابن الأثير فى ترجمة مهدى الجزرى مارواه سليمان بن المغيرة عن مبذول بن عمرو عن مهدى الجزرى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاثة يعذرون بسوء الخلق : المريض والمسافر والصائم[٢] » أسد الغابة جـ ٥ صـ ٢٨١ .

كيف تتحقق الحكمة من الصوم ؟

ويستلزم الصوم عدم الإفراط فى تناول الطعام والشراب عند الإفطار ، حتى يحقق الصوم غرضه الذى شرع من أجله ، روى سلمان بن عامر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إذا أفطر أحدكم فليفطر على التمر ، فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور » أسد الغابة جـ ٢ صـ ٤١٦ .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى تعجيل الفطور وتأخير السحور ، روى ابن سعد عن عطاء أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل إفطارنا وأن نمسك أيمانَنَا على شمائلنا فى صلاتنا » الطبقات الكبرى جـ ١ صـ ١٥٤ .

ويستحب إجراء الخير والإكثار منه فى أثناء الصوم ، فقد روى الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح ـ عن زيد بن خالد الجهنى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من الصائم شىء » .

هذه مقتطفات من توجيهات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصائمين ، وما أحراهم أن يعملوا بها ليصح صومهم ، ويُقبَلَ عملهم . ويحققوا بذلك حسن الاقتداء بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى ورد فى حقه قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ ـ الأحزاب ٢١ ـ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

(٢) أخرجه أبو موسى وقال : أظنه مرسلاً .. مجلة الأزهر

من أسرار الصيام وحكمته

أخرج مسلم فى صحيحه من رواية أبى صالح ذكوان ، أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزَّ وجلَّ : كلُ عملِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصيامَ فإنَّه لى وأنا أجْزى به ، والصيام جُنَّةٌ ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفُثْ يومَئذٍ ، ولا يَصْخَبْ فإن سابَّه أحدٌ أو قَاتَله فلْيقُلْ : إنى امْرؤٌ صائمٌ ، والذى نفسُ محمدٍ بيده لَخلُوفُ فَمِ الصائمِ أطْيبُ عند اللهِ يومَ القيامةِ من ريحِ المسكِ ، وللصائمِ فرْحَتان يَفْرحُهما : إذا أفطرَ فرِحَ بفطره ، وإذا لقىَ ربَّه فرِح بصومه » .

وجاء فى لفظ آخر « **كل عمل ابن آدم يضاعفُ الحسنةَ عشر أمثالِها إلى سبعمائة ضِعفٍ قال الله تعالى : إلا الصومَ فإنَّه لى وأنا أجزى به يدع شهوتَه وطعامه من أجلى »**[1] أ .هـ .

الصوم مطلوب من الله لعباده على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اختلف قلة ، وكثرة ، ووقتا .

ومعناه لغة : الإمساك والرفعة . ولما ارتفع الصوم عن سائر العبادات كلها فى الدرجة سمى صوما وارتفع الصوم عن غيره فى :

---

(١) المفردات : « الصيام جُنة » بضم الجيم سترة ووقاية لمن عاناه ، وجمع جُنَّة : جُنَن بضم ففتح « فلا يرفُث » المشهور بضم الفاء فى المضارع والفتح فى الماضى وقيل بالكسر فى الماضى و الفتح فى المضارع وروى « يرفِث » بالكسر . والرفَث بفتح الراء : الاسم ، وبالسكون المصدر : وهو الكلام الفاحش ، ويطلق على الجماع ، وعلى الكلام القبيح من الفحش والخنا والشتم ونحوه .

« ولا يصخب » الصخب : الضجة بارتفاع الأصوات عند الخصام والخلوف تغير رائحة الفم الذى لا يوجد إلا مع النفس .

والصوم : مشتق من قولهم : صام ، إذا أمسك ووقف عن الحركة ومنه قولهم : صام الفرس إذا ثبت قائما ، وأمسك عن السير والأكل وصام النهار إذا ارتفع وأمسكت الشمس عن السير وقت الزوال . وصام عن الكلام إذا سكت . ومنه قوله تعالى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً ﴾ اى صمتا .

قال امرؤ القيس :

فدعها وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ
ذَمول إذا صامَ النهارُ وهجَّرا

من قصيدة مطلعها :

أرى أم عَمْرو دَمْعُها قد تحدَّرا
....

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

١ - نَفْيِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - المثلية عنه فى العبادات :

أخرج النسائى عن أبى أمامة الباهلى قال أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت يارسول الله ، مُرْنى بأمر ينفعنى الله به قال : عليك بالصوم فإنه لامثل له » وفى لفظ آخر أنه سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - : أى العمل أفضل ؟ قال عليك بالصوم فإنه لا عَدْل له » .

٢ - سَلْبَهُ الله عن عباده مع تعبدهم به وأضافه سبحانه لنفسه بقوله « فإنه لى » فإن إضافة الصوم لله وإن كانت الأعمال كلها له ابتداء ودواما تقضى بتشريف زائد عند الخاص من العلماء والعوام كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾(٢) . وإن كانت الأرض كلها له .

٣ - جعْل الله جزاء من اتصف به بيده من إثابته فلا تماثله عبادة من العبادات والصوم فى الحقيقة (تَرْكٌ) لا (عمل) ويطلق عليه اسم العمل تجوُّزاً .

وأما معنى الصوم شرعاً : فإنه عبارة عن إمساك مخصوص فى زمن مخصوص وذلك هو استيعاب النهار مع ماقبل طرفيه إمساكاً بنية مبيَّتة فى صومه - عن دخول داخل ، وخروج خارج وجماع .

والصوم قربة معتبرة وفريضة مشتهرة معلومة من شريعة الإسلام بالكتاب والسنة . والإجماع .

وإنما كانت كل أعمال ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله ؛ لأنه بعد أن وصف بأنه صائم وثبت له هذا الوصف سلبه الحق عنه وأضافه إلى نفسه بقوله « إلا الصيام فإنه لى » أى صفة صمدانية - وهى التنزيه عن الغذاء - والتنزيه عن الغذاء ليس إلَّا لى ، لأنه - سبحانه - الصمد ، فالمتنزه عن الغذاء مطلقاً هو الله تعالى أما العبد فتنزيهه مقيَّد بقوله : وأنا أجزى به فكان الحق جزاء الصوم للصائم إذا انقلب إلى ربه ولقيه بوصفٍ لا مثل له وهو الصوم ؛ لأنه خفى ليس له وجود فى الأعيان كباقى العبادات وليس للجوارح فيه عمل . فلايعلم جزاء الخفى إلا الله تعالى المالك له ، ولم يطلعنا على جزائه كما أطلعنا على غيره كالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، أى « فجزاء الصائم عندى فوق هذا العدد مما أعلمه ولا أخبركم به » ؛ فإن الصيام ينقص البدن ، ويضعف البِنْيَة بخلاف غيره من أركان الإسلام .. فالصائم يعرِّض نفسه لما هى كارهة له . فكان جزاء عمله على الله تعالى مما لا حصر فيه يعلمه العباد ؛ ولأن فى

←

(٢) سورة الجن : آية ١٨ .

من أسرار الصيام

الصوم معنى الصبر وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وليس الصوم من الأعمال الظاهرة فيدخله الرياء فلما برئ من الرياء خلص لله وحده الذى يعلم السر وأخفى .

يؤيد ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليس فى الصيام رياء » أخرجه أبو عبيد فى غريبه عن شبَّابة عن عقيل عن الزهرى قال :

قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذى يجزى بها فنرى ـ والله أعلم ـ أنه إنما خص الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شئ فى القلب وهو بالنية التى تخفى عن الناس ، وجميع الأعمال تكون بالحركات إلا الصوم فإنه ترك الحركات .

هذا وجه الحديث عن أبى عبيد .

ومن خصوصياته بأنه لله دون سائر العبادات أن إنزال آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض كان بسبب الأكل من الشجرة ، فكأن الأكل ـ فى بعض أحواله ـ سبب فى المعصية ، فهو قد يتخم الإنسان فيُقعِده عن العبادة ، ويثير النزعات الخبيثة ، وقد يدفع إلى السرقة ، والغش ، والخداع ، ومع كثرته يكثر احتمال النجاسة فى الثوب والجسد ، لذلك جعل الله أعظم القربات الصوم لأنه تَرْكٌ لأساس المعصية ، وسدٌّ لبابها ، ومن هنا كان الصوم خالصاً لله تعالى فإذا أداه العبد بظاهره وباطنه استحق الجزاء الأوفى .

ومن بيان إضافته لله تعالى : أن الله تعالى يؤدى إلى المظلوم ـ وفى حديث (المقاصة) يوم القيامة ـ من حسنات الظالم حتى لا يبقى من عمله شئ غير الصوم ، فيطمع المظلوم فى أخذ حسناته فيقول : يارب قد بقى له الصوم ، فيقول الله ـ عز وجل : الصوم لى خالص وأنا أجزى به عنه بأضعافه فيرضى الله الخصم من لدنه فى الصوم دون سائر الأعمال ؛ فإن سائرها ينال المظلوم حسناتها .

ومنها : أنه لما كان تركا لمحبوب وصبرا عن مشتهى للنفس فيه هوى تَخَلَّص بذلك لله تعالى وحده بخلاف غيره من العبادات ، فإن الترك لا يشمل فيها النهار كله .

ومنها أن غيره من الأعمال المختصة بالدين قد وجد التعظيم بها لغير الله تعالى كالسجود للأصنام والذبح لها وأما الصوم فلم يتقرب به أحد لغير الله فكان بالإضافة إليه أخص .

قوله « وأنا أجزى به » أى أبتدئ بالمجازاة له تعظيماً له إذ لا مجازى على أعمال العباد غيره .

قوله « الصيام جُنَّةٌ » أى ستر لمن عاناه إما من النار فى الأخرى أو من الآفات بالأمراض والأسقام فى الدنيا أو بمجموعهما وهو وقاية مثل قوله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أى اتخذوا الصوم وقاية .

ثم نهى الصائم عن الرفث والصخب والمقاتلة . والنهى تَرْكٌ فلم يأمره بعمل ، بل نهاه أن يتصف بعمل مَّا ، والصوم ترك فصحَّت المناسبةُ بين الصوم وبين مانُهى عنه الصائم .

ثم أمر الصائم أن يقول إذا سابَّه أحد أو قاتله : « إنى صائم » - أى يقول ذلك فى نفسه لنفسه فيذكرها الصوم فلا يقدم على ما أقدم عليه خصمه من الكلام القبيح . وقيل ينطق به ؛ ليردع بذلك المعتدى عليه وكأنه يقول له : لولا صومى لقاتلتك بماجئت به ؛ فأنا تارك لهذا العمل الذى عملته أنت أيها المقاتل والسابُّ فى جانبى . فنزَّه نفسه بأمر ربه عن هذا العمل فهو مُخْبِرُ أنه تارك أى ليس عنده صفة سبٍّ ولا قتال لمن قاتله وسبَّه .

وأما قوله « والذى نفس محمد بيده » فهو قسم منه - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا القسم دليل على جواز الحلف بالله عند الحاجة ، وردٌّ على مَن قال : لا يحلف العبد لا صادقاً ولا كاذباً ، ونبَّه بيمينه على (تمام توحيده - صلى الله عليه وسلم - واستسلامه وأنه لا يملكه شىء ولا يحكم عليه إلا مولاه) .

قوله : « لخلوف فم الصائم » مصدر خلف مثل قعد وخطأ الخطابى من فتح الخاء ويقال فيه الوجهان يقال خلف فوه وأخلف إذا تغير قال ابن أحمر :

بان الشباب وأخلف العمر .

والعمر واحد عمور الأسنان وهو ما بين السنَّين من اللحم .

ومن الخلوف حديث على رضى الله عنه وسئل عن قبلة الصائم ؟ قال : « وما أربك إلى خلوف فيها » ؟

لخلوف فم الصائم وقد تنفس بهذا الكلام الطيب الذى أمر به . وهو قوله « إنى صائم » فهذه الكلمة ، وكل نفس الصائم « أطيب يوم القيامة » يوم يقوم الناس لرب العالمين « عند الله » فجاء بالاسم الجامع المنعوت بالأسماء كلها . فجاء باسم لا مثيل له إذ لم يتسم أحد بهذا الاسم إلا الله تعالى فناسب كون الصوم لا مثل له كما ذكرنا فى الحديث السابق .

قوله : « من ريح المسك » فإن ريح المسك أمر وجودى يدركه الشامُّ ويلتذ به السليم المزاج المعتدل فجعل « الخلوف » عند الله أطيب منه ، لأن نسبة إدراك الروائح إلى الله لا تشبه إدراك الروائح بالمشامِّ فهو « خلوف » عندنا ، لكنه عند الله تعالى فوق طيب المسك فى الرائحة ، فإنه روح موصوف لا مثل لما وصف به فلا تشبه الرائحة الرائحة ، فإن رائحة الصائم عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك ، وهذا من باب المجاز : أى رائحته الكريهة عندكم هى أحب وأرضى لله من استنشاق ريح المسك لناشقه كما أن كلم الشهيد - أى جرحه عند الله مخالف لأثره فى نفوسكم : (اللون لون الدم والريح ريح المسك) كما فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم : قال صلى الله عليه وسلم : ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئتها يوم طعنت تفجر دما : اللون لون الدم والريح ريح المسك ، وفى رواية « كل كلم يكلم فى سبيل الله تكون يوم القيامة كهيئتها يوم طعنت تفجر دما : اللون لون الدم والعرفُ عرف مسك » ، وقيل عن الخلوف : يثاب ثواباً بخلوفه فهو أفضل من ريح المسك عندنا .

وقيل تنقلب تلك الرائحة الكريهة طيبة فى

من أسرار الصيام

القيامة بحيث تبقى علامة على الصائمين كما أن الصائم يدخل من باب الريان لما يقاسى من العطش فى الدنيا فكذلك هذا يقابل فى تلك الرائحة الكريهة بالرائحة الطيبة . وقيل يدخر له عند الله ويعتد بها له كما يعتد صاحب المسك بمسكه وينم عليه رائحته .

ويحتمل أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستطيب تلك الرائحة وإن كرهتموها أنتم كما تستطيبون رائحة المسك .

قوله : « للصائم فرحتان » أما فرحته فى الدنيا فبإتمام عبادته وانقضاء نهاره على الصوم دون عارض يقطع عن التمام . وقيل بما يجد من الراحة بالفطر عند انقضاء صومه ، فإن النفس تجد مشقة به فتستريح بالمطعم والمشرب وأما فى الآخرة فبما يحصل له من الجزاء على صومه وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

وفرح الصائم هو لحوقه بدرجة نفى المماثلة حين لقى ربه بالصوم الذى لا مثل له ، ورآه سبحانه بصفة « ليس كمثله شىء » فعند فطره رأى جوده بما أوصل إلى نفسه من الغذاء أداء لحقها الذى أوجبه الله عليه كما فرح بصومه عند لقاء ربه .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فى آية البقرة أى تجتنبون النار بامتثال ما كتب من الصوم عليكم ؛ لأنه سبب للغفران ، يفضى إلى دخول الجنان من باب الريان أو تتقون شهوات الأنفس المحرمة بالصوم من الأكل والشرب والجماع فى وقت الصوم . فإذا حافظت الأنفس على ذلك ظفرت بالمفاز فى دار المآب والنجاة من سخط الله وعقابه فى دار ثوابه ، والقرب من جنابه مع أحبابه أولعلكم تتقون ما جبلت عليه النفس من الشهوة والشره فى الملذات الجسمانية من المأكل والمشرب والمنكح الذى هو حجاب قاطع عن الملاذ الروحانية فالنفس ساعية أبدا إلى ملذاتها فاقتضت الحكمة أن يكون الصوم مطهرا لتلك النجاسات المعنوية القائمة بصفة البشرية ، ومزيلاً لآثارها بما ينشأ عن الصوم من الصفاء الروحانى .

ولعلكم تتقون أى لتدخلوا بصيامكم فى زمرة المتقين وتصلوا بذلك إلى رتبة الموفقين فلأجل ذلك عد الله الصوم من أسباب التقوى .

ومن حِكَمِ الصوم تأديب العباد بألم الجوع حتى يعرفوا قدر نعمة الشبع كابتلاء الأجساد بالسقم حتى يعرف قدر نعمة العافية ومن ابتلى بذلك يكثر تضرعه وابتهاله إلى الله تعالى وحتى يتذكر الغنى منهم الفقير عند جوعه ويعلم مقدار ما يقاسى الفقير من الفاقة فيحثه ذلك ويحرضه على الإحسان للمحتاجين ويقال : إن أعظم شىء فى القيامة وفى النار الجوع والعطش ولهذا يقول أهل النار فى النار ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴾(٣) فإذا تذكر الصائمون ما يدفع عنهم بصيامهم من تلك الأهوال هان عليهم ما هم فيه من ذلك .

(٣) الأعراف ٥٠

ومن حكم الصوم التشبه بصفة الملائكة عليهم الصلاة والسلام من ترك المطعم والمشرب لتقع المشاركة لهم فى تلك الحالة مضافاً إلى ما تميز به بنو آدم من التكليف بقهر الشهوات وأنواع الطاعات والعبادات فتميزوا بالفضيلتين على باقى الثقلين .

ومنها قهر العدو وإذلال سلطنته وإبطال سطوته فى تحكمه على النفس ببث الشهوات ، والحث على الرغبات الْمُدْنِيَةِ من الهلكات ، والجوع يدفع محنته ويقطع حجته ولأجل ذلك ورد فى الحديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم « فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » أخرجه البخارى ومسلم من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » .

وقوله : إن الشيطان .... قال النووى : قال القاضى وغيره : قيل هو على ظاهره وأن الله جعل له قوة وقدرة على الجرى فى باطن الإنسان فى مجارى الدم . وقيل هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل : إنه يلقى وسوسته فى مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب والله أعلم .

وقالوا : إن جوارح العبد المشتمل عليها بدنه سبع وهو مأمور بحفظها وعند الاعتبار هى الموصلة إلى سبعة أبواب جهنم : وهى العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليدان ، والرجلان . والصيام مضيق لهذه الأبواب المفتوحة ، فإن الصيام ينشأ عنه الجوع ، والجوع يحسم مثار الشهوات . ويقطع موادها . وعند ذلك يوجد صفاء الخواطر عن الكدرات ، وتنور الباطن عن الظلمات . كما ورد فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك سكينة ووقار ولا تجعل صومك وفطرك سواء » .

ومن الحكم أن نعم الله تعالى على خلقه قد وظف عليها زكاة تشريفا لهم بذلك . فزكاة الجاه بَذْلُه ـ[٤] والمال إنفاقه والجسد اجاعته كما ورد فى حديث جمهان عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم .. أخرجه ابن ماجة فإذاً الصوم طهرة وبركة وزيادة فى صحة الجسد من حيث المعنى وإن كان من حيث الصورة تنقيص ، كما أن زكاة المال صورتها تنقيص ومعناها زيادة من حيث ادخار ثوابها عند الله .

وقيل : خمسة أشياء لا يعرف مقدارها إلا خمس أنفس : لا يعرف نعمة العافية إلا المرضى ، ولا قيمة العمر إلا أهل المقابر . ولا قيمة الشبع إلا أهل الجوع ، ولا لذة نعمة النوم إلا من به ألم ، ولا نعمة الضوء إلا من هو فى الظلمة .

جعلنا الله ممن يقولون فيعملون بما يقولون ويعملون بما يعلمون وجعلنا من عباده الصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وهو حسبى ونعم الوكيل .

---

(٤) أى مساعدة المحتاجين بجاهك بتوسطك المشروع لقضاء حوائجهم المشروعة ، والجاه هو المنزلة ، والمراد هنا : المنزلة العظيمة التى تكون لإنسان من إدارة ووزارة .. إلخ .

شهر رمضان الخيرات والبركات والانتصارات العظيمة

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة . يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء . ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[1] .

إن شهر رمضان من أعظم المواسم الإسلامية ، ومن أجل الشهور قدراً ، وأكثرها خيراً ، وأعمها براً . هو خير كله . فى أوله ، وفى أوسطه ، وفى آخره ، فهو كالروضة المزهرة الفيحاء ، أو كالحديقة المثمرة الغنَّاء ، من أى نواحيها أتيتها . تَشَمُّ أريجها ، وتستمتع بشذى طيبها . فأوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. وحسب هذا الشهر المبارك من الفضل ، وعظم القدر . أن الله تبارك وتعالى : اختصَّه بما لم يختص به غيره ، واختاره من بين الشهور ؛ ليكون غرة فى جبين الدهر ، ولتكون لحظاته الباسمة أسعد لحظات نَعِمَ بها الكون .. وأىُّ زمان أكرم على الإنسانية من شهر كريم ، تنزل فيه القرآن العظيم هبة السماء للأرض ، وهداية الخلق إلى الحق ، ومشكاة تضىء للناس طريق العظمة والخلود ، قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَاهَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] ..

ومن هنا نعلم أن شهر رمضان . شهر

(١) أخرجه البيهقى والطبرانى ..

(٢) البقرة : ١٨٥ .

بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

القرآن ، بما له من صلة قدسية ، ففيه تَنزُّل . فشع النور على العالم الضارب فى الظلام ، الغارق فى بحار الجهالة والأوهام قال تعالى : ﴿ آلَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٣] .. ففى ليلة من لياليه جليلة القدر ، عظيمة الشأن . أشرقت الأرض بنور ربها ، وبزغت فيها كواكب العرفان . بنزول القرآن على أكرم إنسان . سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٤] ..

وإنه ليس فى الليالى والأيام . أشرف من ليلة . كانت فاتحة السعادة ، وبدأة الهداية ، ومشرق النور ، ومبعث الخير والفلاح . تلك هى ليلة القدر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَالَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[٥] ..

وقال جل شأنه : ﴿ حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٦] ..

أى أن الله بدأ بإنزال القرآن العظيم . فى ليلة مباركة ، هى ليلة القدر التى تفضل الله بها على عباده بما أنزل فيها من هداية وإرشاد ، وتعليم وتهذيب ، فقد أراد الله إنذار الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور . فبعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه القرآن فى تلك الليلة ، التى أعلى فيها منزلته بالوحى ، وشرفه بالرسالة ، ورفع ذكره بالكتاب الخالد . الجامع لألوان الهداية الإلهية .. ونزول القرآن الكريم فى هذه الليلة المباركة من شهر رمضان ، وكلما هلَّ هلاله . طاف بالأذهان ذِكْرَى نزول هذا الكتاب الخالد . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . معجزة الإسلام الكبرى ، التى ستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مامن الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[٧] .. وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم كل ليلة من ليالى رمضان .

←

(٣) إبراهيم : ١ .
(٤) الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٥) القدر .
(٦) الدخان : ١ ـ ٦ .
(٧) أخرجه البخارى .

فيدارسه القرآن ، ويتبادلان التلاوة والاستماع حين يسجو الليل ، ويهدأ الكون ، فيواطىء القلب اللسان ، ويتذوقان حلاوة القرآن وعذوبته .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم : أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل : فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من ليالى رمضان : فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل : أجود بالخير من الريح المرسلة »(٨) لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وأكرمهم ، وأكثرهم سخاء ، كان جوده قبل أن يُبْعث كرما إنسانيا ، فلما أكرمه ربه بالرسالة : صار جوده كرماً ربانيا ، ومن أولى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يتخلق بأخلاق مولاه ، فإذا جاء شهر التنزيل : فمن دُونِه البحر فيضاً وصفاء ، ومن دُونِه الريح انطلاقا ورُخَاء ..

إن شهر رمضان هو شهر الأمة الإسلامية ، والدولة الفتية ، وهو كما أراده الله لنا . شهر التدريب الروحى والجسمى ، لتخريج النماذج الربانية . الصُّلبة فى إرادتها ، الشفافة فى صفاء رُوحِهَا ، القويَّة التى تتغلب على نزواتها ونزعاتها . الأبية التى لا تستكين لأعدائها ، ولا تعطى الدنية فى دينها .. إنه شهر الصبر بكل ماتحتمله هذه الكلمة من معنى ومدلول ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر »(٩) .. فلن يؤدى الصوم رسالته التهذيبية إلا إذا زجَّ بالصائم . إلى ساحة الصبر الجميل ، والخلق النبيل ، فهو بهذا وسيلة المقاومة ، ومبعث القوى النفسية التى تقارع الشدائد ، وتدافع الأهوال ، وفيه تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة ، ومقاومة الأحداث فيها .. وقد أظهرت أزمات الحياة وشدائدها كثيراً من الصفات المجيدة فى الإنسان ، ولا جدال فى أن أمجدها وأشرفها قوة الاحتمال التى يتحلى بها أفراد وهبهم الله قلوباً كبيرة ، ونفوساً عظيمة تجعلهم يتحملون فى سبيل مبادئهم ، ومصالح بلادهم وأوطانهم أعنف الصدمات .. فهذه الفضيلة . استطاعت أن تقيم بناء المجد فى ربوع البلاد ، وتمكن بها القادة المصلحون ، والزعماء المخلصون من أن يصدوا تيارات الإنحراف والفساد ، ولهذا كان شهر رمضان على مرِّ التاريخ شهر العروبة والإسلام بأمجاده وانتصاراته .. والتاريخ الإسلامى حافل بطاقات هائلة ، ومواكب انتصارات ساحقة كان مسارها وميقاتها شهر رمضان المبارك .

ففى السابع عشر من هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة . وقعت غزوة بدر الكبرى . وهى أول لقاء مسلح بين شعبتى الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر .. ولقد تجلى فى هذه الغزوة الميمونة . قوة إيمان

---

(٨) أخرجه البخارى .

(٩) رواه ابن ماجة .

الصحابة ، وشدة شكيمتهم ، ومقدار عناية الله بهم ، رغم قلة عددهم ، وضآلة عُدَدهم ، وكثرة عدوهم ؛ لأنهم كانوا قد خرجوا لا يريدون حربا ، ولا يحسبون للعاقبة حسابا ، ولكن إيمانهم بالله . كان أمضى من الحسام ، وأقوى من الحديد ، وأحمى من النار .

وفى الحادى والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة وصل المسلمون مكة بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فتمَّ فتحها ، واستسلم أهلها دون قيد أو شرط .. وكان فتح مكة درساً قاسياً للطغاة ، حطَّم ماتبقَّى فى نفوسهم من عنجهية وطغيان ، وصلف وغرور وكبرياء ، كما كان تعبيراً صادقاً عن أن الله عز وجل لن يتخلى عن دعوته ، ولن يدعها نهباً لأعدائها .. وإذا كان فتح مكة قد أقام صرح الحق على أساس من القوة والعدل ، فإنه أيضاً أقام صرح السلام على أساس من الخير والرحمة .. لقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب قريشا : ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فإن تعف فذاك الظن بك ، وإن تنتقم فقد أسأنا !! قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف من قبل : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ..

وفى رمضان . من السنة التاسعة من الهجرة . وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم ، وبالرغم من أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بين الجيشين إلا أنها سجلت للمسلمين نصراً عظيماً ، فقد انسحبت الجيوش الرومانية وحلفاؤها من البيزنطيين ، والقبائل العربية المقيمة على حدود الشام من مواقعهم بعد أن عرفوا قوة الجيش الإسلامى ، والروح العالية التى يتميز بها جنوده المتشوقون إلى خوض المعركة ، مع هذا العدو المتفوق المتجبر ، وعاد الجيش الإسلامى إلى قواعده ، بعد أن قضى على خرافة الجبروت الرومانى .

وفى شهر رمضان من العام الخامس عشر من الهجرة وقعت معركة القادسية ، وانهزمت فيها جيوش الفرس ، وارتفعت بعدها رايات الإسلام عالية خفاقة على أرض فارس .

وفى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة عبر المسلمون البحر بجيش جرار يقوده الشاب المسلم الأسمر والبطل المغوار طارق بن زياد ، ليخلص الأندلس من الاستبداد والظلم ، وتمَّ النصر على مائتى ألف قوطى كان قد عبأهم حاكم الأندلس الطاغية .

وفى شهر رمضان سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة حدثت موقعة حطين كعلامة بارزة على طريق النصر الإسلامى ، فقد حقَّق صلاح الدين الأيوبى نصره الخالد بإجلاء الصليبيين عن الأرض العربية ، وخاصة فلسطين بعد احتلال استمر ثمانية وثمانين عاماً ..

وفى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة وقعت عين جالوت ، لتسجل نصراً للعرب ←

والمسلمين على موجة التتار العارمة التى جرفت العالم العربى والإسلامى فترة من الزمن فى بربرية ووحشية لم يعرفها التاريخ إلا فى العصر الحديث .

وفى شهر رمضان . سنة ستمائة وست وستين من الهجرة . استولى الملك الظاهر على إنطاكية ، وأخرج منها التتار ، وأسر منهم عشرة آلاف مقاتل ..

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ، ووعد الله لا يتخلف ، حسبما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(١٠) .. ففى العاشر من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين استطاع العرب والمسلمون . أن يستردوا كراماتهم ، وأن يستعيدوا أمجادهم . فلَقَّنوا إسرائيل درساً لن تنساه ، ولن ينساه التاريخ ، فحطَّموا الكبرياء ، وقضوا على الغرور المصطنع ، وحطَّموا أكبر سد مانع عرفه التاريخ ، وهو خط « بارليف » .. لقد ظهرت الروح الإسلامية فى العاشر من رمضان . قوية ظافرة . وكان لصيحة . « الله أكبر » . دوىٌّ زلزل حصون الباطل وأذهب سحره ، وأوقع الرعب فى قلوب العدو الذى ولَّى مدبراً ولم يعقب . وكان لسلطان هذه الكلمة النُّورانية قوة دحرت جبروته ، فضل ضلاله ، وضاع صوابه ، واعتراه التخبط ، فالتوت أمامه السبل ، وأعمى الله بصره وبصيرته ، فأوقعه فريسة للشجعان الأبطال ، والجنود البواسل ، المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وأمتهم ، وتم النصر الذى قلب موازين العالم ، الذى خدع طويلاً بالدعايات المسمومة ، فهب مبهوراً ، يعيد تقدير حساباته على ضوء الحقيقة الناصعة الجديدة ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١١) ..

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

المدير العام السابق للدعوة

والإعلام الدينى بالأزهر

---

(١٠) غافر : ٥١ .

(١١) الروم : ٤٧ .

رجال القراءات

الإمام حمزة الكوفي

٦

للأستاذ الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

سادس القراء العشرة الامام :
ابو عمارة حمزة بن حبيب بن عمـــارة بن إسماعيل الزيات ــ الكـــوفى القَرَضِى ، التيمى مولاهم . وهو من تابعى التابعين ، كان عالما بتجويدكتاب الله ، عارفا بالفرائض (علم الميراث) والعربية ، حافظـــا للحديث ورعا .
قال ابن الجزرى : ادرك الصحابة بالسن فيحتمل ان يكون راى بعضهم . ا هـ .
لم يكن يتكسب بالقرآن يرجو بذلـــك « الفردوس » .

مولده : ولد سنة ثمانين ــ أيام عبد الملك ابن مروان .

وفاته : توفى بطوان سنة أربع أو ثمـــان وخمسين ومائة ــ أيام المنصور ، أو المهدى . قاله الجعبرى .

وقال ابن الجزرى : سنة ست وخمســين ومائة على الصواب .

وقدم على الكسائى لأنه شيخه .

راويـــاه

أول راوييه : أبو محمد خلف بن هشـــام ابن ثعلب بن خلف بن هشيم بن ثعلب بن مقسم ابن غالب أبو محمد الأسدى ــ ويقال خلف ابن هشام بن غراب ــ **الامام العلم البزّار** ــ بالراء ــ البغدادى .

أصله من (فم الصِلح) ــ بكسر الصاد ــ .

مولده : ولد سنة خمســـين ومائة .. وفى (غاية النهاية لابن الجزرى : مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد) .

وثانيهما : أبو عيسى بن خالد ، الصيرفى الكوفى . وهو أضبط أصحاب سليم . كما قاله

←

الدانى . وكان محققا مجودا ، إماما فى القراءة.

لم نقع على سنة مولده ــ رحمه الله .

وفاته : توفى سنة عشرين ومائتين بالكوفة .

وقد تعددت طرق حمزة على يدى رَاوِيَيْهِ وتلاميذهما وانتشرت وكتب لها البقاء .

أساتذته

قرأ حمزة عَلَى:أبى محمد سليمان بن مهران الأعمش عَرْضا ، وقيل الحروف فقط ــ وقرأ حمزة أيضا عَلَى:أبى حمزة حمران بن أعين ، وعلى أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى ، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعلى أبى محمد طلحة بن مصرف اليامى ، وعلى أبى عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب الهاشمى .

وقرأ الأعمش وطلحة على أبى محمد يحيى ابن وثاب الأسدى ، وقرأ يحيى على ابن شبل علقمة بن قيس ، وعلى ابن أخيه الأسود ابن يزيد بن قيس ، وعلى زِرّ بن حُبَيْش ، وعلى زيد بن وهب ، وعلى عبيدة بن عمرو السلمانى ، وعلى مسروق بن الأجدع .

وقرأ حمران على أبى الأسود الدؤلى ، وتقدم سنده ، وعلى عبيد بن نضلة ، وقرأ عبيدة على علقمة ، وقرأ حمران أيضا على محمد الباقر ، وقرأ أبو إسحاق على أبى عبد الرحمن السلمى ، وعلى زر بن حبيش ، وتقدم سندهما، وعلى عاصم بن ضمرة ، وعلى الحارث ابن عبد الله الهمدانى .

وقرأ عاصم والحارث على علىّ . وقرأ ابن أبى ليلى على المنهال بن عمرو وغيره . وقرأ المنهال على سعيد بن جبير ــ وتقدم سنده .

وقرأ علقمة ، والأسود ، وابن وهب ، ومسروق ، وعاصم بن حمزة والحارث أيضا ــ على عبد الله بن مسعود .

وقرأ جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر.

وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين .

وقرأ زين العابدين على أبيه الحسين .

وقرأ الحسين على أبيه علىّ بن أبى طالب.

وقرأ علىّ وابن مسعود رضى الله عنهما ــ على رسول الله ﷺ .

تلاميذه

وكان حمزة امام أهل الكوفة فى عصره . أخذ القراءة عنه سفيان الثورى (١) . وقرأ عليه أجلة أهل الكوفة ــ شريك (٢).وأبو الأحوص سلام بن سليم ، ويوسف بن أسباط ، وعثمان ابن زائدة ، ومحمد بن فضل بن غزوان ، وحسين (٣) الجعفى ، وشعيب بن حرب ، وجرير بن عبد الحميد ، وعلى بن حمزة الكسائى ، وأبو إسحق ، وأبو اسحق الفزارى، ويحيى بن اليمان ، وغيرهم .

قال ابن مجاهد : حدثنى ابن أبى الدنيا ، قال: قال محمد بن الهيثم المقرى : أخبرنى الحسن ابن بكار أنه سمع شعيب بن حرب يقول : أَمَّ

---

(١) سفيان الثورى أحد أعلام القراء المحدثين ــ توفى بالبصرة ١٦١ هـ .

(٢) شريك هو:شريك بن عبد الله القاضى النخعى ــ توفى سنة ١٧٧ هـ . ولبقية تلامذة حمزة تراجم فى طبقات القراء لابن الجزرى .

(٣) هو الحسين بن على الجعفى أحد الأعلام ــ رَوَى القراءة عن أبى عمرو بن العلاء ، وعن حمزة ، وعن أبى بكر بن عياش عن عاصم .

حمزة الناس مائة • وان سفيان الثورى درس على حمزة القرآن أربع دَرْسات •

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن الهيثم قال : سمعت خلف بن تميم يقول : حدثنى حمزة الزيات أن سفيان الثورى عرض عليه القرآن أربع عرضات (٤) • قال : وقال حمزة أتانى على بن صالح فسألنى أن أقرئه •

أخبرنى هارون بن يوسف عن أبى هشام - هو محمد بن يزيد بن رفاعة من أئمة القراءات فى القرن الثالث ، توفى وهو قاض على بغداد سنة ٢٤٨ هـ : كان أقرأ من قرأ على حمزة فى الزمن الأول أربعة: إبراهيم بن على الأزرق ، وكان كثير من الناس يقدمونه على سليم بن عيسى الكوفى • ولم يكن بالحافظ ، وخالد بن يزيد الطبيب الكوفى • وخلاد الأحول • وكان عبد الرحمن بن أبى حماد أكبرهم وأعلمهم بالقرآن ، وهو من أهم تلامذة حمزة، وهو أحد من خلفوه بالقيام على القراءة ، وكذلك عن أبى بكر بن عياش عن عاصم ، كان خلاد قد قرأ عليه • وكان قارىء آخر ولم يكن مثلهم يقال له سلم الأبرش •

قال أبو هشام : ضبط الكسائى القراءة على حمزة وعبد الرحمن بن أبى حماد قرأ عليه •

وقال ابن أبى الدنيا : قال حدثنا الطيب أبو حمدون بن إسماعيل الذهلى تلميذ شعيب • عن شعيب بن حرب ، قال سمعت حمزة يقول: ما قرأت حرفا قط إلا بأثر • وكان حمزة متبعا لآثار من أدرك من أئمة القراء عالما بالقراءة ومذاهبها •

قال مطين محمد بن عبد الله : قال حدثنا عقبة بن قبيصة بن عقبة قال : حدثنى أبى • كنا عند سفيان الثورى فجاءه حمزة ، فكلمه • فلما قام قال سفيان : أترون هذا ؟ ما قرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر •

عن على بن حسن الطيالسى : قال سمعت محمد بن الهيثم المقرىء يقول : أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة، ولا أعلمنى أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرءون قراءة عاصم •

على بن الحسن • قال : سمعت محمد بن الهيثم يقول : حدثنى عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : سمعت حمزة يقول : إن لهذا التحقيق • (يعنى: تحقيق الهمزة) منتهى ينتهى إليه • ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى ينتهى إليه • واذا زاد صار برصا ، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهى إليه ، فاذا زادت صارت قططا (٥) • ويروى عنه أنه قال : انما الهمز رياضة فاذا أحسنها الرجل سهلها •

مذهبه فى القراءة

كان حمزة رضى الله عنه يخفى التعوذ فى أول القراءة ، ويبسمل فى أول كل سورة ، ولا يبسمل بين السورتين ، فيكون القرآن عنده كالسورة الواحدة •

وقرأ حمزة : (الصراط) و (صراط) - باشمام الصاد الزاى • كذلك كان يقرأ بضم هاء الضمير من (عليهم - و (اليهم) و (لديهم) - بضم الهاء بناء على الأصل • وكان لا يسبع

(٤) انظر فى الخبر غاية النهاية فى ترجمة سفيان •

(٥) انظر هذا الخبر فى غاية النهاية لابن الجزرى •

رجال القراءات

المد فى الضربين — المتصل والمنفصل قدرا واحدا • ويمد للمبالغة — (لا ريب) — ، و — (لاجرم) — ، — و (لامرد) — وما أشبه ذلك •

وكان يبدل الهمزة الساكنة حرفا من جنس حركة ما قبله • اذا كان مفتوحا — يبدله ألفا ، أو مضموما يبدله واوا ، أو مكسورا يبدله ياء •

وكان ينقل حركة الهمز الى الساكن الذى قبلها ، ويحذف الهمزة عند الوقف — وكان يقرأ بالسكت بغير تنفس على لفظ — ال — وشىء — وعلى المفصول نحو — (آمن) — ، — و (قد أفلح) — ، وعلى الموصول كذلك ، وعلى المد المنفصل والمتصل مبالغة فى التحقيق • وللتمكن للنطق بالهمزة لصعوبته •

وكان يقف على الهمزة الساكنة والمتحركة اذا وقعت طرفا فى الكلمة بتسهيلها ، ويصل بتحقيقها ، فإذا سهل المضموم ما قبلها أبدلها واوا فى حال تحريكها وسكونها • نحو قوله — (لُؤْلُؤًا) — ، و — (إِنِ امْرُؤٌا) — وشبهه ولم تأت فى القرآن ساكنة • واذا سهل المكسور ما قبلها أبدلها فى الحالين — ياء — نحو قوله عز وجل : — و (هَيىءُ لنا) — ، و — (نَبِّىء عبادى) — ، و (نُبَوِّىء) و — (من شَاطِىءِ) — وشبهه •

واذا سهل المفتوح ما قبلها أبدلها فى الحالين ألفا — نحو قوله عز وجل — (إن يشأْ) — ، — (ذرأ) — ، — (بدأ) — ، — (يُسْتَهْزَأ) ، — (الملا) — وشبهه الروم والاشمام ممتنعان فى الحرف المبدل من الهمزة لكونه ساكنا محضا • فاذا سكن ما قبل الهمزة وسهلها ألقى حركتها على ذلك الساكن • وأسقطها ان كان ذلك الساكن أصليا غير ألف نحو : — (المرءُ) — ، (دفءُ) — ، (الخبءَ) — ، (شىء) — ، (سوء) ، — (من سوء) — ، (سىءَ) ، — (جىءَ) — ، (المسِىءُ) — ، (يُضِىءُ) — وشبهه • فان كان الساكن زائدا للمد وكان (ياء) أو (واوا) — أبدل الهمزة مع الياء (ياء) ، ومع الواو (واوا) وأدغم ما قبلها فيهما نحو قوله : — (برىء) — ، — (النَبِىءُ) — (ثلاثة قُرُوءٍ) — وشبهه • والروم والاشمام جائزان فى الحرف المتحرك بحركة الهمزة ، وفى المبدل منها غير الالف إن انضما ، والروم إن انكسرا ، والإسكان إن انفتحا — كالهمزة سواء • وإن كان الساكن ألفا سواء كانت مبدلة من حرف أصلى ، أو كانت زائدة • أبدلت الهمزة بعدها ألفا بأى حركة تحركت ، ثم حذفت إحدى الألفين للساكنين • وان شئت زدت فى المد والتمكين لتفصل بذلك بينهما ولم تحذف • وذلك الْأَوْجَهُ وبه ورد النص عن حمزة • وذلك نحو قوله عز وجل — (والسماء) — وبالله التوفيق •

هذا ما يتعلق بحكم الهمز المتطرف • وأما ما يتعلق بالهمز المتوسط بنفسه أو بغيره فليطلب فى كتب القراءات •

ومن المقرر عند علماء القراءات أن لحمزة رضى الله عنه فى تخفيف الهمز مذهبين : أحدهما تصريف ، وثانيهما رسم •

ومذهب حمزة فى الادغام فى الحروف التى لا حركة بها قريب من قول أبى عمرو • الا فى الذال فى الجيم • فانه كان لا يدغمه هو ولا غيره من القراء إلا أبو عمرو •

فأما لام (بل) و (هل) فكان حمزة يدغمها فى التاء ، والثاء ، والسين ، والراء • واختلفوا عنه فى (ذال) — (إذْ) مع الزاى والسين والصاد مثل قوله : إذ سمعتموه — النور ١٢ — وإذ زاغت — الأحزاب — ١٠ — وإذ صرفنا — الأحقاف ٢٩ — • عن سليم عن حمزة الإظهار — وروى خلاد عن حمزة الإدغام • ولم يأت به غيره •

وروى أبو شعيب السوسى عن اليزيدى — عن أبى عمرو — أنه كان يدغم — (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) — النور ٦٢ — ولم يأت غيره •

وروى خلف عن سليم أنه كان يقرأ عليه — يعنى على حمزة — (بل طبع الله —) مدغما فيجيزه • وكان من المكثرين فى الامالة الكبرى فى ذوات الياء •

آراء نحوية

فمن ذلك — (والأرحام) — من قوله تعالى : فى صدر سورة النساء — (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ » — سورة النساء آية (١) •

فحمزة يخفض ميم (الأرحام) عطفا على الضمير المجرور فى (به) من غير إعادة الجار •

وعارض بعض نحاة البصرة هذا المذهب ، أعنى العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار • وكان ينبغى عدم المعارضة فالكتاب العزيز حجة على النحاة وليست استنتاجاتهم حجة عليه ، ومذهب الكوفيين المتتبع بسعة كلام العرب يؤيده ، قال الألوسى — رحمه الله :

وأول من شنع على حمزة فى هذه القراءة أبو العباس المبرد حتى قال : لاتحل القراءة بها ، وتبعه فى ذلك جماعة — منهم ابن عطية — وزعم أنه يردها وجهان :

أحدهما : أَنَّ ذكر أن (الارحام) مما يتساءل بها لا معنى له فى الحض على تقوى الله تعالى ، ولا فائدة فيها أكثر من الاخبار بأن الأرحام يتساءل بها ، وهذا مما يغض من الفصاحة •

والثانى : أن فى ذكرها على ذلك تقرير التساؤل بها ، والقسم بحرمتها ، والحديث الصحيح يرد ذلك ، فقد أخرج الشيخان عنه ﷺ « من كان حالفا فليحلف بالله تعالى أو ليصمت » •

وأنت تعلم أن حمزة لم يقرأ كذلك من نفسه ولكن أخذ ذلك بل جميع القرآن عن سليمان ابن مهران الأعمش • والامام بن أعين • ومحمد بن أبى ليلى • وجعفر بن محمد الصادق — وكان صالحا ورعا ثقة فى الحديث — من الطبقة الثالثة •

وقد قال الامام أبو حنيفة • والثورى • ويحيى بن آدم فى حقه:غلب حمزة الناس على القراءة والفرائض (٦) ، وأخذ عنه جماعة وتتلمذوا عليه ، منهم إمام الكوفة — قراءة وعربية — أبو الحسن الكسائى ، وهو أحد القراء السبعة الذين قال أساطين الدين : إن قراءتهم متواترة عن رسول الله ﷺ ، ومع هذا لم يقرأ بذلك وحده بل قرأ به جماعة من غير السبعة كابن مسعود • وابن عباس • وإبراهيم النخعى • والحسن البصرى • وقتادة • ومجاهد • وغيرهم — كما نقله ابن يعيش — فالتشنيع على هذا الامام فى غاية الشناعة ونهاية الجسارة والبشاعة

(٦) المواريث •

وربما يخشى منه الكفر ، وماذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين ولسنا متعبدين باتباعهم ، وقد أطال أبو حيان فى البحر الكلام فى الرد عليهم ، وادعى أن ماذهبوا اليه غير صحيح ، بل الصحيح ماذهب إليه الكوفيون من الجواز ، وورد ذلك فى لسان العرب نثرا ونظما ، والى ذلك ذهب ابن مالك •

وحديث ان ذكر الارحام ـ حينئذ لا معنى له فى الحض على تقوى الله تعالى ـ ساقط من القول ، لأن التقوى إن أريد بها تقوى خاصة ـ وهى التى فى حقوق العباد التى من جلتها صلة الرحم فالتساؤل بالأرحام مما يقتضيه بلا ريب •

وان أريد الأعم فلدخوله فيها •

وأما شبهة أن فى ذكرها تقرير التساؤل بها ، والقَسَم بحرمتها والحديث يرد ذلك للنهى فيه عن الحلف بغير الله تعالى ، فقد قيل فى جوابها : لا نسلم أن الحلف بغير الله تعالى مطلقا منهى عنه ، بل المنهى عنه ما كان مع اعتقاد وجوب البر ، وأما الحلف على سبيل التأكيد مثلا فمما لا بأس به ففى الخبر «أفلح وأبيه ان صدق » •

وقد ذكر بعضهم أن قول الشخص لآخر : أسألك بالرحم أن تفعل كذا ليس الغرض منه سوى الاستعطاف وليس هو ـ كقول القائل ـ والرحم لأفعلن كذا • ولقد فعلت كذا ، فلا يكون متعلق النهى فى شىء ، والقول بأن المراد هنا حكاية ما كانوا يفعلون فى الجاهلية ـ لا يخفى مافيه فافهم ، وقد خرج ابن جنى هذه القراءة على تخريج آخر ، فقال فى الخصائص : باب فى أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به من ذلك

* رَسْمِ دَارٍ وَقَفت فى طَلَلِه *

أى رب رسم دار ، وكان رؤبة إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : خيرٍ عافاك الله تعالى ـ أى بخير ـ ويحذف الباء لدلالة الحال عليها ، وعلى نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة ، وفى شرح المفصل أن الباء فى هذه القراءة محذوفة لتقدم ذكرها ، وقد مشى على ذلك أيضا الزمخشرى فى أحاجيه ، وذكر صاحب الكشف أنه أقرب من التخريج الأول عند أكثر البصرية لثبوت إضمار الجار فى نحو ـ الله لأفعلن ـ وفى نحو ـ مامثل عبد الله ولا أخيه يقولان ذلك ـ والحمل على ماثبت هو الوجه •

ونقل عن بعضهم أن الواو للقسم على نحو ـ اتق الله تعالى فوالله انه مطلع عليك ـ وترك الفاء لأن الاستئناف أقوى الأصلين وهو وجه حسن •

وأجاب العلامة الجعبرى عن ذلك بأن مذهب أكثر البصريين اشترط إثبات الجار فى المعطوف (لفظا) نحو ـ(بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) القصص ٨١ (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) ـ الزخرف ـ آية ٤٤ او (تقديرا) اختياريا نحو ـ (وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) البقرة آية ٢١٧ ـ على رأى قوله : وما فيها غيره وفرسِه • وأنشد سيبويه :

فاليوم قد قربت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فمابك والأيامِ من عَجَبِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •

الإسراء والمعراج

فى السنة المطهرة

٢

لفضيلة الشيخ
عبد الحميد محمد على ندا

الحادية عشرة : رؤية الحلال والحرام

جاء فى رواية ابن جرير والبيهقى وغيرهما عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أَخْونَةً(١) عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ورأى أخونة أخرى عليها لحم قد أروح(٢) وأنتن عندها أناس يأكلون منها فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال .

وهذه المرئية توضح لنا مدى جهل العصاة وخفة عقولهم ؛ فإذا علم الإنسان أنه مرزوق لا محالة وأن رزقه سيأتيه ، وأن الله ـ عز وجل ـ قد أوضح طريق الكسب الحلال والخبيث فلماذا الوقوع فى المحرمات ؟.

ثم تتتابع المرئيات بعد ذلك توضح لنا جزاء الطائعين الذين كسبوا حلالاً وأكلوا حلالا وصرفوا شهواتها فى حلال وتكلموا بالحلال .

إن تحرى الحلال يرتفع بصاحبه إلى مستوى كريم من الأخلاق . أما الوقوع فى الحرام فإنه يردى صاحبه ويودى به ويورده موارد التهلكة ـ والعياذ بالله ـ وهذا ما توضحه المرائى الآتية :

الثانية عشرة : صورة آكلى أموال اليتامى ظلماً :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير السابقة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً مشافرهم(٣) كمشافر الإبل فتفتح أفواههم فيلقون من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم ، وسمعهم يضجون إلى الله ـ عز وجل ـ فقال :

←

(١) موائد .
(٢) أخرج ريحا ، وهى هنا كريهة .
(٣) شفاههم .

من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً . إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

إن اليتيم شخص ضعيف مات أبوه وعوده رطيب لم يقو على مجابهة أعاصير الحياة ومن يعتدى على ماله انتهازى جبان ميت الحس والضمير ، لأنه يأخذ ما يعجز صاحبه عن دفعه عنه ، ويلبس ثياب الناصحين أهل الصلاح والتقوى وهو فى واقع الأمر ذئب غادر مختلس .

ومن ثم جاءت مشافره فى هذه المرئية كمشافر الإبل غليظة لا تحس ، واسعة تلف الأخضر واليابس والخشن والناعم ثم تلقمه جميعاً دون مضغ أو معالجة ، ولابد أن يكون جزاؤهم كعملهم يلتقمون لحماً نتنا يحرق بطونهم ، ويمزق أحشاءهم ، لا يستفيدون منه فى دنياهم بل هو مدمر لهم فى دنياهم محرق لأجسادهم فى أخراهم .

الثالثة عشرة : صورة آكلى الربا

جاء فى رواية أبى حاتم والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول : اللهم لا تقم الساعة قال : وهم على سابلة آل فرعون قال : فتجىء السابلة فتطؤهم قال : فسمعتهم يضجون إلى الله فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .

وهذه المرئية توضح لنا وظيفة المال فى هذه الحياة إذ المال ليس مقصوداً لذاته وإنما هو وسيلة من وسائل الكسب الشريف ، يعين صاحبه ويهيىء له عملاً يرتزق منه ، أما أن يوظف المال ليعمل فيه الآخرون ويجلس صاحبه بدون عمل[٤] يأتيه كسب الغير ليأكله أو يكدسه بعضه فوق بعض فهذا انحراف عن وظيفته التى خلقه الله من أجلها وهذا ما يوضحه لنا الحق تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ رداً على الذين قالوا : « إنما البيع مثل الربا » إذ البيع صاحبه يعمل ويتعرض هو وماله لهزات الكسب والخسارة يحمد الله ـ عز وجل ـ إن كسب . ويلجأ إلى مولاه إن خسر ، يتعرض البائع فى السوق ليرى المحتاجين فيرحمهم وعلى الجملة فإنه يعيش بين الناس ، أما المرابى فإنه أغلق عليه بابه وأغلق منافذ الحس فى جسده وجلس آمناً ينتظر الكسب الحتمى اللازم ولم يصغ لقانون تقلب الأيام وتداولها بين الناس فى نفسه حساباً ، ينتظر الربح ولو أفلس الآخرون ودمرت بيوتهم وتشردت أسرهم ، ومن ثم كانت صورة بطونهم كبيرة أمثال البيوت تحوى وتجمع وتزيد ولا يخرج منها شىء ، ومن كبرت بطنه تثاقل

(٤) لا يدخل فى هذا القسم من يعطى ماله أو جزءاً منه ليتاجر له آخر على اقتسام الربح بينهما أو مثالثته ، وهو شريك للمتاجر فيه ربحاً وخسارة ، إنما هو خاص بآكلى الربا الذين يقرضون ذوى الحاجة المضطرين المشرفين على ضياع ليسترد قرضه منهم أضعافاً مضاعفة أولئك الذين يستغلون آلام الناس ليعصروها ذهبا فى جيوبهم بل على أن ينتهزوا الفرصة لتفريج كروبهم ، ومد يد العون إليهم . وهذا جزاؤهم .

وفترت همته ، وهم لذلك يرجون ألا تقوم الساعة ، وما أروع ما صورتهم المرئية فى تلك الصورة البشعة التى تعلوها أخفاف الإبل وأظلاف الغنم والبقر . فكلما علا المال على كل اعتبار فى دنياهم فإنه يعلو الآن عليهم .

ثم هم بعد ذلك مجهودون متخبطون لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فكما انسدت أمامهم الحيل فى الدنيا فلتغلق الآن أمامهم الأبواب فلا رجاء فى ثواب ولا مطمع فى عافية ..

الرابعة عشرة : صورة الزناة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نىء قذر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال : ما هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : « هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح . والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح » .

كى يعمر الله عز وجل هذا الكون بذلك النوع الإنسانى الكريم ولكى تظل تلك السلالة باقية على وجه هذه البسيطة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها . ركب فى الإنسان تلك الغريزة الجنسية ، أودعها سبحانه إياه كما أودع فيه حاجته إلى الطعام والشراب ولكى لا يظهر ذلك النوع المفضل فى صورة حيوانية قذرة شرع سبحانه الزواج كى تقضى تلك الرغبة فى ستر أمين وفى مورد كريم لا تلغ فيه الكلاب ولا تأوى إليه الهوام . ومن ثم كانت الزوجة سكناً ولباساً . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم ٢١ ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة ١٨٧ .

أما الذين تمتد أعينهم إلى غير ما أحل الله فهم قوم قد انحرفت أمزجتهم وفسدت طبائعهم كما فسد طبع هؤلاء الذين يتركون اللحم النضيج الطيب ليأكلوا لحماً نتناً قذراً . ثم هم بعد ذلك يعرضون أنفسهم لأمراض خطيرة وفتاكة كما يعرض أكل النتن نفسه للهلاك والدمار . ألا ما أقسى الصورة وما أقبح الفعال .

الخامسة عشرة : صورة الكلمة

جاء فى رواية ابن جرير والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا ياجبريل ؟ فقال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

إذاً كم دون لسان المرء من حجاب ؟ « الصمت حكم وقليل فاعله .[٥] لسان المؤمن وراء قلبه ، وقلب المنافق وراء لسانه » .[٦]

---

(٥) قال ابن حجر فى المغنى : والصحيح عن أنس أنه من كلام لقمان ، ورواه هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس . أ هـ المغنى لابن حجر على الإحياء ج ١٠٨/٣ ط/دار الفكر .

(٦) « إن لسان المؤمن وراء قلبه .. إلخ » قال ابن حجر فى المغنى : لم أجده مرفوعا ، وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال : « وكانوا يقولون » أ هـ المغنى عن حمل الأسفار على الاحياء لابن حجر ج ١١٠/٢ ، ١١١ ، طبع دار الفكر .

بهذه الحكم النبوية الرائعة وجوامع الكلم العظيمة كان صلوات الله وسلامه عليه يعلم المؤمنين ويحذرهم من موارد اللسان وكم كانت نصيحته صلوات الله وسلامه عليه لبعض أصحابه « أمسك عليك لسانك »(٧) .

وما ذاك إلا لأن الكلمة طالما هى حبيسة فى نفس قائلها فهى مِلْكُهُ ، وهو مالك زمام أمره . أما إذا خرجت من فيه فإن الأمر أصبح لها هى ، وهو أسيرها يخشى أن تتسرب أو تشيع فيتفاقم الخطر ويعظم الخطب ولا يستطيع قائلها أن يردها إلى صدره مرة أخرى فيحبسها فيه كما لا يستطيع ذلك الثور العظيم أن يرجع إلى الجحر الصغير الضيق الذى خرج منه .

وفى تصوير الكلمة بالثور العظيم إيحاء بأن الثور إذا ما هاج خَرَّبَ ودمّر ، وأتلف الزرع وأفسد الضرع وعجز صاحبه عن كبح جماحه ووقف مكتوف اليدين ، وهذا شأن صاحب الكلمة التى أنشأها يقف مذهولاً أمام آثارها المخربة ، وأضرارها المدمرة .

السادسة عشرة : صورة العيابين

جاء فى رواية الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى النار قوماً يأكلون الجيف فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس . وجاء فى رواية البيهقى وأبى حاتم عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له : كل كما كنت تأكل من لحم أخيك فقال : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

وروى الإمام أحمد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عرج بى إلى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

قد لا يدرى من يعيب الآخرين أنه إنما يتحدث عن نفسه هو ويرسم لنفسه صورة كئيبة فى نفس سامعه يلقى عليها أوحالا كلما أغرق فى الذم والهجاء . إن المستمع إلى أحاديثنا - وإن أسلم لنا وجهه وأذنه وأظهر تصديقنا فيما نقول - إنه فى الحقيقة يغشنا لأن نفسه تحدثه هى الأخرى ماذا وراء قول فلان ؟ لابد أنه قد رفض له مطلباً ، أو سبقه فى بعض الميادين .

إن الذين يعيبون الآخرين هم الذين فشلوا فى حياتهم ولم يستطيعوا اللحاق بالسابقين فتبعوهم بسباب كنباح الكلاب حينما تعجز عن إدراك ما تريد .

وهل وراء عيبى لأخى وزميلى إلا القدح فى نفسى ؟ وكيف لا وهو نِدٌّ لى ؟ وما كان فيه من عيوب فَهِىَ فىّ ولاشك ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ . ألا ما أقبح الصورة تنوعت وتعددت كما تفنن أصحابها

(٧) الترمذى : الزهد ، باب ما جاء فى حفظ اللسان ج ٤/٣١ رقم ٢٥١٧ط/دار الفكر بلفظ : « املك عليك لسانك ... إلخ » وقال : حديث حسن .

فى عيب الناس مرة بالهمز وأخرى باللمز وتارة باللسان وأخرى بطرف العين .

السابعة عشرة : صورة الجنة والنار

جاء فى رواية مسلم عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر فريضة الصلاة قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك . وجاء فى رواية ابن جرير والبيهقى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريحَ مسك ، وسمع صوتاً فقال : ياجبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة ؟ وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول يارب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت غُرَفى واستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وأكؤسى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى فائتنى بما وعدتنى فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحاً ولم يشرك بى شيئاً ولم يتخذ من دونى أنداداً ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى أعطيته ومن أقرضنى جزيته ومن توكل على كفيته ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أُخْلُفُ الميعاد . وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين . قالت : قد رضيت . قال : ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال : ما هذه الريح ياجبريل وما هذا الصوت ؟ فقال : هذا صوت جهنم تقول : يارب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغَسَّاقى وعذابى وقد بعد قعرى واشتد حرى فآتنى بما وعدتنى قال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت .

وفى ختام تلك المرائى التى عرضها الحق جل علاه لنبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أرى صلوات الله وسلامه عليه الجنة والنار حتى إذا ما حدث الناس عنهما حدث حديث الرائى بعينه المشاهد وليس الخبر كالعيان ثم إن أهل النار أصناف شتى منهم من ذكر فى الحديث ومنهم من لم يذكر ، وعقاب النار قاس شديد متنوع كل واحد من أهلها يعاقب حسب حاله وعلى قدر ما اقترف من جرائم وأهل النار مهما كثروا فلن تضيق بهم بل ستظل دائماً ، تقول : « هَلْ مِن مَّزِيدٍ(٨) ؟.. أما الجنة وأهلها فحديثهم يحفز على طاعة الرحمن ، ونعيمها سرمدى أبدى دائم ، ومن ثَمَّ طالبت بأهلها وآتاها الله عز وجل سُؤْلَها من المؤمنين الصادقين .

تعقيب

كشف الله عز وجل لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مرائيه عن عقوبات لجرائم لم يحرمها عليهم بعد مثل ترك الصلاة ومنع الزكاة وأكل الربا وغير ذلك(٩) كما كشف الحق سبحانه عن أصناف من أهل الجنة ←

---

(٨) ق ٣٠

(٩) كانت رحلة الإسراء والمعراج فى العام العاشر من بدء الرسالة ولم تكن الصلاة قد فرضت ، ومثلها الزكاة وصوم رمضان والحج ، فالجميع عدا الصلاة توالى فرضها فى المدينة المنورة بعد الهجرة فأما الصلاة فقد فرضت ليلة الإسراء ، وقد كان ثم صلاة قبل ذلك لم تكن مفروضة .

كالمجاهدين في الله ، وأصناف من أهل النار كخطباء الفتنة ، وهم بعد لم يظهروا في الوجود . وما ذلك إلا لأن علم الله عز وجل لا يرتبط بزمان ، فليس شيء يقع في علم الله أَوَّلًا ثم يقع شيء آخر ثانياً ، وإنما الكون كله - بما فيه ومن فيه ومن يوم خلقه الله عز وجل إلى أن يأذن الله بانتهائه - ينكشف في علمه مرة واحدة فلا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل بالنسبة لعلم الله سبحانه إنما الماضي والحاضر والمستقبل إنما هو بالنسبة لنا نحن .

والحق سبحانه حين كشف لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - بعض الصور التي ستنكشف للناس بعد أمد بنهايات الأشياء فما ذلك إلا ليحذر المخالفين ويرغب الطائعين في تلك النتائج التي رآها رأى العين كي يمتثلوا ما أمروا به وينتهوا عما نهوا عنه .

رؤيــة بــلال المؤذن

وهذا ما يفسر لنا ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به دخل الجنة فسمع من جانبها وَجْسا[١٠] فقال : ياجبريـل ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن . فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء إلى الناس : « قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا » .

وبلال كان ، وما زال ، حياً يرزق على ظهر الدنيا وما أذن إلا في المدينة بعد الإسراء بسنين .

وما ذاك إلا لأن الحدود الزمانية والمكانية قد تلاشت في تلك الليلة المباركة بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المرحلة الثالثة : عند بيت المقدس

روى مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بيت المقدس ربط البُراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء . قال : ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل - عليه السلام - حتى أممتهم .

- إذاً كانت رحلة الإسراء قد ربطت بين القبلتين ، واجتازت ما بين الحرمين ، فكان لابد أيضاً أن تجمع بين رسل الله جميعاً في صعيد واحد يقومون لله رب العالمين خاشعين ضارعين مصلين شاهدين بأنهم جميعاً على صراط الله مستقيمون على طريقته . وإذا كان سيدنا محمد ﷺ قد تأخر زمان رسالته فما ذاك إلا ليكون مسك الختام فليبايعه جميعهم وليقتد به كلهم في صلاة قائمة لله رب العالمين .

كما وقد رآهم رسول الله ﷺ في أماكن متفرقة من الأرض والسماء رآهم رأى العين ووصفهم لأتباعه كما حدثتنا السنة بذلك .

ثناء الأنبياء على ربهم

جاء في رواية ابن جرير والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لقي أرواح الأنبياء وهو بالمسجد الأقصى فأثنوا على ربهم فقال

(١٠) مسند الإمام أحمد : ٢٥٧/١ . وَجْسا : الوجس الصوت الخفي . نهاية .

إبراهيم ـ عليه السلام : « الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً ، وجعلنى أمة قانتاً لله ، يؤتم بى وأنقذنى من النار وجعلها علىّ برداً وسلاماً . ثم إن موسى ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدىّ ، وجعل من أمتى قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً ، وعلمنى الزابور ، وألان لى الحديد ، وسخر لى الجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح ، وسخر لى الشياطين يعملون لى ماشئت من محاريب. وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمنى منطق الطير ، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكاً عظيماً لاينبغى لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكاً طيباً ليس علي فيه حساب .

ثم إن عيسى ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه ـ عز وجل ـ فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته ، وجعل مثلى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمّى من الشيطان الرجيم ؛ فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل فقال : «.كلكم أثنى على ربه ، وإنى لَمُثْنٍ على ربى فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علىّ الفرقان فيه تبيان لكل شىء ، جعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً خاتماً « فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ﷺ » .

اوصــاف الأنبيــاء

روى مسلم[11] في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ذكر رسول الله ﷺ حين أُسرى به فقال : موسى آدَمُ طِوَّال كأنه من رجال شَنُوءة وقال : عيسى جَعْدٌ مربوع الخَلْق إلى الحُمْرَة والبياض سبط الرأس وروى عنه أيضاً أنه قال : سِرْنا مع رسول الله ﷺ ـ بين مكة والمدينة ـ فمررنا بواد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود (أحد الرواة) واضعاً أصبعيه فى أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادى .

قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : اى ثنية هذه ؟ قالوا : (هَرْشى)[12] أو (لَفْتٌ)[13] . فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبياً .

---

(١١) صحيح مسلم : الإيمان ١/١٥٢ ، ١٥٣ . ط/ الحلبى

(١٢) « هرشى » هى ثنية بين مكة والمدينة . وقيل : جبل قرب الجحفة . نهاية .

(١٣) « لِفْت » ثنية لفت ، وهى بين مكة والمدينة . نهاية .

وجاء فى رواية أخرى له أيضاً : أنه قال : ورأيت إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعنى نفسه . وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره » .

وحرى بنا أن نذكر بعض ما قاله العلماء عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وعبادتهم ، وهم منتقلون إلى الدار الآخرة . قالوا :

إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا . وأن يتقربوا إلى الله عز وجل بما استطاعوا ؛ لأنهم ـ وإن كانوا قد توفوا ـ فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل . ذكره الإمام النووى فى شرح مسلم نقلا عن القاضى عياض جـ ١ ص ٤٠٤ .

وإذا نحن عرفنا أن الإنسان حى وهو فى صلب أبيه حى فى بطن أمه ، حى بعد ولادته إلى مماته ، حى فى قبره يُسْأل ويُنَعَّم أو يُعَذب ، حى فى الدار الآخرة . وعرفنا أن كل حياة من تلك الحيوات لها قانونها الخاص بها يختلف عن قانون غيرها من حيث الغذاء والعمل وغيرهما من الأحوال حتى حياة الإنسان على ظهر الدنيا ذات نوعين من الحالات ، حالة اليقظة ، وحالة النوم ، حالة اليقظة لها قانونها الخاص فى مرائيها ومسامعها وأعمالها وحالة النوم لها قانون آخر يختلف عن قانون اليقظة ، يرى ويسمع ويجرى ويلعب ويطرب دون أن يتحرك من مرقده أو أن تنفتح عينه . وقد يكون النائم بجواره يرى ويسمع مرائى أخرى وأحلاماً تختلف عن مرائى زميله تماماً دون أن يحس كل منهما بالآخر .

ومعنى هذا أن للروح اتصالاً بالجسد فى حالة اليقظة غير ذلك الاتصال فى حالة النوم .

وقلنا : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جعله الله ـ عز وجل ـ فوق قانون بشريته ـ حين أسرى به ، وعرج إلى سماواته العلا ، فلا مانع حينئذ أن يرى من مات وأصبح يتحكم فيه قانون الموت .

ومادمنا قد اقتنعنا بصدق المخبر فليس من حقنا بعد ذلك أن نناقش الخبر . إنَّ عرض الخبر على عقولنا لتقبله أو ترفضه دليل على نوع من الشك فى المخبر ذاته .

وقد جاءنا الخبر الصادق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى مسراه كيت وكيت فلا مجال لنا بعد ذلك فى المناقشة .

عبد الحميد محمد على ندا

المسجد الجامع

في ماليزيا

أ. د. رءوف شلبي
وكيل الأزهر

من أحسن الدول الإسلامية - غير العربية- تطبيقاً للسلوكيات الإسلامية (دولة ماليزيا) إحدى دول جنوب شرق آسيا : تتكون ماليزيا من مجموعة ولايات ، كل ولاية يحكمها سلطان هو صاحب السلطة الدينية ورئيس الولاية ومن مجموع هذه الولايات يتكون الاتحاد الماليزي في نظام دستوري حزبي ديمقراطي: الملك ينتخب من مجموع السلاطين لفترة معينة ويكون له نائب أيضاً من السلاطين ، ويتجدد الانتخاب ويتولى ملك جديد ملك دستورى والحكومة مع الحزب الذي ينجح في الانتخاب، وهو انتخاب نظيف، ولا ولاية للحكومة على الدين وممارسات العمل الإسلامي فهذه يحكمها قانون الولاية التى يرأسها السلطان .

وقد امتازت الحركة الإسلامية في ماليزيا بالهدوء دائماً إلا في أحيان يهب عليها ريح من رياح الغلو تأتيها من الخارج ، لكن سرعان ما يعود الأمر إلى الطبيعة الملاوية التى تحسن تصوير السلوك الإسلامي تصويراً معبراً ودقيقاً ، وقد لمس هذه الطبيعة مجموعة من وفود بلاد العرب وهم يشاركون في الاحتفال بالمسجد الجامع الجديد فى ولاية (سلانجور) حيث اجتمع أكثر من عشرين ألفاً في رواق واحد وساحة وساعة وزمن واحد . ومع ذلك فإن الخشوع الرتيب الهادىء كان مظلة واسعة على رؤوس القوم كأنما الأنفاس قد حبست فلا تسمع ركزاً ولا همساً ، وقد استمرت ساعات افتتاح المسجد زهاء ثلاث ساعات حسب البرنامج المعد لدخول الناس وحضور سلاطين الولايات ورياسة الدولة والضيوف الكبار من الخارج والروعة الأخاذة هى تلك الصورة المؤدبة للصحفيين والمصورين الذين لم يتجاوزوا الحد الذي ضرب لهم ، والحركة الرتيبة المتأنية التى فرضت عليهم ، ولقد كان افتتاح المسجد الجامع في ولاية سلانجور صورة حية لملامح أسلوب الحركة الإسلامية في ولايات الملايو ، وآية بينة في معنى إسلام الوجه لله ، ومعنى التعبد الصادق الذى تظهر فيه سماحة الإسلام ونبله وعظمته في إيجاد مجتمع هادىء ودود منظم ؛ إذ أن السلوكيات

←

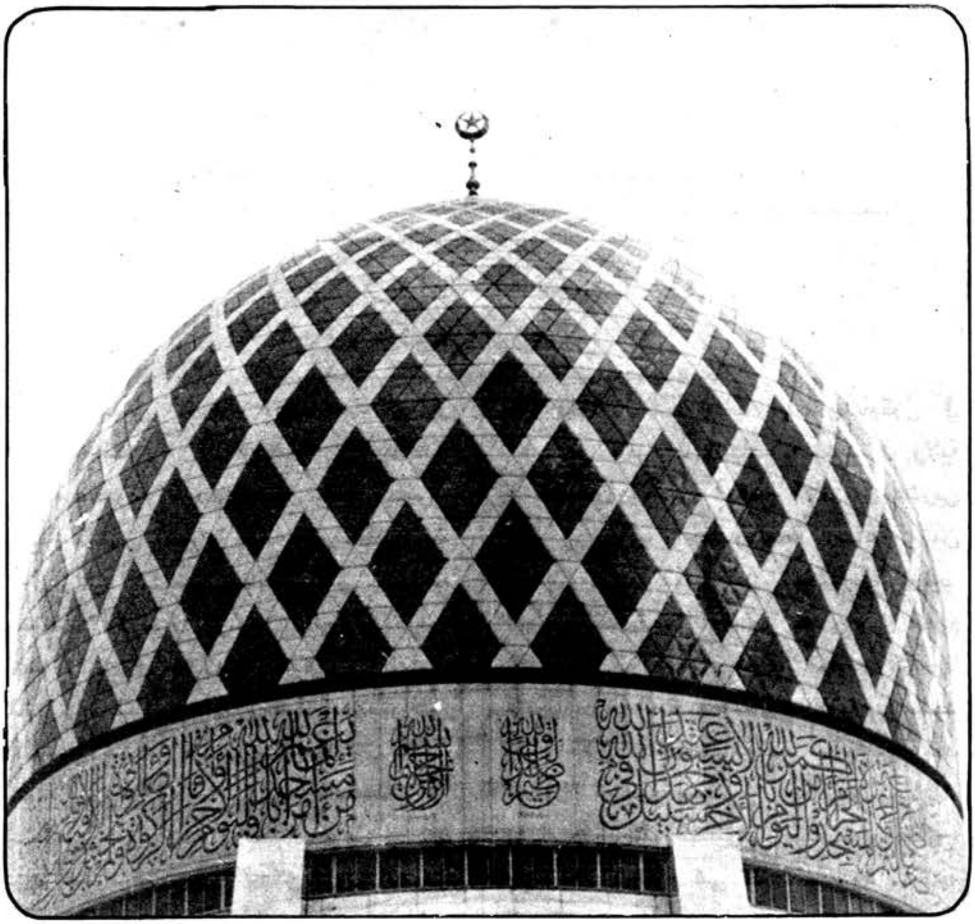

الإسلامية في ماليزيا تخضع للمذهب الشافعي الذي لا يجيز تعدد الجمعة إلا عند الضرورة القصوى ، وقد عالج الفكر الماليزي هذه الضرورة بأسلوب عملي فنشر المساجد للصلوات الخمس وصلاة الجماعة في كل حي ووحد صلاة الجمعة في المسجد الجامع الذي يسع آلاف الناس حسب مستوى الكثافة أو مئاتهم إن قَلَّتِ الكثافة ، فأنت ترى بين مجموعات القرى الصغيرة مسجداً جامعاً يحملهم جميعاً يوم الجمعة ، بينما ترى فى كل قرية مسجداً أو مسجدين صغيرين للصلوات الخمس أو كما يعتبرون لصلاة الجماعة .

والأسرة الماليزية نشيطة في أداء الصلوات والعبادات ، وهى فى هذا النشاط رتيبة ومنظمة .

فالكل يصلى فى المسجد ، وساعة صلاة المغرب أو العشاء لا تجد أحداً في بيته بل إننى علمت في زيارتى الأخيرة لماليزيا من

١٠ ـ ١٥ مارس سنة ١٩٨٨ م أن توجيهات من الدولة قد صدرت لكى يشارك كل مسئول في الصلوات الخمس بالمساجد : يعني مساجد الجماعة، وقد شاهدت ذلك عندما ألقيت عديداً من الدروس فى مساجد بعيدة جداً عن العاصمة .

والمساجد سواء كانت للجماعة أو للجمعة فهى غاية في النظافة ، وقد وضعت علامات للصف بالقماش الأبيض حتى يعتدل الصف فهم ليسوا فى حاجة إلى قول الإمام :"سووا الصفوف وسدوا الفرج" وقد حولوها إلى عملية نظامية بالفعل كما أن أصواتهم في المساجد خفيفة جداً، ويختمون الصلاة بجمهورهم جميعاً لا يتخلف أحد عن الجماعة كما نجد عندنا في مساجدنا ـ فقد اعتادوا الحضور قبل الأذان، واعتادوا صلاة السنة جميعاً واعتادوا الصلاة جماعة ، وختام الصلاة جماعة وجهراً، فلم تظهر فيهم البدع التى استحدثها المتخلفون والداعون إلى التخلف ولا ظهرت الفتن بارتفاع الأصوات في المساجد بالجدل والمراء والحدة والتضارب؛ لأن الكلام في المساجد كالنار تأكل الحسنات .

كذلك من رتابة نظام المساجد صغيرها وكبيرها للجماعة أو للجمعة ـ أنك تجد (سبورة) عليها برامج التثقيف الديني التى يزاولها العلماء في المسجد وأغلبها يكون تطوعاً فتجد مثلاً :

درساً : للتفسير للشيخ فلان .
ودرساً : للحديث للشيخ فلان
ودرساً : في التجويد .
ودرساً : في العقيدة .
ودرساً : فى الفقه .
ودرساً : في السيرة النبوية ..... إلخ .

وهذه الدروس يحضرها الرجال والنساء وبينهما ستارة من القماش تفصل بينهما ، ولولا هذه الستارة ما تدرك أن في المسجد سيدة؛ ذلك لأن المرأة الملاوية اعتادت الصمت المطلق في المساجد فلا يرى منها قلامة ظفر ولا يسمع لها من ركز .

وأن انصراف الناس من المسجد لا ترى فيه تدافعاً ولا تشعر فيه بازدحام ولا همهمة صوت ، ولا ضغط مناكب ولا تلاحق بالأقدام بل إنك لتشعر بانسياب هادىء كأنما صفحة ماء تسيل وتتابع في هدوء وتناغم مما يصور تماماً الخلق الإسلامي والمودة الإسلامية والإخاء الإسلامي والنظام الرتيب الذي يجب أن ينبثق من عقلية مسلمة ..

على ذمة المسجد الجامع للجمعة أقام السلطان صلاح الدين بن السلطان عبد العزيز شاه سلطان ولاية سلانجور مسجده الجامع في العاصمة الجديدة التى بناها لتكون عاصمة لولايته ، وقد أقيم المسجد على رقعة ٤٠ فداناً ومساحة المسجد تسع ٢٧ ألف مصلٍّ وبالمسجد مجموعة من وسائل العمل الإسلامي ففيه :

* معهد لإعداد الدعاة وتدريبهم .
* ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .
* وقاعة كبرى للمحاضرات وإحياء مناسك الإسلام مثل الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ، وليلة الهجرة ، والإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان ، وليلة القدر ...
* وقاعة لعقد القران .
* ودار للضيافة .
* وصالون لاستقبال السلطان وضيوفه .

المسجد الجامع في ماليـزيا

* ومكتبـة عامـــة .

* ومـرافق أخرى مثـل الكافتـريا .. والمخازن ....

وقد أكد السلطان صلاح الدين في خطاب افتتاح المسجد يوم الجمعة ١١/٣/١٩٨٨ م أن المسجد هو أول بيت للثقافة والتعليم والرعاية الاجتماعية وهو مجمع المودة والاخوة بين المسلمين ومنه يجب أن تنطلق الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الآفاق ليحيا الناس على نور من الحقيقة ورضوان من الله .

وقال السلطان : إن التقدم المادى المعاصر لن يسعد البشرية بهذا الكلكل الرهيب وإنما الذى يسعد البشرية إذا كان مع هذا التقدم ما يحمى النفس من الضياع والتردى ، وذلك هو الإيمان بالله والسير على منهج الشريعة فذاك هو الملاذ من التردى وهو العصمة من الضياع .

وقد ذكر السلطان فى خطابه : أن المسجد الجامع هذا تكلف ١٦٠ مليون دولار ما ليزى بما يساوى النصف بالدولار الأمريكى ، وقد شهده ٣٠٠ صحفى من الخارج وعشرون ألف مصلٍ من الداخل والخارج ، وقد حضر هذا الاحتفال مجموعة من كبار أئمة مساجد العالم الإسلامى فى مقدمتهم :

ــ إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة .

ــ وإمام مسجد الجامع الأزهر بالقاهرة .

ــ وإمام مسجد السلطان أحمد الثانى باستانبول .

ــ وإمام المسجد الجامع بأنقرة عاصمة تركيا .

ــ وإمام المسجد الإبراهيمى بفلسطين .

ومجموعة من علماء الدعوة والإفتاء كان فيهم الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى جمهورية مصر العربية .

وقد أقام السلطان حفل عشاء تكريماً للوفود مساء السبت بعد صلاة الجمعة ١١/٣/١٩٨٨م .

كما أقامت السفارات العربية والإسلامية حفلات ابتهاج للضيوف .

وقد شاهد العرب الضيوف ملامح العظمة والرتابة فى سير الدعوة الإسلامية بماليزيا ، وسوف أفرد لها حديثا خاصا إن شاء الله .

وغاية القصد أن الأمة الإسلامية فى ماليزيا صورة حية للسلوك الإسلامي الفاضل بفضل نظام المسجد الجامـع ومسجد الجماعة .

فهل آن لنا فى مصر ونحن بلد الشافعى وبلد الأزهر أن نتعلم كيف نوقر الإسلام ونظهره بالمظهر اللائق به حيث لا ترفع أصوات فى مسجد، ولا تنكر الجمعة فى غرف تحت العمارات وتترك المساجد الكبيرة فارغة .

إن مصر بلد آلاف المساجد فكيف لا تكون هى النبراس والقدوة للسلوك الأمثل فى احترام المناسك، ونظام صلاة الجمعـة، وصلاة الجماعة .

إن ذلك يحتاج إلى جهد كبير من رجال الدعوة والذين ابتلاهم الله بالتصدى للعمل الإسلامى .

فيوم تبلى السرائر يكون الحساب عسيراً ولا تنفع قوة، ولا يجد الإنسان يومها لنفس من ناصر . هذا وبالله التوفيق ،،

(أ . د . / رءوف شلبى)

وكيـل الأزهـر

لقمان والآثار فيه

للدكتور/ محمود محمد رسلان*

أفضنا ـ بمقالنا السابق ـ في الحكمة ، وكيف رآها الأئمة والمقدمون من الناس ، واجتمعت آراؤهم فيها على أنها كل ما يمنع الإنسان من السفه ، وهي ـ على كل رأي ـ خير من الدنيا وما فيها ، فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

وفي الكتاب العزيز :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ واشتهر بـ « لقمان الحكيم » .

فمن لقمان ؟

وما منهجه الذي مارسه فاستحق به هذه المنزلة وأكرم بهذا اللقب ؟

قال سفيان الثوري ، عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل : كان من النوبة .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر.

ولما جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر ابن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبياً ذا مشافر[1] .

وروى ابن جرير بسنده عن خالد الربعي ، قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فقال له مولاه :

ـ اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال :

(*) الكاتب عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

(١) المشفر : شفة البعير الغليظة ، تستعار للإنسان الغليظ الشفة .

لقمان والآثار فيه

أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما . فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا(٢) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد ، ثنا الحكم ، ثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح(٣) القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس الناس يحدثهم ، فقال له ، ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟

قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني .

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته . رآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له : ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس ؟

قال : بلى ، قال : فما بلغ بك ما أرى !

قال : قدر الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركى مالا يعنيني(٤) .

وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القتبانى عن عمر مولى غفرة ، قال : وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ؟ أنت عبد بنى الحسحاس ؟ قال نعم ، قال : راعى الغنم ؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود ؟

قال : أما سوادى فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمرى ؟ .

قال :

وَطْءُ الناس بساطك ، وغشيهم بابك ، ورضاهم بقولك ، قال : يا ابن أخى إن صغوت إلى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان : غضى بصرى ، وكفى لسانى ، وعفة طعمتى ، وحفظى فرجى ، وقولى بصدق ، ووفائى بعهدى ، وتكرمتى ضيفى ، وحفظى جارى ، وتركى مالا يعنيني ، فذاك الذي صيرنى إلى ما ترى .(٥)

ويطوق القرآن هامة لقمان بالتكريم فيقول الله سبحانه عنه :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ « لقمان ـ ١٢ »

قال قتادة : أى الفقه فى الإسلام ، ولم يكن نبياً يوحى إليه ، وقيل : الفهم ، والعلم ،

---

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٣ ط الحلبي .
(٣) منبسط القدمين ليس في باطنهما ارتفاع .
(٤) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٣ .
(٥) المصدر السابق .

والتعبير « أن اشكر لله » أى أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه ، وأهل زمانه ..

وتظهر حكمة لقمان فى وصيته لولده ، وفلذة كبده مما يعد نصيحة للآباء تجاه أولادهم ..

ولقمان هنا : يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، وهكذا واجب الآباء نحو أبنائهم أن يمنحوهم أفضل ما يعرفون ، ولهذا كانت أول وصية لقمان لابنه :
﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ أوصاه بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ثم قال له محذراً : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أى هو أعظم الظلم .. ثم يسترسل لقمان الحكيم رضى الله عنه فى بث ولده وصاياه النافعة ، التى حكاها القرآن الكريم عنه ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ويعلموها ذويهم ، فقال :
﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أى إن المظلمة ، أو الخطيئة ، لو كانت مثقال حبة خردل .. ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ أى يحضرها الله يوم القيامة ، حين يضع الموازين القسط ، ويجازى عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، كما قال سبحانه :
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ « الأنبياء ـ ٤٧ »

وقال سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ « الزلزلة ٧ ، ٨ »

ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السماوات والأرض فإن الله يأتى بها ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ، ولا فى الأرض ، ومن ثم قال سبحانه :
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ، ولطفت وتضاءلت ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بدبيب النمل فى الليل البهيم ..

والظاهر والله أعلم ، أن المراد : أن هذه الحبة في حقارتها ، لو كانت داخل صخرة فإن الله سيظهرها بلطيف علمه[٦] .

أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ، ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان »[٧] .

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ أى بحدودها وفروضها ، وأوقاتها .

←

---

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٤٤٤ .
(٧) مسند الإمام احمد : ٣ / ٢٨ ، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٦ صـ ٣٤١ ط الشعب .

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ اى بحسب طاقتك وجهدك .

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ لما كان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى أمره بالصبر ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ اى إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ اى لا تتكبر فتحتقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ اى لا تتكلم وأنت معرض ..

قال ابن جرير : أصل الصعر : داء يصيب الإبل في أعناقها ، أو رءوسها حتى تفلت أعناقها عن رءوسها فشبه به الرجل المتكبر .

وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ اى خيلاء متكبرا ، عنيداً ، اى لا تفعل ذلك حتى لا يبغضك الله ، ومن ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ اى مختال معجب في نفسه ، فخور على غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ « الإسراء ٣٧ » .

ولما ذكر الكبر عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شدد فيه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إنى لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلى ، وعلاقة سوطى ، فقال : « ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغمط الناس[٨] » . فمن رفض الحق واستعلى عليه واحتقر الناس فهو المتكبر ، وما أحقره !!

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ اى امش مقتصدا مشياً ليس بالبطىء المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلا وسطا بين بين .

وقوله : ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ اى لا تبالغ في الكلام ، ولا ترفع صوتك ، فيما لا فائدة فيه ، ولهذا قال :

﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ..

اى إن أقبح الأصوات لصوت الحمير ، فهو مشبه بالحمير فى علوه ورفعه ، ومثل هذا بغيض عند الله تعالى[٩] ..

أخرج النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً »[١٠] .

(٨) راجع تفسير ابن كثير ٦ / ٣٤٢ ط الشعب .
(٩) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٦ الحلبى .
(١٠) أخرجه البخارى ـ بدء الخلق ، ومسلم ـ الذكر .

وبعـــــد

فهذا لقمان صاحب الحكمة الذي خلده القرآن .

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : يا بنى إياك والتقنع[11] ، فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار[12] » .

وروى ابن حاتم أيضاً بسنده عن الثرى ابن يحيى قال :

قال لقمان لابنه : يا بنى إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك .

وأخرج ابن حاتم أيضاً بسنده عن عون ابن عبد الله قال :

قال لقمان لابنه : يا بنى إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الإسلام يعنى السلام ، ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا في ذكر الله ، فأجل سهمك[13] معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك ، فتحول عنهم إلى غيرهم .[14]

وأخرج الطبرانى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اتخذوا السودان ، فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم ، والنجاشى ، وبلال المؤذن » . قال الطبرانى : أراد الحبش . أى أهل الحبشة .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[15] وأجمل بمن يسمع الحكمة ، فيحرص عليها ويعمل بها .

د . محمود محمد رسلان

(١١) التقنع : تكلف القناعة ، وتقنع : تغشى بثوب ، وتقنع : لبس القناع ، وتقنع فى السلاح : دخل .

(١٢) أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ، والحاكم ٥ / ١٦٢ .

(١٣) أجال القوم الرأى : تداولوا فيه يريد : فشاركهم فى ذكر الله سبحانه فإنه خير كله .

(١٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٧ ط الشعب .

(١٥) البقرة ـ ٢٦٩ .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

٣

وعندما يريد أن يتعرف الكاتب حقيقة على العالم الإسلامى ، فإنه يتعرف عليه من خلال المخططات التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية ويكفينا فى ذلك بعض الأمثلة المختارة .

تم إجراء تحقيق عن الصحافة الصادرة باللغة الانجليزية تحت إشراف وزارة الإعلام فى دولة قطر فظهرت صورة العربى على النحو التالى :

الموضوع الأول ـ العربى بدائى جاهل :

إنه متشبع للرقية ، بدائى وجاهل ، لص يخطف الفتيات ، يعيش تحت الخيام ، يربى الجمال وذو غريزة جنسية دموية .

الموضوع الثانى ـ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كاتب ألف ليلة وليلة .

والتقرير نفسه يشير أيضا إلى أن مجموعة من مجموعات الموظفين الأمريكيين التى قصدت العربية السعودية للعمل فى الشركة النفطية « أرامكو » أجابت بعد سؤالها عما تعرفه عن العرب المسلمين والنبى محمد ـ ﷺ بأن الإسلام هو عبارة عن لعبة حظ شبيهة بلعبة « البريدج » ، وبأن الرسول ـ ﷺ ـ هو كاتب رواية ألف ليلة وليلة ، وأيضا أنه كانت هنالك علاقة ما بين الرسول وجبل من الجبال .

الموضوع الثالث ـ القرآن والمرأة :

منذ عدة شهور صدرت مجلة أسبوعية فى مدينة جنيف وتم توزيعها مجانا فى البيوت وفيها مقال عن المرأة العربية . وكانت جميع محتوياتها خاطئة : الوقائع والتعليقات والتلميحات إلخ .. ومع ذلك انتهى المقال بهذه الجملة الباطلة التى لا تدع الشك يدخل إلى ذهن القارىء : « ما العمل ، والقرآن ـ فى الواقع ـ يعلم المسلمين : اضرب زوجتك كل صباح » .

الموضوع الرابع ـ العربى والجنس :

وفى عدد حديث ، نشرت هذه المجلة الأسبوعية تحقيقا عن « الزواج المختلط بين السويسريين والعرب » . وتعد مدينة جنيف سنويا ، وهى مدينة دولية وجامعة لأجناس مختلفة ومستمرة فى الحياة بشكل هادىء ، لقد تم حوالى ٢٥٠ زواجا مختلطا بين السويسريين والعرب ، ويعتبر هذا الرقم

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى *

زهيدا لا يقدم ولا يؤخر . وقد جرى تحقيق ملء بالتضمينات العرقية والافترائية ويتعلق بهذا الأمر النادر . وقد ظهر فى الصفحة الأولى وتحت عنوان كبير . علما بأن شكله ومحتواه يثيران جميع النزوات العرقية لأنه يمس جميع أشكال الكبت الشخصى والمهنى والجنسى لدى القارىء . فعلى أى شىء نطلع فى الواقع ؟

أولا : إن السويسريات المتزوجات من العرب هن فى أكثر الأحيان « نساء مطلقات » يتزوجن مجدداً من « العرب الشبان المفعمين بالرجولة الفائضة التى تختلف عن قصور وقدرة السويسريين » .

و « العرب » المؤهلون للزواج يفعلون ذلك من أجل الأوراق (الوثائق) والعمل « والغاية المقصودة » من هذه الارتباطات « لا تفوت أى إنسان » : .. (تسعى) السويسرية إلى التمتع بشهوة جنسية فائضة والاستفادة من رجولة معروفة بقوتها ، وهذا ما يفسره الصحفى فى فقرة عنوانها يتسم بالإثارة والغلاظة : « على عرق الشهوة الجنسية » .

وفيما يتعلق بالزواج بين النساء العربيات والسويسريين نقرأ أن الأزواج يستحقون الرثاء أو أنهن من صغار البنات . وبعضهن (النساء العربيات) يتزوجن العجزة والسكارى ..

وتجدر الإشارة إلى أن البنات العربيات اللاتى يتزوجن فى جنيف من سويسريين ينتمين إلى وسط (الدعارة) ويلجأن إلى هذه الوسيلة للإقامة فى سويسرا . ويحاول الكاتب ، فى نهاية المقال ، تجاوز مستوى مقاصد المضاجع لاعتبارات اجتماعية واقتصادية مزعومة .

وهكذا يعلم القارىء أن : طلب التماثل واندماج الزوج العربى فى الحياة السويسرية بجميع قواعدها لا يمكن تحقيقه طالما أن هذا الأخير لا يزال متسما بصورة ثابتة بثقافته الخاصة . وفيما عدا ذلك يضطرد فى حديثه بشكل قاطع بأن كل ما يتعلق بالزواج المختلط .. يبدو أن مسئولية حكام البلدان العربية تبقى ثابتة لأنهم لم يعمدوا إلى إجراء الاصلاحات الهيكلية اللازمة لإشغال مواطنيهم .

وخلاصة القول : بما أن هؤلاء الأفراد لا يتمكنون من التماثل والاندماج فما عليهم إلا أن يرحلوا ويعودوا إلى أوطانهم ـ عوضا عن تزوج نسائنا ـ وما على بلدهم إلا أن يؤمن لهم العمل .

* الكاتب : أستاذ بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

إن هذه المجلة الأسبوعية الموزعة مجانا لا تدعى أنها نشرة علمية ، إذ أن ضعف اللغة والأسلوب الملاحظ فى مقالاتها لأكبر دليل على ذلك . ومع أن نشرها وشهرتها لا تتعديان حدود المدينة ، فإن تأثيرها على الرأى العام يبقى هائلا ، وبشكل خاص بين الطبقات العمالية ، والطبقة البورجوازية الصغيرة التى تقع أكثر من غيرها فى شرك كراهية الأجانب والعرقية ، كما أثبت التاريخ ذلك .

الموضوع الخامس ـ الإرهاب الإسلامى :

إن عنوان المقال الأول ، وهو مكتوب بحروف عريضة « الإرهاب الإسلامى » يجلب الانتباه بالتأكيد . هل ستقع فرنسا تحت تهديد المسلمين ؟ ويمكن التفكير والاعتقاد بذلك . ويجرى الحديث عن « منظمة الكفاح المسلح العربية » . إن أية مجموعة متعصبة ، مهما كان منشؤها وصفتها « عربية » « إسلامية » « مسيحية » « فرنسية » الخ .. لا تمثل إلا نفسها . ومع هذا يذهب الكاتب **بعيداً جدا ، بما أنه يخلط بين « العربى »** و « المسلم » ولأسباب تخص موضوعه ، ليشمل الإسلام بنوع من المسئولية الجماعية !

وهناك أمر آخر أكثر خطراً . إذ أن المقال يحتوى على وصف للأعمال المنسوبة إلى « كارلوس » وهو مواطن فينزويلى . فأين الإسلام إذن ؟ ويقال : إن كارلوس مشترك مع لبنانى وفلسطينى ، ميشيل مغربل وجورج حبش ، وهما مسيحيان ، كما يدل اسماهما عليهما .

فأين الإسلام إذن ؟

وينهى الكاتب مقاله بنوع من التفخيم عوضا عن الخاتمة وبفقرة تدل على البساطة المزعجة : « وفيما يتعلق بالصلة المفتعلة بين « أبو نضال » ، و« كارلوس » والمتعصبين الشيعيين القريبين من الإيرانيين و « الجهاد الإسلامى » فإن الأجهزة المختصة تقول : إنها لم تستكمل بعد العناصر اللازمة لإقامة الدليل على ذلك . وذلك لا يمنع أحداً من أن يشم رائحة تلاقى « المصالح الإسلامية » ..

أليس هذا بمثابة النواة المبدورة فى النداء أو المطالبة بالبغيضة !؟

وفى اليوم التالى وتحت عنوان « إرهاب الدول » تنشر الصحيفة نفسها : إن المؤتمر الإسلامى قد قرر إبادة الشعوب المسيحية فى الشرق الأوسط إذا لم تعتنق الإسلام . ولكى يتسم الاتهام بقابلية التصديق « يذكر » الكاتب مادتين من مواد قرار اتخذ بهذا المعنى من قبل البلدان الإسلامية .

وهذا أمر خطير جداً :

إن منظمة المؤتمر الإسلامى ، فى الواقع هى هيئة حكومية (تمثل الحكومات) ، وهى كغيرها من المنظمات الموجودة فى العالم . وهى تعتمد على ميثاق تنص مقدمته حرفيا على ما يلى :

تنسيق جدول السياسات بين دول العالم الإسلامى .

احترام ميثاق الأمم المتحدة وتدعيم الروابط مع البلدان غير الإسلامية .

وهكذا يعتبر هذا النوع من الانتحال خطيرا جداً إذ أنه يعطى لمنظمة حكومية ، لأية منظمة ومهما كانت ، مقاصد تتعارض كليا مع دستورها الرسمى . وهنا نجد أنفسنا أمام أحد الأمرين :

إما أننا نقوض قواعد القانون الدولى نفسه أو أن هذه الهيئة تخص منظمة المؤتمر الإسلامى وحدها دون غيرها .

وهكذا نقع فى العرقية المعادية للإسلام والمسلمين . وفى كلتا الحالتين تبقى المحاولة مرفوضة وغير مقبولة وأخيرا يقال لنا . وبصورة جازمة ولكن بدون أى دليل ملموس ، إنه منذ عام ١٩٧٢. « لايوجد اي اغتيال فى العالم الغربى إلا ونجد بعده أثرا للفلسطينيين » .
ما هذا الإدعاء ؟!

الموضوع السادس ـ الشريعة وإرهاب المقاصل :

عمدت إحدى الدول الإسلامية حديثا إلى إدراج قطع يد السارق فى ترسانتها الجزائية من جديد ، استنادا إلى شروط معينة ، وهيأت آلة خاصة لهذا الغرض . وقد تمت مراقبة تشغيلها من قبل أكاديمية الطب الوطنية بعد أخذ موافقتها على ذلك . فما الأحاديث التى ترددت ، وما عدد نقاط التعجب التى صاحبت إعلان هذا النبأ ؟ ولكن لم يأت أحد على ذكر « المقصلة » ولا أنها اختراع أحد الأطباء ، وكذلك أيضا لم يأت ذكر أحد البلدان المتطورة جدا فيما يتعلق بتنفيذ الإعدام عن طريق حقن الإبر (وهذا مثل عن وضع حالى) وافقت عليه الهيئة الطبية واعتبرته أقل ألما من الكرسى الكهربائى أو الاختناق بالغاز . وهنا أيضا ، نجد الأمر لا يتعلق بالحكم على الوقائع نفسها ، إذ أن مسائل الإعدام أو بتر العضو تعود إلى موضوع تجدر مناقشته بشكل آخر ، وليس بالتنديد والتشهير الذى تقبل عليه الصحافة الغربية بصورة مقصودة أو غير مقصودة .

وأخيرا يجدر بنا أن نلاحظ أنه قد تم اختيار المثل بصورة متعمدة . والذين يعنون بها يتمتعون بدون شك بموهبة التعميم وفن المزج والخلط بين الإسلام وبين السخافات التى يبحثون عنها فى زوايا العالم الإسلامى والعربى .

ولما تقدمت دعوات الحوار الحضارى مرتكزة على قواعد البحث العلمى التى تلتزم الموضوعية والبحث الحر النزيه عن الأغراض والأهواء التى التاثت بها أوروبا حتى عصرها الوسيط أخذت صورة الإسلام التاريخية تتطور نحو الأحسن والأفضل وتقترب كثيرا من حقيقته التاريخية وذلك بفضل علماء مثل : (هربيلو) وتلميذه (جالاند) الأستاذ بالكلية الملكية (ويوكوك) أستاذ التاريخ العربى بجامعة اكسفورد و (ريلاند) أستاذ اللغات الشرقية والآثار الاكليريكية القديمة و (أوكلى) أستاذ اللغة العربية بجامعة كامبريدج .

اطلع هؤلاء الأساتذة على النصوص الأصلية فنظروا إلى العربية نظرة جديدة يقول بول هازار : لفت أولئك العلماء الأنظار إلى أن جمهورا غفيرا لم يكن ليتبع محمدا لو كان

محمد رجلا دعيا مصروعا ، وأن من المحال أن دينا غير مهذب كما يدعى البعض يستطيع أن يعيش وأن يتقدم . لكن لو سأل الناس العرب عن تاريخهم بدلا من أن يستمعوا إلى الروايات لعرفوا أن محمداً وأتباعه لا يقلون عن أبطال الشعوب الأخرى فى مزايا القلب والفكر .

وبعد فما أكثر السخافات التى ألصقت به . هكذا شأن الناس على الدوام إذا ألقوا نظرة سطحية على الأشياء ، لقد ناقضوا أقوالا لم يلفظها المسلمون وأخطاء لم يرتكبها الإسلام ـ ثم يقول بول هازار :

والحقيقة أن الإسلام دين منطقى معقول ، دين نبيل جميل ، وأكثر من ذلك فإن الحضارة الإسلامية جديرة بالإعجاب .

فبعدما طغت الجاهلية على العالم ، يتساءل بول هازار من الذى كان حفيظا على حقوق التفكير والثقافة ؟

يجيب : هم العرب .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

أتاحت كتابات بعض علماء الغـرب المنصفين عن الإسلام الدعوة إلى إعادة النظر فيه من جديد وليس ذلك وحسب بل بدأ بعض المفكرين يطلب إعادة نظر شاملة فى تاريخ الفكر الإنسانى لتصحيح مجارى الحضارة الغربية من جانب وكشف لجوانب جديدة تنقصها .. ولوضع أساس يربط بين ثقافة الغرب وبين القيم الروحية التى لا تزال تمتاز بصفات خالدة مهما أثرت عليها العوامل التى تحاول طمسها .. فهدف الغرب الآن الاهتمام بتكوين قيم الحياة الروحية أو الدينية لإنقاذ الحضارة الغربية أو إنقاذ شخصيته من براثن عوامل الهدم التكنولوجى .

من هنا بدأ الغرب تساؤله :

ماذا نفعل إزاء المخاطر التى تهدد الإنسانية من خلال إنجازات الإنسان نفسه ؟

هل من الحضارة ؟

مثلاً :

جرائم القتل تلك التى ترتكب باسم التقدم .

والموارد الطبيعية التى تهدر .

والطبيعة المحيطة التى تهدم دون وعى أو مراجعة ..

وعناصر الحياة الإنسانية التى تصاب بالسموم .

ثم ذلك التسليح النووى المطرد الذى تخطى حدود المعقول .

ثم الفقر والجوع والشدائد .

هل هذا هو النمو الذى ينجزه مجتمع الإنتاج الحديث ؟

مظاهر العبث الحضارى بدأت تحيط بالعالم الغربى وبدأ يبرز معها خطر « فقدان المستقبل » ومستقبل الإنسانية ـ مما جعل الفكر الإنسانى يدور فى مقولات : القلق والغربة ، والتوتر والآلام والتشاؤم . فقلت مطامحه عن البحث فى مقولات القيم الخالدة .

كذلك حفل الفكر بقضايا الاحتجاج ضد نفسه وضد وجوده حتى بات يهزه الشعور بالعجز والخوف المتلعثم الذى قد لا يجد

الكلمات الآمنة المطمئنة فيتدهور إلى خوف أصم صامت مما أوقع نفسه فى حيرة متسائلة هل هو عجز الكلمة أو ضعف الفكر ؟

ذلك اعتراف من الإنسان الغربى بأن رصيده من الأمل قد ضاع واحتواه الشك والاكتئاب والذهول [١]؟

فهل من سبيل إلى الخروج من ذلك المأزق ؟

بدأ الغربى يبحث عن مستقبل حقيقى يقتضيه العثور مجدداً على جميع أبعاد الإنسان التى تمت فى الحضارات وفى الثقافات اللاغربية فالغرب بالنسبة للحضارة عارض طارىء ولا سبيل يوصله إلى تأمين المستقبل إلا « بالحوار بين الحضارات » ليصل إلى أبعاد جديدة تنأى عن النزاعات الفردية وذلك هو مشروع الأمل الجديد لمستقبل جديد ، من خلال هذه الرؤية الجديدة ذات المنظور الحوارى .

بدأ روجيه جارودى[٢] ، وموريس بوكاى ، وفانسان مونتاى ، وصفوة رائدة من المفكرين الغربيين والمستشرقين يتجهون نحو الإسلام على أنه هو المستقبل ومن حيثيات حكمهم :

يقول رجاء جارودى[٣] : فهذه المباينة تقيم تعارض المسيحى مع الكافر ، ولا سيما مع المسلم . على أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة . فقد كان الإسلام أقل تعصبا : القرآن يجل « يسوع » بينما يقص (دانتى) فى الكوميديـا الإلهية (محمداً) إلى الجحيم (مع أنباء النشيد ١٨ البيت ٣٥) .

وفى مقارناته بين المسجد والكنيسة يقول : لقد سنحت الفرصة بوصفى أستاذا لعلم الجمال فى الجامعة بأن أعين طلابى على فهم الفـن الإسلامى فهو يـرى : أن جميع الفنون تقود فى الإسلام إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة والمسجد من حيث بنيته ذاتها ، يستجيب لوظيفته ، إنه لا يشبه الكنيسة المسيحية ولا المعابد الإغريقية ، إنه لا يصلح صندوقا للاحتفاظ برفات قديس ولا ديكورا لحفلة شاعرية وهو يريد أن يكون مجرد مصلى لذكر الله ومن هنا نشأ شكله الأصيل .. إنه لا يشبه فى شىء خلية المعبد الإغريقى ، ولا التصميم الرومانى للكنائس المسيحية صمم على أن يكون الغرض منه أن يتيح لأكبر عدد من المؤمنين أن يقابلوا المحراب نحو مكة ثم يقول فى النهاية : لقد أمكن القول إن كل الفنون فى البلاد الإسلامية تؤدى إلى المسجد والمسجد إلى صلاة .

ولا مندوحة لى من أن أشهد بتجربتى الشخصية ، ذلك أننى انطلاقا من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنما شرعت أفهم عظمة

←

---

(١) تثبت إحصائية علمية لفريق من العلماء النفسيين بالولايات المتحدة : ان كل احد عشر شخصا بينهم واحد على الأقل مصاب بمرض نفسى أو اكتئاب « عن د / أنس مصطفى النجار » . مجلة الأزهر .

(٢) ينبغى أن ينظر إلى جارودى بحذر فهو ـ الآن ـ صاحب « الإبراهيمية الحديثة » .. مجلة الأزهر .

(٣) بل لكل من يصلى فيه ، وليس لأكبر عدد كما يفهمجارودى .

العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذرى على التعالى . إن المستقبل هو الإسلام والإسلام هو قوة الغد العالمية .

والخلاصـــة :

يتضح مما سبق : أنه من الصعب بل من المستحيل أن يتم التعرف الصحيح على حقيقة الإسلام ما دامت جميع وسائل الإعلام الغربية التى قدمنا طرفا منها بين أيديكم تنشر المفاهيم الخاطئة والانطباعات السيئة عن الإسلام والعرب .

لهذا يجب قبل الانطلاق فى أى حوار ثقافى متبادل أن نحاول تصحيح تلك المفاهيم وفق مصادرها العلمية وأن نحاول إيجاد قبول مشترك للمفاهيم التى يستعملها كل طرف من الأطراف .

أما إذا لم ننطلق من مفاهيم لها قدرها العلمى المشترك واعتمدنا على انطلاقات غير معتدلة فإن الحوار يصبح بكل تأكيد مغلوطا .

إن التفاهم الحقيقى والحوار المتكامل بين طرفين يتطلب إيجاد مساحة مشتركة من المفاهيم الفكرية المتفق عليها بين المتحاورين فى مجالات الإسلام الواسعة : المذهبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية .. لذلك يجب التركيز على تلك المبادىء إذا أراد الغرب أن يقيم حوارا مع الإسلام وفق الركائز الأساسية التالية :

اولا : النظر من جديد إلى حقيقة الإسلام مستمدة من منابعه الأصلية .

ثانيا : الحد من النظرة العرقية المشوهة . للإسلام والعرب أما قد حان الوقت لكى تنتهى عنصرية الأقوياء ولكى ياخذ الحوار مكانه .

ثالثا : أن تتوقف مكونات الرأى العام الغربى ، عن نشر الصور المشوهة والمرضية عن الإسلام والمسلمين والعرب .

وفى النهاية نقول إن خير وسيلة للحوار هى التفاهم . إن التفاهم المتبادل هو دائما الأداة الثقافية الضرورية لتقدير الشعوب حق قدرها .

محمد أبراهيم الفيومى

الحرب والسلام
في الفكر اليهودي

للأستاذ / محمد عبد العزيز عبد اللطيف

إذا كان الصراع سنة كونية فإنه قد وجدت قوانين تحد من آثاره وتخفف من ويلاته بخاصة عندما تمتد الأيدي إلى السلاح وتتلاحم الأجساد وتسيل الدماء ويتهدد الفناء أحد أطرافه ؛ ومن هذه القوانين « قانون حفظ النوع » الذي تلمس آثاره في عمل جميع الأحياء على بقاء نوعها بالتكاثر ، سواء بالانقسام (في الأحياء الدنيا) أو بالتوالد (في الأحياء العليا) . وأيضا في تعاون أفراد النوع الواحد فيما بينها ضد الأنواع الأخرى ، أما إذا نشب الصراع داخل أفراد النوع الواحد فإن هذا القانون يقضى بحتمية بقاء النوع مهما كان الصراع ومداه . ووسائله إلى ذلك أن الطرف الذي تصل خسائره إلى حد يهدد بقاءه عليه أن يُقر بالهزيمة حفاظاً على حياته وعندئذ يكون على الطرف المنتصر أن يكتفى بالمغانم المادية ويبقى على حياة المهزوم ومن يخالف هذه القواعد يعتبر عدواً للنوع كله يستحق أن ينبذ أو يقضى عليه .

• • •

وقد أثبتت الوقائع صحة هذا القانون الفطرى أو الطبيعي ، ولا يزال هذا القانون يؤكد صحته فيما نراه اليوم من محاولة الدول الكبرى البحث عن صيغة للتعايش السلمي فيما بينها بسبب الرُعب النووى .

وليس هناك من تشريع ديني سماوي يقضي بفناء النوع أبداً ، ومما يؤسف له أن أهل

←

(*) الكاتب : بمجمع البحوث الإسلامية .

النصرانية هم الأكثر مخالفة لذلك بما يخترعونه من فنون الحرب ويبدعونه من آلاتها ليصولوا به على غيرهم لا حفاظاً على ما معهم وإنما طمعا في توسيع نطاق نفوذهم وسيطرتهم .

وجاء الإسلام ليقرر أن العلاقة بين الناس فى دستوره هى السلام حتى يضطروا إلى الحرب إما دفاعاً عن النفس أو الدين أو لاتقاء هجوم متوقع والآيات فى هذا الشأن نذكرها بترتيبها المؤيد لما ذكرنا .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ « سورة البقرة آية ١٩٠ » .

﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ « الأنفال آية ٧٢ » .

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ « الأنفال آية ٥٨ » .

ومع وجود الحرب فى هذه الحالات فإن المسلم مأمور بالاستجابة إلى السلام إن لاحت بارقته ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ « الأنفال آية ٦١ » .

كذلك محظور عليه فى قتاله التعرض للمدنيين من الأطفال والشيوخ والنساء والرهبان بمعنى أن القتال مقصور على الجيوش المتحاربة فقط وعلى من يعينها بالفكر والدهاء والسلاح ، كذلك محرم على المسلم التمثيل بالقتلى وإتلاف الأموال وتخريب الديار وخلاصة الوصايا الإسلامية في ذلك يجملها الخليفة أبو بكر رضى الله عنه إذ يأمر جنوده بقوله[1] « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة أو بقرة أو بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وقد جاءت القوانين الوضعية الممثلة في ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها متقاربة مع نظرة الإسلام إلى الحرب والسلام ففى الفقرة الرابعة من المادة الثانية لميثاق المنظمة الدولية جاء ما يلى : -

« يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً فى علاقاتهم الدولية عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضد سلامة الأرض أو الاستقلال السياسي لأية دولة » .

كما نصت قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ على تحريم إبادة الجيش وحماية الجماعات الإنسانية من إلحاق أى نوع من أنواع الضرر بها .

وأكدت اتفاقية چنيف عام ١٩٤٩ على ضرورة حماية المدنيين وقت الحرب .

(١) راجع في ذلك الطبرى جزء ٢ ، ومارواه الموطأ وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وعلى ضوء ما بيناه من مفهوم الحرب وموقف الأديان والإنسانية منها ننتقل إلى موقف اليهودية واليهود من قضية الحرب والسلام .. وقد ألمنا فى مقدمتنا هذه بما يمكننا من المقارنة لنتبين إلى أى مدى تتفق وأتباعها أو تختلف مع القوانين الشرعية والوضعية والطبيعية الفطرية .

فهم يدعون أنهم الشعب المختار ، اختاره الله تعالى من دون خلقه وخصه بحبه ، وأنهم ـ بوعد الله ـ أصحاب الأرض الطيبة « الحزام الخصيب » وقد أمرهم بإبادة أعدائهم[٢] والوسيلة إلى ذلك القتال .

ولا شك أن تقديس الحرب والقوة ترك انعكاساته على الوجود الإسرائيلي ، فالقوة المسلحة تسبق نظام الدولة نفسه ، بل الدولة نفسها ، فإذا كانت الدولة توجد ـ أولاً ـ ثم تشرع في بناء قواتها المسلحة فالأمر عكس ذلك لدى اليهود ، كذلك تجد المُبَرِّزِيَّة لديهم في مذابحهم ضد الفلسطينيين العزل ـ أبطالاً ، يقول « بن جوريون » فى « يشوع » صاحب مذبحة (أريحا) :

« إنى أعتبر يشوع بطل التوراة ، إنه لم يكن مجرد قائد عسكرى ؛ بل كان المرشد » وكانت هذه إشارة لتغذية الوجدان الإسرائيلى بما يدعون على الله سبحانه وأنبيائه الصفوة ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وَتَرَكَ ذلك الاتجاه آثاره على الحياة السياسية .

حيث نجد الأحزاب السياسية في بدايتها منظمات عسكرية إرهابية لكل منها زعيم تأتمر بأمره ويوجهها للقيام بنشاط إرهابي معين وكان (مناحم بيجين) رئيس وزراء إسرائيل السابق زعيماً لإحداها ، كما أن هذه الأحزاب تلتزم بالمبدأ القائل بأن جميع اليهود لابد أن يعودوا إلى أرض الميعاد (فلسطين) .

وإذا كانت القوة المسلحة هى أداة إنشاء الدولة عام ١٩٤٨ ، فهى أيضاً أداة توسعها ودعم أركانها بعد ذلك وهى صورة المجتمع اليهودي المنشود ، كل أفراده جنود في الجيش وإن قسموا إلى قوات نظامية وقوات احتياط ـ باقى أفراد الشعب ـ كما وضعت استراتيچية الدولة على الأسس العسكرية التالية :

١ ـ أن تعمل إسرائيل على ضمان تفوقها العسكري على جميع جيرانها مجتمعين .

٢ ـ أن تمتلك دائماً زمام المبادرة بمعنى أن تكون البادئة بالقتال .

٣ ـ في حالة نشوب القتال لابد أن يتم على الأرض العربية وخارج حدودها .

٤ ـ أن يتم تحقيق النصر بأسرع ما يمكن حتى لا يتأثر اقتصادها أو تتوقف الحياة فيها .

ولم يسلم الفكر اليهودي من تقديس القوة فقد كان شعار مناحم بيجن[٣] « أنا أحارب إذن أنا موجود » وفى رأيه أنه من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال ـ نموذج غير معروف البته للعالم .

←

---

(٢) انظر من العهد القديم تثنية ٦/٧ ـ ١٠/٢٠ إلى ١٦ ـ يشوع ٢١/٦ .

(٣) السلام مع إسرائيل ـ محمد عبد الرحيم عنبر ص ٣١ .

وكان « ماكس نوردو » يقترح على اليهود أن ينموا عضلاتهم من حديد أسوة بالبطل « باركوكيا » آخر تجسيد لتاريخ اليهودية في صلابة عودها وحبها لقعقعة السلاح »[٤] .

فإذا ما بحثنا عن أمر السلام نجد موشى ديان يقول :

ـ « إن إسرائيل تقوم على الحرب وليس السلام .. هذا هو قدرنا[٥] ..

ويؤكد مناحم بيجن ما ذهب إليه طاووس جيش الدفاع الإسرائيلي سابقاً فيقول :

ـ « إن قوة التقدم في العالم ليست في السلام بل في الحرب »[٦] .

ويحاول « ناحوم جولدمان » آخر حكماء صهيون الأحياء ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية تبرير هذه النزعات العدوانية فيقول لمحرر الأهرام بتاريخ ١٩٧٨/٥/٢٦ : « إننا لم نبذل بالفعل الجهد الكافي من أجل أن ندير الحوار مع العرب،وأن نصل سويا إلى صيغة تعايش مشترك ، وقد ساعد على ذلك أن القائمين على الحركة الصهيونية أو على إسرائيل ينتمون جميعاً إلى يهود أوروبا أو أمريكا ولم يكن هؤلاء القادة مؤهلين لأن يعرفوا شيئاً عن العرب سوى أنهم فقط مجموعة من البدو المتفرقين فى صحارى الشرق الأوسط وسُهُولِهِ وكانوا يتصورون أنهم سيزرعون في المنطقة كياناً أوروبياً عصرياً وسط ركام متخلف وسيحيلون هذه السهول والصحارى إلى جنان » .. وأهم ما نلاحظه على هذا التبرير أن جولدمان يعترف بطريقة غير مباشرة بأن كلا من القائمين على الحركة الصهيونية أو على إسرائيل لم يكونوا أبناءً شرعيين « للأرض الموعودة » فهم نبت أوروبا وأمريكا وأنهم في حقيقتهم مستعمرون إلا أنه يستر هذا الوجه القبيح بمحاولة تصويرهم بأنهم رسل حضارة وسط ركام متخلف،وأنهم سيحولون صحارى المنطقة إلى جنان وهذا هو الشكل الدعائى الذى تواجه به إسرائيل العالم المتحضر حتى يتغاضى عن جريمتهم ولو كان لليهود رسالة حضارية لقبلوا أوغندا أو مدغشقر عندما عرضتا عليهم إلا أنهم اختاروا فلسطين ؛ لا لاعتبارات دينية أو بسبب إشارات « التوراة » ؛ وإنما لأن فلسطين هى ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ؛ ولأنها المركز الحقيقى للقوى السياسية العالمية . كما أنها المركز العسكرى الاستراتيجي للسيطرة على العالم .

وهذا الذي ذكرناه في شأن اختيار فلسطين كان من نص خطاب ألقاه في كندا عام ١٩٤٧[٧] .

وإذا كان رئيس المنظمة الصهيونية قد أسقط « دعوى أرض الميعاد » فإننا نجد قادتهم لازالوا يعتبرون ما احتلوه من سوريا والأردن ولبنان ، بالإضافة إلى فلسطين بالكامل أجزاء محررة من أرض إسرائيل الكبرى ويتشبثون به ويرفضون التخلى عنه مما يشكل مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ورفض السلام لأنه يبقى على حالة التوتر واستمرارية الصراع .والسلام هو تحقيق الأمان .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

(٤ ، ٥ ، ٦) المرجع السابق ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

(٧) حقيقة الديمقراطية فى إسرائيل / عادل عبد الرازق ص ٨ .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

شهر الصيام تحية وسلام

تضرع ورجاء

رمضان شهر الله

شهر الصيام تحية وسلام

شعر : محمود ممتاز الهوارى

شهر الصيام تحية وسلاما ... القيت نورك هاديا بسَّاما
أقبلت فى حلل البشاشة ناضحا ... مسكا تَضَوَّع ريحُهُ الأياما
تمضى وتُبعَث كل عام مرة ... حتى تضىء ببعثك الأفهاما

***

حَدِّثْ عن الماضى فإنك فارس ... بين الشهور اجلها إكراما
حدث ففى عينيك نور نبوة ... رفعتك فى صدر السماء وساما
قد كنت فى الماضى تضىء لأمة ... علت الزمان وسادت الأقواما
داسوا على شم الجبال وَهَدَّمُوا ... سور المُحال ووطدوا اعلاما
رضعوا من القرآن سر عقيدة ... تستنهض الأرواح والأجساما
امضوا نهارك صائمين تقربا ... وقضوا سوادك سجدا وقياما
صاموا عن الشهوات حتى أصبحت ... اجسادهم مشحونة إسلاما

***

ياغائبا قد عاد من تجواله ... ماذا لقينا بعد بُعْدِكَ عاما
إن كنت اطبقت الشفاه مرارة ... فلقد نثرت على الشفاه كلاما
إنا لنسمع فى سكوتك حكمة ... تتلى ، ونُبصِر فى السكون زحاما
أَوَجَدْتَنا بين الشعوب ائمة ... نهدى الحيارى أم وجدت نياما ؟
أَوَجَدتَنا متوحدين احبة ... ام هل رأيت تفرقا وخصاما
اوجدتنا نارا تُحَرِّقُ نفسَها ... بردا على أعدائنا وسلاما
اوجدتنا بين الذئاب ضراغما ... أم بين انياب الذئاب طعاما
وتلفت البدر الوقور كأنه ... يلقى ويسدل للحوار ختاما
لا يجرف التيار إلا خائرا ... مستسلما لذراعه استسلاما
والمرء إن شاد الطموح سفينة ... ركب الكواكب واعتلى الأجراما

أحزان أولى القبلتين

شعر : رشاد محمد يوسف

قلبت وجهك في السماء طويلا ... تبغي مسارا للهدى ودليلا
فَانْعَمْ فَقَدْ ولاك ربك قِبلة ... فيها بلغت رجاءك المأمولا
والأرض محرابُ الإله مشارقا ... ومغاربا قد ذُلِّلَتْ تذليلا
والمسجد الأقصى يعانق في الذرا ... بيتا أُقيم مثابة ومقيلا
رفع الخليل به القواعد داعيا ... وفدى الإله لديه إسماعيلا
وتوافدت كل الخلائق نحوه ... جيل يتابع في الهداية جيلا

***

يامسلمون وما لعيني لا ترى ... الا كيانا واهيا مخذولا
أتظل أولى القبلتين أسيرة ... قد نكّلوا بشبابها تنكيلا ؟!
أتظل قُدُسُ اللهِ تندب حظّها ... تنعى شبابا عزلا وكهولا
أتظل جرحا في الحنايا غائراً ... وتظل للدمع السخين مسيلا
أرايتمُ الأطفالَ في إصرارهم ... قد أرجعت أمجادهم سجيلا
أرايتمُ الزُّغْبَ الحواصل عندما ... جعلوا العدا عصفا لهم مأكولا
أرايتمُ الأبطال كل عشية ... يستودعون قتيلة وقتيلا

***

هذي الحجارةُ في الأيادي سَبَّحَتْ ... لله ترسم للخلاص سبيلا
هذي الحجارة في الأيادي صرخةٌ ... للحق تشعل للجهاد فتيلا
كي توقظَ النُّوَّامَ من غفواتهم ... وتشقَّ ليلا للنيام ثقيلا
ماقيمة الكلمات طال غُثاؤنا ... وغدا الكلام ممزقا مملولا
أمنتُ ماغير الدماء وسيلة ... تحمي البلاد عراقة وأصولا
ويعود تكبير المآذن هادراً ... ويظل رجع ندائها موصولا
ونعيد للقدس الشريفة مجدها ... ونعيد كرما طيبا وسهولا

***

رمضان شهر النصر

شعر: محمود شاور ربيع

رمضانُ أشرقَ فى سَمائِكِ «مصرُ» فيه الهدى، فيه التقى والنصرُ
رمضان شهر «الصوم» فيه كرامة للصائمين، وفى حِماه الخير
نزل الكتاب على النبى هداية وَآجَلُّ ماَمُنِحَ العبادُ الذكر
فيه الهدى والنور أسفر وجهه فيه السعادة والرضا والطهر
خير الشهور نصير فيه ملائكا لله دَرُّكَ ناضرا ياشهر
فيك الجنان تفتحت أبوابها وانجاب عن دنيا العباد الشر
كم فيك من «فتح» مبين مشرق إن كنت فى شك أجابت «بدر»
فيها التقى الجمعان وانتصر الهدى وهوى الضلالُ وآلهُ والكفر
وعلا لواءُ الحق يخفق عاليا وكأنما فوق الرءوس الطير
والفتح جاء، وجاء نصر باهر والوجه بسام السنا يفتَرّ
وعلوت يا«طه» بسيفك ضاربا فهوت حجارتهم وذلّ الصخر
وعفوت عنهم قادرا متفضلا ولأنت ياخير العباد البر
ولأنت رحمة ربنا لعباده ولأنت فى يوم المعاد الذخر
ولأنت نبراس لنا وهداية فوق الصراط وقد أهل الحشر
رمضان فيك من الليالى ليلة هى ليلة يعلو لديها القدر
الروح فيها والملائك حوله فيها السلام مضاعف والأجر
رمضان فيك النصر لاح ضياؤه وعليك أشرق بالسلام الفجر
أتعود ثانية لنصر حاسم ويعود يشرق فى سمانا الفخر
وتعود للقدس الطهور رجاله وتعود أيام الهناء الغر
ويعود يعلو للسماء لواؤنا ويجىء بالنصر المبين الدهر

تضرع ورجاء

لفضيلة الشيخ
محمد زكى إبراهيم

يارب أذنبت لكن — فى خيفة منك ، ربى
قد كان قلبىَ يبكى — وأنت أدرى بقلبى
يا غافر الذنب إنى — قد اعترفت بذنبى
يا قابل التوب صلنى — وَاقْبَلْ بفضلك توبى
مالى إليك شفيعٌ — الا اعترافى وحبى
والستر منك دليل — على قبولى وقربى
فليس يهتك سترى — وليس يفضح عيبى
لكننى من شقائى — أَضِلُّ بابى ودَرْبِى
مازلت فى التيه أمضى — لغير وجه وصوب
يارب هل من سبيل — إليك يكشف كربى ؟
ظَلمتُ قبلا شبابى — واليوم أظْلِمُ شيبى
وذاب قلبىَ خوفا — وحسرة أى ذوب
إنى أثيم مقرٌ — قد ضاق بى كل رَحْب
بكيت حتى بكانى — قساة أهلى وصحبى
والناس دائى ، فمن لى — بطبهم أو بطبى ؟
هل من نجاة لعبد — على المعاصى مكب ؟
يارب عفوك أرجو — ان نلت ذاك فحسبى

رمضان شهر الله

شعر: عبد الستار سليم

هلالك - فوق الدُنى - أشرقا   وغصنك - فوق الرُبى - أورقا
وليلك أنْور من صبحها   فكل الدجى - بك - قد مُزّقا
ونفحتك العبقرية من   عبير الجنان أتت أعبقا
وزادك - منه - النفوس اغتذت   وغيثك - منه - الزمان استقى
وجيد الزمان - على طوله -   بعقد نجومك قد طُوّقا
فبوركت - ياشهر - من زائر   وطبت .. وطاب بك الملتقى
فأنت - لعمرىَ - شهر الهدى   وأنت - لعمرىَ - شهر التقى
حبالك بالعرش موصولة   فصرت بكل الندى أخلقا
وماخاب مَنْ نفسَه قد نهى   عن السوء - فيك - ولا أخفقا
فما أليق الخلق أن يجتنوا   ثمار عطائك .. ما أليقا
قدومك بعْث لأرواحنا   يجدّد منها الذى أخلقا
فإن تاه عمر ببحر الدجى   يجدك - لنجدته - الزورقا

***

بلالك أذّن فى ساحها   فمغربها - هزّ - والمشرقا
وأطرق لله كل حجا   وكل جماد - له - أطرقا
وفيك الإله تجلّى على   بريّته .. راحما .. مشفقا
وفتّح أبواب جناته   إلى ما أفاض وما أغدقا
وياشهر فيك - لنا - ليلة   سمتْ شرفا .. وعلتْ مرتقى
فندعوك - يارب - هيّىء لنا   - بفضلك - من أمرنا .. مرفقا

العلوم الكونية

خصائص المنهج العلمي
في التراث الإسلامي

أوركسترات الحشرات

فى خصائص المنهج العلمى التراث الإسلامى

تعنى هذه الدراسة بتحليل التركيب المنطقى للغة التراث العلمى الإسلامى فى ضوء المفاهيم التى تقوم عليها فلسفة العلوم المعاصرة ، وتقدم رؤية جديدة لخصائص العلم ومنهجه فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ الإنسانى ، وتكشف النقاب عن آراء ونظريات علمية إسلامية تدين لها علوم الغرب وثقافته . ومن ثم فإن هذه الدراسة تهدف إلى المساهمة فى تصحيح تاريخ العلوم بصورة عامة وتحديث الثقافة العلمية الإسلامية بصورة خاصة .

أهمية موضوع الدراسة :

انبثقت الفلسفة فى تفكير الإنسان لتعبر عن شعور العقل ـ بعد ارتقائه ـ بالقدرة على تقديم إجابات وحلول مقنعة لمشاكل الوجود والفكر ، فكانت نشأتها إحدى صور حب الإنسان الغامر للحكمة وسعيه الدءوب إلى كشف العلل البعيدة لظواهر الواقع من حوله . ونشأت العلوم مع الفلسفة لتلبية حاجة الإنسان إلى الارتباط بهذا الواقع باعتباره موضوع النشاط الإنسانى اليومى ومصدر كل ضروريات الحياة البشرية .

وفى البدء ، لم تكن هناك فوارق بين العلوم التى تقوم على الملاحظة والتجربة والعلوم التى تستند إلى النظر العقلى والتفكير المجرد .

لكن ، بعد أن كثرت لدى الإنسان معلومات ومعارف عن موضوعات متنوعة ، استقل كل موضوع بمجاله تدريجيا متخذاً صورة العلم ، وتميز كل فرع من فروع المعرفة البشرية باتجاه معرفى خاص له موضوعه ومنهجه وغايته .

على هذا النحو تبلورت مختلف العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية ، ودخلت جميعها فى بناء نسيج الحياة المعاصرة ، بحيث لم يعد هناك أى نشاط إنسانى إلا ويعتمد فى تخطيطه وتطويره والإسراع بإيقاع حركته على العلوم « وتقنياتها » .

ولقد اهتم العلماء والفلاسفة حديثا بالبحث فى تحليل العلوم المختلفة لتكوين نظرة شاملة إلى الكون من خلال الربط بين سلوك

الأستاذ الدكتور

أحمد فؤاد باشا *

الظواهر التى يتعامل معها الإنسان ، وأدت جهود الباحثين فى هذا المجال إلى ظهور مبحث جديد ومتجدد فى التفكير العلمى والفلسفى يطلق عليه اسم « فلسفة العلم » Philosophy of Science ويهدف هذا المبحث إجمالا إلى فهم مكانة العلم فى حياتنا ، وكيفية الانتقال به من خبرة الإنسان إلى معرفته عن العالم . وترتب على هذا الفهم أن تعددت طرائق تناول موضوعات « فلسفة العلم » بقدر تعدد المذاهب الفلسفية ووجهات النظر المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر .

من ثم ، ليست هناك قائمة بموضوعات معينة ينبغى أن تدرج تحت عنوان « فلسفة العلم » ، بحيث يكون الخروج عليها انحرافا عنها وجهلا بها ، فقد يصدق هذا على العلم نفسه ، ولكن ليس بالنسبة لفلسفته . وللمشتغل بفلسفة العلم أن يتناول : (ميتافيزيقا) العلم ، أو ينصرف إلى دراسة أسسه ومنهجه وعوامل تقدمه أو تعثره ، أو يلح على إبراز جوانبه القيمية ، أو يقف جهده على تحليل لغته وتاريخه ، أو يعكف على الإسهام فى صياغة نظريته والإلمام بمختلف جوانبها وعناصرها المعرفية(١) .

لهذا فإن موضوع الدراسة الحالية يتصل اتصالا مباشرا بمبحث « فلسفة العلم » من حيث إنه يقدم قراءة جديدة - وفق منهج تحليلى مقارن - فى التراث العلمى للحضارة الإسلامية بأسلوب العصر ولغته ومصطلحاته ، ويلقى مزيداً من الضوء على خصائص العلم ومنهجه فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ الإنسانى .

يزيد من أهمية هذه الدراسة أنها تفتح المجال أمام المزيد من الدراسات المطلوبة بصورة ملحة لتحديث الثقافة العلمية العربية فى إطار القواعد الإسلامية الأساسية* ، ولسد الفجوة بين التفكير العلمى والتفكير الفلسفى

---

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بعلوم القاهرة .

(١) انظر على سبيل المثال :

— د . توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، القاهرة ١٩٦٨ .

— د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ١٩٨٠ .

— د . صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

— بول موى ، المنطق وفلسفة العلوم ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، مكتبة دار العروبة الكويت ١٩٨١ .

— د . أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .

— د هشام غصيب ، جولات فى الفكر العلمى ، دار الفرقان ، عمان ١٩٨٥ .

— د مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، دار المعارف ١٩٨٦ .

* يتخذ البعض لفظ (أَسْلَمَ) بمعنى جعله إسلاميا .

خصائص المنهج العلمى

فى ساحة الفكر العربى ، ولتصحيح تاريخ العلم بكشف النقاب عن الآراء والنظريات الإسلامية التى تدين لها حضارة العلم و (التكنولوچيا) المعاصرة .

وتعرض الدراسة على وجه الخصوص لتحليل عناصر المنهج العلمى الاستقرائى فى التراث الإسلامى ، باعتباره منهج البحث فى العلوم الطبيعية التجريبية ، وذلك من حيث تعريفه ومصادراته وأدواته وعناصره .

تعريف المنهج العلمى فى التراث الإسلامى :

إن كلمة « العلم » Science ، كما نفهمها اليوم[٢] ، لفظ كلى يشمل ـ فى الأساس ـ العلوم الطبيعية والرياضية التى تبحث ـ بمناهج علمية ـ فى الظواهر الجزئية للكون والحياة ، بغية الكشف عن القوانين التى تفسر سلوك هذه الظواهر تفسيرا علّيا أو منطقيا ، ثم الاستفادة من تطبيقات هذه القوانين (تكنولوچياً) فى خدمة أغراض الإنسان ومصالحه . ويقر فلاسفة العلم بنصف الحقيقة عندما يعترفون بأن هذا العلم قد بدأ عند إدخال المنهج التجريبى ، لكن أكثرهم ينكرون النصف الآخر للحقيقة عندما ينسبون الفضل فى اكتشاف هذا المنهج إلى (فرنسيس بيكون) ويؤرخون له بعصر النهضة الأوروبية الحديثة[٣] .

وهذا الزعم الخاطىء مردود عليه بحقائق تاريخية تؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى ممارسة هذا المنهج التجريبى ووضع أصوله وقواعده قبل بيكون بعدة قرون . بل إنهم كانوا أسبق من الغربيين المحدثين إلى نقد منطق أرسطو العقيم ، واستطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى ، وعلموا أن الوسيلة أو الأداة المستخدمة فى دراسة هذه الظواهر يجب أن تختلف حسب طبيعة كل منها . وقد قال جابر بن حيان فى ذلك : « إن لكل صنعة أساليبها الفنية »[٤] .

---

(٢) كانت (اكاديمية) العلوم الفرنسية التى انشئت عام ١٦٦٦ أول من استخدم كلمة « علم » أو « علوم » Science لتعنى العلوم الطبيعية التجريبية بمعناها الراهن . ثم استخدمتها بعد ذلك « الجمعية البريطانية لتقدم العلوم » التى انشئت عام ١٨٣١ .

(٣) انظر على سبيل المثال :

و . أ . ب . بفردج ، فن البحث العلمى ، ترجمة : زكريا فهمى ، مراجعة : د . احمد مصطفى احمد ، ص ٣٢ ، دار اقرأ ١٩٨٣ .

(٤) انظر : قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، سلسلة الألف كتاب مكتبة مصر بالفجالة .

د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ .

د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ١٩٨١ .

وإذا كان التراث الإسلامى غنيا بالنصوص التى استقى منها علماء الغرب فيما بعد قواعد المنهج العلمى التجريبى (أو الاستقرائى) التى تصف الطرق المؤدية إلى الكشف عن الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها ، إلا أن القراءة المتأنية لتلك النصوص تبين أنها قد صيغت بدقة علمية بالغة تعكس إلمام أسلافنا الواعى بفلسفة منهجهم وإتقانهم المحكم لدقائق صنعتهم وإدراكهم الفطن لخصائص المعرفة العلمية وطبيعة نموها . ونسوق مثلا على ذلك وصف الحسن بن الهيثم لمنهجه فى بحث (حقيقة الإبصار) كما ورد بلفظه فى مؤلفه الشهير « المناظر » :

« رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان ، ونخلص العناية به ، ونوقع الجد فى البحث عن حقيقته ، ونستأنف النظر فى مباديه ومقدماته ، ونبتدىء باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتميز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس .. ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء .. فلعلنا ننتهى بهذه الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين ، ونظفر - مع النقد والتحفظ - بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات . وما نحن ، مع جميع ذلك ، براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر ما لنا من القوة الإنسانية . ومن الله نستمد المعونة فى جميع الأمور(٥) .

يوضح هذا النص أن القواعد العامة التى وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء فى العلوم الطبيعية التجريبية تتميز بأنها ليست مجموعة محددة من الخطوات التى تلتزم ترتيبا معينا ليس لها أن تتجاوزه أو تعدله ، مما يضفى عليها قدرا كافيا من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره .

(٥) غن كتاب د . عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٧١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ . وانظر على وجه التفصيل والتحليل : مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم - بحوثه وكشوفه البصرية - مطبعة نورى بمصر ١٩٤٢ .

خصائص المنهج العلمى

فالمنهج العلمى ـ كما نفهمه اليوم ـ ليس مجرد منهج استقرائى أو استنباطى كالذى ألفنا ترديده لدى (بيكون) و (جون ستيوارت سيل) أو (ديكارت) بحيث أوشكنا على تصوره لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات لا ينبغى الانحراف عن تطبيقها وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة[٦] كما أوضح الحسن بن الهيثم أن الموضوعية فى طلب الحق بعيدا عن كل ما يتعلق بالذاتية هو أهم شروط البحث العلمى السليم .

من ناحية أخرى ، تعكس عبارات ابن الهيثم كثيرا من خصائص العلم التجريبى ومقومات نجاح البحث العلمى التى افتقدها كل من المنطق الأرسطى والمنهج البيكونى . ذلك أن (أرسطو) كان كثيراً ما يلجأ إلى القياس النظرى المجرد كلما حاول تفسير الظواهر الطبيعية ، وهذا يؤدى إلى نتائج صادقة بالقياس إلى المقدمات لا بالقياس إلى الواقع ، ويقطع الطريق على الابتكار والتقدم المعرفى . وإذا كان هناك من بين فلاسفة العلم من يحاول إسباغ التجريبية العلمية على منهج أرسطو ويؤرخ للاستقراء فى أعماله فإنهم يلجأون إلى تحميل نصوصه أكثر مما كان يعنيها[٧] ، وإلا فما تفسيرهم لقوله : إن أسنان المرأة أكثر عددا من أسنان الرجل ، أو : إن الأجسام الثقيلة تسقط أسرع من الأجسام الخفيفة أو إن العين ترى الأشياء بانطباع صورها فى البصر دون أن يرد منها شيء للبصر ، أو غير ذلك من الآراء والنظريات الساذجة . بل ما هو دفاعهم عن تصنيفه للطبيعيات كعلوم نظرية ؟[٧] .

أما (بيكون) الذى وضع قواعد لمنهج علمى لم يمارسه فإنه ـ بالرغم من تأثره بروح البحث التجريبى فى التراث الإسلامى[٨] ـ قد قصر البحث العلمى على المشاهدة والتجربة ، وحصر تفكير الباحث فى اتباع خطوات محددة لجمع الوقائع المشاهدة التى لها صلة بالظواهر المراد البحث عن قانونها وإذا كان بيكون قد هاجم منهج الأغريق ووصف حكمتهم بأن لها صفة الطفل ، فى وسعه أن يتكلم ولكنه لا يستطيع أن ينجب[٩] ، فإنه قد هوجم بألذع مما هاجم به حكماء الأغريق لأن انشغاله بشئون القانون والدولة لم يتح له فرصة تذكر لإقامة الدليل على قيمته كمجرب علمى[١٠] .

---

(٦) د . صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، ص ١٤٣ .
(٧) د . مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، ص ١٩٠ ـ ٢٠٦ ، ص ٤٣ .
(٨) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، القاهرة ١٩٦١ .
(٩) كناية عن أنه لا يستطيع أن يأتى بجديد .
(١٠) رينيه ديبو ، رؤى العقل ، ص ٥٠ ترجمة فؤاد صروف ، بيروت ١٩٦٢ .

وتوضح المقارنة بين ملامح المنهج العلمى عند أرسطو وبيكون وابن الهيثم : أن التجريبية فى التراث العلمى الإسلامى خطوة مقصودة فى أسلوب البحث العلمى المبنى على الاستقراء (استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع) والاستنباط (استنتاج الحالات الخاصة من القوانين العامة) والقياس (الموازنة بين الوقائع المختلفة والمقارنة بين النتائج) ، يلجأ إليها الباحث بحدسه وخبرته مرة بعد مرة للتأكد من صحة ما يطرحه عقله من فروض أو ما يتوصل إليه من قوانين ونظريات . وإذا كنا قد استشهدنا بنص محدد فى هذا الشأن للحسن بن الهيثم فى مجال الفيزياء ، فإنه يجب التنويه إلى حقيقة هامة يغفلها كثير من علماء المناهج وفلاسفة العلم مؤداها أن المنهج التجريبى فى التراث الإسلامى لا يصح أن ينسب فى اكتشافه إلى عالم بعينه كما هو الحال بالنسبة لأرسطو وبيكون ، بل يعزى إلى كل من أدلى فيه بدلوه فى مجال اهتمامه مثل (جابر بن حيان) فى الكيمياء ، و (أبى بكر الرازى) فى الطب ، و (أبى الريحان البيرونى) فى الجيولوجيا وغيرهم .

وفى هذه الحقيقة الهامة يكمن السر والدافع وراء نجاح هذا المنهج ومواكبته لحركة التقدم العلمى التى حثت عليها تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السامية ، متمثلة فى آيات القرآن الكريم التى تحث على النظر والبحث فى ملكوت السموات والأرض ، وفى الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى السعى فى طلب العلم وتجعله فريضة على كل مسلم(١١) ، وتحرر العقل من القيود والأوهام المعوقة للكشف والإبداع(١٢) .

د . احمد فؤاد باشا

(١١) انظر ما كتبناه حديثا عن الحضارة الإسلامية والتقدم العلمى فى كتاب « الثقافة الإسلامية » (بالاشتراك) ، ص ٩٩ ـ ١٣١ ، منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٥ ، وأيضاً ما يتصل بِحَثّ الإسلام على البحث المنهجى فى : عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، منشورات المكتبة المصرية . وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، المختار الإسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ . د . عبد الله شحاتة ، تفسير الآيات الكونية ، القاهرة ١٩٨٠ . د . مصطفى حلمى ، مناهج البحث فى العلوم الإسلامية ، مكتبة الزهراء ١٩٨٤ ، وأيضاً مؤلفنا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ .

(١٢) تدعو تعاليم الإسلام إلى محاربة التنجيم والتنبؤ العشوائى والتعصب للعرف والعرق وتحذر من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات (انظر على سبيل المثال : عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية) . ونحن نرى أن هذه التعاليم أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس لبيكون والتى كثيرا ما يباهى بها فلاسفة العلم وشراح المنهج العلمى (انظر على سبيل المثال : د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، المنطق الاستقرائى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٩٦ وما بعدها) .

أوركسترات الحشرات

٢

آليات خاصة لإصدار الأصوات :

يوجد لدى « السيكادا » واحد من أكثر أعضاء إصدار الصوت تعقيداً فى الحشرات . وبالنسبة لهذه الحشرة ، فمن المعتقد أن أغلب أنواعها ، والتى تسمع أصواتها فى أواخر فصل الصيف ، تقضى مدة ٢ ـ ٥ سنوات تحت سطح الأرض وهى فى شكل الحوريات غير البالغة ، حيث تغتذى هناك بامتصاص العصارة النباتية من الجذور العصيرية ، وتضم « السيكادا » الدورية ستة أنواع مختلفة . قد تمتد حياة الطور غير البالغ فى هذه السيكادات إلى نحو ١٣ سنة فى الأنحاء الجنوبية من القارة الأمريكية ، بينما تطول هذه المدة لتصل إلى ١٧ سنة فى شمالها .

أمَّا عن الأصوات ، فإن إناث أغلب أنواع « السيكادا » توصف بأنها صامتة ، بينما تقوم ذكورها بإصدار موسيقاها وذلك بواسطة زوج من الطبول يقع فى منطقة البطن من جسم الحشرة . وتتغطى هاتان الطبلتان بصفيحتين تُسَمَّيَان « صمَّات Opercula » ، تتذبذبان نتيجة فعل زوج من العضلات الفتية المتصلة بها . ومن الملاحظ أن أصوات السيكادات تتنوع لتشمل أنغاماً عديدة خلال ما يُسَمَّى « مُوَجِّهات الصوت » على غرار ما يوجد فى الفرق « الأوركسترالية » .

حدث هناك فى بلاد الأغريق القديمة أن أعتُبِرَت « السيكادات » أشياء مقدسة ، فكان المواطنون يحفظونها فى أقفاص ليستمتعوا بأغانيها الشجية التى تبعث فى مخيلاتهم الشعرية أبهى وأجمل الصور ، كما كانوا يتخذونها للزينة . ولقد وصلت رِفْعَةُ هذه الحشرات عندهم حتى أصبح شعار دراسة الموسيقى هو (سيكادا على قيثارة) ، بل أُطْلِقَ اسم (أغنية السيكادا) على صوت القيثارة .

حينما يستعمل المتخصصون فى دراسة الحشرات مصطلح « الصرصرة Stridulation » فإنهم يقصدون به ما ينبعث من أصوات ناتجة عن احتكاكات جزءين صلبين ببعضهما فى جسم الحشرة . تصدر هذه الصرصرة من حشرات كالنطاطات وصراصير الغيط والجنادب الأمريكية ، وكلها أصوات نغماتها الموسيقية المتباينة تقع فى شكل إيقاعات غريبة ، يحدث هذا وتقوم به الحشرات المذكورة بصفة دورية منذ بزوغ فجر كل يوم إلى غسقه[1] ، ثم من

* الكاتب : عضو هيئة التدريس كلية العلوم ـ جامعة الأزهر .

(١) الغسق : ظلمة أول الليل .

تأليف : د/ ر. ف أشلى
ترجمة : د/ كارم السيد غنيم *

الغسق حتى بزوغ فجر اليوم التالى ، وهكذا .

ربما يكون من العسير علينا أن نتعرف على طبقة الصرصرة المنبعثة من صراصير الغيط ، وهى التى نسمعها وتشكّل نَمَطاً ملحوظا فى أسماعنا ، وهذه الطبقة الصوتية تتوقف على « ثابت الدوام Time constant » ، ذلك الوقت الذى يستغرقه غشاء أو شعيْرة ما كَىْ تعود إلى حالتها الطبيعية بعد أن ترتطم بها إحدى الموجات الصوتية . ولإيضاح الكفاءة السمعية لدى الحشرات ، فإنه يمكن القول بأن « ثابت الدوام » فى الأصوات التى تحس بها أُذن الإنسان تُقَدَّرُ قيمته بأطول من « ثابت الدوام » لآذان الحشرات بعشر مرات على الأقل ، كما يستطيع الإنسان أن يمَيز بيْن صوتيْن بحيث لا تقل الفترة الزمنية التى تفصلهما عن بعضهما عن ١/١٠ من الثانية ، بينما تستطيع الحشرات أن تميز الأصوات حتى إذا وصلت الفترات الزمنية التى تفصلها عن بعضها إلى ١/١٠٠ من الثانية وهى الأصوات التى تُوصَفُ بأنها متداخلة ولا طاقة للأذن البشرية على تمييزها ، ثم هناك أَمْرٌ آخَرَ فى هذه المسألة هو أن الطَّنين أو الأزيز الذى تسمعه أذن الإنسان ما هو إلاّ سلسلة من الموجات الصوتية المنفصلة عن بعضها ولها معنى ومدلول عظيمان عند الحشرات .

بالنسبة لميكانيكية حدوث هذه الصرصرة فإن احتكاكاً يحدث بين جزءين من الجسم فى الحشرات ، أحدهما يسمى « المَبْرد File » ـ وهو سلسلة من النتوءات البارزة ـ تنجرُّ عليه حافّة أو عقدة صلبة هى « المحكاك Scraper » وتتوقف طبقة الصوت الصادر بهذه الطريقة على كُلٍّ من الفراغات الواقعة بين هذه النتوءات وبعضها ، وكذا على سرعة جرِّ المحكاك عليها . أمَّا عن مكان الجزءين المحتكَّيْن ببعضهما فى جسم الحشرة ، فيختلف باختلاف أنواع الحشرات ذات الأصوات ، فمثلاً فى (نطاط الحقل) الشائع يحدث هذا الاحتكاك بيْن فَخْذَىْ الرجليْن الخلفيتين(٢) بعرق مُقَوِىّ يقع فى الأجنحة الأمامية . وفى (نطاطات) أخرى (من ذوات القرون القصيرة) يتم فيها حَكُّ الرِّجْل الأمامية بالجناح الخلفى معاً فى نفس الجانب من الجسم . وفى هذه الحشرات توجد صفوف من الأشواك الدقيقة الحجم على الأرجل الخلفية ، عند حَكِّها بالأجنحة الخشنة ، يصدر صوت يشبه إلى حد كبير ذلك الصوت الناجم عن حَكِّ ظُفْر أصبع الإبهام ـ من أصابع اليد ـ بأسنان مُشْطٍ صغير . بينما يتم احتكاك الأجنحة الأمامية ببعضها البعض وليس بالأجنحة الخلفية ، وذلك فى (نطاطات) أخرى (من ذوات القرون

(٢) الفخذ فى رِجْلِ الحشرة هو ذلك الجزء القريب من منبع خروج الرجل من صدر الحشرة .

الطويلة) وكذا بعض صراصير الغيط . وتصل الأنغام الموسيقية إلى حَدٍّ من الروعة والجمال حتى أَنَّ بعض الناس يحتفظون بحشرات (السيكادا) و (صراصير الغيط) ويستألفونها بغيةَ مشاهدتها وهى تشدو بأصواتها .

يضم عالم الحشرات حَشْداً كبيراً من الأنواع تُصْدِرُ الأصوات الصرصرية ، ومنها نجد (الرعاشات Odonata) ، البق الحقيقى (Hemiptera) ، الذباب (Diptera) ، النمل والنحل والزنابير (Hymenoptera) ، وكذلك الخنافس (Coleoptera) وبالنسبة للخنافس بالذات ، فإن لديها تنوُّعا كبير المدى من سُبُلِ إصدار الأصوات ، تقوم بذلك - على سواء - الحشرات اليافعة أو يرقاتها الصغيرة . فيرقات الخنافس من فصيلة Passalidae مثلاً قد تَجَهَّزَ فيها عضوٌ متخصص فى الصرصرة يقع فى الزوج الثالث من الأرجل ، وهذه هى اليرقات التى تعيش طوال حياتها فى أنفاقها بالأخشاب .

مِمَّا يدعو إلى الدهشة والعجب لأصوات الحشرات ، أن تقوم بإصدارها أعضاءٌ ضئيلة الحجم ، وفى نفس الوقت يجب أن تكون هذه الأصوات عالية الطبقة محددة النغمة حتى لا يختلط الأمر على الحشرة ، فلكلٍّ سلوك نغمة خاصة ، ومن ذلك نداء الأنثى على أليفها أىْ استدعاء شريك حياتها ، وهى مسألة من الدقة بمكانٍ حتى لا يأتيها مَنْ لا ترغب فى مجيئه . هذه لمحة سريعة كى يتبيَّن الإنسان مدى القدرات الرائعة التى تمتلكها هذه الكائنات . ويصل حدّ الدهشة إلى أكثر من ذلك إذا علمنا أن فى (صراصير الغيط) و (النطاطات) ذات القرون الطويلة أجهزة لتضخيم الأصوات ، وهى فى الحقيقة أسْطُح غشائية تُسَمَّى « المرايا » ، تقوم بتضخيم أو تفخيم الصوت لاسيما إذا كان خشناً . وهذا ما يفسِّر مدى الضجة والجلبة التى تحدثها الخنافس أيضاً بأصواتها .

هل تستخدم الحشرات أصواتها لتحقيق أغراض معينة ؟

تتنوع استخدامات الحشرات لأصواتها وقدراتها السمعية لتحقق بها أغراضا منها :

أنواع معينة من الحشرات تقوم بإصدار أصوات تُدْخِلُ بها الرعبَ على أنواع أخرى . وهناك حشرات تصدر أصواتاً تستخدمها فى تحديد موقع شريك حياتها فى البيئة المحيطة بها ، وإن كانت هذه الأصوات المميَّزة تكشف عن موقع الحشرة التى تصدرها وهذا يساعد الحشرات المفترسة على تحديد موضعها ، ومن ثَمَّ إمكانية الهجوم عليها وافتراسها .

وفى حالة التنافس بين ذكور النوع الواحد بقصْدِ حماية الموطن من غزو الآخرين ، فإنَّ ذَكَراً ما يُصْدِرُ صياحه للتحدى والهجوم إذا ما رأى ذكراً آخر ينوى اقتحام موطنه عليه . وهذا يذكّرنا بالصرصرة الموسيقية التى تحدثها ذكور (صراصير الغيط) .

ومن الأغراض أيضاً ، أن أغنيات السيكادات وصراصير الغيط تثير حماس الأنواع الحشرية المشابهة كى تتجمع وتتكدس فى مساحة معينة ، وهو السلوك الذي يعمل على تدعيم حياة الجماعات الحشرية

ويمنع من ضعفها الذى ينجم عن تشتتها ، ويمنع أيضاً الجماعات الحشرية من الترحّل إلى بيئات جديدة عليها ومثيرة لها .

أما عن أهمية أصوات الحشرات فى ترابط ذكور وإناث النوع الواحد ببعضها البعض ، فقد أشرنا إليها آنفا . وهو الأمر الذى يؤدى إلى عزل جماعةٍ حشريةٍ ما ، عزلاً ينتهى بإنتاج نوع حشرى جديد .

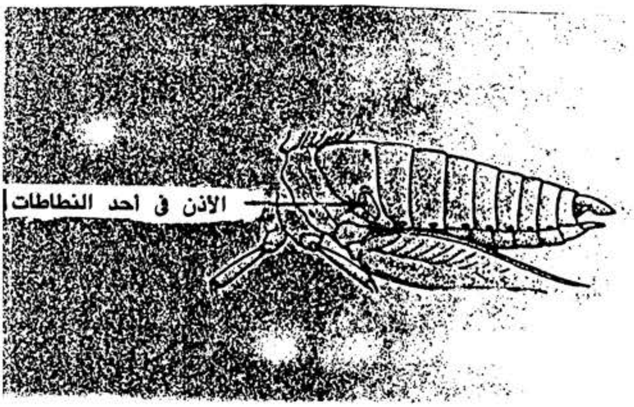

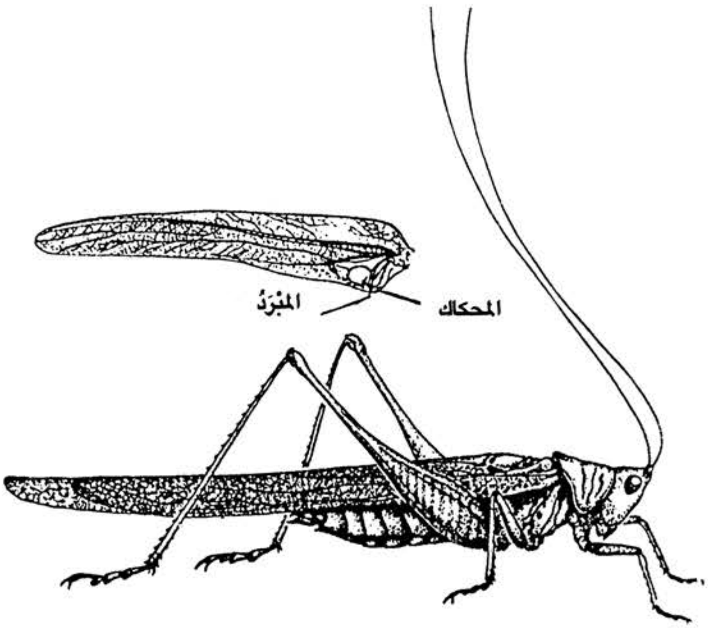

ذكر النطاط ذو القرون الطويلة يقوم بإصدار صوت موسيقى بطريقة تشبه إلى حد كبير تلك التى يحدثها صرصور الغيط

د / كارم السيد غنيم

طرائف

« من أدب الصدقة »

قال النخعى : كانوا يرون أن الرجل الظلوم إذا تصدق بشىء دفع عنه البلاء ، وكان الرجل يضع الصدقة فى يد الفقير ، ويتمثل قائماً بين يديه ، ويسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائل .

« الذين يكنزون الذهب والفضة »

قال بعض المفسرين ، فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّـذِينَ يَكْنِـزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ إنما خص هذه الأعضاء بالذكر دون غيرها ، لأن السائل إذا جاء إلى رب المال نعير وجهه ! فيسأله ثانياً فينحرف بجنبه ! فيسأله ثالثاً فيوليه ظهره .

وقال الرازى : ظاهر الآية أنهم يُكْوَوْنَ بجميع المال لا بقدر الزكاة فقط لتعلقها بالجميع .

« فتنتان »

قال سفيان الثورى : كانوا يتعوذون من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة العابد الجاهل ! فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون !

« افتضاح مراءٍ »

دلك بعض المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام لتظهر سمته من أثر السجود ، فانحرف الثوم والعصابة إلى صدغه فبان الأثر هناك فقالت له امرأته فى الصباح : « أنْت ممن يعبد الله على حرف » .

« نعم الوفاء »

قال الأصمعى : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال وعليها من الحلى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى فالتفت إلى صاحبى ، فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ، ثم قلت لها : يا هذه إنى أراك حزينة ، وما عليك زى الحزن فأنشدت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى
رهينة هذا القبر يافتيان
وإنى لأستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجلالاً وإن كنت فى الثرى
مخافة يوم أن يسؤك لسانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بى
بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل
كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه
أن قد تسر به من بعض هيآتى
فمن رآنى رأى عَبْرَى مُوَلَّهَةً
عجيبة الزى تبكى بين أموات

« وصية »

فأوصيكُم بالله أول وهلة
وأحاسبكم ، والبر بالله أَوَّلُ
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوذتم فتعففوا
وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

« حقاً »

قيل لعبد الله بن الحسن – رضى الله عنه – : إن فلاناً غيرته الولاية !!

فقال : من ولى ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

« السخى هو ؟ »

الذى يكون مسروراً ببذله متبرعاً بعطائه لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، ويكون مثله مثل الصائد الذى يلقى الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه .

« دعاء »

رب وفقنى فلا أعدل عن
سنن الساعين فى خير سنن

من أعلام الأزهر

العلامة الشيخ
عبد الرحمن محمود قراعة

مفتى الديار المصرية الأسبق
وعضو جماعة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين .

تمهيد :

خصصت مجلة « الأزهر الغراء » بابا بعنوان (من أعلام الأزهر) لكتابة ترجمة حياة هؤلاء الأعلام العظام ، وما تركوه من تراث علمى وأدبى ليتخذهم أبناء الأزهر الشريف نبراسا يهتدون بنورهم ، ويقبلون على البحث والمذاكرة ليبلغوا من المكانة الرفيعة ما بلغ هؤلاءَ الأعلام الذين كان لهم فى كل عهودهم كلمة مسموعة ، ومكانة مرموقة ، ومركز رفيع بين أبناء الأمة ، وعند الحكام الذين كان كثير منهم يتنافسون على نيل ثقتهم فيهم ، ويسارعون فى حضور دروس هؤلاء الأئمة الأعلام . وكان لهؤلاء الاعلام (رحمهم الله) المقام الأول فى المناسبات الرسمية وغيرها كما كانوا يتقدمون الأمراء وكانوا يقومون بالسفارة بين حكام مصر والعالم الاسلامى ، كما كانوا ينتدبون لحضور المؤتمرات السياسية نيابة عن مصر ، وحادثة فضيلة الشيخ الأحمدى الظواهرى (رحمه الله) فى مؤتمر الخلافة الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٢٦ بعد انتهاء الخلافة العثمانية مشهورة حيث كان « الشيخ الظواهرى » جريئا فى اقتراح انفضاصه على غير قرار لأنه لم يتكامل فيه تمثيل الأمم الاسلامية فانفض (١) .

وحادثته (رحمه الله) وهو رئيس وفد مصر فى مؤتمر مكة فى نفس السنة أشهر حيث أفحم أعضاء المؤتمر بحججه وبراهينه دفاعا عن حقوق مصر فوافقوا على رأيه .. ولما عاد الى القاهرة وقابل وزير الخارجية استقبله محتضنا مرحبا مقبلا قائلا : كنت أعلم أن الأزهر يخرج علماء فطاحل ، ولكنى لم أتصور يوما ما أن الأزهر

---

(١) راجع الأزهر فى ١٢ عاما .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى*

يخرج (دبلوماسيين) مهرة من الطراز الأول(٢)٠

نعم : هكذا كان الأزهر المعمور يخرج علماء وأدباء وسفراء و (دبلوماسيين)يرفعون رأس مصر عالية فى المحافل والمؤتمرات ، وكانت عمائمهم على رءوسهم تيجانا تلمع وتبهر عيون الناظرين وتجعلهم يتقدمون الناس أجمعين ٠ نعم ، هكذا كان ازهرنا المعمور منارة تضىء العالم ٠

ومجلة « الأزهر الغراء » بانشائها بابا بعنوان « من أعلام الأزهر » انما فتحت نافذة لتخرج عبرها أنوار العلم والأدب والعزة والكرامة بكتابة تواريخ رجاله الذين كانوا مثلا عليا فى العلم والادب والعزة والكرامة والوطنية وقول الحق دفاعا عن الحق للناس أجمعين ٠

فضيلة العلامة الشيخ

(عبد الرحمن محمود قراعة)

من أعلام الأزهر العظام فضيلة العلامة الفقيه الأديب المعتز بدينه وكرامته الشيخ « عبد الرحمن محمود قراعة » مفتى الديار المصرية الأسبق ، وعضو جماعة كبار العلماء ٠

الشيخ عبد الرحمن محمود قراعه

ميلاده ونشأته

ولد فقيد الأزهر الشريف العلامة الشيخ « عبد الرحمن قراعة » عام ١٢٧٩ هجرية الموافق اليوم الحادى والثلاثين من يناير عام ١٨٦٣ ميلادية بمدينة « أسيوط » ٠

فقيدنا العظيم سليل عائلة كريمة اشتهرت منذ وجدت بالتمسك بالشريعة الاسلامية تفهما وعملا وسلوكا ٠ وتميزت بالعلم والادب

* مفتش العلوم الدينية بالأزهر الشريف سابقا

(٢) راجع كتاب « السياسة والأزهر » لأحد انجال المرحوم فضيلة الشيخ (الأحمدى الظواهرى)

والعمق فى دراسة فقه الشريعة الاسـلامية والعلوم التى لابد منها للوصول الى عمق فهمها بجميع خلفياتها •

أول ما فتح فقيدها العظيم « رحمه الله » عينيه فى حياته المباركة فتحهما فى بيئة دينيـة علمية أدبية أبا عن جد ، اذ أن أكثر أبناء أسرة « قراعة » ممن ولدوا قبله أو ولدوا بعده كانوا من أفاضل العلماء ، وأكابر الادباء خدموا العلم والدين مخلصين لله رب العالمين •

فى هذه البيئة الدينية العلميـة الأدبيـة فتح « وليدنا » العلامة الشيخ «عبد الرحمن قراعة» عينيه فرأى نور الايمان يملأ أركـان المنزل ، والعلم والأدب والثقافة تملأ جوانبه وكـل أفراد هذه البيئة خاضعون لله ، مطيعون له ، راضون بقضائه وقدره • ملأ نور الايمـان جميع جوارحهم فاستسلمت لله • كـان مـن الطبيعى أن ينشأ « الوليد » الذى يفتح عينيه فى مثل هذه البيئة الدينية نشأة تتفق مـع سلوك وآداب وعادات وتقاليد هذه البيئة التى كسبت كل قيمها من هذا النور الذى ملأ جميع جوارح أفرادها •

رأى « وليدنا » فى هذه البيئة العلم والورع والاخـلاص والوفـاء والاحسـان الى مـن يعرفونهم ومن لا يعرفونهـم ، والأخـذ بيـد المحتـاج وقضاء حوائجـه لديهم أو لـدى غيرهم • رأى « وليدنـا » كل هذه الفضائل فانعكست عليه منذ صـغره فعشقها حتى أصبحت جزءا من روحه •

ولما بلغ السن التى تؤهله لبدء مرحلـة التعليم وجد فى بيئته من يقوم بتعليمـه وتثقيفه وانماء الآداب السامية التى امتزجت بروحه • وجـد من يقوم بتعليمـه لأن أكثر أبناء الأسرة علماء أفاضل ، جده المرحـوم الشيخ احمد قراعة كان عالما فاضلا • ووالده المرحوم الشيخ محمود قراعة كان قـاضى مديرية أسيوط •

تعلم « وليدنا » القـراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وجوده على يد والده ولم يكن قد جاوز التاسعة من عمره • واسـتمر يتلقى على يد والده مبادىء العلوم الدينية والعربية حتى بلغ الثانية عشرة من عمره • وفى هذه السن المبكرة بدأت تظهر عليه علامات الذكاء وأمارات النبوغ فوجد فى نفسه دوافع خفية تدفعه الى دراسة العلـوم الشرعية والتعمق فيها ، والاقبال بجد ونشـاط على العلـوم العربية وفقه اللغة وآدابها التى تمكن كـل من أحاط بها وتذوقها من فهم القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ بجميع ظواهرهـا وخلفياتها (٣) ولقـد واتته الفرصة لتحقيق

(٣) يدل على أن من تـذوق اللغـة العربيـة وآدابها وتعمق فى دراسة معانيهـا ومراميهـا يكون أقدر على فهم القرآن الكريم والاحاطـة بمعانيه السامية ـ من غيره ما سـمعته من مشايخى (رحمهم الله) أن أعرابيا كان يمشى فى الصحراء فسمع تاليا يتلو قـوله تعـالى :« فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فهاج واضطرب وهام على وجهه مناديا بأعلى صوته : من أغضب رب السماء حتى أقدم على هذا القسم العظيم •

رغباته هذه واشباع هواياته بوصوله الى الأزهر الشريف منارة العلم والعرفان — الينبوع الذى تفضل الله « سبحانه » وأنعم به على مصر منذ أكثر من ألف عام ، تفيض من أنهاره جداول المعرفة فى كل ناحية من نواحى العلوم والفنون والثقافة الاسلامية فحفظ للمسلمين تراثهم ، وصان لغة كتابهم ، وأبان لهم معالم الحق ، وهداهم الى الصراط المستقيم .

فى الأزهر الشريف وجد « فقيدنا » العظيم ضالته ، وأقبل بعزم وحزم على تحقيق رغباته ، تتلمذ على أيدى صفوة العلماء الأجلاء شموس الأزهر المنيرة ، وملوكه المتوجين بتيجان الأزهر التى لا تقدر ، ولا يمكن أن تباع أو تشترى بأى ثمن بالغا ما بلغ ، وهى العمائم التى كانت تضفى على وجوه الأزهريين مهابة ووقارا وجلالا تعنو وجوه الأكابر أمامهم . على أيدى هؤلاء السادة الأعلام تتلمذ « فقيدنا » العظيم يغترف من فضل علومهم .

حضر دروس كبار مشايخ الأزهر ، من أمثال : أصحاب الفضيلة الشيخ ابراهيم السقا ، والشيخ عليش ، والشيخ محمد الأشمونى ، والشيخ محمد المهدى العباسى ، والشيخ محمد الانبابى ، وغيرهم وغيرهم من العلماء الفطاحل . ولم يكتف « فقيدنا » العظيم بما حصله على أيدى هؤلاء العلماء الأعلام بل كان يطلع على أمهات الكتب العربية والشرعية والأدبية الموجودة فى خزانة والده « قاضى أسيوط » ثم فى خزانته التى كونها لنفسه بعد ذلك .

طالع كتب الفقه والتفسير والحديث والأصول وعلوم اللغة العربية ، وتفرغ لدراسة الكتب الأدبية ودواوين الشعراء الفحول فى العصور الأدبية الأولى فظهرت عليه ملكة الخطابة والكتابة كما ظهر نبوغه فى قرض الشعر البليغ ، ولم يكن قد جاوز العشرين من عمره . ولكثرة ما حفظ من أشعار أصحاب المعلقات وأشعار أعلام العصر الثانى الذهبى ، أخذ فى هذه السن المبكرة يكتب الشعر فى أغراضه المختلفة من مدح وتهنئة ورثاء وحكمة واعتذار وتوسط به لدى كبار أصدقائه ومعارفه لقضاء حوائج المتوسلين به ، وصل القمة فى شعره ولم يكن قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره حينما قصد الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج فوصف رحلته هذه فى قصيدة رائعة — أبياتها ثمانية وسبعون بيتا — بعنوان « على قبر الرسول » ﷺ تحدث فيها عن رحلته من جدة الى مكة المكرمة والى المدينة المنورة وذكر فيها مشاق السفر ، ووصف ناقته التى حملته فى هذه الرحلة وصفا رائعا بأسلوب أجلى وأوضح من وصف « طرفة بن العبد » لناقته فى معلقته .

وضع « فقيدنا » العظيم (رحمه الله) فى قصيدته هذه كل أفكاره وأخيلته ، وحنينه وشوقه ومناجاته وتوبته ورجاءه فى نيل شفاعة المصطفى ﷺ وورود حوضه ، وصف كل ذلك وصفا يأخذ بمجامع القلوب .

وانها لقصيدة رائعة تستحق التسجيل تذكرة للقراء الكرام بأن الأزهر الشريف لم يكن يخرج علماء فى الشريعة فحسب بل كان يخرج أدباء أيضا ، ويخرج علماء فى العلوم الدنيوية (٤) .

بدأ « فقيدنا » العظيم الذى لم يكن قد جاوز الثالثة والعشرين من عمره قصيدته بقوله :

عليّ حقوق للمطيّ الرواسم
تطالبنيها كل حين عزائمى
وما المطل من شانى ولكن حاجة
تعرض لى بين اللها والحيازم
أضيق بها ذرعا اذا ماذكرتها
وأقرع ان لم أقضها سن نادم
طهارة نفس أبتغيها لعلنى
أليق للقيا أهل تلك المعالم
وميلا عن الأهواء والبدع التى
تلطخت من جرائها بالمآثم
فيا نفس جدى فى المتاب وأخلصى
الى الله فالاخلاص أسنى المغانم
أنيبى أنيبى — لا أبا لك — واقطعى
حبالك من أبناء حوا وآدم
ولا تقنطى من رحمة الله انه
كريم جزيل الفضل جم المراحم
أحط بها رحلى وأغسل حوبتى
بدمع عيونى لا بدمع الغمائم

وصف الناقة

فيا ناق ان بلغتنى ذلك الحمى
أرحتك من هذا العناء الملازم
لك الله من وجناء ترقص فى الثرى
كرقص عذارى الحى عند الولائم

(٤) كان الأزهر يخرج ادباء وعلماء فى العلوم الدنيوية ايضا :
الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر كما كان من كبار العلماء ، وكان أيضا من كبار الأدباء له ديوان شعر باسم : مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف .
الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر كان طويل الباع فى مختلف العلوم . من مؤلفاته فى العلوم الدنيوية « فرائد جبرية — حاشية فى الحساب » .
الشيخ الدمنهورى شيخ الأزهر نبغ في كثير من العلوم والفنون وألف فيها أيضا ومن مؤلفاته :
(أ) رسالة عين الحياة فى استنباط المياه فى الجيولوجيا .
(ب) القول الصريح فى علم التشريح فى الطب .
(ج) الدرة اليتيمة فى الصنعة الكريمة فى الكيمياء .
(د) عقد الفرائد فيما للمثلث من فوائد فى الهندسة .
الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر كان يجيد كثيرا من العلوم كما كان شاعرا ايضا . ومن مؤلفاته:
(أ) رسالة فى كيفية استعمال الاسطرلاب .
(ب) كتاب فى الانشاء والمراسلات .
(ج) ديوان شعر .
هؤلاء نماذج فى العلوم الدنيوية والادب من بين المئات من العلماء .

اذا رويت كان الهجير وراءها … وان ظمئت لم تشك غلة هائم
وان أحزنت نصت وان هى أسهلت … تجد وتنساب انسياب الأراقم
وان أيقظت للسير أجفان عزمها … أرتك الفيافى مثل أحلام نائم
وان نظمت أخفافها عند منزل … نثرن حصى البيداء نثر الدراهم
كأنى رام والقسى مفاوز … وعنسى سهم فوقت للتساهم
متى أرم أكباد البطاح بها أصب … مقاتلها موطوءة بالمناسم
تحن الى طى القفار حنينها … لأم القرى من بين كل العواصم
وتأبى ولو أن السماكين سخرا … لها منزلا الا بشعب ابن هاشم
هنالك حيث الكون أشرق وازدهى … بخير الورى والبيت سامى الدعائم
بلغت المنى يا ناق هذى بطاحها … تلوح وهذا صوت سجع الحمائم

وصف مشاعره وأحاسيسه بعد الوصول الى مكة المكرمة :

وهذا هو البيت العتيق وهذه … منازل أملاك السماء الأكارم
وهذا هو الركن الوثيق وهذه … لعمرى لعمرى خير كل الزمازم
وذا حجر اسماعيل لاح وقبله … مقام خليل الله أكرم قائم
فلبيك رب البيت لبيك مخلصا … مجيبا منيبا موثقا بالمغارم
دعوت فلم نسمع أمرت فلم نطع … نهيت فألممنا بكل المحارم
فيارب عفوا ثم عفوا وتوبة … نصوحا كما يرضيك توبة نادم
ويارب أكرم بالقبول وفادتى … عليك وبالغفران قابل مآثمى
وثبت على الايمان سرى وظاهرى … وحرم على النيران لحمى كذا دمى
ومن هول يوم الدين يارب نجنى … وبالحق أيد حجتى فى التخاصم
وبالعمل المبرور رب تولنى … وبالخير أحسن مبدئى وخواتمى

وصف رحلته الى المدينة المنورة ووصف عواطفه ووجدانياته نحو ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام :

نطوف ونسعى هاهنا ثم نثنى … الى الصفوة المختار من آل هاشم
الى طيبة الفيحاء والروضة التى … بها باهت الأرضون كل العوالم
الى حيث أنوار النبوة أشرقت … على الناس طرا عربهم والأعاجم

←

الى الآيـــة الكبرى على كـل جـاحد — الى الحجـة العظمى على كـل ظـــالم
الى الغـــرض الأقصى الذى ليس بعده — مـرام لـرام أو مـرام لــــرائم
الى الحامد المحمـود أكـــرم فـاتح — وأفضـــل مبعوث وأشرف خـــاتم
الى أحمد الهــــادى البشير محمـد — الى الطاهر الماحى ظــــلام المظـالم
مـن اخترق السـبع الطبـاق الى العلا — الى ربــه حيث انتهـــاء المكـارم
وزج بـه فى النـور وانكشـف الغطـا — فأدرك سرا دق عـن كـــل فـــاهم
فسبحان من أسرى بـــه مـن مقـره — الى المســجد الأقصى مقـر الأعاظم
فـــأم جميع الأنبيـاء اشـــارة — الى أنـــه ــ فى السبق ــ غير مزاحم
فكل نبى فهـــو تحـت لـوائه — وتـــابعه فى الـوحى من لــد آدم
وأرســله للانس والجـــن رحمـة — بشـــيرا نذيرا مرغمـــا للمراغم

ذكر معجزاته « صـلى اللـه عليه وسلم » القرآنية والكونية :

وأيــده بالمعجزات فـلم تـــدع — قواطعهـــا شـــكا ووهمـــا لواهم
وها هى فينـــا باقيات وان مضـــت — عليها قـرون بينات المعـــــالم
الى أن غـدا الدين الحنيفى ضـــاربا — سرادقـــه بين الطـــلى والجمـاجم
وكسرت الأصــــنام وانفصـمت عرى — عبادتهـــا فاشـكر صنيع القواصـم
فكم بيع قـــد هـدمت وصـــوامع — بدعوة بانى الحق أكــرم هــــادم
وكم معجـزات لا يفى نثر نــــاثر — بنشر خفاياهـــا ولا نظم نــــاظم
تضمنها القرآن والـــوحى وانطوت — عليهـــا صــدور عالم بعـــد عالم
رواهـا الثقـــات الطهـر نقـل تواتر — عـن الســلف الغر التقـــاة الأكارم
رأوا ما سـمعنا فاستطارت نفوسـهم — شعـاعا وآبوا الهـــدى أوب نــادم
ونـــاهيك بالقـــرآن أكبر معجـز — بــه انقطعت أعنـــاق كـل مخاصـم
هو البحر ان رام الأنـــام أحاطـــه — بـــه غرقـوا فى موجـــه المتلاطم
تحداهمـو منـــه بـــأقصر سـورة — فلـم يغنهم اغـراقهم فى المـــزاعم
وباءوا بخزى صـــاغرين وخيبـــة — وعجـز وثـاروا للقنـــا والصـوارم
رأوا أن حـد السـيف ألين ملمسـا — لديهم مـن الآيـــات عنـد التصـادم
فحلوا عقـال الحـرب فـانطلقت بهم — عمايتهم للقتـــل ثم لجـــــاحم

مناجاته النبى « صلى الله عليه وسلم » :

نبى الهدى ياخير من وطىء الثرى — وخير مصل فى الأنام وقائم
رجوتك للأمر العظيم وانما — يرجى عظيم الأمر عند الأعاظم
دعوتك ان حانت منونى وحشرجت — لطيفة روحى فى اللها والغلاصم
فحطنى بنور منك يهدم جيشه — جيوش ظلام الفتنة المتراكم
دعوتك للأخرى فكن لى شافعا — لدى الله يوم العرض يوم التزاحم
وأوردنى الحوض الذى طاف حوله — جميع الورى بين صاد وهائم
أبا القاسم المأمون انى لاجىء — الى جودك المنهل بابنك قاسم
وبالبضعة الزهرا البتول وبعلها — على وبالأطهار أبناء فاطم
أأشقى — معاذ الله — بعد وفادتى — عليك كما تشقى وفود البراجم
وأحرم من حسن القبول وهذه — عطاياك تجرى كالغيوث السواجم
وكيف رسول الله أشقى وأنت لى — شفيع ولو قارفت كل المآثم
خدمتك بالنزر اليسير مؤملا — بذلك أن أحظى بميسم خادم
وجائزتى منك الشفاعة لى غدا — وأهلى واخوانى مطيع وجارم
فسحب عطاياك الجزيلة طالما — أرتنا الخوافى ألحقت بالقوادم
عليك صلاة مع سلام تضوعت — بمسكهما أرجاء كل العوالم
وصحبك من فى نصرة الدين قد سخوا — ببذل أبيات النفوس الكرائم
وآلك أعلام الهداية والتقى — وتيجان هامات العلا والمكارم
صلاة وتسليما يدومان كلما — جرى ذكرهم فى البدء أو فى الخواتم

هذه القصيدة الرائعة كتبها فقيدنا العظيم (رحمه الله) وألقاها على قبر رسول الله «صلى الله عليه وسلم » ولم يكن قد جاوز الثالثة والعشرين من عمره •

لعل أبناءنا « طلاب الأزهر » يحفظونها وينتفعون بمافيها من ثروة لغوية ونفحات روحية قلما تجتمع الاثنتان فى قصيدة واحدة •

يتبع

توفيق اسلام يحيى

غزوة بدر الكبرى

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ
مصطفى عبد الرازق
شيخ الأزهر الأسبق

إن الغزوات الكبرى فى الإسلام إذا طافت بعقل المؤمن فإنها تبعث فى نفسه نشوة بالعزة الإلهية التى اختص الله بها عباده المؤمنين.

وغزوة بدر الكبرى تتجلى فيها مثل من السياسة النبوية الحكيمة. ونماذج من الأخلاق الإسلامية الكريمة، ويتجلى فيها الإيمان بتنزل ملائكة السماء إلى الأرض ولا يعرف نتيجة لهذه الغزوة إلا واحدة من اثنتين: النصر أو الشهادة لأن حلاوة الإيمان طغت على حب الدنيا وزخرفها. فخرج المجاهدون الأول - على قلتهم - وفى قلب كل منهم عزيمة عشرين رجلا.

إنها دفعة الإسلام وحلاوة الإيمان إذا مس شغاف القلب.

قال الأستاذ الشيخ:

فى شهر رمضان أنزل القرآن الكريم ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[1]، وفى شهر رمضان وقعت غزوة بدر، وغزوة بدر فرقان أيضاً.

وفى السنة الثانية من الهجرة فرض صوم رمضان، فى شعبان، وفى هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان.

وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة.

ويوم بدر هو يوم الفرقان الذى أمد الله فيه نبيه والمسلمين بالملائكة. وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وأذله، هذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو، وما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة، والخيول المسومة، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبى ﷺ، وأخزى الشيطان، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده: ﴿وَلَقَدْ

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢) أى قليل عددكم ، فقد كانت هذه أعظم غزوات الإسلام ، إذ منها كان ظهوره ، وبعد وقوعها أشرق فى الآفاق نوره ، ومن حين وقوعها أذل الله الكفار ، وأعز من حضرها من المسلمين ، فهم عند الله من الأبرار .

سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون أو سبعون ، وكانت العير زهاء ألف بعير ، وفى أحمالها من التمر والشعير والبر والزبيب وغير ذلك ، وهى العير التى كان فيها أبو سفيان مع جمع من قريش خرجوا من مكة إلى الشام ، وكان ﷺ خرج إليها وسار يقصدها فلم يدركها ، فرجع إلى المدينة وتحين قفولها من الشام ، فلما سمع بأبى سفيان مقبلاً فى عيره من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً .

قال الواقدى : وأسرع من أسرع حتى إن الرجل ليساهم أباه فى الخروج ، فكان ممن ساهم سعد بن خيثمة وأبوه فى الخروج إلى بدر ، فقال سعد لأبيه : إنه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . قال الأب : آثرنى ، وقر مع نسائك . فأبى سعد ، فقال الوالد : إنه لابد لأحدنا من أن يقيم . فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقتل ببدر . وأبطأ عن النبى ﷺ بشر كثير من أصحابه ، كرهوا خروجه ، وكان فيه كلام كثير واختلاف . وكان من تخلف لم يُلَم ، لأنهم ما خرجوا على قتال ، إنما خرجوا للعير ، وتخلف قوم أهل نيات وبصائر لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغِفارى ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه .

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت : ياأخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى ، وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى

←

(٢) سورة آل عمران الاية ١٢٣ .

ما أحدثك به ؛ فقال لها : ومارأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يالَغُدُر[٣] لمصارعكم فى ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يالَغُدُر لمصارعكم فى ثلاث ! ثم مَثَل به بعيره على رأس أبى قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولادار إلا دخلتها منه فِلقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتميها ، ولاتذكريها لأحد . ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقا له ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها .

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة فى ليالٍ مضت من شهر رمضان وضرب عسكره ببئر أبى عنبسة ، وهى على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه وردّ من استصغر .

وروى الواقدى عن عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يتوارى ، فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ ويستصغرنى فيردَّنى وأنا أحب الخروج ، لعل الله يرزقنى الشهادة ! قال : فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى عمير ، فأجازه رسول الله ﷺ ؛ قال : فكان سعد يقول : كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ؛ فقتل فى بدر وهو ابن ست عشرة سنة .

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ ، يومئذ سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكان لرسول الله ﷺ زميلان ، فكان إذا كانت عقبة[٤] النبى ﷺ قالا : اركب حتى نمشى عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » . وقال رسول الله ﷺ وهو فى طريقه إلى بدر مع أصحابه : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك ! » فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرا : للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى ، فأغنى به كل عائل .

ثم أقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى ابن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ،

(٣) يالغدر : بفتح لام الاستغاثة لوقوع المنادى موقع الاسم المضمر وضم الغين والدال جمع غدور .

(٤) فى القاموس : العقبة بالضم : النوبة والبدل .

فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ثم شمه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل[٥] بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية ابن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة[٦] بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه . قال : فبلغت أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبى آخر من بنى المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، إن هواكم لمع محمد ! فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى . فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر ، فنزل به ، وذكروا أن الحباب ابن المنذر قال : يارسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ! فقال : يارسول الله ﷺ فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فتنزله ثم تغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى .

ثم إن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يانبى الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له بخير ؛ وبنى للنبى ﷺ عريش ، فكان فيه ؛ ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ، فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره .

وجاء فى كتاب الجهاد من صحيح مسلم : قال عمر بن الخطاب : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ما وعدتنى ! اللهم

←

(٥) ساحل بها : اى اخذ بها جهة الساحل .

(٦) اللبة : اللهزمة التى فوق الصدر وفيها تنحر الابل .

غزوة بدر الكبرى

آت ما وعدتنى ! اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ! فمازال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ؛ فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : « يانبى الله ! كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٧) فأمده الله بالملائكة . وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم انتبه مبتسماً فقال : أبشر ياأبا بكر ، أتاك نصر الله ! هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع « يريد الغبار » .

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يثب فى الدرع ويقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فحرضهم وقال : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ! فقال عمير بن الحمام ، أخو بنى سلمة ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل ، وهو يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
إن التقى من أعظم السداد

وقال النبى يومئذ لأصحابه : إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، ولا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرها . قال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لالحمنه السيف ! فبلغت رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : ياأبا حفص ـ قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص ـ أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ! فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً .

وقاتلت الملائكة يوم بدر ، قال ابن عباس : ولم تقاتل فى يوم سواه ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون . وقيل لم تقاتل الملائكة فى يوم بدر ولا غيره ، وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين ، وإلا فملك واحد يكفى فى إهلاك أهل الدنيا ، وإن جبريل أهلك بريشة واحدة من جناحه مدائن قوم لوط ، وأهلك ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة .

وكان المشركون يسمعون صهيل خيلهم ولا يرونها .. وعن أبى أمامة قال : قال لى

(٧) سورة الأنفال : ٩ و ١٠

أبى : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

وقال عكرمة : كان يومئذ يندر رأس الرجل ولا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل ولا يدرى من ضربه .

وروى أن رجلاً من الأنصار اتبع كافرا ليقتله ، فقبل أن يصل إليه سمع صوتا يقول : أقدم حيزوم ! فرأى الكافر الذى قدامه وقع صريعا وقد شق وجرح وجهه وانكسر أنفه ؛ فجاء الأنصارى إلى النبى ﷺ ، فأخبره بما رآه ، فقال عليه السلام : صدقت ! ذلك من مدد السماء .

وأمر رسول الله ﷺ ، بالقتلى من صناديد قريش أن يطرحوا فى القليب ، فطرحوا فيه . ويقال لما ألقوهم فى القليب ، وقف عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : ياأهل القليب ! بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ! كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس . ياأهل القليب ! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ! قال له أصحابه : يارسول الله ! أتكلم قوماً موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق ، وسمع عمر رضى الله عنه ، قول النبى ﷺ ، فقال : يارسول الله ! كيف يسمعوا وأنى يجيبوا ؟ فقال النبى : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم !

ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة ، فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال : ياأبا حذيفة « لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء » . قال : « لا والله يارسول الله ، ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكن كنت أعرف من أبى رأيا وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من بدر فى آخر رمضان وأول يوم من شوال ، بعث زيد بن حارثة بشيراً فوصل المدينة ضحى ، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية ؛ قال اسامة ابن زيد : « فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله خلفنى عليها مع زوجها عثمان » . ثم أقبل رسول الله قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وهم أربعة وأربعون ؛ وكان فى الأسارى العباس بن عبد المطلب ، فسهر النبى ﷺ ليلة ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبى الله ؟ فقال : أنين العباس ! فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه ، فقال رسول الله ﷺ : مابالى ، ما أسمع أنين العباس ؟ فقال رجل من القوم : إنى أرخيت من وثاقه شيئاً ، قال : « فافعل ذلك بالأسارى كلهم » . وكان فى الأسارى أيضاً أبو العاص ابن الربيع ختن رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته زينب ، وكان ﷺ يثنى عليه فى صهره خيراً ، وكان من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وهو ابن أخت خديجة ، وخديجة سألت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى أن يزوجه ، وكان لا يخالفها ، فزوجه ، وكانت تعده بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسوله

غزوة بدر الكبرى

بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت زينب مع زوجها على إسلامها ، وهو على شركه ، فلما سارت قريش إلى بدر ، سار فيهم أبو العاص فأصيب فى الأسارى ، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينب فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها ، كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها ، فافعلوا . قالوا : نعم يارسول الله ! فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

ولما تقرر أمر الأسارى على الفداء بعد أن شاور النبى عليه السلام أصحابه ، وكان بعض أولئك الأسارى فقراء لا يحصل منهم شىء ، من عليهم وأطلقهم وأخذ عليهم العهد أن لا يعودوا إلى حرب المسلمين ، وكان بعض من فقرائهم يعلمون الخط والكتابة ، فقرر عليهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من غلمان الأنصار الخط ، فإذا حذقوا فهو فداؤه . ووضع على الأغنياء منهم الفداء بقدر قدرتهم وغنائهم ، ولا يكون فداء أحد منهم أقل من ألف درهم ولا أكثر من أربعة آلاف درهم .

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلاً ؛ وأما قتلى المشركين فيقول ابن هشام : هم سبعون ، والأسرى كذلك سبعون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* **تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام ــ شارع جلاء ــ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* **جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* **اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* **باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

اللغة والأدب والنقد

أصل العرب ولغتهم

وللرافعي في شهر الصيام

الربعي وآراؤه النحوية

أصل العرب

ولغتهم بين الحقائق والأباطيل

للأستاذ الدكتور

عبد الغفار حامد هلال

رابعاً : مهاجمة الاحساس بشرف اللغة العربية :

يحبذ الدكتور لويس عوض أن يكون الساميون قد تكلموا باللغات الهندية الأوروبية حتى على افتراض المستحيل عنده وهو أن يكون الساميون نبعوا من شبه الجزيرة وهو يقصد من وراء ذلك إلى الغض من شأن مكان اللغة العربية . والقول بأنها واحدة من اللغات التى نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية . وأن ما يقال عن إعجاز القرآن لا يعدو أن يكون فى صرف الله قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله . ومن ثم هاجم الإحساس بشرف اللغة العربية وسماه تطرفاً .

ومن هنا أيضاً يشير إلى آثار اليونانية والرومانية والإيرانية فى اللغة العربية[1] ليرد على من ينظر إلى الألفاظ الأجنبية الموجودة فى القرآن الكريم نظرهم إلى شىء بخس وهو فى كل ذلك ينطلق من المبدأ السابق بأن الساميين كانوا يتحدثون لغة ميدية سيكذية ، ويناقشه الدكتور عبد الغفار فى مدعاه بأنه إذا كان هناك تشابه بين اللغات السامية والمجموعة الهندية الأوروبية فإنه أمر معترف به . ولكن مسافة الخلف تبقى كبيرة وإذا كان هناك تشابه بين الحامية المصرية[2] واللغات السامية فإن جمهرة العلماء يرجعونها إلى عائلة اللغات السامية لوجود خصائص مشتركة . وهناك فروق جوهرية بين العائلتين السامية والهندية الأوروبية توضح أن كلا منهما قسم قائم برأسه . وقد عرض الدكتور عبد الغفار هلال لهذه الفروق . وهى تمس فى الجوانب الصوتية والصرفية والاشتقاقية والنحوية .

الفصل الثانى ومفترياته :

وفيه عرض الدكتور لويس عوض لمشكلة

---

(١) المقدمة ص ٤١ ، ٤٢

(٢) للعلامة أحمد كمال باشا أمين المتحف المصرى معجم مخطوط عن أثر العربية فى المصرية القديمة ، هذا المعجم حورب حرباً شعواء لكى لا يرى النور مطبوعاً ، ولا زال على هذه الحال بغير طبع حتى الآن ، ولدى الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى الكاتب بالمجلة معرفة بتطورات هذا الأمر ... مجلة الأزهر

عـرض
الدكتور/ عبد المنعم النجار

اللغة ونظرية (اللوجـوس) وحاول أن يتسلل - من خلال عرضه لبعض النظريات الغربية التى زعم أن لها ارتباطاً بالإسلام - إلى قضية إعجاز القرآن وصلته باللغة العربية متهماً العرب وعلماءهم بالعنصريـة أو العصبية .

ولما كانت قضية إعجاز القرآن قضية رئيسية من قضايا البحث الدينى واللغوى على سواء فقد آثر الدكتور عبد الغفار أن يكون من أول المباحث التى يتناولها مبرزاً المغالطات الكبيرة التى وقع فيها الدكتور لويس عوض وموضحاً خفايا توجيهاته الملتوية فيها :-

أولاً : نشأة اللغة وخلق القرآن :

حاول الدكتور لويس عوض أن يفلسف لآراء علماء العرَب فى نشأة اللغة وذهب فى هذه الفلسفة مذاهب غريبة تصور - فى زعمه - مدى التعصب الذى وقع فيه العرب الذين حملوا رسالة الإسلام . وحاول الطعن على اللغة العربية من خلال طعنه فى إعجاز القرآن الكريم .

وقد عرض لمشكلة خلق القرآن وآراء المعتزلة وأهل السنة فى ذلك وحاول - دائماً - أن يلقى التبعة على أهل السنة .

الدكتور لويس عوض نظرا لفهمه الذاتى يرى أن الكلام هو الكلام المنطوق . وأهل السنة إنما يريدون الكلام الذى هو صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسى بألا يدير فى نفسه الكلام مع القدرة عليه وعلى هذا فهم يقصدون المعنى النفسى ويؤيد الدكتور عبد الغفار هذا الفهم بقول ابن رشد[٣] إن الأشعرية خافوا أن تكون ذات الله محلاً للحوادث فاعتقدوا أن المتكلم هو الذى يقوم الكلام بذاته وأن الكلام بالنسبة لله سبحانه صفة قديمة كالعلم وهذا يصدق على الكلام النفسى لا اللفظى .

وعلى هذا فالقائلون بقدم القرآن لم يكونوا يقصدون الازدواجية التى تؤدى إلى وجود قديمين متداخلين على حد نظرية اللوجوس . وإنما يريدون تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الحوادث .

أما ربطه لنشأة اللغة العربية وقدمها وحداثتها بالقول بقدم القرآن وحداثته فلا يجد دليلاً عليه لأن القول بقدم القرآن خاص بالمعنى النفسى .

والقول بقدم اللغة وأنها وحى ليس أمراً خاصاً بالعرب على أن علماء العربية الذين تناولوا نشأة اللغة لا يقصدون العربية وحدها ، بل يتحدثون عن اللغات بصورة عامة ومنهم من ترك الخوض فى مسألة نشأة اللغة .

←

(٣) مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ١٦٤

أصـــل العـــرب ولغتـــهم

والعلامة ابن جنى يرجح الرأى القائل بأنها صادرة عن محاكاة الأصوات .

وقد رأى الدكتور لويس عوض أن أمر العرب قائم على العصبية وأرجع ذلك إلى عقيدة الإسلام .

والقصد من وراء ذلك الغض من شأن القرشية بخاصة والعربية بعامة والغض من أصحاب تلك اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم .

والواقع أنه تناقض مع نفسه فالقرشية قد سادت لأمور أهلتها للريادة .. أمور دينية .. اقتصادية .. سياسية ويضاف إلى ذلك أنهم تخيروا من لهجات العرب أحسنها وأصفاها كما ذكر العلامة ابن فارس والقرآن نفسه مع ذلك لم يقف عند القرشية وحدها بل أخذ من اللهجات الأخرى . وقد ذكر ذلك الأستاذ الدكتور عبد الغفار هلال .

ثانياً : الألفاظ الأعجمية فى القرآن الكريم :

وقد تعرض الدكتور لويس لوجود الأعجمى فى القرآن الكريم واتهم الذين ينفون دخول ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم بالعصبية كالإمام الشافعى والواقع أن علماء العربية عندما بحثوا هذه القضية لم يكونوا متعصبين . كما ذهب الدكتور لويس ومن هنا يدحض الدكتور عبد الغفار فريته بالأمور الآتية :

(١) أن محاولة البحث فى الألفاظ ونسبتها إلى بيئة أصلية محل الزلل فى كثير من الأحيان فقد يتصور باحث أن كلمة من الكلمات أصلها انجليزى ثم يتضح فيما بعد أن لها أصلاً آخر .

(٢) أن اللفظ المقول بأعجميته قد يكون عربياً فى الأصل لا يعلم عربيته إلا بعض العرب ممن بلغهم علمه والقرآن الكريم نطق فى كثير من الآيات بما يدل على خلوه من الأعجمى .

(٣) ما جاء من الأعجمى موافقا للعربى يعد من باب توافق اللغات كما ذكر أبو عبيدة : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية .

ويأتى أبو عبيد القاسم بن سلام تلميذ أبى عبيدة معمر بن المثنى اللغوى السابق ذكره ليوفق بين المانعين والمثبتين فيقول : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً . وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق .

وابن فارس حين عرض لآراء العلماء فى قضية وقوع المعرب فى القرآن الكريم صرح بأن اختلاف الرأى أمر يرد فى كل بحث علمى وأنه لا مانع من الاختلاف فذلك شيء طبيعى(٤) وعلى هذا يبقى اتهام الدكتور لويس لفقهاء اللغة العربية بالتعصب أمراً غير موضوعى وكل النقاط التى أثارها مردودة وكنا نربأ به ألا ينزلق ولكن الحقد على العربية والإسلام قاده إلى تلك المزالق ..

---

(٤) الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص ٤١٤ وما بعدها .

الربعى وآراؤه النحوية

٢

للدكتور/ سعد منصور عرفة *

ثانيا : رأيه فى اعراب الأسماء الستة

الأسماء الستة هى : أب . أخ . حم . فم . هن . ذو « بمعنى صاحب » .

وقد اختلف علماء النحو فى إعرابها على اثنى عشر مذهبا ، وسوف أوجز هذه المذاهب اتماما للفائدة .

الأول : وهو المشهور لقطرب والزيادى والزجاجى من البصريين ، وهشام من الكوفيين أن هذه الأسماء معربة بالواو رفعا والألف نصبا والياء جراً ، وهذه الأحرف هى نفسها علامات الإعراب وأنها نائبة عن الحركات .

وقد أيد هذا المذهب بأن الإعراب إنما جىء به لبيان مقتضى العامل ، ولا فائدة فى جعل مقدر متنازع فيه دليلاً وإلغاء ظاهر واف بالدلالة المطلوبة .

وقد أيد الرضى هذا الرأى فى شرح الكافية .

ولم يسلم هذا المذهب من الاعتراض ، فقد اعترض عليه بثبوت الواو قبل العامل وبأن الإعراب زائد على الكلمة فيؤدى إلى بقاء « فيك وذى مال » على حرف واحد وصلاً وابتداء وهما معربان وذلك لا يوجد إلا شذوذاً .

الثانى : وهو مذهب سيبويه والفارسى وجمهور البصريين ، وصححه ابن مالك وابنه وأبو حيان وابن هشام وغيرهم من المتأخرين أنها معربة بحركات مقدرة فى الحروف ، وأنها اتبع فيها ما قبل الآخر للآخر .

واستدل لهذا القول بأن أصل الإعراب أن يكون بحركات ظاهرة أو مقدرة فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدل عنه .

←

* الكاتب : أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية | جامعة الأزهر

الربعى وآراؤه النحوية

الثالث : وهو مذهب المازنى والزجاج أنها معربة بالحركات التى قبل الحروف ، وهذه الحروف متولدة من إشباع حركات الحروف .

وهذا المذهب مردود بأن باب الإشباع لا يكون إلا فى الشعر ، وببقاء « فيك » وذى مال على حرف واحد .

الرابع : مذهب الكسائى والفراء أنها معربة من مكانين بالحركات والحروف معاً ، ورد بأنه لا نظير له عند النحويين .

الخامس : مذهب الجرمى أنها معربة بالتغير والانقلاب حالتى النصب والجر وبعدم ذلك حالة الرفع . ورد هذا الرأى بعدم النظير أيضاً .

السادس : مذهب السهيلى والرندى أنها مقسمة فـ « فوك » و« ذومال » معربـان بحركات مقدرة فى الحروف ، والباقى معرب بالحروف .

السابع : وهو عكس السادس .

الثامن : مذهب الأخفش أن الحروف دلائل إعراب ، وقد تفرع هذا المذهب إلى مذهبين :

١ ـ مذهب الزجاج والسيرافى أنها معربة بحركات مقدرة فى الحروف التى قبل حروف العلة ومنع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها .

٢ ـ مذهب ابن السراج أنها حروف إعراب ، والإعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر فهى دلائل إعراب بهذا التقدير .

وإذا اعتبرنا كل واحد من المذهبين مذهباً مستقلاً يكون مجموع المذاهب إلى هنا عشرة .

الحادى عشر : مذهب الأعلم وابن أبى العافية أنها معربة بالحركات التى قبل الحروف ، وليست منقولة بل هى الحركات التى كانت فيها قبل أن تضاف ، فثبتت الواو فى الرفع لأجل الضمة ، وانقلبت ياء لأجل الكسرة ، وألفا لأجل الفتحة .

وهذا المذهب ضعيف ، لأن هذه الحروف إن كانت زائدة فهو المذهب الثالث ، وقد عرفنا ضعفه .

وإن كانت لامات لزم جعل الإعراب فى العين مع وجود اللام ، والإعراب لا يكون إلا فى آخر الكلمة .

الثانى عشر : وهو مذهب شيخنا العلامة الربعى أنها معربة بحركات منقولة من حروف العلة إلى ما قبلها وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وألفا لانفتاحه ، كما فى « ياجل » .

وهو مذهب ضعيف كسوابقه ما عدا الأول المشهور والثانى الصحيح ، لأن شرط النقل الوقف وصحة المنقول منه .

مما تقدم يتضح لنا أن للربعى رأياً فى إعراب الأسماء الستة ، وهو ـ وإن كان رأيا ضعيفاً إلا أنه يجعل الربعى من العلماء الذين يدلون بدلوهم فى الأحكام النحوية ، ولا يفت فى عضده ضعف رأيه فى هذه المسألة ، فقد ضعف رأى سيبويه وهو من هو بين علماء العربية ، وكذا غيره كابن السراج والأخفش والفارسى وغيرهم .

ثالثاً : رأيه فى فاعل « كفى » وما عطف عليه

تزاد الباء ـ غالباً ـ فى فاعل « كفى » نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (الرعد ٤٣) وذهب الزجاج إلى أن الباء دخلت لتضمن « كفى » معنى « اكتف » وقد استحسنه ابن هشام فى المغنى .

ولا تزاد الباء فى فاعل « كفى » التى بمعنى أجزأ وأغنى ، ولا التى بمعنى وقى ، والأولى متعدية لواحد كقول الشاعر :

قليل منك يكفينى ، ولكن
قليلـك لا يقـال لـه قليـل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (الأحزاب ٢٥) وقوله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾ (البقرة ١٣٧) .

وقال ابن هشام : ووقع فى شعر المتنبى زيادة الباء فى فاعل « كفى » المتعدية لواحد ، قال :

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم
ودهر لأن أمسيت من أهله أهل[1]

ولم أر من انتقد عليه ذلك ، فهذا إما لسهو عن شرط الزيادة ، أو لجعلهم هذه الزيادة من قبيل الضرورة ، أو لتقدير الفاعل غير مجرور بالباء . واختلف فى إعراب « دهر » فذهب ابن جنى إلى أنه مرفوع بالفاعلية لفعل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام ، والتقدير : وليفخر دهر . وجوز ابن الشجرى فيه ثلاثة أوجه :ـ

الأول : أنه مبتدأ محذوف الخبر ، وتقديره : ودهر يفتخر بك ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة بقوله « أهل » .

الثانى : أنه معطوف على فاعل « كفى » أى فخروا بكونه منهم وفخروا بزمانه لنضارة أيامه .

الثالث : أن تجره بعد أن ترفع « فخراً » على تقدير كونه فاعل « كفى » والباء متعلقة بـ « فخر » لا زائدة ، وهو مجرور بالعطف ، وتقدر « أهلاً » خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو . وزعم المعرى أن « دهر » منصوب بالعطف على « ثعلا » والتقدير : كفى ثعلا ودهرا .

قال ابن هشام : ولا يخفى ما فيه من التعسف .[2]

أما شيخنا الربعى فقد ذهب إلى أن « دهر » منصوب بالعطف على اسم « أن » وقوله « أهل » معطوف على خبرها .

قال ابن هشام : ولا معنى للبيت على تقديره .[3]

رابعاً : رأيه فى إعراب المستثنى بخلا

« خلا » من أدوات الاستثناء التى قد تستعمل حرفاً وقد تستعمل فعلاً ، ومثلها فى الحكم عدا وحاشا .

فإذا لم تسبقها « ما » المصدرية جاز أن تستعملها حرف جر للمستثنى ، تقول : قام القوم خلا زيد ، ومنه قول الشاعر :

←

(١) اللغة : ثعل : رهط الممدوح وهم بطن من طىء .
(٢) انظر المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١١٤ .
(٣) المرجع السابق .

خلا الله لا أرجو سواك وإنما
أعد عيالى شعبة من عيالكا

قال الأشمونى : وهذا الاستعمال جائز وإن كان قليلاً .(٤)

ثم قيل : موضعها نصب لتقدم الكلام التام الموجب عليها ، قال الأشمونى : وهو الصواب .(٥) ووافقه ابن هشام .(٦)

وقيل : تتعلق بما قبلها من فعل أو شبهه على قاعدة أحرف الجر .

والراجح ما صوبه الأشمونى وابن هشام ، لأنها لا تعدى الأفعال إلى الأسماء أى لا توصل معناها إليها كما هو الحال فى حروف الجر ، بل تزيل معناها عنها ، فأشبهت فى عدم التعدية الحروف الزائدة ، ولأنها بمنزلة « إلا » وهى غير متعلقة .

أقول إذا لم تسبق بـ «بما » المصدرية جاز أن تستعمل حرف جر للمستثنى ، وجاز أن تستعمل فعلاً ناصباً للمستثنى ، ومثال استعمالها فعلاً : قام القوم خلا زيداً ، وفاعلها إما ضمير مستتر عائد على مصدر الفعل المتقدم عليها كما يقول الكوفيون ، أو اسم فاعله أو البعض المفهوم من الاسم العام كما يقول البصريون ، فإذا قيل : قام القوم خلا زيدا فالمعنى جانب هو أى قيامهم أو القائم منهم أو بعضهم زيدا .(٧)

وقد أيد العلامة الرضى مذهب الكوفيين حيث قال : وفاعل « خلا وعدا » عند النحاة « بعضهم » وفيه نظر ، لأن المقصود فى جاءنى القوم خلا زيداً وعدا زيدا أن « زيدا » لم يكن معهم أصلاً ، ولا يلزم من مجاوزة بعض القوم إياه وخلو بعضهم منه مجاوزة الكل وخلو الكل ، فالأولى أن تضمر فيها ضميراً راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم ، أى جاءنى القوم خلا مجيئهم زيداً كقوله تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾(٨) فيكون مفسر الضمير سياق الكلام .(٩)

وأيد الصبان البصريين حيث قال : والأصح أن مرجعه البعض المدلول عليه بكله السابق ، ونظر فيه الرضى بأنه لا يفيد المقصود ، لأن مجاوزة البعض لزيد فى قولك : قام القوم خلا زيداً لا يلزم منها مجاوزة الكل ، وأجيب بأن البعض مبهم ومجاوزته لا تتحقق إلا بمجاوزة الكل ، وبأن المراد بالبعض ماعدا المستثنى .

ثم قال : ولى ههنا احتمال ، وهو أن يكون مرجع الضمير فى خلا وعدا وحاشا نفس الاسم السابق لكن التزم فيه التذكير والإفراد ليكون الاستثناء بها كالاستثناء بـ « إلا » ولجريان ذلك مجرى الأمثال التى لا تغير ، كما قالوه فى « حبذا زيد » حيث التزم تذكير اسم الإشارة وإفراده لذلك ولا يرد على هذا تنظير الرضى .(١٠)

---

(٤) انظر شرح الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) انظر المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١٤٢ .
(٧) انظر المغنى جـ ١ ص ١٣١ ، والهمع جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٨) سورة المائدة آية ٨ .
(٩) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٢٣٠ .
(١٠) انظر حاشية الصبان على الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٣ .

وهذا الذى ذهب إليه الصبان احتمال وجيه ، وذلك لأن عود الضمير على مذكور فى الكلام هو الأصل ، وإن كان قد التزم فيه الإفراد والتذكير لتكون « خلا » بمثابة « إلا » .

أما إذا سبقت « خلا » بـ « ما » المصدرية فإنها تتعين للفعلية ، نحو قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل[١١]

وموضع « ماخلا » نصب على الحالية عند السيرافى كما يقع المصدر الصريح فى نحو : أرسلها العراك أى معتركة .

وعند غيره على الظرفية لنيابتها عن الوقت .

فإذا قلت : قاموا ماخلا زيدا ، فالمعنى على الأول : قاموا خالين عن زيد ، وعلى الثانى : قاموا وقت خلوهم عن زيد .

وقد أيد الرضى الثانى حيث قال : فوجب النصب ، والمضاف محذوف ، أى وقت ما خلا مجيئهم زيدا أى وقت خلو مجيئهم زيدا ، وذلك لأن الحين كثيراً ما يحذف مع « ما » المصدرية .[١٢]

وذهب ابن خروف إلى أنها منصوبة على الاستثناء كانتصاب « غير » فى قاموا غير زيد .

وذهب الجرمى والربعى والكسائى والفارسى وابن جنى إلى جواز جر الاسم الواقع بعد « ماخلا » على تقدير « ما » زائدة .

قال ابن هشام : فإن قالوا ذلك بالقياس ففاسد ، لأن « ما » لا تزاد قبل الجار ، بل بعده ، نحو قوله تعالى ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[١٣] وقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[١٤] .

وإن قالوه بالسماع فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه .[١٥]

وأنكر سيبويه وأكثر البصريين حرفية « خلا » وقالوا إنها فعل بمعنى المفارقة .

قال فى الكتاب : وبعض العرب يقول : ما أتانى القوم خلا عبد الله « بالجر » فيجعل « خلا » بمنزلة « حاشا »[١٦]

سعد منصور عرفة

---

(١١) البيت فى الديوان ص ٢٥٦ .
(١٢) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٢٣٠ .
(١٣) سورة المؤمنون آية ٤٠ .
(١٤) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(١٥) انظر المغنى جـ ١ ص ١٤٢ ، وشرح الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٤ ، والهمع جـ ١ ص ٢٣٢ _ ٢٣٣ .
(١٦) انظر الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٣٤٩ _ ٣٥٠ .

شعر المعارك الإسلامية

زمن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"

كانت المعارك الإسلامية التى مكنت للدعوة ونشر الدين من أهم عوامل ازدهار الشعر فى عصر النبوة ، وقد ظهر إبان هذه المعارك الطابع الدينى فى الشعر الإسلامى والمتتبع لآثار هذه المعارك فى ذلك الشعر يمكن أن يجدها على النسق التالى :

أولا : معركة بدر :

كانت معركة بدر النصر الأول للمسلمين وبهذا النصر أعز الله الإسلام واشتد ساعد المسلمين ، وفى هذه المعركة ذاق كفار قريش طعم الذل وتجرعوا مرارة الهزيمة ورجعت قريش تاركة فرسانها مصروعين فى الشعاب والرُّبَى ، وقد نشط الشعر فوصف المعركة وصفاً دقيقاً وتغنى بالنصر وهجا الأعداء وَعَيَّرَهُمْ بالهزيمة ، وإذا التمسنا الأثر الدينى فى الشعر الذى قيل فى هذه المعركة يمكن أن نرى قصيدة حسان التى يذكر فيها أصحاب القليب ويذكر عاقبة المشركين إذ يقول :

وخبـر بـالـذى لا عيب فيـه
بصـدق غـير إخبـار الكـذوب
بمـا صنع المليـك غـداة بـدر
لنـا فى المشركـين من النصيب
ينـاديـهـم رسـول الله لمـا
قـذفنـاهم كبـاكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان صدقـا
وأمـر الله يـأخـذ بـالقلـوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقـالوا :
صدقت وكنت ذا رأى مصيب

ويظهـر هذا الأثـر الإسلامى فى شعـر كعب ابن مالك حين يقول :

قضى يـوم بدر أن نـلاقى معشراً
بغوا وسبيل البغى بالناس جـائر
فلمـا لقينـاهم وكـل مجـاهـد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهـدنـا بـأن الله لا رب غـيره
وأن رسـول الله بـالحق ظـاهـر

فالجهاد والتوحيد وظهور النبى ﷺ معان إسلامية خالصة ، ولم يقف كعب عند ذلك بل

للدكتور غريب محمد على

أخذ يتحدث عما أصاب المشركين من ذل وهزيمة وأوضح أنهم إنما قتلوا لكفرهم بالله وإشراكهم به وأنهم سيكونون وقود النار يقول :

فكب أبـو جهل صريعاً لـوجهـه
وعتبـة قد غـادرنـه وهـو عـاثـر
فأمسوا وقـود النار فى مستقـرها
وكـل كفـور فى جـهنم صـائـر
لأمـر أراد الله أن يـهلكـوا بـه
وليس لأمـْر حمّـه الله زاجـر

وقد تحدث الشعر فى هذه المعركة عن فضل الله على المؤمنين وتسديد خطاهم ونصرهم على المشركين برغم قلة المسلمين وكثرة المشركين وقد صاغ حسان هذا المعنى فى أبيات له متأثرا بقول الله عز وجل ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾ إذ يقول :

فمـا نخشى بحـول الله قـومـا
وإن كثـروا وأجمعت الـزحـوف
إذا مـا ألَّبـوا جمـعـا علينـا
كفـانـا حَـدَّهُـمْ ربٌّ رؤوف
لقينـاهـم بـهـا لـما سَمَـوْنـا
ونحـن عصـابـة وهـمُ ألـوف

ومهما يكن من أمر فإن الشعر الذى قيل فى يوم بدر كان موفقا فى تصوير المعركة ولكنه لم يبلغ به التوفيق أن يدل الدلالة الكاملة لسورة الأنفال فالمعانى التى تناولها الشعر كانت عامة ولم يتوصل الشعر إلى قمة المعانى البعيدة التى جاءت فى هذه السورة .

ثانيا : معركة أحد :

بعد موقعة بدر جاءت قريش لتثأر لنفسها ودارت المعركة عند أُحُد وكان ما كان ، فهو يوم للمشركين على المسلمين وهو يوم محنة وبلاء استشهد فيه عدد غير قليل من المسلمين منهم : حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ فذكر الشعر كل ذلك وبكى القتلى ورثى الشهداء ورد على شعر المشركين فحينما افتخر هُبيرة بن أبى وهب بقصيدة يقول فيها :

سقنـا كنانـة من أطراف ذى يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيهـا
قـالت كنانـة أنى تـذهبـون بنـا
قلنـا النخيل فـأموهـا ومن فيهـا
فرد حسان عليه قائلاً :
سقتم كنـانة جهـلاً من سفاهتكم
إلى الـرسول فجنـد الله مخزيهـا
أوردتموها حياض الموت ضـاحية
فـالنار مـوعدهـا والقتـل لاقيهـا
ألا اعتبـرتم بخيـل الله إذ قتلت
أهـل القليب ومن ألقينـه فيهـا

←

* مدرس الأدب والنقد بكلية الآداب ـ قنا

وتظهر المعانى الدينية عند كعب بن مالك فى قصيدة طويلة يستغرق أكثرها ذكر الحرب وحسن البلاء والصبر إذ يقول :

وقـال رسـول الله لمـا بـدوا لنـا : ذروا عنكمُ هـول المنيّاتِ واطمعـوا
وكـونوا كمن يشرى الحيـاة تقـربـا إلى ملـك يُحْيَـا لـديـه ويـُرجَـع

ويأخذ كعب فى مجادلة الكافرين فى قصيدة أخرى مجادلة من كان على بينة ، وذلك حق ، فقد كان ذا عقيدة ثابتة ومذهب راسخ وأخذ يوضح لهم أن الحرب سجال ، وأن الغلبة للدين الإسلامى إذ يقول :

إن تقتلـونـا فـديـن الله فطـرتنـا والقتـل فى الحق عنـد الله تفضيـل
وأن تـروا أمـرنـا فى رأيكم سفهـا فـرأى من خـالف الإسـلام تضليـل

ولم ينس الشعراء رثاء الأبطال الذين استشهدوا فى سبيل الحق،وضحوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة التوحيد ، ومن هؤلاء الأبطال حمزة عم النبى ﷺ الذى يرثيه حسان قائلاً :

فلا تذكروا قَتْلَى وحمزة فيهم قتيـل ثـوى لله وهـو مطيـعُ
فـإن جنان الخلـد منزلـة له وأمر الذى يقضى الأمور سريع
وقتلاكمُ فى النار أفضل رزقهم حميمٌ ، معا فى جوفها ، وضريع

وبهذه الطريقة صور الشعراء أحداث أُحُد ، وظهرت المعانى الإسلامية فى صورة ترديد لآيات وتراكيب قرآنية عند حسان ، ثم فى ضرب من الفهم لطبيعة الدين عند كعب وقد تمثل الشعر الفخر والهجاء والمناقضة والرثاء إلى جانب ذلك .

ثالثا : الخندق وقريظة :

كان حصار الخندق سببا فى إجلاء بنى قريظة ، والقضاء على ذلك الشر المجاور للمسلمين ومعروف أن نفرا من اليهود من بنى النضير وبنى وائل قد حَزَّبوا الأحزاب وحرضوا قـريشاً وغطفـان على حـرب الرسول ﷺ ، وكانت قريظة قد أبرمت عهداً مع النبى ﷺ ولكنها نقضته وخرجت عليه ، ولما كان نصيب الأحزاب الفشل كان نصيب بنى قريظة القتل والذل ، وقد قيل شعر كثير فى الخندق وقريظة من كلا الجانبين ، يقول ضرار بن الخطاب :

فلـولا خنـدق كـانـوا لـديـه لـدمـرنـا عليهم أجمـعينـا
ولكن حـال دونهـمُ وكـانـوا بـه من خـوفنـا متعـوذينـا

فأجابه كعب بن مالك قائلاً :

نقـاتل معشرا ظلمـوا وعقـوا وكـانوا بـالعداوة مـرصدينـا

ويعلم أهل مكة حين ساروا
وأحزاب أتوا متحزبينا

بأن الله ليس له شريك
وأن الله مولى المؤمنينا

ولحسان قصائد ومقطوعات فى بنى قريظة يقرعهم ويعيرهم بما أصابهم ويبين لهم أنهم ضلوا وبغوا حينما فعلوا فعلتهم فكان هذا جزاءهم ، يقول فى إحدى مقطوعاته .

تفاقد معشر نصروا قريشا
وليس لهم ببلدتهم نصيرُ

هم أوتوا الكتاب فضيعوه
فهم عُمْىٌ من التوراة بُورُ

وهكذا استطاع الشعر أن يساير المعركة ويجابه الخصوم ، ويذكر بسالة المؤمنين وإخلاصهم لرسول الله ﷺ ، ولكنه لم يتناول كل ما تناولته الآيات الكريمة فى أمر الأحزاب من سورة الأحزاب .

رابعا : فتح مكة :

نقضت قريش العهد الذى كان بينها وبين رسول الله ﷺ بما استحلت من خزاعة التى كانت فى عَقْدِه - ﷺ - ولذا خرج الرسول ﷺ ، إلى مكة بعد أن استنجد به عمرو بن سالم الخزاعى الذى قال فى شعر له :

يارب إنى ناشد محمداً
حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا

همُ بيّتونا بالوتير هُجَّدا
وَقَتَّلُونا رُكَّعا وسُجَّدا

وكان الفتح العظيم والنصر المبين فكانت قصيدة حسان التى تعد أهم وأجود شعر قيل فى تلك المناسبة والتى يستهلها بقوله :

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

وقد وفق حسان كل التوفيق فى تصوير قوة المسلمين وعزتهم ونصر الله لهم ، وذكر قومه وأبرز المحامد الإسلامية فيهم : فهم جند الله الذين لهم فى كل يوم جهاد بالسيف أو جهاد باللسان يقول :

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد قوم
يُعِزُّ الله فيه من يشاء

وقال الله : قد سيرت قوما
هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا فى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافى من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

والملاحظ أن الشعر الذى قيل فى الفتح قليل إذا قيس بما قيل فى المعارك السابقة ، ولعل السبب فى ذلك أن التحدى الذى كان يجده الشعراء المسلمون من شعراء قريش قد انتفى فى هذه المناسبة .

« د . غريب محمد على »

في شهر الصوم

وللرافعي

سبحات ونفحات

وحينما يأتى شهر رمضان المعظم ، شهر الصيام شهر الصبر والقيام يصومه المسلمون فى كل بقاع الأرض ، راغبين أو كارهين كيفما كان صيامهم على اعتبار أنه فرض ماعنه محيص إلا بعذر ، والأعذار يدخل فيها الاعتبار ، ويختلف التقدير من شخص إلى شخص ، كل حسب يقينه ، وطاقته ، وثباته .

وقد شاهدنا كثيراً من المسلمين يستقبلون هلال شهر رمضان بالتكبير والتهليل ، والذكر والترتيل ، والزغاريد والأناشيد ، والأضواء والزينات ، ويصبحون ـ مع بالغ الأسف والحزن ـ مفطرين مجاهرين ، وهم فى أتم صحة وأكمل عافية ، بلا حياء ولا وجل ، وماأحسب ذلك إلا رقاداً بل موتاً ، أو خللاً فى النشأة وقصوراً فى التربية ، وفساداً فى البيئة ، وجهلاً بحقيقة الصوم وآلائه على الصائم . وحينما تفسد الفطرة تختل الموازين ، وتنقلب المعايير التى شرعها الدين لضبط المسار الإنسانى فى الحياة الدنيا ، فتصبح شعائر العبادة كخيال الظل شبحاً بلا روح وشكلاً بغير مضمون .

ويدخل هؤلاء فى شهر الصوم وموسم الخير ، ويخرجون منه كما يخرج التلميذ الغبى الفاشل من حجرة الدراسة وليس فى جعبته إلا أصداء مبهمة عما دار فيها ، وركام من السأم والملل والخيبة !!

ويرهف الكاتب الإسلامى العظيم مصطفى صادق الرافعى قلمه الماضى ، لينبه المدارك الغافية إلى النفحات العلوية والنسمات الربانية التى يرسلها رب الأنام فى شهر الصيام .

فهاهو الرافعى قد كتب ـ وماأروع ماكتب ـ فى وحى القلم تحت عنوان (شهر الثورة ... ، فلسفة الصيام) قال ـ وفى قوله تذكرة وتبصرة ، وكشف عن الجوهر المطمور ، والدُّرِّ المغمور مما يغرى ويثرى من كنوز الإسلام العظيم المجهولة حتى من أكثر معتنقيه . فاقرأ معى أيها القارىء الكريم ما كتب وما قال :

لم أقرأ لأحد قولاً شافياً فى فلسفة الصوم وحكمته ؛ أما منفعته للجسم ، وأنه نوع من

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

الطب له ، وباب من السياسة فى تدبيره ، فقد فرغ الأطباء من تحقيق القول فى ذلك ، وكأن أيام هذا الشهر المبارك إن هى إلا ثلاثون حبة تؤخذ فى كل سنة مرة لتقوية المعدة وتصفية الدم ، وحياطة أنسجة الجسم ، لكنا الآن لسنا بصدد من هذا ، وإنما نستوحى تلك الحقيقة الإسلامية الكبرى التى شَرَعَت هذا الشرع لسياسة الحقائق الأرضية الصغيرة ، عاملة على استمرار الفكرة الإنسانية فيها ، كي لا تتبدل النفس على تغير الحوادث وتبدلها ، ولكيلا تجهل الدنيا معانى الترقيع إذا أتت على هذه الدنيا معانى التمزيق .

من معجزات القرآن الكريم أنه يدَّخِر فى الألفاظ المعروفة فى كل زمن ، حقائق غير معروفة لكل زمن ، فيجليها لوقتها حين يضجُّ الزمان العلمى فى متاهته وحيرته ، فيشغب على التاريخ وأهله مستخفاً بالأديان ، ويذهب يتتبع الحقائق ، ويستقصى فى فنون المعرفة ، ليستخلص من بين كفر وإيمان ديناً طبيعياً سائغاً (فى زعم أهل ذلك الزمان)[1] ، يتناول الحياة أول ما يتناول فيضبطها بأسرار العلم ، ويوجهها بالعلم إلى غايتها الصحيحة ، ويضاعف قواها بأساليبه الطبيعية ، ليحقق فى إنسانية العالم هذه الشيئية المجهولة التى تتوهمها المذاهب الاجتماعية ولم يهتد إليها مذهب منها ولا قاربها ؛ فما برحت سعادة الاجتماع كالتجربة العلمية بين أيـدى علمائها : لم يحققوها ولم ييأسوا منها ، وبقيت تلك المذاهب كعقارب الساعة فى دورتها : تبدأ من حيث تبدأ ثم لا تنتهى إلا إلى حيث تبدأ ...

●●●

يضطرب الاشتراكيون فى أوروبا وقد عجزوا عجز من يحاول تغيير الإنسان بزيادة ونقص فى أعصابه ؛ ولايزال مذهبهم فى الدنيا مذهب كتب ورسائل ؛ ولو أنهم تدبروا حكمة الصوم فى الإسلام ، لرأوا هذا الشهر نظاماً عملياً من أقوى وأبدع الأنظمة الاشتراكية الصحيحة ، فهذا الصوم فقر إجبارى تفرضه الشريعة على الناس فرضاً ليتساوى الجميع فى بواطنهم ، سواء منهم مَنْ ملك المليون من الدنانير ومَنْ ملك القرش الواحد ، ومَنْ لم يملك شيئاً ، كما يتساوى الناس جميعاً فى ذهاب كبريائهم الإنسانية بالصلاة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم ، وفى ذهاب تفاوتهم الاجتماعى بالحج الذى يفرضه على من استطاع .

فقر إجبارى يراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح ، أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس فى الشعور لاحين يختلفون ، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء المتعددة .

←

(١) هذه العبارة مقحمة من عندى .

ولو حقَّقت رأيت الناس لا يختلفون فى الإنسانية بعقولهم ، ولا بأنسابهم ، ولا بمراتبهم ، ولا بما ملكوا ؛ وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة ؛ فمن البطن نكبة الإنسانية ، وهو العقل العملى على الأرض ؛ وإذا اختلف البطن والدماغ فى ضرورة ، مد البطن مدَّهُ من قوى الهضم فلم يبق ولم يذر .

ومن ههنا يتناوله الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب ، ويجعل الناس فيه سواء : ليس لجميعهم إلا شعور واحد وحس واحد وطبيعة واحدة ؛ ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة ، ويبالغ فى إحكامه فيمسك حواشيه العصبية فى الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى نفثة من «دُخَيْنة » .

وبهذا يضع الإنسانية كلها فى حالة نفسية واحدة تتلبس بها النفس فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويطلق فى هذه الإنسانية كلها صوت الروح يعلم الرحمة ويدعو إليها ، فيشبع فيها بهذا الجوع فكرة معينة هى كل مافى مذهب الاشتراكية من الحق ، وهى تلك الفكرة التى يكون عنها مساواة الغنى للفقير من طبيعته ، واطمئنان الفقير إلى الغنى بطبيعته ؛ ومن هذين (الاطمئنان والمساواة) ، يكون هدوء الحياة بهدوء النفسين اللتين هما السلب والإيجاب فى هذا الاجتماع الإنساني ، وإذا نزعت هذه الفكرة من الاشتراكية بقى هذا المذهب كله عبثاً من العبث فى محاولة جعل التاريخ الإنسانى تاريخاً لا طبيعة له .

ثم يتساءل الرافعى - أجزل الله أجره - فى انبهار بفريضة الصوم وتحد لكل النظم الاجتماعية والصحية التى خطها الإنسان - قائلاً :-

أية معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التى تقضى أن يحذف من الإنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً فى كل سنة ، ليحل فى محله تاريخ النفس[٢] ؟ وأنا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هى الحكمة فى جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل إثنى عشر شهراً ، وأن هذه النسبة متحققة فى أعمال النفس للجسم ، وأعمال الجسم للنفس ، كأنه الشهر الصحى الذى يفرضه الطب فى كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة ، لإحداث الترميم العصبى فى الجسم ، ولعل ذلك آتٍ من العلاقة بين دورة الدم فى الجسم الإنساني وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل فى المحاق ؛ إذ تنتفخ العروق وتربو فى النصف الأول من الشهر ، كأنها (مَدّ) من نور القمر مادام هذا النور إلى زيادة ، ثم يراجعها (الجذر) فى النصف الثانى حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً ، وإذا ثبت أن للقمر أثراً فى الأمراض العصبية ، وفى

(٢) يهمش على هذا فيقول : أفسد ضعف النفوس هذا المعنى ، فما يحقق الناس (تاريخ البطن) كما يحققونه فى شهر رمضان ، وهم يعوضون البطن فى الليل ما منعوه فى النهار حتى جعلوا الصوم تغييرا لمواعيد الأكل . ولكن الصوم على ذلك لم يحرمهم فوائده .

مد الدم وجزره[٣] ، فهذا من أعجب الحكمة فى أن يكون الصيام شهراً قمرياً دون غيره .

ويمضى كاتبنا المفكر العظيم فى الكشف عن حكم الصيام البالغة ، وآلائه الغامرة على الصائمين بما لا يتسع المجال هنا لإيراده ، إلى أن يقول مقسماً عن يقين المؤمن العارف

أما والله لو عم هذا الصوم الإسلامى أهل الأرض جميعاً ، لآل معناه أن يكون إجماعاً من الإنسانية كلها على إعلان الثورة شهراً كاملاً فى السنة ، لتطهير العالم من رذائله وفساده ، ومَحْق الأثَرَة والبخل فيه ، وطرح المسئلة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية مدة هذا الشهر بطوله ، فيهبط كل رجل وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها ، ليختبر فى مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر ، وليفهم فى طبيعة جسمه - لا فى الكتب - معانى الصبر والثبات والإرادة ، وليبلغ من ذلك وذلك درجات الإنسانية والمواساة والإحسان ، فيحقق بهذه وتلك معانى الإخاء والحرية والمساواة .

لقد قلت فى مقال آخر : إن الرافعى له منهجه ورؤياه فى التأويل حينما يتعرض لبعض آيات القرآن الكريم ، وأرى لزاماً على أن أنظم فى عقد هذا المقال ما كتبه فى هذا الشأن بهذه المناسبة ، لأهميته فى معرفة فكره وعطائه ، قال :

كل ماذكرته فى هذا المقال من فلسفة الصوم ؛ فإنما استخرجته من هذه الآية الكريمة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤] وقد فهمها العلماء جميعاً على أنها معنى « التقوى » ، أما أنا فأولتها من « الاتقاء » ؛ فبالصوم يتقى المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذى شريعته معدته ، وألا يُعامل الدنيا إلا بمواد هذه الشريعة ؛ ويتقى المجتمع على إنسانيته وطبيعته مثل ذلك ، فلا يكون إنسان مع إنسان كحمار مع إنسان يبيعه القوة كلها بالقليل من العلف . وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه ، فإن ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وماخلفه هو الجيل الذى سيرث من هذه الطباع والأخلاق ، فيعمل بنفسه فى الحاضر ، ويعمل بالحاضر فى الآتى .

وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واتقاء رذيلة لجلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفيه عالية ، لا يأتى البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها ، ويتوجه الصيام على أنه شريعة اجتماعية إنسانية عامة ، يتقى بها الاجتماع شرور نفسه ؛ ولن يتهذب العالم إلا إذا كان له مع القوانين النافذة هذا القانون العام الذى اسمه الصوم ، ومعناه « قانون البطن » ..

ثم يختم الرافعى مقاله البديع الباهر بقوله - معبراً عن عمق إيمانه وبالغ اعتزازه بفرائض دينه وشعائره - : ألا ما أعظمك ياشهر رمضان ! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماك : « مدرسة الثلاثين يوماً » .

سلام على الرافعى فى قبره ، وعند نشره ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾[٥] .

---

(٣) قال الجاحظ فى (الحيوان) : « ولزيادة القمر حتى يصير بدراً ، أثر بين فى زيادة الدماء والأدمغة وجميع (الرطوبات) .

(٤) من آية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٥) من آية (٣٠) من سورة آل عمران .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٢

تحدثت في المقال السابق* عن قضية النشأة ، وبدا فيها واضحا اضطراب المسمى في اللغات الرومانية[١] (لغات مصدر التسمية في اللغة العربية)[٢] كما بدا واضحا أيضاً أن النظرة المقارنة للظواهر كان السبق فيها للعلوم الطبيعية[٣] . ثم تبعتها العلوم الإنسانية بما فيها علم الأدب العام والمقارن .

وفي هذا المقال سأتعرض بالحديث عن قضية الإطار الثقافي الأوروبي . الذى نشأ فيه هذا العلم ؛ وبالتالي ساهم في أزمة منظوره التقليدى .

ب ـ قضية الإطار الثقافي الأوروبي :

سأتحدث عن هذه القضية من جانبين ؛ الأول:هو ميدان علم الأدب المقارن وصلات الآداب بعضها بالبعض الآخر ، والثاني:هو علم الأدب المقارن ذاته ومنظوراته العلمية ، التي تتناول هذه الصلات بين الآداب ، بعضها بالبعض الآخر ، بالبحث والدراسة .

---

* لقد حصلت على المادة العلمية لمقالاتي هذه ولأعمال علمية أخرى ؛ أثناء سفرى لجامعات جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) صيف عام ١٩٨٧ م في منحة علمية من هيئة التبادل العلمي الألمانية (D AAD) ؛ وافقت عليها كل من كلية اللغات والترجمة وجامعة الأزهر مشكورتين ، فتحملت الجامعة تذكرة السفر ، وتحملت الهيئة المذكورة مصاريف الإقامة . كما أن أستاذى أ . د . هاينز غروتزفيلد (Prof. Dr. H. grotzfeld) قد زكى مشروعى البحثى وأستاذى أ . . د هيلموت أرنتسين أ prof . DR . H . Arntzen قد أفادني بالحوار العلمي معه . ومكتبة جامعة مونستر (Die Universitäts bibleothek zu Mũnster) قدمت لى خدمات جليلة ؛ فللجميع شكرى وتقديرى على تعاونهم الودود .

(١) محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ، ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠ .

(٣) لقد ألف عالم الطبيعيات الانجليزى N.grew كتابه عن : The Comparative Anatomy of Truncks عام ١٦٧٥ م وتبعه الكثيرون . وكان الارتكاز الفلسفي لهذا الاتجاه ؛ هو أن وحدة العالم تتضح أكثر بالمقارنة بين ظواهره ومقابلتها ومقارنتها بعضها بالبعض الآخر .

د. عبد الله محمد أبو هشة

أولا : ميدان علم الأدب المقارن وصلات الآداب بعضها بالبعض الآخر .

١ ـ التمركز الأوروبى :

لقد ظل ميدان الأدب المقارن محصوراً فى الآداب الأوروبية ؛ فى إقامة الصلات الوثيقة بينها ، واتخاذ بعضها مثالا يحاكيه البعض الآخر منذ عصر النهضة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وقد استقر فى الوعى الأدبى آنذاك ؛ أن النتاج الأدبى ـ بعد تحرره من قيم اللاهوت وقيود التجريد الغيبى ـ لابد أن ينسج على منوال الأدبين الإغريقى واللاتينى . وفهموا « المحاكاة » على أنها محاكاة أعمال (هوميروس) الذى تأثر به وحاكاه (ڤرچيل) الشاعر اللاتينى ، ومحاكاة أعمال الشاعر اليونانى (پنداروس) الذى تأثر به الشاعر اللاتينى (هوراس) ومحاكاة خطيب اليونان (ديموستين) الذى تأثر به وحاكاه خطيب الرومان (شيشرون) ؛ وفهموا المحاكاة على أنها محاكاة كل هؤلاء المشاهير بعضهم للبعض الآخر ، والنسج على منوالهم . فقد رأوا أنه لا مانع من محاكاة الأعمال الأدبية الفذة ؛ التى هى محاكاة لعالم المثل فى التصور الفلسفى الإغريقى ، أو هى محاكاة للطبيعة . والذى ساعد على التواصل بين الأدب الإغريقى والآداب الأوروبية الناشئة نزوح كثير من العارفين باللغة اليونانية إلى (روما) ، وتواصلهم مع الأدباء الرومان وغيرهم بعد فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣ م) من جانب العثمانيين واتخاذها عاصمة الخلافة .

كما ساعد على ذلك التواصل بصورة حاسمة عثور الأوروبيين على التراث الإغريقى ـ الذى أحرقته الكنيسة ـ مصونا فى المصادر العربية التى ترجم إليها هذا التراث ؛ بما فى ذلك من إضافة العرب إليه ، وحفظه من الضياع[٤] . فقد حفظ العرب المسلمون تراث غيرهم من الأمم ، وعنوا به ، واستفادوا منه ، وأضافوا إليه[٥] .

ولقد اتجه أدباء عصر النهضة إلى الآداب التى تعنى بالإنسان ومشكلاته ؛ بعيدا عن تغريبه فى اللاهوت الكنسى للعصور الوسطى . لذلك كانت آلهة اليونان أقرب إلى هؤلاء الأدباء فى اتجاههم إلى الإنسان ؛ لما لها من صفات البشر فى قوتهم وضعفهم .

←

(٤) على سبيل المثال لقد ترجم Henmannus Alemannus كتاب الشعر لارسطو من أصله العربى عند ابن رشد . انظر Kindlers literaturlexikon, Bd 17, dtv, Munchen, 1974 S.7361.

(٥) أبو حيان لم ير فى المحاكاة مماثلة العمل الأدبى للطبيعة كما رأى أرسطو ؛ وإنما أضاف إلى ذلك دور الشاعر والأديب ؛ مما يعد رؤية متقدمة على عصرها فى أواخر القرن العاشر الميلادى . انظر : أبو حيان التوحيدى : المقابسات ، طبعة حسن السندوبى ، المقابسة التاسعة عشرة ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، ص ١٦٣ وما بعدها .

٢ ـ الآداب الأوروبية وصلتها بالآداب الشرقية حتى بداية العصر الرومانتيكى :

إذا كان الأدب فى عصر النهضة قد اكتملت له أوروبيته ؛ فى تأسيسه على التراث الإغريقى واللاتينى ؛ فإنه بذلك قد بدأ تمركزه الجغرافى و (أَوْرَبَةَ) انتمائه القارّىّ فى آن واحد ، وسيتبع ذلك فى المنظور العلمى المقارن مركزيته الأوروبية .

ورغم استفادة الآداب الأوروبية من الآداب الشرقية عامة ، ومن الأدب العربى بصورة خاصة ؛ سواء فى العصور الوسطى أو فى عصر النهضة ؛ إلا أن القليل جداً من أدبائهم أقر بمدى استفادته من هذه الآداب(٦) . وعلى الرغم من وضوح صلة أدباء العصور الوسطى بالأدب العربى ؛ حتى فى صورة عدائهم لهذا الأدب ولما يحمله من فكر ؛ فإنهم لم يقروا بمدى استفادتهم منه . ويمكن لمن يتقنون اللغات الأوروبية القديمة أن يتعرفوا على صور الصلات والاستفادة هذه بوضوح وسهولة ؛ سواء فى العرض القصصى لصور الفروسية ، وصور الحب العذرى ؛ أو فى تصوير العالم بصورة سحرية تطلقه من إسار الواقع الحسى إلى دنيا الخيال الكلى(٧) ؛ أو فى طريقة البناء القصصى ذاته . ولقد تحقق ذلك كله عن طريق الإشعاع العلمى والأدبى للحضارة الإسلامية العربية فى الأندلس على أوروبا ؛ وقت أن كانت غارقة فى ظلام التخلف ، ثم بعد ذلك أيضاً عن طريق الحروب الأوروبية ضد الوجود العربى الإسلامى هناك(٨) .

أما فى عصر النهضة ـ حيث الوهج الحضارى للأندلس مازال مستمرابعد هزيمة الحكم فيها ـ فإن التأثر بفكرة التسامح الدينى (وهذا شىء مختلف عن التحلل من الدين) واضح عند الكثيرين من أدباء عصر النهضة . ولعل الأديب والناقد الألمانى (ليسنج ١٧٢٩ ـ ١٧٨١ م) أوضح مثال على ذلك ؛ سواء فى فكرة مقاومة الأحكام المسبقة(٩) ، والتسامح الدينى ، ونقده للتسلط الطاغوتى لباباوات الكنيسة الكاثوليكية عامة ، وإبان الحروب الصليبية خاصة(١٠) ؛ أو فى رسمه لبعض الشخصيات التاريخية الإسلامية والشرقية(١١) . و (دانتى) فى تأثره بأبى العلاء المعرى وبضور القيامة فى القرآن الكريم يعتبر أيضاً مثالا مشهوراً .

---

(٦) انظر :
goethe : West - Ostlicher Divan. Werke, Bd 2, Aufbau- Verlag, Berlin, 1981 .

(٧) مثال ذلك : gottfried von Strassburg : Tristan und Isolde.

(٨) أود الإشارة هنا أيضاً إلى تأثر الأوروبيين فى مجال الأفكار بكل من ابن رشد وابن خلدون ؛ مما كان له أثر كبير وحاسم على دراسات ونشأة الفلسفة وعلم الاجتماع .

(٩) مثال ذلك مسرحيات ليسنج :
Lessing : Die Juden oder Nathan, der Weise.

(١٠) مثال ذلك مسرحية ليسنج ناتان الحكيم المذكورة فى رقم ٩ .

وفى العصر الاتباعى (الكلاسيكى) كانت الأندلس ، وصقلية ، وجنوب إيطاليا مازالت مناطق اتصال بالحضارة الإسلامية ، وبالآداب الشرقية ؛ مما جعل أديباً وشاعراً كبيراً هو (جوته) ، يقوم برحلته إلى إيطاليا ؛ ليستزيد من الآداب الشرقية وبخاصة الأدبين العربى والفارسى . وينسب (جوته) إلى هذه الآداب تملكها لروح الشعر[١٢] التى استفاد منها .

وفى أواخر العصر الكلاسيكى ترجم الأديب والمستشرق الألمانى (ريكرت ١٧٨٨ - ١٨٦٦ م) مقامات الحريرى إلى اللغة الألمانية ترجمة أدبية راقية ؛ صارت بها معروفة فى الآداب الأوروبية الأخرى[١٣] .

وأرى أن تأثر الآداب الأوروبية بالمقامات العربية ، وبألف ليلة وليلة فى منهج القص ؛ سواء فى القصة القصيرة أو فى الرواية مازال ميداناً واسعاً لبحوث الأدب المقارن بوجهتيه ؛ التاريخية والنقدية التحليلية . فليس من بين الأدباء الأوروبيين - فيما أعلم - من أقر بفائدته من الأدب العربى والآداب الشرقية فى هذا الجانب .

٣ - الآداب الأوروبية من العصر الاتباعى (الرومانتيكى) وما بعده وصلاتها بالمشرق العربى الإسلامى :

عندما ظهر الاتجاه الاتباعى (الرومانتيكى ١٧٩٨ - ١٨٣٠ م) فى الآداب الأوروبية ، ثم ما تلاه من اتجاهات واقعية وطبيعية وانطباعية وتجريبية ورمزية وواقعية جديدة ؛ كان التوهج الحضارى الإسلامى فى أوروبا قد خبا ضوؤه . وكان المشرق العربى الإسلامى نفسه قد دخل فى صراع مع الغزو الاستعمارى : العسكرى والاقتصادى والثقافى الأوروبى الذى وصل إلى حد الاحتلال العسكرى لهذا المشرق ، والتحكم فى شئون حياته الثقافية والفكرية ، وتكبيل حركته ، وإيقاف نمو هويته فى هذا الجانب أو تشويهها أو توجيهها وجهة اغترابية تنتزعه من جذوره ، وتلقى به فى مواجهة مع الفكر الأوروبى متلقيا له بلا هوية .

ولقد أثمرت هذه الكارثة نوعا آخر من الصلات الأدبية ، تختلف عن الصلات الثقافية الأدبية والفكرية فى العصور الوسطى وفى عصر النهضة وفى العصر الكلاسيكى . وتمثلت هذه الصلات فى اتخاذ الشرق العربى الإسلامى ذاته موضوعا لكتابات الأدباء ، سواء فى الروايات والقصص[١٤] ، أو فى أدب الرحلات[١٥] ، أو فى الكتابات المعرفية عن

←

(١١) مثال ذلك تصوير ليسنج أدبيا لشخصية القائد العظيم صلاح الدين الأيوبى ، ولشخصية الحكيم اليهودى ناتان فى المسرحية سالفة الذكر .

(١٢) جوته ، المرجع السابق فى رقم (٦) ص ٢٨ - ٢٩ ، ١٣٨ .

(١٣) انظر محمد السيد عيد : المقامات بين الحريرى وريكرت . رسالة دكتوراه فى الأدب المقارن ، مخطوطة ، مكتبة كلية اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

(١٤) مثال ذلك كتابات الأديب الفرنسى Jean Cocteau (١٨٨٩ - ١٩٦٣ م) عن الشرق .

(١٥) مثال ذلك ثلاثية الأسكندرية للأديب الانجليزى لورانس دوريل (١٩١٢) خاصة الجزء الثالث : Alexandria- Quatett, London, 1957 - 1960.

الشرق وعن الإسلام[١٦] وهذه الكتابات تصدر فى مجملها عن منطلق واحد مهما اختلفت درجاته هو : إبراز تخلف الشرق ودونيته عن أوروبا المتفوقة . وهؤلاء الأدباء والكتاب الذين تربوا فى إطار ثقافى يرون أن أوروبا هى محور العالم بحكم تفوقها الثقافى والصناعى ؛ هم نتاج المركزية الأوروبية ؛ فى صلاتها الثقافية بالعالم غير الأوروبى على اتساعه ، وعمق حضاراته . وهذه المركزية تنطلق من فكرة المركز أو المثال (Zentrum) وتوابعه وملحقـــاته ، (Peripherie) وبـالتالى فالوجود المستقل للتوابع غير قائم . وإذا كانت فكرة المركزية الأوروبية (Eurozentris-mus) تصدق ظاهريا على الميادين العسكرية والصناعية والاقتصادية ؛ فإنها لا تصدق إطلاقا ـ فى تصورى ـ لا فى النظرة الظاهرية المتعجلة ولا فى النظرة المتأملة على الميادين الفكرية والدينية والأدبية والحضارية . وهذه النظرة ليست عنصرية فقط ؛ لكنها أيضاً ليست علمية على الإطلاق ؛ وفيها من التعسف فى تضخيم الذات وإنكار الآخرين ما جعلها تفشل فى تحقيق تصوراتها . فالمركزية الأوروبية لا تصدق على الميادين الفكرية والأدبية والحضارية ؛ ذلك أن قوة هذه الميادين من قوة وجود الفرد واستخدامه للغته ـ بوجودها العميق ـ التى تحمل تصوراته عن عالمه الحضارى الذى يرى الدنيا من خلاله . يستوى فى ذلك أن يعيش الفرد فى وطن أو أمة حرة أو محتلة عسكريا أو اقتصاديا ؛ ويستوى أيضاً أن يكون هذا الفرد متعلما أو أميا ؛ إلا أن حرية إرادة الوطن والأمة ، وتعلم الفرد فيهما ؛ هى عوامل أمان وقوة متنامية دافعة إلى التطور السليم لحضارة الأمة وفكرها وآدابها . وأرى أيضاً أن هذه القوة الكامنة فى المشرق العربى الإسلامى ؛ هى التى حفظت له استقلاله النفسى ، الذى غذى قوة الإرادة فيه ؛ حتى استطاع إيقاف الهجمة الاستعمارية العسكريـة وإبطال أهدافها الفكرية إلى الحد الممكن فى الكثير من أقطاره . وبالتالى استطاع أن يحفظ لقوة الدفع الحضارى فيه مساحة من النمو السليم لا بأس بها . وإن كانت قوة الدفع الحضارى هذه قد وصلت بالمشرق العربى الإسلامى إلى حدود بداية معرفته لهويته الثقافية ؛ إلا أن

(١٦) مثال ذلك مؤلفات المستشرق المجرى جولد تسيهر التى رد على أهمها فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » .

(١٧) القوة الكامنة لأى أمة ؛ هى تراثها ووعيها بهذا التراث ؛ بحيث تضيف إليه بروح العصر ، ولا تقف عنده تقليدا له . ولا يخفى دور الأزهر البارز فى المحافظة على هذا التراث واحيائه بتحقيقه ونشره .

ـ نتاج المركزية الأوروبية وأمريكا تنتمي إليها ـ هو الغزو الثقافي أو الوجه الجديد الذي يواجه الغرب به المشرق العربي الإسلامي . وهذا موضوع آخر يستحق التخطيط العلمي المنظم لعشرات السنين وليس الحديث المتسرع هنا وهناك كما يحدث الآن ؛ بما يشتمل عليه ذلك من الدعوة للعزلة الثقافية كرد فعل عاطفي غاضب . إن ما ينبغي التخطيط له هو تأكيد الذات والهوية الثقافية ، بتشجيع المواهب ، وتمكين نتاجها من الانتشار ؛ مع إدارة الحوار ، وإقامة الصلات بالثقافات الأخرى ، والآداب الأخرى ، من موقع النِّدِّيَّة .

بقي أن نتأمل أثر طرح صورة المشرق العربي الإسلامي في الأعمال الأدبية الأوروبية على القارئ والأديب الأوروبي ، وما نتج من صدورها عن روح استعلائية ؛ لا ترى إلا الظواهر ؛ التي توحي للعين الأوروبية بالتخلف ، وتؤكد هذه الروح الاستعلائية ، التي لا تخلو من نزعة عنصرية ؛ بصرف النظر عن درجتها صعوداً وهبوطاً . فالنظرة إلى المشرق العربي الإسلامي لم تعد إلا وسيلة لتأكيد تفوق "الأَنَا" عند الأدباء الأوروبيين ، ومبرراً للنظرة المركزية الأوروبية . هذه النظرة التي ترى أن هذا المشرق في حاجة إلى (أَوْرَوبَتِهِ) ليصير مثل أوروبا بأية وسيلة . فالتوابع عليها الانقياد للمركز الذي صنع التصورات الخاطئة عنها ثم بنى منطلقاته منها .

فهل تحقق بذلك ما يدعو إليه الأدب المقارن على لسان المتخصصين الأوروبيين من أهداف تعريف الشعوب بعضها بالبعض الآخر ، أو اجتياز الحاجز القومي ، أو كشف الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة ، أو النزعة الإنسانية ؟[١٨] وهل يمكن أن يكون علم الأدب المقارن ـ الذي بدأت نظرياته تصاغ في ظل هذه التصورات الخاطئة عن المشرق الإسلامي العربي ـ أن يكون موضوعيا في نظرته إلى آداب الشرق ومدى تأثيرها أو تأثرها بالآداب الأوروبية ؟ سوف أجيب عن ذلك في المقال القادم بمشيئة الله تعالى .

يتبع

د . عبد الله محمد أبو هشة

---

(١٨) انظر كتب الأوروبيين وما فيها من مثل هذه المنطلقات مثل :
Peter André Bloch
في مقدمته للترجمة الالمانية لكتاب : Pichoi u. Rousseau : Vergleichende Literaturwissenschaft, Dusseldorf, 1971, S. 11-24.

من خير ما أقرأ

هموم اليوم والغد

الأستاذ / نجيب محفوظ

سياستنا الخارجية تتدفق بالحركة والنشاط والأمل . وتتسم بالسداد وتستحق التوفيق والنجاح . غير أن ذلك يجب ألا ينسينا مشكلاتنا العصيبة فى الداخل . بل علينا أن نركز على اثنتين منها لشدة خطورتهما وانطباقهما علينا بقبضة من حديد ، هما فى الواقع شدتان يجب أن تؤرقا الأعين وتقضا المضاجع .

الشدة الأولى : هى الغلاء المتفاقم .

والشدة الأخرى : تلك التى ينذرنا بها الجفاف .

على مجلس الشعب أن يدعو إلى طرح المشكلتين للبحث والمناقشة واقتراح القرارات ؛ بل يجب أن تعقد المؤتمرات من الخبراء على المستوى القومى من أجل ذلك .

يجب أن نعى موقفنا تماما وأن نعرف أبعاد همومنا لنرسم خطانا على هدى من الوعى والمعرفة ، يجب أن نكون جميعا ـ شعبا وحكومة ـ على مستوى المسئولية .

السيجارة تنافس الرغيف

تحقيق : زينب إسماعيل

السيجارة أصبحت تنافس رغيف الخبز ، وربما تسرق منه الدعم قريبا !

يقول الدكتور شريف عمر ـ أستاذ جراحة السرطان بجامعة القاهرة ، وعضو مجموعة مستشارى منظمة الصحة العالمية : إنه أجرى بحثاً ميدانياً بالاشتراك مع الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فاتضح من الدراسة أن نسبة المدخنين يوميا تصل إلى ستة ملايين مدخن وحجم الإنفاق على منتجات التبغ بلغ (١٦٤,٤) مليون جنيه عام ٨٦/٨٥ بالمقارنة بـ (٦٤٧,٩) مليون جنيه عام ٨٢/٨١ .

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم : إن المبلغ الذى ينفق على صناعة التبغ فى مصر يمكن تخفيضه أو إلغاؤه وتوجيهه إلى بنود أخرى كالغذاء والكساء والثقافة .

وفى النهاية يقول د . شريف عمر : إنه يجب ألا تدعم صناعة الدخان وأنه آن الأوان لكى تخرج السيجارة من سلة الخبز .

هذا ديننا

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

لعل المسلمين فى هذا العصر هم أكثر الناس آلاما ولعل أرضهم هى التى يستنسر بها البغاث لأنهم يدافعون عن قضاياهم بالصياح ، ويردون السلاح الفاتك باليد العزلاء .

من أجل ذلك أحسست دهشة عندما وصف المسلمون بأنهم إرهابيون ، وعندما نشرت جريدة « الموند » الفرنسية تحقيقا أبرزت فيه أن ٥٠٪ ممن أبدوا آراءهم ذكروا أن الإسلام من وراء العنف الذى يشكو العالم منه .

إن حرب إبادة تتم فى أفغانستان تزهق فيها أرواح المسلمين دونما ضجة تذكر .

وحربا أخرى تقع فى فلسطين رميت فيها ألوف الأسر العربية فى العراء واحتلت مدنها وقراها أسر يهودية قادمة من شرق أوروبا وغربها والقانون الدولى (المحترم) جعل المالك الطريد إرهابيا لا حق له ، وجعل اللص الغالب رب بيت محترما !

إننا فى عالم قلبت فيه الحقائق وخُوِّن فيه الأمين وأؤتمن الخائن ، وليت المسلمين فيه يملكون ما يخيف المعتدى ، ويردع الكذوب .

الانتفاضة بين الشرفاء والنصابين

الأستاذ / محمد عبد المنعم

إننا سعدنا كثيرا بالانتفاضة العربية فى الأراضى المحتلة وأحسسنا أن بطلا جديدا نزل أخيرا إلى الساحة بقوة وإصرار ودرجة هائلة من التحضر نال بها إعجاب الجميع هنا وهناك بل وفى داخل إسرائيل نفسها .. ومما زاد سعادتنا أن البطل الجديد كان قد غاب كثيرا حتى ظن الجميع أنه ذهب إلى الأبد وأغفلوه تماما من كافة الحسابات ، وفجأة وبدون توقع أو إعداد انتفض الشعب العربى

←

من خير ما نشر

فى الأراضى المحتلة انتفاضة الحياة ذاتها ليقول للجميع إننى هنا وإننى مصر ومصمم على الحياة الحرة الكريمة .

رجاء إلى إذاعة القرآن الكريم لتعود إلى سيرتها الأولى

الأستاذ / عبد العليم الحضيرى

كانت إذاعة القرآن مشكورة عند إذاعتها للمصحف المرتل بصوت أحد القراء الذين أجازتهم الإذاعة للترتيل تلزمه بالتلاوة من أول فاتحة الكتاب الكريم إلى آخر سورة الناس . وبهذا كان المتتبع للتلاوة يتابع القارىء ويعلم ما انتهى إليه وظل الحال هكذا إلى وقت قريب . ولكن إذاعة القرآن الكريم أخذت تذيع المصحف المرتل بأصوات عدة قراء مختلفين ، فقارىء يرتل من سورة البقرة وآخر يرتل من آل عمران .. وهذا فيه ما فيه من التشويش على المستمع ، لذا نرجو من إذاعة القرآن الكريم العودة إلى سيرتها الأولى .

كل يوم

الأستاذ / محمد فهمى

فى كل يوم تتناقص ثروتنا من المفكرين والعلماء والأدباء الذين أثروا حياتنا وتركوا لنا تراثا يعتز به كل مصرى فمن الأمور البديهية أن هؤلاء العمالقة لا يثرون الحياة بأعمالهم فقط ، وإنما باشعاعهم وتأثيرهم على العاملين معهم ، لأن كلا منهم يمثل مدرسة خاصة به . المهم أن هذه المدارس تتناقص اليوم بشكل خطير ، أدى إلى وجود جيل كامل بلا أساتذة وبلا ولاء للعمل . والسبب أننا نحيل ألمع نجومنا إلى المعاش وننفرد بذلك عن كل دول العالم ، ونرفع شعارا هو إتاحة الفرصة أمام الشباب . إن الدول الكبيرة .. كبيرة بشخصياتها البارزة ، فإذا انعدمت هذه الشخصيات وقعنا فى شرك الأقزام .

دراسة ميدانية تؤكد التليفزيون يفسد أطفالنا

فى إحصائية لمركز البحوث الاجتماعية والجنائية تبين أن الجرائم التى ارتكبها الأطفال بين ٨ و ١٤ عاما بلغت ١٤٠ ألفا و ١٤٣ جريمة ، وأن نسبة كبيرة من هذه الجرائم ارتكبها الأطفال من باب التقليد للأفلام التى تمجد العنف وتحرض عليه .

أوضحت الدراسة التى قدمها الباحث محمد حسن عبد الله لقسم علم النفس بكلية آداب المنيا أن التليفزيون من أشد وأخطر وسائل الإعلام تأثيرا على الأطفال ..

من نتائج الدراسة : ضعف قدرة الطفل الذى يشاهد التليفزيون على العمل والتفكير ، والميل إلى الانفرادية ، والتحرر من الأسرة .

إلى جانب ذلك فإن التليفزيون لا يؤدى دورا ايجابيا فى اكتساب أية مهارات جديدة . انتهى الباحث إلى أن للتليفزيون أثره فى زيادة معلومات الأطفال ، كما يجد الأطفال جاذبية لما يشاهدونه من برامج تعتمد على الحجج المنطقية .

النغمة الصحيحة

للأستاذ / نبيل أباظة

لقد عانينا طويلا من شعار (أهل الثقة) حيث يختار الشخص الموثوق به ليتولى أحد المناصب دون اعتبار لخبرته وكفاءته وقد ظهر بعد ذلك فساد هذا الشعار ..... إن اختيار شخص ليتولى منصباً كبيراً ينبغى أن يخضع لصفات معينة ودقيقة .. أهمها القدرة على النجاح وخبرته السابقة فى إنجاح عمل أسند إليه .

نصـــف كلمـــة

للأستاذ / أحمد رجب

أتمنى أن يبادر الدكتور راغب دويدار وزير الصحة بعملُ حملة قومية مكثفة للتوعية ضد (الكوكايين) و (الهيروين) تحل محل الحملة القومية لمكافحة الجفاف ، فحملة مكافحة الجفاف استمرت سنوات طويلة ونجحت واستنفدت أغراضها .

●●●

عبد الفتاح السيد عبد السلام

عادل رفاعى خفاجة

أنباء وآراء

سافر فضيلة الإمام الأكبر إلى عمان فى ٢٠ من شعبان-٧/٤ للاشتراك فى افتتاح جلسات مؤتمر . (الندوة العلمية لقضايا الفقه الإسلامى) التى أقيمت بجامعة السلطان قابوس بمسقط . عمان وألقى فضيلة الإمام بحثا عن « مرونة الفقه الإسلامى » .

استمر انعقاد المؤتمر فى الفترة ٢٢ ـ ٢٦ من شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ٩ ـ ١٣ من إبريل ١٩٨٨ م .

وفى الأربعاء ١٩ من شعبان ٨٨/٤/٦ سافر إلى الندوة فضيلة الأستاذ الدكتور/ رءوف شلبى وكيل الأزهر الذى أعد بحثاً للندوة بعنوان :

« إن الدين عند الله الإسلام ـ دراسة فى مفهوم وحدة الدين »

وسافر معه فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية للاشتراك فى مناقشة البحوث التى تلقى بالمؤتمر .

برقية المشير سوار الذهب إلى وكيل الأزهر :

عقب عودته إلى السودان الشقيق أبرق السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب إلى فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بالبرقية التالية :

معالى الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر الشريف ـ القاهرة ، حفظه الله .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الآن وقد عدت للسودان لا يسعنى إلا أن أبرق إليك شاكراً ومقدراً حفاوتكم وتكريمكم للوفود وإسهاماتكم الواسعة فى نجاح المؤتمر الذى نأمل بحول الله أن يكون انطلاقة لوحدة إسلامية شاملة كما أشكركم على الصعيد

إعداد الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الشخصى لما أوليتمونى من حفاوة وتقدير داعيا الله أن يجزيكم خير الجزاء ويديم عليكم نعمة الصحة والتوفيق .

مشير

عبد الرحمن سوار الذهب

رئيس مجلس أمناء منظمة

الدعوة الإسلامية

سفر عشرين من علماء الأزهر الشريف :

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق على سفر عشرين عالماً من علماء الأزهر الشريف إلى أمريكا وأستراليا وقطر ومالاوى والنمسا وكوبنهاجن والسودان وسويسرا والكاميرون والمالاديف وهولندا .

وقد سافر أصحاب الفضيلة العلماء لنشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم ١٤٠٨هـ .

المفتى يطالب بالغاء
مسابقة ملكة الجمال

أكد الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية : أن العودة إلى بدعة تنظيم مسابقات لاختيار ملكة للجمال أمر يحرمه الدين الإسلامى ، ويخالف نصوص الشرع الحنيف . وطالب فضيلة المفتى المسئولين فى الدولة أن يزيلوا هذا العبث الذى يعتبر وصمة عار على جبين مصر المسلمة .

قال فضيلة المفتى : إن بدعة تنظيم مسابقة لاختيار ملكة للجمال يدعو إلى مزيد من التطرف عند بعض الشباب المتحمس لدينه ويظهر الدولة بمظهر غير لائق إسلامياً .

سحـــب تراخيـص
الملاهــى بالأقصر

قرر المسئولون بمدينة **الأقصر بمصر** سحب تراخيص **الملاهى الليلية بالأقصر** وإغلاق عدد من **الملاهى الليلية بالمدينة** . **وذلك استجابة لرغبة أبناء شعب الأقصر .**

الدولة تسعى الى
ازالة ملاهى الهرم

أكد الدكتور محمد على محجوب وزير ←

أنبــاء وآراء

الأوقاف : أن الدولة تسعى بالفعل إلى إزالة ملاهى شارع الهرم . جاء ذلك فى الندوة التى عقدتها كلية التربية بجامعة المنوفية .

مجلة الأزهر : نرجو أن يكون فى ذلك إلغاء تام لهذه الملاهى فلا تغلق فى مكان وتفتح فى غيره،وألا تقام فى أسطح الفنادق الكبرى

مصادرة مصحف البهرة

صادر مجمع البحوث الإسلامية حوالى ٢٠٠ نسخة من المصاحف التى طبعتها طائفة البهرة فى الهند ، وتحمل اسم « القرآن الحكيم » .. صرح بذلك فتح الله جزر مدير عام البحوث والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية وقال : إن طبعة طائفة البهرة من المصحف ثبت أنها غير دقيقة من ناحية الضبط ، وخاصة من جهة همزات الوصل والمد .

انشاء أول معهد للتمريض الاسلامى

قام معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الدكتور عبد الله عمر نصيف بزيارة للإسكندرية وقف خلالها على موقع معهد التمريض الإسلامى . كما ناقش مع المختصين هناك خطوات العمل التنفيذية الخاصة بإنشاء هذا المعهد الذى ستقوم الرابطة بتمويله . ويعتبر هذا المعهد الأول من نوعه فى العالم الإسلامى الذى يقام لإعداد المرضة المسلمة من جميع الدول الإسلامية .

تحويل بنك المهندسين الى بنك اسلامى

أصدرت الجمعية العمومية للنقابة العامة للمهندسين قراراً بالالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية فى كل المجالات المالية والاستشارية والاقتصادية الخاصة بالنقابة مع العمل على فتح فرع للمعاملات الإسلامية ببنك المهندس تمهيداً لتحويله إلى بنك إسلامى . والجدير بالذكر أن الجمعية العمومية تضم حوالى مائة وثمانين الف مهندس .

مؤتمر الفقه الاسلامى

أصدر مجلس المجتمع الفقهى الإسلامى الذى عقد فى جدة أخيراً عدداً من القرارات

والتوصيات فى عدد من الموضوعات التى تم بحثها ومن أهمها : انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً ـ صرف الزكاة لصالح صندوق الضمان الإسلامى ـ زكاة الأسهم والسندات ـ انتزاع الملكية للمصلحة العامة ـ سندات المقارضة وسندات الاستثمار ـ بدل الخلو ـ التأجير المنتهى بالتمليك والمرابحة للآمر بالشراء ـ البهائية وموقف الإسلام منها ـ مشروع تيسير الفقه .

فهرس لمخطوطات المكتبة الأزهرية

تجرى حالياً مباحثات بين جمعية إحياء التراث الإسلامى فى الكويت والأزهر الشريف تستهدف الاتفاق على إكمال طباعة فهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية ، سبق أن أعد فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى نحو سبعة مجلدات مفصلة شملت الكثير من ذخائر المكتبة حين تولى الإشراف عليها ـ رحمه الله .

تعنى المباحثات الحالية بمخطوطات بعض الأروقة .

مركز اسلامى للوثائق والمعلومات

أنشىء مؤخراً مركز إسلامى للوثائق والمعلومات فى الباكستان يهدف إلى تزويد الباحثين بالمعلومات والمخطوطات والوثائق الخاصة بالدراسات الإسلامية . وبدأ المركز فى تصنيف موسوعة عن الزكاة ، أموال الزكاة ، مصارف الزكاة ، مقادير الزكاة ، تحصيل الزكاة .

أحمد عبدالرحيم السايح

فهـــرس العــــدد

- الجوار بعد ابى طالب
  د . على أحمد الخطيب ١١٢٩
- صيام رمضان بين احكامه وحكمه
  للشيخ معوض عوض إبراهيم ١١٣٦
- من توجيهات النبى ﷺ فى الصوم
  للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ١١٤١
- من اسرار الصيام وحكمته
  للشيخ أحمد حسن جابر رجب ١١٤٦
- رمضــان شهــر الخيـرات والبـركات والانتصـــارات العظيمـــة
  للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١١٥٢
- رجال القراءات « الإمام حمزة الكوفى »
  للأستاذ إبراهيم عطوة عوض ١١٥٧
- الإسراء والمعراج فى السنة المطهرة
  للشيخ عبد الحميد محمد ندا ١١٦٣
- المسجد الجامع فى ماليزيا
  د . رءوف شلبى ١١٧١
- لقمان والآثار فيه
  د . محمود محمد رسلان ١١٧٥
- مفهومية الإسلام لدى الغرب
  أ . د محمد إبراهيم الفيومى ١١٨١
- الحرب والسلام فى الفكر اليهودى
  للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف ١١٨٧

باب الشعر والشعراء
اشراف د. حسن جاد

- شهر الصيام تحية وسلاما
  شعر محمود ممتاز الهوارى ١١٩٢
- احزان اولى القبلتين
  شعر رشاد محمد يوسف ١١٩٣
- رمضان شهر النصر
  للأستاذ محمود شاور ربيع ١١٩٤
- تضرع ورجاء
  للشيخ محمد زكى إبراهيم ١١٩٥
- رمضان شهر الله
  شعر : عبد الستار سليم ١١٩٦

باب العلوم الكونية

- خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى
  د . أحمد فؤاد باشا ١١٩٨
- اوركسترات الحشرات
  تاليف د / ر . ف اشلى
  ترجمة د / كارم السيد غنيم ١٢٠٤
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٠٨
- من اعلام الازهر
  « العلامة الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة »
  للشيخ توفيق إسلام يحيى ١٢١٠
- من روائع مجلة الازهر
  « غزوة بدر الكبرى »
  إعداد عبد الفتاح حسين الزيات ١٢١٨

اللغة والأدب والنقد

- اصل العرب ولغتهم بين الحقائق والاباطيل
  عرض د . عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار ... ١٢٢٦
- الربعى وأراؤه النحوية
  د . سعد منصور عرفة ١٢٢٩
- شعر المعارك الإسلامية زمن رسول الله ﷺ
  د . غريب محمد على ١٢٣٤
- وللرافعى فى شهر الصوم
  « سبحات ونفحات »
  للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١٢٣٨
- الأدب المقارن
  « ازمة المنظور المتعارف عليه »
  د . عبد الله محمد أبو هشة ١٢٤٢
- من خير ما نشر
  إعداد : عادل رفاعة خفاجة
  عبد الفتاح السيد عبد السلام ١٢٤٨
- انباء وأراء
  د . أحمد عبد الرحيم السايح ١٢٥٢

القســم الانجليــزى
اشراف د. أنس مصطفى النجار

- المقالـــة الثالثـــة
  للسيدة فاطمة محمد سرى ١٢٥٩
- المقالـــة الثانيـــة
  طبيب : سعد مصطفى مصطفى ١٢٦٤
- المقالـــة الاولـــى
  د . أنس مصطفى النجار ١٢٧٠

He is The One Who ordains, and His Will shall be done, and His Ways of Providence shall forever perpetuate.

78. The TRANSCENDENT **Al Motaal** **المتعال**

He is The Highest and Most Sublime and Exalted.

79. The BENEFICIENT **Al Baar** **البـر**

All Goodness, kindness and Charity emanate from His Beneficence.

80. The EXONERATING **Al Tawwab** **التواب**

All return to Him for relieving them from guilt and blame, thereby releasing them from the burden, and giving them remission for sins, and déliverance from punishment, over and over again through His Boundless Charity.

(Original Publication By Mr.Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)

****

68. The SANCTUARY Al Sammad الصمـــد

All turn to Him at times of need. He is The Refuge and Haven of those in distress. He is The Ultimate Sanctuary.

69. The POTENT Al Kader القــادر

70. The OMNIPOTENT Al Moktader المقتدر

He has Absolute Power to do or not to do according to His Will. His Dealings are carried out in accordance with His Knowledge and His Predestination.

71. The ADVANCER Al Moqadim المقــدم

72. The RETARDER Al Moakhir المؤخــر

He advances the rank of whomsoever He wishes to honour, and He retards those who have fallen short of His Esteem.

73. The FIRST Al Awwal الأول

74. The LAST Al Akher الآخــر

He has The Precedence. From His Being, all else came to be. In the utterance, all beings shall return to Him. He disposes of their destiny.

75. The EVIDENT Al Zaher الظاهــر

76. The IMMANENT Al Baten الباطـــن

He is The Evident, whose Existence and Omnipresence are established by evidence through the excercise of logic.

Yet, He is also The Immanent as His Presence may be visualized through percpetion of the senses.

77. The LORD Al Waali الـوالى

He predestinated the affairs and dealings of all beings and has taken charge of them righteously.

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

64. The DOMINATING　　Al Qayoum　　القيوم

This Appellation denotes the essence of His Absolute Self-Subsistence, and all beings rely on Him for subsistence. Nothing is conceived to exist or last except through His Will. His Ruling is Autonomous, and His Existence is of necessity essential in His Entity and His Attributes. The existence of every other thing is dependent on His Will, and everything needs Him.

65. The ENTIRE　　Al Wagid　　الواجد

He is Complete, not lacking in any trait. Every Attribute that is essentially Divine, is confined to The Deity. He is The Absolute Perfection.

66. The ILLUSTRIOUS　　Al Magid　　الماجد

GOD's Glory is Splendid. He is The illustrious.

67. The ONE　　Al Ahad　　الأحد

He is the Immutable Deity Who has no second or partner. He is The Absolute One from eternity and infinity for ever to come. Nothing is like Him in His Unique Verity, or His Divinity and His Dispensations of Providence.

In the text of the Hohly Quran: [Praise be to Allah, to Whom belongs all things in the heavens and on earth: To Him be Praise in the Hereafter, and He is All-Wise, All-Cognizant. He knows all that goes into the earth, and all that comes out thereof; all that comes down from the sky and all that ascends thereto.... who knows the unseen, from Whom is not hidden the least little atom in the heavens or on earth; nor is there anything less than that, or greater, but is in a prespicuous record. That He may reward those who believe and work deeds of righteousness; for such is forgiveness and generous sustenance". (Surat Saba, XXXIV, 1 - 4)].

values and standards; exactly similar to the physical laws that maintain the physical phenomena of nature. The method of reasoning of the Supreme Transcendent Mind which controls the whole material structure and the laws govering it is the same throughout the universe; and the human mind learns and follows the same reasoning to arrive at the Truth. The standards, values, measures of right and wrong, virtue and vice, good or evil is always exactly the same. This indicates that the human mind is guided and directed in its life by the same Truth that prevails in the universe. In other words, it is part of the Supreme Measure, and of the Truth that holds the Universe; it is part of the Unitary System of the Universe and a reflection of Allah's Light, Knowledge, Perfection, Augustness, Wisdom, Consummation, Dominance, Justice, Omnipotence and Sovereignty. The Holy Quran refers to this Truth ["The Merciful has taught the Quran; He has created man; He has taught him Bayan *. The sun and the moon follow courses exactly computed; And the stars and the trees both (alike) bow in adoration. And the skies has He raised high, and He has set up the balance (of Justic). In order that you do not transgress (due) balance. So, •establish weight with Justice and fall not short in the balance. (Surat Al-Rahman, LV, 1-9)]. * (The word Bayan in Arabic denotes: intellegent speech, power of expression, capacity to understand and interpret, ability to assimilate knowledge, faculty to differentiate).

The whole entire system of the Universe is the result of Allah's creation and is functioning according to divine Transcendent plan. This complex entirety is based on the principle of justice; from the astronomical formations down to the most primitive organism is controlled and maintained by the Law of balance and justice; without which none will exist. Mankind is given the knowledge to search in these sciences, and recognizes precisely that he is part of this collosal immense entirety. He is given the rational thought and intelligence to realize that he must operate in life with standards and values consistent with justice. Otherwise, he will be working against the entire system of the universe, and against the reality of his own nature.

The Holy Quran has described the universe and all its intricate and complex systems, and invited mankind to study and understand the wonders of Creation. Through the knowledge of these sciences and the appreciation of their infinite dimensions, mankind must seek the Truth and Reality, the Creator, His Attributes, His Perfections. Mankind must endeavour to follow the path of Truth, Reality and Justice.

the sky He has raised high and has set up the balance of everything. (Surat Al-Rahman, LV, 5 - 7)]. The Holy Quran stresses the solemnity, purpose and significance of the whole Creation. The entire infinite universe with all animate and inanimate matter in that universe is created in Truth and Justice. Allah is the Creator of the Universe, the Ultimate Reality and Truth and the Cause of all Causes. The belief in such criterion expands and gives freedom of thought to step outside the limitations of material existance, and recognizes life in its continuity and changing phases. Eternity and permanence are attributes only of Allah alone. The Holy Quran enlightens the mind of mankind by given evidence of the Majesty ana Omnipotence of Allah. This evidence is supplied by the wonders of Creation in their various manifestations. These wonders present knowledge to mankind; and make one realize that ultimate knowledge is with Allah The All-Knowing. Those who are endowed with knowledge stand firm in competent faith and complete submission to Allah. In this respect, the teachings of the Holy Quran provide the fundamental link between religious thought and scientific thought. With· this understanding, no conflict exists, but total integration of both - presenting together a wholesome understanding to be conceptualized by the human faculties of contemplation, attestation and belief. As mankind advances in knowledge, he unfolds and discovers that the knowledge and bounties of Allah are infinite and beyond reach. The recognition of this equilibrium brings the human mind to the realization of the Supreme Dominating Omnipotent All-Cognizant, All-Embracing, Transcendent Mind, Who creates, controls, governs, directs and gives continuity to all the systems of the physical phenomena in the universe.

The Holy Quran indicates that the creation of mankind was for the purpose of worship and submission to the Divine Transcendent Creator. This submission and worship, comes as a result of comprehension, study, harnessing the physical phenomena of forces and relating them to the Cause of Causes - Allah. The intelligence, power of thought, rationality and innovation as faculties of the human mind, are all the creation of Allah. With these faculties, man was given the office of vicegerent of Allah on earth. In order to qualify for that office, mankind has to function according to the standards and values prescribed by Allah. The proper understanding of these standards and values is the climax of human knowledge, strength, perception and wisdom. The Holy Quran also indicates to mankind the knowledge of yet another Reality of Allah as the Final Authority possessing the Law of Retribution and Atonement which is in constant operation. The moral balance of mankind is maintained by religious

not be the total indulgence in material wants, nor the deep concern for material desires. His sences should not become grounded, earthly and carnal; and his mind and mental faculty should not be confined to the bounds of matter, and blind to the energy that is inherent in its confines. The Holy Quran introduces the understanding that mankind should not be servile to matter; but should be its master; to realize the sciences of the complex forces governing the nature of that matter and relating these forces to the Great Intellectual Reality - Allah. Therefore, through research, knowledge and understanding, mankind's intellect is brought nearer and closer to Reality, Truth, Realization of the Marks and Signs of the Creator. These Marks and Signs of the Creator have an ultimate destiny that is beyond the material dimensions of this universe.

The sciences of secular materialism fails to comprehend the world beyond the borders of its material structure. The Holy Quran introduces new horizons of knowledge based on observation, thought inertia, and relationships of phenomena. By reflecting in deep fact finding thought, the human mind can visualize the complexity, grandeur, and intricacies of cosmic phenomena. All this is the work of the Creator Allah. In the Holy Quran, it is stated ["To him is due the primal origin of the Heavens and the Earth: when He decrees a matter, He says to it "Be" ! and it is " (Surat Al Baqara II, 117)] - All the processes of creation in the whole cosmos are completely under the control and direction of the Creator. From the very delicate minute mechanisms and interactions of subatomic structures to the large scale physical phenomena of nature, are completely regulated with precision. The universe with the countless stars, planets and galaxies in perfect order ordained for them is a sign of Allah's Attributes. The Holy Quran gives significance to this understanding [Blessed be He in Whose Hands is the Dominion, and He hath power over all things. He who created Death and Life that He may try which of you is best in deed. And He is the Exalted in Might, Oft-Forgiving. He who created the seven heavens one above another; no want of proportion wilt thou see in the creation of The Merciful. So turn thy vision again; seest thou any flow ? Again turn thy vision a second time; (thy) vision will come back to thee dull and discomfited, in a state worn out. (Surat Al-Mulk, LXVII, 1 - 4)].

Everything in the universe follows the law of Creator [who hath created and further given order and preparation, who hath ordained laws and granted guidance (Surat Al-Ala, LXXXVII, 2 - 3]. [The sun and the moon follow courses exactly computed, and the stars and the trees bow in ordoration. And

THE HOLY QURAN
AND SCIENCE

By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The mission of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and the revelation of the Holy Quran was the most significant event in human history to enrich the human mind. This brought new dimensions to the study of the natural phenomena of the universe. The Holy Quran invites mankind to study and understand the wonders and mysteries of nature; and endeavour to interpret the forces and mechanisms that govern this infinite multistructured universe with all its various interacting component systems. Such search into the intricate fascinations of creation will bring mankind closer to the Reality of Creation. The infinite expansive cosmos is controlled with great precision and extreme exactness,and everything existant continuously flows from phase to phase in the record of time. Behind all these wonders of creation, there is a Great Intellectual Reality, Masterful, Creator, Fashioner, Dominating, Omnipotent.

The denial of this Reality evacuates the human mind of rationality, leads to instability, confusion, anarchy and entropy. There becomes dejection of the mind, and rejection of Truth. This leads to spiritual emptiness creating a hollow void in the inner structural build up of human psyche. The whole intellect of man becomes deprived of the energy bond that links man's individual existance to universal cosmic existance. The belief in the Eternal Reality is the basic understanding of Tawhid the belief in the Oneness of Allah.

The realization of such concepts will induce mankind to become unpretentious and live according to doctrines and certain values and obligations, in order to ensure other people's rights. To grant people their rights in full fairness is pre-requiste to obtaining one's own rights. This individual sence of justice is the basic ingredient of freedom. These concepts that involve the essentials of human life are particularized in the Holy Quran. Man's life should

→

mission, the desire for martyrdom in the cause of Allah and the thought of paradise. They marched out stamping the desert sands in many directions to confront apostate renegade enemies. They marched out with one belief and intention "To make the words of Allah supreme". Abu Bakre was the man who planned, organized and engineered the campaign against the renegades; around him were the close companions, the advisory council who shared the thoughts, the heaviness of the responsibility, the burden of patience, and the devoutness and piety in belief.

Yonder in the various localities, confrontations started. The heat and intensity of battle became evident, the strategy and manoeuvres of warefare, were necessary. The rallies, the advances, the detours, the flanking and the reinforcements were all governed and controlled by the Khalifa of Rasul-Allah, Abu Bakre Al-Siddiq. History stood still to know the outcome between the forces of Truth and the forces of inquity and evil.

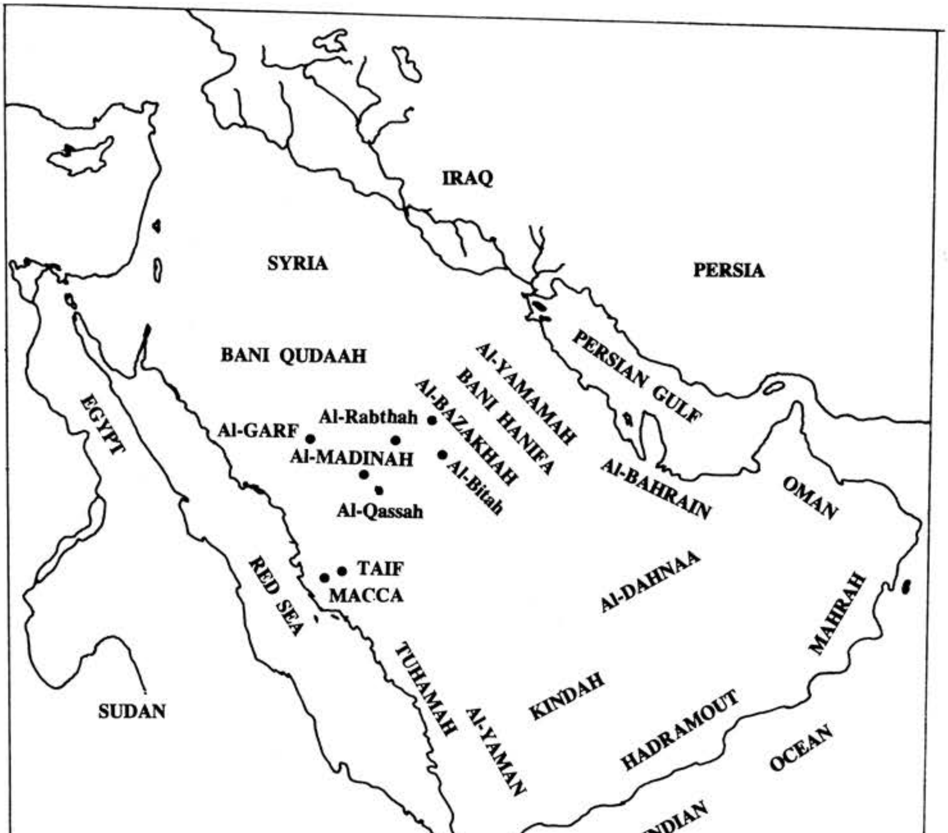

summon to Islam before fighting. He who answers the summons, conforms with all rightousness of Islam; he is spared and supported. He who refutes and disavows is treated as an enemy, to be followed and killed. Nothing except the return into Islam will be accepted. Whoever complies and observes the proprieties, the conventions, and the dictates of Islam is beneficial for him; and whoever rejects will not depreciate the Augustness and Sovereignty of Allah. I have instructed my messenger to read my letter to you in all your gatherings and societies. The summons will be the "Adthan" (call for congregational prayers). Who answers it will be preserved and who denies it will be confronted with the sword; and if he conforms, he will be spared and assisted into the patronage and abetment of Islam."*

This message was announced all over the Arab Peninsula, and it was intented as an initial diplomatic skillful move, in order to give a chance for the Apostates to think of returning into Islam. Many had in fact blindly followed the impostors without giving the matter any rational thought, many were afraid to declare their Islam among the masses of renegades. The announcement of Abu Bakre gave backing and moral support to many among the renegades who were inclined to Islam. The message of Abu Bakre was also taken as a protocol of action by the army commanders commissioned by Abu-Bakre himself. Accordingly, to this announced message every commander must first summon people for Islam by calling the "adthan"; and no fighting was to be started except after a negative response had been received.

The renegades of the tribes were certain of the firm intentions and balanced resolutions of Abu Bakre. Abu Bakre was confident in his faith, strong in his belief, absolutely dependant on the Sovereignty and Supremacy of Allah. Abu Bakre was in total conviction of belief that Allah would be his Victor, Champion and Guidance. With such basic elements of deep rooted belief, Abu Bakre stood firm confronting an uproaring wave of apostasy and violence that extended to include large areas of the Arab Peninsula.

Abu Bakre and few of the Prophet's companions remained at Al-Madinah as the Muslim regiments started out from Zi Al-Qasah to their respective destinations, carring with them the announcement of Abu-Bakre to everybody. They carried with them thier orders and instructions. They carried with them the reality of their faith, and the confidence of their belief. They carried with them the purpose and intent of their

→

after delivering the Message. Allah had clarified that to him and to all Muslims in the Holy Quran which was the Book Revealed.

[Truly thou wilt die (one day), and truly they too will die (one day) (Surat Al-Zumur, XXXIX, 30); Allah also said [We granted not to any man before thee permanent life (here): if then thou shouldst die, would they live permanently (Surat Al-Anbiyaa, XXI, 34). Allah also addressed the believers in the Holy Quran and said [Muhammad is no more than an Apostle, many were the Apostles that passed away before him. If he died or be slain, will ye then turn back on your heels ? If any did turn back on his heels, not to the least harm will he do to Allah; but Allah will reward those who show gratitutde (Surat Al-Imran III, 144)]. Whoever had worshipped Muhammad, Muhammad has died; and who has worshipped Allah alone with no associate or partner; Allah is He, the Living, the Eternal, no slumber can seize Him nor sleep, Guardian of His words, Avenger of His enemies.

I summon you to piety and devoutness to Allah; to your share in what Allah has promised, and what the Prophet has delivered to you. I beseech you to follow his guidance, and adhere to the precepts of the Faith of Allah. Without Allah's guidance, there is loss; without Allah's support, there is defeat; without Allah's strength, there is weakness. [He whom Allah guides is rightly guided; but he whom Allah leaves to stray, for him wilt thou find no protector to lead him to the right way (Surat Al-Kahf, XVIII, 17).

I have received knowledge that some among you have reverted and denied the faith after he had accepted Islam. This deed is total ignorance and obedience of the devil iblis (Satan). In the Holy Quran, it is recorded [Behold ! We said to the angles "Bow down to Adam": they bowed down except iblis. he was one of the Jinn, and he disobeyed the Command of his Lord. Will Ye then take him and his progeny as protectors rather than Me ? and they are enemies to you. Evil would be the exchange for wrong doers. (Surat Al-Kahf, XVIII, 50)]. Allah also stated in the Holy Quran [Verily, Satan is an enemy to you, so treat him as an enemy. He only invites his adherents, that they may become companions of the blazing fire (Surat Fatir, XXXV, 6)].

I have sent to you warriors from the Muhagereen and the Ansars and others of the Muslims. Their orders are to

enemy that confronted them. They must first summon their enemy to Islam; if the summon is positively answered with conformity into Islam, no fighting should take place. The use of the sword was to be only against those who refused the call of Islam. Abu-Bakre also instructed the commanders to recruit willing Muslims from the various tribes on the way as the armies travelled to their destinations. The armies marched to their objectives at different predetermined times according to well planned strategy. Abu - Bakre also instructed the army commanders to be in continuous contact with him at Al-Madinah, and not to move from one battle to another or from one region to another except after authorization from Abu Bakre himself. This was the unification of leadership; Abu Bakre at Al-Madinah assisted and advised by the leading companions from the Muhagereen and Al Ansars was the man who essentially planned and conducted the maneuvering manipulating tactics of that widely spread war against the apostates from the differen renegade tribes.

Before the march of the armies, Abu - Abakre announced an open address to every dweller of the Arab Peninsula, individuals and tribes, conforming with Islam or refuting the faith; a communal message to all. This very famous historical address reads:

*"In the Name of Allah the Merciful the Compassionate. From Abi Bakre, the Kalifah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to who ever receives my address of public or specific individuals, remaining adherent to Islam or refuting it.

Greetings to those who follow the guidance, and did not revert from guidance to blind transgression. I praise Allah, there is no god but He, I witness that there is no god but Allah with no associate partner, and that Muhammad is His subject and Messenger. We conform what he has delivered, and we oppose with contention and strife those who deny.

Allah be praised sent Muhammad with the Divine Truth to Mankind, as herald and to give admonition; as announcer of the words of Allah; as a shining lantern to warn those alive, and the unbelievers will be charged with the rejection of Faith and willful transgression Allah guided those who answered the summons, and the Prophet has after Allah's will struggled for the cause until everybody came into Islam.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died

→

Bahrain on the Persian Gulf. **The seventh army** was commanded by Huzayfah ibn Muhsin Al-Ghalfani to fight Zi Al-Taj Laquit ibn Malik Al-Azdii the impostor in Oman. **The Eighth army** was commanded by Arfagah ibn Harthah who was to march to Mahrah on the south coast of the Peninsula between Oman and Hadramaout.

The remaining three armies were commissioned to march north. The first under the command of Amre ibn Al-Aas was ordered to confront Bani Qudaah. The second commanded by Maan ibn Hagiz Al-Salmii to fight Bani Salim and their followers from Bani Hawazen. The third was commanded by Khalid ibn Said ibn Al-Aas to safeguard the northern frontriers with Syria.

Abu Bakre Al-Siddiq personally conducted the selection of troops for the individual armies, and also appointed their commanders. These armies included warriors from the Muhagereen as well as from the Al-Ansars, all of whom willingly volunteered for the mission of fighting against the apostates. Abu Bakre left a separate contingent including the heads of Al-Ansars to remain behind at Al-Madinah for its defence. He also kept with him at Al-Madinah the leading companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as Omar ibn Al-Khattab, Ali ibn Abi Taleb, Osman ibn Affan, Abdel-Rahman ibn Aof, Al-Zubair ibn Al-Awam and many others. Abu Bakre planned to hold a war-council at Al-Madinah as headquareters for the mass campaign against the apostates all over the Arab peninsula. Abu Bakre was adamant, intent with purpose, wise in action, and renitent uncompromising in the terms of Allah. These characteristics were the source of his strength, confidence, and steadfastness. The faith of Islam was completed during the lifetime of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him);it will certainly not be weakened or undermined in the reign of Abu - Bakre as Khalifah of the Prophet. From this basic belief, Abu Bakre was the master and maestro of a very assiduous war against very strong resistant stubborn Arab tribes all over the Arab peninsula, who have refuted and disavowed the faith of Islam, became atavistic and followed impostors and frauds who allegedly claimed prophethood. This war, which Abu Bakre engineered and conducted, against the renegades was the most precarious and crucial war in the history of Islam, after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Everyman who took part in this war, directly or indirectly, sincerely hoped and prayed to gain martyardom in the field of divine honour, to die in the path of Allah.

Abu Bakre Al-Siddiq gave explicit orders to all the armies' commanders of how to conduct their battles with the

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

WAR AGAINST APOSTATES

PART I

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Abu Bakre defeated the tribes of Abs, Zubian, and Bani Bakre and compelled them to evacuate their positions at Al-Abraq. Abu Bakre declared that the lands of Al-Abraq and Al-Rabathah were the property of Muslims and their grazing land. Abu Bakre returned to Al-Madinah where he remained to think and plan the strategy to defeat the renegades and impostors who claimed prophethood; and also to give time for the army of Ussamah ibn Zayd to recuperate from the assignment to the northern borders. After deciding and determining his intentions, Abu Bakre summoned all his combat forces to Zi Al-Qassah, where he arranged them into eleven different armies, each headed by an appointed commander. The number and command of each army was well-chosen for the exact commission of each particular army, and the enemy to be confronted.

The first army was commanded by Khalid ibn Al-Walid to meet and subdue Tulayhah ibn Khuwaylid of Bani Assad; then to march to Malik ibn Nuwayrah of Bani Tamim; both situated east of Al-Madinah at Al-Bitah, and Al-Bazakhah. Bani Assad and bani Tamim were the nearest of the renegade tribes to Al-Madinah. **The second army** was commanded by Ikrima ibn Abi Jahle, and was commissioned to fight Mussaylamah of Bani Hanifah at Al-Yamamah. **The third army** was commanded by Sherahbil ibn Hassanah with orders to assist the second army under Ikrima in the battle against Bani Hanifah. When victorious, Sherahbil and his army should move north to assist Amre ibn Al-Aas against Bani Qudaah. **The fourth army** was commanded by Al-Muhajir ibn Abi Ummayah Al-Makhzumii to fight the Al-Aswad Al-Ansii and his followers in the Yaman. After that to march to Kindah and Hadramaout in the south to fight Al-Ashaas ibn Qays and his tribes of apostates. **The fifth army** was commanded by Suwayd ibn Maqrin Al-Awsii to figth the reversionary groups in Tuhamah on the east coast of the Red Sea neighbouring Yaman. **The sixth army** was commanded by Al-Alalaa ibn Al-Hadrami to subdue the recreant tribes in

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part IX

Ramadan, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

==

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq - War Against Apostates. Part I.

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Holy Quran and Science.

By: Saad Moustafa Moustafa.

3. The Most Magnificent Names of Allah.

Collected & Arranged by Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر

السنة الستون

شوال ١٤٠٨ هـ

مايو - يونية ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرة وتهنئة فى عيد الفطر

للإمام الأكبر

للأعياد فى الإسلام دوافع إنسانية ، فهى أيام ذكر وشكر .

فعيد الفطر يعقب عبادة هى صوم شهر رمضان ، ومن ثم كان يوم تهليل وتكبير ، حيث يبدأ المسلمون هذا العيد بالصلاة التى تنتظم فيها الصفوف ، وتندمج كل الطبقات من الأمة ، سمة من سمات المساواة بينهم ، وآية على وحدة العقيدة .

وصلاة عيد الفطر مع انها ذكر لله سبحانه ، فهى أيضاً شكر على نعمة العون على إتمام الصوم ، وهى جوهر ومظهر .

←

فجوهر هذه الصلاة اجتماع مهم وعام لجماعة المسلمين ، شيبا وشبانا ، نساء واطفالا ، استفتحوا يوم عيدهم بإعلان : أن الله أكبر من كل شيء ، وتتجاوب قلوبهم ونفوسهم مع هذا الإعلان ، فلا كبر ، ولا حسد ، ولا تباغض ، وإنما قد وقر الإيمان في قلوبهم فأنسوا بطاعة ربهم ، وخرجوا بصومهم مغفوراً لهم بوعد الله الكريم ، الذى أخبرنا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به[1]) ومظهر هذه الصلاة تلك الوحدة المجمعة للصفوف فى طاعة الله .

فى هذا العيد تأصيل وتجديد للصلات الاجتماعية بين المسلمين ، ليتواصل الإخاء ، ويتوالى التعاون والمودة والمحبة ، ويكون الصفاء والنقاء بين الأفراد والجماعات .

وفى العيد يذكر أصحاب النعم ذوى الحاجة والعوز بسنة الإسلام (صدقة الفطر) .. طهرة للصائم ، ومعونة للمحتاج ، وإسعادا لأهله ، وصونا لإنسانيته عن أن تستذل فى يوم المرحمة .

فهو يوم كرم وجود ، تزكو فيه النفوس التى صامت وقامت لله ، واعتادت فعل الحسنات ، وترفعت عن دنس السيئات ، وبرئت من الشح والبخل ، ففاضت بالخير عطاء فى سبيل الله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ..

هذا العيد تذكرة لهؤلاء الذين استجابوا لله وأنابوا ، أن يداوموا على ما استساغوا من ذكر الله ، من البذل فى سبيله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَايُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ . .

هذا العيد دعوة لمن يذَّكر أو يخشى إلى مزيد من العطاء لأمته ومجتمعه فإن العمل عبادة ، كل العمل المفيد المثمر .

هذا يوم يُذَكِّر المسلمين بأن النجاح فى مجاهدة النفس وحملها على الاستقامة وحجبها عن العبث ، وتعويدها على النظام والانتظام ، فى أداء المسئوليات أمر واجب ، ومن فروض الإسلام : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ .

هذا العيد مرحلة جديدة فى حياة المسلم أيا كان موقعه فى المجتمع ، يأخذ منه الزاد لرحلة جديدة عبر أيام ومواسم عمل وطاعة مقبلة ، إنه يوم يتنادى فيه المسلمون فى بيوتهم وطرقاتهم ومساجدهم : الله أكبر .. عَلَمُهم الذى يتجمعون عنده ورباط قلوبهم إذا عز الصبر أو اهتز ، والمؤكدة لإيمانهم إذا أحاطت بهم المغريات أو احتوتهم نوازع الشر والإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

هذا العيد تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وهو يوم سرور واستمتاع بالمباح ، وتوسعة على الأهل ، دون إسراف أو إتلاف .

وهو يوم تزاور تتقارب فيه القلوب ، وتزدهر الصلات ، وما أحوج الأمة إلى أن تأسو فيه الجراح حتى يلتئم الصف ، وتتوحد الكلمة ، ويكون عيد وفاق وتلاق ، ويزول فيه الخصام والشقاق ، فلنعقد العزم ـ أيها المسلمون ـ على أن نكون فى عيد الفطر قد استذكرنا نقائصنا فأصلحناها ، وتواصينا بالحق وبالصبر .

اقبلوا على هذا العيد بآداب الإسلام ، فتصافحوا وتناصحوا وتبادلوا التهانى وليكن حواركم شورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وتتبعوا أولئك الذين يحاولون أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم الذى ارتضاه لهم ربهم فيسوغون لهم ما حرمه الله ورسوله ، ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ذلك أن الشيطان قد زين لهم أعمالهم وأمدهم بباطل من القول وزور .

فى عيد الفطر المبارك : أهنىء الأمة الإسلامية ، وأدعو الله أن يهيىء لها من أمرها رشدا ، حتى تفىء إلى أمر الله ، وتحتكم إلى شريعته ، وتنزل عند حكمه ، فتتوقف هذه الحروب التى أهلكت الحرث والنسل ، ودمرت واستنزفت كل وارد ومدخر دون مصلحة ظاهرة ، وإنما فى مقامرة خاسرة ، وعصبية قاتلة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فى عيد الفطر : أهنىء شعب مصر بمقدمه ..

وأهنىء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ...

وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء المسلمين بهذا العيد المبارك باسم الأزهر الشريف ..

وأسأل الله أن يتم نعمته على هذه الأمة باتحاد الصف ووحدة الكلمة .. حتى تتغلب على هذه الشرور المحيطة بها .. إذ : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ .

شيخ الأزهــر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) رواه مسلم .

جوار المطعم بن عدى

دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة مَرْجِعَهُ من الطائف فى جوار « المُطْعِمِ ابن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف » . وكان جواراً كريماً غير مشروط ، وَفَى به المطعم حتى غلبتْهُ قريشٌ عليه .

وإذا قلنا ـ عن جوار المطعم ـ إنه « كان جواراً كريما غير مشروط » ، فإنما نحدث عن واقع يدل عليه ما فى أيدينا من مراجع ؛ فإن أحداً من قريش لم يستطع أن يؤذى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء ذلك الجوار ، على الرغم من حقدهم عليه وغيظهم منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلا ما كان من عمه أبى لهب .

روى الإمام أحمد رضى الله عنه ـ بسنده ـ إلى أبى الزناد قال :

« أخبرنى رجل يقال له : ربيعة بن عِبَاد الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية فى « سوق ذى المجاز » وهو يقول : ياأيها الناس ، قولوا : « لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب » .

فأما ما رواه البيهقى ـ رضى الله عنه ـ عن نفس الحادثة ، وفيها ، « فإذا هو أبو جهل » فإن دراستنا للجوار تَرُدُّ هذا النص إلا على اعتبار حدوثه من قبل إِجَارة المطعم ، فإن أبا جهل لم يكن ليغامر بإخفار جوار المطعم بهذه الجراة والحمق مثيراً لأحد بطون قريش ، فأما ما كان بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمه فعذر المطعم فيه واضح .

ورواية الإمام أحمد تؤكدها رواية لابن إسحاق ـ رضى الله عنهما .

● ● ● ● ● ●

وحيث تحدثنا عن « الجوار المشروط » فإنه ينبغى ـ ونحن ندرس قضية الجوار ـ أن نلقى الضوء عليه ، وَأَكْرَمُهُ جِوارٌ حَمَلَ الشرطَ ابتداء ، لا جوار بدأ "مطلقاً" ثم دخل الشرط عليه ؛ فهذا الجوار الأخير ليس فيه طابع الكريم ، ولا ذود الشريف ، وقد مر بنا مثالاً عليه « جوار » ابن الدغنة لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه(١) .

---

(١) راجع مجلة الأزهر ـ ربيع الآخر ١٤٠٨ ص ٤٠٥ .

للدكتور/ على أحمد الخطيب

وهو جوار لم يطلبه أبو بكر ، إنما ساقه ابن الدغنة من عند نفسه حين التقى بأبى بكر مهاجراً ، فقال : « ارجع فإنك فى جوارى » دون أن يُلْحِقَ قولَهُ هذا بشرط ، فلما ضاقت قريش بصلاة أبى بكر وقراءته حملت على ابن الدغنة ، فذهب إلى أبى بكر يشترط فقال له :

ياأبا بكر ، إنى لم « أُجِرْك » لتؤذى قومك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به ، وتَأَذَّوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

فقال أبو بكر - فى شَمَمِ الكريم وعفته : أو أَرُدّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله !

فأسرع ابن الدُّغنة يتلقفها كأنما يخشى أن يتردد فيها الصديق فقال : فَارْدُدْ علىّ جوارى .

ولم يكتف ابن الدغنة بذلك فذهب يستعدى قريشاً على الصديق . يقول - فى نواديها :

يا معشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم »

أى افعلوا به ما شئتم .

وليست تلك خلة كريم .

● ● ● ● ● ●

فأما « الجوار » المشروط ابتداء ، فقد التقى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وهو « جوار » إذا صدر من كريم شريف فقد اعتذر به صاحبُهُ لنفسه ، وأبان عن طاقته ، وليس يلام المرء فيما فوق طاقته .

وسنجد له مثالاً فى بحثنا هذا ، وقبول الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه لعذر صاحبه .

● ● ● ● ● ●

استقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى جوار المطعم العمل للدعوة فكانت حينئذ :

أ - فى غير قريش التى منعته عن تبليغ كلام ربه فَتُرِكَتْ إلى حين .

ب - وهدفت إلى طلب « جوار » ينتقل به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى (أرض) تنطلق منها الدعوة حرة دون قيد ولا إكراه .

وخير ما يتمم هذا الهدف أن (يُؤْمِنَ) بالدعوة (أهلُ هذا الجوار) .

ونعود فنؤكد أن استهداف القبائل للدعوة حينئذ ليس معناه أن هذه القبائل كانت - من قبل - ساقطة من حساب الدعوة .. كلا ، بل إنها لَتُدْعَى إلى الإسلام منذ الجهر بالدعوة ، أى من قبل ذلك بسبع سنين(٢) - على الأقل - لكن الجديد - على وجه التحديد : هو طلب الجوار منها ، أى

(٢) إنما نقول « بسبع سنين على الأقل » نظراً لأن هذا الوضع الأخير استمر ثلاث سنين كانت نهايتها اتفاقه - صلى الله عليه وسلم - مع الأنصار : قبيلتى « الأوس » و « الخزرج » اللتين وفقهما الله - سبحانه - إلى الإيمان وقبول هذا الجوار وتلك الكفالة . وهذه الثلاث هى ختام السنوات العشر للجهر بالدعوة انتقل بعدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة .

دخولها طوراً جديداً تتحمل فيه كفالة الدعوة والقيام بشأنها : فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخفى رسالته ثلاث سنين ، ثم أعلن بها فى الرابعة مبتدئاً طور الدعوة الجهرية التى استمرت بمكة عشر سنين لم يترك خلالها شخصيات كبيرة توافى مكة ، أو معتمرين يفدون إليها فى « رجب » أو حجيج يأتيها بموسم الحج إلا كان له عليه الصلاة والسلام فيهم دعوة بجانب دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه .

فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتبع الحجيج فى منازلهم بـ « مِنَى » و « عرفة » وغيرهما يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ، ويسأل عن منازلهم ويأتى إليهم فى أسواق المواسم : عُكاظ ومَجَنَّة وذى المجاز[٣] : فقد كانت العرب عندما تحج تقيم بـ « عكاظ » حتى نهاية العشرين من ذى القعدة ، ثم تنتقل إلى « مجنة » عقب فض عكاظ فتقيم حتى نهاية ذى القعدة ، ثم تنطلق إلى « ذى المجاز » . ومن الطبيعى أن يكون أقربَ إلى عرفة ـ إذ بينهم وبين أن يقفوا بعرفة أيام معدودة ، فيقيمون بتلك السوق الأخيرة حتى الثامن من ذى الحجة ، وهو يوم التروية .

فى كل هذه الأماكن كان يطرقهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ داعياً عاماً بعد عام حتى إذا وقعت حادثة الطائف ـ خلص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدعوة القبائل . هذه القبائل التى لم يكن الحال بينها سهلاً مرضياً .

يقول الإمام الزهرى ـ رضى الله عنه ـ

« فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم ـ مع ذلك ـ إلا أن يُؤْوُوه ويمنعوه ويقول : لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شىء ، مَن رَضِىَ منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كَرِهَ لم أكرهه ، إنما أريد أن تُحْرِزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء ..

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتىَ أحداً من تلك القبائل إلا قال :

---

(٣) عكاظ سوق كانت تقوم بأرض تعرف حالياً بـ « القانس » قال الزركلى :

« على مرحلتين من مكة للذاهب إلى الطائف فى طريق السيل ، يميل قاصدُ عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف ساعة ؛ فإذا هو أمام نهر فى باحة واسعة الجوانب يسمونها « القانس » وهى موضع سوق عكاظ .

فأما مِجَنَّةُ فموضع قرب مكة على أميال منها قرب جبل جنوب مكة يقال له : « الأسفل » يقع بمـر الظهران . وكانت مجنة سوقاً لكنانة بأرضها .

وذو المجاز : اقرب إلى عرفة ، وهى سوق يحدها أكثر العلماء بأنها على فرسخ اى نحو (٧,٦٨٠ كم) من عرفة بناحية (كبكب) وهو جبل بعرفات ، ونقل الزبيدى قولاً آخر : أنها كانت تقام بـ « مِنَى » وليس من شك أن تجمع الحجيج بهذه السوق ، وفى النهاية من موسم الحج ، من شانه ان يمد السوق فتتسع لتمتد إلى (مِنَى) وسمى ذا المجاز لان إجازة الحاج كانت منه ».

راجع الحلبية اول المجلد الثانى ، وانظر فى اقيسة الفرسخ المعجم الوسيط .. الكلمات : الفرسخ ، الميل ، الذراع ، وانظر لسعيد الافغانى أسواق العرب .

قَوْمُ الرجل أعلم به ، اترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه !»[٤]

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى الأمر فقصَّ خبر القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه ـ عليه الصلاة والسلام نفسه على : بنى عامر وغسان وبنى فزارة وبنى مُرَّةَ وبنى حنيفة وبنى سُلَيم ، وبنى عبس وبنى نضر بن هوازن وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكِنْدَةَ وكلب وبنى الحارث إبن كعب وبنى عُذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم .

على أن هذه الجولات ، وإن كانت فى جملتها لم تأت بطائل إلا أنها خاطبت ـ أو كادت ـ رءوس العرب جميعاً ؛ فإن هذه القبائل جمعت بين جنوب الجزيرة وشمالها وأواسطها وجيوبها جميعاً ، ورأى أشراف هذه القبائل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخاطبوه ، ونقلوا عنه وتحدثوا بأمره ، ومنهم من أُسْقِطَ فى يده حين عاد إلى موطنه من الجزيرة دون أن يُجير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ففى النهاية من أحد هذه المواسم الأخيرة وقد صدر الناس إلى ديارهم رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا :

جاءنا فتى من قريش،ثم أحدُ بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن (نمنعه) ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا .

فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال :

يابنى عامر . هل لها من تلاف ؟[٥] هل لِذُناباها[٦] من مطلب ؟ والذى نفس (فلان) بيده ما تقوّلها[٧] إسماعيلى قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم !؟

وفى الحديث الشريف بصمات لهذه الفترة ، روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه : كُلٌّ بسنده ـ إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرض نفسه على الناس بالموقف ؛ فيقول :

« هل من رجل يحملنى إلي قومه ؛ فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى ـ عز وجل »[٨] .

● ● ● ● ● ●

←

---

(٤) سيرة ابن كثير ١٥٨/٢ . والنص باختصار فى الحلبية ٥/٢ .

(٥) تدارك .

(٦) الذُّنابى : مَنْبِتُ ذنب الطائر .. يريد : أهذا أمر وَلَّى فلا يدركه أحد .. تحسراً منه على ما فات قومه .

٧) ما تقولها : ما ادعاها .

(٨) الحديث بلفظ الإمام أحمد ـ انظر السند ٣٩٠/٣ الميمنية ـ وانظر لأبى داود ـ كتاب السنة ـ باب فى القرآن ، وانظر مقدمة ابن ماجه ـ نهاية الباب ١٣ ـ رضى الله عنهم أجمعين .

أسفرت دعوة القبائل عن ثلاث :

١ ـ رافضة : وَأَسْوَأُها ثقيفُ وبنو حنيفة . أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب، فعن عبد الله ابن كعب بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم[٩] .

وقد مر بنا موقف ثقيف .[١٠] .

٢ ـ أو مشترطة : ومنها بنو عامر ، وكِنْدة

فقد طرق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منازل كِنْدة فى الموسم ، وكانوا من اليمن من بنى عمرو بن معاوية ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

... هل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : تشهدون أن لا إله إلا الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله .

قالت كندة : إن ظفرتَ تجعلْ لنا المُلْكَ من بعدك ؟

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن الملك لله يجعله حيث يشاء .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .. أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا . وننابذ العرب،الحق بقومك فلا حاجة لنا بك .

ومثل ذلك قالت بنو عامر :

ـ أرايت ، إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على مَنْ يخالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام : الأمر لله يضعه حيث يشاء .

قالوا : أَفَنهدفُ نحورنا للعرب ، دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك .

٣ ـ أو متانية :

واعلى أولئك أدباً بنو شيبان بن ثعلبة ، وكانوا وفدا كبيراً حضر الموسم يضم : مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قَبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

حلّ بهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبصحبته أبو بكر الصديق ـ وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ..

قَدَّمَ أبو بكر النبىَّ صلى الله عليه وسلم إليهم ، فالتفت إليه مفروق فقال : إلامَ تدعو ياأخا قريش ؟

---

(٩) ابن كثير ١٥٧/٢ .

(١٠) راجع افتتاحية رمضان ١٤٠٧ .. مجلة الأزهر

فقال - صلى الله عليه وسلم :

ادعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وأن تُؤْوُنى وتنصرونى حتى أُوَدِىَ عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق . والله هو الغنى الحميد .

ثم تلا - عليه الصلاة والسلام - مختارات من الكتاب العزيز ، فتلا :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١١) .

ثم تلا قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١٢) .

قال مفروق ؛ إذ انتهى - عليه الصلاة والسلام - من الآيات الأولى :

.... والله ، ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه فلما سمع الآية الأخيرة قال :

« دعوتَ ، والله ياأخا قريش ، إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك ... » .

وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء فقال :

وهذا هانىء بن قَبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

فقال هانىء :

قد سمعت مقالتك ياأخا قريش ، وَصَدَّقتُ قولك ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه - زلة فى الرأى وطيشة فى العقل وقلة نظر فى العاقبة ، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجعُ ونرجع وتنظر وننظر .

وكان على ذلك رأى القوم .

● ● ● ● ● ●

رفض بنو شيبان فى تلك الجلسة اعتناق الإسلام على نحو ما رأينا دون أن يُؤْذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد علمنا - مما سبق - أنه - عليه الصلاة والسلام - لما أمره ربه - عز وجل - أن يعرض نفسه على قبائل العرب كان يقول :

---

(١١) الانعام : ١٥١ ــ ١٥٣ .
(١٢) النحل - ٩٠ .

« لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكْرِهْه . إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى » .

فكان - طبيعياً - إذاً - أن يكون حديث بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبنى شيبان خاصاً بـ « الجوار » ... فماذا كان أمره ...؟

إنه لذو شأن ، وإنه لفى حاجة إلى دراسة تخصه ؛ فإنه من « الجوار المشروط »

قال أستاذنا الدكتور محمد محمد مصطفى النجار فى محاضراته : « تاريخ العرب قبل الإسلام » بشأن :

« **تأسيس مملكتى الحِيرَةِ والغساسنة** :

كانت جزيرة العرب تقع بين أعظم دولتين فى العالم : فارس شرقاً ، والرومان غرباً ، وقد حاول الفرس والروم أن يخضعوا العرب لحكمهم اتقاء لغزوهم وسلبهم . ولكنهم عدلوا عن ذلك لما يستلزمه فتح جزيرة صحراوية من ضحايا فى الأنفس والأموال لا محل لبذلها .

لهذا رأى الفرس والروم أن خير وسيلة لدفع شر العرب أن يساعدوا بعض القبائل المجاورة(١٣) على أن يقروا فى التخوم(١٤) يزرعون ويتحضرون ، ثم يُكَوِّنُون (Buffer Stare) أية مملكة حاجزة بينهم وبين قبائل البدو والعصابات المتعددة فى جزيرة العرب ، فتكونت إمارة الحِيرَة على تخوم الفرس ، وإمارة الغساسنة على تخوم الروم » .(١٥)

كان بنو شيبان من الشمال المتاخم لملكة الفرس ، وواضح أن المملكة العربية فى هذا الجزء خاضعة للنفوذ الفارسى ، وإن بدت ذات سيادة ، ولم تكن المملكة العربية - وحدها - هى الخاضعة لهذا النفوذ ، فإن من جاورها من قبائل يسرى عليهم نفس النفوذ فعليهم ما على مملكة الحيرة من التزام .. وكان من هذه القبائل .. بنو شيبان :

ففى شأن الجوار قال المثنى محدثاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن منازل قومه فى الشمال :

« إنَّا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنْ :(١٦) أحدهما اليمامة ، والآخر السَّماوة .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصَّرَيان ؟

قال المثنى : أما أحدهما فطفوف(١٧) البَرّ وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار

(١٣) أى القبائل العربية المجاورة لحدود الدولة من جهة الجزيرة العربية .

(١٤) التُّخُم - بزنة حبك : الحد الفاصل بين أرضين - ج : تخوم .

(١٥) د/ محمد محمد مصطفى النجار - تاريخ العرب قبل الإسلام - ص ٣٧ مطبعة الأزهر ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .

(١٦) تثنية : صَرَى : كل ماء مجتمع ، وفى معجم البلدان ما يشير إلى علاقة بين السماوة وأم النعمان بن المنذر قال : السماوة مَاءَةٌ بالبادية وكانت أم النعمان سميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب : ماء السماء .

(١٧) الطُّف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .. والطُّف - الجانب أيضاً .

كسرى ، **وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى : أن لا نُحْدِث حدثاً ، ولا نؤوى محدثاً** .

ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك .

فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول .

وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول .

فإن أردتَ أن (ننصرك) و (نمنعك) مما يلى العرب فعلنا » .

فالقوم ـ هنا ـ يعرضون ابتداء جواراً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم مشروطاً بحمايته فقط من جهة أرض العرب ، فأما من جهة أرض فارس فلا قوة لهم بها حسب ما قبلوه من شروط « كسرى » .

وإنا لنعلم مدى كراهية « كسرى » لدعوته ـ عليه الصلاة والسلام .

« فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

ما أسأتم الرَّدَّ إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه » .

وبشرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنصرة على فارس ، وانصرف .

قال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه :

« ثم التفت إلينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

ياعلىّ ، أية أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ، ما أشرفها ! بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا »[١٨] .

● ● ● ● ● ●

فى أثناء ذلك .. ومن بعد الطائف .. وعلى مدى السنوات الثلاث الأخيرة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحين كان يلتقى بالقبائل .. فى أثناء ذلك كله كان النصر يدب دبيباً تسرى نبضاته فى خفاء وصدق .

ففى موسم السنة الثامنة من الإعلان بالدعوة التقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعقبة بستة رجال أو ثمانية من قبيلة الخزرج سكان يثرب فآمنوا به وصدقوه ، وفى العام التالى صاروا اثنى عشر رجلاً منهم اثنان من الأوس قبلوا منه عُهْدَة الإيمان بشروطها عند العقبة أيضاً ، وفى العام العاشر ، وعند العقبة كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان ، منهم أحد عشر رجلاً من الأوس آمنوا به وعزروه ونصروه وأقاموا معه عُهْدة « جوار » تام ، هاجت لها قريش كأنما مسها شيطان فأخفرت جوار المطعم واجتمعت تتآمر على قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغُلِبَ المطعم على أمره حتى كان ولده جبير[١٩] بن مطعم شريكاً مع بقية من تربصوالقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليلة الهجرة .

د. على أحمد الخطيب

---

(١٨) انظر ابن كثير ٢/١٦٦ ـ والحلبية ٢/٤ ـ ٥ .

(١٩) جبير أسلم بعد الحديبية ـ رضى الله عنه ..

فاطمة الزهراء

"رضى الله عنها"

اسم « فاطمة » له شأن فى قريش فى الجاهلية والإسلام ، وموطن الفخار لكثير منهم وفى بنى هاشم أكثر وأشهر ، وحسبك أن سيد الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم والد فاطمة الزهراء يقول فى حديثه عن نسبه « أنا ابن الفواطم ، والعواتك من سُلَيم »(*) .

وقال على بن أبى طالب للأشعث الكندى إذ خطب إليه : أغرك أن ابن أبى قحافة إذ زوجك أخته ؛ إنها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ؟

والعواتك من سليم ثلاث :

عاتكة بنت هلال ، ولدت هاشماً وعبد شمس والمطلب .

وعاتكة بنت الأوقص بن هلال ، ولدت وهب ابن عبد مناف بن زهرة .

وعاتكة بنت فالج .

أما الفواطم فأذكر منهن : فاطمة المخزومية والدة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم واخوته ، وفاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب ، وفاطمة من عامر بن لؤى . لكن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم تجىء « واسطة العِقد » فتنير الأوليات والأخريات ، ولا تكون فاطمة إلا هى .

و(الفاطميون) أول من استعمل هذا النسب حسب قراءاتى الشاعر بشار بن برد حين تعرض لمدح العلوى[1] « إبراهيم بن عبد الله » المنازع لأبى جعفر المنصور فى الخلافة سنة ١٤٥ هـ وعرف هذا النسب فى دولة قامت فى المغرب عام ٢٩٦ هـ واستقرت في مصر منذ سنة ٣٥٨ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ

(*) الأحاديث الشريفة الواردة بالمقال عن الطبقات الكبرى لابن سعد - رضى الله عنه .

(١) قال بشار :

مِنَ الفاطميين الدعاةِ إلى الهدى
جِهاراً ومَنْ يهديك مثل ابن فاطم ؟

للأستاذ السيد حسن قرون

وتركت آثارا مادية وروحية مازالت إلى اليوم ، ومنها الأزهر .

أقول هذا وأنا أكرم نفسى بالحديث عنها . فهى بنت سيد الخلق خاتم الرسل محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى النبي الأمى الذى نوهت به التوراة والإنجيل صلوات الله وسلامه عليه ، وأمها خديجة بنت خويلد من بنى عبد العزى بن قصى ، وقصى الجد الرابع للنبي ، وخديجة حظيت بالإسلام وبإقراء السلام من ربها عز وجل نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام جزاء إيمانها وصدقها .

قال عفيف الكندى : جئت فى الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلى من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها إذ جاء غلام حتى قام على يمينه ، ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة ، ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها ، حتى خر الشاب ساجداً وخر الغلام ساجداً وخرت المرأة .

فقلت يا عباس ، إنى ارى امرأ عظيماً .
فقال العباس : أمر عظيم ، هل تدرى من هذا الشاب ؟

قلت : لا ، ما أدرى .
قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى ، هل تدرى من هذا الغلام ؟
قلت : لا ، ما أدرى .
قال : على بن أبى طالب ابن أخى ، هل تدرى من هذه المرأة ؟
قلت : لا ، ما أدرى .
قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى هذا .

إن ابن أخى هذا الذى ترى حدثنا أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه ، فهو عليه ، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

قال عفيف : فتمنيت بعد أنى كنت رابعهم .

هؤلاء الذين يتحدث عنهم عفيف الكندى هم صفوة الخلق فى ساحة بيت الله عند المسجد الحرام فى مكة المشرفة حيث منزل الوحى الأول ، وقد تلا عليهم قول ربهم .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ « ١٧٤ سورة النساء » .

← فاطمة الزهراء "رضى الله عنها"

إن أباها رسول الله وأمها خديجة زوجة ، وعلي بن أبى طالب زوجها فيما بعد فما أعظم عترتها ، ولقد ولدت فاطمة وقريش تبنى البيت « الكعبة » وذلك قبل النبوة بخمس سنوات ، وقد اشترك والدها العظيم في البناء ، وفى فض الخلاف بين بطون قريش حيث اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه فكان هو صاحب الحل الحاسم المريح .

ولئن ساءها أن ترى والدها فى مأزق إساءة من أعداء الدعوة بمكة فلقد سرها أن ترى انتصاراته فى كل خطوة يخطوها حتى بلغ رسالات ربه ، وأدى الأمانة ، وجعل من الجزيرة العربية موئل العدالة وقدوة الرائد ومحط أنظار الشرفاء . وكان رحمة مهداة للعالمين .

وحظيت بكبار القوم يخطبونها من أبيها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة من أمثال أبى بكر وعمر ، ولكن الله أراد لها أن تكون زوجاً لبطل الإسلام ، ومفتاح العلم ، وقاضى القضاة ، وقد اشتهر بقولهم « قضية ولا أبا حسن لها » وحسن هو ابنها وأخوه الحسين رضى الله عنهما وأختاهما زينب وأم كلثوم .. هم أبناء على منها رضى الله عنهم أجمعين .

ويذكرون عن زواج فاطمة بعلى أن نفرا من الأنصار قالوا لعلى : عندك فاطمة ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسلم عليه ، فقال : ما حاجة ابن أبى طالب ؟ قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : مرحباً وأهلاً لم يزده عليها ، فخرج علىّ إلى أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه . قالوا : ما وراءك ؟ قال : ما أدرى غير أنه قال لى : مرحباً وأهلاً . قالوا : يكفيك من رسول الله إحداهما ؛ أعطاك الأهل ، أعطاك المرحب ، ودفع على المهر وتم الزواج ، وباركهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : تزوج على بن أبى طالب فاطمة بنت رسول الله فى رجب بعد مقدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة بخمسة أشهر ، وبنى عليها مرجعه من غزوة بدر ، وسنها ثمانى عشرة سنة .

وهذا الزواج الموفق كان ينقصه المال والثراء ، ولكنهما تعبا فى أوائل حياتهما الزوجية ، فقد كان على يعمل ويجد مشقة فى العمل ، وكانت فاطمة تطحن الحب على الرحى ، وذات يوم تشاكيا ، فقال على : لقد سنوت أى تعبت حتى قد اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبي فاستخدميه (اطلبي خدمة السبى)

فقالت : وأنا ، والله ، قد طحنت حتى مجلت يداى (أى تقفعت) فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما جاء بك يا بنية ؟ قالت : جئتك لأسلم عليك ـ واستحت أن تسأل ـ ورجعت . فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فذهبا إليه معا ، وقدما إليه مطلبهما وشكواهما . فماذا كان الرد ؟ قال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ـ وأهل الصفة

مهاجرون أصابتهم الفاقة ـ ولكنى أبيعهم وانفق عليهم أثمانهم فرجعا .

ولكن قلب الرسول الرحيم لم يشأ أن يتركهما دون مواساة فأتاهما وقد ظهرا فى حال سيئة من الملبس والأثاث ، وحين رأياه تهيئا للقائه . فقال . مكانكما ، ألا أخبركما بخير مما سألتمانى ؟ فقالا : بلى .

فقال : كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا . وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين . قال علىّ : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ، فقال له ابن الكواء ولا ليلة صفين ؟

فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق ، ولا ليلة صفين (صفين معركة بين على ومعاوية) .

وككل الأزواج ولا سيما الأقارب يحدث بين الزوجين ما يعكر الصفو ، وقد كان فى علىّ شدة ، ويبدو من دراسة حياتها أنها كانت رقيقة ، وضعيفة البنية ، فلما اشتد عليها قالت : والله لأشكونك إلى رسول الله فانطلقت وانطلق فى إثرها ، فقام حيث يسمع كلامهما ، وسمع الرسول شكواها ، فقال يا بنية اسمعى واستمعى واعقلى ، إنه لا إمرة بامرأة لا تأتى هوى زوجها وهو ساكت . قال على : فكففت عما كنت أصنع وقلت : والله لا آتى شيئاً تكرهينه أبدا .

ولكنه فعل فقد أراد أن يتزوج عليها بنت أبى جهل ، وجاء بنو المغيرة يشاورون الرسول فى الأمر فغضب وقال : والله لا تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت سقف واحد أو كما قال ، وعندها سكت علىّ وكف عن التفكير فى الزواج .

وكان العباس بعد فتح مكة يزورهما ويشاركهما الذكريات الجميلة ، وكم لهما من ذكريات حين يرجع منصوراً فى كل غزوة وكان الأبناء زينة الحياة الدنيا وموضع رعاية جدهما المصطفى ، دخل العباس على على بن أبى طالب وفاطمة وهى تقول لعلى : أنا أسن منك . فقال العباس : أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبنى الكعبة والنبي ابن خمس وثلاثين سنة . وأما أنت يا على فولدت قبل ذلك بسنوات .

كانت فاطمة بعد حجة الوداع هى الوحيدة من ذرية أبيها تعيش ، فقد مات البنون والبنات وبقيت هى ، وبقى أبناؤها وابنة لزينب أختها ، فهى التى تدخل السرور على قلب أبيها ، ولكن لكل شىء إذا ما تم نقصان .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت جالسة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ، فقال : مرحباً يا بنتى فأجلسها عن يمينه ، فأسر إليها شيئاً فبكت ، ثم أسرَّ إليها شيئاً فضحكت . قالت عائشة : ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء : استخصك رسول الله بحديث ثم تبكين ؟ أى شىء أسر إليك رسول الله ؟ قالت : ما كنت لأفشى

←

سره .. فلما قبض رسول الله سألتها فقالت : قال : إن جبريل كان يأتيني كل عام فيعارضنى بالقرآن مرة ، وإنه أتانى العام فعارضنى مرتين ، ولا أظن أجلى إلا قد حضر ، ونعم السلف أنا لك ، وقال : أنت أسرع أهلى بى لحوقاً ، قالت : فبكيت لذلك ثم قال : أما ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين ؟ قالت : فضحكت .

وقد كان .. فبعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بستة أشهر على الأشهر مرضت فاطمة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى توفيت فيه خرج على فقالت لرفيقتها سلمى الأنصارية هيئى لى ماء فهيأته لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثيابها الجدد ، وفرشت وسط البيت واضطجعت واستقبلت القبلة ثم قالت لسلمى : إنى مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفن أحد لى كتفا .. قالت : فنفذ علىّ مطلبها . قالوا : إن فاطمة أول من جعل لها النعش ، صنعته لها أسماء بنت عميس ، وكانت قد رأته يصنع بأرض الحبشة . وقد صلى عليها العباس بن عبد المطلب ، ونزل فى حفرتها هو وعلى والفضل بن العباس .. ودفنت ليلا بدار عقيل مما يلى دار الجحشيين بالبقيع . وقد بلغت من العمر تسعا وعشرين سنة .

بقى أن أذكر سوء التفاهم الذى وقع بينها وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد طلبت إليه ميراثها مما ترك أبوها رسول الله ، ومما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة ووافاها أجلها بعد ستة أشهر ، وقد فسّر الناس ذلك بأنها لم توافق على خلافة الصديق ، ولكن الأمر كان فى الميراث ، وأنا أعتقد أن أبا بكر صالحها ومحا من صدرها ما آلمها . رضى الله عن فاطمة سيدة نساء العالمين ..

السيد حسن قرون

تصويب أخطاء وقعت بعدد رمضان ١٤٠٨ هـ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٦٠	٢٩	بذا	بدا
١١٨٢	١٣	المبدورة	المبذورة
١٢٠٩	آخر سطر	واحاسبكم	وَأَخْسِبُكُمْ

آية الله في سبأ

حضارة العرب

سد مأرب - سيل العرم

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ . . ﴾ الآيات ١٥ - ١٩ من سورة سبأ .

البيـــان

سبأ أمة عربية عريقة المجد والحضارة ، وكان منها القائد العظيم (أفريقش) الذى فتح الأقطار ، ووصل إلى شمال أفريقيا ، فسُمّيت القارة باسمه .

ويعيش فى أرضها الآن إخواننا اليمانيون من سلالتهم ، وهؤلاء ينتسبون إلى جدهم سبأ الذى انحدرت من سلالته قبائلها وفصائلها .

جاء فى بعض الأخبار عن فروة بن مسيك قال : « أتيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله . أخبرنى عن سبأ ! رجل هو أم امرأة ؟ فقال : هو رجل من العرب وَلَدَ عشرة . تيامن منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة ومذحج والأشعريون والأنْمار - ومنهم بَجِيلة - وأما الذين تشاءموا فقاملة وغسان ولَخم وجذام » .

وفى شرح قصيدة عبد المجيد بن عبدون لعبد الملك بن عبد الله بن بَدْرونَ الحَضْرمى البستى ، إن سبأ بن يشجب بن يَعْرب بن قحطان أول ملوك اليمن .

وكانت مَأْرِب (بوزن مَسْجد) عاصمة لملكة سبأ ، وكانت مساكنهم فى هذه المملكة آية عظيمة على وجود الخالق - جل وعلا - وعلى ما تمتاز به مقدوراته من جمال بديع ،

آية الله فى سبا

كما أن تدمير هذه المساكن العامرة الجميلة ، وما حولها من البساتين المثمرة ، وإغراق كثير من أهلها لعصيانهم ، آية بينة على أنه سبحانه عزيز ذو انتقام .

وقد شرح الله آياته فى سبأ بقوله : ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ والمراد من الجنتين جماعتان عظيمتان من البساتين ، جماعة عن يمين مساكنهم ، وجماعة أخرى عن شمالها ـ كما قاله قتادة .

•

وإطلاق الجنة على كُلٍّ جماعة منهما لتقارب جناتهما وتضامِّها كأنها جنة واحدة ، وقيل إن المعنى أن كل واحد من أهل سبأ كان له جنتان ، إحداهما عن يمين مسكنه ، والأخرى عن يساره .

وعلى أية حال فإن قراهم ومساكنهم كانت فى ريف رائع ، وخصب ممتع ، تحيط بها البساتين والجنان ، ويفوح من أزهارها العبير ، وتتدلى من أغصانها الثمار ، واستحقت لذلك أن يقول الله فى شأنها ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أى قال الله لأهل سبأ على لسان نبيه الذى بعثه إليهم : كلوا من رزق مولاكم الذى رباكم بنعمه ، وأخرج لكم من أرضه هذه النعم ، وما لأحد من خلقه يَدٌ فى إنبات زرعها وشجرها ، وعليكم أن تقابلوا رزق ربكم بشكره على نعمته ، وذلك بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، والذكر المستقيم فهذه البلدة المحوطة بالبساتين والحقول والأرزاق ، بلدة طيبة الهواء ، عذبة الماء حسنة المناخ ، وافرة النعم قليلة السقم ، وربكم الذى رزقكم هذه النعم وطلب منكم شكره عليها ، رب عظيم الغفران لذنوب الشاكرين التى تحدث منهم ، ولكن القوم لم يصغوا لدعوة نبيهم إياهم ، ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عنه وأصروا على إعراضهم ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ .

قال المغيرة بن حكيم وأبو ميسرة : العَرِم جمع عَرِمة ، وهى كل ما بنى ليمسك الماء ، ويقال لهذا البناء بلغة الحجاز : المسناة ، وعن ابن عباس وغيره . هو اسم للوادى الذى كان منه السَّيْل ، وبنى السدفية .

وقيل العرم بمعنى الصعب الشديد ، وإضافة السيل إليه من إضافة الموصوف إلى صفته ، وقول المغيرة وأبى ميسرة هو الراجح .

روى أن هذا السَّدَ بنى فى عهد بلقيس ، وكانت مياه المطر تتجمع فى مكان بعيد عن أرضهم ، وتأخذ سبيلها إليهم فى ثلاثة أيام ، فتفيض عليهم وتغرق أرضهم ، فأمرت ببناء سَدٍّ بين جبلين ، ذى فتحات وأبواب فوقها قناطر ، وعدد هذه الفتحات اثنتا عشرة فتحة ، تصب كل فتحة منها فى نهر ، أى أن تلك البلاد كان فيها اثنا عشر نهراً متفرعة من فتحات هذا السد ، ويقول المؤرخون : إنه بنى بالصخر والقار ، ولعلهم يريدون بكلمة (القار) مادة سوداء تشبه القار فى لونها ، ولكنها أشد ثباتاً وقوة منه بحيث لا تنصهر بحرارة الشمس وتحتمل ضغط الماء .

وقيل : إن الذى بناه هو حمير أو القبائل اليمنية .

وقيل : الذى بناه لقمان بن عاد وغطَّى أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان طوله فرسخا ، وكان هذا السد يسمى سد مأرب ، نسبة إلى مدينة أثرية بنى بجوارها .

وقد صور هذا السد الطيار المصرى الأول (أنيس باشا) رحمه الله تعالى . وكان ذلك فى عهد الإمام يحيى بن حميد الدين ـ إمام اليمن ـ ونشرت الصحف وقتئذ صور بقاياه بجوار مدينة مأرب ، وكان منظرها ينم عن عظمة مهندسيه وعراقتهم فى فن البناء ، والعبقرية فى الهندسة فى هذا الوقت الواغل فى القدم ، حيث كان الغربيون وقتئذ يعيشون كالسوائم .

وقد دعتهم هذه المدينة إلى إقامة حياتهم على أرفع طراز من الرفاهية والسعة والنعمة . حتى كانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فارغاً ، وتعود به مليئاً بالثمار التى تساقطت فيه من الأشجار أثناء سيرها ـ كما قاله بعض المؤرخين ، ولما أعرض هؤلاء المترفون عن شكر الله تعالى وأصروا على هذا الإعراض بعد أن وعظهم نبيهم ، انتقم الله منهم ، فأرسل عليهم سيلًا شديداً قوياً حطم سدَّ مأرب ، وترتب على ذلك غرق بساتينهم وقراهم وموت كثير منهم ، وبدلهم الله بذلك ما قص تعالى بقوله : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ والأكل الثمر والخْمط الحامض أو الحر ، والأثل ضرب من الطرفاء والسدر قال الأزهرى فيه : سدران ، سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لِلْغَسُول وله ثمرة عفصة لا تؤكل . وهو الذى يسمى الضال ، وسدر ينبت على الماء وثمره النبق ، وورقة غسول يشبه شجر العناب : أ هـ . واختلف فى المراد منه هنا ، فقيل الثانى ، ووصف بالقليل لأنه لَوْ كَثُر لكان نعمة لا نقمة ، فإن ثمره مما يطيب أكله ، وإنما أوتوه تذكيراً للنعم الزائلة .

وصف نعيمهم فى أسفارهم

بعد أن حكى الله تعالى فى الآيات السابقة ما أنعم به على أمة سبأ فى مساكنهم ومواضع إقامتهم ، وأنهم كفروا بنعمة الله تعالى فعاقبهم بإغراقهم وأبدلهم من جناتهم أشجاراً لاغذاء فيها ولا جمال إلا القليل ، وقوله : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ بعد أن حكى ذلك قال سبحانه :

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ . . ﴾

والمراد بالقرى التى بارك الله فيها قرى إقليم الشام ، فقد بارك فيها بكثرة أشجارها وثمارها والتوسعة على أهلها ، وعن ابن عباس أنها قرى بيت المقدس ، وهو قريب من المعنى السابق ، فإن بيت المقدس وإقليمه داخلان فى دائرة الشام قبل أن تقسمه الحروب ، ويعتدى عليه الغاصبون .

على أن ابن عطية الأندلسى اختار المعنى الأول وقال : إن إجماع المفسرين عليه ،

←

والمراد بالقرى الظاهرة التى كانت بين مساكنهم وبين الأرض المباركة ، القرى المتقاربة - كما قال قتادة - ومعنى ظهورها أن من كان فى إحداها تظهر له التى تليها لشدة تقاربهما وقال المبرد : القرى الظاهرة المرتفعة على الآكام والظراب - أى الروابى - وتعتبر أشرف القرى وأعلاها شأنا ، وقال غيره : ظاهرة بمعنى معروفة ، وتعرف القرية لحسنها ورعاية أهلها لمن يمر بهم ، ومعنى تقدير السير فيها أن نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين محسوب ، بحيث يعرف من وصل إلى قرية أنه سيصل إلى التى بعدها بقدر معين من الزمان أو من المقاييس المعروفة وقتئذ .

والمعنى الإجمالى للآية : وجعلنا بين أهل سبأ وبين قرى الشام المباركة الكثيرة الخيرات ، قرى متقاربة ، بحيث تظهر كل قرية لأهل القرية التى تليها ، وجعلنا نسبة بعضها لبعض على مقدار معين زمنا ومقياسا ، بحيث يعلم كل مسافر بالتجربة متى يصل إلى القرية التى يقصدها ، ويعلم المقاييس التى يمر بها ، وكانت درجة التقارب بينها إلى حد أنهم يسيرون فيها ليالى وأياماً آمنين ، فلا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات ، فإن من يفكر فى الاعتداء يخشى وصول النجدة للمعتدى عليه من مكان قريب والأمر فى قوله تعالى ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ إما حقيقة على لسان نبى لهم ، وإما على سبيل المجاز ، بأن ينزل تمكينهم من السير المذكور وتهيئة أسبابه بمنزلة أمرهم بذلك ، وعلى كلٍّ فالأمر للإباحة ، فهو أمر تمكين لا تكليف .

طلبهم المباعدة بين أسفارهم

لم يعجبهم تقارب أسفارهم فطلبوا المباعدة بينها فقالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ كما طلب قوم موسى الفوم والعدس والبصل ، بدلاً من المن والسلوى ، وهكذا ترى النفس البشرية مولعة بتغيير الواقع وإن كان خيرا لها مما تريده ، فهؤلاء لما طالت بهم مدة التنعم ، بطروا وملوا ما هم فيه ، وآثروا الذى هو أدنى على الذى هو خير فطلبوه كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ .

وهؤلاء السبئيون فعلوا مثل ذلك ، حيث لم يعجبهم تقارب بلادهم فقالوا : لو كانت متاجرنا أبعد ، لكان ما نجلبه منها أشهى وأغلى ، فاجعل البلاد ياربنا متباعدة تفصلها المفاوز والقفار ، وهم فى طى هذه الرغبة ، يضمرون أن يتفاخروا فى أسفارهم بركوب الرواحل الفارهة ، والتزود بالأزواد الفاخرة ، والتكبر على الفقراء العاجزين عن ذلك ، فعجل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب .

وقولهم ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ إما أن يكون بلسان المقال ، وإما أن يكون بلسان الحال ، فإن كفرهم بنعم الله ، ينادى بتعجيل العقوبة لهم بالحرمان منها ، بتخريب العامر ، وإبعاد المقاصد فكأنهم طلبوا ذلك بألسنتهم .

والمعنى الإجمالى للآية : فقال أهل سبأ بلسان المقال أو بلسان الحال : ربنا باعد بين أماكن أسفارنا ، حتى نرتحل إليها ويطول ارتحالنا ، وقد ظلموا أنفسهم ببطرهم على نعمة الله ، وتعريض أنفسهم للحرمان منها ، فجعلناهم بما أنزلناه من عقابهم ، أحاديث يذكرها الناس على سبيل الاستغراب ، وذلك أننا مزقناهم كل تمزيق ، وفرقناهم فى الأرض كل تفريق ، إن فيما ذكر من قصصهم لآيات عظيمة لكل صبار عظيم الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى ، فإنها عبرة لكل معتبر ، وذكرى لكل مدَّكر ، وعلامة على طريق الحياة يهتدى بموعظتها الصابر الشكور .

وقد حدث هذا التمزيق بإرسال سيل العرم عليهم ، وإغراق بلادهم ، فحملهم ذلك على الارتحال ، فارتحل أولاد جفنة بن عامر إلى الشام ، وأولاد قيلة « الأوس والخزرج » إلى يثرب - وهى المدينة - وأبوهما حارثة بن تعلبة ابن عمرو بن عامر ، وأزد السراة إلى السراة ، وأزدعمان إلى عمان ، وأولاد مالك بن فهم إلى العراق ، ونزل أولاد ربيعة بن حارثة بن عامر ابن عمرو - تهامة - ، وسموا خزاعة ، إلى غير ذلك من القبائل والفصائل ، وفيهم ضرب المثل : تفرقوا أيدى سبا : وذهبوا أيدى سبا - وروى أيادى سبا ، والمراد من الأيدى والأيادى الأولاد ، لأنهم أعضاد الرجل لتقويه بهم وفى المفصل : الأيدى الأنفس كناية أو مجازاً - قال فى الكشف - وهو حسن وفى الكشاف : لحق غسان بالشام ،وأنمار بيثرب وجذام بتهامة ، والأزد بعمان .

وفى التحرير أن قضاعة نزلت بمكة ، وأسد بالبحرين ، وخزاعة بتهامة وقد تقدم فى أول هذا المقال حديث تفرقهم فى جواب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعروة بن مسيك ، وأرجو أن يكون فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) الذاريات (٥٥)

تكذيب الرسل

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ **الحج من ٤٢ ـ ٤٤ والآيات مدنية .**

بين الله فى الآيات السابقة على هذه الآيات أن الله قد أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ وهذا وعد منه بنصر المظلومين ممن أخرجوا من ديارهم بغير حق ثم أردف ذلك بهذه الآيات التى ساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه فليس هو أول رسول كذب ، بل كذبت الأمم قبله كل أنبيائها حين أعلنوا إلى تلك الأمم أنهم رسل الله أرسلوا لدعوة الناس إلى عبادة الله .

وذكر الله فى هذه الآيات سبعة من أقوام الأنبياء الذين كذبوا أنبياءهم وهم قوم نوح ، وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين كما كذب موسى وقد بين الله فى أكثر من سورة من القرآن مواقف أقوام الأنبياء منهم ومن دعوتهم ومما جاء عن نوح فى سورة الأعراف قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى أن يقول ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾

وعوقب أعداء الله وأعداء نوح بالغرق .

وجاء عن عاد وموقفهم من هود فى نفس السورة قوله تعالى :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى ان يقول ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقطع الله دابر عاد جزاء تكذيبهم لرسوله هود .

وجاء عن ثمود وموقفهم من رسول الله صالح فى نفس السورة قوله تعالى :
﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا

تفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

اللّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إلى أن يقول ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ .

وجاء عن إبراهيم وموقف نمروذ وقومه منه كل ما يدور حوله هذا البحث .

وجاء فى أمر لوط وقومه فى سورة الأعراف كذلك :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ إلى أن يقول الله ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

وحمل إليهم المطر عذابا لم تعرفه البشرية .

وجاء عن مدين قوم شعيب قوله فى نفس السورة : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ إلى أن يحكى موقف قومه ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ثم يبين ما نزل بهم فى سورة أخرى هى سورة الشعراء بعد أن طلبوا منه إنزال العذاب الذي توعدهم به فيما حكاه القرآن فى قوله : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وأما قصة موسى فقد جاءت فى كثير من سور القرآن بصيغ مختلفة تحكى مواقف مختلفة مع فرعون وقومه أو مع بنى إسرائيل قوم موسى . وقد كذبه هؤلاء وأولئك .

وقد أنزل الله بفرعون وقومه أكثر من عقاب حين كذبوه .

ومن ذلك ما قصه القرآن فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وكثيراً ما طلبوا من موسى أن يدعو ربهم ليرفع عنهم ما نزل من العذاب فيدعو موسى ربه فيرفع العذاب ثم يعودون إلى ما كانوا عليه ، وقد ذكر القرآن أكثر من عقاب أو آفة جمع بعضها فى قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ

تكذيب الرسل

آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ [العذاب] قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ . فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ .

وقد تغير النظم القرآنى عند موسى فقال الله : ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَى ﴾ بالبناء للمجهول ولم يكن تكذيب موسى من جانب فرعون وقومه فحسب كغيره من الأنبياء الذين كذبهم أقوامهم وإنما كذب موسى من جانب قومه بنى إسرائيل مرات ومرات

وكثيراً ما شطوا فى مطالبهم ومن ذلك ما قالوه لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ثم بين ما وقع بهم من عذاب . فى هذه المرة بقوله : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

وكان من بين ما أخذهم الله به ما ذكره فى قوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

وبعد أن ذكر الله هؤلاء الرسل الذين قدمنا الحديث على ما نزل بأقوامهم جزاء تكذيبهم لرسل الله وقد أمهلهم الله حتى انتهت آجالهم ، ثم أخذ الله كل فريق منهم بعد انقضاء المدة التى أملى لهم فيها .

ثم ساق الاستفهام التقريرى فى قوله : فكيف كان نكير أى : إنكارى عليهم ، والنكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم الله بالنعم التى تنعموا بها كوارث حصدتهم ، وهلاكا أتى عليهم وخرابا دمر ديارهم وصروحهم بل حياتهم .

وقد اكتفى فى تذييل الآية بذلك الاستفهام التقريرى ليقر كل من يرى آثارهم أن ذلك جزاء تكذيب رسل الله .

وقد ذهب هؤلاء المكذبون من الوجود بالصيحة أو الحاصب أو الإغراق وترك الكثير منهم آثارهم تعظ وتذكر من يتعظ ويعتبر .

وقد أعطى الله أنبياءه كل ما وعدهم من النصر على أعدائهم والتمكين لهم فى الأرض ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ .

فاصبر يا محمد ، وسلم الأمر لله ولن يخذلك الله أبداً .

وقد استأصل الله أقوام الرسل الذين سبقوا ، ولم يفعل بقوم محمد صلى الله عليه وسلم ما فعل بأولئك ؛ لأنه قد يخلق من أصلاب من كذبوا محمدا من يعبد الله وينصر دينه .

د . محمد محمد خليفة

الإمام الكسائي

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

سابع القراء العشرة الإمام الكسائي ـ رضى الله عنه :
هو ابو الحسن الأسدى ، مولاهم الكوفى المقرىء النحوى . احد أعلام القراءات والنحو .
ولد فى حدود سنة عشرين ومئة ، وسمع من جعفر الصادق ، والأعمش ، وزائدة ، وسليمان بن ارقم ، وجماعة كثيرة . رضى الله عنهم .
قرأ القرآن وجوده على حمزة الزيات ، وعيسى بن عمر الهمدانى .
ونقل ابو عمرو الدانى وغيره : ان الكسائى قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى ايضا . واختار لنفسه قراءة . ورحل إلى البصرة . فاخذ العربية عن الخليل بن احمد استاذ سيبويه .

قال محمد بن عيسى الأصبهانى : حدثنا محمد بن سفيان قال : قال الكسائى أدركت أشياخ أهل الكوفة : أَبَان بن تغلب ، وابن أبى ليلى ، وحجاج بن أَرْطَاة ، وعيسى بن عمر الهمدانى ، وحمزة ـ رضى الله عنهم .

قلت : وأخذ الحروف(1) أيضاً عن أبى بكر بن عياش وغيره ، وخرج إلى البوادى ، فغاب مدة طويلة . وكتب الكثير من اللغات . والغريب عن الإعراب بنجد وتهامة . ثم قدم وقد أنفد خمس عشرة قِنِّينةً حبر .

قال الصولى : هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز مولى بنى أسد .

(1) أى القراءات .

قلت : قرأ عليه أبو عمرو الدانى ، وأبو الحارث الليثى ، ونصير بن يوسف الرازى ، وقتيبة بن مهران الأصبهانى ، وأحمد بن أبى سريج النهشلى ، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل ، وعيسى بن سليمان الشُيْزَرى وأحمد بن جبير الأنطاكى ، وأبو عُبَيد القاسم ابن سلام ، ومحمد بن سفيان ، وخلق سواهم .

وحدث عنه يحيى الفراء ،وخلف البزار ، ومحمد بن المغيرة ، وإسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن يزيد الرفاعى ، ويعقوب الدورقى ، وأحمد بن حنْبل ، ومحمد بن سعدان ، وعدد كثير . وإليه انتهت الإمامة فى القراءة والعربية .

قال ابن مجاهد : كان الناس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم .

قال أبو عبيد فى كتاب (القراءات) : كان الكسائى يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض ، وترك بعضا . وكان من أهل القراءة .

وهى كانت علمه وصناعته . ولم نجالس أحداً كان أضبط وصناعته . ولم نجالس أحدا كان أضبط ولا أقوى بها منه .

وقال أبو عمر الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول : مارأيت بعينى أصدق لهجة من الكسائى .

وقال إسحاق بن إبـراهيم : سمعت الكسائى وهو يقرأ على الناس القرآن مرتين .

وقال خلف بن هشام : كنت أحضر بين يدى الكسائى ، وهو يقرأ على الناس ، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم .

قلت : لم يكن ظهر للناس الشكل بعد ، إنما كانوا يعربون بالنقط .

قال خلف : قرأ الكسائى على حمزة القرآن أربع مرات .

وقال أحمد بن رستم : حدثنا نصير بن يوسف . قال : قرأت على الكسائى . وأخبرنى أنه قرأ القرآن على حمزة . وعلى جماعة فى عصر حمـــزة . منهم ابن أبى ليـلى ، والهمدانى ، وأبو بكر بن عياش .

وقال عبد الرحيم بن موسى : سألت الكسائى عن نسبته ، قال : فى كساء .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه ، من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى .

وقال أبو بكر بن الأنبارى : اجتمعت فى الكسائى أمور : كان أعلم الناس بالنحو . وواحِدَهم فى الغريب . وكان أوحد الناس فى القرآن . فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ويجلس على كرسى .

ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه . حتى المقاطع والمبادى .

قلت : وكان فى الكسائى حشمة لما نال من الرياسة بإقراء محمد الأمين ولد الرشيد

وتأديبه . وتأديبه أيضاً للرشيد . فنال مالم ينله أحد من الجاه والمال والإكرام . وحصل له رياسة العلم والدنيا .

وقال طاهر بن أبى هاشم : قال محمد بن بشار : حدثنى أبى عن بعض أصحابه قال : قيل لأبى عمر الدورى : كيف صحبتم الكسائى على الدعابة التى فيه ، قال : لصدق لسانه .

وقال أحمد بن فرح : حدثنا الدورى - سمعت الكسائى يقول : من علامة الأستاذية ترك الهمز فى المحاريب .

أخبرنا أبو بكر العطار بسنده إلى الدورى . قال : قيل للكسائى : لما لا تهمز - الذيب - قال : أخاف أن يأكلنى .

صلابته فى الحق ولو على نفسه :

قال أبو العباس بن مسروق : حدثنا سلمة ابن عاصم . قال : قال الكسائى : صليت بهارون الرشيد فأعجبتنى قراءتى . فغلطت فى آية ما أخطأ فيها صبى قط - أردت أن أقول (لعلهم يرجعون) . فقلت : (لعلهم يرجعين) . فو الله ما اجترأ هارون أن يقول : أخطأت - ولكنه لما سلَّم - قال : أى لغة هذه ؟ قلت : ياأمير المؤمنين قد يعثر الجواد - قال أما هذه فنعم .

وعن الفراء قال : ناظرت الكسائى يوما وزدت . فكأنى كنت طائراً أشرب من بحر .

قال الفراء : إنما تعلم الكسائى النحو على كبر . لأنه جاء إلى قوم وقد أعيا . فقال : قد عَيِيْتُ - فقالوا له : تُجالسنا وأنت تَلْحَنُ ؟ قال : كيف لحنت ؟ قالوا له : إن كنت أردت من التعب - فقل : أَعْيَيْتُ - وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر - فقل : عَيِيتُ - فَأَنِفَ من ذلك . وقام من فوره فسأل عَمَّن يعلِّم النحو . فدل على معاذ الفراء . فلزمه ثم خرج إلى البصرة ، فلقى الخليل . ثم خرج إلى بادية الحجاز .

وقال ابن الأنبارى :

حدثنا أبى قال : قال الفراء : لقيت الكسائى يوما - فرأيته كالباكى فقلت : مايبكيك ؟ فقال : الملك[٢] يحيى بن خالد يحضرنى فيسألنى عن الشىء ، فإن أبطأت فى الجواب لحقنى منه عتب . وإن بادرت لم آمن الزلل . فقلت : ياأبا الحسن من يعترض عليك . قل ماشئت - فأنت الكسائى . فأخذ لسانه بيده - فقال : قطعه الله إذاً إن قلت مالا أعلم .

وقال أحمد بن أبى سُرَيْج : سمعت أبا المعافى وكان عالما بالقراءات يقول :

الكسائى القاضى على أهل زمانه .

وذكر الدانى فى ترجمة الكسائى أن ابن ذكوان سمع الحروف من الكسائى .

وأما الحافظ - ابن عساكر - فلم يذكر شيئاً من ذلك . ولا ذكر الكسائى فى تاريخ دمشق أصلاً .

(٢) يبدو أنهم كانوا يلقبون البرمكى بهذا اللقب نظرا لما له من منزلة كريمة فى نفوس الناس .

لكن سَمِعَ نُصيرُ بن يوسف الكسائىَّ يقول ـ فى مرض موته :

لقد كنت أُقرِىء الناس فى مسجد دمشق ، فأغفيت فى المحراب ، فرأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ داخلا من باب المسجد ، فقام إليه رجل فقال : بحرف من تقرأ ؟ فأومأ إلىَّ »

قال ابن الجزرى ـ فى غاية النهاية ٥٣٧/١ ـ عقب إيراد هذه الرواية . قلت : فهذا تصريح منه بدخوله دمشق وإقرائه بمسجدها ، ولو اطلع أبو القاسم بن عساكر الحافظ على هذا لذكره فيمن دخل دمشق . أهـ .

وللكسائى من التصانيف : كتاب (معانى القرآن) وكتاب (القراءات) وكتاب (العدد) ، وكتاب (النوادر الكبير) ، وكتاب (النوادر الأوسط) ، وكتاب (النوادر الأصغر) ،وكتاب فى النحو ،وكتاب (العدد واختلافهم فيه) ،وكتاب (الهجاء) ،وكتاب (مقطوع القرآن ، وموصوله) ، وكتاب (المصادر) ، وكتاب (الحروف) ، كتاب (أشعار المعاناة)[3] ،وكتاب (الهاءات) .

قال أبو سعيد السيرافى : رثى يحيى اليزيدى[4] محمد بن الحسن والكسائى وكانا خرجا مع الرشيد إلى خراسان . فماتا فى الطريق بقصيدة منها :

تصرمت الدنيا فليس خلود
وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرىء كأس من الموت مترع
وما إنْ لنا إلا عليه ورود
ألم نر شيبا شاملا ينذر البلى
وأن الشباب الغض ليس يعود
سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت
فكن مستعدا فالفناء عتيد
أَسِيتُ على قاضى القضاة محمد
فأذريت دمعى والفؤاد عميد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا
بإيضاحه يوما وأنت فقيد
وأقلقنى موت الكسائى بعده
وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة
وأرق عينى والعيون هجود
هما عالِمانا أوديا وتخرما
وما لهما فى العالمين نديد
فحزنى متى تَخْطُرْ على القلب خطرة
بذكرهما حتى الممات جديد

قال أبو عمر الدورى : توفى الكسائى بالرى بقرية أرنبويه :[5] وقال أحمد بن جبير الأنطاكى : توفى بأرنبويه سنة تسع وثمانين ومئة وقال أبو بكر بن مجاهد : « توفى بـ(رنبويه) سنة تسع وثمانين » أى ومائة .

(٣) لم يذكره ابن الجزرى ـ رحمه الله ـ عند إيراده لمؤلفات الكسائى ـ رضى الله عنه .
(٤) هو يحيى بن المبارك اليزيدى كذا ذكره ابن الجزرى فى غاية النهاية ٥٤٠/١ .
(٥) كذا ذكره أيضاً ياقوت فى معجم البلدان حرف الألف ، وذكر وفاة هذين العالمين بها ،وهى هى رنبويه أيضا .

رواتـــــه

أول راوييه : أبو الحارث الليث بن خالد المروزى ، وكان من أصحاب الكسائى .

وثانيهما : أبو عمر الدورى السابق تعريفه .

وقد أقرأ كلاهما خلقا كثيرا حتى تعددت طرقه وانتشرت قراءته رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

مسنده فى القراءة

كان الكسائى رحمه الله تعالى يجهر فى أول قراءته بالتعوذ باللفظ المختار عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ماأتى فى سورة النحل ، وأيضاً يبسمل فى أول كل سورة ماعدا ـ سورة التوبة ـ وكذلك بين السورتين .

وكان يقرأ بالتوسط فى المَدَّيْن ـ المتصل ، والمنفصل . وأُثر عنه الإشباع فى المد المتصل من طريق طيبة النشر ، ونقل عنه تحقيق الهمز المبدوء به ، والمتوسط إلا فى كلمة ـ الذئب ـ فكان يبدل الهمز ياء . ولم يؤثر عنه فى الهمز المتطرف سوى التحقيق . وله إدغام فى باب (إذ) ، و(قد) ، و(تاء التأنيث) ، و(لام بل) ، و(هل): إدغامهما فى الطاء كقوله ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ ﴾ النساء ١٥٥ ، وفى الظاء كقول ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ ﴾ الفتح ١٢ ، وفى الضاد مثل ﴿ بَلْ ضَلُّوا ﴾ الأحقاف ٢٨ ، وفى النون كقوله ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ الواقعة ٦٧ ، وفى الزاى كقوله ﴿ بَلْ زُيِّنَ ﴾ الرعد ٣٣ .

وروى أبو الحارث الليث بن خالد عنه ـ إدغام اللام الساكنة للجزم فى الذال ـ فى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ البقرة ٢٣١ ، وفى كل القرآن .

وروى غير أبى الحارث بالإظهار .

وفى باب الإدغام : إدغام حروف قربت مخارجها . وكان من المكثرين فى الإمالة والاضجاع .

والإمالة : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً ، وهى (المحضة) ويقال لها : الكبرى ، وهى « الاضجاع » و« البطح » ، ثم هى المرادة عند الإطلاق . وقليلا ، وهو بين اللفظين ، ويقال له (التقليل) ، و(بين بين) ، و(الصغرى) .

ويجتنب فى الإمالة المحضة القلب الخالص ، والإشباع المبالغ فيه ثم إن الفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان . نزل بهما القرآن .

وقد اختص الكسائى بإمالة (هاء التأنيث) سواء رسمت تاء نحو (نعمت الله) ، أو هاء نحو (رأفة) ، وتأتى على ثلاثة أقسام .

● **الأول : متفق على إمالته عنه بلا تفصيل :**

وهو ما إذا كان قبل الهاء حرف من خمسة عشر حرفاً يجمعها لفظ : « فجثت زينب لذود شمس » :

فالفاء نحو : ـ خليفة ـ ، ـ ورأفة ، والجيم نحو : وليجة ، وبهجة ، والثاء نحو : ثلاثة ، مبثوثة ، والتاء نحو : ميتة ، بغتة ، والزاى نحو : أعزة ، بارزة ، والياء نحو : شية ، خشية ، والنون نحو : سنة ، جنة ، والباء نحو : حبة ، شيبة ، واللام نحو : ليلة ، ثلة ، والذال فى : لذة ، والموقوذة ـ فقط ، والواو نحو : قوة ، المروة ، والدال نحو : بلدة ، عدة ، والشين نحو : عيشة ، معيشة ، والميم نحو : رحمة ، نعمة ، والسين نحو : خمسة ، الخامسة .

فاتفقوا على إمالة ذلك كله مطلقا ، لخلوه من المانع .

والقسم الثانى يوقف عليه بالفتح :

وذلك بعد عشرة أحرف : وهى حاع ، وحروف الاستعلاء السبعة : قظ ، خص ، ضغط .

فالحاء نحو : النطيحة ، أشحة .

والألف نحو : الصلاة ، الحياة . ويلحق به ـ هيهات ، واللات ، وذات ، ولات ، كما يأتى فى مرسوم الخط ـ إن شاء الله تعالى ـ وأما ـ التورٰة ، وتقاة ، ومرضاة ـ فليس من هذا الباب . بل من الباب الذى يمال ألفه فى الحالين . كما تقدم .

والعين : نحو سبعة ، طاعة ، والقاف : نحو طاقة ، ناقة ، والظاء فى : غلظة ، موعظة ، حفظة ، والخاء نحو : الصاخة ، نفخة ، والصاد نحو : خالصة ، مخمصة ، والضاد نحو : بعوضة ، روضة ، والغين نحو : صبغة ، مضغة ، والطاء نحو : حطة ، بسطة .

فاتفقوا على فتحها عند الألف كما تقدم . واتفق جمهورهم على الفتح عند التسعة الباقية أيضا .

القسم الثالث : فيه تفصيل :

فيمال في حال . ويفتح فى أخرى ، وذلك عند أربعة أحرف يجمعها (أكهر) ، فإن كان قبل كل منها ياء ساكنة ، أو كسرة متصلة ، أو منفصلة بساكن أُمِيلَتْ وإلا فتحت . وهذا مذهب الجمهور أيضا عنه .

وذهب آخرون إلى إمالتها مطلقا . فالهمزة بعد الياء ـ كهيْئة ، خطيئة . وبعد الكسرة نحو : مائة ، وفئة ، وبعد غير ذلك نحو : امرأة وبراءة .

والكاف بعد الياء ـ الأيكة . وبعد الكسرة نحو الملائكة ، المؤتفكة وغير ذلك نحو : مكة ، الشوكة .

والهاء بعد الكسرة المتصلة ـ آلهة ، فاكهة . وبعد المنفصلة ـ وجهة ، وبعد غير ذلك ـ سفاهة ـ ولم تقع بعد ياء ساكنة .

والراء بعد الياء نحو : كبيرة ، صغيرة . وبعد الكسرة المتصلة نحو : الآخرة ، وكافرة . وبعد المنفصلة نحو : عبرة ، سدرة . وبعد غير ذلك نحو : حسرة ، الحجارة .

ومذهب الجمهور المتقدم هو اختيار الداني ، والشاطبي وغيرهما . وعليه عمل القراء .

هذا وما ذكرته من مذهب الكسائي من باب الأصول المضطردة قَلَّ من كُثْر .

وقد اعتمدت على الله واستخلصت ماكتبت من المصادر المبينة بعد :

١ ـ الإمام أبو عمرو الداني . كتاب التيسير لجمعية المستشرقين الالمانية « طـ » ـ الدولة باسطنبول .

٢ ـ جامع البيان : مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣ ـ تقريب النشر فى القراءات العشر ـ ابن الجزرى ـ (طـ) الحلبى ـ مصر .

٤ ـ ابن مجاهد : كتاب السبعة : مصور عن المخطوط . جامعة الدول العربية .

٥ ـ أحمد البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر . « طـ » تركيا .

٦ ـ أحمد شهاب الدين القسطلانى : لطائف الإشارات ـ مصور عن مخطوط مكتبة (قَوَلَة) .

الذهبى : كتاب معرفة القراء الكبار .

ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء .

إبراهيم عطوة عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـــدى قطـــاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شـــارع جـــلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســـة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

الدروس المستفادة من عمليات

الاستطلاع والقتال قبل غزوة بدر الكبرى

● هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة فارين بأنفسهم وعقيدتهم ، وكان من الطبيعى أن يتوقعوا أن قريشاً سوف تحاول جهدها القضاء عليهم فى موطنهم الجديد بعد أن فشلت فى القضاء عليهم فى مكة .

● ومنطقة المدينة وما حولها سوف تكون هى « المسرح » الذى تدور فوقه عمليات الدفاع ضد إغارات وهجمات الأعداء المتوقعة ، لكن هذا المسرح إن كانت طبيعته معلومة للأنصار أهل المدينة الأصليين ، فهو مجهول بالنسبة للمهاجرين الذين جاءوا من مكة من مسافة تصل إلى أربعمائة كيلو متر فكان من الضرورات الحيوية أن يدرس المسلمون هذا المسرح دراسة وافية ..

● ثم إنه كان على المسلمين أن يقيموا للإسلام قاعدة وطيدة لنشر الدعوة ، وفى مثل هذا الجو المشحون بالتربص ونذر الخطر وبالنوايا العدوانية ضدهم فقد اقتضى الأمر أن يكونوا على أقصى درجات اليقظة والحذر لتأمين هذه القاعدة باعتبارها حجر الأساس فى بناء القدرات الدفاعية .

● ولم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام هذه الأوضاع والأخطار ، بل قاموا بعدة أعمال إيجابية نشطة تشد من عزيمتهم وتعدهم لمواجهة تحدى القتال ، فلم تكد تمضى ثمانية أشهر فقط من مقامهم بالمدينة حتى قاموا بعدة عمليات ذات طابع خاص يتناسب مع مقتضيات الموقف الاستراتيجى الذى وصفناه ، وهذه العمليات إن كانت لم تأخذ شكل العمليات الحربية إلا أنها حققت أهدافا هامة وحفلت بعدة دروس نافعة فى مجال الإعداد لمواجهة العدوان تستحق الدراسة ، ونعرضها باختصار فيما يلى :

١ - سرية حمزة :

فى رمضان من السنة الأولى للهجرة بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمفرزة تتألف من ثلاثين راكبا من المهاجرين « ليس فيهم من الأنصار » أحد بقيادة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى « العيص » على ساحل البحر على طريق تجارة قريش بين مكة والشام ، لتهديد قافلة لقريش يحميها ثلاثمائة راكب بقيادة أبى جهل بن هشام ، إلا أن

لواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

مجدى بن عمرو الجُهنى وكان موادعا للفريقين جميعاً[1] حجز بين الطرفين فعاد المسلمون دون قتال .

٢ ـ سرية عبيدة بن الحارث :

وفى شوال من السنة الأولى للهجرة بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمفرزة تتألف من ستين (أو ثمانين) رجلاً من المهاجرين « ليس فيهم من الأنصار أحد » بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف للوصول إلى وادى رابغ لتهديد تجارة قريش التى كانت بحماية أكثر من مائتى رجل بقيادة أبى سفيان بن حرب (وفى رواية أخرى عكرمة بن ابى جهل) وكان بين المسلمين والمشركين مناوشة رمى فيها سعد بن أبى وقاص بأول سهم يرمى به فى الإسلام ، وعاد الطرفان دون قتال بعد أن أظهر المسلمون للمشركين قوتهم .

٣ ـ سرية سعد بن أبى وقاص :

وفى ذى القعدة من السنة الأولى للهجرة بعث عليه الصلاة والسلام بمفرزة تتألف من عشرين رجلاً « من المهاجرين » فخرج حتى بلغ الخرَّار بالحجاز قرب الجحفة ، لكنهم لم يستطيعوا اللحاق بالقافلة .

٤ ـ غزوة وَدَّان (وهى غزوة الابواء) :

وهى أولى الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وفيها خرج عليه الصلاة والسلام فى قوة تتألف من مائتى رجَل يريد قوة من قريش ومن بنى ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة ، ووصلت قوة المسلمين إلى ودان إلا أنها لم تصطدم بقوة قريش ، ولاقت بنى ضمرة وعلى رأسهم مَخشىّ بن عمرو الضمرى وكان سيد بنى ضمرة ، فوادعه الرسول صلى الله عليه وسلم على الا يغزو بنى ضمرة ولا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عدواً . وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وكانت هذه الغزوة فى صفر من السنة الثانية للهجرة .

٥ ـ غزوة بُواط :

وفى ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مائتى رجل للوصول إلى بواط من ناحية جبل رضوى على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام ، وكانت قافلة قريش فى حماية مائة رجل يقودهم أمية بن خلف الجُمَحى ، لكن عيون قريش علمت بخروج المسلمين فأسرعت

←

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط مصطفى الحلبى ـ ١٣٧٥ القاهرة ـ القسم الأول ص ٥٩٥ .

قافلتهم بحركتها ، وسلكت طريقا غير طريق القوافل المعبدة ، فرجع المسلمون إلى المدينة .

٦ ـ غزوة ذات العُشيرة :

وفى جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ، خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مائتى رجل لاعتراض قافلة قريش بقيادة أبى سفيان وهى فى طريقها إلى الشام ، لكن القافلة أفلتت ولم تمر بالعشيرة ، فوادع عليه الصلاة والسلام بنى مُدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة بعد أن أقام بالعشيرة شهراً .

٧ ـ غزوة بدر الأولى :

ولم يقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كرُز بن جابر الفهرى على سرح المدينة (أى الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة) فخرج ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مائتى رجل فى طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان مُن ناحية بدر وفاته كرز بن جابر ، فرجع إلى المدينة .

٨ ـ سرية عبد الله بن جحش

وفى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن جحش فى مهمة استطلاعية ومعه ثمانية (أو إثنا عشرة فى رواية أخرى) من المهاجرين وكتب له كتاباً أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه على المسير معه ، فلما سار يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة (بين مكة والطائف) فترصَّد بها قريشاً وتعلَّم لنا من أخبارهم » .

فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشا ، حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد(٢) .

ولقد مضى عبد الله بن جحش ومضى معه أصحابه عدا سعد بن أبى وقاص وعُقبة بن غزوان ، إذ ضل بعير لهما يعتقبانه (يتبادلان ركوبه) فتخلفا عنه فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما (جلدا) وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو ابن الحضرمى .. وكان يومئذ آخر رجب ، وذكر عبد الله بن جحش ومن معه ما صنعت قريش بهم ، وما حجزت من أموالهم ، وتشاوروا وقال بعضهم لبعض : « والله لئن

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الأول (حـ ١ ، ٢) ص ٦٠١ .

تركتم القوم هذه الليلة ، ليدخلُن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم ، لتقتلنهم فى الشهر الحرام !»

وترددوا وهابوا الإقدام، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، ورمى أحدهم عمرو ابن الحضرمى بسهم فقتله وأسر المسلمون رجلين من قريش ، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير والأسيرين حتى قدموا المدينة .

تحليل العمليات :

● وبتحليل هذه العمليات نستخلص ما يأتى : ـ

(١) بدأت هذه العمليات في رمضان من السنة الأولى للهجرة إلى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة أى قبل غزوة بدر الكبرى بشهرين .

(٢) وقعت بتركيز ملحوظ في معدلها الزمنى إذ بلغ عددها ثماني عمليات في خلال عشرة أشهر فقط .

(٣) حرص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يتولى بنفسه قيادة أربع من تلك العمليات (أى نصف عددها) وعين بعض أصحابه لقيادة النصف الباقى .

(٤) اتخذت العمليات شكل المفارز محدودةالقوة فقد تراوح عدد أفرادها بين الإثنى عشرة والمائتين .

(٥) معظم هذه العمليات بعيد المدى فقد تراوحت المسافات التى قطعتها إلى أهدافها بين ١٥٠ كيلو مترا إلى ٤٠٠ كيلو متر تقريباً

(٦) الغالبية العظمى منها (٧ عمليات) استهدفت تهديد قافلة قريش على طريق تجارتها إلى الشام على ساحل البحر (انظر الخريطة) .

(٧) غطت هذه العمليات كل الطرق المعروفة فى اتجاه الجنوب والغرب والجنوب الغربي من المدينة ، فقد حظى طريق القوافل من مكة إلى الشام بأكبر قسط من عمليات الإغارة وفى مواضع مختلفة على امتداده من الجنوب إلى الشمال ، هذا فضلاً عن الطريق بين المدينة وبدر ، وعن وصول سرية عبد الله ابن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف .

النتائج التى حققتها هذه العمليات :

أولاً : دراسة مسرح العمليات المتوقعه :

كانت دراسة مسرح العمليات ضرورة حيوية من الناحية الاستراتيچية لكى يستطيع المسلمون الدفاع عن قاعدة الإسلام بالمدينة ضد الغارات والهجمات المتوقعة من أعدائهم ، ولقد أتاحت هذه العمليات للمسلمين دراسة المسرح وخاصة بالنسبة للمهاجرين ، فقد ظهر لنا مثلاً أن كل السرايا ـ كما ذكرنا ـ كانت « مشكلة من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد » ، كما ظهر أيضاً اتساع المساحة التى جرت عليها تلك العمليات وتنوع اتجاهاتها ..

←

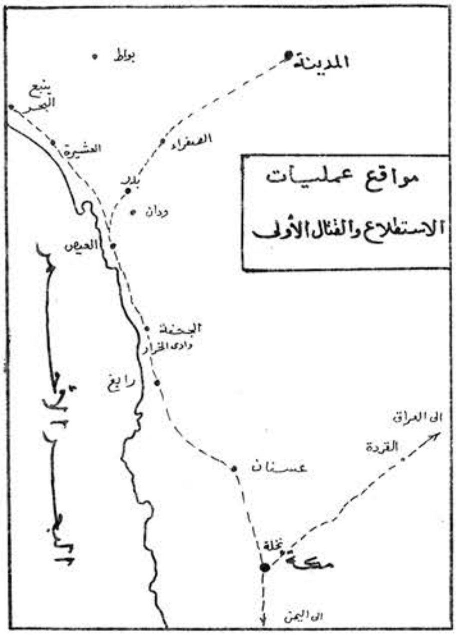

ثانياً : إعداد المسلمين للتخطيط الواقعى :

ثم إن دراسة مسرح العمليات قد أصبحت ضرورة اقتضاها ما طرأ بعد الإسلام من تغيير فى شكل الصراعات وطبيعتها ، فقبل الإسلام كانت الأعمال القتالية تتخذ شكل الإغارات ، وهى أعمال محدودة من حيث الهدف والقوة والمدى ، فكان « مسرح العمليات » محصوراً فى مساحة محدودة هى أرض الخصم التى غالباً ما تكون مطروقة ومعروفة للمهاجم بحكم الجوار أو قرب المسافة أو حركة الرعى والتجارة .

أما بعد الإسلام فقد « تطور » مسرح العمليات واتسع نطاقه بالنسبة للمسلمين حتى أصبح يشمل شبه الجزيرة العربية برمتها ، من أجل ذلك أصبحت دراسة مسرح العمليات من أهم متطلبات « التخطيط الواقعى السليم » للعمليات الحربية وهى تشمل ناحيتين فى غاية الأهمية لهذا التخطيط هما :

(١) الناحية « الطبوغرافية » وتعنى دراسة طبيعة الأرض والطرق وموارد المياه والهيئات الطبيعية وغيرها .

(٢) والناحية « الديموجرافية » وتعنى دراسة تركيب السكان وتوزيعهم ومظاهر الكثافة والتخلخل السكانى وغيرها .

ثالثاً : إظهار القوة لتأمين الدعوة :

وقد أثبت المسلمون بهذه العمليات الجريئة والنشطة والمتلاحقة (ثماني عمليات فى خلال عشرة شهور فقط) للمشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة واليهود ، أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم عند الحاجة ، وقد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم .

رابعاً : معاهدة القبائل المجاورة :

وعقد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إتفاقات مع مختلف القبائل العربية المجاورة مثل بنى ضمرة (فى غزوة ودان) وبنى مدلج وحلفائهم (في غزوة ذات العشيرة) ، وكان من نتائج تلك الاتفاقات ما يلى : ـ

(١) كفالة حرية المسلمين في نشر الدعوة

مما يشكل تهديداً لحاضر المشركين ومستقبلهم .

(٢) كفالة حسن الجوار والمعاملة .

(٣) حرمان قريش من محالفة هذه القبائل والحصول على معاونتها سواء بتأمين طريق التجارة ، أو بشد أزرها بالعدوان على المسلمين بالمدينة أو تهديد طرق تحركاتهم أو مواصلاتهم .

(٤) تحييد القبائل التى بينها وبين قريش موادعة ، ومن أمثلة ذلك مجدى بن عمرو الجهنى الذى ذكرنا في سرية حمزة أنه كان موادعاً لقريش وللمسلمين في الوقت نفسه ، وقد ظهر من موقفه بمنع القتال بين الطرفين أنه اتخذ موقف الحياد ولم يناصر طرفاً منهما على طرف ، ولو لم يكن المسلمون قد وادعوه من قبل ، فربما ناصر قريشا على المسلمين .

(٥) حرمان قريش من « حرية العمل » وذلك بتضييق المساحة التى تستطيع التحرك فيها للعمل ضد المسلمين .

(٦) وحرمانها أيضاً من « القواعد الخارجية » التى تسمح لها بأن تقوم بعدوان غير مباشر على المسلمين .

خامساً : تطعيم المسلمين ضد المعركة :

● وقد حققت هذه العمليات نوعاً مما يسمى « بالتطعيم ضد المعركة » فكما يؤدى تطعيم الإنسان بالمصل الواقى إلى تحصينه ضد الأمراض الوبائية ، فإن اشتراك الرجال في بعض الأعمال القتالية المحدودة من حيث طبيعتها وأهدافها والأخطار التى تنطوى عليها مثل مفارز الاستطلاع ومفارز القتال والإغارات ، يؤدى إلى تحصينهم ضد شدائد الحرب ومعاناتها القاسية على النفوس والعقول والأبدان .. هذا فضلاً عما ينطوى عليه الاحتكاك المباشر بالعدو من تمكين المسلمين من معرفته وسبر أغواره وتنمية الثقة فى نفوسهم فى قدرتهم على مواجهته فى المعركة والانتصار عليه .

سادساً : الحصار الاقتصادى لقريش :

● واستطاع المسلمون بهذه العمليات « تهديد » تجارة قريش التى تعيش عليها لكى تفهم أن من مصلحتها التفاهم مع المسلمين تفاهماً يكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين .. ولم يكن هذا التفاهم ممكنا بغير هذا التهديد ، لأنه هو الذى يشعر قريشا « بقدرة » المسلمين على الإيقاع بها ، وإيصاد طريق التجارة فى وجهها ، ولقد ظهر ذلك بوضوح حين شعرت قريش بأن طريق تجارتها إلى الشام قد أصبح محفوفاً بالمخاطر مما يؤدى إلى كساد تجارتها ، وقد عبر عن ذلك صفوان بن أمية بقوله لقريش :

« إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم (يشير إلى المعاهدات مع القبائل) ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ؟

البقيــة ص ١٣٦٥

ديانة السيخ

هندوكية إسلامية

يدعو التناحر المستمر فى الهند بين جماعة السيخ والهندوك إلى ذكر شىء عن هذه الجماعة ، وقد ظن بعض الناس ان السيخ طائفة إسلامية حورت فى عقيدة الإسلام بعض التحوير مثل الصابئة ، وهو قول لم يصب الحقيقة ولم يبعد عنها كثيرا ، فعقيدة السيخ تاخذ اطرافا من كلتا الديانتين ، وكانت نشاتها محاولة للتوفيق بينهما . وقبل ان نذكر تفاصيل هذه العقيدة وشيئا من اناشيدها وادعيتها نذكر لمحة من تاريخها .

وبداية هذه الطائفة كانت فى القرن السادس عشر الميلادى . وكانت رد فعل للغزو الإسلامى الذى سبق هذا القرن ببضعة قرون . فالمسلمون فتحوا البنجاب وحوض السند فى عهد عبد الملك بن مروان ، فأدخلوا اللغة العربية هذه البلاد وصبغوها بصبغة إسلامية فى تقاليدها ومظاهرها الاجتماعية ، وتوقف الغزو الإسلامى مدة طويلة ، ولكن الفكرة الإسلامية ظلت باقية وظل لها نمو بوجه ما . ثم انبعثت بصورة نشيطة قوية فى عهد الدولة الغزنوية التى استمرت نحو قرنين وثلاثين عاما (٣٥١ ـ ٥٨٢)[١]هـ . وكان أزهر أيامها فى عهد محمود الغزنوى الذى تولى سلطة البلاد وقيادة جيشها أكثر من ثلاثين عاما (٣٨٨ ـ ٤٢١ هـ) ـ (٩٩٨ ـ ١٠٣٠ م) وكان محبا للجهاد . وكان أبوه سبكتكين قد مهد له سبيل الفتح بانتصاراته الباهرة ، وكان هو قد أخذ على عاتقه أن يغزو كل عام ، فغزا فعلا اثنتى عشرة غزوة ، ووسع حدود سلطنته وسماه الخليفة « يمين الدولة » لأنه رعى ركنها الأيمن من الشرق الإسلامى . وكان له إلى جانب هذه الغزوات حروب ضد المارقين ، فحارب الرافضة والقرامطة والإسماعيلية والجهمية والمشبهة وأيضا حارب المعتزلة وضيق عليهم . وكان رجلا تقيا ورعا أحزنه أن يحارب المسلمين ، كما أحزنه انحرافهم وخروجهم وأنهم اضطروه إلى هذه الحروب ، ورأى أن من كفارة آثامه أن يعمل

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي*

على نشر الإسلام ومده فى بلاد الهند . وكان حين يفتح أرضا يبنى بها المساجد ويرسل إليها القراء والمعلمين .

وفى القرن السادس عشر الميلادى أسس الملك بابور أسرة مغولية فى الهند ، واشتهر منها الملك أكبر الذى امتاز بتسامحه ، ولم يكن مغتبطا بديانته الشامانية ، ورأى أن المسيحية والإسلام والبوذية أشهر وأوسع الديانات انتشارا فى الهند ، ورغب فى إقامة المناظرات بينها ، واغتبطت البابوية فى روما ، وظنت أنه تنصر فأرسلت إليه قسيسا . فأعلن عن مناظرة كبيرة يحضرها رجل الجامعة ورجل الشارع ، والنساء والأطفال والكهول ـ لكن المناظرة لم تتم ، لأن الملك حادث القسس عن المسيحية فلم تعجبه أسسها وقواعدها فردهم .

وفى عهد هذا الملك امتد الإسلام بعيداً فى الهند ، وفى ظل التسامح الدينى العام الذى انتهجه كان الناس يتغذون بمبادىء وتقاليد من ديانات شتى . ولكن كثيرين دخلوا الإسلام وانتشرت بين الهنود تقاليد كثيرة إسلامية . فكان الذين يعرفون اللغة العربية يرتلون أبيات بردة المديح النبوى ـ التى ألفها « البوصيرى » وكان المسلمون يقرأونها للمديح وللبركة ، كذلك فشت فيهم عادة حجاب النساء ولبسهن الخمار . فكانت المرأة الهندية ـ من أى دين كانت ـ تحاكى المرأة المسلمة فى هذه العادات .

ودعا هذا التقدم الإسلامى ذوى الديانات الأخرى ـ وخصوصا الهندوكية ـ إلى مزيد من النشاط والتماسك والقوة .. ووسط هذا الاضطراب ظهر عديد من المفكرين يدعون إلى اختيار المبادىء الحسنى من الديانات ، وإلى توحيد هذه الديانات فى دين واحد . ومن هذا التيار نشأت عقيدة السيخ .

واشهر الذين دعوا إلى هذه العقيدة الموحدة المفكر « كبير » (١٤٤٠ ـ ١٥١٨ م) وهو ليس مؤسس المذهب السيخى ولا من السيخ ، ولا كان المذهب قد نشأ عند انشغاله بهذه الفكرة ، ولكن المذهب نشأ بهدى من تفكيره وطريقته .

كان قد عرف الإسلام فى بنارس وعمل على نشره ، ثم قرأ أو درس الهندوكية فراقته افكارها ، ولكنه ساءه جدا ما يعمله المتطرفون من هذه الديانة أو تلك ، ورأى أنها تفرق قوما يعبدون إلها واحداً وكره عبادة الأوثان وعابها ، وكره من الإسلام عادة الختان . وآمن بتناسخ الأرواح وتجدد الحياة مرة أخرى على نحو ماتقرر الهندوكية وكان له مدرسة وأتباع . فاختاروا المبادىء الرئيسية من الهندوكية ، وجاروا أستاذهم فى اختيار مبادىء من الديانتين .

* الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق .

(١) من سنة ٣٥١ ـ ٥٨٢ هـ ٩٦٢ ـ ١١٨٦ م

ديانة السيخ

وأكبر تلاميذ كبير هو المعلم ناناك . The guru Nanak الذى عاش بين سنتى ١٤٦٩ و١٥٣٨ م وهذا هو المؤسس لعقيدة السيخ ـ والذى جعل منها ديانة مستقلة . ثم تلاه تسعة معلمون آخرون ، تطور المذهب على أيديهم بعض التطور ، ولكنه لم يخرج عن الأسس التى نادى بها كبير . وقد مال ناناك إلى الإسلام أكثر مما مال إلى الهندوكية مخالفا بذلك ميل أستاذه كبير .

وكان ذا إخلاص وتقوى ، وقام برحلات واسعة فى أنحاء شبه القارة الهندية مبشرا بالمذهب الذى اختاره . وكان ذا تقوى وورع واستقامة ، وترك اناشيد واشعارا توضح مذهبه وتحمس إليه . وهى شديدة التركيز على وجوب إله واحد ـ وسماه أتباعه المعلم guru ـ وسمو أتباعه بعد ذلك المعلمين gurus

وصادف عهد هذا المعلم عهد الملك المغولى أكبر الذى ذكرناه قبل ، فوجدوا من تسامحه فرصة مهيئة لهذا الانتشار ، وكان أكبر يرى عالمية الدين ووحدة الأديان وإن تعددت أنواعها ، ولكن عهده كان محدودا ، وجاء خلفه أورانجزب Aurangzeb فمال إلى الدين الإسلامى وأعاد مملكته وانشأ مسجدا عظيما ذا مئذنة شامخة ، ولا يزال هذا المسجد باقيا إلى الآن يزين سماء المدينة الكبيرة المقدسة بنارس .

وفى عهد المعلم السيخى الخامس اصطدم السيخ والمسلمون ، وسجن هذا المعلم بأيدى المسلمين ، ولكنه ألقى بنفسه فى النهر ومات غرقا ، وجاء بعده ابنه فكون جيشا من العصابات الفدائية ليحارب به المسلمين انتقاما لوالده ، ومن ذلك الوقت تحولت الجماعة إلى فرقة محاربة .

والمعلم العاشر والأخير من جماعة السيخ هو جوفند سنخ ، g . singh (١٦٧٥ ـ ١٧٠٨ م) وهو الذى أضفى على الجماعة صبغة خاصة من النظام . وحولها إلى فرقة حربية . جعل للسيخ ملابس خاصة يعرفون بها ليسهل تعارفهم واتصالهم . جعل لهم أساور فى أيديهم وأمرهم أن يطيلوا شعر رأسهم . وأن يصطحبوا الخنجر والمشط ، وأن تكون سراويلهم قصيرة ، ثم اتخذوا لهم لقبا كلمة سنخ . وهى تعنى الأسد ، ولكن أقلية منهم عارضوا هذا النظام ، واعتبروه زيادة على العقيدة التى قررها « كبير » و« ناناك » ـ واعتبروا هذا المظهر المستحدث سمة تميز أتباع سنخ من السيخ ، بعبارة أخرى اعتبروه بدعة فى مذهبهم .

وعدا هذا المظهر فرض على السيخ تقديس كتبهم ، وأمر أن يوضع أمام الكتب رمز لسيادتها والخضوع لها ، وبهذا تظل كتبهم المقدسة هى منبع السيادة ، ومهما تكرر القادة لهم فإن الكتب المقدسة هى مرجع الجميع .

وكتبهم المقدسة أكثرها من وضعهم وبعضها من كتب الهندوك ففيها أناشيد وأشعار مما وضعه كبير وناناك . وبعض المعلمين من بعدهم ، ويبدأ الكتاب بنشيد وضعه ناناك يوضح عقيدة السيخ وابتهالاتهم ، ويبدو أنه مأخوذ من تعاليم الإسلام وعقيدته ، ويمكن رده إلى كلمة التوحيد الإسلامية . وفى بدايته :

« لا يوجد إلا إله واحد هو الذى يدعى

الحق . الخالق البرىء من كل خوف وكراهة ، خالد موجود بنفسه ولا والد له ، وهو عظيم رحيم ، كان الحق قبل كل شيء ، كان فى أبعد مكان وهو موجود فى الحاضر وسيظل موجوداً فى المستقبل .. » .

●●●

أما عقيدة السيخ فهى كما سبق تجمع تعاليم من الإسلام وأخرى من الهندوكية . فمن الإسلام أخذت الإيمان بوحدانية الله . وأنه ليس كمثله شيء ، وأنه لم يلد ولم يولد . ولا يحل فى شيء ، ولا يحل فيه شيء ، ولهذا رفضت فكرة الحلول الإلهى التى تدين بها الهندوكية نهائياً .

ومن الهندوكية أخذت العقيدة بتجدد حياة الفرد - فهى - كالهندوك والجينيين - ترى أن الشخص حين يموت ، لا يموت منه إلا جسده المادي أما الروح فهى باقية ، ولكنها تلبس جسداً آخر ، قد يكون إنساناً أو حيواناً ضئيلاً أو حقيراً .. كل ذلك حسب عمل الشخص قبل موته . كذلك أخذوا من الهندوكية الإيمان بتجدد الخليقة فى مواسم معينة ، وهذه عقيدة كانت شائعة فى الشرق الأوسط القديم من قبل .

ويرى الباحثون فى ديانات الهند أن الديانة السيخية كانت نتيجة ظروف اجتماعية ودينية ، فالذين عناهم شأن العقيدة أمثال كبير وناناك ، لم يكونوا مستريحين إلى الطقوس التى تفرق بين العباد ، والتى ينشأ عنها العزلة وسفك الدماء ، والتفرقة بين جماعة وأخرى ، وكلهم يعبدون إلهاً واحداً ، إذ الكون كله من صنع إله واحد هو خالق كل شيء ، ولهذا ففى نظرهم أن اختلاف رجال الدين الكبار فى العقيدتين الهندوكية والإسلامية ما كان ينبغى أن يحدث ، ماداموا جميعاً يعملون لغرض واحد هو عبادة الإله الحق . ويرون أن قلب الديانتين واحد . ويبدو أن اختلاط هذين المفكرين - كبير وناناك - بالمسلمين وبالهنود فى كثير من المواقف والأعمال التجارية والأجتماعية والشئون السياسية ، جعلهم ينفذون إلى ما وراء المظاهر وأن ينفعلوا بأسس العقيدتين ، وأن ينتهوا إلى انهم جماعة واحدة لا ينبغى لها أن تتفرق وتختلف ، ولكن - ياللعجب - قضت الظروف السياسية والاجتماعية على مبادىء الوحدة التى وضعها كبار مفكريهم ، ورأى دعاة الوحدة أنفسهم مضطرين أن ينعزلوا عن الطائفتين وأن يكونوا فرقة جديدة ثالثة ، بل أكثر من هذا انهم لجأوا إلى السلاح والحرب ليدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم ، وهكذا انتهى الأمر بالذين نفروا من الكراهة وسفك الدماء ،أن يكونوا هم انفسهم سفاحين

ولم تكن أنديرا غاندى - الهندوكية - موفقة حين هدمت معبدهم الذهبى - وهو معبد ناناك - ولم يكونوا - أيضاً - موفقين حين أضمروا لها الغدر وقتلوها .

أنديرا هى ابنة جواهر لال نهرو ، وقد قلدها والدها اسم غاندى - أستاذه - اعجابا به وإكبارا لمبادئه ، وما دعا أحد إلى التسامح الدينى كما دعا له غاندى ، فكان يجب على أنديرا أن تتحلى به . والا تهدم معبداً يعظمه هؤلاء القوم ، وهم يضمنون مذهبهم مبادىء كثيرة من مبادىء دينها .

كذلك ما كان ينبغى لدعاة الوحدة الناهين عن الكراهة والناعين على الناس سفك الدماء وازهاق الأرواح ، ما كان ينبغى لهم أن يقدموا على سفك دم ولا أن يضمروا الحقد والكراهة لأحد . ولكن هذا الذى كان .

المسلمون في هولندا

المسلمون فى هولندا يمثلون جزءا من الأمة الإسلامية صاحبة الامتدادات اللانهائية فى الزمان والمكان .

والحديث عن الإسلام والمسلمين فى أوروبا والغرب عموماً حديث ذو شجون ، فيه من الألم بقدر ما فيه من الأمل ، والاهتمام به واجب فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

فَمَنْ المسلمون فى مملكة « أورنج » أو المملكة الهولندية ؟

وما واقع الإسلام فى هولندا ؟

إن الوجود الإسلامى فى أوروبا عموماً ، وهولندا جزء منه ، يمكن اعتباره ذا مستويات عدة : فهناك أولاً جاليات اجنبية ذات أصول إسلامية وهؤلاء ضربان :

(أ) إما ابناء المستعمرات السابقة ، وهم فى هولندا من « سورينام » و« اندونيسيا » .

(ب) وإما عمال أجانب استدعتهم الحكومات الغربية إبان الازدهار الاقتصادى فى الستينيات ، وهم فى هولندا من تركيا والمغرب .

ثانياً : وبجوارهم يوجد المسيحيون او اللادينيون الذين اعتنقوا الإسلام وهؤلاء ضربان ايضاً :

(أ) الذين قرعوا فى الأديان والعقائد السماوية ووجدوا انفسهم امام نور الحق فاعتنقوا الإسلام .

(ب) والدين دخلوا الإسلام بسبب الزواج ، أو لأغراض أخرى غير عقائدية .

ثالثاً : ثم هناك الطلاب ورجال الأعمال وكثير من الأئمة غير المقيمين بشكل دائم فى البلاد .

إن كلا من الأطراف السابقة له علاقة بالآخر ، وإن تنوعت هذه العلاقة ، فهم جزء من الأمة الإسلامية له نفس المصالح المشتركة نظريا ، أما واقعياً فالوضع يختلف بعض الشىء .

يوجد فى هولندا نحو ربع مليون مسلم ، يشكل ابناء المستعمرات السابقة نحو ثلثهم وإذا بدأنا بعرض مفصل لواقع المسلمين هنا فإننى أعتقد أن أسهل طريقة وأبسطها هى التعرض لهم كجاليات منفردة ضمن واقع كلى شامل ، وسأبدا بالأندونيسيين فهم الجالية الأقدم .

الأندونيسيون : المستقبل الزاهر

إن أغلبية الأندونيسيين المسلمين فى هولندا ينتمون إلى جزيرة « مولكاس » ، وهى إحدى الجزر التى تطالب بالانفصال عن الدولة المركزية ، إن الجيل القديم منهم كانوا جنوداً للامبراطورية الهولندية ، وشاركوا فى الحكم إبان الاستعمار ولما استقلت البلاد لم يجدوا لأنفسهم مكاناً فى الكيان الجديد بخاصة ولهم اتجاه انفصالى عن الدولة ،

للأستاذ: إيهاب محمد مهدلى

فهاجروا إلى هولندا التى قامت ببناء مخيمات لهم .

إن واقع « الملوكس » صعب فكونهم أتوا من جزيرة واحدة ، ولهم ـ أصلاً ـ مطالب انفصالية كل ذلك دفعهم إلى عزل أنفسهم عن مجموع المسلمين ـ فى هولندا ـ إلا قليلاً منهم ، وكون الجالية تتكون من جنود سابقين فإن الفكر الإسلامى ضحل عند الغالبية العظمى منهم ، إلا أنه فى الفترة الأخيرة بدأت أحوالهم فى التحسن وبخاصة فى النواحى الدينية . فقد قامت وزارة الثقافة ببناء مسجد لهم فى « ريدركرك » بالقرب من « روتردام » وأصبح لهم حاضر مشرق تراه فى الدروس الدينية التى يتلقونها ، وفى فصول اللغة العربية التى تعلم الصغار مبادىء لغة القرآن الكريم ، إن الإخلاص والنية الحسنة المتوافرين لدى الجالية سيتمخض عن الكثير فى المستقبل القريب إن شاء الله .

السوريناميون : حاضر بائس ومستقبل قلق

يوجد فى هولندا نحو مائة وثمانين ألفا من « سورينام » تلك الدولة التى تقع فى أمريكا الجنوبية إلى الشمال من البرازيل وتطل على المحيط من جهة الشرق . ويمثل السوريناميون قمة مأساة المسلمين فى هولندا ، إن واقعهم بائس أو ردىء فى أحسن الأحوال ، ويبدو أن المستقبل لا يبشر بالخير لهم إلا إذا امتدت إليهم يد المعونة عاجلاً .

لنفهم وضع « السوريناميين » لابد من العودة قليلاً إلى الوراء . فهم قد أتوا من الهند فى القرن التاسع عشر كعمال بعقود عمل فى هذه المستعمرة النائية ، وسرعان ما استوطنوا « سورينام » وصارت لهم وطناً جديداً يفصلهم عن بلادهم الأصلية آلاف الأميال ، وفى نفس الوقت كان فى « سورينام » السود الذين عملوا كعبيد عند الهولنديين فى عصر الرق . وقد أدى تمايز المسلمين الهنود عن هؤلاء السود إلى إصابتهم بعقدة التفوق الوهمية .

وفى الخمسينيات من هذا القرن حصلوا على جنسية هولندا وبدءوا فى التقاطر على الدولة الأم . ولما حصلت « سورينام » على الاستقلال عام ١٩٧٥ خرجوا من بلادهم إلى هولندا فى أفواج وجماعات كبيرة . لأنهم هاجروا منذ أكثر من مائة عام دون خلفيات ثقافية تذكر ، فإن اللغة التى يتحدثون بها الآن مزيج من الأوردية والهولندية ولهجات أخرى ، ولأنهم كانوا بعيدين عن مراكز العلم الدينى وكون الغالبية تفتقر إلى العلم فقد تفشى فيهم « المذهب الخارجى القديانى » ، كما أصبح من يحفظ منهم بعض قصار السور القرآنية يعرف بـ « مولانا » ويقوم بالوعظ والإرشاد والإفتاء وأشياء أخرى وقد وعى بعضهم القصور فى هذا الواقع فعمل على استدعاء العلماء من الهند وباكستان لسد العجز الفكرى إلا أن حاجز اللغة ووهم التفوق حالا دون إصلاح الأمور .

← المسلمون فى هولندا

علاج الوضع فيما أعتقد يكون فى إرسال بعض المبعوثين العرب المتفقهين فى أمور الدين والذين يتحدثون ولو قليلا من الأوردية إذ أنهم ينظرون إلى العربى ، وبخاصة المشرقى ، على أنه « شريف » أو« سيد » ، وإذا لم تتدارك المؤسسات الدينية هذا الأمر فقد يؤدى هذا الإهمال إلى اعتناق الجيل الثانى منهم ديناً آخر أو ينتهى إلى ما هو أسوأ من ذلك .

إن الحاجة عاجلة جداً ، لأن صلاحهم ، وهم المقيمون الدائمون فى البلاد ، فيه صلاح فى الإسلام على المدى الطويل .

نأتى إلى العمال المهاجرين وغالبيتهم من الأتراك والمغاربة ، هؤلاء وأولئك يشكلون عناصر سلبية وإيجابية فى نفس الوقت ، وإذا كنا فى مصر نقول : « جمع الشامى على المغربى » للدلالة على التعجب ، فما بالك بالمغربى والتركى وهما المختلفان لغة ومذهباً وعرقاً .

المغاربة : النشاط والخوف

يمثل المغاربة قمة العمل والنشاط الإسلامى فى هولندا ، فإذا كان هناك أكثر من مائتى مسجد فى هولندا فإن أغلبها ينتمى إلى المغاربة .

ينقسم المغاربة عرقياً إلى عرب وبربر ويتبنون مذهب الإمام مالك ــ رضى الله عنه ــ فى الفقه . وللبربر نظام قبلى بدائى يقسمهم يكاد يجعلهم بمثابة الأخوة الأعداء . وهم ينشطون كثيراً فى بناء المساجد .

والمغاربة ــ فى هولندا ــ يتحركون فى إطار من نشاط محدود على الرغم من كثرة مساجدهم ، وترسل إليهم بلادهم أئمة ، يبدو أن أثرهم على « المغاربة » مختلف جداً ، فإن فيهم الفقيه المعنى بعلمه ــ وحده ــ ومثله لا يكون سبباً مباشراً يعكس فى النفوس هذا الانقباض الذى يؤدى إلى نشاط محدود .

وبين أولئك المغاربة ظهرت جمعيات أهلية تهتم بجمع الصفوف .

وقد أعطى التليفزيون الهولندى للمغاربة نصف ساعة إرسال أسبوعياً ويهتم هذا البرنامج بالدين فى المناسبات ويستضيف طوال شهر رمضان أحد العلماء ، وبخاصة من مصر ، كما يرسل الأزهر عالمين أو أكثر ليقيما طوال شهر الصوم فى البلاد وللعلماء المصريين سمعة ممتازة فى صفوف المسلمين فى العالم ــ والحمد لله .

الأتراك : بين الدولة والشعب

فى العام ١٩٢٤ ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية وشن حرباً على الإسلام لا سابق لها فمنع الأذان وقتل العلماء ، واستبدل بالحروف[١] العربية الحروف اللاتينية . لكنه لم يستطع أن يقضى على الإسلام ، فالعقيدة الحقة لا تموت والإسلام دين حق باق بإذن الله .

إن غالبية الأتراك فى هولندا أتوا من الريف التركى فهم فلاحون يتحدثون ــ والعهدة عليهم ــ عن إقطاع فى بلادهم لا مثيل له فى العالم يقولون : إنه لا يزال هناك

---

(١) الباء مع (استبدل) تدخل على المتروك !

من يملك أربعين قرية بمفرده ، وإن هذا هو السبب فى وجود أكثر من ثلاثة ملايين تركى فى أوروبا الغربية .

يتبع الاتراك مذهب الإمام أبى حنيفة مثل « السوريناميين » وترسل السلطات التركية علماء من إدارة فى وزارة الثقافة متخصصة فى الشئون الإسلامية اسمها « ديانة » لها أكثر من ثلاثين مندوباً فى هولندا تقوم بعض البلدان العربية بدفع مرتباتهم ، ولم يَسْلَمُوا مع ذلك - من حملة شعواء شنتها عليهم الصحف العلمانية التركية .

يقوم علماء « ديانة » بنشر ثقافة إسلامية محدودة بين الأتراك هنا ، وبعضهم لا يرتاح له الأتراك وقد سمحت لهم الدولة الهولندية بإنشاء شركة للإرسال التليفزيونى يقومون من خلالها ، ولمدة نصف ساعة فى الأسبوع ببث برنامج إسلامى مصحوب بترجمة عربية وأخرى هولندية .

ويوجد من بين الأتراك فريق من أتباع حزب الخلاص الإسلامى ، كذلك ثمة فريق ثالث صوفى يتبع الطريقة النقشبندية .

المعتنقون للإسلام :

أخيراً نأتى إلى الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع وبعد دراسة وعددهم يقدر بنحو الألفين ولا توجد رابطة تجمعهم ، وأبرزهم الأستاذ « عبد الواحد فان بومل » مدير المركز الإسلامى للإعلام « بلاهاى » والبروفسير « محمد سراج اليسخوت » أستاذ الاقتصاد بالجامعة وقد كتب الاثنان منفردين عددا من الكتب الإسلامية ويشارك الأثنان مع الأستاذ السيد / عادل أمين « وهو مصرى » فى إصدار المجلة الإسلامية الوحيدة بهولندا « القِبلة » .

لم أتعرض هنا للمصريين أو غيرهم من الجاليات الصغيرة فى هولندا فهذه الجاليات قلة صغيرة بجانب من ذكرت ، فيها المسلم الملتزم وفيها غير الملتزم ، وهم يعملون مع الجميع بدون تمييز عنصرى أو مذهبى ، كذلك لم أتعرض للسياسة العربية تجاه المسلمين فى هولندا فالتنافس الليبى - السعودى - على أية حال - كان فى صالح الجالية .

الخلاصة :

إن مستقبل الإسلام فى هولندا سيكون مشرقاً إذا ما تقدم شيئاً عن منواله الحاضر ، وإذا ما ازدادت رعاية المسلمين له ، فعلى العرب المسلمين أن يسعوا لتقوية أواصر الأخوة مع هؤلاء المسلمين المقيمين فى الخارج .

إن هولندا ليست دولة فقيرة والمسلمون فيها لا يحتاجون إلى المال وإنما هم ظامئون إلى العلم للتفقه فى دينهم ، كما أن هولندا دولة هادئة مثل قنواتها الشهيرة .

إن سياسة الدولة الهولندية تقرر عدم التدخل فى عقائد المواطنين ولا المهاجرين ، وقد سمحت الحرية الموجودة بخلق جو من التسامح وإن تسببت فى إظهار تفرق المسلمين وجعلتهم عاجزين عن إنشاء هيئة مركزية تمثلهم وتدافع عن حقوقهم .

إيهاب محمد مهدى
روتردام - هولندا

الإسراء والمعراج

في السُّنة المطهرة ٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخترق السبع الطباق :

روى مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما ـ فرحبا ودعوا لى بخير .

ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير .

قال الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾[1] .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لى بخير .

---

(١) مريم ٥٧

لفضيلة الشيخ
عبد الحميد محمد على ندا

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . وهكذا اجتاز الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كل مقام ، اجتاز مقام سيدنا آدم عليه السلام وهو أبوه ، كما اجتاز مقام جميع النبيين ، وكلهم يلقاه بالبشر والترحاب ويدعو له بالخير لأنه منهم وشاهد عليهم .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٢)

وهذه شهادة الحق ورسله إلى الخلق بنبوته وإيمان جميع النبيين برسالته ووقوفهم جميعاً صفاً واحداً لتأييده ونصرته . وقد تساءل بعض العلماء عن السر من وراء رؤية هؤلاء الأنبياء فقط دون غيرهم فى السموات وعن السر وراء ترتيبهم بهذا الترتيب .

ولعل السر فى ذلك أن هؤلاء الأنبياء الذين رآهم الحبيب المصطفى فى معراجه تنبيه للنبى صلى الله عليه وسلم وأولى العلم من فقهاء أمته إلى أنه صلى الله عليه وسلم سيحصل له مثل ما حصل لهم ، فليصبر كما صبروا - لا سيما - وقد فتح الله عز وجل عليهم فليستبشر بهم .

وكان فى رؤية آدم عليه السلام الذى أخرج من الجنة إشارة إلى خروج المصطفى من مكة ، وهى أحب بلاد الله إلى قلبه كما جاء فى بعض الآثار : « والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » .

وكان فى رؤية عيسى ويحيى فى السماء الثانية إشارة إلى ما سيلقى النبى صلى الله عليه وسلم من عداوة اليهود فى المدينة بعد الهجرة ، كما عادوا عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم ماذا كانت النتيجة ؟ أنجى الله عيسى ورفعه إليه .

وفى رؤية يوسف عليه السلام فى السماء الثالثة إشارة إلى عداوة قريش لدعوته وحربهم وتأليبهم القبائل عليه كما كان من أخوة يوسف عليه السلام ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك السر يوم فتح مكة إذ قال لأهلها : « ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟

قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : أقول كما قال أخى يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٣) .

←

(٢) آل عمران ٨١

(٣) يوسف ٩٢

أما رؤية إدريس عليه السلام فى السماء الرابعة ففيها إشارة إلى ما أعده الله عز وجل من رفعة مكانة ومكان لمن صدق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم . يرشدنا إلى ذلك قول الحق سبحانه :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾(٤) .

وتسمية الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لأبى بكر صبيحة الإسراء بالصديق وأى رفعة لبشر ما بعد أن يكون وحده الرفيق فى الغار ووزيره المختار ثم أول خليفة من بعده فرضى الله عنه .

وفى رؤية هارون عليه السلام فى السماء الخامسة بشارة بعود الصفاء والوئام بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه كما عادت المودة بين هارون وبنى إسرائيل ؛ بيد أنه يلوح لى أنها إشارة أيضاً إلى رفعة وزيره أبى بكر رضى الله عنه ومنزلته كما جاء فى الحديث : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » خطاب لأبى بكر .

أما رؤية موسى عليه السلام فى السادسة فهى إشارة إلى التزام الصبر على إيذاء القوم والحلم عليهم . ومن ثم كانت كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يلقى من القوم عنتا : « يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » .

وفى رؤية خليل الرحمن مسندا ظهره إلى البيت المعْمُور إشارة إلى تمام الأمر يوم أن تزيح يامحمد الأصنام من الكعبة وتقف عندها طائفاً ومُلَبِّياً وينزل الله عز وجل عليك خطابا للمسلمين فى حجة الوداع :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾(٥) .

أشار إلى ذلك كله الإمام السهيلى ونقله عنه صاحب الفتح جـ ٧ ص ١٦٦ .

آدم وذريته :ـ

جاء فى رواية البخارى وغيره عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم . لما كان فى السماء الدنيا رأى رجلاً قاعداً على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى .

قال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح .

فقال لجبريل : من هذا ؟

قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى .

من سنة الله عز وجل فى خلقه وفطرته التى فطر الناس عليها أن يفرح الآباء بسعادة أبنائهم وأن يشقوا ويحزنوا إذا ما أصاب بنيهم مكروه أو ألم بهم أذى .

ومن سنته أيضاً أن يستحى الابن من أبيه وأن الكثيرين من الأبناء لا يقارفون بعض القبائح والسيئات خشية أن يعلم بها آباؤهم .

ولهذا جاءت تلك الصورة مع سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام تعبيراً عن مسئولية

(٤) مريم ٥٦ ، ٥٧

(٥) المائدة ٣

الآباء تجاه أبنائهم وأنهم لابد أن يعملوا جهدهم لإسعادهم حتى لا يستاءوا بهم فى الدار الآخرة كما تعبر فى نفس الوقت عن التزام الأبناء بخلة الحياء تلك الصفة التى لا تأتى إلا بخير . والتى هى والإيمان قرينان وإذا انعدمت مراقبة الآباء للأبناء وذهب ستر الحياء فعلى الدنيا العفاء ، ومن هنا ندرك مجيىء تلك الصورة مع سيدنا آدم عليه السلام فهو أبو الآباء .

رؤية النيل والفرات والكوثر :

جاء فى رواية البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان . فقال : « ما هذان النهران ياجبريل ؟

قال : هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر .

فقال : ما هذا ياجبريل ؟

قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك » .

وجاء فى رواية ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله عنه أن جبريل انطلق بالنبى صلى الله عليه وسلم على ظهر السماء السابعة حتى انتهى به إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رآه .

فقال : ياجبريل ما هذا الطير الناعم .

قال : يا محمد آكله أنعم منه .

ثم قال يامحمد أتدرى أى نهر هذا ؟

قال :

قلت لا ..

قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنيه الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضاً من اللبن .

قال : فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك .

وجاء فى رواية الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه وفى رواية البخارى عن مالك بن صعصعة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى عند سدرة المنتهى أربعة أنهار . نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ..

ويجدر بنا هنا أن نزيل عن القارىء ما قد يراه من إشكال إذ أن النيل والفرات هنا فى الأرض النيل بمصر والفرات بالعراق فكيف يراهما النبى صلى الله عليه وسلم هناك عند سدرة المنتهى ؟

وإذا علمنا أن تلك الليلة هى ليلة العجائب والغرائب ، ليلة الآيات البينات ، ليلة أزيلت فيها الحدود والسدود فالعندية لا توجب القرب المكانى ولا تستلزم أن يرفع ذلك النهران إلى هناك .. وإنما امتد بصر الحبيب حتى رآهما وكأنهما بجانبه ، وإذا كانت العدسات البصرية تقرب البعيد فهل يبعد على من أُصبح يرى بنور الله ـ عز وجل ـ أن يراهما قريبين منه هناك أو فى رؤية الأنهار الأربعة : الظاهران اللذان فى الدنيا والباطنان اللذان يَرِدُهَما المؤمنون فى الآخرة إن شاء الله فذلك إشارة إلى ما امتن الله عز وجل به على المسلمين من نعمة وأية نعمة . أفضل من ماء

يجرى صيفاً وشتاء نشربه ونسقى به أنعامنا وزروعنا وثمارنا ، وذلك نوع من نعم الدنيا ونعيم الآخرة .

أما السر وراء رؤية هذين النهرين ـ النيل والفرات ـ بالذات فإنه الإشارة إلى امتداد نور الدعوة المحمدية إلى شاطئيهما قريباً تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطمينا لقلبه .

والحمد لله فلقد تحقق وعد الله إذ لم يمض ربع قرن من زمان حتى دخل ما بين النهرين فى دين الله .

المرحـــلة الخامســـــة

عند سدرة المنتهى .. وفريضة الصلاة

روى مسلم فى صحيحه والإمام أحمد عن انس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفِيَلَة ، وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربى فقلت : يارب خفف على أمتى فحط عنى خمساً . قال : فرجعت إلى موسى فقلت : حط عنى خمسا . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يامحمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه » .

تعليـــــق :

أشارت تلك الصورة الفريدة التى امتازت بها الصلاة حين فرضها رب العزة سبحانه على المؤمنين من أمة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين أقلام الكاتبين من العلماء وكل منهم انتحى ناحية يبرز فيها أهمية الصلاة عن غيرها من سائر العبادات ، والحق أن جميع ما ذهبوا إليه طيب وجميل وسنوجز ما استطعنا طرفا مما قالوا آملين النفع به بإذن الله .

رسالة خاصة :

يرى بعض العلماء فى انفراد الصلاة عن غيرها من سائر العبادات بفرضيتها فى السماء واستدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

ملك الملوك حتى يأمره بها دون واسطة أنها أمر هام وخطير ليس كبقية الأوامر الأخرى ، يفعل ذلك ملوك الدنيا إذا كان لديهم أمر خطير استدعوا المأمور المختص ليكلفوه به حتى يظل للأمر قداسته وخطورته .

ومن ثم كانت الصلاة رأس الأمر وذرْوَة سنام الإسلام .

الصلاة معراج المؤمنين :

ويرى آخرون منهم : أن الصلاة يقف فيها المؤمن بين يدى ربه يسأله ويناجيه . كما وقف الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ليلة المعراج ، هناك عند سدرة المنتهى يكلم ربه بدون ترجمان ، وكذلك الصلاة تعرج فيها أرواح المخلصين فى معارج القرب ، ويتجلى عليها رب العزة بأنوار الود فينشرح الصدر وينفتح القلب وتحظى النفس ويعم الأنس ومن ثم كانت قرّة عين الحبيب المصطفى فى الصلاة صلوات الله وسلامه عليه وما ذاك إلا لقول مولاه : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ .

ولهذا اشترط لأدائها دون سواها التطهر التام من الحدثين الأصغر والأكبر . أما بقية أركان الإسلام فتصح بدون طهارة حسية بخلاف الطواف .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :

خلق الله عز وجل الإنسان سوى الفطرة مستقيم الخلق والخليقة ، وشرع له من الشرائع ما به تسير فطرته فى مسارها الطبيعى لا تنحرف يمنة ولا يسرة فحرم عليه الموبقات لأنها تجرفه إلى منحدر حيوانى لا يليق به وبتكريم الله إياه ، وأباح له ما لا يترتب على فعله خطر أو ضرر وأوجب عليه ما فيه صلاحه فى معاشه ومعاده .

ولكن عيش الإنسان وسط التيارات والأعاصير قد تتعرض أحاسيسه الخيرة ومشاعره الكريمة لنوع من العطب والتلف تحتاج معه إلى الإصلاح والصقل والتهذيب ، وأى مصلح لنفس الإنسان أعلم من بارئها تعرض عليه كل يوم خمس مرات فَيُقَوِّم ما أعوج ويصح ما فسد ويجمع ما تفرق ، فتخرج من كل صلاة جديدة قويمة وكأنها بعد وليدة لم تقترف إثما ولم تجن ذنباً .

ولا تعترض أخى القارىء على بأفعال بعض المصلين النكراء فهؤلاء ليسوا من الصلاة فى شىء وصدق الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » .(٦)

الصلاة عماد الدين :

ويقول آخرون أن ما حَظِيَتْ به الصلاة واختصت به دون بقية أركان الإسلام لأنها عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، ومن ثم لم تسقط عن المسلم بحال يصلى وهو صحيح ومريض وجد الطهور أم لم يجده ، وفى أى مكان أدركته الصلاة

←

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير والحديث فى الجامع الصغير للسيوطى ٦/٢٢١ رقم ٩٠١٤

فليصلٍ ، أما بقية الأركان فليست بتلك المثابة . فالفقير لا تجب عليه الزكاة وغير المستطيع لا يحج . وقد يظلان كذلك إلى آخر الحياة دون أن يخل ذلك بشيء من إيمانهما ولربما كانا أفضل وأقرب عند الله من كثير من المزكين والحاجين والمعتمرين ، وكذلك الصوم يسقط عن المريض والمسافر والشيخ الهرم ، أما الصلاة فالمريض يقيمها قاعداً وعلى جنبه أو بإيماء ، والمسافر يصلى حتى فى حالة التحامه فى القتال مع الأعداء كما أن الصوم شهر واحد فى السنة يصوم نهاره فقط ، والزكاة قد تؤدى فى يوم أو فى ساعة والحج مرة فى العمر ، أما الصلاة فدائمة فى جميع الأوقات فى الليل وفى النهار وليست مرة أو مرتين ولا ركعة أو ركعتين بل هى خمس مرات وأربع ركعات فى أكثر الصلوات يقف فيها المؤمن مناجياً ويركع محييا ويسجد متذللا خاشعاً قانتا لله رب العالمين .

وأن ما يستدعى التأمل والدهشة أنك ترى المؤمنين يصلون في جميع الأوقات لله رب العالمين إذ أن أوقات الصلاة ترتبط بدوران الأرض حول الشمس فالظهر يحين وقته في مكة قبل مصر ، وفي مصر قبل المغرب ، وإذا كان في جميع بلاد العالم اليوم مسلمون فمعنى ذلك أن تكبيرة الظهر يتردد صداها في كل حين وكلما انتهى المؤذن في بلد من الآذان تلاه آخر في أقرب البلدان ، وهكذا في جميع الصلوات .

الصلاة جامعة لبقية أركان الإسلام :

ويقول بعض العلماء وهو قول جد طريف : إن فى الصلاة حجا إلى بيت الله الحرام ذلك لأنك تستقبله وتستحضره أمامك ، والحج قصد البيت وقد قصده المصلى بنظره وولى وجهه شطره ، وإذا ما أزيلت الحجب والسدود نظر المصلى إلى الكعبة بيت الله ، وفي الصلاة زكاة لأنها اقتطاع جزء من الوقت لله وإذا كان الزمن في عرف علماء الاقتصاد يتحول إلى ثروة فكل وقت عملت فيه أنتجت شيئاً وزادت ثروتك فإذا اقتطع المسلم جزءا من وقته للصلاة فإنه قد أدى به نوعاً من الزكاة ، وهل المقصود من الزكاة إلا تضحية المؤمن بجزء من ماله حتى لا يرتبط دائماً به ويصير له عبدا أسيراً وإلا فالله غنى عن العالمين ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة أغنياء جميعاً ، ولكن فعل ما فعل ليبلو بعضكم ببعض فناظر كيف تعملون .

كما أن في الصلاة صوما ولو لمدة يسيرة عن الطعام والشراب بل وعن الكلام والعمل ، وإذا كانت كل صلاة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فماذا بقى من أركان الإسلام لم تحوه الصلاة ؟

تحفة الحق :

وفى ختام ما يذكره سادتنا العلماء في بيان أفضلية الصلاة يقولون : إن فرضية الصلاة كانت ليلة الإسراء تحفة من الحق لأمة سيد الخلق إذن لهم باللقاء خمسين مرة كل يوم كى يمن عليهم بنوره ويحظوا بلذة أنسه ، ولكن خوف موسى عليه الصلاة والسلام أن ينال خير أمة اخرجت للناس ما نال بنو إسرائيل من كسل وفتور وقد منحوا فرصتين فقط للصلاة في الغداة والعشى فما وافوا باب مولاهم

المفتوح ، وهو يعلم علم اليقين أن لا شيء يغضب ملك الملوك مثل إعراض العبيد وقد نودوا وفتحت لهم الأبواب فخشى موسى صلوات الله وسلامه عليه ، علينا أن نصاب بما أصيب به بنو إسرائيل ، ومن ثم استجاب لرجائه خاتم النبيين ورجع إلى ربه مرات يسأله التخفيف خشية من أن يحل على أمته غضب الجبار فتصاب بما أصيبت به بنو إسرائيل من تمزق واختلاف وقتل وتشريد .

ويستجيب رب العزة لرجاء حبيبه فيجعلها خمسا فى الأداء وفى الأجر والمثوبة خمسين ، وتلك نعمة ما بعدها نعمة وتكريم دونه كل تكريم ، وهدية رب العالمين لأمة خير المرسلين ، وقد يرجع زوار الملوك بهدايا لأنفسهم أو لذويهم أما أن يرجع الزائر من عند المزور بهدية له ولجميع من تبعه من وجد منهم ومن لم يوجد بعد وأن يظل العطاء سابغا تاما إلى يوم الدين فذلك كرم خاص لزائر خاص ، وكيف لا وهى منحة أكرم الأكرمين لمن قال فيه مولاه :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .(٧)

ولقد تجلى حرص الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ورأفته ورحمته بأمته ليلة الإسراء واضحاً جلياً في تلك المراجعة بين ربه سبحانه وبين أخيه موسى عليه السلام ، فهو حريص على أن يأخذ الهدية كاملة وتامة غير منقوصة ، وموسى عليه السلام يذكره بضعف الأمم وعجزها أمام مغريات الحياة وأعبائها فيعود إلى ربه لسانه يسأله التخفيف فقط في الأعباء وقلبه كله حرص على الهدية والعطاء ولم يسأل أبداً التقليل من العطية .

ويعلم ذلك رب العزة من سؤال حبيبه التخفيف فخفف وحط منها حتى جعلها خمساً وأبقى الهدية كما هى خمسين صلاة ، وهذا هو سر حياء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه وقوله لأخيه موسى عليه السلام : « قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه » .

تحفـــة ثانيـــة :

نألم كثيراً إذا ما أخبرنا صديق أنه كان ينوى زيارتنا ، ولكن شغله عنا بعض ما يشغل الإنسان ، ونرى في ذلك تقصيراً في حقنا وتفضيلاً للغير عنا ، كما نجزع ونحزن وربما قطعنا ما بيننا من وشائج الود وعلائق القرب واستبدلناها بإحَن وعداوات إذا ما علمنا أن بعض الناس كان يريد لنا شراً أو ينوى لنا سوءاً ولكنه أرغم على ترك ما عزم عليه أو حالت بينه وبين إيذائنا بعض الحوائل . وهذا منطق عقلى وفطرى تقتضيه سنة العدل ومقابلة المثل بالمثل . أما فى ليلة الإسراء فلقد زادت هدايا الجليل على كل ما يتصوره عقل ومنطق ، وارتفعت إلى حد لا يتناسب إلا مع أكرم الأكرمين رب العالمين ،

لقد أتحف الله عز وجل الأمة الإسلامية تكريماً لنبيها صلوات الله وسلامه عليه في تلك

←

(٧) التوبة ١٢٧ .

الليلة بأن جعل مُجَرّدِهَمٍّ المؤمنين منهم بفعل الخيرات حسنة يجزون عليها ويثابون بها في دنياهم وأخراهم فإذا ما أبرزوها إلى حيز الفعل والتنفيذ كتبها الله عز وجل لهم عشر حسنات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء ، أما من هَمَّ منهم بسيئة فإنها لا تكتب شيئاً لا تكتب ابدا في صحيفة المؤمن والله عز وجل عليم بخطرات النفوس وما تجيش به القلوب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولكنه الكرم الفياض من لدن رب العالمين ، ثم إذا ما بادر العبد سيده بالعصيان فإن العدل هو الحكم الآن تكتب سيئة واحدة فقط ومازال باب التوبة مفتوحاً فهو غفار الذنوب وإذا ما أتبعها العبد بحسنة محتها من صحائفه ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾(٨) بل ربما يكون ذلك العبد من أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات .

كانت تلك الهدية بعد فريضة الصلاة أوحى الله عز وجل بها إلى نبيه ضمن ما أوحى « يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة » .

المرحلة السادسة :

ما بعـــد الإســـــراء

روى الشيخان وأحمد عن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس قمت من الحجر فجلا الله لى بيت المقدسن فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وروى البيهقى عن ابن شهاب أن ناسا من قريش ذهبوا إلى أبى بكر فقالوا : هل لك من صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة فى ليلة واحدة .

فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟

قالوا : نعـــم .

قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق .

قالوا : افتصدقه من أن يأتى الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ .

قال : نعم . أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء .

قال أبو سلمة راوى الحديث : فبها سمى أبو بكر الصديق .

وفى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أبا جهل قال : ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة ببيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرا ، ومقفلة

(٨) هود ١١٤ .

شهرا فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهم بعير لقريش كما كنت فى مصعدى رايتها فى مكان كذا وأنها نفرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا ومتاعه كذا وكذا .

فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء . فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فإن يك محمد صادقا فسأخبركم وإن يك كاذبا فسأخبركم . فجاء ذلك المشرك فقال : يامحمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرنى كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟

قال : فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته . قال : بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا .

فقال الآخر : صدقت ، فرجع إليهم فقال : صدق محمد فيما قال .

وفى رواية الترمذى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمشركين : « أن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد .

ثم قال : إن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سَوْداوان » فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

خاتمــــة

وفى ختام الحديث عن الإسراء والمعراج وما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهما من المرائى نقف وقفة يسيرة نحاول فيها أن نجيب على بعض ما يرد على الأذهان من أسئلة واستفسارات .

وأول تلك الأسئلة هو : لماذا امتحن الله عز وجل الناس وهم حديثو عهد بالدين الجديد جلهم وأكابرهم كفار والمؤمنون قلة مستضعفون في الأرض لا يحتملون ما يثيره ذلك الحدث العجيب من فتنة ولا قبل لهم بما يجره عليهم من أعاصير ؟ .. والحق أن الله عز وجل قد أجاب بقوله :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾(٩) .

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾(١٠) .

إذ أن أمر الدين أمر خطير ودائرة العقيدة لا تتسع لمنافق ولا لمداهن : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١١) .

وكأن الله عز وجل يقول للناس جميعاً من

(٩) الإسراء ٦٠ .

(١٠) الأنفال ٤٢ .

(١١) البقرة ٢٥٦ .

لدن ظهور الإسلام إلى يوم القيامة إنه يقوم في كثير من أسسه على الغيب فإما أن تقبلوه ، وإما أن ترفضوه من أول الأمر ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(١٢) فالله غنى عن العالمين لا يزيد في ملكه ومجده كثرة المؤمنين ، ولا ينقص من تعاليه وعظمته كثرة الكافرين ،

وإنما الله عز وجل يريد فقط سعادتكم ونفعكم أنتم ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، وليس فى إيمان الثقلين جميعاً بما جاء به خاتم المرسلين عز له وتأييد فعزه من الله وهو وحده ناصره ومؤيده ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾(١٣) فليعتقد كل مسلم أنه بإسلامه قد أريد به هو خيراً ولا داعى أبدا لأن يمن أحد بإسلامه على الله ورسوله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾(١٤) ومن ثم مدح الله عز وجل المؤمنين في كثير من أى كتابه بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾(١٥) وكان أبو بكر رضى الله عنه صديقاً فحين سمع خبر الإسراء من المشركين قال : « أنتم تكذبون عليه » فحين عرض الأمر أولاً على عقله رآه كذبا منهم وافتراء ولما علم منهم صحة الخبر وصدقه قال : إن كان قد قال ذلك فلقد صدق ، أنا أصدقه بأبعد من ذلك أنا أصدقه بخبر السماء يأتيه .

التدرج في التشريع لا في العقيدة

ولا بد من توضيح نقطة ثانية هنا وهى أن الإسلام حين أمر الله عز وجل نبيه محمداً بتَبْليغه قد أخذ صورتين اثنتين :

الأولى : التشريع مرة واحدة بدون تدرج وذلك إنما يكون في أمر العقيدة لأنها لا تحتمل إلا القبول أو الرفض ولا مجال أبدا للتدرج ذلك لأنها مبنية على العقل فمن استقام عقله قبل عقيدة التوحيد ومن كان بعقله مرض أو سقم رفضها ، ولعل ذلك يفسر لنا ما صح في سبب نزول سورة (الكافرون) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا فأخذت بحظك منه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وتعليقنا على ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أن ما عنده خير وليس بأيديهم أى خير بل هو شر كله فلماذا لم يقبل حتى تتعود قلوبهم على الإيمان فتؤمن ؟ .

إن الله عز وجل قد رفض ذلك الرفض البات لأن أمر العقيدة لا تدرج فيه ولا يقبل

(١٢) الكهف ٢٩ .
(١٣) التوبة ٤٠ .
(١٤) الحجرات ١٦ .
(١٥) البقرة ٣ .

إلا كلمة واحدة هى « نعم » أو « لا » لارتباطه بالعقل وحده ، أما الأمور التى ترتبط أولاً بالغرائز والطباع فإنا نرى فى التدرج فيها رفقاً وهوادة حتى يتعود الناس هجر ما ألفوه بعد أن صحت عقيدتهم واستقامت على النهج الصحيح خطاهم .

ويوضح لك أخى القارىء ما نقول مثل بسيط وإن لم يكن كاملاً من جميع الوجوه . الشخص المريض إذا عرضت عليه أن تحضر له طبيباً يداويه فإنه يقبل ذلك العرض ولا يرفضه اللهم إلا إذا كانت قواه العقلية مختلة وغير متزنة ثم إذا جئته بالدواء الذى وصفه الطبيب وأخذ منه أول جرعة تقزز واشمأز وربما فضل الموت على الشفاء على أن الحاذقين من الأطباء يعطونه أول الأمر جرعات خفيفة ثم تكبر شيئاً فشيئا حتى تستقيم مع حسه وجسمه .

فمسألة العرض على الطبيب لا تحتمل المناقشة لأنها معروضة على العقل وحده ، أما تعاطى الدواء فأمر يشترك مع العقل فيه الحس والنوازع ومن ثم احتمل أن يكون على جرعات وفي فترات إذ أن جرعة واحدة منه كبيرة ربما تفتت الجسم كله وتعرضه للضياع .

اما السؤال الثانى : فهو عن موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الحدث الجليل وإخبار القوم به وهو يعلم أنهم لابد مكذبوه سيما وقد أخبرته أم هانىء بذلك فقالت له : يا رسول الله لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك فيقول : والله لأحدثنهم به .

تصميم وثقة وكيف لا يكون من رسول الله الحق برسالة الحق مثل ذلك التصميم وتلك الثقة وقد أمره مولاه بالتبليغ وعدم خشية الناس ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .(١٦)

ولو كان لخشية الناس اعتبار في أمر الدعوة ما ظهرت وما انتشرت وتكذيب العامة لكل ما غرب عن أعرافهم وغاب عن معتقداتهم أمر مشهور ومعروف ، ومن ثم راينا رسل الله جميعاً بلغوا عن ربهم ولم يضعوا أى اعتبار لأقوامهم وقوبلوا جميعاً بمثل ما قوبل به وما أروع مقالة سيدنا هود عليه السلام لقومه حين كذبوه واتهموه بأن بعض آلهتهم قد مسه بسوء ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ .(١٧)

وما كان موقف كفار مكة بأقل من موقف من كفر من قبلهم فتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

←

(١٦) المائدة ٦٧ .

(١٧) هود ٥٤ ـ ٥٧ .

ولعل في ذلك الموقف الشجاع من أنبياء الله جميعاً ورسله ما يحفز همم المؤمنين بدين الله أن يعلنوا دينهم في صراحة وأن يشهروا مبدأهُم غير مبالين بأى عدو مهما كان عنده من عدة وعتاد ومهما قل أتباعهم وانعدم ناصرهم ، لا مجال إذن لإخفاء الحق عن مسامع الخلق حتى لا يستاءوا أو حتى لا نصاب بالأذى فتلك مقالة من لم يشرب قلبه حب الله وحب رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، أما المؤمنون فلقد كان في موقف أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه ما يعبر عنهم أكمل تعبير إن كان قاله فلقد صدق .

ولا تلتفت أخى القارىء إلى أولئك النفر الذين ارتدوا عن الإسلام فإن الله عز وجل قد أراد أن يُخلص المسلمين منهم بادىء الأمر حتى لا يكونوا مثبطين وسط جمع المسلمين ، إن الدعوة لا تحتمل في أول ظهورها أعباء مرضى النفوس من المنافقين ، ولذلك جاءت تلك الفتنة حدث الإسراء والمعراج ليذهبوا إلى غير رجعة .

أما بعد عِزِّ الإسلام ومجده وبعد تكوين دولة ذات شوكة له فى المدينة فأصبح لا يخشى من وجود بعض المنافقين والمؤلفة قلوبهم وسط المؤمنين ، إذ لا ضرر يخشى منهم فالإسلام عزيز وبقاؤهم تحت حوزة المسلمين وفي متناول أيديهم تمكين لأولادهم ونسائهم واتباعهم من أن يمتد إليهم نور الإيمان ويمارسون شرائعه وعباداته في مأمن من المنافقين لو كانوا قد جوهروا بالعداء .

بقى لنا سؤال أخير نختم به هذا الحديث وهو أن الله عز وجل قد ذكر الإسراء صراحة في كتابه ولم يذكر المعراج إلا ضمنا في سورة النجم بيد أن السنة قد تحدثت عنهما صراحة .

والجواب عن ذلك أنها الرحمة من الله عز وجل بخلقه فحين تتقبل العقول شيئاً ذكره لهم صراحة وكلفهم به تكليفاً لازماً والناس في عصر الدعوة لم يكونوا قد عرفوا شيئاً عن الطيران في الهواء ولا عن الصعود إلى السماء فرحمة بهم ذكر خبر المعراج بدلالة ضمنية ، ولذلك قال العلماء : إن من أنكر الإسراء فهو كافر خارج عن الملة . أما من أنكر المعراج فهو فاسق مكذب للسنة .

ويوضح لنا أن أمر الإسراء والصعود في السماء كان أمراً لا تستطيع جميع العقول تحمله ، ذلك الخلاف الكبير بين علماء المسلمين هل كان الإسراء يقظة أو مناماً ؟ بالروح أم بالروح والجسد ؟

والحق كما قررنا أنه كان يقظة بالروح والجسد معا والله يهدينا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبد الحميد ندا

من أعلام الأزهر

العلامة الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة

الجارم الشاعر

العلامة الشيخ

عبد الرحمن محمود قراعة

مفتى الديار المصرية الأسبق
وعضو هيئة كبار العلماء

٢

بعد عودة فقيدنا العظيم (رحمه الله) من رحلة الحج المباركة بقليل حصل على العالمية بعد نجاحه بامتياز فى الامتحان الذى كان قد وضع نظامه « الشيخ العباسى » فى مشيخته الأولى لمن يريد التدريس بالأزهر .

وبعد حصوله على العالمية قام بالتدريس فى الجامع الأزهر ، فلما رأى طلاب الأزهر فى ذلك الوقت أن فقيدنا العظيم « رحمه الله » يمتاز بعمق فهمه للعلوم المختلفة وتضلعه فى فقه اللغة العربية وطول باعه فى الأدب . وشرحه لدروسه بجميع خلفياتها شرحاً واضحاً جليا بأسلوب سهل ممتنع بليغ اتسعت حلقة دروسه وذاعت شهرته . وكان هذا الاشتهار سبباً فى لفت أنظار القائمين بالأمر إليه فى ذلك الوقت فصدر قرار عام ١٨٩٧ ميلادية بتعيينه مفتياً بمديرية سوهاج . ولم يكن قد جاوز الرابعة والثلاثين من عمره .

كان الشيخ حسونةالنواوى (رحمه الله) ثانى اثنين يجمع بين مشيخة الأزهر ومنصب **الإفتاء** . وفى عام ١٣١٧ هـ وأواخر عام ١٨٩٩ م . ترك المشيخة وترك الإفتاء فصدر قرار بتعيين الإمام الشيخ محمد عبده فى هذا المنصب خلفاً له ، وكان بين فقيدنا العظيم (رحمه الله) وبين فضيلة الإمام صداقة وثيقة روحية أبوية أخوية لدرجة أن فضيلة الإمام (محمد عبده) كان يصرح فى بعض مجالسه بأن « عبد الرحمن قراعة » هو أكبر أولاده وأصغر إخوته ، وقد حضر معه بعض دروس الشيخ جمال الدين الأفغانى وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب . وحينما علم

* مفتش العلوم الدينية بالأزهر الشريف سابقاً .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى *

فقيدنا العظيم « رحمه الله » بهذا التعيين اعتكف مدة كتب فيها قصيدة رائعة مهنئاً صديقه وأباه وأخاه ـ على حد تعبير الإمام رحمه الله ـ بمنصب الإفتاء .

نذكر منها هنا بعض ما تسمح به الظروف لبيان المكانة العالية التى بلغها فقيدنا العظيم (رحمه الله)

فى الشعر والأدب يقول فيها :

بهـديـك فى الفتـوى إلى الحق نهتـدى
ومن فيض هذا الفضل نجـدى ونجتدى
سمـت بـك للـعليـاء نفس أبيـة
وعـزمـة مـاض كـالحسام المجرّد
ورأى رشيـد فى الخطـوب وحنكـة
وتجـربـة فى مشـهـد بـعـد مشـهـد
وعلـم كنـور الشمس لـم يـك خـافيـاً
عـلى أحـد إلا عـلى عـين أرمـد
لكـل زمـان مـن بنيـه مجـدّد
لمـا أبلـت الأهـواء مـن ديـن أحمـد
وقـد علـم الأقـوام أن (محمـداً)
مجـدّد هـذا الـدين فى اليـوم والغـد
إليـك أزف المـدح شـعـراً مُقصَّـداً
عـلى بعـد عهـدى بـالقـريض المقصـد
لأبلـغ نفسى بـامتـداحـك سـؤلـهـا
وأقضى حقـاً لـم يكـن بمجـدد
فجـاء عـلى قـدرى ولكـن شـافـعـى
لـدى قـدرك السـامى نبـالـة مقصـدى
وهنـأت نفسى ثـم هنـأت مـعشرى
وهنـأت أوطـانـى بمـا نـال سيـدى

الشيخ عبد الرحمن محمود قراعه

بقى العلامة الشيخ (عبد الرحمن قراعة) فى وظيفة الإفتاء بمديرية سوهاج مدة تسع سنوات يقوم بواجبها على أحسن وجه وأكمله إلى أن صدر قرار فى عام ١٩٠٦ م بترقيته إلى وظيفة قاضى مديرية أسوان . ولم يستمر المقام به فى أسوان إلا سنتين فقط حيث صدر قرار فى عام ١٩٠٨ م بترقيته إلى قاضى مديرية الدقهلية ..

تعيينه رئيساً لمحكمة بنى سويف الشرعية

اشتهر فقيدنا العظيم (رحمه الله) بالعدل فى قضائه . وإصدار أحكامه فى

القضايا التى كانت ترفع إليه مستَنْبطَةً من الكتاب والسنة طبقاً للقواعد الأصولية المتفق عليها مع وضعه فى الاعتبار مواد لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التى كانت قد صدرت . ولما اشتهر بهذا وذاع صيته فى الدوائر القضائية صدر فى عام ١٩١١ م قرار بتعيينه رئيساً لمحكمة بنى سويف الشرعية .

تعيينه عضواً بالمحكمة العليا الشرعية ثم نائباً لها

فى مدى سنوات ثلاث رقى فقيدنا العظيم (رحمه الله) إلى عضو بالمحكمة العليا الشرعية ثم إلى نائب لهذه المحكمة تقديراً لعمق تفهمه لمكانة القضاء وأمانته فيه .

تعيينه مديراً للجامع الأزهر الشريف

فى عام ١٩١٤ ميلادية صدر قرار بتعيين « فقيدنا العظيم » مديراً للجامع الأزهر الشريف . وقد بذل جهده فى النهوض بالتعليم الدينى وباللغة العربية فى المدة التى قضاها مديراً للجامع الأزهر الشريف . وتمكن من الوصول إلى مدى بعيد فى هذا الشأن .

أعاد إلى الأزهر الشريف شبابه . وكل من تخرج فى الأزهر الشريف إلى الثلث الأول تقريباً من القرن العشرين تخرج عالماً فقيهاً أديبا بصماته واضحة فى حياته العلمية والوطنية تشهد بذلك ثورة سنة ١٩ حيث كان علماء الأزهر يتولون صدارة حركاتها .

رحم الله « عز وجل » هؤلاء العلماء الذين ارتحلوا إليه بعد حياتهم الحافلة بالخدمات الدينية والعلمية والوطنية التى قدموها عن طواعية قياماً بواجبهم .

وأمد الله (سبحانه وتعالى) فى عمر من لا يزال منهم على قيد الحياة يداوم على العطاء فى مختلف جوانب الحياة .

توليه منصب الإفتاء

آخر المناصب العالية التى تولاها « فقيدنا العظيم » كان منصب مفتى الديار المصرية .

ففى ٣٠ من ربيع الآخر عام ١٣٣٩ هـ الموافق ٩ من يناير عام ١٩٢١ م صدر قرار بتعيينه مفتياً للديار المصرية . ظل يشغل هذا المنصب العالى ويقوم بأعبائه الكبيرة مدة سبع سنوات . ترك فيها بابه مفتوحاً لكل من التجأ إليه يستفتيه فى أمر من أمور دينه حتى بلغ مجموع الفتاوى التى أصدرها طوال هذه المدة حوالى ٣٠٦٥ فتوى شملت كل ما يهم المسلمين فى أمور دينهم ودنياهم ..

ويا حبذا لو تكرمت دار الإفتاء بجمع هذه الفتاوى وطبعها وتوزيعها على الجماعات الدينية والهيئات العلمية والأفراد الذين يتمنون العثور على كنوز السادة علمائنا

وأساتذتنا الأجلاء لينتفعوا بما فيها من آراء وأحكام تفيد المسلمين فى حياتهم الحاضرة[1] .

إحالته إلى التقاعد

فى اليوم السابع من شعبان عام ١٣٤٦ هـ . الموافق لليوم الثلاثين من يناير سنة ١٩٢٨ م صدر قرار إحالته إلى التقاعد لبلوغه السن القانونية .

تعيينه عضواً بجماعة كبار العلماء

اعترافاً من القائمين بأمر الجامع الأزهر الشريف بأن فقيدنا العظيم « رحمه الله » كان أستاذ أساتذة عصره . ومن فطاحل علماء عهده فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية صدر قرار بتعيينه عضواً بجماعة كبار العلماء ليجلس على الكرسى الذى أهّله علمه وفضله وعطاؤه ليجلس عليه .

اتصاله بالصفوة المختارة من علماء وأدباء ومفكرى مصر والخارج

إن غزارة علم « فقيدنا العظيم » وطلاقة لسانه ، وسرعة بديهته ، وسحر بيانه ، ونقاوة باطنه وظاهره ، وحرصه الشديد على التمسك بدينه والحفاظ عليه والدفاع عنه . وإنكاره الشديد على متهاونه ومخالفه ، كل ذلك شد إليه انتباه كبار المفكرين من العلماء والأدباء والساسة فكانوا يقصدونه فى منزله بباب الوزير حيث كانت تعقد به الندوات الدينية والعلمية كل ليلة بلا انقطاع . كان من بين الذين يترددون ويحرصون على حضور هذه اللقاءات أصحاب الفضيلة . الشيخ أبو الفضل الجيزاوى . والشيخ الأحمدى الظواهرى ، والشيخ محمد شاكر ، والشيخ الشافعى الظواهرى . والشيخ إبراهيم بصيلة ، ومحمد على علوبة باشا ، وسيد خشبة باشا ، ومحمود بسيونى باشا وغيرهم .

ولما جاوزت شهرته حدود مصر إلى العالم الإسلامى نشأ بينه وبين كثير من علمائه وأدبائه ومفكريه صداقات متينة . وكان تبادل الرسائل الأخوية والعلمية بينه وبينهم لا ينقطع ، وإذا حضروا إلى مصر قصدوا بيته لزيارته . وكان « رحمه الله » شديد الحرص على الاحتفاظ بصداقة أصدقائه فى الداخل والخارج . والعمل على توثيقها لتكون قائمة لله وفى الله . وإذا فقد أحد أصدقائه دمعت عينه وحزن قلبه ورثاه بقصيدة كلما قرأتها أحسست مدى ما أصاب « فقيدنا العظيم » من لوعة وحزن وأسى على فقد صديقه . نذكر هنا من باب المثال أبياتاً من قصيدة له رثا بها صديقاً له عزيزاً عليه ، قال فيها :

←

(١) أصدرت دار الإفتاء مجلدات عدة فاخرة تتناول مختارات الفتاوى ، فى حقبة من الزمن تزيد على الثمانين من السنين منذ ٧ من جمادى الآخرة ١٣١٣ هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٨٢٥ ، عقد العزم على إبرازها للدارسين مفتى الديار المصرية فضيلة الشيخ « جاد الحق على جاد الحق » « الإمام الأكبر شيخ الأزهر » الحالى وفقه الله وسدد خطاه .

كفـى بى حـزنـاً أننـى صرت نـاعيـا
لنفسى نفسـا فى فنـاهـا فنـائيـا
فيـادمـع أنجـدنـى فمـا لى منجـد
سـواك فـإنى قـد فقـدت اصطبـاريـا
ويـاحـزن لا تـرحـل فمـا لـك مـوطن
تقيـم بـه إلا صميـم فـؤاديـا
ويـاحسرتـى فى كـل يـوم تجـددى
ويـالـوعتـى لازدت إلا تمـاديـا
فـوا أسفـى لـم أُغْـن عنـه ولـم أكـن
بنفسى لـه ممـا قضى اللـه واقيـا
وكنـت لكـأس البـين أول شـارب
عـلى أننى مـا زلت مـن بعـد ظـاميـا
ففقـد وحـزن واغتـراب ووحـدة
ودمـع يجـارى الهـاطـلات الفـواديـا
فيـاسيـدى هـل أنت للشعـر سـامـع
كمـا كنـت إذ أتلـو عليـك القـوافيـا
يـعـز عـلى الـعليـاء أنـى مسمـع
ضريحـك من بعـد المـديـح المـراثيـا
فـلا زلـت جـاراً (للكـريم) مقـربـاً
لـديـه وفى جنـات « رضـوان » ثـاويـا
ولا زال دمـعـى فـوق قبـرك مُشْبـهـاً
لجـودك بـين النـاس ينهـل جـاريـا

(فقيدنا العظيم) رحمه الله كما كان شديد الحرص على الاحتفاظ بصداقة أصدقائه كان شديد الحزم بالاحتفاظ بحسن علاقته مع الله (سبحانه وتعالى) والدفاع عن كتابه وسنة نبيه « صلى الله عليه وسلم » لا يخاف لومة لائم ، ويسارع بكل عزم المؤمن الصادق ـ دفاعاً عن دين الله وكرامة الإسلام والمسلمين ـ إلى أن ينكر بكل شدة على المخالف كائناً من كان ، وفى أى مكان أو محفل أو مجتمع وجد فيه .

إنكاره على رشدى باشا الفطر فى شهر رمضان

كان قانون مجلس البلاط الملكى ينص على أن يتولى رياسة رئيس مجلس الشيوخ . ويحضر جلساته أعضاء بحكم مناصبهم ، وأعضاء معينون . وفى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين (ما بين عامى ١٩٢٤ و١٩٢٦) انعقد مجلس البلاط فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك برياسة حسين رشدى باشا رئيس مجلس الشيوخ آنذاك . وبمحضر من أصحاب الفضيلة الأساتذة « الشيخ أبو الفضل الجيزاوى » شيخ الجامع الأزهر ، و « الشيخ محمد مصطفى المراغى » رئيس المحكمة العليا الشرعية ، وفقيدنا العظيم « الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة » مفتى الديار المصرية وعدد من كبار المستشارين والمحامين من المسلمين والمسيحيين . وأمام هذا الجمع المحترم وفى شهر الصوم المكرم أخرج دولة الباشا رئيس المجلس سيجارة من جيبه وأشعلها منتهكاً حرمة شهر الصوم الكريم ، وكرامة أصحاب الفضيلة كبار علماء مصر وشيوخ الدين وإذ هم أصحاب الفضيلة بالاحتجاج أسرع فقيدنا العظيم العلامة « الشيخ عبد الرحمن قراعة » مفتى الديار المصرية فأنكر بكل شدة على هذا الباشا انتهاك حرمة شهر الصوم الكريم ولم يعبأ بمحاولة بعض الحاضرين الدفاع عن دولة الباشا بقوله : « لعل الباشا مريض » فرد

عليه فضيلة المفتى « رحمه الله » فأفحمه قائلاً : ينبغى عليه أن يستتر - لا أن يستهتر - احتراماً لهذا الشهر الكريم[٢] .

هكذا كان « فقيدنا العظيم » رحمه الله تعالى يقول قول الحق بكل اعتزاز بدينه وعلمه وواجبه فى كل مجتمع ، وفى أى مكان ولو كان « قصر عابدين » يقول قول الحق ولا يخاف لومة لائم .

فقيدنا العظيم « رحمه الله » كما كان معتزاً بدينه وكرامته وعلمه كان كذلك معتزاً بأزهريته وزيه . سافر إلى أوروبا لزيارة مكتباتها العلمية الزاخرة بالكتب القيمة - كما كان علماؤنا من السلف الصالح يقطعون الفيافى والقفار للالتقاء بعالم أو اقتناء كتاب - وليشترى منها ما يمكن شراؤه ليضمه إلى خزانته العلمية فكان يمشى فى أكبر شوارع فرنسا بزيه الأزهرى - العمامة والجبة والقفطان - فخوراً به ومعتزاً أيما اعتزاز ، لأنه رمز الأزهر المعمور ، فالاعتزاز به اعتزاز بالأزهر ، وفى الوقت نفسه كان يرى أن الإنسان يجب عليه أن يعتز بكل الاعتزاز بما آتاه الله « عز وجل » من علم وفضل وتقى لا بما يتزيا به من زى . وكان يرى من الصغار أن يغير الإنسان زيه ، كما كان يرى من الجهل تقدير الناس بأزيائهم[٣] .

ولقد ظل فقيدنا العظيم « رحمه الله » حتى بعد إحالته إلى التقاعد يقوم بالعطاء العلمى والفكرى والأدبى دون انقطاع وظلت داره بباب الوزير حافلة كل ليلة بالأمسيات الدينية والعلمية والأدبية التى كان يحضرها علية القوم وأصحاب الفكر والرأى ، كما سبق أن ذكرنا ذلك بالتفصيل .. ولعل انشغاله بالوظائف الكثيرة التى تولاها ، واعطاءه كل وظيفة منها كل وقته ليقوم بواجبه نحوها على الوجه الأكمل . ثم انشغاله بالندوات التى كانت تقام بمنزله العامر ليليا . كل ذلك لم يترك له فرصة للتفرغ للتأليف رغم رسوخه فى مختلف العلوم والفنون . وبعد تقاعده لم يكن من السهل على « فقيدنا العظيم » القيام بالتأليف اللائق بعالم يفخر الأزهر المعمور بتخرجه فيه . إما لكبر سنه أو لضعف صحته . والتأليف يعتمد كل الاعتماد - بعد التبحر فى العلوم - على الصحة ، إذ من غيرها لا يستطيع العالم القيام بالحركة الدائبة بحثاً عن المراجع والاطلاع عليها ومقارنة الأدلة بعضها ببعض وبيان قوة بعضها وضعف البعض الآخر ، لأن ذلك يحتاج إلى قوة وصحة وصبر وجهد قد لا يتيسر كل ذلك لمن جاوز السبعين من عمره . ولا يعرف عنه أنه ترك مؤلفات علمية اللهم إلا بحث فى « النذور وأحكامها » تم طبعه فى عام ١٣٥٥ هـ الموافق عام ١٩٣٦ م ، وكذا مجموع الفتاوى الموجودة بدار الإفتاء ، ويبلغ عددها حوالى ٣٠٦٥ فتوى .

وإذا كان فقيدنا العظيم « رحمه الله » لم يترك مؤلفات علمية سوى ما ذكرناه فإنه ترك مجموعة ضخمة من القصائد الثمينة قالها فى

---

(٢) راجع ماكتبه الأستاذ محمود على قراعة فى كتابه « ملخص الأصول القضائية » صـ ١٩ .

(٣) راجع كتاب « الشيخ عبد الرحمن قراعة » كأديب بقلم الأستاذ محمود قراعة صـ ١٣٧ .

مختلف الأغراض برهن فيها على أنه الأديب الذى يترجم بالشعر والنثر معانى دقات القلب وخفقانه ، ويصور فى أحسن الصور المعنوية كل ما يشعر به ، وكل ما يجول فى فكره ويجيش فى صدره[٤] .

وقد ساهم بشعره فى الحركات الوطنية ـ الثورة العرابية والثورة المصرية سنة ١٩١٩ قال فى قصيدة له فى الثورة العرابية :

ما المجد إلا بين أطراف القنا
وظبا السيوف فيا لها من مقتنى
إن أبعدا إن أمكنتهم فرصة
وثبوا بجمعهم فلا بلغوا المنى

وله قصيدة رائعة فى حادثة إطلاق الرصاص على سعد زغلول باشا ، مطلعها :

أيها الموقظ عين الفتن
لم تُرقْ إلا دماء الوطن

وله قصيدة طويلة وجهها إلى الشيخ محمد الأنبابى بها أبيات رائعة فى مدحه . منها :

ملاذى وأستاذى وكهفى ومعقلى
ووالد روحى البر إن شاء أو أبى
(محمد الانبابى) أندى الورى يدا
وأقومهم فى نصرة الحق مذهبا
وأوضحهم عند الدراية حجة
وأعذبهم عند الرواية مشربا
إليه شيوخ العلم تزجى ركابها
لإدراك ما لم يدركوا زمن الصبا
به « الأزهر المعمور » أطلع كوكباً
منيراً إذا ما ضاء لم يبق كوكبا

إلى أن يقول :

ودم سالما للدين تحمى ذماره
وللمجد تورى زنده كلما خبا

وقال فى الحث على طلب العلم :

كن على العلم ما حييت حريصاً
فحياة النفوس حوز العلوم
ليس من يسلك الطريق على نو
ر كسارٍ فى جنح ليل بهيم

وقال فى قصيدة يهجو فيها الصديق الذى يحيد عن معاضدة إخوانه وقت الشدة :

وصديق سوء كان ظنى أنه
عند الخطوب معضد لرفاقه
أصفيته ودى فأضمر ضده
شتان بين صداقتى ونفاقه
أزداد إقبالاً عليه كلما
يزداد فى إعراضه وشقاقه
كالعود يحسن عَرْفه وأريجه
لما تزيد النار فى إحراقه

وله قصيدة رائعة يمدح بها صديقاً له ويعتب عليه هجرانه قال فيها :

---

(٤) راجع كتاب (عبد الرحمن قراعة) بقلم محمود قراعة صـ ١٤٦ .

صلونى وإن شئتم فاهجروا
وأوفوا بعهدى أو فاغدروا
خضعت لأحكامكم صاغرا
ومن ذا يحب ولا يصغر ؟
وحاولت كتمان وجدى بكم
فنمّت دموعى بما أضمر
فياجيرة الحى رحماكم
لمن دمعه سائل ينهر
بكم عذت من جوركم فاعدلوا
ولذت بكم منكم فانصروا
عسى ليل هجركم ينمحى
وصبح وصالكم يسفر

ويستمر يقول فيها :

فيا فخر مصر وأبنائها
ويا من مزاياه لا تحصر
سموت بعزمك للمكرمات
ومثلك إن هم لا يعثر
سأثنى عليك حياتى وإن
أمت فعظامى لكم تشكر

ولما كانت موهبة فقيدنا العظيم الشعرية طوع لسانه كان يقول الحكمة شعراً رائعاً وهو ما يصعب على كثير من الأدباء والكتاب قولها نثراً .

من قصيدة له فى الحكم نختار الأبيات التالية :

هو المجد من يطلبه يستعذب الصبرا
ويستسهل الأخطار والمركب الوعرا
ويرخص فى إدراكه كل ما غلا
وينفق فى أدنى رغائبه العمرا

ومن حكمه قوله :

كيف نرجو البقاء والدهر مردى
لجميع الأنام شيب ومرد

إن فقيدنا العظيم (رحمه الله) كما كان شاعراً مفلقا كان كاتباً بارعاً . له رسائل إخوانية رائعة نذكر منها للتمثيل فقط رسالة مختصرة أرسلها إلى أحد أصدقائه ، قال فيها :

أخى : لو أردت وصف أشواقى إليك ، وما أقاسيه بعد البعد من الأسف عليك . لضاق نطاق الكلام ، وعجزت عن الوفاء به الأقلام . ولو استعنت على ذكر صفاتكم الجليلة بأسنة بيان ألسنة البلغاء ، وبدائع مصاقع الخطباء ، لصار سحبان بيانهم باقلا ، ونبيه بديعهم خاملاً .. إلخ ..

نرجو من الله تعالى أن يوفق بعض أدباء وكتاب أسرة « قراءة » فى جمع قصائد (فقيدنا العظيم) .

ورسائله الإخوانية وترتيبها وطبعها لأن فى ذلك إحياء لذكرى الفقيد وخدمة للأدب .

وفى أواخر عام ١٩٣٩ وافاه الأجل المحتوم فلقى (الله تعالى) راضياً مرضياً عنه . رحمه الله وجعل الجنة مثوى له ، ونفع الأمة الإسلامية ببركة علمه وفضله وأدبه آمين .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢٤ من صفر سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٨٧ م .

توفيق إسلام يحيى

الجارم الشاعر

العملاق .. والروافد

إذا أردنا أن ندرس الشاعر على الجارم فعلينا أن نلم أولًا بالروافد التى استمد منها شاعريته ، والتى كان أولها نشأته في أسرة علم وأدب ودين فوالده الشيخ « محمد صالح الجارم » كان قاضياً شرعياً وعالماً بالدين واللغة ، وكان شاعراً أيضاً وأديباً يحرص على تعليم أولاده علوم الدين واللغة .

وأسرة الجارم في رشيد ـ بلد الشاعر ـ أسرة عريقة يرجع نسبها إلى الحسن بن على كرم الله وجهيهما ، ولقد أشار الجارم إلى هذا النسب في قصيدته « أبو الزهراء » في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً :

ولى نسب ينمى لبيتك صانني
وصانته مني عزة وإباء

وفى قصيدته اللغة العربية التى قالها عام ١٩٣٤ مخاطباً (جيرة الحرم) :

يا جيرةَ الحرمِ المزهوِّ ساكنه
سقى العهودَ الخوالى كلُّ مُنْسَكِبِ
لى بينكم صلةٌ عَزَّت أواصرُها
لأنها صِلَةُ القُرآن والنسبِ

وأما الرافد الثانى : فهو حفظه للقرآن الكريم في طفولته وصباه ، ولقد استفاد الجارم من حفظه واستيعابه المبكِّر للقرآن الكريم وقدرته على استعمال معانيه بل وألفاظه وروحه مما أفاض على شعره هذه اللمسات الدينية ..

استمع إليه يقول في قصيدته « يوم السلام » :

ذَكَّرَتْنا جهنماً كلما أُلقى فوجُ
صاحت تريد المزيدا

وفى هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] . وفى نفس القصيدة يقول :

---

(١) سورة ق ـ ٣٠

بقلم الدكتور/ أحمد على الجارم*

صدقـــت ما رأى الملائـــــكُ
من قبل وما كان قولُهُم تفنيدا

يشير إلى الحديث الذى دار بين رب العزة والملائكة فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) « صـــدق الله العظيم » .

وفى قصيدته الحب والحرب يقول :

ليت البحارَ طغت عليك وسُجِّرت
أوأنَّ من يطوى السماء طواكا

وفى الشطر الأول من البيت اقتباس من سورة التكوير « آية ٦ » ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ . وفى الشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة (سورة الأنبياء ١٠٤) ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

وفى قصيدته « العيد المئوى » لوزارة المعارف ـ التربية والتعليم حالياً ـ يقول :

حبة أنبتت ســنابل ســبعا
ثم ملء الفضاء من سنبلات

إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾(٣) . وفى هذا المجال يقول الأستاذ محمد سعيد محمد

على الجارم

المفتش السابق بوزارة التربية والتعليم (مجلة الرائد بعددها الثانى لعام ١٩٨٥) : وإنك لتراه يلتقط الكلمة من القرآن كما يلتقط الغائص الدرة الثمينة ثم يضعها بمهارة في مكانها من البيت فتلفت خاطرك بروعتها وندرة استعمالها . فلنستمع إليه عندما يقول عن الحب :

والحب مالم تكتنفه شمائلٌ
غُرٌّ يعود مَعَـرَّةً وأثامـــا

* الكاتب أستاذ بكلية طب القاهرة
(٢) سورة البقرة ـ ٣٠
(٣) البقرة ـ ٢٦١

لنجد أنه جاء بهذه الكلمة من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾(٤)

وأما الرافد الثالث : فكان دراسته في الأزهر لعلوم اللغة والأدب والشعر والنحو والبلاغة على أيدى أساتذة أجلاء أمثال الشيخ محمد عبده . وقد استفاد الجارم كثيراً من هذه الدراسة الأزهرية وقرأ للأقدمين شعراً ونثراً ولغة حتى أنه سيطر على هذه العلوم سيطرة تامة وفتن بها وكيف لا وهى لغة القرآن الكريم . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٥) . « صدق الله العظيم » .

وأما الرافد الرابع : فهو دراسته في دار العلوم وكانت في ذلك الوقت دراسة عميقة وجادة يصفها العقاد في مقدمته لديوان الجارم قائلاً : طبيعة الدراسة التى انفردت بها دار العلوم ولم يشبهها دراسة من قبيلها في لغتنا ولا فى لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا . فالدَّرْعَمِى (خريج دار العلوم) « لغوى عربى سلفى عصرى » ولكن على منهج فريد في بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الأفرنجية وبين مناهج المحافظة والتجديد ومناهج الابتداع والتقليد . ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة الشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة « اللغة » عن خاطرك ، وأن تنكر أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم ، وإن أخذ بنصيبه من الجديد وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم .

وعند نهاية هذه المرحلة كان الجارم قد حفظ أغلب شعر الأقدمين مثل المتنبي والبحترى والشريف الرضى وغيرهم من فطاحل الشعر العربي ، وكذلك أمهات الكتب مثل العقد الفريد والأغانى والبخلاء وغيرها .

وأما الرافد الخامس : فقد حصل عليه الجارم عندما اختير لبعثة تعليمية بانجلترا ومكث خلالها أربع سنوات لدراسة الفلسفة والتربية وعلم النفس فأجاد اللغة الإنجليزية إجادة تامة وقرأ آدابهم وأشعارهم وانفتحت أمامه طاقات واسعة على حضارة الغرب وثقافته لا شك أنها أثرت على أدبه وشعره بعد ذلك .

استمع إليه في قصيدته « لبنان » التى ألقاها ببيروت عام ١٩٤٤ ومطلعها :

ألقيتُ للغيدِ المِلاح سلاحى
ورجعت أغسل بالدموع جراحى
لو أستطيع لبعت عمرىَ كله
لمنى الصبا وأريجه الفياح
أيام أو تارى تغرد وحدها
وتكاد تسكر في الزجاجة راحى
« دوجين » لم يجد الفتى مصباحه
وأبان أسرار الهوى مصباحى

"دوجين" هذا هو الفيلسوف اليونانى القديم الذى كان يهيم فى الطرقات حاملاً مصباحه ليبحث عن الحقيقة مما يثبت تأثر الجارم بثقافته العالمية وأنه لم يكن محصوراً أبدا في التراث العربي وحده ..

(٤) الفرقان ـ ٦٨

(٥) الحجر ـ ٩

وفي قصيدته « الكوليرا » التى نظمها وهو في الثالثة عشرة من العمر ـ وكان ذلك عام ١٨٩٥ ـ يقول : ـ

لست كالواو أنت كالمنجل الحصاد
إن أحسنوا لك التمثيلا
حار « بنشنج » فيك يا ابن شعوب
ونقضت المُجَّربَ المعقولا
تركت الحموض تجرعها الأرض
وجَرَّعتَنا العذابَ الوبيلا

وفي هذه الأبيات السابقة من المعاني والحقائق العلمية التي لا يعرفها إلا دارسو الطب . فكيف أتيح للجارم الفتى ذي الثلاثة عشر ربيعا ، وفي عام ١٨٩٥ معرفة هذه المعلومات الدقيقة لولا تفتحه وسعيه إلى كل ما يشغل بال قومه ليعبر عنه تعبيراً شعرياً جميلا .

وللجارم مثل فريد في ربط الشرق القديم بالغرب الحديث في ترجمته لكتاب الكاتب الانجليزي « ستانلي لين بول » وعنوانه (العرب في أسبانيا) ولقد ورد في هذا الكتاب شعر باللغة الانجليزية ، هذا الشعر الذي أهاج في الجارم شاعريته فترجمه شعراً عربياً رصينا لكى يتذوقه القارىء العربي ويحس فيه بانفعالات مؤلف الكتاب . استمع إلى الجارم في ترجمته لهذا الشعر الإنجليزي قائلاً :

ومُـزِّقَ جيشُ « لذريق » وخارت
بمن فيه العزائم والقلوب
وحين رأى الهزيمة فر يعدو
وحيداً مستكيناً لا يؤوب
عليه من غبار الحرب ثوب
ومن لون الدماء به لهيب
وَتَحْمِلُ كَفُّهُ سيفاً خضيبا
كمنشار أَقَلَّته الحروب
فَلاقَة صدره فيها شقوق
وخوذة رأسه فيها ثقوب
أطل بقمّةٍ فرأى دماراً
له كادت حشاشته تذوب
وأعلاماً ممزقة تبدت
وكلٌ بالدم القاني خضيب
وجال بسمعه للعرب صوت
بنصر الله ردده السهوب
رأى قُوادَه فروا وأبقَوْا
جريحاً أو قتيلاً لا يُجيب
وأنىّ عينُهُ لمحتْ مكاناً
بدا للعين فيه دم صبيب
فقال وقد بكى : قد كنت مَلْكاً
وماذا ينفع الآن النحيب
ونمت الأمسَ فوقَ فِراش عِز
وفَرْشِي اليوم تَجْفوهُ الجُنوبُ
جثا الخدام أمسِ أمام عرشي
وليس اليوم لى فيهم عريب
فيوم ولادتي يوم عبوس
ويوم ولايتي يوم عصيب
فما أشقى نهاري حين أرنو
لشمس الأفق يحجبها المغيب
فعجِّل أيها الموت المرجَّى
فمالِي اليومَ في الدنيا حبيب

وأما الرافد السادس : فقد كان اختياره وهو في الخمسين من العمر عام ١٩٣٢ م لعضوية المجمع اللغوى منذ إنشائه في أول مجموعة تضم خمسة عشر مصرياً من قمم اللغة العربية وقمم آخرين من الدول العربية

←

الجارم الشاعر

ومن المستشرقين بالإضافة إلى أسفاره إلى الأقطار العربية ممثلاً لمصر في هذه المؤتمرات مُعْلِياً اسمها وشأنَها وقَدْرَهَا في مجال اللغة والأدب فكان علماً يشار إليه بالبنان .

تقرأ للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر بمجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٨٦ قوله : وحين انتقل شوقى إلى دار الخلد تألق الجارم شاعراً كما تألق عالماً فصار ممثل مصر فى محافل العروبة والجارم قوى البنيان مكتمل الأداء بارع الإلقاء . كان الجارم أحد الفرسان الصائلة في ميادين الفصاحة الباهرة ، حين كانت البلاغة مهوى النفوس وحين كان الجمهور ذواقاً يلم بشذور روائع الأدب في القديم والحديث فلما مَثَّلَ مصر بشاعريته الحافزة وديباجته العربية الناصعة جَذَبَ الأسماع لما يقول . لقد كان الحفل الجهير يضم أفذاذ الشعر من كل وطن عربى ، ولكل شاعر منزلته الرفيعة دون ريب ولكن الجارم يقف في الطليعة بين شعراء كبار فتكون قصيدته مجالَ التقدير والملاحظة ويعود إلى مصر وكأنه عاد من فتحٍ حربيٍ بعد أن سَجَّل بطولة الانتصار . وإذا كانَ المصريون قد تعودوا حينئذ سماع روائعه بالإذاعة المصرية إلقاءً وترجيعاً فإن (بغداد) و(بيروت) و(الخرطوم) عرفت الجارم الشادى المغرد حين هتف في ربوعها كَرَّةً بعد كَرّة فأوقد جذوات الحماسة وأشعل حميَّةَ العروبة وأعاد مجد السابقين من فرسان البيان وكان صادقاً حين افتخر بوحيه الشعرى فقال مخاطباً بلدته المصرية « رشيد » :

هــذا وليــدك جـاء ينشــد شِــعْــرَه   مـا كـل مـا تحـوى الخيــوطُ نظـام
أصغى لــه الـوادى وَغَنَّتْ بـاسْمِـهِ   بــغــدادُ واهتــزت إليــه الشــام

● ● ●

ظل على الجارم طوال حياته يدافع عن اللغة العربية وعن أصالتها وخاصة عندما كان يستشعر تهجماً عليها من بعض الأشخاص أو بعض الفئات سواء كان ذلك لمأرب مباشر أو غير مباشر فنجده في عام ١٩٤٦ ينبرى لاقتراح المرحوم عبد العزيز فهمى عضو المجمع باستعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية ويتقدم باقتراح مضاد يعتمد في تيسير الكتابة على الحروف العربية وسوف تجد في الكتاب الذى طبعه المجمع عن هذين المشروعين دفاعاً مجيداً للجارم عن الكتابة بلغة القرآن وليس بلغة الفرنجة . كما انبرى أيضاً للداعين باستعمال اللغة العامية واعتبر ذلك كفراً وإلحاداً باللغة التى افتتن بها ورآها أعرق وأغنى اللغات .. وأحاديثه الإذاعية بعنوان « الأخطاء الشائعة فى اللغة العربية » تثبت ذلك وكان يهدف من ورائها إلى تبصير المستمعين بأسرار لغتهم وصحتها وجمالها .

كما انبرى فى أخريات ايامه لمن ادعوا التجديد في الشعر العربي وخرجوا به عن أصوله وقواعده وحاكوا الغرب محاكاة عمياء فتركوا أوزان الشعر وبحوره وتركوا قافية القصيدة وموسيقاها وابتدعوا شيئاً آخر أسموه (الشعر الحر) أو (الشعر المنثور) وليس هو بشعر وليس هو بنثر . فواجههم

الجارم في قصيدته « خلود » عام ١٩٤٧ عندما قال :

سكت العنـدليب في وحشـة الـدوح
وَغَنَّتْ نـواعـــق الغربـــان
فسمعنـا من النشـــوز أفانـــين
يـروعـن صـادح الأفنـــانِ
أَسْمَعُونـا بـرغمنـا فصبـرنـــا
ثـم ثـرنـا غيظـاً عـلى الآذانِ
جلبـوا للقـريض ثـوبـا من الغـرب
ولـم يجلبـوا سـوى الأكفـان
ثم قـالوا: مجـددون فـأهـــلاً
بصنـاديـد أخـريـات الـزمـان
لا تثـورا عـلى تـراث « امرىء القيس »
وصـونـوا ديبـاجـة « الـذبيـانى »
واتـركـوا هـذه المعـاول بـاللـــه
فـإنـى أخشـى عـلى البنيـانِ
واحفظـوا اللفـــظ والأسـاليب
والذوق وهاتـوا ما شئتم من معـانى
مـا لسان القـريـض من عربــيّ
كلسـان القريـض من "طمطمــانى"
إنمـا الشعـر قطعـةٌ منـك ليسـت
من دمـاء (اللاتـين) و(اليونـانِ)
كـل فن لـه مكـان وأهـــل
إن غـدا العلم مـا لـه مـن مكـانِ
إن رأيتـم أخـوة العـــود
« للجزيند » فابكوا سـلالةَ العيـدانِ
لا يهـز النخيـل إلا حنـان النـــاى
فى صمـت ليلـة مـن حنـــان
وجهـةُ الشـرق غيرهـا وجهة الغـرب
فَـأَنَّـى وكيـف يلتقيـــان ؟

● ● ●

ومن أهم صفات الشاعر الحقيقي مقدرته على الخيال وعلى استيعابه للماضى وصدق رؤياه الحاضرة والمستقبلية وربطه بين كل هذه المراحل . وإذا رجعنا إلى شعر الجارم نجد أنه كان متمتعاً بهذه النظرة الشمولية وله شفافيته وأحاسيسه المرهفة والتى عبر عنها بكل الصدق وكل الإيمان .

استمع إليه في قصيدته « يوم السلام » التى نظمها عام ١٩٤٥ بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية قائلاً :

قُتِـل العلـم كيـف دبَّـر للفتـكِ
عتـادا وللـدمـــار جنـــودا
فـهـو كـالخمـر تنشـر الشر والإثْمَ
وإن كـان أصلُـهـا عُنقُـــودا
أبـدعَ المـهلكـاتِ ثـم تـــوارى
خَلْفَـهــا يمـلأ الـورى تـهـديـدا
وقلـوب النجـوم تَـرْجُفُ أَنْ
يجتـاز يـومـاً إلى مـداهـا الحـدودا
حسرتـا للحيـاةِ مـاذا دهـاهـــا ؟
أصبـحَ النـاس قاتــلا وشهيـــدا

وفى ذلك إشارة واضحة إلى ما نسمع عنه في هذه الأيام بعد أكثر من أربعين عاماً عما يعرف بحرب الكواكب التى نشاهد معالمها الآن .

وفى قصيدته « العروبة » التى نظمها عام ١٩٤٧ بمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية بلبنان خاطب العرب بقوله :

كـانـوا أسـاتـذة الآفـاق كم نَهَلَتْ
مـن فيضهـم أُمَمٌ ظمـأى وبلـدانُ
كـانوا يـداً ضَمَّت الدنيـا أصابعُهـا
فَفَـرقَتْـهـا حـزازات وأضغـــان

الجارم الشاعر

كأن الشاعر بهذا البيت الأخير كان يتوقع بعض الغيب وما ستبتلى به لبنان من حزازات وحروب ومعارك لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل ، واستمع إليه يقول في هذه القصيدة أيضاً :

تَنَمَّـر الغـربُ واحمـرت مخـالبُـهُ
وأرهفـت نـابـهـا للفتـك ذُؤْبـانُ
ثـاراتُ « طَـارِقٍ » الأُوْلَى تـؤرقهـم
ومـا لمـا تتـرك الثـارات نسـيـان
قلبى وفيض دمـوعى كلمـا خطـرت
ذكـرى فلسطين خفَّـاق وهـتَّـانُ
لقـد أعـاد بهـا التـاريـخ أنـدلسـا
أخـرى وطـاف بهـا للشرطـوفـانُ
مـيراثنـا في فتى « حطـين » أين مضى ؟
وهـل نـهـايتنـا يُتْـمٌ وحـرمـانُ ؟
بنـى فلسطـين كـونـوا أمـة ويـدا
قـد يختفى في ظـلال الـوَرْد ثعبـانُ
وكيف يـأمن رُعْيـان وان جَـهـدوا
إذا تـردى ثيـاب الشِّعْـرِ سرحـان

فإذا نظرنا إلى ما يجرى على أرض فلسطين ولبنان الآن وفي عام ١٩٨٧ ، ألا تجد أن ما قاله الجارم في عام ١٩٤٧ يصدق واقع الحال ؟

وفى عام ١٩٤٨ يدخل الجيش المصري إلى فلسطين لنجدة العرب محارباً الصهيونية العالمية ويدحر اليهود فى أوائل هذه الحرب فيتفاعل الجارم ويهتز لهذا الانتصار وينظم قصيدته الرائعة « فلسطين » التى يقول في مطلعها :

تـألـقَ النصرُ فـاهتـزت عـوالينـا
واستقبلت مـوكبَ البُشرى قـوافينـا
غَنَّى لنـا السيفُ فى الأعنـاق أغنيـةً
عَـزَّت عـلى الأيـكِ إيقـاعـاً وتلحينـاً

ثم يشير بعد ذلك إلى مأساة فلسطين قائلاً :

نفسى فـداء فِلَسطـين ومـا لقيـت
وهـل ينـاجى الهـوى إلا فلسطينـا
نفسى فـداء لأولى القبلتـين غـدت
نهبـاً يـزاحم فيـه الـذئب تِنّينـا
فقبِّلـوا تُـرْبَ « حِطـين » فـإن بـه
دمُ البطـولـةِ مـن أيـامٍ حطينـا
أرضٌ بـذلنـا بهـا الأرواحَ غـاليـةً
داعـين للـه فيـهـا أو مُلبينـا
ومسجـدٌ نـزل المختـارُ سـاحتـه
نمـوت فيـه ونحيـا مستميتينا
أتلـك أنـدلس أخـرى ؟ فقـد نبشت
من حقـدِ ساداتهم مـا كان مـدفونـا
سحقاً لسكين « فردينند » كم ذبحت
واليـوم تشحذ أمـريكا السكـاكينـا

« وفردينند » هو القائد الأسبانى الذي أجهز على كثير من المسلمين أثناء انهيار حكم العرب للأندلس ، وإشارة الشاعر للدور الأمريكي فى أول مراحل قضية فلسطين كان رؤية صادقة وواعية لا يختلف عليها أحد ، ولا شك أن إحساس الشاعر بالأحداث في عام ١٩٤٨ كان مصداقاً لما نقول .

أحمد على الجارم

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أُوَيْس الزمان

بكائية على عصفور

في جنة القرآن

أُوَيْسُ الزمان

لفضيلة الشيخ
محمد زكى إبراهيم

ظَلَلْتُ أسائل : مارتبتى ؟
وذاك شبابى وذى شيبتى

لعلّ أطامن مِنْ روعتى
وعَلّ أخفف من لوعتى

فأعطيتُ نفحة كنز الهدى
وأعطيت ستراً على نفحتى

وألهمتُ أن تمام العطاء
عَمَى الناسِ بالناس عن رؤيتى

وخِفْتُ من السّلب بعد العطاء
فبالغت فى الستر والخفية

وهِمْتُ بمستور حالى فلا
أدِلُّ بجاه ولا شهرة

وعشْتُ (أوَيْسَ) زمانى فما
يرانى إلا ذوو الفطنة

ادور كما دار أوفى الدُّعاة
بداعى الكتاب أو السُّنَّة

فليس الحلولُ ولا الاتحادُ
ولا وحدةُ السوء من دَعوتى

ورُحْتُ بحبّى أُطوِّف فى
معارج أسرار قدسيتى

شُغِلْتُ بمولاى لا بالذى
ولا باللتيَّا ولا بالتى

فكيف التفاتى إلى غيره
وقد أوشكَت تنقضى رحلتى ؟

تجلت شموسىَ فى سكرتى
ودارت كئوسىَ فى صحوتى

فياكم خلوتُ على جَلْوتى
ويا كم جلوت على خلوتى

وقفت على الهامش الدُّنيوىّ
مع الحق ، والحق أمنيتى

فنيتُ به فيه عن غيره
وأَزْرَيْتُ بالإنس والجِنّة

وعشتُ غريباً ولكننى
عشقت بانسى به غربتى

إذا الله بارك حبى فلا
ابالى بنار ولا جنةِ

بكائية على عصفور

شعر: محمد فؤاد محمد

فى ذات يوم قلت : أذهب للتريض فى الأصـــيل
وصحبت أوراقى وقلت : لعلنى أصف الحقول
أصف الغدير وماءه وجمال أهداب النخيـــل
فجلست تحت شجيرة كانت على حقلى تميـــل
يزدان لون فروعها من لون عصـــفور جميـــل
يختال فى نظراته .. لم يشك من هـــم ثقيـــل
فالعش يملكه ولا يخشى عليـــه من الدخيـــل
والرزق مقسوم فلا يخشى من الرزق القليـــل
فقذفته ــ لهوا ــ فخر بجانبى دمه يســـيل
فأسفت فى نـفسى وصار الدمع فى عينى يجول
فلعله يرعى صغارا يبتغون لـــــه الوصـــول
ولعلهم زغب الحواصل دون مـــاء أو بقـــول
أو علــــه إلف فأحزن إلفه فقد الحليـــل
وجلست أقرأ فيـــه نفسى يوم يطويها الذبول
لكنـــه طـــير برىء لا يـــزل ولا يميل
وكتابه خال من الآثام .. أو لغـــو الفضول

فى جنة القرآن

للشاعرة / علية الجعار

(١)

سمَّ واسْبَح فى العالم النورانى
واملأ الروح من سنا القرآن

رتل الذكر وارتفع درجات
مشرقات فى جنة الرضوان

فيه للناس منهج وطريق
يُوصِل الناس للرضا الربانى

إنه واحة النفوس إذا ما
افزعتها وساوس الشيطان

يُقنع العقل باليقين فيرقى
فى سماء التوحيد والإيمان

لم يزل شامخاً كريماً عظيماً
طاهر الحرف كامل البنيان

جاء من عالم الخلود ليبقى
كيف شاءت إرادة الرحمن

الشفاعة

(٢)

إذا شُقَّتْ عن الناس القبور
وحُصِّل كل ما تُخفى الصدور

وكلٌ جاء يقرأ من كتاب
وفيه كل ماضيه سطور

فلا يُغْنِيه إنكارٌ ونفى
ولا يُنجيه مال أو نصير

بدا للمسلمين بشير خير
وأشرق فى ظلام التيه نور

محمدٌ ساجداً لله يرجو
ويشفع للعباد ويستجير

ينادى : امتى يارب فَارْحَمْ
ولولاه لساء بنا المصير

مناجاة ربانية

شعر: وفيقة عواد سلامة

لا أناجى فى جنح ليلى سواكا ... أنت أدرى بلوعتى فى هواكا
قَلَّ طوقى عن صوغ لفظ بليغ ... أنت عنى وعنه ٠٠ ما أغناكا
كنت فى الغيب ذرة ودعتنى ... لرؤى الكون والوجود ، يداكا
وشهدت الكمال فى كل شىء ... وتمليت من بديع بهاكا
أنت ربى ورب كل البرايا ... ومحال أن نرتقى لذراكا
لا أرى الجنة النعيم لروحى ... ليس يروى غليلها ٠٠ إلّاكا
وأرى النار محض عار وسخط ... والجحيم الجحيم : هول جفاكا
لم تسعك السماء والأرض لكن ... وسعتك القلوب فى علياكا
هاك شعرى ٠٠ من فيض نورك يسرى ... لؤلؤيا يجوب أفق هداكا
ذا مقام يعز فيه قصيدى ... لو تسامى للمحة من سناكا
فاسكب النور فى فؤادى مليا ... عله يدرك المدى ادراكا
أين منى ومن بيانى سموق ... يبلغ القصد فى دروب علاكا
أنت سويتنى من اللطف روحا ... طيب الغرس ينبذ الأشواكا
يا أمانى إن شتتتنى الأمانى ... أنت حسبى ٠٠ بقطرة من رضاكا
بك يارب أرفع اليوم رأسى ... لكأنى بالحب صرت "ملاكا"
لا أرى الذل بعد عزك ذلا ... لا أرى الموت فى لقاك ٠٠ هلاكا
وصفاء الصفاء يغمر ذاتى ... كى أجوز الحدود والأفلاكا
قَلَّ طوقى عن صوغ لفظ بليغ ... أنت عنى وعنه ما أغناكا

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
الأستاذ صفوت عبد الجواد

س :

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى منذ فترة وجدت بعض الإفرازات البيضاء وبعض السوائل تخرج منى بصفة مستمرة يومياً وبدون إحساس منى بأية رغبة فهل هذه الإفرازات تنقض الوضوء .

جـ : هذه الافرازات إن كانت غير مستديمة أفسدت الوضوء ، وعليها تجديد الوضوء فأما إن كانت مستديمة لايخلو وقت من نزولها فإنها تصير من ذوات الأعذار وتتوضأ لكل وقت وضوءاً تصلى به ما تشاء من الفرائض والنوافل حتى يدخل الوقت الجديد فينقض وضوءَها ، أما النجاسة فيجب التطهر منها عند الجمهور قَلَّت أو كَثُرت وقال الحنفية: يعفى عن مقدار مقعر الكف(١) وعند المالكية قول بأن إزالة النجاسة ليست واجبة وهو رأى فى المذهب .

س : من السيدة ا . محمد على :

أنا مريضة بمرض لا أستطيع الصوم معه فى شهر رمضان علماً بأن سنى فوق الستين فما الحكم ؟

جـ : يرى الجمهورأن كبير السن والمريض الذى لا يرجى برؤه يجوز له الإفطار ويكفر عن كل يوم بإطعام أكلتين وتقدران بجنيهين فى الوقت الحاضر ، ويرى الإمام مالك أن من عجز عن صوم رمضان وعن القضاء سقط عنه القضاء والكفارة ويفتى برأى الإمام مالك للفقراء وبرأى الجمهور للأغنياء .

س : من المحاسب ح . عثمان بالجلاوية محافظة سوهاج :

كان والدى رحمه الله قد مرض قبل وفاته فترة ألزمته إفطار شهر رمضان لمدة عامين ولم يمهله الأجل لقضائهما . فهل يمكن أن أصوم عنه هذين الشهرين وهل لابد أن تكون الأيام متصلة .

ج: يجوز ذلك عند الإمام أحمد خلافاً للجمهور ولا يشترط الترتيب فى القضاء .

عن النبى ﷺ رداً على الخثعمية فى قولها إن أختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين قال « أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه » .. قالت : بلى قال : « فحق الله أحق »(٢) .

---

(١) مقعر الكف دائرة قطرها نحو ٣ سم .

(٢) الحديث فى سنن ابن ماجة كتاب الصيام باب من مات وعليه صيام من نذر / حديث رقم ١٧٥٨ .

العلوم الكونية

فلسفة العلوم الطبيعية في التراث الإسلامي

الحاسب الآلي

فلسفة العلوم الطبيعية

فى التراث الإسلامى

دراسة تحليلية مقارنة فى المنهج العلمى

٢

ننتقل الآن إلى مزيد من الدراسة التحليلية لجوانب المنهج العلمى فى التراث الإسلامى ، وخاصة فيما يتعلق بمصادراته وأدواته وعناصره .

مسلمات المنهج العلمى فى التراث الإسلامى :

تميز البحث العلمى فى عصر الحضارة الإسلامية بأن الباحثين كانوا يسلمون بصحة مجموعة من القضايا الأساسية قبل شروعهم فى ممارسة البحث والتنقيب عن سر ظاهرة ما من الظواهر التى يعمدون إلى دراستها . وهذه المسلمات يمكن إجمالها فيما يلى :

١) الفكر الإسلامى التوحيدى :

لقد أخذ علماء الحضارة الإسلامية بالمنهج الإسلامى فى تفكيرهم العام ، واتخذوا من عقيدة التوحيد نقطة انطلاق تشكل حجر الزاوية فى رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود . والله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق ، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الطبيعية والإنسانية باعتبارها مصدرا للثقة واليقين ، وليست ظلالا أو أشباحا أو مصدرا للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية . وفى ظل هذا الفكر التوحيدى يصبح المفهوم الإسلامى للعلم أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم على اختلاف مذاهبهم . فهناك العلم الظاهر الذى يحققه الإنسان بحواسه وعقله وإمكاناته المادية فى المرحلة التى يعيشها من التاريخ البشرى ، وهناك العلم الغيبى غير الظاهر للإنسان والذى يحتفظ به الله لنفسه ولا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وتكمن عظمة هذا المنهج الإسلامى التوحيدى فى أنه لا يفصل بين العلم والحكمة أو الحقيقة ، بمعنى أنه يؤكد أهمية المعنى والغاية ، ولا يفصل بين تحليل العلاقات التى تصل الأشياء بعضها ببعض وتساعد على القوانين التى تسوسها ، وبين ربط هذه العلاقات الجزئية مع « الكل » الذى يكسبها

الأستاذ الدكتور
أحمد فـؤاد باشـا

« معنى » وهنا يكون العلم من وجهة النظر الإسلامية دنيويا بعلاقاته مع الأشياء ، ويكون فى نفس الوقت مقدسا لصلته بالخالق الواحد جل وعلا(١) . وتأكيد هذا المعنى فى فكر الباحث ووجدانه هو جوهر الشخصية العلمية التى تمتع بها علماء الحضارة الإسلامية وأبدعوا على أساسه فى اطمئنان وهدوء ونقاء بعيدا عن غيوم وصراعات المذاهب الفلسفية الرديئة التى تشوه كل حقيقة(*) .

وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى الغرب لم تأخذ النهضة الأوروبية منها سوى الجانب المادى من منهجها التجريبى وتقنياتها ، وتركت جانبا الإيمان الذى يوجهها نحو الله تعالى ويسخرها لخدمة البشر .. ولذا فإن العلم فى الحضارة المادية الحديثة والمعاصرة ، بتخليه عن المعنى والسمو الروحى ، قد أخذ يتحول إلى « العلمية » Scientism ، كما أصبح التطور الكمى للعلم والتكنولوچيا غاية فى حد ذاته وتحولت « التكنولوچيا » إلى « تكنوقراطية » Technocracy . وتعالت صيحات التحذير من أن إطراد التقدم العلمى والتكنولوچى بدون النظر إلى صلته بمعنى الحياة الإنسانية قد ينتهى بالإنسان إلى القضاء على حضارته(٢) .

وبدأت حركات عقلية جديدة فى الظهور لتناهض النزعة « العلمية » المتطرفة وتحارب الانغماس الأعمى فى ماديات الحضارة الصناعية ، مثل حركة « اللاعلمية »(٣) .

من هنا تتضح أهمية الدعوة التى تنادى الآن بأسلمة العلوم وإسلامية المعرفة كأساس لصحوة إسلامية حضارية ، يتميز منهجها الآلهى الشامل بقدرته على التفسير الكامل للحقيقة المطلقة التى يسعى الإنسان إلى إدراكها من وراء بحثه فى العلوم المختلفة ، وتتسع معانيه السامية لكل أنواع القيم النبيلة التى تجعل من المعرفة غاية لخدمة المجتمع الإنسانى بأسره ، ثم إنه قبل كل هذا يقدم أجوبة شافية على المسائل التى تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان ، ويهيىء الذهن المثقف لكل ما يمكن أن تسفر عنه

(١) روجيه جارودى ، الأمة ، العدد الخامس والثلاثون ١٩٨٣ .

(*) تظهر هذه الروح الإيمانية واضحة فى ثنايا نصوص التراث الإسلامى ، بل إنها تشكل سداه ولحمته ، فالخوارزمى يصنف كتابه فى الجبر والمقابلة لنفع الناس ولابتغاء الأجر من الله ، وابن الهيثم يسعى نحو الحقيقة مستمدا عونه من الله ، والقزوينى يدعو إلى إعادة النظر فى عجائب صنع الله من المخلوقات وغرائب الموجودات ..

(٢) رينيه ديبو ، المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٣) أطلقت هذه التسمية على هذه الحركة خطأ ، فهى أصلا حركة مضادة للمادة وليس للعلم . انظر : وحيد الدين خان ، واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام ، ترجمة د . سمير عبد الحميد إبراهيم ، مراجعة د . عبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٦ .

حضارة التكنولوجيا المعاصرة فى المستقبل القريب أو البعيد[٤] .

ب) النظام الكونى :

إن الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الكون إلى الخالق الحكيم الذى أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال ، وأخضعه لقوانين معينة ثابتة لا يحيد عنها ، وحفظ تناسقه وتوازنه فى ترابط محكم بين عوالم الكائنات وتنسيق معجز بين آحادها ومجموعاتها . وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا من خلال نظام الكون ووحدته استمرارية المواد كأشياء وتكرر الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى الحياة الواقعية بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها على قدرته ووحدانيته[٥] .

والانطلاق فى التفكير العلمى من مسلمة النظام الكونى بحثا عن قوانين الله فى الكون يضفى على النفس الاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث والتأمل ، وينقذ العلماء من التخبط فى التيه بلا دليل ، كالإحالة على الطبيعة أو العقل أو المصادفة أو ما إلى ذلك من التصورات التى وقعت فريستها مختلف الفلسفات الوضعية المتصارعة قديما وحديثا وأصابتها بالعجز والعطب .

وفى إطار المفهوم الإيمانى لمسلمة النظام الكونى وإطراد الظاهرات الطبيعية كعلاقات علّية يظل الطريق دائماً مفتوحا وممهداً أمام تجدد المنهج العلمى وتطوره بما يتناسب مع مراحل تطور العلوم المختلفة ، وبعيداً عن المفاهيم القاصرة التى وضعتها الفلسفة عن المسلمات الجزئية مثل الجبرية والحتمية والعلية والإطراد والضرورة والاحتمالية وغيرها[٦] فعلى سبيل المثال ، عندما لجأ فلاسفة العلم فى عصر النهضة الأوروبية إلى افتراض مبدأ الحتمية كان ذلك لمجرد أن يضمن لهم الاطمئنان فى بلوغ تعميمات أو

---

(٤) انظر الفصل الأول فى « نظرية المعرفة وأسلمة التفكير العلمى » من مؤلفنا « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » . انظر أيضاً دراستنا عن « الإسلام وفلسفة العلم المعاصر » فى كتاب « الثقافة الإسلامية » منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٥ ، ص : ١٣٣ ـ ١٤٨ . لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع ارجع إلى سلسلة إسلامية المعرفة التى يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى .

(٥) قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) ، وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾ (الأحزاب : ٣٨) ، وقال : ﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوتٍ ﴾ (الملك : ٣) لمزيد من التفصيل عن العلاقة بين مسلمة النظام وبين الجمال فى الكون وأثرها فى إزكاء روح المنهج العلمى انظر على سبيل المثال : عثمان جمعة ضميرية ، التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان ، دار الأرقم الكويت ١٩٨٢ ، ص ٥١ وما بعدها . محمد المبارك ، العقيدة فى القرآن ، دار الفكر ص ٦٨ وما بعدها . وأيضاً انظر آراء بوانكاريه وأينشتين فى كتاب فلسفة العلم ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٦) اقرأ عن تنازع العلماء وفلاسفة العلم حول تبرير تلك المسلمات فى : فلسفة العلم ، ص ١٥٦ ـ ١٧٠ . د . محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ . د . على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، دار المعارف ١٩٦٦ . جون كيمينى ، الفيلسوف والعلم ، ترجمة د . أمين الشريف ، المؤسسة الوطنية ، بيروت ١٩٦٥ . د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ٧٣ .

قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع ، إذ يستحيل على رجل العلم أن يعرض لكل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه مما يتاح له منها أو يختاره أو يصنعه لكى يصل إلى التعميم الذى يهيىء له أداء وظائف المنهج العلمى من وصف وتفسير وتنبؤ وتحكم . ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن العالم من حوله خاضع لحتمية تجعل صدق أحداثه مستقلة عن الزمان وعندما تطورت العلوم الذرية الخاصة بدراسة عالم اللامتناهيات فى الصغر microcosm عجزت الحتمية عن تفسيرها وظهرت اللاحتمية أو عدم اليقين لهيزنبرج ، مثلما ظهرت النسبية فى العلوم الفلكية الخاصة بعالم اللامتناهيات فى الكبر macro-cosm واضطر فلاسفة العلم أخيراً إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ الحتمية المطلقة الذى يخالف طبيعة التقدم العلمى . فمن يدرينا بأن ما نصل إليه اليوم أو فى أى عصر قادم بفروضنا وتجاربنا هو القانون الآلهى الثابت المطلق الذى لا يتبدل ؟

وإذا كانت أى مسلمة تكتسب قيمتها من نجاح العلم فى بلوغ نتائجه على أساسها ، فإن مسلمتى التوحيد والنظام الكونى وما يترتب عليهما من مسلمات جزئية كالعلية وتوافق الحقائق وإطراد أحداث الكون تجعل نجاح المنهج التجريبى الإسلامى وسلامته فى نظرته إلى قضايا العلوم الطبيعية التجريبية على أنها قضايا إحتمالية اليقين وليست ضرورية كما اشترط لها أرسطو من زاوية منطقية تخصه[٧] أو حتمية بالمعنى الذى قام عليه المنهج البيكونى بعد ذلك فى عصر النهضة ، ثم تجاوزته مناهج البحث فى العلوم المعاصرة[٨] ويمكننا التدليل على ذلك بأمثلة كثيرة من النصوص العلمية الواردة فى تراثنا الإسلامى . فهذا الحسن بن الهيثم ، كما ذكرنا ، يؤكد موضوعيته فى البحث العلمى ويحذر فى نفس الوقت من الإفراط فى الثقة بنتائج تجاربه ، فإننا « نجتهد بقدر ما لنا من القوة الإنسانية ... لعلنا ننتهى بهذا الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر » . وهذا جابر بن حيان يعوّل على التجربة فى منهجه ، لكنه أدرك عن وعى أن نتائج التجربة يجب ألا تعنى اليقين المطلق ، وإلا ترتب على ذلك أن تكون نتائج العلم أيضاً نهائية ومطلقة ، وهذا مالا يتفق مع حقيقة استمرار التقدم المعرفى واتصاله فى تاريخ العلم . فهو يقول فى كتابه الخواص : « أنا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط ـ دون ما سمعناه أو قيل لنا أو

←

---

(٧) انظر على سبيل المثال : د . أميرة حلمى مطر ، دراسات فى الفلسفة اليونانية (التأمل ـ الزمان ـ الوعى الجمالى) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٨) لمعرفة المزيد عن العوالم الثلاثة للعلم الحديث (عالم الألكترونات متناهى الصغر ، وعالم المجرات متناهى الكبر ، وعالم المقاييس البشرية العادية) وطبيعة النظريات العلمية الحديثة وفلسفة المنهج العلمى المعاصر . انظر على سبيل المثال : چيمس جينز ، الفيزياء والفلسفة ، الترجمة العربية ، دار المعارف ١٩٨١ ، خاصة ص ٦٤ وما بعدها .

انظر أيضاً عرض تصورنا لمفهوم السببية والحتمية واتباع طريقة الاقتران فى التغير بين الظواهر عند تحليل تطور نظرية الضوء على يد الحسن بن الهيثم فى كتابنا « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » ص ١٣١ ـ ١٤٣ .

قرأناه - بعد أن امتحناه وجربناه ، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء » ويقول فى « كتاب التصريف » : « ليس لأحد أن يدعى بالحق أنه ليس فى الغائب إلا مثل ما شاهد ، أو فى الماضى والمستقبل إلا مثل ما فى الآن » . وكان أبو الريحان البيرونى يعتمد على الشك المنهجى كأحد عناصر اليقين فى تحصيل الحقيقة العلمية وتكوين الجديد فى عالم المعرفة[٩] .

وهكذا نرى أن علماء الحضارة الإسلامية قد تجاوزوا حدود الآراء الفلسفية التى تميزت بها علوم الأغريق وكانت لا تخرج عن كونها تصورات وأفكاراً ومقولات عامة تقوم على مبدأ الذاتية ، وانتقلوا إلى المختبر وإجراء التجارب بكل مقومات الباحث المدقق مدركين أن لمنهجهم الجديد شروطا وعناصر نظرية وعملية يجب الإلمام بها . يقول جابر فى كتاب التجريد : « إياك أن تجرب أو تعمل حتى تعلم ، ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى آخره بجميع تنقيته وعلله ، ثم تقصد لتجرب فتكون فى التجربة كمال العلم » . ويؤكد جابر على أهمية المصادر التى يسلم الباحث بصحتها قبل أن يشرع فى إجراء تجاربه ، ولا يغفل ضرورتها فى بنية المنهج العلمى ، فيقول فى كتابه الخواص: « أنه ينبغى أن نعلم أولا موضوع الأوائل والثوانى فى العقل كيف هى حتى لا نشك فى شىء منها ولا نطالب فى الأوائل بدليل ونستوفى الثانى منه بدلالاته » . أى أن المسلمات لا تستنبط ويستند إليها ما يأتى بعدها فى الترتيب المنهجى[١٠] .

عناصر وأدوات المنهج العلمى فى التراث الإسلامى :

يختلف الفلاسفة بدرجات متفاوتة تجاه أدوات المعرفة الإنسانية ومصادرها بين « عقليين » يرتأون أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة ، « وحسيين » أو « تجريبيين » يعتقدون فى أن التجربة الحسية هى المصدر الأول الحقيقى للمعرفة ، وأصحاب النزعة النقدية الذين يؤمنون بالحاجة إلى العقل والحس والحدس مجتمعين كمصادر للمعرفة . وهناك من يضيف اتجاها رابعا ذا نزعة اجتماعية تؤلف بين المذهب التجريبى والمذهب العقلى فى وحدة ديناميكية تستمد الأفكار والمعانى من الحياة الاجتماعية[١١] .

(٩) د . جلال موسى ، منهج البحث العلمى عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى . د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب . د . على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام .
(١٠) كتابنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، فصل « علم الكيمياء » .
(١١) عبد المجيد عبد الرحيم . مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية ، القاهرة ١٩٧٦ .

ولما كانت العقيدة فى الدين الإسلامى مؤسسة على العقل أصلا ، فإن منهج الفكر الإسلامى يقوم على التأليف بين العقل والواقع ، ويدعو الإنسان إلى اكتساب المعرفة والاستفادة منها مستعينا بحواسه وعقله كأدوات أنعم الله بها عليه لكي يلاحظ ويجرب ويفكر . وفى استطاعته أن يعزز كفاءة هذه الحواس بأجهزة وأدوات يخترعها ويطور صنعتها ، مثل الميكروسكوب الضوئى والميكروسكوب الألكترونى لتعزيز حاسة البصر للأجسام الدقيقة ، ومثل التلسكوب لرصد الأجسام البعيدة والترمومتر لتقنين درجة الإحساس بالحرارة وغير ذلك من أجهزة الملاحظة والتجريب والقياس والتحاليل الدقيقة .

وقد حملنا الله سبحانه وتعالى مسئولية استخدام وسائل العلم وأدواته فى قوله : ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨) وقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ٨ ـ ١٠) ، وقوله ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية : ١٧ ـ ٢٠) والسؤال عن « الكيف » يتطلب طريقة منهجية لتحصيل المعرفة وتحديد الشروط أو الظروف المؤدية لوقوع الحوادث والظاهرات واستقراء القانون العلمى الذى يفسر سلوكها ، وهذه هى أكثر وظائف المنهج العلمى أهمية . وبإحلال التساؤل العلمى : كيف ؟ محل : لم ؟ أو لماذا ؟ عند القدماء يؤدى المنهج العلمى دوره الأمثل فى بلوغ التعميمات بعيداً عن الوصاية اللاهوتية والميتافيزيقية المتمثلة فى الدلالة القديمة لمعنى العلية والغائية والاقتصار في البحث على وصف الظواهر وتصنيفها

ويجمع فلاسفة العلم على أن عناصر المنهج العلمى التجريبى هى الملاحظة والتجربة والفرض العلمى ، وإن تنازعوا حول أهمية كل عنصر وفاعليته فى ترتيب خطوات المنهج العلمى . وسوف نقصر الحديث فيما يلى عن وضوح هذه العناصر فى التراث العلمى الإسلامى بما يتفق مع كثير من المسميات والمصطلحات الجديدة التى يتداولها المشتغلون بفلسفة العلم .

الحاسب الآلى

٣

العقل البشرى إحدى آيات الله القادرة على اجتياز حدود الزمان والمكان ، فبه يذهب الإنسان إلى الماضى فى ابعد اعماقه ، وإلى المستقبل باوسع مداه .
وهذه المجموعة من الخلايا التى تستقر فى جمجمة الإنسان هل هى العقل نفسه ؟ ام هى اهم وسائله ؟

إن فى القرآن الكريم إشارات واضحة إلى القلب فيها دلالة على أنه القوة العاقلة .

قال تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف ١٧٩ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الحج ٤٦ .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد ﷺ ٢٤ .

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر ١٤

قد نقترب كثيراً من الواقع إذا اعتبرنا هذه المجموعة من الخلايا فى هذه الجمجمة هى أهم وسائل العقل بجانب السمع والبصر وغيرهما من أدوات المعرفة[1] .

هذه المجموعة من الخلايا تختزن المعلومات وتبتكر الجديد وتحل المشكلات .. ولكنها

---

(١) كتبت « الأهرام » صحيفة كاملة عن البروفيسور الدكتور « برنار » أستاذ جراحة القلب بجنوب أفريقيا بعد أن أعلن اعتزاله عن العمل فى « نقل قلب إنسان لآخر » بسبب مالاحظه على أحد مرضاه بعد أن تمت بنجاح عملية نقل قلب إليه .. فإذا بالرجل يتحدث بخواطر كانت عجيبة بالنسبة للدكتور برنار ومساعديه ، واتجه تفكير المجموعة إلى اعتبار هذه الأحاديث (هلوسة) .

ثم تمت عملية ناجحة ثانية لرجل آخر ، فبدت نفس الأعراض ، فطلب الدكتور من مساعديه أن يبحثوا أحوال الرجل الأخير الذى أُخِذ قلبُهُ لهذا المريض الثانى ، وبجمع المعلومات تبين أن هذا المريض الأخير يردد خواطر صاحب القلب الأصلى .

كان ذلك سببا فى ضيق الدكتور برنار وإعلانه اسفه الشديد على هذا اللون من الجراحة مستاء من حياة إنسان يعيش بعقل او قلب غيره .. باختصار شديد : ترى : مادلالة ذلك ؟ .. مجلة الأزهر .

ـ أيضاً ـ يمكن أن تنسى وأن تخطىء ، فهذه سمات الإنسان ، لذلك لجأ الإنسان إلى تدوين كل الحقائق التى توصل إليها وصاغ منها نظريات أو معلومات حتى لا تبيد من بين يديه ..

وعندما نعود بذاكرتنا إلى المقال السابق نجد أنه للتعامل مع الحاسب الآلى ـ يجب الإلمام باللغة التى يدركها .. وأن مكونات هذه اللغة أساسا هى عدة جمل أجملناها فى جمل « الإيضاح » و« الاستبدال » و« اذْهَبْ إلى » وجملة « افْعَل » و« إِذَا » بالإضافة إلى جمل تحديد « المدخل » و« المخرج » من حيث رقم القناة المستخدمة لكلٍ وطريقة كتابة (بيانات المدخل) و(نتائج المخرج) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فلابد أن تصاغ المشكلة المراد حلها عن طريق الحاسب فيما يعرف « بالرسم المتتابع » وهو يعنى الخطوات اللازمة لحل المشكلة فى صورة تخطيطية تمهيداً لإعداد البرنامج الخاص بها . والهدف الأساسى من « الرسم المتتابع » هو ضبط منطقية الخطوات ضماناً لإعطاء نتائج صحيحة .

وللرسم المتتابع مجموعة من المصطلحات نجملها فى الآتى :

١ ـ الشكل البيضاوى : ويعنى البدء أو الانتهاء .

٢ ـ شبه المنحرف : ويعنى مجموعة

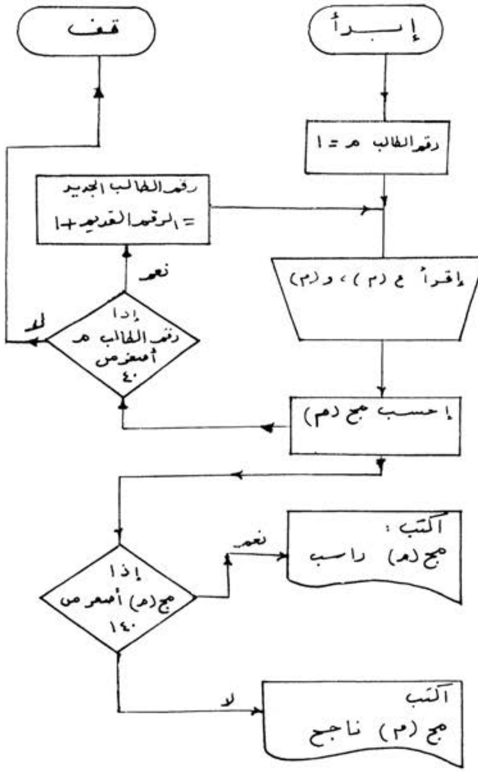

الشكل رقم (١)

البيانات الداخلة أو نتائج الحسابات .

٣ ـ المستطيل : وهو يعبر عن مرحلة استخدام المعادلات الرياضية فى البرنامج لحساب النتائج المطلوبة .

٤ ـ المعين : وهو يعنى الجملة الشرطية « إذا » وهذه الجملة تحتمل إجابتين : « نعم » أو « لا » .

الحاسب الآلي

٥ ـ المستطيل المقطوع : ويرمز إلى النتائج التى سيتم طباعتها بعد التشغيل ـ فمن الممكن أن يطبع الحاسب بعض نتائج الحسابات وليس كلها حسب رغبة واضع البرنامج .

٦ ـ الأسهم : وهى تشير إلى خط سير العمليات والبيانات خلال الرسم المتتابع .

ولنأخذ المثال الآتى لمعرفة كيفية إعداد « الرسم المتتابع » .

لنفترض فصلاً دراسياً به أربعون تلميذاً وقد حصل هؤلاء التلاميذ على الدرجات الموضحة بالجدول التالى فى المواد الدراسية المختلفة .

المادة / اسم التلميذ	عربى عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	مواد اجتماعية عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	علـوم عظمى ٤٠ صغرى ١٦	رياضة عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	لغة اجنبية عظمى ٤٠ صغرى ١٦	ديـن عظمى ٢٠ صغرى ٨	المجموع عظمى صغرى ٢٨٠ ١٤٠
١ ـ	٥٥	٦٠	٣٨	٦٠	٣٩	١٨	
٢ ـ	٥٤	٥٠	٣٧,٥	٥٩	٣٧	١٥	
٣ ـ	٤٣	٥٤,٥	٣٢	٥٤	٣٦,٥	١٦,٥	
٤ ـ	٤٥	٥٣,٥	٣٤	٥٢,٥	٣٥	١٧	
٥ ـ	٢٨,٥	٤٢	٢٨	٤٧	٢٢	١٤	
٦ ـ							
.							
.							
.							
٤٠ ـ							

وأن المطلوب هو إعداد البرنامج للحاسب الآلى الذى يقوم بحساب مجموع التلاميذ وكذلك معرفة النتيجة من حيث النجاح والرسوب . وللوصول إلى هذا الهدف ـ لابد من السير فى سلسلة من الخطوات التمهيدية قبل مرحلة إعداد الرسم المتتابع ـ ونجمل هذه الخطوات فى الآتى :

١ ـ الرمز لكل طالب برمز معين ـ وليكن طـ(١) للطالب الأول ، طـ(٢) للطالب الثانى حسب الجدول السابق ، وهكذا حتى طـ(٤٠) .

٢ ـ الرمز لكل مادة برمز معين فاللغة العربية « ع » والرياضة « ر » والعلوم « ل » والدين « د » والمواد الاجتماعية « و » أما اللغة الأجنبية فنرمز لها بالرمز « ج » وعلى ذلك فإنه يمكن وضع درجات الطالب الأول فى الصورة .

ع (١) = ٥٥ ، و (١) = ٦٠ ، ل (١) = ٣٨

ر (١) = ٦٠ ، ج (١) = ٣٩ ، د (١) = ١٨

وعلى ذلك يُكَوِّن مجموع الطالب الأول ، ويرمز له بالرمز (مج) هكذا :

مج (١) = ع (١) + و (١) + ل (١) + ر (١) + ج (١) + د (١) .

٣ ـ يتم وضع درجات الطالب الثانى فى نفس الصورة الرمزية التى تمت فى الخطوة السابقة ، وكذا باقى التلاميذ حتى طـ (٤٠) . فإذا تمت هذه المرحلة فإننا نكون قد أعددنا البيانات الخاصة بالتلاميذ فى الصورة التى يمكن للحاسب الآلى أن يستخدمها . فبدلا من الجدول السابق يكون لدينا مجموعة من المعلومات فى الصورة الرمزية التى عبرنا عنها فى الخطوة السابقة لكل التلاميذ فى كل المواد الدراسية . يلى هذه المرحلة ـ مرحلة إعداد الرسم المتتابع وهو موضح طبقا للمصطلحات الخاصة به فى الشكل رقم (١) .

ولكتابة البرنامج المناظر لهذا الرسم المتتابع ؛ فإننا نستخدم ورقة بها ثمانون خانة أو مربعا فى كل سطر كطريقة قياسية لكتابة البرامج كما هو موضح فى الشكل (٢) .

شكل رقم (٢)

٨٠	٧٩	.....	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

والمجال المسموح به للكتابة هو من الخانة السابعة حتى الخانة الثانية والسبعين .
ويكتب البرنامج فى الصورة الآتية .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ...

درجات التلاميذ
افعل ٢٠م = ١ ، ٤٠
إقرأ [ع(م) ، و(م) ، ل (م) ، ر (م) ، ج (م) ، د (م)]
مج (م) = ع (م) + و (م) + ل (م) + ر (م) + ج (م) + د (م) .
إذا (مج (م) . اصغر من . ١٤٠)
اذهب إلى ٣٠
اذهب إلى ٥٠
٣٠ اكتب (مج (م) ـ راسب)
٥٠ اكتب (مج (م) ـ ناجح)
٢٠ استمر
قف

جملة هذه السطور تمثل البرنامج اللازم للحسابات أما الدرجات الخاصة بالتلاميذ فتدون فيما يعرف بـ« وثيقة البيانات » وهى تعطى بعد جملة « قف » فى نهاية البرنامج بالصورة :

←

وثيقة البيانات :

٥٥ ـ ٦٠ ـ ٣٨ ـ ٦٠ ـ ٣٩ ـ ١٨
٥٤ ـ ٥٠ ـ ٣٧,٥ ـ ٥٩ ـ ٣٧ ـ ١٥
٤٣ ـ ٥٤,٥ ـ ٣٢ ـ ٥٤ ـ ٣٦,٥ ـ ١٦,٥
٤٥ ـ ٥٣,٥ ـ ٣٤ ـ ٥٢,٥ ـ ٣٥ ـ ١٧
٢٨,٥ ـ ٤٢ ـ ٢٨ ـ ٤٧ ـ ٢٢ ـ ١٤

وهكذا حتى درجات الطالب رقم ٤٠ .

ووثيقة البيانات لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، أما البرنامج الأصلى فلنا عليه عدة إيضاحات نجملها فى الآتى :

١ ـ السطر الأول : وهو اسم البرنامج ولنا الحرية فى اختياره .

٢ ـ السطر الثانى : ويعنى أننا نعطى الأمر للحاسب الآلى أن « يفعل » الجملة رقم ٢٠ لعدد من الطلبة يساوى « م » حيث « م » تتغير من « ١ » إلى « ٤٠ » .

والجملة رقم « ٢ » هذه تشمل كل سطور البرنامج حتى السطر المسجل فى بدايته الرقم « ٢٠ » وهو يوجد بالقرب من نهاية البرنامج . ويكتب بجانب الرقم « ٢٠ » كلمة (استمر) أى إن الحاسب يستمر فى الحسابات طالما أن « م » لم تصل إلى العدد « ٤٠ » فيعود مرة ثانية إلى السطر الثانى مع تغيير قيمة « م » إلى القيمة التالية مباشرة .

٣ ـ إعطاء الأمر للحاسب بقراءة البيانات حسب ترتيب معين فاللغة العربية أولا ، ثم المواد الاجتماعية وهكذا حتى « الدِّين » وذلك من وثيقة البيانات الموجودة فى نهاية البرنامج . وهذا هو معنى السطر الثالث .

٤ ـ السطر الرابع ويمثل المعادلة الرياضية التى يتم عن طريقها حساب المجموع لكل طالب .

٥ ـ السطر الخامس : ويمثل استخدام جملة « إذا » فإذا كان مجموع الطالب أقل من النهاية الصغرى وهى (١٤٠) ففى هذه الحالة نعطى الأمر أن « اذْهَبْ إلى » الجملة رقم (٣٠) أما إذا كان المجموع أكبر من (١٤٠) فإنه يستمر فيقابل الجملة « اذهب إلى ٥٠ » كما يتضح من السطر السادس .

٧ ـ السطر السابع : وهى الجملة رقم (٣٠) سالفة الذكر حيث يعطى الأمر بأن يكتب « المجموع » وبجانبه راسب .

٨ ـ السطر الثامن : وهو يشبه تماماً السطر السابق باستثناء أنه خاص بالناجحين .

٩ ـ السطر التاسع : وهو نهاية الجملة « افعل » فى السطر الثانى من البرنامج .

١٠ ـ السطر العاشر : ويمثل إعطاء الأمر للبرنامج أن يتوقف إيذاناً بالنهاية .

ويلاحظ هنا أن درجات كل تلميذ مسجلة على سطر مستقل فى وثيقة البيانات . فبمجرد تغيير الدرجات من شهر إلى آخر يتم التعديل

فقط فى وثيقة البيانات دون المساس بالبرنامج الأصلى .

وهذه المسألة التى تعرضنا لها فى هذا البرنامج بسيطة للغاية وقد لايحتاج الأمر فيها إلى حساب آلىٍّ لها ، ولكن عندما نتصور مشكلة التنسيق بين مجموع الطلبة فى الثانوية العامة ـ مثلا ـ ورغباتهم فى دخول الجامعة بكلياتها المختلفة ، والدرجات الصغرى التى تحددها كل كلية للطلبة الملتحقين بها لاتضح لنا أهمية استخدام الحاسب الآلى ـ فهذه واحدة من العديد من تطبيقاته وخاصة أن العمليات الحسابية التى تأخذ منا دقائق تتم فى جزء ضئيل جداً من الثانية قد يبلغ أجزاء من المليون من الثانية . هذا بالإضافة إلى أن العين البشرية قد تخطىء فى عمليات الجمع والضرب وغيرها وهذه الأخطاء لا تسجل عادة ، أما بالنسبة للحاسب فهذه الأخطاء من الممكن تسجيلها وتداركها بالتالى بدرجة عالية من الدقة .

وهكذا ... نأتى إلى الاستنتاج الهام وهو أن من الرموز البسيطة .. تتكون اللغة ـ وهذه اللغة استطاعت أن تبسط أعقد العلوم وأصعب المشكلات وكذلك كل ما أبدع العقل البشرى : عناصر بسيطة وقوانين بسيطة يسر الله لعقل الإنسان أن يعلمها فأصبحت « عقلاً » و« حاسباً » وبقى على الإنسان أن يطلق عليها بصيرته حتى يعلم يقبنا قول علام الغيوب : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

فسبحان من ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ صدق الله العظيم

د . سعاد البيلى

الدروس المستفادة ـ بقية ـ

وإن أقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء » .

● فقال له الأسود بن عبد المطلب : « تنكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » ، ثم دله على فراث بن حبان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم فى هذه الرحلة ، وتجهز صفوان من الفضة والبضائع بما قيمته مائة ألف درهم ، ومالبث النبى ﷺ أن بعث زيد بن حارثة بمائة راكب يتعرضون للقافلة ، فلقيها زيد عند ماء يقال له « القردة » (وهى ماء بنجد فى الرمة لبنى نعامة) ففر المشركون مذعورين ، وأصاب المسلمون القافلة ، وأسروا دليلها فراث بن حبان ، فلما جىء به إلى المدينة دخل الإسلام .

● وهكذا حرم المشركون من طريق مكة ـ العراق ، كما حرموا من قبل من طريق مكة ـ الشام ، فأصبح الحصار الاقتصادى مطبقا عليهم من كافة الطرق المؤدية إلى الشام والعراق (انظر الخريطة) .

(للبحث صلة)

طرائف

نحب ما أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

كان سيدنا عمر - رضى الله عنه - يفرض لأسامة بن زيد فى العطاء خمسة آلاف ، ولابنه عبد الله ألفين ، فقال له عبد الله : فضلّت على أسامة وقد شهدت مالم يشهد ؟

فقال : إن أسامة كان أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك ، وأباه كان أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبيك .

« اليد العليا والسفلى »

أعلى الأيدى ، المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ، ثم الآخذة بغير سؤال ، وأسفل الأيدى : السائلة والمانعة .

« بر عميق »

كان يحيى البرمكى فى سجنه يتأذى من استعمال الماء البارد فى الشتاء ولا يقدر على تسخينه !!

فكان الفضل ابنه يأخذ الأبريق النحاسى وفيه الماء ، فيضعه على بطنه زمانا لينكسر برده بحرارة بطنه ، حتى يستطيع أبوه استعماله .

« حقـا »

أتطلب صاحبا لاعيب فيه

وأى الناس ليس له عيوب

« أحـدهم »

- المشفق أحد الوالدين .
- الدهر أحد المؤدبين .
- التدبير احد الثروتين .
- القلم أحد اللسانين .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« شتـان »

قال الأصمعى : أدركت أقواماً كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهراً أو شهرين ، فإذا لقيه لم يزده على : كيف أنت ؟ .

ولو سأله شطر ماله لأعطاه .

ثم أدركت أقواماً ، لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوما (ثم لقيه لسأله) عن الصغير والكبير حتى الدجاجة فى البيت .

ولو سأله حبة من ماله لمنعه !

« الاخلاء ثلاثة »

قال أحد الحكماء : للمرء ثلاثة أخلاء :

خليل يقول له : أنا معك حيا وميتا .

وهو : عمله .

وخليل يقول له : أنا معك حتى تموت .

وهو : ماله .

وخليل يقول له : أنا معك حتى باب قبرك وهو : ولده .

« ما هو بغريب »

أنشد أعرابى قوماً شعرا فاستغربوه فقال : والله ما هو بغريب ، ولكنكم فى الأدب غرباء ..

« دعـاء »

اللهم عافنا من بلائك ، ونجنا من سوء قضائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك . اللهم بك آمنا ، ولك أسلمنا فاجعلنا لآلائك ذاكرين ولنعمائك شاكرين وجنبنا من الفزع الأكبر يوم الدين .

لغتنا بين النقد والتاريخ

تاريخ اللغة مرتبط بتاريخ الأمة ، وقد وجد كثير من العلماء والرواة يصعدون باللغة مع تاريخ العرب إلى مئات السنين غير أنه وجد من المفكرين المحدثين من يحاول أن يغمز اللغة في أكثر من موضع سواء في متنها أو في اختلاف الألفاظ والكلمات المفردة أو أدائها للمعاني المرادة منها . فكيف يستقيم لهم هذا مع تسليمهم بأن اللغة العربية ، هي لغة القرآن . والقرآن خير شاهد على سلامة اللغة العربية . لفظاً وذوقاً وتركيباً .

قال الكاتب رحمه الله :

اللغة أصدق شاهد على تاريخ الأمة ، وأوضح دليل على تمثيل لون الحياة التى عاشت عليها ، والتى تعيش فيها ، وأقوم طريق في بيان الأطوار التى مرت بها ؛ ذلك لأن اللغة ـ سواء من ناحية متنها وأوضاعها المفردة أم من ناحية أساليبها التركيبية المختلفة ـ مرآة تنعكس على صفحتها صورة الأمة في حياتها الاجتماعية ؛ فالكلمات التى هى مادة الفهم والإفهام فى طرائق أداء المعانى ، والتى تجمعها المعاجم وتضبطها الدواوين ، أو التى ندت عنها لسبب من الأسباب ، صورة لما عرفته الأمة من المدلولات والمعانى والحقائق والتصورات ؛ والأساليب الأدبية بضروبها المختلفة صورة لما وصلت إليه الأمة من قدرة على الافتنان فى تأدية المعانى وطرائق التفاهم حسبما توحى به طبيعة الحياة .

هذا القانون طبيعي لا تشذ عنه لغة من اللغات ، ولا تخرج عن سلطانه أمة من الأمم ؛ فاللغة العربية ـ كغيرها من اللغات ـ صورة لحياة الأمة العربية .

ولكن أية لغة تلك التى يصدق عليها هذا القانون ؟

أهذه اللغة الممثلة فى الكلمات والألفاظ التى تحويها المعاجم المعروفة ؟

أم هناك لغة أو لغات ممثلة فى ألفاظ وكلمات وراء هذه الألفاظ والكلمات المتداولة نسى الناس بعضها أو تناسوها ، وجهلوا منها أشياء أو تجاهلوها ؟

لفضيلة الشيخ / صادق إبراهيم عرجون
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات

وأية أمة هذه التى يجب أن تؤمن بصورتها المنتزعة من أطواء هذه المعاجم ؟

أهى ذلك الجيل العريق فى القدم والذى عاصر الحياة على ظهر الجزيرة العربية مئات من السنين قبل ظهور الإسلام ، فبادت منه أمم وبقيت منه أمم ؟

أم هى هذا الجيل الذى لقيه الإسلام مترجحاً بين الشمال والجنوب لا يستقر على حال من القلق ؟

وأية أساليب تلك التى نستخلص منها صورة الحياة الاجتماعية للأمة العربية ودرجة اقتدارها على الافتنان فى تأدية المعانى :

أهذه الأساليب المعروفة فيما أثر من نصوص أدبية عرفها الناس وتناقلها الرواة حتى انتهت إلينا فى كتب الأدب ورسائل الأدباء ودواوين الشعراء ؟

أم هناك أساليب أخرى لم تظفر بما ظفرت به هذه الأساليب من حظ التدوين والضبط ، كان يمكن أن تؤدى إلى لون أو ألوان تغاير هذه الألوان التى عرفها التاريخ عن الأمة العربية ؟

وهل يمكن فى هذا المقام أن يعتمد على القرآن الكريم كمصدر من ناحيتيه الإفرادية والأسلوبية ، وإلى أى حد من الماضى فى تاريخ الأمة يكون هذا الاعتماد ؟

هذه أسئلة بدهية التعرض فى طريق الباحث عن صلة اللغة العربية بحياة الأمة العربية إذا أريد التوكؤ عليها فى فهم المعالم الأولى للأطوار التى مرت بتاريخ هذه الأمة ؛ وهذا بحث شاق عسر ؛ بيد أنه على مشقته وعسره عظيم الفائدة فى موضوعه ، أحببت أن أثيره قصداً إلى إثارة الأفكار والأقلام لتجول فى ميدانه جولات عسى أن تكشف عن بعض غوامضه .

ولم أضع هذه الأسئلة لأجيب عنها ، بل وضعتها لأوجه البحث إليها ؛ فهى قد تكون « سَناً » فى مفتاح البحث ، وقد يعرض غيرها لبعض الباحثين فيلحق بها فى محاولة الإجابة عنها . والحق أن هذا اللون من الأسئلة لا يوضع ليجاب عنه ، لأننا لسنا أمام حقائق مقررة ثابتة نستند عليها ، وإنما يوضع لتقريب الاتجاه إلى البحث الذى قد ينتهى فيما بعد إلى حقيقة تقرر إذا استقامت لها شرائعها واتضحت آياتها .

● ● ●

تاريخ اللغة يتبع تاريخ الأمة فى الوجود وفى تصرفات الحياة ؛ والأمة العربية كغيرها من الأمم المعاصرة لها أمة قديمة التاريخ كثيرة التعرض للتقلبات وتصاريف الحياة ؛ فهل كان للغتها حظ من ذلك ؟ لقد عرض العلماء والرواة لهذا البحث ، فتكلموا على نشأة العربية كما تكلموا فى نشأة العرب ، وتكلموا فى حياة الحميريين وأهل الجنوب وحياة المضريين وأهل الشمال ، كما تكلموا

على فروق بين عربية حمير وعربية مضر ، وفى ذلك تروى كلمة أبى عمرو بن العلاء المشهورة « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا » ، وتروى قصة تقول : إن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فلقيه فى متصيد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له ؛ فقال له الملك : « ثب » أى اجلس بلغة حمير ، وظن الرجل أن الملك يأمره بالوثوب من الجبل ، فقال : ستجدنى أيها الملك مطواعاً ، ثم وثب من أعلى الجبل فهلك ! فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة ، فقال : « أما إنه ليست عندنا عربية ، من دخل ظفار حمّر » يريد من دخل فى بلدنا تعلم لغتنا ليفهم عنا ما نريد . ونحن إذا نظرنا إلى ما فى عبارة أبى عمرو وجدناه سمى لسان حمير عربية ، ولكنه رآها تختلف عن عربية مضر وأهل الحجاز ، ثم هو يرى أن هذا الاختلاف خاص بأقاصى اليمن مما عسى أن يكون قد تأثر بلغات البلاد المصاقبة .

والذى فى قصة ابن دارم مع الملك الحميري ـ على فرض صحته ـ لا يصلح أن يكون دليلاً ، ولا شبه دليل على اختلاف بين اللغتين يوجب استقلال كل لغة عن صاحبتها ، وهو اختلاف معروف وموجود فيما وصل إلينا من اللغة ، وشهرةُ الكلمة في قبيل بمعنى مخالف لشهرتها بغيره فى قبيل آخر ، ووجود كلمة لمعنى عند قوم وأخرى لهذا المعنى عند آخرين ، لا يقدح فى وحدة اللغة من جهة أصولها وقواعدها ؛ وقد وقع نحو هذا الاختلاف على عهد النبي ﷺ والعصور التى تلت عصره ، فلم ير فيه العلماء والرواة دليلاً على اختلاف يخرج اللهجتين عن ساحة العربية .

روى أن أبا هريرة لما قدم من « دَوْس » عام خيبر لقى رسول الله ﷺ وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولنى السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد ، فكرر له القول حتى قال : آلمدية تريد ؟ وأشار إليها ، فقيل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم سكينا ؟

وقد ثبت أن النبي ﷺ كتب إلى قوم من عرب الجنوب بما لم تعرف ألفاظه أو بعضها عند أهل الحجاز حتى قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لم نفهم .

ولم يذهب أحد من العلماء فى القديم ولا فى الحديث إلى القول بأن هذا ونحوه خارج عن حد العربية المبينة ، وإنما الذى ذهبوا إليه أن هذا دليل على سعة اللغة العربية ، وأنه قد يوجد منها عند بعض الناس مالا يوجد عند غيرهم والجميع عرب أقحاح .

وقال الجاحظ في البيان : « وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك نجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ؛ حدثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة ، فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة ، فضعوا

القرآن حيث شئتم ؛ أنتم تسمون « القدر » « بُرمة » وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول « قِدْر » ونجمعه على قدور ، وقال الله عـز وجل ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ ؛ وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت « عُلية » وتجمعون هذا الاسم على « علالى » ، ونحن نسميه « غرفة » ونجمعها على غرفات وغُرف ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ وقال ﴿ وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ ؛ وأنتم تسمون « الطلع » الكافور والأغريض ، ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾.

قال أبو سعيد : « فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا »

والعبرة فى هذا الكلام فيما يتصل بموضوعنا من وجوه :

(أولاً) أن قبائل العرب لما نزلت أمصار الإسلام فى الفتوحات كانت تختلف لغاتها فى الألفاظ والمفردات ، فأخذ كل مصر من الأمصار بلغة القبيلة التى نزلته .

(ثانياً) أن هذا الاختلاف كان متعالماً بيناً إلى درجة أن يكون موضع تفاخر فيما بين أهل الأمصار .

(ثالثاً) أن هذا الاختلاف لم ير فيه العرب أنفسهم ، بله الرواة والعلماء من بعدهم ، بُعدا عن العربية التى انتهت إلى رباط عام بين جميع قبائل العرب ، وإنما كل ما نظروا إليه سجاحة اللفظ وفصاحته وقربه من ألفاظ القرآن الكريم . وذا هو الجاحظ يسجل ذلك فى رده على الفتح بن خاقان فى رسالته التى كتبها له فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة ؛ قال أبو عثمان : « وزعمت أن هؤلاء وإن اختلفوا فى بعض اللغة وفارق بعضهم بعضا في بعض الصور فقد تخالفت عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز فى اللغة ، وهى فى أكثرها على خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن ، وكذلك الصورة والشمائل والأخلاق وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ولا معلهج ولا مدرع ولا مزلج ، ولم يختلفوا اختلاف ما بين بنى قحطان وبنى عدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك البرية من خصائص الغرائز وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة والأخلاق واللغة » ، إلى أن قال : فإن قلت : فكيف كان أولادهما جميعاً عربا مع اختلاف الأبوة ؟ قلنا : « إن العرب لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفى اللغة والشمائل والهمة ، وفى الأنف والحمية ، وفى الأخلاق والسجية ، فسبكوا سبكا واحداً ، وأفرغوا إفراغاً واحداً ، وكان القالب واحداً ، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط حتى صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم والأخص وفي باب الوفاق والمباينة من بعض الأرحام ، وجرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو إسماعيل ، وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان وهو ابن عابر ؛ ففى إجماع الفريقين على التناكح والمصاهرة ومنعها من ذلك جميع الأمم كسرى فمن دونه ، دليل على أن النسب عندهم

متفق ، وأن هذه المعانى قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة » .

وقد عقد أحمد بن فارس فى كتاب « الصاحبى » بابا لهذا الاختلاف ، فقال : باب القول فى اختلاف لغات العرب ، ثم ذكر ثمانية عشر وجهاً للاختلاف ، ثم قال : « وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها ...

وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كُلٌّ . » فهو ـ على ما ترى ـ يسميه اختلاف لغات العرب ، ويرى أن كل لغة منها كانت لقوم دون قوم ، ولم يخرج ذلك جميعها عن حد العربية إلى نحو العبرية والحبشية فى الاستقلال ، ولما انتشرت وتعاورها العرب أجمعون صارت لغة واحدة .

● ● ●

هذا من ناحية متن اللغة واختلاف الألفاظ والكلمات المفردة فى وضعها لمدلولاتها وأدائها لمعانيها ، والشواهد عليه أكثر من أن يحاط بها ؛ أما من ناحية التراكيب فالأمر فيها يرجع إلى جهتين :

(الأولى) النظر إلى جهة الإعراب وهيئات الكلمات عند وضعها في الموضع الذى يتطلبه اختلاف المعانى ، وهذا ما ضبطه علم النحو وكفل القيام بمعرفته .

(الثانية) طريقة ابتناء التراكيب طبقاً لمقامات الكلام ومقتضيات الأحوال ، وهذا ما كان ينبغى أن يقوم على كفالته فن البلاغة ، فأما جهة الإعراب فلم أر من زعم أن اختلافاً وقع فيها غير هذا الاختلاف الذى تذكره كتب النحو فى مثل إعمال « ما » عند قوم وإهمالها عند آخرين ، وهو اختلاف منثور فى بطون الكتب معروف لدى من شدا شيئاً من أوائل النحو والإعراب .

بيد أنا وجدنا العلامة ابن خلدون ذكر فى المقدمة : أن اللسان المضرى مع اللسان الحميري كان فيما سلف بمثابة اللغة فى عصره وما كانت عليه من فساد فى الإعراب بالنسبة لما كانت عليه في عصورها المصححة لإعرابها ، وهذا عند ابن خلدون اختلاف استقلالى فى اللغة من جهة الإعراب والتصريف والأوضاع ، وإن كان لا يؤثر فى نظره فى بلاغة الكلام وبراعة البيان ؛ قال : « وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتفتن فى ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ، وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم ، وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفيهم الخطيب المصقع فى محافلهم ومجامعهم ، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم ؛ والذوق الصحيح

ـ البقية ص ١٣٧٩

اللغة والأدب والنقد

الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى

مصطفى صادق الرافعى
فى عقد فرائده

إمام النحاة
وقضية الاستشهاد بالحديث

الذوق العربي وظاهرة الانسجام الصوتي

في ضوء معطيات علمي الصرف والأصوات

الفصل الأخير

المماثلة وأصوات العربية :

إن العلاقة الصوتية بين الصوامت والصوائت قوية ، وهي كفيلة بتحقيق المماثلة ، وليس من الضروري أن يكون المتجاوران من مجموعة واحدة ، كما أن وسائل إتمام هذه الظاهرة متنوعة ، وليست محصورة في الإبدال ، وليس أدل على قوة العلاقة بين نمطي الأصوات العربية من الأمور الآتية :

١ ـ ما أشار إليه سيبويه من الانسجام بين الصوامت والصوائت في فتح عين المضارع من الثلاثي إذا كانت عينة أو لامه حرفا حلقيا ، نحو سأل يسأل ، وبعث يبعث ، وقرأ يقرأ ، وقلع يقلع[١] ، معللاً ذلك « بأن هذه الحروف سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذي هو في حيزها ، وهو الألف » وقد علق على هذا التعليل الدكتور / عبد الصبور شاهين مقرراً أن الفتحة بحكم كونها أوسع الحركات هي أنسب ما يسبق الصوت الحلقي أو يلحقه ، كما أشاد برأي سيبويه في الانسجام بين الصوامت والحركات معلنا أنه يتفق مع أحدث التفسيرات الصوتية لأحداث الفصحى[٢] .

٢ ـ ما قرره ابن جني من أن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها ، وقد أثبتت معطيات علم الأصوات التجريبي ذلك ، فالتاء المكسورة

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٢ .

(٢) القراءات القرآنية ٢٨٩ .

ـ مثلاً ـ تجذبها الكسرة إلى الأمام أكثر من التاء المضمومة[٣] .

٣ ـ من الثابت فى الدراسات الصوتية أن الحركات يعتورها التفخيم والترقيق متأثرة بالصوامت ، فالفتحة ـ مثلاً ـ لها ثلاث أحوال : التفخيم متى صاحبت حروف الإطباق ، والتوسط متى صاحبت حروف الاستعلاء ، والترقيق مع بقية الحروف[٤] .

وعلى هذا يمكن القول بأن اختلاف طبيعة الصوامت عن الصوائت لا يعنى تنافى العلاقة الصوتية بينهما ، كما أن العلاقة الصوتية ليست محصورة فيما يسمى بالتقارب أو التجانس ، وليس أدل على ذلك من اعتبار التعديل فى الملامح غير التمييزية ، كالتفخيم والترقيق والإمالة والإشمام .. من مظاهر هذه العلاقة من جانب ، ووسيلة من وسائل تحقيق المماثلة من جانب آخر .

وتأسيسا على ما سبق فإنى أميل إلى ما ذهب إليه معظم الباحثين ، وأيدته القرائن من أن المماثلة تتم بين الصوامت والصوائت ، ولا غرو فى ذلك ، فالذوق العربى ينشد السهولة أنَّى وجدها ، والأمثلة على ذلك موفورة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك وسيلة أخرى لتحقيق ذلك الانسجام وهى ظاهرة المخالفة فماذا عن مفهومها ، وأسسها وصورها وجدواها ؟؟

ثالثا : الانسجام الصوتى فى ضوء المخالفة :

(أ) مفهوم المخالفة وجدواها :

بنى مفهوم المخالفة عند اللغويين على التباين بين المتجاورين ، إذ عرفوها بأنها « تعديل الصوت الموجود فى سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور تعديلا عكسيا ، يؤدى إلى زيادة الخلاف بين الصوتين »[٥] .

وعلى هذا فالتخالف عكس التماثل ، غير أن هدفيهما واحد ، وهو تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة . ومن نماذج هذه الظاهرة ما قرره الصرفيون[٦] من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا نحو (أواصل) فى جمع (واصل) ، والأصل (وواصل) ، فقد خالف الذوق العربى بين الواوين ، فقلب أولاهما همزة هروبا من الثقل ، وفراراً من الصعوبة التى يتوخاها منهجه العام ، ولا يخفى أن المخالفة هنا بين المتماثلين حالة الاتصال . ومن المخالفة بين المتقاربين قلب اللام نونا فى (جبرائين) والأصل (جبرائيل) للتخالف بين الراء ←

(٣) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٨ .

(٤) النشر ٢/ ٩٠ (مذاهبهم فى ترقيق الراءات وتفخيمها ، التمهيد ١٢٥ ، دراسات فى التجويد والأصوات د/ عبد الحميد أبو سكين ٧٤ : ٧٨ ، ٩٨ : ١٠١ .

(٥) انظر : ابنية العربية ٦٨٧ ، معجم المصطلحات اللغوية ٣٨ ، المحيط : الأنطاكى ١/ ٢٣ .

(٦) انظر : شرح المفصل ١٠/ ١٠ ، المتع ١/ ٢٣٢ ، سر الصناعة ١١١ .

واللام ، وإذا كانت الراء واللام والنون من مخرج واحد ، فإن لكل حرف منهن حيزا ومدرجا خاصا به ، وإلا صرن حرفا واحدا ، ولا ريب أن المخالفة هنا بين المنفصلين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لظاهرة المخالفة أصولاً فى تراثنا اللغوى ، وليس أدل على ذلك من الباب الذى عقده سيبويه فى كتابه يعالج هذه الفكرة وأطلق عليه « باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد »(٧) ومن النماذج التى ذكرها « تسريت وتظنيت وأمليت .. إذ أن الأصل تسررت وتظننت وأمللت ، فكانت المخالفة بإبدال ثانى المتماثلين ياءً طلبا للخفة .

ومن هذا المنطلق عقد الزجاج فى إعراب القرآن بابه « ما جاء فى التنزيل من المضاعف ، وقد أبدلت من لامه حرف لين »(٨) مستشهدا بقول الله تعالى ﴿ فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(٩) أى تملل ، لقوله ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾(١٠) ومن الإشارات الواضحة إلى هذه الظاهرة ما قرره ابن دريد فى الجمهرة من أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان فى حروف الحلق دون حروف الفم ، ودون حروف الزلاقة كلفته جرسا واحدا ، وحركات مختلفة »(١١) وفى ذلك ما يدعو إلى الصعوبة والثقل .

ولا يخفى أن اشتراط ابن سنان الخفاجى(١٢) لفصاحة الكلمة تأليفها من حروف متباعدة المخارج إشارة واضحة إلى ثمرة ظاهرة المخالفة وجدواها ، وقد أفصح عن ذلك مقرراً أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة .

كما أشار ابن جنى فى كتابه الخصائص إلى فكرة المخالفة فيما أسماه « باب فى تدافع الظاهر »(١٣) إذ جعل من نماذجه استثقالهم المثلين ، وقلب أحدهما ، مستشهدا بقولهم (أمليت) مشيرا إلى ثمرة المخالفة إذ أن التخفيف يتم فى ظل هذا الإبدال .

تلكم بعض الإشارات إلى أصالة هذه الظاهرة بين ثنايا تراثنا اللغوى ، وهناك كثير غيرها(١٤) ، والذى يعنينا هو دلالة تلك الإشارات على إطراد المنهج العام للذوق العربى فى تحقيق الخفة والسلاسة والانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة .

وفى ضوء ذلك يثور على بساط البحث سؤال : أليس من التناقض أن تحقق المخالفة نفس الغرض الذى تهدف إليه المماثلة ؟؟

---

(٧) الكتاب ٤/٤٢٤ .

(٨) إعراب القرآن ٣/٨٠٠ : ٨٠٢ ، مقومات اللهجة د / إبراهيم ابو سكين ٣٥ .

(٩) الفرقان ٥ .

(١٠) البقرة ٢٨٢ .

(١١) الجمهرة ١/٩ .

(١٢) سر الفصاحة ٥٤ .

(١٣) الخصائص ٢/٢٢٧ : ٢٣٣ .

(١٤) شرح المفصل ١٠/٢٥ ، الممتع ١/٣٧٢ : ٣٧٨ ، شرح جمل الزجاجى : ابن هشام ٤٥١ .

والحقيقة أنه لا تعارض ، ولا تناقض ، فالذوق العربى يتوخى السهولة ، وينشد الخفة بشتى الوسائل ، والأمر لا يخرج فى إطاره العام عن انتقاء أيسر الطرق وأسلسها ، ففى مثل (قطَّع) و (علَّم) يسهل النطق فى ضوء الإدغام ، ومن ثم كانت المماثلة ، أما دون الإدغام يثقل على اللسان النطق بالمثلين ، لأن الرجوع من أحدهما بعد الانتقال عنه إلى الآخر مجلبة للصعوبة فى النطق كما فى (امْلَلَ) على وزن (افْعَلَ) ومن هنا كانت المخالفة تحقيقا للتخفيف ، إذ أبدلت اللام الثانية ألفا ، فقيل (أملى)[١٥] .

وقد وضَّح هذه الحقيقة بعض المحدثين[١٦] مشيراً إلى أن التخالف مرحلة وسطى بين التنافر والتماثل ، وعلى هذا فالتناقض بين التنافر والتماثل ، ولا تمثل المخالفة هنا الضدية للمماثلة إذ أن « النظام اللغوى والاستعمال السياقى يحرصان على التخالف ، ويكرهان التنافر والتماثل ؛ لأن التنافر ينافى الذوق العربى ، كما أن التماثل يؤدى إلى اللبس » ، ومن ثم فإن ظاهرة التأليف تتفادى التنافر دون الوصول إلى التماثل ، وذلك بالوقوف عند حد التخالف ، ومن ثم فلا تناقض ، وإنما الرغبة فى التخفيف دون الوقوع فى دائرة التنافر مع أمن اللبس والصعوبة فى آن واحد .

وإذا كان هناك من فرق بين الظاهرتين فإنه يكمن فى كيفية معالجة الصيغة ، إذ تعتمد المماثلة على التقريب بين المتجاورين كما سبق ، وتقوم المخالفة على المفارقة بينهما ، ومن ثم تعمل المماثلة على تقليل الخلافات بين الفونيمات قدر الطاقة لدرجة فناء أحد المتماثلين فى الآخر ، بينما تلعب المخالفة دوراً كبيراً فى إبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية ، ولا يخفى أن المماثلة أكثر شيوعا واستخداما عن المخالفة .

أما من فرَّق بين الظاهرتين فى ضوء اختلاف هدفيهما ففى رأيه نظر ، إذ قرر بعض الباحثين[١٧] أن المماثلة تهدف إلى تيسير اللفظ عن طريق تيسير النطق ولا تلقى بالا إلى الجانب الدلالى ، على عكس المخالفة التى تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ، و لاتلقى بالاً إلى العامل النطقى ، وأرى أن الأمر على خلاف ما قرر الباحث ، إذ لا يمكن الفصل بين هدفى الظاهرتين ، ومن الوضوح بمكان أنهما حققتا جانب اليسر فى النطق دون أن تهملا جانب الدلالة ، وليس أدل على ذلك من النماذج التى سقناها بين دفتى البحث ، أضف إلى هذا أن الباحث لم يسعفنا بأمثلة أو نماذج توضح الفرق الذى ارتآه .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ـ من أن المخالفة كالمماثلة تعنى بالجانب اللفظى قدر عنايتها بالجانب الدلالى ـ ما قرره بعض الباحثين[١٨]

←

(١٥) ابنية العربية ١٨٨ .

(١٦) اللغة العربية معناها ومبناها : د / تمام حسان ٣٦٤ : ٣٦٥ بتصرف .

(١٧) دراسة الصوت اللغوى ٣٣١ .

(١٨) الأصوات اللغوية : د / انيس ٢١١ ط٦سنة ١٩٨١ م .

من أنها تقع غالبا بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى كتجاور صوتين مطبقين أو رخوين ، كما تقع نادراً بين الأصوات الشديدة ، نحو قولهم فى (إجانة) (إنجانة) ، كما لاحظ أن التغيير غالبا يكون إلى صوت لين طويل ، أو شبيه بصوت اللين ، ولاسيما اللام والنون ، كقولهم فى (المح) (الماح) وهو صفرة البيض ، وفى (قرّاط) (قيراط) .

(ب) المخالفة وأصوات العربية :

تقع المخالفة بين الأصوات العربية داخل الصيغة اللغوية بغية تيسير نطقها وإضفاء مسحة من الانسجام الصوتى بين ربوعها ، ومن ثم يكثر وقوعها ـ كما سبق ـ بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى ، غير أن هذا ليس معناه الإطراد ، فقد وقعت بين الصائتين ، والصامتين ، والصامت والصائت ، ومن نماذج ذلك فى ميدان الصوائت إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا تجنبا للنطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع ، ومن هذا القبيل نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة ، وكذلك كسر نون المثنى(١٩) .

ومن المخالفة بين الصوامت قلب الراء الأولى ياءً فى (قرّاط) فتصير (قيراط)(٢٠) أما بين الصوامت والصوائت ففى مثل (يأتمى) والأصل (يأتمم) فقلبت الميم الثانية ياءً ، فى قول الشاعر :

نـزور امرءا أمـا الاله فيتقى
وأمـا بفعل الصالحين فيأتمى(٢١)

وفى ضوء الأمثلة السابقة يمكننا الوقوف على صور المخالفة ، فإذا كانت بين صوتين متجاورين سميت (تجاورية) نحو (أواصل) وإن كانت بين متباعدين سميت (تباعدية) مثل قولهم (باسمك) فى (ماسمك) بقلب الميم الأولى باءً كما تسمى (تقدمية) إذا كان التأثير ناجماً عن الصوت الأول نحو (لعن) فى (لعل) ، أما إذا كان التأثير ناجماً عن الصوت الثانى سميت (رجعية) نحو (أواصل) .

ومما تجدر الإشارة إليه فى نهاية المطاف أن الذّوق العربى تمكن فى ضوء هذه الألوان المتنوعة من تحقيق الانسجام الصوتى بين نسيج الكلمة مثبتا بذلك إطراد منهجه فى توخيه السهولة والتيسير والاقتصاد فى الجهد سواء عن طريق المماثلة أو المخالفة ، وإليك بعض النتائج التى تمخض عنها البحث :

---

(١٩) التطور اللغوى ٤٢ .
(٢٠) انظر فى ذلك الممتع ١/ ٣٧٠ .
(٢١) البيت من الطويل ، وقائله كثير عزة من قصيدة يمدح بها عمر بن العزيز ، انظر : الديوان ٢/ ١٢٢ طبعة الجزائر سنة ١٩٢٨ م ، اللسان مادة (أمم) ، الضرائر : ابن عصفور ٢٢٨ والرواية (رأيت رجلا) شرح المفصل ١٠/ ٢٤ ، الممتع ١/ ٣٧٤ .

١ ـ طُبع الذوق العربى على الدقة والسلاسة ، وجُبل على مواكبة الخفة ومناشدة التيسير ، وليس أدل على ذلك من إطراد منهجه فى معالجة الصيغة اللغوية .

٢ ـ تمكن الذوق العربى فى ضوء ظاهرة الانسجام الصوتى من تحقيق الخفة فى النطق والسيولة فى الأداء معتمدا على وسيلتى المماثلة والمخالفة

٣ ـ ظاهرة الإنسجام الصوتى مرآة صادقة على إطراد ملامح الذوق العربى وأصالتها ، وكيفية تحققها .

٤ ـ ظاهرة الإنسجام الصوتى شاهد عدل على ثراء تراثنا اللغوى من جانب ، وريادة علماء العربية للغربيين فى علم الأصوات الفونولوچى من جانب آخر(٢٢) .

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

د / عبد المنعم عبد الله محمد

مجلة الأزهر. بقية.

والطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب فى أواخر الكلم الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفاً وهو الإعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان ... إلى أن قال : ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه . فتكون لها قوانين تخصها ، ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مضر ... ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميري بهذه المثابة ، وتغيرت عن مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ... وليس ذلك بصحيح ، ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها كما هى لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر » .

يتبـــــع

(٢٢) مجلة الأزهر :
هذا ما وسع المجلة أن تقدمه من هذا البحث الجيد نظراً لمساحتها آملين للباحث كل توفيق ، كذلك نشير إلى أن لفظ « الانسجام » يتسم مع ما يريده الباحث على ضرب من المجاز قريب ، فإن « السيولة بلا عوائق » تفهم من المادة الأصلية ..

مصطفى صادق الرافعي

في عقد فرائده (وحي القلم)

لا ريب عندى فى أن كتاب (وحى القلم) للمرحوم مصطفى صادق الرافعى هو حديقته الغناء ، وروضته الفيحاء ، وهو عقد بيانه ، وسمط جمانه ، الذى هو كلما قلبت فى فرائده ناظريك ، بهرتك بألوانها المنبعثة من جوانبها ، وسحرتك بمعانيها المتدفقة من جداولها التى تستمد سلسالها من ينابيع العقيدة الاسلامية التى لا تنضب ، ولا تأسن ، انه باقة نادرة من زهور الفكر الثاقب اللماح ، أبدعها ، وافتن فى تنضيدها مصطفى صادق الرافعى .

والرافعى فى كتابه هذا تتجلى عبقريته ، وبراعته ، اذ ينفذ بثاقب بصيرته الى أعماق النصوص ، ويتسلل الى زوايا التاريخ ، والتراث ، منقبا كاشفا ما خفى واستتر حتى عن ذوى العقول والبصائر .

وهو حين يعرض واقعة تاريخية ، أو يلقى بموعظة ، أو يبرز معلومة ، أو يقص قصة أو يتحف بطرفة ، لا يطرحها جامدة صماء ، لا نبض فيها ، ولا حياة ، ولا يقذفها جافة خشنة ، تصك الآذان ، وتجرح الذوق والوجدان ، ولكنه يبثها الى العقول والنفوس ، فى لطف الطبيب ، ولباقة الحكيم ، ومهارة الخبير بمداخل النفوس ، فتنسلب اليها انسياب النسيم العليل المشبع بأريج الزهور ، وشذا الرياحين ، فتنبض بها القلوب ، وتخفق الأرواح ، وترتوى العقول ، لتكون فى الأعصاب والجوارح عملا دائبا ، صالحا ، يقيم صرح الحياة ، ويضع الأقدام على طريق السلامة الى الآخرة ، وتلك هى رسالة الأدب فى أرقى وأرق صوره ، وأجل مقاصده .

وهو — أى الرافعى — يلتقط الومضة أو اللمحة من آية قرآنية مقدسة ، أو حديث نبوى شريف ، أو قول مأثور ، أو موقف من مواقف الأبطال والصالحين والعلماء ، فى الغابر ، فيستخلص الرحيق والمغزى منه ، فيربيه وينميه ، وينداح به الى حيث شاء فكره الخصب ، وخياله المشبوب ، فاذا بك أمام بحر لجى من المعانى ، قد اصطخبت أمواجه ، وتناءت شطآنه ، أو كالدوحة الهائلة العظيمة التى نبتت ، ونمت من بذرة ضئيلة ، أو فسيلة

للأستاذ/ محمد عبد الرحمن صالح الدين

هزيلة ، ومع ذلك كله لا يعطيك الا ثمرا شهيا ، وزهرا بهيا ، وعلما ثريا ، لا مجرد تسلية لا طائل منها .

والكاتب أو الشاعر الحقيقى المتمكن المبدع ، هو الذى يستطيع أن ينقل اليك تصوراته وخواطره ، ويبثك أحاسيسه ومشاعره ، ويملأ عقلك بما تتضمنه كتاباته المنثورة أو المنظومة على حد سواء .

والرافعى فى كتابه (وحى القلم) هو ذلك الكاتب القادر ، الساحر ، الذى يستحوذ على كل مشاعرك وحواسك ، ويحصرك فى عالمه الرحب البديع ، حتى اذا فرغت من القراءة ، شعرت بأنك قد عدت من رحلة ممتعة فى الأزمنة والأمكنة مزودا بما اكتسبت من معارف غالية ، وقيم عالية ، ومبادىء سامية ، تنير أمامك طريق الحياة الهانئة السعيدة ، كما خطها الدين بحكمته ، وكماله .

وقبل أن نرتاد هذا الكتاب ، ونجوس خلال مروجه ، أحب أن يكون فى معلوم القارىء الكريم ، أنى أردت أن أرصع مقالى هذا بفقرات ومقتطفات من الموضوعات التى أشير اليها ولكنى أحسست بأن ذلك يفقدها شيئا من روائها وبهائها ، كالذى تفقده الزهرة عندما تقطف من شجرتها ، فالمعانى فى موضوعاته متصلة ، يغذى بعضها البعض الآخر ، وتتساند أجزاؤها تساند البنيان المرصوص ، فهل يمكن أن نشاهد رونق القصر وعظمته فى لبنات أو بعض جدران منه منفصلة عنه ؟ لذلك ، فقد فضلت أن يكون مقالى عاطلا من النماذج والأمثلة ، وعلى خاطب الحسناء أن يشاهدها فى حمى دارها وهى ترفل فى الصون والجلال .

وقد آن الأوان للبدء فى الرحلة التى سبق الوعد بها فى كتاب (وحى القلم) لنمر بمعالمها مرورا عابرا ، يبدأ بقصته التاريخية (اليمامتان) التى وقعت أحداثها عند فتح مصر بقيادة (عمرو بن العاص) — رضى الله عنه — وتتلخص فى أسر (أرمانوسة) ابنة المقوقس ووصيفتها (مارية) والراهب (شطا) المرافق لهما مع الموكب والحاشية والحراس .

وفى المحاورات التى آجراها الرافعى بقلمه يرسم لنا صورة مشرقة ناطقة باهرة للاسلام وعظمته ، وسماحة المسلمين الفاتحين ، وسمو أخلاقهم ، ونبل أهدافهم ، كما يقدم وصفا دقيقا صادقا للصلاة — كما أرادها الاسلام — فى هيئتها ، وحقيقتها ، ومعانيها ، وأثرها فى أخلاق المسلمين ، وسلوكهم .

ولا بأس هنا فقط أن أورد فقرة مما كتب فى معنى الصلاة ، لتكون دليلا على عظمة الكاتب وأيضا دليلا على أن الكلام اذا اقتطف من موضوعه الكلى ، يفقد بعض روعته .

قال الرافعى : (ورجعت بنت المقوقس الى أبيها فى صحبة (قيس) ، فلما كانوا فى الطريق

وجبت الظهر ، فنزل قيس يصلى بمن معه ، والفتاتان ــ ارمانوسة ومارية ــ تنظران فلما صاحوا : « الله أكبر .. » ارتعش قلب مارية، وسألت الراهب (شطا) : ماذا يقولون ؟

قال : ان هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم ، كأنما يخاطبون بها الزمن انهم الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم ، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود ، فاذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت ، فذلك هو دخولهم فى الصلاة ، كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة ، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها ، انظرى ، ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحرا فهم لا يلتفتون فى صلاتهم الى شىء ، وقد شملتهم السكينة ، ورجعوا غير من كانوا ، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم ؟ .

قالت مارية : ما أجمل هذه الفطرة الفلسفية، لقد تعبت الكتب لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة فى سكينة الله عليهم فما أفلحت ، و ...

وهناك كلام وكلام ، ومقارنات ، وتنبؤات، عليك بها أيها القارىء .

ويبرز كاتبنا الكبير ما تفيض به قلوب المسلمين من الرحمة والشفقة حتى بالحيوان والطير كما يتجلى فى ابقاء فسطاط الأمير من غير هدم عند الرحيل عن المكان حتى يفرخ بيض اليمامة الذى باضته على الفسطاط .

ولا ينسى الرافعى الشاعر المرهف الحس أن يزف الى القارىء فى القصة ترجمة لطيفة لأحاسيس الفتيات ، ونبضات قلوب العذارى ، الى غير ذلك من خواطر وحكم ومواقف فى أسلوب أخاذ ، واستدراج بارع لتعميق المعانى والمعلومات فى ذهن القارىء ووجدانه .

***

والشيطان : ذلك المخلوق النارى العجيب ، والذى تعزى اليه ، والى وسوسته ألوان الشرور والآثام ، وأفظع المنكرات التى يرتكبها أفراد، وجماعات البشر ، والذى يصب عليه الصالحون والطالحون على السواء كل أنواع النقمة ، واللعنات ، ويستعيذون من كيده وشره بالله القدير جبار السموات والأرض ، فالناس يؤمنون بوجوده ، فالايمان بذلك جزء من العقيدة فى كل الأديان السماوية ، ولكنهم لا يعرفون ماهيته ، ولا هيئته الا تخيلا يختلف باختلاف العقليات ، ودرجات الثقافات ، ولا يدركون شيئا من حيله وخدعه ، لغواية الانسان ، وافساد الفطرة السليمة فيه، وأيضا لا يفطنون الى مداخله ومنافذه الى النفس البشرية ، ليتخذها مطية ذلولا الى أغراضه التى توعد بها ، ووقف نفسه عليها مدى الحياة الدنيا ، حقدا على الانسان وامعانا فى عصيان خالقه الحكيم الذى أنظره الى يوم البعث .

وقلم الرافعى العملاق الساحر يصول ويجول فى هذه القضية الشائكة ذات الأنحاء المتعددة ، والميادين الصاخبة ، فيبدع فى تصوير الشيطان أيما ابداع حتى ليجعلك تحس

بوجوده البغيض ، وتراه فى هيئاته البشعة ، وتسمعه بصوته المنكر ، وكأنما هو قد رآه رأى العين ، وخالطه أشد المخالطة .

ومن حيث لا ندرى يضع الرافعى يدك على مداخل الشيطان الى نفس الانسان ، ويريك كيفية تسلله اليها ، وعمله فيها .

كل ذلك يملأ الكاتب القدير به نفسك ، وفكرك ، ويقينك ، فى شكل قصص وحوار بين الشيطان نفسه ، وبين أحد الصالحين من عباد الله الذين حفظهم منه ، فلا سلطان له عليهم ، واقرأ ان شئت موضوعات (الزاهدان) ، (ابليس يعلم) ، (الدينار والدرهم) فى أحاديث ابن مسكين ، ثم موضوع (الشيطان) .

والانتحار ــ قتل المرء نفسه ــ فعل أحمق سفيه لا يقع الا فى المجتمعات الوثنية ، أو الملحدة ، أو المادية المجدبة من النسمات الروحانية ، والنفحات الربانية ، لذا فان المجتمعات الاسلامية ، قد برئت منه ، واستبشعته وأنكرته ، لايمانها بالله ، والقضاء والقدر ، وصبرها على البلاء فى الحياة الدنيا لتفوز بسعادة الابد فى دار الخلود ، ولا يشذ عن ذلك الا أفراد ضعف ايمانهم ، وذهب يقينهم ، واختلت عقولهم ، فأقدموا على تلك الجريمة المنكرة الشنعاء (الانتحار) لذا فان الرافعى اليقظ الخبير ، والعالم البصير يمسك بكل أطراف هذا الموضوع الهام الحيوى دينيا ، واجتماعيا ، ويدبج فيه بقلمه الملهم ست مقالات من أبدع وأروع وأدق ما جاد به فكر ، وخطه قلم فى هذا الشأن .

وكاتبنا العظيم فى تناوله لتلك الموضوعات، وأشباهها ، أو القريبة منها ، ذات الاهمية فى حياة الانسان ، لا يقف واعظا متشنجا ، يصم الآذان بصراخه ، ويلهب الجلود والوجدان بسياط محفوظه ، وشواظ قوله ، ثم يذهب كل شىء أدراج الرياح ، ولكنه يتسلل فى خفة ، ورشاقة الى أعماق النفوس ، ومراكز الاحساس والادراك بقصصه الشيقة الجذابة ، التى يسوقها قصة اثر قصة ، تنبع منها قصة ، تحمل فى أردانها البلسم الشافى ، والدواء الناجع لكل مصدور ، أو مجروح ، فلا يفرغ القارىء من قراءتها الا وقد أشرقت نفسه ، وانشرح صدره ، وانتعش وجدانه ، بما تحمله من غذاء روحى وعقلى ، واسترّوح بما تعبق به من عبير سماوى ، ينبعث من كتاب الله ، وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، مترجما فى أعمال أولئك الصالحين الذين بعثوا الى الحياة أبطالا فى قصص الرافعى ، وقد أجرى على ألسنتهم ما شاء له فكره الألمعى ، وعقيدته البيضاء الراسخة ، وفلسفته الصائبة للأمور ، والحياة ، والقيم الاسلامية السامية ، التى عرفها ، وذاق حلاوتها . هذا ، والبستان (وحى القلم) حافل بالخمائل الجميلة ، والأيكات الظليلة .

فلقد تناولت ريشة الفنان : الرافعى (١) ، قضايا الحب العذرى العفيف ، وفتنة النساء ، والمال ، والسلطان ، التى تتضعضع تحت طرقاتها ارادة الانسان ، وتنهار مقاومته ،

←

(١) هى قلمه .

فيسلم نفسه لها ، لتستعبده ، وتهوى به فى مكان سحيق ، حيث شقاء الحياة والممات .

تحدث الرافعى فى ذلك حديثا مشرقا واعيا ، يأخذ بالألباب ، ويسيطر على المشاعر ، ويسمو بالفكر والوجدان الى آفاق الآيات القرآنية التى راح يستوحى معانيها فتتقاطر فى نفسك ، وعقلك ، ومشاعرك كأنداء الصباح فى فصل الربيع ، وذلك هو منهجه فى بسط ما يشرق فى خاطره من معانى بعض آيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة ، لأنه لا يهدف الى ملء الصحائف بما يكتب ، ولكن الى ملء العقول .

وحينما تطالع فى هذا الكتاب الجليل (قصة زواج وفلسفة مهر) أو (بنت الباشا) تجد أن الرافعى قد وضعك بقوة أمام حقائق الوجود ، والمال ، والجاه ، فتبصرها فى حقيقتها ، وحجمها الصحيح ، الذى ضخمته ، وهولته فى أعين الناس الغفلة عن الحقائق والتهافت على مظاهر الدنيا ، فما تفرغ من القراءة ، الا وقد هانت فى عينيك الدنيا ، وشاهت بكل ما فيها من ذهب ونشب ، وسلطان ، ومتاع وملأت الحقيقة التى كانت قميئة كل آفاق نفسك ودنياك ، فهل يستطيع أى واعظ أو خطيب مفوه ان يصل الى روحك وفكرك ويفعل بك مثل ما يفعل الرافعى بقلمه فى هذا الكتاب الخالد (وحى القلم) ؟ .

***

وكاتبنا العملاق ناقد اجتماعى سياسى لماح ، يرصد المجتمع من حوله — بعينى صقر — ويتطرق الى جماعاته ، وأفراده ، فاحصا ، محللا ، ليقدم للقارىء نماذج من البشرية فتقف أمامها ، وأنت لا تدرى أتضحك منها ، ام تبكى عليها ، ساخرا أو مشفقا ، كما ترى فى مقالاته (المجنون) التى يصور فيها فى دقة ، وبراعة ذلك الذى يضع نفسه فى غير موضعه ، أو ذلك المخبول المجنون بالعظمة ، أو الذى يتطلع الى ما ليس له ، أو تأباه طبيعته ومواهبه ، كما ترسم نموذجا آخر من البشرية، يحفظ ، ولا يفقه ، ويتحرك فى الحياة بتوجيه سواه ، كالسيارة ، لا تسير الا بقائد يوجهها الى حيث يريد ، وأيضا يبرز الكاتب فعل القوة الغاشمة الجاهلة من تنكيل بالقلة العاقلة من ذوى الرأى والفكر ، والمبادىء ، والقيم الرفيعة ، وسط أمة خانعة مستسلمة ترتضى الضيم والهوان ، كما ترى فى موضوعه (كفر الذبابة) الذى كتبه ، ونشره ابان سطوة الاستعمار الاجنبى وأذنابه من المواطنين ، مستخدما أسلوب الفيلسوف الهندى (بيدبا) فى كتاب (كليلة ودمنة) أبرع استخدام ، فى رشاقة ، وطرافة — ولذوعة أيضا .

وفى مقالتيه (حديث قطين ، وبين خروفين) بلغ غاية التهكم والسخرية بالقائمين على أمر التعليم اذ ذاك ، ويعرج على ما يوحى به الفداء ، ليتحدث عن مبتداه ومنتهاه وحكمته أو فلسفته بأفكار فى غاية العمق والادراك .

***

ويقف الرافعى الكاتب الشاعر ، المرهف الحس أمام بعض المآسى والفواجع ، التى تحل بالانسان فى رحلة الحياة ، خفاق القلب ، دامع العين ، جائش الوجدان ، فيجرى قلمه البليغ المطواع على الأوراق ، بما يستدر عصى الدمع ، ويشب لهيب الأسى والحزن ، مجسما أمامك معنى البلية ، ووقعها فى نفس المبتلى ، حتى اذا بلغ بك التأثر ، والشجى مداه ، وحال فى عينيك لون الحياة ، وصرت كأنك أنت المصاب صب عليك غيث العزاء ، فتصير النار بردا وسلاما ، وأخذ بيدك الى رحاب الرضا ، ومروج السكينة والاطمئنان ، وحول بمواعظه ، التى ليست وعظا ، النقمة الى نعمة وظلام اليأس ، الى ضياء الرجاء والأمل ، فيكون بذلك قد شخص الداء ، ووصف الدواء ، وبين فى جلاء كيف يكون الشقاء ، ولكى تلمس وتحس اقرأ موضوعات (عروس تزف الى قبرها) و (موت أم) و (قصة أب) و (رؤيا فى السماء) انها فلسفة الحياة والموت ، والأتراح والأفراح ، والابتلاء والعافية ، والمشاعر الانسانية ، وهل يجلى ذلك ويبسطه الا كاتب ألمعى ، نافذ البصيرة ، مرهف الاحساس كالرافعى . ؟

ومن أبدع ، وأروع ، وأجل ما ضمت أسفار ذلك الكتاب الذى لا يضارع ، ولا يجارى الموضوعات التى تناول فيها حقيقة الانسان ، وحقيقة النبوة والأنبياء والمرسلين من البشر ، وعن حكمة ما جاءت به الرسالة الخاتمة من تشريعات ، وفرائض ، وأحكام ، فيما دبجته براعته المؤمنة الواعية فى المناسبات كالهجرة النبوية ، والمولد الشريف ، وشهر الصيام ، والاسراء والمعراج الى غير ذلك مما يضيق به هذا البحث ، ويجعلنى أخصص له بحثا آخر ان امتد بى الأجل ، وقدر لى الله ذلك ، حتى أوفيه حقه ، وأقدره قدره ، مادمت قد تعرضت لذلك البحر الخضم .

***

والرافعى العربى الوفى لعروبته ، وأمته الاسلامية ، لا ينسى حقها عليه ، وعلى قلمه وكيف ينساها ، وهو فارس لغتها ، وترجمان فكرها ومبادئها ، وخادم كتابها الكونى العظيم: القرآن الكريم ، وسنة نبيها خاتم المرسلين الى الناس أجمعين ؟

كيف ينساها وهو الكريم ابن الكرام ، ربيب العلم والعلماء ، والصلاح والاصلاح والنضال والكفاح ؟ .

لم ينس ، ولم يتوان ويتمهل ، فها هو يكتب مخاطبا شباب العرب بكلام هو النار والنور ، هو اللهب والذهب ، هو التبصير والتحذير ، والايقاظ والاستنفار لقدحذر وأنذر ، ولمح وصرح ، وتنبأ بالنتائج التى لم تكن فى عصره بظهور المقدمات التى لمحها فى الأفق ، فهل ينتظر من السحب المتراكمة الا البرق والرعد

←

والصواعق ؟ ألا ، وانه قد حدث ، وقد كان ، ما نحن فيه الآن !! •

ولا أستطيع أن أترك هذه الناحية فى كتابه دون أن أورد بعض فقرات من موضــــوع (يا شباب العرب) وان طال المقال •

قال ــ رحمه الله ــ : يقولون : ان فى شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم ، فالشبان يمتدون فى حياة الأمم وهم ينكمشون •

وان اللهو قد خف بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجد ، فأهملوا الممكنــــات ، فرجعت لهم كالمستحيلات •

ويقولون : ان الأمر العظيم عند شــباب العرب ألا يحملوا أبدا تبعة أمر عظيــــم • ويزعمون أن هذا الشباب قد تمت الألفة بينه وبين أغلاطه ، فحياته حياة هذه الاغلاط فيه •

وأنه أبرع مقلد للغرب فى الرذائل خاصةً ، وبهذا جعله الغرب كالحيوان محصـــورا فى طعامه وشرابه ولذاته •

ويزعمون أن الزجاجة من الخمر تعمــل فى هذا الشرق المسكين عمل جندى أجنبى فاتح•

ثم يقول ــ طيب الله رمسه ــ :

يا شباب العرب من غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين ؟

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة ، تكون المادة الأولى فيها : قدرنا لأننا أردنا ؟

الى أن يقول : يا شباب العرب : اجعلــوا رسالتكم : اما أن يحيا الشرق عزيزا ، وامــا أن تموتوا •

الى أن يقول : أيها الشرقى : ان الدينــار الأجنبى فيه رصاصة مخبوءة ، وحقوقنا مقتولة بهذه الدنانير •

وهكذا يضع الرافعى الحقائق المرة أمام الشباب ، ويحفزهم ويستنفرهم فى حكمـــة ولباقة •

وبعد •• فهل أحطت بهذا الكتاب الجليل ؟

ان الرافعى أبعد مدى ، وأغزر مادة ، وأعمق فلسفة من أن يحيط به وبانتاجه قلم ، ويغوص اليه ، ويلم به فى مقال أو عدة مقالات •

انه عالم حى رحب ، فيه أرض وسماء ، وبحار وأنهار وكواكب ونجوم ، وصـــحو وغيوم ، ورياح وامطار ، وبروق ورعود ، وموت وحياة •

وقد مات الرافعى ، واختفى عن العيان ظله، ولكن بقيت آثاره وأفكاره معالم مضيئة ناطقة بأعلى وأعذب صوت تقول : هنا الفكـــــر والابداع ، هنا العطاء والامتاع ، هنا فيض الايمان واليقين بمبادىء الاسلام العظيــم والقيم السامية الرفيعة •

حيا الله الرافعى ، وأمطره غيوث الرحمات ، وأسكنه وارف الجنات •

محمد عبد الرحمن صان الدين

من قضايا اللسان العربي

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث

للأستاذ الدكتور
السيد رزق الطويل

تمهيد :

قضية الاستشهاد بالحديث الشريف فى الدراسات النحوية من القضايا الهامة على صعيد الدرس اللغوى ، وقد توفر عدد من الباحثين المعاصرين على دراسة هذه القضية فى محاولة لكشف جانب الحق فيها ، وسر ذلك أن الاستشهاد بالحديث ظهر بصورة واضحة ، وبرز الحديث الشريف بين الشواهد النحوية مع بداية القرن السابع مما أثار تساؤلات المحدثين ، وأوقعهم فى كثير من التناقض حول موقف نحاة القرون الستة الأولى ، وفى مقدمتهم إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب ، والملقب بسيبويه ، والمتوفى ببلده فى فارس سنة ١٨٨ هـ وهو فى ريعان شبابه ؟ إذ حظيت الدراسات حول كتابه بقدر من التناقض حول موقفه من قضية الاستشهاد بالحديث الشريف .

وقبل أن أعالج موقف سيبويه من هذه القضية كما أتصور ، وحسبما هدانى إليه اجتهادى أريد أن أؤرخ بإيجاز لبداية البحث فيها ، والأوهام التى أحاطت بها ، وكيف انحلت هذه الأوهام تباعاً .

بداية البحث فى القضية .

عرضت هذه القضية على بساط البحث عندما أثارها أبو الحسن بن الضائع : على بن محمد بن على بن يوسف الكتّانى الإشبيلى ، المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وأبو حيان الأندلسى صاحب البحر المحيط ، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وأعلنا عدم جواز الاستشهاد بالحديث ، وكان ذلك منهما بمثابة رد فعل لما أقدم عليه جماعة من النحاة أكثروا من الاستشهاد بالحديث منذ أوائل القرن السابع .

وهم ابن خروف الإشبيلى المتوفى سنة ٦١٠ هـ وهو أبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى .

ثم ابن مالك صاحب الألفية : أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائى ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . الذى أكثر من الاستشهاد بالحديث حتى بلغت شواهده منه فى كتابه شرح الكافية الشافية ثمانية وسبعين حديثاً(١) وهو من المعنيين بالدراسة النحوية للحديث النبوى ، فله كتاب إعراب مشكل صحيح البخارى .

ثم ابن هشام الأنصارى المتوفى سنة ٧٦١ والذى وصفه ابن خلدون بأنه أنحى من سيبويه ، وقد أكثر من الاستشهاد بالحديث مثل ابن مالك حتى بلغت شواهده من الحديث فى كتابه مغنى اللبيب نحو ثمانية وسبعين حديثاً(٢) ووقف ابن هشام هذا الموقف بالرغم من أنه سمع من أبى حيان المعارض لهذا الاتجاه ديوان زهير ، لكنه لم يلازمه ، ولم يقرأ عليه ، بل أمعن فى مخالفته ، ومعارضته ، والتعريض به أحياناً(٣) ثم سار النحاة بعدهم على درب الاستشهاد حتى عصرنا الحاضر .

كيف ظهرت المعارضة ؟

حمل لواء المعارضة للاستشهاد كما أسلفنا النحوى الأندلسى ابن الضائع ، ذاكرا أسباب معارضته لهذا الاتجاه فى كتابه : شرح الجمل ، وكلام ابن الضائع نقله السيوطى فى كتابه : الاقتراح فى أصول النحو ، قال السيوطى : وقال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل : تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن ، وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللفظ كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب .. ثم يذكر السيوطى بعد ذلك قول ابن الضائع : « ابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروىّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله قد أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه ، فليس كما أرى » « الاقتراح للسيوطى صفحة ٥٤ » .

وأما أبو حيان تلميذ ابن الضائع الذى سار خلفه فى نهج المعارضة . فقد تعقب ابن مالك فى كتبه وقد أخذ عليه كثرة الاستشهاد بالحديث ، يقول أبو حيان : قد لهج هذا المصنف فى تصانيفه ـ يعنى ابن مالك ـ بالاستدلال بما وقع فى الحديث فى إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب بما روى فيه ، وما رأيت أحداً من المتقدمين ، ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل ، على أن

(١) راجع فهارس شرح الكافية الشافية لابن مالك ـ الجزء الخامس ـ فهرس الحديث . مركز البحث العلمى بأم القرى .

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ـ تحقيق : مازن المبارك ـ محمد على حمد الله ـ دمشق ١٩٦٤ .

(٣) راجع فوح الشذا بمسألة كذا لابن هشام تحقيق د . أحمد مطلوب ـ بغداد سنة ١٩٦٣ وشرح شذور الذهب تحقيق محيى الدين سنة ١٩٥٧ القاهرة .

الواضعين الأولين لعلم النحو ، المستقرئين الأحكام من لسان العرب ، المستنبطين المقاييس كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، وكمعاذ والكسائى ، والفراء ، وعلى بن المبارك الأحمر ، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس » .

ثم يقول أبو حيان معللاً معارضته لهذا الاتجاه : إنه بعد الحوار مع المتأخرين الأذكياء انتهى إلى أمرين :

أولهما : الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، وذكر عبارة سفيان الثورى : إن قلت لكم : إنى أحدثكم كما سمعت ، فلا تصدقونى ، إنما هو المعنى »

وآخرهما : وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا تعلموا لسان العرب ، لصناعة النحو ، فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ذلك .

وبعد أن بسط أبو حيان القول فى شرح السببين المشار إليهما قال : وإنما أمعنت فى الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدىء : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول كالبخارى ومسلم وأضرابهما ؟!! فقد طالع ما ذكرناه ، وأدرك السبب الذى لأجله لم يستدل النحاة بالحديث »[٤]

وهنا أرى أبا حيان يختلف مع أستاذه ابن الضائع ، إذ يرى الأستاذ أن بداية الإكثار كانت على يد ابن خروف بينما يرى التلميذ أن البداية كانت على يد ابن مالك

على أننى أرى أنهما كليهما لا ينفيان وقوع الاستشهاد بالحديث من نحاة القرون السابقة ، لكن الذى دفعهما للمعارضة والتصدى لهذا الاتجاه هو إكثار ابن خروف منه ، كما قال ابن الضائع ، أو ابن مالك . كما قال أبو حيان .

والذى نستطيع أن نخلص إليه هو أن الاستشهاد بالحديث فى الدراسة النحوية تحول إلى قضية خلافية تباينت فيها وجهات النظر فى القرن السابع للهجرة ، وقبل ذلك لم يكن أمر الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة على صعيد الخلاف النحوى .

وبرغم أن الباحثين المعاصرين أثاروا القضية ، وألقوا بوجهات نظر متعددة ، لكن أهم هذه البحوث فى تقديرى هو بحث العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق : « الاستشهاد بالحديث فى اللغة » . وذلك لأنه انتهى فيه إلى نتائج بناءة فيها حل حاسم وعادل للقضية ، وعلى أساسه اتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراته فى

(٤) التذييل والتكميل فى شرح التسهيل مخطوط جـ ٥ صـ ١٦٩ ، وينظر الاقتراح صـ ٥٢ وما بعدها ، والخزانة جـ ١ صـ ٤ ـ ٦.

الأحاديث التى يصح الاحتجاج بها فى علوم اللغة العربية .

ولى ملاحظتان على بحوث المعاصرين فى حديثهم عن القضية قبل القرن السادس الهجرى .

أولاهما : أن أى باحث يتصدى لدراسة شخصية فى هذه الفترة يحاول أن يثبت أسبقيتها لابن خروف فى الاستشهاد بالحديث هذا إذا كان متأنياً . وقد يسرف فيعطى صاحبُ الأولوية المطلقة إن كان متعجلاً ، وأصبحت هذه سمة الكثرة من الباحثين المعاصرين ..

والأخرى : هذا الوهم الذى وقعوا فيه ؛ إذ تصوروا أن الخلاف فى موضوع الاستشهاد بالحديث كان قضية مطروحة قبل القرن الخامس ، وأن هناك من العلماء من أجاز ، ومنهم من منع .

يقول الدكتور مهدى المخزومى : أما الحديث فلم يجوز اللغويون ، والنحاة الأولون كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد من البصريين ، والكسائى وهشام والفراء وغيرهم من الكوفيين الاستشهاد به فى النحو ، وحاكاهم المتأخرون من بغداد والأندلس إلا جماعة منهم فى مقدمتهم ابن مالك وأبو حيان »[٥]

وملاحظتى على هذا الكلام أن إقحام اللغويين غير دقيق ؛ لأن الاستشهاد بالحديث فى اللغة لم يكن موضع خلاف ، بل إن الدراسات اللغوية حول الحديث وغريبه كانت نشطة خصبة على امتداد القرون الأولى .

وأمر آخر بالغ العجب وهو وضع أبى حيان مع ابن مالك فى اتجاه الاستشهاد مع أنه من أشد من رفعوا لواء المعارضة ، وتعقب ابن مالك فى ذلك .

وأمر أخير ، وهو الأهم عبارة « لم يُجَوِّز » ، إذ الخلاف لم يكن قائماً حتى يقال بالإجازة ، أو المنع . ويأتى الدكتور عبد المنعم أحمد فى دراسته لابن الشجرى ومنهجه فى النحو ، ويتصور الخلاف فى هذه الفترة قائماً على قدم وساق حول الاستشهاد ، وأن هناك من يجيز ، وهناك من يرفض ؛ إذ قال : « أما فى مجال النحو فقد رفض النحاة الأولون الاحتجاج بالحديث »[٦].

مع أن فكرة الاستشهاد بالحديث لم يقل بها أحد من المتقدمين ، لكن التجاوز فى التعبير قد يأتى على لسان الباحث أو قلمه دون قصد .

والذين أثاروا القضية من نحاة القرن السابع أو القرن الثامن مثل ابن الضائع وأبى حيان لم يتحدثوا عن نحاة القرون الأولى إلا بأنهم « انصرفوا » عن الاستشهاد بالحديث ، أو « تركوا » ولم يقولوا : رفضوا ، أو منعوا ، أو لم يجيزوا مما يدل على دقتهم فى التعبير عما يريدون .

ولكى نبين حقيقة هذه القضية فى القرون الستة الأولى تخيرت شخصية إمام النحاة ،

(٥) مدرسة الكوفة ـ د . مهدى المخزومى صـ ٧٢ .

(٦) ابن الشجرى ومنهجه فى النحو . د . عبد المنعم أحمد التكريتى مطبعة الجامعة ـ بغداد صـ ٢١٦ .

دارسا موقفه منها على أسس علمية قويمة ، تبرز موقف النحاة الأوائل بعامة ، كما تكشف عما ينبغى أن يكون عليه التصور الإسلامى المعاصر لها .

هل احتج سيبويه بالحديث النبوى ؟

هناك وهم بدا فى كتابات بعض القدماء ، كما ظهر تبعا لذلك فى كتابات الباحثين المعاصرين ، وهو أن سيبويه لم يستشهد بالحديث النبوى !!!

ففى كلمات ابن الضائع وأبى حيان ما يفيد أن الأوائل لم يحتجوا بالحديث .

وأما المعاصرون :

فيقول الأستاذ على النجدى ناصف - رحمه الله - فى كتابه : سيبويه إمام النحاة « وأما شواهد الكتاب فقدر ضخم من القرآن الكريم وأشعار العرب ، وأرجازها ، يروى المؤلف بعضها ، وينسب الوجه فيها إلى أشياخه ، ويزجى بعضها الآخر من حفظه » .

[صـ ١٤١ من الكتاب المذكور]

ولم يشر المؤلف إلى الحديث الشريف من قريب أو من بعيد .

ويقول الشيخ محمد الطنطاوى - رحمه الله - وهو من الرواد الأوائل المعاصرين الذين كتبوا فى تاريخ النحو ، يقول فى كتابه : نشأة النحو ، وتاريخ أشهر النحاة : عُنِى سيبويه فى كتابه بالشواهد لتثبيت الأحكام والإذعان بها من القرآن الكريم ، ونثر العرب ، والشعر ، ولم يجنح إلى الاستدلال بالحديث الشريف شأن أسلافه ومعاصريه ، وذلك لانعدام الثقة فى نقل الحديث بلفظه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى » [صـ ٨٤ من الكتاب المذكور .]

والدكتور أحمد أحمد بدوى - رحمه الله - فى كتابه : سيبويه حياته وكتابه ، حدد الشواهد فى نوعين ، فقال : للكتاب مصدران من الشواهد ، هما : القرآن الكريم ، وكلام العرب ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وحِكَمُهم »

[صـ ٣٩ من الكتاب المذكور]

ولم يشر إلى استشهاده إلى الحديث الشريف بشىء .

ويقول الدكتور حسن عون - رحمه الله - فى كتابه : تطور الدرس النحوى : ليس فى الكتاب كله حديث من أحاديث الرسول .. هكذا بعبارة قاطعة لا ريب فيها . [راجع صـ ٤٥ من الكتاب المذكور .]

لكن الدكتور شوقى ضيف قرر أن سيبويه قد استن بمدرسته فى عدم الاستشهاد بالحديث ، فهو على ذلك متابِع (بكسر الباء) لا متابَع (بفتح الباء) [المدارس النحوية صـ ٨٠ .]

وأما الدكتور محمد عيد فيخالف الدكتور ضيف فى رأيه ، ويرى أن سيبويه فيما اتجه إليه من عدم الاستشهاد بالحديث صاحب قانون مطرد ، التزم به النحاة من بعده من غير مناقشة ولا نظر » .

[الرواية والاستشهاد فى اللغة صـ ٣٠]

بقى أن نقول : أهذه الأحكام والتصورات التى ذكرها القدماء والمحدثون تكشف بدقة عن موقف إمام النحاة من الاستشهاد بالحديث ؟ وإلى أى مدى ؟ وما وجه الحق فى هذه القضية ؟ وكيف دخل الوهم على هؤلاء الأعلام جميعاً .

الحديث موصول فى المقالات القادمة للإجابة عن هذه التساؤلات ، والله الموفق .

دكتور السيد رزق الطويل

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٣

بعد أن أوجزت الحديث فى المقال السابق عن علاقات الآداب الأوروبية ؛ بعضها بالبعض الآخر ، وعلاقاتها بالآداب الشرقية ، وتكوين صورة للشرق بعيدة عن صورة الشرق الحقيقية فى آدابه إيجاباً أو سلباً ، نتجه الآن إلى (مَنْهَجَة) النظرة إلى هذه العلاقات ؛ التى اصطلح على تسميتها بـ « علم الأدب المقارن » . وسأتناول من ذلك بدايات العلم ، ثم نضجه .

ثانياً : علم الأدب المقارن !

المقصود بعلم الأدب المقارن هنا - بدقة - هو المنظور المنهجى ، (العلمى) ؛ أى الذى يبحث عن الحقيقة فى تأثر الآداب بعضها بالبعض الآخر ، أو تأثيرها فى هذا البعض .

فصفة (العلم) المقصود بها : التوجه الخالص إلى الحقيقة بحثاً عنها بمنهج مَعْرُوفَةٌ منطلقاتُه وتتابعاته المنطقية التى تؤدى إلى الحقيقة ، والتى هى نتيجة البحث ذاتها .

والمقصود بالعلم أيضاً : الصفة الطاردة للغرض ، كأن يكون تغاير الإطار الثقافى والدينى لموضوع المقارنة مانعاً من الوصول إلى الحقيقة ، بانحياز الباحث لثقافته وعقيدته ، وتعصبه ضد الثقافة والعقيدة المغايرة التى ينتمى إليها أحد طرفى المقارنة .

١ - بداية الدراسات المقارنة فى أوروبا ومنطلقاتها حتى خمسينيات القرن العشرين ..

بدأت الدراسات المقارنة فى أوروبا بهدف بيان تأثر الأدب اللاتينى بالأدب الإغريقى (اليونانى القديم) ، وكيف أن اللاتينية كانت طيلة خمسة قرون لغة فقيرة ، محدودة القدرة ؛ حتى إذا عرفت الأدب الإغريقى وقلدته بدأت تتحول إلى لغة ناهضة ، استطاعت أن تعبر عن الحياة فى صورة أدب ذى قيمة عالية كما يقرر الشاعر الناقد الفرنسى « دورا »[1] (١٥٠٨ - ١٥٨٨ م) .

(١) انظر : Henri Chumand : Histoire de la Pleiade, Vol . I,PP. 103 .

د. عبدالله محمد أبوهشه

وشأن كل علم من العلوم كانت بداية علم الأدب المقارن فقيرة المنهج و « دورا » يريد أن يضرب هنا مثلاً على نهوض اللغات ، باتصالها بلغات سبقتها فى الثراء اللغوى ، والقدرة التعبيرية ، والتنوع الأدبى ؛ وذلك حتى يحذو الفرنسيون فى بداية نهضتهم اللغوية الحديثة حذو اللاتينيين ؛ ولأن اللغة الإيطالية كانت أسبق اللغات الأوروبية الحديثة اكتمالاً لأدواتها ، فإن الناقد الفرنسى « دى بلى » (١٥٢٢ ـ ١٥٦٠ م) فى حماسه للغة الفرنسية يرى ضرورة إضافة الأدباء الإيطاليين المحدثين إلى من يجب قراءتهم فى أصولهم اللغوية . ثم ينص على أن الترجمات لا تكفى وإنما يجب الاطلاع على هذه الآداب فى أصولها اللغوية ، لأن الترجمة لا تنقل الخصائص الأدبية كما هى فى الأصل(٢) .

ويعد هذا أول إشارة إلى الشروط العلمية للمقارنة فى الأوساط العلمية الأوروبية . وبرغم معارضة « فيرى پلتييه » لهذا المنظور فى الترجمة ، حيث يرى أن الترجمة الموفقة خير من الابتكار غير الموفق(٣) ؛ إلا أن قضية ضرورة معرفة الأصل اللغوى كشرط للمقارنة ما زالت أحد أسس علم الأدب المقارن الحديث ..

ولقد استمر حال الدراسات المقارنة فى القرن السادس عشر فى إطار النشأة التى تخلو من البداية القوية ، وتركز ذلك فى كيفية محاكاة الآداب الأوروبية بعضها للبعض الآخر .

وفى القرن الثامن عشر اتجه العصر الكلاسيكى إلى التقنين ووضع القواعد للأدب ولأجناسه ، ووضع حكمه على قيمة العمل الأدبى من خلال مدى اتباعه لتلك القواعد من عدمه ، ولم يضيفوا كثيراً إلى الدراسات المقارنة . وبرغم اتساع مجال العلاقات الأدبية فى أوروبا فى القرن الثامن عشر ، ووجود العوامل المهيئة لتأصل الدراسات المقارنة ، إلا أن ذلك لم يحقق المرجو منه(٤) ؛ فأكثر مؤرخى الأدب لم تتجاوز دراساتهم سرد حياة الأدباء ، وعرض نصوص من مؤلفاتهم مع شرح الغامض من كلماتها ، وبعض معانيها البلاغية(٥) .

←

---

(٢) انظر : Du Bellay : Defense et Illustra tion de la Langue Francaise, I, V.

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٠٥ وما بعدها .

(٤) انظر : Paul Van Tieghem : La Litt . Comp., P. 22

(٥) للاستزادة راجع : محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ، ط ٣ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، صـ ٢٨ ـ ٣٠

الأدب المقارن

وفى القرن التاسع عشر كان الاتجاه* الرومانتيكى ثورة فى كل مناحى الفكر والأدب ؛ كنتيجة للتقدم الملحوظ فى النواحى الاجتماعية والبحوث المعملية لعلوم الطبيعة . وقد أثمر كل ذلك ميلاد « تاريخ الأدب الحديث » و « النقد الحديث » كعلمين هامين من علوم الأدب ؛ مما أثر فى نشأة « علم الأدب المقارن » وفى استكماله لأدواته المنهجية .

وقد مهدت دراسات النقاد الابتداعيين (الرومانتيكيين) - وأهمهم « ڤيلهلم شليجل » (١٧٤٦ - ١٨٤٥ م) ، ومدام دى ستال (١٧٦٦ - ١٨١٧ م) التى تأثرت بالفلاسفة وبالنقاد الألمان - الطريق لنهضة الأدب المقارن ، وذلك باهتمامهم بالتيارات الفكرية التى يرتكز عليها الأدب ، وهذه التيارات الفكرية والفلسفية من أهم فروع علم الأدب المقارن الحديث . ولقد ظهرت دراسات كثيرة ساعدت على ذيوع فكرة « علم الأدب المقارن » فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؛ إلا أن هذا العلم لم تكتمل أدواته إلا على يدى العالم الفرنسى « جوزيف تكست » فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وهو « يعد حقاً أباً للأدب المقارن الحديث »[٦] كما يرى غنيمى هلال . وتبع ذلك مجموعة من العلماء الذين أسسوا ما يسمى الآن « بالمدرسة الفرنسية فى الأدب المقارن » منهم « فردينان بالدنسبيرچيه » و « بول فان تيجم » و « جون مارى كاديه » المتوفى عام (١٩٥٤ م) وهو أستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال الذى أعطى علم الأدب المقارن مكانته بين علوم الأدب العربى الأخرى .

وبجهود هؤلاء العلماء استكمل علم الأدب المقارن أدواته المنهجية ، واستقل بذلك عن كل من « تاريخ الأدب » و « النقد الأدبى » ، ولكنه بقى يستفيد من نتائجهما ويستفيدان من نتائجه .

بقى أن أقرر أن جهود العلماء الفرنسيين وإن كانت أشهر من جهود غيرهم فى هذا الميدان ؛ لكنها ليست الجهود الوحيدة فالعلماء الألمان والأمريكان وغيرهم من أمثال « يوليوس بيترسون » و « ڤرتز شتريخ » و « رينيه ويلك » و « ماكس ڤيرلى » أسهموا بجهود مشكورة فى نشأة هذا العلم ، وفى نضوجه فى الخمسينيات من هذا القرن العشرين . وحتى تشعبه إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية .

---

* نقصد به الاتجاه الابتداعى (الرومانتيكى)
وقد سبق - فى العدد الماضى - رمضان ١٤٠٨ ص (١٢٤٥)
أن وردت العبارة « عندما ظهر الاتجاه الاتباعى الرومانتيكى »
وصحة العبارة .. الاتجاه الابتداعى الرومانتيكى .. الكاتب .

(٦) المرجع السابق صـ ٧٥ .

٢ ـ نضج علم الأدب المقارن وتشعب منهجه إلى ثلاثة اتجاهات علمية :

أ ـ المدرسة الفرنسية : يرى العلماء الفرنسيون أن مقارنة أدب بأدب آخر مع شرط وجود الصلة التاريخية الثابتة وثائقياً هى ميدان الأدب المقارن .

أما مقارنة أكثر من أدبين ، أو عدم ثبوت الصلة وثائقياً لموضوع المقارنة ، فلا يدخلون مثل هذه البحوث فى الأدب المقارن ، وإنما فى ميدان « الأدب العام » . ويتشدد « كاربيه » فى أن البحث فى الأدب المقارن يجب أن يبتعد حتى عن تناول التأثيرات المتبادلة ، كما يشكون فى نتائج بحوث أوجه التشابه أو التوافق بين أدبين(٧) .

وقد نتج عن ذلك أن العلماء الفرنسيين فى إطار تطبيق المنهج قد انشغلوا بالحقائق الثابتة وثائقياً ، والتى لم تكن أكثر من سيرة حياة الأدباء ، وما يدور حولها من وثائق ، وتركوا الأعمال الأدبية موضوع البحث جانباً .

ولقد دفعهم إلى ذلك ـ فى تصورى ـ خوفهم من انفلات ضوابط العلم الناشىء ، وضرورة الابتعاد به عن الموضوعات السطحية ، وعن خطورة الموضوعات السهلة ، والموضوعات الغيبية (الميتافيزيقيا) وما يحيط بها من عدم الدقة لديهم ولذلك ابتعدوا عن القضية التوفيقية لموضوعات الآداب الأوروبية دون حاجة إلى توثيق باستثناء « فان تيجم »(٨) .

(يتبـــع)

---

(٧) انظر : Carre, J. Marie : La Lit. Comp. d . in : Annales du Centre Universi taire Mediterraneen 3 (1951), P. 69-77.

(٨) انظر : Ruediger, H : Komparatistik. 1973,S. 12 .

من خير ما قرأت

فضيلة الشيخ / عبد الله المشد

الغش العلنى لماذا ينتشر ؟

إن سبب مايحدث هو أن القوانين الموجودة غير كافية لردع المجرمين ، ولو كانت هذه القوانين موضوعة بما يتفق مع الإسلام لما أقدم أحد على مثل هذه الجرائم .. والدعوة والعظة وحدها لا تكفى مالم تكن مقترنة بسلطة وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. فالدعوة والعظة وحدها مجردة من القوانين العادلة . وتنفيذ تلك القوانين لا يؤدى إلى حفظ أرواح وصحة الناس .

الدكتور / عبد الصبور مرزوق

مسابقات ملكات الجمال مفسدة للمرأة

إن من ينظم مثل هذه المهرجانات خائن لبلاده لأنه يعمل على أن تفقد المرأة حياءها .. ومن ناحية أخرى لا يمكن لامرأة عاقلة أن تعرض نفسها على رجال يفحصون أجزاء جسمها وبطريقة علنية أمام جمهور غفير .

للأستاذ : على كوهيه

الحرب ضد التصحر والنحر

حين تزحف الصحراء لتهاجم المناطق الخضراء وتقضى عليها ، وحين تزحف مياه البحر إلى اليابسة وشيئاً فشيئاً تقضى عليها .. إنهما ظاهرتان ... عرفتا بـ« التصحر » للأولى و« النحر » للثانية وقد نجح كثير من البلاد فى معالجة هاتين الظاهرتين الخطيرتين ، ومن التجارب الناجحة : التجربة الجزائرية ، حيث جُنِّدَ الشباب فى السبعينيات فقاموا بزراعة حزام أخضر يمتد على طول مايزيد على ألف كيلو متر على مشارف الصحراء وعلى أطراف هضبة الأطلس لوقاية المناطق الخضراء من زحف الصحراء . هذه الحرب شنها شباب الخدمة الوطنية لحماية بلادهم من خطرى التصحر والنحر .

ومما لاشك فيه أننا بحاجة إلى خوض مثل هذه التجربة الناجحة فى الشاطىء الشمالى الذى يمتد من (رفح) حتى (السلوم) ، وعلى ضفتى الوادى من (بحيرة ناصر) حتى أقصى الشمال .

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

للأستاذ/ جمال بدوى

قطايف

لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه نصيحة غالية لو تدبرها (المتزلفون) لحفظوا ماء وجوههم ، ولترفعوا عن إهانة أنفسهم مهما كانت المنافع المادية التى يتطلعون إليها ، يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه : « لاتَسَّعَ بقدمك إلى من يراك دونه فتصغر فى عينه ، واجعل انقطاعك عنه فى مقابلة كبريائه .. فإن عزة النفس تضاهى حياة الملوك » .

دم احتياطى للاستخدام الشخصى

فى دراسة طبية بريطانية أعلن عنها مؤخراً يشجع المسئولون الطبيون المرضى الذين ستجرى لهم عمليات جراحية أن يتبرع لنفسه بالدم قبل إجراء العملية بخمسة أسابيع حتى يمكن أن ينقل إليه دمه شخصيا إذا احتاج الأمر إلى ذلك بعد العملية وذلك بعد أن اكتشفت سلالة أخرى من (فيروس الإيدز) لا تظهر فى صورة الدم وقد تم استعمال هذا الأسلوب فى (١٣٧) حالة ببريطانيا احتاج فيها المرضى إلى حوالى ٣ (جالونات) من الدم بعد إجراء الجراحات .

وبالإضافة إلى الأمان الذى توفره هذه الطريقة ضد مرض (الإيدز) فإنها تقلل من نفقات الجراحة بتوفير ثمن الدم الذى يحتاجه المريض .

للأستاذ/ جمال بدوى

قــاب قوسين

بم نفسر إقبال الناس على (إخراج الزكاة) وإحجامهم عن دفع (أمــوال الضرائب) ؟

إن المواطن فى حال (الزكاة) يعرف أين تذهب أمواله، أما فى (حال الضرائب) فهو لايعرف ، وإذا عرف فهو لا يملك القدرة على إبداء الرأى .... لذلك يتهرب الناس من الضرائب ، ويقبلون طواعية على إخراج زكاة أموالهم ...

للأستاذ/ مصطفى شردى

عتاب إلى الأشقاء فى المملكة المغربية

رأيت فى التليفزيون الأمريكى واحداً من تلك الأفلام الخبيثة التى تسىء إلى العرب أبلغ إساءة وقد آلمنى كثيراً أن اسم (الفيلم) هو

←

من غير ما نشر

« جوهرة فى النيل » ، وأن مشاهده الرديئة صورت فى المغرب .

ولو أن الأمر اقتصر على اتهام أبناء النيل بالبلاهة والغباء لقلنا:إن عديداً من الأفلام الرديئة الماثلة تم تصويرها وإخراجها من قبل وفى المملكة العربية المغربية . غير أن الإساءة هذه المرة امتدت إلى العقيدة الإسلامية،وإلى مدى عمق الإيمان بالله لدى أبناء وادى النيل ، فإذا بنا نرى شعبا يغير ويبدل من دينه ومعتقداته ، حتى أنه يعبد كل من يقول عن نفسه إنه (إله) ...

إن تدين الفلاح المصرى البسيط وأصالة تمسكه بالإسلام كان الصخرة التى تحطمت عليها موجات المد الشيوعى .

إن صدق إيمان المصريين والسودانيين ، منع المبادىء التى تنكر وجود الله تعالى من اجتياح نصف أبناء الأمة العربية ، وبالتالى حمى النصف الآخر من ذلك الخطر .

السفير / بهى الدين الرشيدى

المفهوم المصرى .. الاسرائيلى للسلام

يخطىء حكام إسرائيل وهم يظنون أن صوتهم هو الأعلى دائماً ، وأن كلمتهم هى النافذة دون نقض أو إبرام ، الزمن يمضى والأفكار والأوضاع تتطور ولكنهم يتصورون دائما أن اليد الطولى بالمنطقة لهم دون غيرهم ، معتمدين على حليفتهم الكبرى .. ولكن لكل شىء حدودا ولا يقبل الأب أن يتمادى طفله المدلل فيما يجلب عليه الضرر والمشكلات كل حين .

والحق أن مفهوم إسرائيل لـ« كامب ديفيد » وممارستها المتكررة يوماً بعد يوم تبرز من جديد ما أعلنته مصر أكثر من مرة على لسان مسئوليها من أن (كامب ديفيد) مرحلة انتهت وقد حجمتها مصر منذ بداية حكم الرئيس مبارك وتجاوزتها حاليا .

للأستاذ / مصطفى أمين

فكـــرة

ليست هذه مصر التى نعرفها ، التى كانت تمشى وكأنها تجرى . لم نكن نجد مصريا واحدا يريد أن يهاجر ، أما اليوم فقد أصبحت الهجرة حلم أغلب الشباب . حتى الفلاح المصرى أرغمناه على الهروب عندما تركناه فريسة للجمعيات التعاونية وعندما اشترينا محصوله بأبخس الأثمان وعندما حولناه من (منتج) إلى (مستهلك) .

وغرقنا لآذاننا فى الحفلات والاستقبالات ننفق عليها الملايين ونحن فى حاجة إلى ثمن الرغيف . كل هذا فى حاجة إلى تغيير وإلى نوبة (صحيان) يتحول فيها الشعب من (متفرج) إلى (شريك) ويخرج من هذا الإضراب الصامت الذى لا ذنب له فيه .

أنباء وآراء

إعداد : د . عبد الرحيم السايح

شيخ الأزهر يدعو الى اعادة تحقيق كتب السيرة

دعا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدارسين بالأزهر إلى إعادة تحقيق كتب السيرة والسنة والتراجم لتنقيتها من الإسرائيليات التى دخلت عليها . جاء ذلك خلال الاحتفال الذى أقامه قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية مؤخراً بمناسبة عيده الخمسين .

وأكد شيخ الأزهر على ضرورة الاهتمام بعظماء الإسلام ، وتسجيل مواقفهم الرشيدة ، وتاريخهم العظيم . كما دعا المؤرخين إلى دراسة ومعالجة التاريخ من منظور إسلامى .

الأزهر ينظم دورة تدريبية

للدعاة والأئمة الوافدين

تنظم اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر فى أول سبتمبر القادم الدورة التدريبية التاسعة والعاشرة لتدريب الدعاة والأئمة الوافدين من العالم الإسلامى .

يشارك فى الدوره التى تستمر ثلاثة أشهر ما يقرب من مائة داعية من أربع عشرة دولة إسلامية منها : الجزائر ، واليمن ، ونيجيريا ، ومالاوى ، وسيراليون ، وتنزانيا ، وچيبوتى ، وموريشيوس ، وأندونسيا ، وسنغافورة ، وافغانستان ، وماليزيا ، وزيمبابوى .

صرح فضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للدعوة الإسلامية بالأزهر أن الأزهر يعقد هذه الدورة انطلاقاً من دوره الرائد فى نشر الوعى الإسلامى فى البلاد الإسلامية وتبصيرهم بالتحديات التى تواجه العالم الإسلامى .

تطوير مناهج التعليم الأزهري

بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اللقاء الموسع مع مديرى مناطق التعليم بالأزهر . أصدر فضيلة الدكتور رءوف

←

شلبى وكيل الأزهر قراراً بتشكيل لجنة عامة للنظر فى تطوير مناهج التعليم الأزهري بما يحقق للأزهر ذاتيته ، حفاظاً على القرآن الكريم والتراث ، وتتكون اللجنة من المسئولين عن التعليم بالأزهر فى مراحله المختلفة ، وخبراء من كليات التربية .

وينبثق عن اللجنة العامة أربع لجان فرعية : لجنة للتعليم الابتدائى ، ولجنة للإعدادى ، ولجنة للثانوى ، ولجنة للقبول بمعاهد القراءات والمعلمين .

فهرس المخطوطات بمكتبة الأزهر

لا صحة لما نشرته بعض الصحف والمجلات عن مباحثات بين الأزهر وإحدى جمعيات إحياء التراث الإسلامى بصدد إكمال طباعة فهرس المكتبة الأزهرية .

تشكيل مجلس للافتاء بالسودان

أعلن مصدر سودانى مسئول : إن مجلس رأس الدولة السودانى قرر تشكيل مجلس للإفتاء بالسودان .

وذكرت وكالة الأنباء السودانية التى أذاعت النبأ : أن مجلس الإفتاء الجديد مكون من خمسة أعضاء من كبار العلماء . ومهمة المجلس الجديد إصدار الفتاوى التى تنظم حياة وشئون المسلمين فى السودان ، والبت فى القضايا الإسلامية المثيرة للجدل فى الوقت الراهن .

شرطة (بروكلين) تشيد بتعاون أبناء الجالية الاسلامية

ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية أن شرطة مقاطعة بروكلين التابعة لولاية نيويورك ، أشادت بالدور الذى قام به أبناء الجالية الإسلامية فى المقاطعة بالتعاون مع أجهزة الأمن لمجابهة نشاط عصابات المخدرات . وقالت المجلة : إن شرطة بروكلين أهابت بالمواطنين الأمريكيين أن يحذوا حذو أبناء الجالية الإسلامية فى القيام بدور إيجابى لمساعدة البوليس فى القضاء على نشاط هذه العصابات الإجرامية التى تهدد مئات المدن فى مختلف الولايات المتحدة . وأوضحت مجلة « نيوزويك » أن أبناء الجالية الإسلامية الذين يعيشون بالقرب من (مسجد التقوى) قد نجحوا فى تكوين دوريات أمنية لحفظ الأمن داخل بروكلين بالتعاون مع أجهزة الشرطة المحلية . وقالت المجلة : إن دوريات شباب الجالية الإسلامية تقوم أولاً بإسداء النصح إلى أفراد عصابات المخدرات والمواطنين الذين يتعاملون معها .

مؤتمر اسلامى عن الدعوة

عقد فى العاصمة الباكستانية بإسلام أباد فى النصف الأول من شعبان ١٤٠٨ هـ مؤتمر إسلامى ضخم تحت عنوان : الإسلام والحاجة إلى التعبئة الدولية من أجل السلام » الذى أعدته منظمة المؤتمر الإسلامى . وافتتحه الرئيس الباكستانى محمد ضياء

الحق وحضره عدد كبير من سفراء الدول الإسلامية فى باكستان . وذكرت مصادر المؤتمر الذى شارك فيه حشد كبير من علماء الأمة الإسلامية : أنه بحث القضايا الإسلامية المعاصرة التى تمثل تحديات للعالم الإسلامى ، وتحد من قدرته على النهوض والرقى ، وسبل حل هذه القضايا ، وأكد المشاركون فى المؤتمر على أن السلام من مطالب الإسلام وأصل من أصوله ، لأن هذا الدين قام على إحقاق الحق ، وتطبيق العدل ، ونبذ الباطل وتجنب الظلم والعدوان فى جميع صوره وأشكاله . وأشاروا إلى أن من خصائص الرسالة الإسلامية أنها تدعو إلى التضامن والتعاون والمحبة . كما اهتم الإسلام بتحقيق السلام بين بنى الإنسان باعتباره خليفة الله على أرضه ، وأوجب الله على الأمة الإسلامية الدعوة إلى السلام والنهى عن الظلم والعدوان .

أول رواية عن المسلمين تصدر فى الصين

صدرت عن الدار الشعبية لنشر الأدب فى الصين ، أول رواية قصصية فى الصين ، تتناول عادات ، وتقاليد حياة المسلمين الصينيين .. تضم الرواية التى كتبها الروائى المسلم « تشاشون » تحت عنوان : « أبناء المسلمين وبناتهم » معلومات عن تاريخ المسلمين فى الصين ، وتقاليد المسلمين فى الزواج والتربية ، ومختلف النواحى الاجتماعية الأخرى . كما تتعرض الرواية للمشاكل التى يواجهها الشباب المسلم فى الصين .

الاسلام دين الدولة الرسمى

يستعرض البرلمان البنجلاديشى قانوناً يجعل الإسلام دين الدولة الرسمى . كما تقرر أن يناقش البرلمان قوانين تم تعديلها لتتمشى مع أحكام الشريعة الإسلامية .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحيـــة	
تذكرة وتهنئة فى عيد الفطر للإمام الأكبر	١٢٧٣
● جوار المطعم بن عدى	
للدكتور على أحمد الخطيب	١٢٧٦
● فاطمة الزهراء رضى الله عنها	
للأستاذ / السيد حسن قرون	١٢٨٤
● آيـــة الله فـــى سبأ	
للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ...	١٢٨٩
● تكذيـــب الرســـل	
للدكتور محمد محمد خليفة	١٢٩٤
● رئيس القراءات (الإمام الكسائى)	
للشيخ إبراهيم عطوة عوض	١٢٩٧
● الدروس المستفادة من غزوة بدر	
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	١٣٠٤
● ديانـــة السيـــخ	
للدكتور عبد الجليل شلبى	١٣١٠
● المسلمـون فـــى هولنـــدا	
للأستاذ / إيهاب محمد مهدلى	١٣١٤
● الإســـراء والمعـــراج	
للشيخ عبد الحميد على ندا	١٣١٨
باب من أعلام الأزهر	
● العلامة الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة	
للشيخ توفيق إسلام يحيى	١٣٣٢
● الجــارم الشاعـــر	
للدكتور أحمد على الجارم	١٣٤٠
باب الشعر والشعراء	
إشراف د. حسن جاد	
● أويـــس الزمـــان	
للشيخ محمد زكى إبراهيم	١٣٤٨
● بكائيـــة علـــى عصفـــور	
شعر محمد فؤاد محمد	١٣٤٩
● فى جنة القرآن ـ الشفاعة	
للشاعرة علية الجعار	١٣٥٠
● مناجـــاة ربانيـــة	
شعر وفيقة عواد سلامة	١٣٥١
● الفتــــاوى	
إعداد عبد الحميد السيد شاهين	
صفوت عبد الجواد	١٣٥٢
باب العلوم الكونية	
● فلسفة العلوم الطبيعية	
للدكتور أحمد فؤاد باشا	١٣٥٤
● الحاســـب الآلـــى	
دكتورة / سعاد البيلى	١٣٦٠
● طرائـــف ومواقـــف	
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٣٦٦
● من روائع مجلة الأزهر	
إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات	١٣٦٨
باب اللغة والأدب والنقد	
● الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى	
للدكتور عبد المنعم عبد الله محمد	١٣٧٤
● مصطفى صادق الرافعى	
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	١٣٨٠
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث	
للدكتور / السيد رزق الطويل	١٣٨٧
● الأدب المقارن	
للدكتور / عبد الله محمد أبو هشة	١٣٩٢
● من خير ما نشر	
إعداد / عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعى خفاجة	١٣٩٦
● أنباء وآراء	
إعداد دكتور عبد الرحيم السايح	١٣٩٩
القسم الانجليزى	
اشراف : د. أنس النجار	
● المقالة الثالثة	
للأستاذة فاطمة محمد سرى	١٤٠٤
● المقالة الثانية	١٤١٠
● المقالة الأولى	
للدكتور أنس مصطفى النجار	١٤١٤

84. **The OWNER OF SOVEREIGNTY** **Malik Al Mulk** مالك الملك

All are His subjects, and His is the Kingdom of Heavens and Earth and what exists in between. He executes His Will on all beings. He gives them life or takes it away as He disposes. His Sovereignty inspires His Supremacy and His Omnipotence over all.

85. **The AUGUST AND LIBERAL** **Zi Al Gallal Wa Al Ikram** ذو الجلال والاكرام

Augustness and Perfection are to Him Alone; Charity and Liberality are radiant over all only by virtue of His Own Grace. Augustness is His due, and Liberality is effused freely on His beings.

86. **The EQUITABLE** **Al Mouqset** المقسط

He vindicates the oppressed against the unjust. He exacts Equity in His judgements.

87. **The CONGREGATOR** **Al Gamai** الجامع

His creations show matching as well as contrasting characteristics, but nevertheless congruous to His Divine Dispensations of an infallible, integral and coherent order prevading His Kingdom.

88. **The ABSOLUTE** **Al Ghanii** الغني

No relation whatsoever exists between His Entity and other creatures or beings, and between His Attributes and other ungodly traits. He is Concecrated, not to have any wantage for needs and necessities.

****

(Original Publication by Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

81. The AVENGER **Al Montaqim** المنتقـــم

He avenges Himself upon those who do not heed His Repeated Warnings and Redemptions. His Vengeance can be great, but is intended only against the unjust, the despotic and the oppressive after offering reprieve and grace several times.

82. The OFT-PARDONING **Al Ghafour** الغفـــور

He not only remits sins, but also pardons many times over. In Arabic etymology, the root word implies "expunction", which in this sense carries more meaning than the act of "covering" or "shielding".

83. The RUTHFUL **Al Raouf** الـــرؤوف

He disposes to confer Benefaction to everybody, and grants Mercifulness to its most extreme.

In comparison with (3 - The Compassionate), this Latter Attribute tends to ward off the harm in its disposition to show Tender Pity coupled with Mercy or Charity and a design to aid or to spare.

The author's suggestion that "free closed-door sessions should be held between senior Islamic scholars to discuss and debate this matter of very great concern to Muslims" is well taken. If he wishes to be one of those "Islamic scholars" he is welcome not only to a closed-door debate but also to an open-door discussion.

hadith can lead ultimately to the rejection of the Qur'an." He must know how many times the Qur'an commands obedience of the Messenger of Allah, and sates : "Whoever obeys the Messenger obeys Allah." 4 : 80. The Qur'an also orders; "Whatever the Messenger gives you, take it and follow it, and whatever he forbids you to do, you must avoid." 59 : 7. So, to deny the authority of the hadith is obviously a challenge to the Qur'anic commands and a rejection of Al-Qur'an's own authority. It also amounts to accusing the Prophet of failure to undertake his obligation to explain the Qur'an as it is stated in 16 : 44.

The author is at his best when he finally concedes to the existence of the Prophetic hadith, contrary to his earlier ardent denial, making a distinction between "two types of hadith or message: The divine and the human hadith. "Hadith is human, since its words belong to the Prophet, but the source of its content, its teaching and wisdom is WAHY, "Revelation", 53 : 3-4. But, the author misinterprets the Qur'anic use of the word hadith in its ordinary sense "speech", claiming: "On the authority of the Qur'an, the divine hadith is (only) the Qur'an,"giving the references to verses in which the word supposedly occurs, causing much confusion (The term used to denote speech is qawl not hadith). This is an arbitrary and unjustifiable limitation. The Qur'anic use of a word in its general sense does not prevent its adoption as a special term denoting something else, like the word hadith which was coined and used to mean the heritage of the Prophet's wisdom. There are many such Qur'anic words used as special terms in several sciences such as fiqh a kin derivative of which occurs in the Qur'anic verse 17 : 44 denoting "understanding", but is used elsewhere as a term meaning "The Study of the Shari'a Law". Similarly, there are Arabic grammatical terms meaning: verb, subject, direct object and a particle, used in their ordinary meaning in the Qur'anic verses: 21 : 73, 21 : 17, 4 : 47 and 22 : 11 respectively. The word hadith is employed in the Qur'anic verse 31 : 6 denoting "idle" speech. How can we claim that the Qur'anic use of the term hadith refers to the Qur'an only ?

It is up to the author to evaluate his mentor's translation of the Qur'an which is in fact faulty and blasphemous. He may read, if he wishes, its criticism in: "An Appraisal of False, Misleading and Mimical Interpretation of the Qur'an, Islamic Research Institute, Islamabad. Before asserting that it is : "the most accurate translation of the scripture in English so far", one has to make sure that his knowledge of the language of the original is really adequate.

→

←

mentioned, knew the hadith better than we do, because they learned them from the Prophet at first hand. The author may be reminded of the well-known argument between Abu Bakr and Omar when the former, as Caliph and Head of State, decided to put down the rebellion of the Arabs who refused to pay the Zakat on the pretext that its payment was only to be made to the Prophet who had just died. Omar quoted the Prophet's following words to Abu Bakr:

> "I am commanded to fight people till they submit to the word of shahadah. If they do, they protect their blood and property".

To which, Abu Bakr retorted:

> "Do you not recall that the Prophet added: "Except for the duties and obligations arising from commitment to it"

Omar then yielded to the Caliph's decision, and the rebellion known as the Riddah Movement was put down in six months, after which the hero of these wars, Khalid Ibn Al-Walid, was directed towards Mesopotamia and Syria to defend the boundaries of Islam against Persian and Roman incursions. The outcome of these hostilities was an amazing expansion of the State.

The argument between Abu Bakr and Omar was based on some of the Prophet' words, which is an instance of the hadith. Many similar cases demonstrating the knowledge and use of the hadith by those Caliphs could be easily quoted. All these events are historical truths. Yet, some may wish to arbitrarily create their own imaginary fictions like the author's and his mentor's daring lies that those Caliphs and early Muslims who died, as he says, 250 years before "Sunni hadith were collected knew practically nothing about hadith, much less followed it, "......" The good Muhammad was, of course, totally unaware and innoncent of the voluminous hadith that was credit to him by his late followers."

In doing away with the need for the hadith in explaining details not given in the Qur'an, such as those connected with prayer, fasting, etc., the author, following his mischievious mentor's childish attempt to escape, says: "..... this was a practice handed down since the time of Ibrahim, according to the evidence of the Qur'an itself !" Where does the Qur'an, say that Ibrahim taught all these detail ? Unless you wish to violently misinterpret the words of the Qur'an and impose your mentor's fabricated claims.

The erudite author wonders: "How a rejection of the

increase the degree of the hadiths authenticity by repeating a hadith as many times as chains of authorities reaching the Prophet as they could find for it. Hence, a hadith can be repeated in various compilations and even within one compilation.

True history, even common sense, affirms that hadith existed simultaneously with the Qur'an throughout the 23-year era of the mission of the Prophet, peace blessings be upon him. To deny the existence of hadith till his death, is to deny that the Prophet, aside from transmitting the Qur'an, talked, walked, worked, travelled, stayed, worshipped and invited his contemporaries to accept Islam. He also argued with his adversaries, endured their persecution with dignity and patience, and prayed for their guidance. He led his followers in prayer, answered their questions, settled their disputes, and organized them in the defense of the Ummah. The records of all these and other activities of the Prophet - be they in words or in deeds - we call the Hadith.

To deny the existence of hadith at the time of the death of the Prophet, on the ground that there was then no written compilations of the hadith in circulation, even if we conceded this was so, denies the existence of the Qur'an itself, because until the death of the Prophet there was no single copy of the Qur'an at hand. It was only during the reign of the first Caliph, Abu Bakr, that the scattered pieces of the Qur'an were collected and put together, and it was only during the reign of the third Caliph, that this copy wad duplicated for circulation. Up until then Muslims depended largely on their memories, and the text of the Holy Qur'an. Like those of the hadith were kept in the breasts of men and circulated and taught by parents and teachers through the oral tradition. Even until quite recently, transmission of these sacred texts had to be authenticated orally in spite of the widespared copies of the Holy Qur'an and the huge compilations of Al-Hadith already in existence.

The author's conclusion that "Islam as God's approved religion for mankind, was completed at that point (the time of the Prophet's death), is true but used deceptively to conclude that if the authority of the hadith was an inherent part of the faith, "Muslims such as Abu Bakr, Khadijah, Omar, Uthman, Ali and thousands of others who knew practically nothing about the hadith, much less followed them, as outside the pale of Islam.

The author should learn that Abu Bakr and all those he

the Holy Quran. The Honourable Sunnah remains to be an indispensible source of authentic knowledge next to the Holy Quran; explaining, interpreting and rendering the Holy Revelation of the Quran practically applicable to human life.

On the grounds of such understanding, the following letter was sent to the Editor of Al-Azhar Magazine, who takes pride in publishing it. The article is published in its original text, with the ommission of the name of the author to whom the letter originally refers in reply to the serious and confusing errors published by that author. The original letter was sent to the Editor of the New Straits Times, Jalan Riong, Kuala Lampur with a copy to the Editor of Al-Azhar Magazine. The letter was written by Dr. Muhammad Abdul Rauf, Rector, International Islamic University, Kuala Lumpur - Malaysia.

The Editor

Dear Sir,

An article was published in your esteemed paper, March 10, 1988, in which the author responded to the call of a Muslim Theologian for banning certain heretical works. This article contains serious and confusing errors which have to be corrected.

The author outrageously claims that "at that time of the Prophet Muhammad's death only the Qur'an existed". He obviously implies that until that point hadith did not exist. Insinuating the claim that hadith was invented long afterwards. The author adds: "the so-called Six Sahih collections of hadith..... did not exist until more than 200 years later". He thus ignores scores of earlier hadith collections well-known even to modest scholars of Islam. These include the Sahifah of Abd Allah b. "Amr b. al-'as, a Companion of the Prophet, (d. 73 A.H.;) the sahifah of Hammam b. Munabbih, a second Muslim generation author born in 40 A.H.; the Majmu' of Imam Zaid, (d. 121 A.H.;) the Muwatta of Imam Malik, (d. 179 A.H.;) the Musannaf of Imam Abd Al-Razzak, (d. 211 A.H.;) and the Musnad of Imam b. Hanbal, (d. 253 A.H.) The last was among the teachers of Imam al-Bukhari, (d. 253 A.H.;) author of the first of the popular six collections mentioned alone by the author to imply that they were the earliest hadith complications. Imam Shafi'i described the Muwatta of Malik, a third Muslim generation famous jurist and founder of the Maliki School of Law, as the most authentic book after the Holy Qur'an.

It is to be borne in mind that these authors sought to

STATUS OF THE HONOURABLE SUNNAH

"LETTER TO THE EDITOR"

Recently, several Muslim Theologians have called on the authorities to prohibit certain publications that reject the honourable Hadith; on the grounds that such books could threaten the faith of some Muslims. Also, that the rejection of the honourable Hadith would ultimately lead to the rejection of the Holy Quran; as the Revelation from Allah to the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

In response to the wise cognizance on the part of Muslim Theologians to counteract such heretic trends, some unauthorized authors resorted to the launching of specious deceptive illusory body of publications, erroneously attacking the honourable Sunnah, and advocating its refutation.

It is very clear and fundamental without any shadow of doubt or vagueness in the mind of every Muslim that the honourable Sunnah is precisely optimized, and profoundly justified as a fundamental source of Islamic doctrines, Shariah, and teachings; next to the Holy Quran. Such an understanding does not originate from Muslim thought; such a doctrine originates from the text of the Holy Quran in several statements that amount to at least thrity five. In one Quranic statement ["He who obeys the Apostle, obeys Allah..." (Surat Al-Nissa, IV, 80)]. In another Quranic statement ["O ye who believe, obey Allah and His Apostle, and turn not away from him when ye hear (him speak)". (Surat Al-Anfal VIII, 20)].

The life of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) is taken by Muslims as an exact schooling and teachings of the doctrines, principles and legislations of

sharpness of animosity among the tribes and masses of these tribes from the east and north east of the peninsula returned willingly to Islam, complying with all doctrinal requirements and practicing the teachings of the faith. However, other masses remained repudiative and hostile to the Muslim authority at Al-Madinah; inspite of the defeat of Tulayhah and the sagacious pardon of Abu Bakre to everybody who returned into Islam. These masses from various tribes, Ghatafan, Sulaym, Hawazen, Fazarah and others shared a deep seated common hatred to Muslims and Muslim rule. They cannot tolerate to be under Muslim authority possibly because of old grudges, envy, or revenge in blood.

These militant apostate masses from Ghatafan, Sulaym, and Hawazen gathered around a woman of a strong personality called Um Zimle, Salma bint Malik. They took oath to support her, protect her, follow her and fight by her side against Muslims. That woman had sworn to avenge her mother whom the Muslims on some previous occasion had killed. The mother Um Qurfah had a camel which the daughter Um Zimle used. She was austere, of noble birth, authoritative and determined to fight Khalid ibn Al-Walid, to kill Muslims in revenge of her mother. She was joined by the lost, the destitute, and the stray; and was followed by the defeated tailings of the followers of Tulayhah. Her feminine courage motivated her followers to become more fierce in battle. She drove them against the forces of Khalid ibn Al Walid, not fearing death. For sometime, Khalid found strong and fierce resistance from his enemy. Khalid gave orders to slay the camel which she mounted as an emblem of leadership and strength. One hundred of her followers are said to have been killed before the camel was finally slain. She was also killed in the battle. Her followers diserted and escaped in various directions. By the end of this battle, the apostates and renegades in the north east of the peninsula had been subdued by the force of battle and the edge of the sword. The sword and military strategy and superiority was that of Khalid ibn Al-Walid on the battle ground. The mind and master planner was Abu Bakre at Al-Madinah.

Khalid ibn Al-Walid was to move from Al-Buzakhah to Al-Butah to be involved in yet another encounter on the path of Allah, and what is inscribed on the pages of fate, in Allah's knowledge is most certain to be witnessed.

they were leaving to support their people of Tayii against the Muslim forces. This was favourable to Tulayhah. Adii was the instrument by which the tribe of Tayii and their kins from Gadilah returned to the arena of Islam, and accepted the authority of Abu Bakre at Al-Madinah. Their withdrawal from the forces of Tulayhah certainly weakened these forces; but the adamant stuborn attitude of the tribal leaders around Tulayhah and the obstinacy of Uyainah ibn Hisn prevented any regression in mind of Tulayhah in the light of the new situation. Tulayhah and his forces were determined to fight the Muslim forces commanded by Khalid ibn Al-Walid.

Khalid ibn Al-Walid with his forces moved towards Al-Buzakhah to subdue the apostate tribes around Tulayhah the impostor. On his march towards Al-Buzakhah, groups from Bani Tayii joined the troops of Khalid, which added to the strength and determination of the Muslims. Khalid ibn Al-Walid attacked the consortium of tribes supporting Tulayhah; and as the heat of battle intensified, the tide of battle became in favour of Muslims. Uyainah ibn Hisn discovered that Tulayhah was an impostor and a fake fabricating what he claimed was a revelation. Uyainah called to his tribe of Bani Fazarah to depart, for Tulayhah was an impostor. Everyone ran away to save himself, and the followers of Tulayhah lost their ground, retreated and dispersed. Tulayhah himself mounted a horse, took his wife Al-Nawar and fled to Syria. There, he resided, and was guided back to Islam. Later, he joined Muslim troops striving in the path of Allah and fighting Persian forces.

Khalid ibn Al-Walid remained at Al-Buzakhah for one month to establish law and order, and to follow the residues of these tribes who remained apostates. Khalid subjected those who killed Muslims from their own tribes, to severe punishment and death. This policy was approved by Abu Bakre and wrote to Khalid to be very severe with those who killed the Muslims from amongst their own tribes. Abu Bakre, however, practiced more linient and moderate treatment of some renegade chieftains who were sent to Abu Bakre at Al-Madinah by Khalid.These chieftains included Uyainah ibn Hisn, Qurrah ibn Hubyrah, Alqamah ibn Ulathah, Abi Shajarah ibn Abd Al-Uzza and others. Only Al-Fajaah Ias ibn Abd Ya-Lil was ordered by Abu Bakre to be put to death.and was thrown into a fire to burn; as punishment for his betrayal of Abu Bakre, and his deliberate killing and massacre of Muslims in the various tribes in violence and hatred.

Abu Bakre pardoned everybody who returned into Islam, a policy that was publicly declared. This policy blunted the

remained in Islam, and those who apostated and followed Tulayhah. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) ordered Dirar ibn Al-Azwar to confront the reverters from Bani Assad and subdue the thorn of false claims of the prophecy of Tulayhah. Before that happened, the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) died. This caused much dispute and uncertainty, and many of Bani Assad disclaimed Islam and blindly followed the false path of Tulayhah. They gathered around Tulayhah as a prophet from Bani Assad, in apposition to Abu Bakre representing the Islamic state at Al-Madinah. Tulayhah and his followers moved from Samirra to Al-Buzakhah as a better strategic position.

After Abu Bakre had defeated the tribes of Abs, Zubian and Bani Bakre at Zi Al-Qassah, the defeated tailings and run away groups from these tribes joined Bani Assad, and gathered around Tulayhah to support him against Abu Bakre and the Muslims. The wave of insurrection against the Muslim authority at Al-Madinah included also the tribes of Ghatafan, Tayii, Sulaym, and Bani Fazarah. Uyainah ibn Hisn of Bani Fazarah supported Tulayhah. The forces around Tulayhah were massive, supporting him as a prophet, and killing the Muslims among them who retained their Islam inspite of that crescendo of apostasy.

This consortium of tribes gathered around Tulayhah ready for armed confrontation with Muslim forces. They were supported by the sporadic groups of nomad bedouins living in the territory east of Al-Madinah and to the north east. They all repeated the words of Uyainah ibn Hisn "a prophet from Bani Assad is better for us than a prophet from Quraysh, and Muhammmad is dead but Tulayhah is alive". That territory was the nearest to Al-Madinah that declared insubordination, insurgence and even defiance to the Muslim authority. Abu Bakre had appointed Khalid ibn Al-Walid to command the Muslim army that was to confront and subdue Bani Assad and the tribes with them, and to put an end to the false deceptive claims of Tulayhah.

In a clever maneuver of strategy, Abu Bakre declared his intention of marching out at the head of an army to help Khalid ibn Al-Walid to confront the massive consortium of renegade tribes around Tulayhah at Al-Buzakhah. At the same time, Abu Bakre told Adii ibn Hatem Al-Tayii, who was present at Al-Madinah at the time, to go to his people of Bani Tayii and convince them to withdraw from the consortium of forces following Tulayhah. Adii ibn Hatem succeeded in convincing his people of Bani Tayii to resign from the support of Tulayhah and separate from his forces, under the pretext that

ABU BAKRE EL-SIDDIQ
WAR AGAINST APOSTATES
PART II
TULAYHAH IBN KHUWAYLID AL-ASSADI

By : Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim legions and worriors in the cause of Allah marched out of Zi Al-Qassah to their appointed destinations. They carried with them the referendum of Abu-Bakre to every man, woman and child that inhabited the Arab Peninsula. They carried with them the code of conduct, not to plunder, not to despoil, not to abuse; only to fight a war against imposters and apostates who disavowed the belief in Allah, and allegedly claimed prophethood. The worriors marched out dredging through the vastness of the desert, carrying within their hearts the reality of their faith, and within their minds the purpose and understanding of their mission, and within their souls the desire for martyrdom in the cause of Allah.

At Al-Madinah, Abu Bakre remained, the Khalifah of Rasul Allah, the head of state, the man upon whose shoulders was the burden, the load and the responsibility of the outcome of this massive campaign. Abu Bakre was the man who planned, organized, engineered, selected and put down in great detail the strategy of this widely spread policy of operations against very stubborn and strong enemy of the apostate tribes. These tribes denounced Islam as a faith and also rejected the authority of Al-Madinah. These tribes knew beyond doubt that Abu Bakre was to fight them, and for that particular cause they made every preparation. It was to be a conflict and confrontation between the forces of truth and the forces of iniquity.

Tulayhah ibn Khuwaylid Al-Assadii of Bani Assad was an impostor who alleged prophecy before the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). Tulayhah claimed to receive a revelation from the heavens and composed sentences which were certainly unintelligent idiotic and obtuse. The tribe of Assad was divided into those who

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part X

Shawal, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
War Against Apostates, Part II.
"Tulayhah ibn Khuwaylid Al-Assadi"

By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2. A Letter to the Editor.
Status of Honourable Sunnah.

3. The Most Magnificent Names of Allah.
Collected by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of the Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الحادى عشر
السنة الستون
ذو القعدة ١٤٠٨ هـ
يونية - يولية ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة وأحكام

فأما « الندوة » فقد جمعت لفيفا من العلماء يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقد سجلها وأذاعها بـ « صوت العرب » الأستاذ حلمى البلك فى نهاية الأسبوع الثانى من رمضان فى الواحدة وخمس وأربعين دقيقة من صباح الجمعة .

وأما « الأحكام » فقد تعلقت بما أثير فى الندوة من موضوعات بدأت بمناقشة فى مضمون الإسراف وشُعَبِهِ ثم تطرقت إلى موضوعات شتى تناولت : حجم الترفيه فى العالم الثالث ، والترفيه والدين ، والرياضة الضائعة ، والفن والأغنية ، و« النكتة » يزج فيها باسم « الله » جل وعز ، والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم ، إلى سلبيات المجتمع ... وهل الأزهر الشريف مسئول عنها .

وتلك أمور تدفع - بما فيها من أحكام - خارج التقيد بالزمن لذا رأت « مجلة الأزهر » أن تقدمها على حلقتين آملة أن يجد فيها القارىء رؤية الأزهر للأحداث ، وما لها من أحكام ، وإليكم الندوة ، وبالله التوفيق .

←

الأستاذ حلمى : أيها الأخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. مضيفنا اليوم هو فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق حيث نقضى هذه السهرة مع فضيلته وفى بيته ، وفضيلة الإمام الأكبر يستضيف فى هذه السهرة مجموعة من العلماء الأفاضل ، وبداية نرحب ، أو من المفترض أن يُرحب بنا ، لكننا كإذاعيين ، نرحب بفضيلة الإمام الأكبر وضيوفه فى هذه السهرة وندعو فضيلة الإمام الأكبر فى البداية إلى تقديم ضيوفه إلى المستمعين .

الإمام الأكبر : أهلا بكم وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يسرنى أن يشارك فى هذا اللقاء فضيلة الشيخ « إبراهيم الدسوقى » وزير الأوقاف الأسبق ، وفضيلة الأستاذ الدكتور « رءوف شلبى » وكيل الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور « عبد الفتاح بركة » الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الدكتور الشيخ « على الخطيب » رئيس تحرير مجلة الأزهر .

الأستاذ حلمى : فضيلة الإمام الأكبر ، من طبيعة هذه السهرة أنها سهرة مفتوحة ، وفى خلال شهر رمضان ... شهر العبادة وشهر القرآن الكريم ، تحلو « الدردشة » والحديث فى الأمور الدينية ، وحبذا لو ربطنا أمور الدين بأمور الدنيا وكمنطلق لهذه السهرة ـ ونحن فى شهر رمضان المبارك ـ لى ملاحظة ، وأرجو من فضيلتكم الشرح والتعقيب :

اعتدنا فى شهر رمضان المبارك أن نسرف فى المأكل والمشرب وظاهرة الإسراف إذا كانت تبدو واضحة فى شهر رمضان هى أيضاً ظاهرة ربما تعانى منها المجتمعات الإسلامية ، وبداية نود من فضيلة الإمام الأكبر أن يعلق على ظاهرة الإسراف فى المأكل والمشرب فى شهر رمضان المبارك .

الإمام الأكبر : بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .. فإن الإسراف كعادة أمر ممقوت فى الإسلام والله ـ سبحانه ـ يقول فى خصوص الطعام والشراب ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[1] وقال فى خصوص الاعتدال فى كل شىء ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾[2] من هاتين الآيتين نأخذ أن الإسراف والإمساك كلاهما أمر غير مرغوب فيه ، بل هو أمر منهى عنه ، وإذا كنا صياماً فإن الصوم بطبيعته يدعو إلى الاعتدال فهو من حيث واقعه : إمساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.وهذا العمل الواقعى يدعو ألا تثقل المعدة فيما بعد هذه الفترة ... فترة الصيام بالإكثار من الطعام أو من الشراب ؛ لأن المقصود من الصيام والهدف منه : تقوى الله كما قال سبحانه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] وأعتقد أن هذا الهدف الذى تَغَيَّاهُ فرضُ الصوم لا يتحقق بانصراف الصائمين بعد غروب الشمس إلى تحصيل قدر أكبر مما كانوا يأكلونه لو لم يكونوا صائمين ، إنهم يعدون صنوفاً متنوعة من المطعم والمشرب يتناولونه فى الفترة الليلية ، أى من الغروب إلى السحور ، وليس الأمر مقصوراً على فرد أو على بيئة من المسلمين ، وإنما هذا أمر سائد يجعله عادة مرذولة لا تتناسب مع شرعية الصيام ، ولا مع هدفه إذ أن « البطنة تذهب

الفطنة » فمتى امتلأ البطن لم يعد فى قدرة الصائم أن يعبد الله ... أن يقوم الليل ... أن يتلوَ القرآن ... أن يستذكر علماً ... أن يفعل أى شيء مرتبط بهذه الفريضة ... فريضة الصوم ، بينما ينبغى أن نتعامل مع الفرائض التى أوجبها الله علينا ، وأن نهيىء لها البيئة والجو الذى تقام فيه ، فكما نؤدى الصلاة فى المسجد باعتباره خصص للعبادة وباعتبار أن الصلاة فى المسجد تجعل المسلم متفرغاً للوقوف بين يدى الله فكذلك الصوم ، حين نكون فى شهر رمضان ينبغى أن نجعل كل المحيط بنا فى شهر رمضان ملائماً ومناسباً للصوم .

الشيخ الدسوقى : بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فمن منطلق ماذكره فضيلة مولانا الإمام نرى أن الصيام أساساً لون من التربية للإنسان على الخُلُق الإسلامى الذى لا يكون إلا حين يتحرر الإنسان من كل سلطان إلا من سلطان الله عز وجل ، وإذا كان الصيام هو ما فرضه الله علينا وغايته التقوى فإن أول ما تستهدفه هذه الغاية هو التحرر من سلطان المادة فى هذا الشهر ، هذا التحرر كما يشمل ألا يكون للإنسان على الإنسان سلطان فى تناول الطعام والشراب ، يشمل كذلك الكثير من العادات فحينما نصوم ينبغى أن نتخلى عنها أو نُحِدَّ من سلطانها علينا ؛ فإذا كانت عادة الطعام والشراب التى يحرم منها نهاراً تدفعه إلى الاستزادة من كل ماتشتهيه نفسه ؛ فكذلك للإنسان غايات يتغياها وهو مفطر فأولئك الذين يدخنون أو يتناولون الشاى أو القهوة مسرفين فى ذلك ، أو تكون لهم بعض العادات التى لا تتفق وتعاليم الدين ، هذه الألوان حينما يصوم الإنسان يجد نفسه بوازع من دينه وضميره فى حرج من أن يفعلها ، وقد يكون هذا الحرج هو الذى يدفع بالإنسان أن يثوب إلى رشده ، وأن يفكر فى أمره فيمضى فى طريق المعتدلين فى كل تصرفاتهم سواء فى مأكله ، أو فى مشربه ، أو فيما تعوده فى حياته . وخاصة أن من ثمار الصوم الصبر ، والصبر كما يكون على المكاره يكون فى الطاعات حتى يؤديها الإنسان ، ويكون أيضا صبرا عن المعاصى .

كل هذه حينما يكون المرء ، وهو الصائم ، لايستطيع أن يكون فى حرج من أن يظهر بمظهر غير الصائمين . وربما كان ذلك هو مانلمسه فى كثير من المترددين على بيوت الله فى رمضان وحده ، وفى غير رمضان قد لا يرتادون بيوت الله - عز وجل - ذلك لأنهم يرون فى رمضان : شهر الطاعة والعبادة ، وشهراً طويلاً يقضيه الإنسان صابراً على طاعة الله ، صابراً عن معاصى الله ، صابراً على مايكرهه فى هذه الحياة ، وقد يكون لذلك أثره فى حياته المستقبلة .

إن الصوم يخلق فى الإنسان الوازع الدينى ، وكم نحن محتاجون إلى الضمير الحى الذى يفيق بين يدى مايغضب الله - عز وجل - .. إلى القلب الصافى الذى يكون دائماً الرقيب على الإنسان فى جميع تصرفاته ... فى رمضان ... وغير رمضان ؛ فيعيش المرء مراقبا لربه على كل أحيانه ، وفى كل تصرفاته صابراً على مايلقى وعلى ما يواجه فى الحياة متخلياً عن سلطان العادة الذى قد يأسره فى كثير من أحيانه ، يوم يكون الإنسان كذلك يكون هو المسلم الذى استضاء بنور دينه ومضى على الطريق السوى المستقيم .

←

الأستاذ حلمى : فضيلة الإمام الأكبر، أنا لن أتدخل فى عرض الموضوعات ، وفضيلتكم موجود ، ففضيلتكم تعطى الكلمة لمن تريد من ضيوفك فى هذه الندوة .

الإمام الأكبر : شكراً وأحب أن أضيف إلى ما قاله فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الدسوقى أن المأمول من الصوم ومن الصائم أن تتغير فى رمضان عاداته غير الشرعية بحيث نعود إلى الشرع ، فإذا كان الإسراف عادة اعتدناها فإن الصوم فى ذاته كفيل بتغيير هذا العادة لو التزمنا ... ، ليست عادة الإسراف فقط ، وإنما شهر رمضان يجب أن يعتبره المسلمون فرصة يلتزمون فيها بأحكام الإسلام ككل ، وليس هذا مطلوباً من الدولة كدولة وإنما هو على مسئولية الفرد كفرد أولاً ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(٤) هذه المسئولية مُوَجَّهَةٌ : للأفراد جميعاً بما فيهم الدولة ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ ، إذاً كل الأفراد ... كل الهيئات ... كل المجتمعات مطالبة بالانضباط فى الصوم ، وهذا الانضباط كفيل بتغيير كل العادات السيئة ، وهذه المدة ... مدة الشهر لعلنا نأخذ من تحديدها ما يمكن أن يُكَوِّن لنا نظاماً فى حياتنا بأن نحاول أن نغير العادات الخارجة عن نطاق الشرع ونستبدل بها عادات توافق الشرع . لو التزمنا شهراً كاملاً بترك العادات السيئة ، ورمضان كفيل بهذا لو أدينا حقه ، وأعتقد أن الكلمة للدكتور رءوف شلبى لعل له إضافات أخرى .

د . رءوف شلبى : شكراً لفضيلة مولانا الإمام الأكبر ، واستكمالاً لحديث مولانا الإمام فيما يتعلق بالأثر الذى يترتب على الصوم ، هناك فى سورة الفرقان ، والله سبحانه يتحدث عن صفات عباد الرحمن يقول ـ عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾(٥) .

هناك غايات فى التشريع الإسلامى فهو يجعل دائماً لتشريعه مجالات للتدريب فإذا كان الالتزام فى النفقة والتوسط بين البخل والتقتير وبين الإسراف هو الاعتدال ... فهو الأصل ، فإن الله سبحانه وتعالى شرع فريضة الصوم فى شهر رمضان حتى يتعلم المسلم الاتزان فى النفقة ، والسنة النبوية أتبعت هذا بما شرعته من صوم مسنون ، وهذا دليل على أن الشريعة الإسلامية ليست مقابلة للدنيا فيما يقال ـ دائماً : « أمور الدنيا وأمور الدين » فهذا التعبير لا ينسجم مع حقيقة الشريعة ومع حقيقة العبادة ؛ لأن الدين جاء ليضبط الحياة الدنيا من أجل حياة أفضل فى الآخرة ، فالدين ليس منفصلا عن الدنيا وليست الدنيا فى مقابل الدين، لكن الدنيا فى مقابل الآخرة ، والدين هو الذى يحدد نهاية هذه الدنيا بالنسبة للآخرة ، فأما فيما يتعلق بالإسراف ، فيما يتعلق بالتقتير فإن الإسلام لا يحب التقتير ولا يحب الإسراف وإنما يحب الوسطية ونحن أمة وسط ، وكذلك النفقة ينبغى أن تكون وسطاً حتى مع الفقراء ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ إذا كانوا أغنياء ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ إذا كانوا فقراء ، فالاتزان هو الشىء المطلوب فى التصرف حتى فيما يتعلق بالنفقة وفيما يتعلق بالأخلاقيات وشكراً .

الأستاذ حلمى : فضيلة الإمام الأكبر : أَشَرْتَ إلى موضوع الانضباط بصفة عامة ويعنى هذا أننا انطلقنا من الإسراف فى شهر رمضان وقادنا الحديث إلى الانضباط بصفة عامة فى شهر رمضان وفى غير رمضان ، هذه فقط إشارة قبل أن يتحدث الدكتور عبد الفتاح بركة .

د . **بركة** : من الملاحظ أن فكرة الدين والدنيا أيضاً لاحظتها كما لاحظها الدكتور رءوف شلبى عندما أشار إلى الربط بين أمور الدين والدنيا ، والحقيقة أنه لا انفصال بينهما ، فإن الدين كما قال الدكتور رءوف : إنما هو لتنظيم أمور الدنيا فيما يصلح الفرد والمجتمع ويهيئه للحياة الأخرى ، هذه أيضاً ملاحظة نؤكد عليها ، وبالتالى فالصيام وغير الصيام كله مرتبط ارتباطاً وثيقاً لا ينفصل بتربية الإنسان تربية نفسية وروحية بحيث يكون هو الإنسان الذى اختاره الله ليكون خليفة فى الأرض ، ويلاحظ بالنسبة لما يحدث فى شهر رمضان أن المؤثرات هنا مؤثرات عادات اجتماعية أصبحت متوارثة وللميراث أو للتوارث تأثيره العميق فى استمرار العادة ، يعنى كلما كانت العادة متأصلة فى المواريث الإنسانية كلما كان توقع استمرارها أكبر وأكثر ، ومن هنا نجد أن الشعوب الإسلامية توارثت على مر الأجيال ، بالنسبة لقدوم شهر رمضان ، خلط الفرحة النفسية والروحية بقدوم هذا الشهر بأمور مادية بالزينات والأنوار والإضاءة من جانب ، ومن جانب آخر بالإسراف فى تناول الطعام والشراب ، وكأنهم يقولون : إن مافاتنا تناوله بالنهار نستطيع أن نعوضه بالليل ، وفاتهم موضوع الحكمة من الصيام والتدريب الذى أراده الله سبحانه وتعالى للمسلم على تحمل الشدائد ، وتحمل المصاعب ، وصلابة الإنسان فى مواجهة الظروف والأحوال المتغيرة ؛ فإنه ليست ظروف الإنسان كلها ميسورة كما أنها ليست كلها صعبة ، ولذلك ينبغى على الإنسان أن يعيش الحياة التى تمكنه من أن يقابل كلا الوجهين من أمور الدنيا فيوم عسر ويوم يسر ، فى اليوم اليسر نستعد فيه لليوم العسر ، وفى يوم العسر ننتظر فيه يوم اليسر ، وهكذا نجد أن الإسلام يعود الإنسان على ذلك ومن هنا كان الصيام فى حكمة من حكمه العديدة يدرب الإنسان على مثل هذه المواقف التى يجد فيها بعض الشظف أو بعض الخشونة فى العيش ولذلك لا ينبغى للمسلم أن يضيع الحكمة فى ذلك بأن يعوض مافاته نهاراً بالليل طعاماً وشراباً ولهوا ومرحاً ؛ بل ينبغى أن يتناول من الطعام مايزيد على حاجته ومايثقل به معدته ؛ لأنه فى ذلك يضر نفسه مرتين أو يتحمل المشقة مرتين : المشقة الأولى مشقة الجوع والعطش بالنهار ، والمشقة الثانية : إثقال المعدة بالطعام والشراب ليلا بمختلف أنواعه التى قد لا تكون متلائمة أو متوافقة بعضها مع بعض .

هذه المواريث الاجتماعية التى ورثناها لم نتوقف فى فترة من فترات حياتنا لنراجعها ، وينبغى على الأمم والشعوب أن تقف فى كل فترة من فترات حياتها لتراجع تلك الفترة الماضية حتى تستخلص منها العبرة والحكمة ، فما كان من هذه العادات وهذه المواريث مفيداً ونافعاً ودافعاً للأمام استبقيناه وثبتناه وأضفنا إليه ، وما كان من هذه المواريث مثبطاً واضعاً للعقبات أو العراقيل فى حياة المجتمع أو مضراً به فى أية ناحية من نواحيه فإنه ينبغى علينا أن نراجعه ونتوقف عنه ونستعيض عنه بالعادات الأخرى بالطرق التى تستبدل بها العادات ومن هذا ما

أشار إليه فضيلة مولانا الإمام الأكبر فرمضان فى الحقيقة هو شهر التدريب على استبدال العادات الطيبة بالعادات الرديئة ، ذلك أنه يقلب كل الموازين فى حياة الإنسان ، فهو إذا كان قد تعود النوم ففيه القيام ، وإذا كان قد تعود الشبع باستمرار ففيه الجوع ، وإذا كان قد تعود الراحة والكسل ففى شهر رمضان النصب والتعب فى العبادة والإقبال عليها ، وهكذا نجد أن رمضان يقلب نظام الحياة كلها ويجعل الإنسان يبدل منها كل وجوهها : فاستيقاظه يتغير ، ونومه يتغير ، وطعامه يتغير ، وعمله يتغير ، وفكره يتغير ، وإقباله على العبادة أيضاً له صورة جديدة أخرى ومن هنا يجد الإنسان ـ بعد مرور يوم أو يومين أو ثلاثة من رمضان ـ ماكان صعباً فى الحياة العادية مستسهلاً حتى إذا جاء آخر الشهر تمنى لو أن الأيام كلها أصبحت رمضان ، فإذا انصرف من رمضان وعاش الحياة العادية مرة أخرى نسى ماكان قد تعوده وتعلمه فى شهر رمضان من هذه العادات الطيبة ، إذاً رمضان يغير لنا كثيراً من العادات التى توارثناها اجتماعياً بدون أن يكون لها سند شرعى ، أو سند دينى ومن هنا نقول : إن جميع العادات التى توارثناها ينبغى أن نخضعها مرة أخرى للمقاييس الشرعية والمقاييس الدينية ونعيد النظر فيها ، ورمضان هو الفرصة المناسبة لكل هذه المراجعات وبالله التوفيق .

د . **بركة** : الأخ الدكتور على لعل لديه إضافة .

د . **الخطيب** : لدىّ القليل فى هذا الموضوع إن شاء الله تتمة لكلام أخى الدكتور عبد الفتاح ، بالنسبة لميراث العادة ... عادة الإسراف ـ وجدنا الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ يتحدث عن هذه العادة فى عصره والواقع عندما ننظر إلى الإسراف هل يمكن أن نستعلى به ، كما هى العادة فى الإسلام فنوجه هذا السرف إلى وجه يجعله محموداً ، ففى المجتمع من هم فى حاجة إلى مايُسرِفُ فيه البعض فليتحول هذا السرف إلى ذوى الحاجة فيستفيدون منه ـ وفى الدولة والحمد لله ـ ملاجىء ومستشفيات والدولة تدعو ـ على لسان الرئيس فى خطبة قريبة جداً ـ إلى التبرع لمنشآت تنفع الدولة فلم لا ننتفع بوجه الإسراف هذا فنحوله ـ بدل أن نبعثره فيما لايفيد ـ إلى ذوى الحاجة فيجدون فيه حاجاتهم .. والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الموفق .

الإمام الأكبر : هل الإسراف مقصور على الطعام والشراب، أو أن له وجوهاً أخرى فى حياتنا ؟

أعتقد ـ بنظرة ، كما يقال ، على (رول) رمضان سواء كان فى الأسرة أو فى الشارع أو فى المؤسسات ، لاسيما تلك التى تقوم على « الترفيه » و« الاعلام » و« الإعلان » وغيرها ، السنا نرى وجوهاً للإسراف ينبغى أن تتحول إلى طاقة أخرى ، أو على الأقل أن تكف عن إسرافها حتى يتفرغ الناس لما هو مطلوب فى رمضان .. ؟ لعلى أسأل الشيخ إبراهيم .

الشيخ إبراهيم : ونحن نتحدث عن الإسراف نرى أن الاعتدال إذا كان مطلوباً فى الطعام والشراب والإنفاق فإنه واجب فى كل شىء ، وحسبنا مثلا حينما نتوضأ بالماء ، والماء نهر جار يحرم علينا الإسراف فى ماء الوضوء بما يزيد عن الحاجة إلى الوضوء .

الأستاذ حلمى : يعنى لو فتحنا (الحنفية) وقعدنا نتوضأ و(الحنفية) مفتوحة على آخرها .

الشيخ إبراهيم : هذا إسراف .. ويخالف الدين .

الإمام الأكبر : كان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتوضأ بحفنة . وهل الإسراف فى الوضوء فقط ياشيخ إبراهيم ؟

الشيخ إبراهيم : فى الوضوء وفى غيره .

الإمام الأكبر : اتفضل ، قل للفلاح لا يترك المياه فى الزراعة منطلقة .

الشيخ إبراهيم : هنا ربما كان لمفهوم الانضباط والالتزام أثر كبير فى أن يقف كل امرىء فيما يطالب به عند حد معين ، وهذا اللون بالذات ـ فى حياة المسلم ـ له وسائله المتعددة .

فنحن مثلاً فى صلاتنا نصلى الأوقات فى مواقيت محددة ، ونؤدى الصلاة بهيئة محددة ، وإذا كنا مع الإمام فإن واجب المأموم المتابعة لا يسبقه لا فى ركوع ولا فى سجود ، وإذا سبقه فى تكبيرة الإحرام ـ مثلاً ـ بطلت صلاته .

إذاً نحن نرى وسائل الالتزام ـ والاعتدال الذى يقضى على الإسراف ـ موجودة على مدار العام بين المسلمين ، ونحن مطالبون بأن نستخدمها فى حياتنا .

عندما تدخل أحد المكاتب ظهراً تجد الشبابيك كلها مفتحة وتجد الأنوار مضاءة ، أو تمضى فى الطريق تجد الشمس ساطعة والأنوار مضاءة أليس هذا لوناً من الإسراف ؟

نعم ، هو لون من الإسراف . بل هو إتلاف ، مثل هذه الأمور وغيرها كثير وكثير وليست بخافية على إنسان .

أيضاً لو أن المرء ، وهو الإنسان المسلم ، يلتزم بتعاليم دينه ، ويقف عند حدوده ، ويستخدم ما يفيده فى إصلاح حياته ، لكان الإنسان الذى تصلح له دنياه كما صلح له دينه ..

هكذا نرى الصلاة .. هكذا نرى الزكاة .. هكذا نرى النفقة ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾(٦) .

إن موارد المال الطيبات من الرزق ، والإسلام يحذر من المال الحرام ويطالبنا بأن يكون (المورد) الذى يأتى المال منه نقيا طاهراً و(المصرف) مباحاً ، وبعد كل هذا قال : المال إذا ما كان لك حذار أن تكتنزه ولا تستخدمه فى مصلحة المجتمع أو فى مصلحة الناس ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ : « لم يسرفوا » لم ينفقوا المال فيما أحل الله ، وفيما حرم الله بلا فائدة ومن غير هدف مفيد « ولم يقتروا » لم يبخلوا ولم يكتنزوا المال ؛ فإن المال له وظيفة اجتماعية فى يد الإنسان يستفيد منها ويُفيد منها الآخرين . ومن هنا نرى الإسلام وهو الذى طالبنا بالاعتدال جعل لنا التدريب يومياً فى صلواتنا ، فى العام فى صيامنا ، فى المال فى زكاتنا : كيف ننفق ؟ وماذا نستبقى ؟ وماذا نقدم ؟ وماذا نبقى لأنفسنا ؟ وفى الحج ـ وهو على المستطيع ـ إذا أراد الإنسان أن يحج قال تعالى : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(٧) .

كل ذلك لون من التربية للإنسان على الالتزام والانضباط فى كل ما يأتى وما يذر .

الإمام الأكبر : إذا كان الحديث قد تطرق بنا إلى الكهرباء والماء فى كلمة الشيخ إبراهيم ، فقد يقول إنسان : أنا أدفع قيمة ما أستهلك فماذا يضر الناس فى هذا ؟

الشيخ إبراهيم : إنه إذا كان يدفع فإن الدولة تدفع وكل إنسان له حق فى مال الدولة فهو يغتصب حق غيره فيما يسرف فيه ، الأمر الذى يجعله عرضة للمساءلة أمام الله قبل الناس .

الإمام الأكبر : يعنى كأنه ينتقص من قدرة استعمال الآخرين فى هذه المرافق العامة . وإذا كانت هذه المرافق مجهدة كما نرى فإن هناك انقطاعا أو جفافا فى الموارد المائية منذ سنوات ، إن مناسيب المياه قد قلت ، وبالتالى تأثر إنتاج الكهرباء .. وبالتالى .. وبالتالى هناك أشياء مترتبة على كل هذا ..! فهل نسرف ؟ أو نلاحظ القوة ، أو الطاقة الميسورة فنحتفظ بالرصيد ؟

الشيخ إبراهيم : أظن أن هذا أمر (واضح) .. كل إنسان عاقل يقول : يجب على كل إنسان ـ مهما كانت طاقاته وإمكاناته ـ ألا ينسى إخوانه ، وينظر إلى نفسه فحسب بل عليه أن ينظر إلى إخوانه فى الإنسانية ، بل إلى غيرهم من المخلوقات التى تعيش ، والماء سبيل حياتها . وخير الناس أنفعهم للناس وشر الناس أولئك الذين لا يبالون بما يحيق بالمجتمع أو بالأفراد بالنسبة لما يقدمون أو يأتون أو يفعلون .

الإمام الأكبر : لعلى آخذ من كلام الزميل فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى أن الإسراف فى مثل هذه الأمور المشتركة لا يقتصر ضرره على المسرف فقط ، وإنما يتناول المنتفعين بهذه المرافق . فالذى يسرف فى استعمال المياه يضر الآخرين ، والذى يسرف فى استعمال الكهرباء ، ولو أنه يدفع قيمتها ، لكنه يضر الآخرين أيضاً ، كما يضر المصادر التى تعطى هذه المرافق أو هذه الخدمات ، فهل للإسلام حكم فى هذا أم لا ؟

د . رءوف شلبى : فضيلة الإمام الأكبر ، ولا ينبغى أن نفتى فى حضرة فضيلتك ولكن إيذن لى
الإمام الأكبر : اتفضل .

د ./ رءوف شلبى : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[٨] الآصرة بين المسلمين هى آصرة الأخوة ، وهى ليست أخوة جوفاء ، ولكن أخوة يترتب عليها تكاليف شرعية فلا ينبغى للمسلم أن يتجاوز الحد إذا كان فى ذلك التجاوز ما يضر أخاه المسلم ، وبالتالى فإن الإسراف فى أى شىء والتجاوز فيه حتى فى العلم .. التجاوز حتى فى العلم ..

الأستاذ حلمى : ... لكن الاستزادة فى العلم مطلوبة ؟

د . رءوف شلبى : لكن التجاوز فيه بغير حق ليس على وجهه الصحيح ؟
ففى الحديث الشريف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
« .. لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن : عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه .»(٩)
فالحديث الشريف جامع للانضباط .

انضباط العمر ، والانضباط فى الشباب والانضباط فى المال والانضباط فى العلم فأى تجاوز فى ذلك يترتب عليه ضياع حق مسلم ففيه حرمة حتى لو كان فى العلم .. حتى لو كان فى المال .. حتى لو كان فى الرزق . ومن هنا حرم الله الخمر ، وحرم القمار ، وحرم الميسر لأنها كلها تجاوزات تضر بالآخرين . إمَّا أن تُتْلِفَ العقل وإما أن تضيع الوقت وإما أن تتلف العلم . وإما أن تكون مضيعة للأخلاق فكل ما فيه تجاوز يضر بالأمة الإسلامية .. فى أمنها .. فى مالها .. فى شخصيتها .. فى أرزاقها فهو حرام أن يأتيه المسلم والله أعلم .

الإمام الأكبر : وإذا كنا قد تحدثنا عن الإسراف فيما هو مباح أصلاً فما رأى الدكتور بركة فى الإسراف فيما هو منهى عنه شرعاً ؟
د . بركة : ما هو منهى عنه شرعاً منهى عنه قل أو كثر ، والإسراف فى المنهيات معناها ..

الإمام الأكبر : يعنى يمكن تسمح لى أوضح . الذى أريد أن أتساءل عنه هو : إذا كان قد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام رمضان فهل نقوم رمضان الآن فى بيوتنا ، أو فى سهراتنا ، أو أن هناك دواعى أخرى تشدنا للقيام إلى جهات أخرى وحينئذ هل يكون قيامنا مشروعاً ..؟

د . بركة : فى الحقيقة كما يقول السادة الصوفية لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ومن ضيع آداب الأوقات لم يبلغ مبلغ الرجال ، فإذا حفظنا هذا وهو يدخل معنا فى صميم موضوع الإسراف إذا حفظنا : أن لكل وقت عملا يشغله فإنفاق هذا الوقت فى عمل آخر غير عمله الأصلى يعتبر تبديداً لهذا الوقت فى غير ما شرع فيه العمل . ومن هنا نجد أن رمضان مثلاً جُعَل نهاره للصيام وليله جعل للقيام والراحة فإنفاق أى أوقاته فى غير ما خصص له يعتبر تبديداً لهذا الوقت فى غير الأمور المشروعة فيه ، ثم إنه لا يمكن استرجاع هذا الوقت على الإطلاق لأنه أُنْفِقَ ، وبالتالى فهناك خسارة كبيرة خسرها الإنسان ، وضيعها من حياته فى غير محلها أو فى غير وجهها ، وإذا كان لكل وقت عمل . فإذا فرضنا أن الأعمال تعارضت فى الوقت الواحد فهناك أولويات ؛ لأن الأوقات ضيقة والأعمال كثيرة .. عمر الإنسان صغير ووقته قليل ، والأعمال المنوطة به ـ أو التى يكلف بها ـ كثيرة سواء كلف بها فرضاً ، أو كلف بها نفلاً ، أو كلف بها آداباً اجتماعية ، أو آداباً أخلاقية ، أو كسباً للرزق كل ذلك من ضمن تكاليفه ، وكسب الرزق فرض

نقول : إن تضييع هذا الوقت الذى خصص لهذا العمل فى عمل آخر أقل منه جدوى ، أو أقل منه منفعة يعتبر إسرافاً وتضييعاً لما كان يمكن تحصيله من منفعة أكثر ، فما بالنا إذا ضيعنا هذا الوقت فيما لا جدوى فيه أو لا منفعة منه عندئذ تكون الخسارة كبيرة جداً ، أو تكون الخسارة مضاعفة ونحن نشاهد حقيقة أننا تفننا غاية التفنن فى تضييع الوقت .

الإمام الأكبر : يلاحظ أنك تنقلنا إلى الفن .

الأستاذ حلمى : الفن أيضاً موضوع من موضوعات السهرة .

د . بركة : تضييع الوقت فن أيضاً وليست كل الفنون مقبولة ، هنالك فنون مرذولة ، منها فن تضييع الوقت فيما لا طائل وراءه . فالحقيقة نحن تفننا فى ذلك تفنُناً كبيراً جداً ، وابتدعنا أموراً لا نزال نستزيد فيها عاماً بعد عام بحيث نصرف كثيراً من أوقات الرجال والنساء فى البيوت ، بل وأوقات الشباب والناشئة وهؤلاء هم الذين نخشى عليهم وخصوصاً ونحن فى أيام الامتحان ، فما بالنا إذا كانت هنالك أولويات وقلنا : إن الطالب عليه أن يؤدى واجبه أولاً فى مذاكرته فإذا تعارض الأمر بين أداء النفل وبين أداء المذاكرة كانت المذاكرة أولى ، فما بالنا إذا ضيعنا على هذا الطالب وقت مذاكرته فأضعنا نفله ومذاكرته مطلقاً .

الإمام الأكبر : نفله وفرضه ..

د . بركة : وهذا الذى نخشاه ، إذا وصل الأمر إلى الفرض فماذا بقى بالنسبة للشباب والناشئة ، وهذا سبب ذكرى للشباب والناشئة بالذات لأنهم الذين عليهم المعول فى المستقبل وهم الذين ننقل إليهم أمانة ديننا ليتحملوه من بعدنا . ... نحن فرطنا فى تحميلهم هذه الأمانة ، ولم نعودهم على تقاليد العبادات المعروفة لنا ، وتقاليد الصيام كما ينبغى أن يكون ، ثم بعد ذلك تحملوا هم أمر مستقبل هذه الأمة بعدنا ، ماذا يكون أمر الدين فى حياتهم وهم الذين لم يتعودوه ، ولم يتعلموه ، ولم يتلقنوه ؟ وإنما تعودوا وتعلموا ما يشاهدونه كل ليلة أو كل نهار سواء فى أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة أو فى أجهزة الإعلام المقروءة فهنالك من وسائل الإغراء فى هذه الآلات ما يجعل الشباب ينصرف ـ وقد يكون غير قاصد ـ لكن الإغراء شديد جداً أكثر من طاقة الشاب وإرادته قد لا تتحمله ، لأنه لا زال (غَضّ) الجلد لم يصلب ، ولم يتلقن من المعارف ، والمعلومات ما يجعله يميز بين الغث والسمين ، فإذا نحن خلطنا له الأمور خلطاً ومزجناها مزجاً بحيث لم يعد يعرف الصالح من الطالح ثم انطلقت عليه الأمور كلها ، استحسن منها ما هو مغر ، ونسى منها ما يصلح به أمره ، ويصلح به دينه ، ويصلح به شأنه . عند ذلك نقول : إن هذه الفنون التى ابتدعناها وتمرسنا بها أصبحت تقاليد مرعية .. وأصبحت فى حقل الفن ـ كما يقول مولانا الإمام الأكبر ـ تقاليد مرعية بحيث لا يكون هنالك موسم لرمضان إلا إذا كان فيه مثل هذه

الأمور ، ولا نريد أن نصرح بألوانها فهى معلومة للجميع سواء فى أجهزة (التليفزيون) أو فى أجهزة (الراديو) وقد زادت وربت . كانت فى البداية برنامجاً أو برنامجين فأخذت تزيد برنامجاً جديداً كل عام حتى أصبحت الليلة كلها برامج فى برامج من هذه المغريات . ماذا تركوا إذن للإنسان لكى يفرغ لنفسه ، ويفرغ لربه ، ويفرغ لعبادته ؟ وماذا تركوا للشباب لكى يفكر ويتأمل ..؟

إنهم لم يتركوا لعقول الشباب فرجة لينصرفوا فيها إلى التأمل والتدبر ومعرفة الدين .

الإمام الأكبر : يعنى مطلوب القيام فما نوعية القيام فى رمضان . هل هو القيام لله فى الصلاة ، أو فى تلاوة القرآن ، أو فى الذكر ، أو القيام لمتابعة كل هذه الأنهر المتدفقة فى ألوان مختلفة ـ كما قلت فضيلتك ـ تشد الشباب وتشد الكبار والصغار وتخلط عليهم الأمور . فأيها القيام المشروع ؟ تفضل يادكتور .

د . رءوف شلبى : ملاحظة : ففى دول العالم الثالث أو العالم النامى . نجد حجم الترفيه ليس متساوياً مع حجم التعليم والعسكرية ، فكل العالم الثالث متخلف تربوياً ومتخلف عسكرياً لكنه متقدم تماماً فى نواحى الرقص والغناء والموسيقى ومعاهد الموسيقى ومعاهد الرقص ، المفروض أن المسألة تنعكس ، المخططون لسياسة الدول النامية ـ بالإطلاق العام ـ ينبغى أن يعكسوا القضايا . فالشعوب تحتاج إلى استقرار فى الإدارة ، وتحتاج إلى استقرار فى أساليب السعى على المعيشة ـ أو كما تسمى التنمية ـ وتحتاج إلى استقرار فى الأنماط الخلقية والسلوكية ، ثم إذا ما شبعنا وكان عندنا فائض جاء التفكه ، وجاءت مرحلة الترفيه ، لكن نحن عكسنا كل القضايا : أسلحتنا كلها نشتريها من خارج البلاد ، وأكلنا وشربنا وكهرباؤنا حتى السيارات التى نركبها ، حتى التليفون الذى نستخدمه من خارج بلادنا ، لكن وسائل الترفيه أكبر وأكثر !!! فكيف تتم تنمية فى مجتمع لا يستطيع أن ينسق بين الضرورات الأساسية وهى لقمة العيش وبين وسائل الترفيه ؟!

الإمام الأكبر : ولعل الدكتور رءوف شلبى فتح لنا بابا نسأل فيه الدكتور على ، ما الترفيه هل الترفيه ممنوع فى الإسلام ؟!

د . الخطيب : والله ـ يافضيلة مولانا ليس الترفيه ممنوعاً فى الإسلام ، ولكن يجب أن يكون بقدر معين ، وفى نفس الوقت يجب أن يكون فى إطار معين ، فهو لا يدعو ، ولا يدفع إلى شهوة ، ولا ينسى الإنسان فرضاً ، ولا يقتل منه الوقت ، ولا يضع أمامه نماذج من صور وتمثيل وما إلى ذلك ..

الإمام الأكبر : كل هذه .. يادكتور على ـ تضعها حول الترفيه ؟ لم يبق ترفيه إذن ، ما رأيك أريد إيضاحاً أكثر ؟

←

د . الخطيب :
ـ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وفى الرحلة التى كنت فيها بصحبة فضيلتكم سمعتُ رئيس وزراء ماليزيا يقول إن وجود الأراضى البور فى دولة من الإسراف .

الأستاذ حلمى : حدث هذا ؟

الإمام الأكبر : نعم ، إسراف فى البطالة .

د . الخطيب : إن وسائل الإعلام وجهت كثيرا من الشباب إلى فكرة أن الدين ليس فيه ترفيه أبداً .

الإمام الأكبر : أسأل سؤالاً واضحاً ، أو كما يقولون : مباشرا ، نحن سمعنا : دنيا ودين ، هل الدين ـ والموضوع هذا تكلم عنه د . رءوف شلبى ـ هل الدين يحارب الدنيا ؟

د . الخطيب : الدين يصلح الدنيا ولا يحاربها .

الإمام الأكبر : وكيف يصلحها ؟!
ـ نعم يصلحها بالعمل الجاد فهناك ساعة وساعة لكل إنسان منا واجبه يؤديه ثم له الحق بعد ذلك فى الترفيه فى حدود ما شرع الله سبحانه وتعالى ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك للنكتة ، ولكن إذا بحثنا فى إطار ما قيل أمام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجد فيه قبحاً ولا تناولاً لعرض ولا أى شىء يخدش الحياء أو يخدش الدين من قريب أو من بعيد . فإذن نحن يجب أن يكون أمامنا منهج معين يضع الترفيه ويخطط له حتى يستقيم مع ديننا .

الأستاذ حلمى : يعنى قضية الفنون التى أثارها السادة العلماء الأفاضل .

الإمام الأكبر : أريد ـ قبل قضية الفنون ، ياأخى العزيز ـ أن أستوضح الدكتور على ، فأقول له : هل هناك إسراف فى الترفيه الممنوع ؟

د . الخطيب : نعم ، يامولانا ، هناك إسراف فى الترفيه الممنوع ، ويكفى أن نعمل شكلاً بيانياً لإعلانات ..

الإمام الأكبر : أريد أن أفتح عليك بعض الشىء ، ونقرأ إعلانات الصحف يومياً لنرى الدعوة إلى الكباريهات وإلى .. وإلى .. وإلى .. ونقرأ مثلاً ..

د . الخطيب : إعلان مجلة الأزهر ٢ سم × ٣ سم . ولست أبالغ يافضيلة الإمام .

الإمام الأكبر : يعنى فضيلتك تتكلم عن حجم الإعلان عن مجلة الأزهر والإعلانات الأخرى . لأنك تدفع ملاليم ولا تدفع ما يدفعه الآخرون .

الإمام الأكبر : لا زلنا لم نضع النقط على الحروف ..

د . الخطيب : اتفضل يامولانا .

الإمام الأكبر : ما الذى نراه فى الترفيه فى مجتمعنا . هل فيه إسراف .. إسراف يصل إلى حد إتلاف العقول والدين ؟

د . الخطيب : نعم أولاً الإعلام طبعاً قطاعات مختلفة فى الصحافة كما أشرت فضيلتكم إلى الإعلانات عن الكباريهات وغيرها وهى منتشرة كثيراً وتأخذ عديداً من المساحات بحيث لا يبقى للقارىء ما يفيده إلا أسطر لا تزيد .

د . بركة : ويعلنون عنها بمناسبة رمضان أيضاً .

الإمام الأكبر : تكثر الإعلانات عن هذه الأمور فى رمضان ، وتعد لرمضان ، هل هذا من تبعيات رمضان هذا هو السؤال ؟!

د . الخطيب : أبدا هذا حرام .

د . عبد الفتاح : مجال الترفيه ـ بصرف النظر عن شهر رمضان عموماً ـ هذا المجال الذى يشغلون به أذهان الناس ويعتبر إسرافاً ، منه : الإغراق فى تضخيم ما يتعلق بنواحى الرياضة وجعلها وسيلة للتحزب والتحيز والتشيع والتعصب ، وما شاكل من هذه الأمور ، وبالتالى الاستغراق فيها بحيث تلهى عن العبادة ، وتلهى عن أداء الصلوات ، وبعد ذلك ، وبرغم أنها بذاتها مغرية فإنهم يضيفون إليها من المغريات المختلفة ما يشغل به أذهان الشباب ، وياليتهم حين يشغلون الشباب يجعلون الشباب يتريض فى ذاته ، وفى بدنه .

الإمام الأكبر : يتخلق بأخلاق الرياضة ..

د . بركة : يتخلق بأخلاق الرياضة ، ويتريض بدنياً أيضاً ، وإنما الشباب (وقت المباراة) مجرد مستهلك لا منتج رياضة ، وإنما مستهلك يشاهد هذه الرياضة ، وينفق فيها وقته فيما لا طائل وراءه .

فهذا نوع من أنواع الإسراف غير الملحوظ وغير المحسوس ؟

التتمة فى العدد القادم

د. على أحمد الخطيب

---

(١) سورة الأعراف : آية ٣١ .
(٢)سورة الإسراء : آية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٨٣ .
(٤) سورة التحريم : آية ٦ .
(٥) (٦) سورة الفرقان : آية ٦٧ .
(٧) سورة آل عمران : آية ٩٧ .
(٨) الحديث الشريف رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنهم .
(٩) الحديث رواه الترمذى ـ فى باب القيامة ـ وقال : حديث حسن صحيح وفى الباب نفسه ، وقبله مباشرة حديث بنفس المعنى ، وفيه : حتى يسأل عن خمس ..

مقدمة الصحافة الإسلامية

بداية لابد منها .. تتمثل فى البحث عن جذور ونشاة الصحافة ، كوسيلة إعلامية جماهيرية فى العالم كله بصفة عامة ، وفى بلاد المسلمين بصفة خاصة .. ولعل البحث فى الجذور والنشاة يفسر لنا بعض المواقف القريبة لصحافتنا اليومية وغير اليومية تجاه قضايا الإنسان المسلم فى العالم ؛ ولعله يوضح لنا بعض الغموض الذى يلف الاتجاهات الفكرية للصحافة فى بلادنا ..

ولذلك أرانى مضطراً إلى تناول صحافتنا من خلال قراءة عجلى فى نشأة صحافتنا وتطورها ، خاصة تلك الصحف الصادرة فى بلاد المسلمين على وجه التحديد ، ولسوف نمضى - إن شاء الله - فى هذه الدراسة على النحو التالى :-

١ - مدخل لغوى إلى صحافتنا .

٢ - تصويب لبعض المفاهيم حول الصحافة الدينية والصحافة الإسلامية .

٣ - مدخل تاريخى إلى نشأة الصحافة فى العالم بعامة ، وفى بلاد المسلمين بخاصة .

وإنما أردت أن أقدم مدخلاً لغوياً للدراسة لكى أدون تحديداً للمصطلحات بين يدى المقال ، وذلك أمر بالغ الأهمية ، حتى يعرف القارىء حدود استخدام المصطلحات ، وحتى لا يقع فى تيه ألفاظ واسعة فضفاضة تخرج بنا عن القصد ، وتؤدى إلى الغموض أو اللبس ..

أولا : مدخل لغوى إلى علم الصحافة :

● قال الزمخشرى[١] : صحيفة ، وصُحُف ، وصحائف .. هى قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه ، وهو (صَحَفىٌّ) ؛ وصحَّاف .

وفى الصحاح : (الصَحْفَةُ) كالقطعة والجمع صحَاف ؛ وقال الكسائى : (الصحيفة) ، الكتاب والجمع (صحف) و (صحائف) .

وفى المعجم الوسيط : (الصحافة) - بكسر الصاد : مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها فى صحيفة أو مجلة (محدثة) والنسبة إليها : صِحافى . ا هـ . وبدهى أن

● الكاتب : مديع بالبرنامج العام .

(١) انظر مادة : صحف فى أساس البلاغة ، الصحاح ، المصباح المنير ، المعجم الوسيط .

بقلم: حسن على العُنَيْبِسى

النسبة إلى صحيفة : صَحَفِىّ ، كما أن النسبة إلى صحافة : صحافى .. وفيه أيضاً « الصحيفة : ما يكتب فيه من ورق ونحوه ، ويطلق على المكتوب فيه ج : صُحفُ ، وفى التنزيل العزيز ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [آخر سورة الأعلى] .

والصحيفة : إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو فى مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والثقافة ، وما يتصل بذلك (محدثة) ج : صحف وصحائف ا هـ .

● فـ « الصحيفة » ـ إذاً ـ قرطاس مطبوع فيه أخبار ومعلومات وآراء واعلانات ، وصور مختلف شكله ، ومختلف حجمه باختلاف سياسته ومواعيد صدوره ، ورؤية القائم عليه ، يعرض على الجمهور لاقتنائه عن طريق الشراء أو الاشتراك فى فترة من فترات صدوره .

● **أما التعريف القانونى للصحيفة** فهو فى النص التالى :

يقصد بالصحيفة أو الجريدة [كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية فى مواعيد منتظمة] .

ولقد أخذ المشرع المصرى[٢] فى قانونى المطبوعات والعقوبات بتسمية الدوريات والمجلات والصحف باسم (الجريدة) طبقاً للمادة (١١) من القانون الصادر فى سنة ١٨٨١ ثم قانون المطبوعات الصادر فى سنة ١٩٣١ ، ثم القانون الصادر فى سنة ١٩٣٦ الفقرة الثالثة من المادة الأولى منه حيث لم يفرق المشرع فى تعريفه بين الصحيفة والمجلة .

وفى محاضرات الدكتور جمال العطيفى وزير الإعلام الأسبق لطلبة الإعلام بجامعة القاهرة ، يذكر تعريفاً قانونياً أكثر دقة لمفهوم الصحيفة فيقول : « الصحيفة هى كل مطبوع دورى يصدر بصفة منتظمة من مؤسسة معروفة تلتزم بوقت إصدار محدد ، وتنشر أخباراً وأحاديث ومقالات .. الخ فنون العمل الصحفى .

ثانياً : صحافة دينية .. وصحافة إسلامية ومفاهيم تحتاج إلى تصويب

من هذه المفاهيم كلمتا : « الإعلام الدينى »[٣] و « الإعلام الإسلامى » ؛ وحتى لا يقع خلط بين الإعلامين ابتداء نحدد مفهوم كل منهما فيتحدد ـ فى ضوء ذلك ـ مفهوم كل من « الصحافة الدينية » و « الصحافة الإسلامية » وإن ارتبط ـ فى النهاية ـ مصدر التوجيه لكل منهما .

(٢) راجع قانون المطبوعات المادة ١١ لسنة ١٨٨١ ، سنة ١٩٣١ .

(٣) راجع ذلك باستفاضة فى مقالنا الإعلام الإسلامى ، الأسس والمبادىء بمجلة الأزهر ١٤٠٤ هـ .

مقدمة لصحافة إسلامية

نقصد « بالإعلام الديني » كل ما ارتبط بتبيان حقائق الدين وتوضيحه للناس والدعوة إلى الحق ، وتوضيح الفرائض والعبادات .. الخ ؛ أما « الإعلام الإسلامى » فنقصد به كل ما ارتبط بحياة الإنسان المسلم ومعاشه وأمور حياته من أخبار وأحاديث وتحقيقات فى إطار المنهج الإسلامى وأخلاق الإسلام ، أى أننا نرى أن الإعلام الإسلامى أشمل من الإعلام الدينى

ونقصد بالصحافة الدينية ـ فى المجال الإسلامى : تلك الصحافة التى تعنى بكل ما ارتبط بتبيان حقائق الدين ، وترغيب الناس فيه ، والحث على التمسك بآدابه . وفى الميدان من ذلك كثير .

● ونقصد بالصحافة الإسلامية أمراً آخر يحدده الدكتور / عبد الحميد يونس فى قوله[٤] :

الصحافة الإسلامية ، هى تلك الجريدة أو المجلة ، أو الدورية التى تضع شارة الإسلام اسما لها ، وتلتزم بالمنهج الإسلامى فى عملها وأهدافها .

● فالصحافة الإسلامية ـ كما نراها ـ تتناول الأخبار السياسية والاجتماعية والثقافية ، وتتابع أحوال العالم من حولنا ، وتضع بين يدى القارىء المسلم تقريراً يومياً صادقاً عن العالم ، ملتزمة فى ذلك بآداب الإسلام ، فلا تنشر أخباراً كاذبة لاختبار النوايا ، أو لقياس ردود الأفعال ، أو للتجنى أو للتشهير .. !! ولا تعنى بأخبار الفضائح الشخصية ، ولا تعطى الجريمة ألواناً جنسية مثيرة طلباً لإقبال القراء ، ولا يسمح ـ فى إطارها ـ بهتك الحرمات طلباً لسبق صحفى .. الخ .

● هى ـ باختصار ـ الصحيفة اليومية .. لكن داخل هذا الإطار الهادف الذى يحفظها من الانحراف أو الانحياز ، ويحترم عقل قارئها وآدميته .. وهى صحافة يفتقر إليها الميدان فى عالمنا الإسلامى فقراً شديداً ، بل أكاد أن أقول إنه لا وجود لها ..

● فإذا كانت « الصحافة الدينية » تخص القارىء بموضوعات دينية مباشرة « فالصحافة الإسلامية »[٥] تمده بذخيرة المعارف العالمية : خبراً .. وعلماً .. وثقافة وهى تعنى ـ فى ذلك كله ـ بتقديم الكلمة العلمية الصادقة حتى لأولئك الذين يهاجمون ـ من حين إلى آخر ـ هذا الدين السمح : الإسلام ، ويعدون من حين إلى آخر ـ مفاجأة للمسلم بالطعن فى دينه بأقلام منحرفة .

● « فالصحافة الدينية » أقرب إلى مجال « الدعوة » منها إلى « الإعلام » لارتباطها بأمور الدين وتبيان الفرائض والعبادات والأخلاق ؛ بينما الصحافة الإسلامية تمثل انطلاقاً لمتابعة شئون الحياة ، ومناقشة المشكلات اليومية و « الحياتية » للإنسان المسلم فى إطار من الالتزام بآداب الإسلام وأركانه .

(٤) د . عبد الحميد يونس ، الصحافة حاضرا ومستقبلاً ، مجلة الفيصل ، العدد ١٩ لسنة ١٩٧٨ ، ص ١٠٥ .
(٥) راجع دراستنا : نحو إعلام إسلامى ، رابطة العالم الإسلامى ، مكة المكرمة ، ١٩٨١ م .

ثالثا : نشأة الصحافة :

أ ـ نشأة الصحافة فى العالم بصفة عامة :

ليست هذه السطور تأريخاً للصحافة من حيث نشأتها وتطورها ، بل هى قراءة عجلى للبدايات التى يمكن فى ضوئها أن نعرف المعطيات والنتائج التى تضمنتها هذه الدراسة .

يذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن المصريين القدماء أول من عرف الصحافة باعتبار أن ما ينقش على الحجر أو يكتب على ورق البردى .. صحافة .. !! ولسنا نعتقد أن ما نقشه القدماء على الأحجار أو ما كتبوه على ورق البردى « صحافة » بالمعنى المفهوم حديثاً لافتقاره إلى عنصر الدورية والالتزام بوقت صدور إلى جانب التداول على نطاق واسع .

وفى الحق ، أن الصحافة لم تظهر إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى بعد اختراع « يوحنا جوتنبرج » للمطبعة بالحروف المعدنية المنفصلة .(٦)

ويلاحظ أن البدايات الأولى للصحافة نشأت فى أحضان غير المسلمين ، وأن الطباعة بالحروف المنفصلة اخترعها قَسّ ليدون بها الكتاب المقدس .

والصحافة ـ بالمعنى الحديث ـ الصحافة المنتظمة بدأت فى إيطاليا معقل الفاتيكان ـ وقد ظهرت أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، ثم أعقب ذلك ظهورها فى فرنسا فانجلترا عام ١٦٣٠ م .

ولعل أول صحيفة ظهرت فى العالم العربى أصدرها نابليون أثناء حملته على مصر سنة ١٧٩٩ م .

إذاً ـ ميلاد وطفولة الصحافة ، وكذلك العمل الصحفى كُلٌّ كان فى أرض غير إسلامية .. وعلى أيد غير إسلامية ، وكذلك كانت « التقنية »(٧) الفنية للصحافة غير إسلامية .. !!

ومعنى ذلك ـ تلقائيا ـ أن تحمل طابعاً وجزءاً من ثقافة مبدعها ، ولهذا كانت ـ فى واقعها ـ بدايات للغزو الفكرى ـ مصدرة إلينا فى هذه التقنية ، كانت فرنسا أول دولة تصدر صحيفة رسمية ؛ وفى عام ١٦٣١ م تأسست صحيفة « جازيت دى فرانس » « Gazeté de France »(٨) ؛ بينما ظهرت أول صحيفة انجليزية يومية فى سنة ١٧٠٢ م أسماها صاحبها « ديلى كارانت » « daïly current » وظهر أول « جورنال » يومى فى فرنسا سنة ١٧٧٧ م باسم « جورنال دى بارى » « Journal de paris » ؛ ثم ظهرت الطابعات الميكانيكية التى تدار بالبخار على يدى « كونج » الألمانى الذى قدم اختراعه فى سنة ١٨١٤ م إلى البشرية واستخدمته جريدة « التايمز » اللندنية فكانت أول جريدة تستفيد من هذا الاختراع .

وعلى أية حال يمكن القول بأن الصحافة

←

(٦) د . خليل صابات : نشأة وسائل الإعلام وتطورها ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ٣٥ .

(٧) تعريب لكلمة « تكنولوجيا » .

(٨) خليل صابات ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

مقدمة لصحافة إسلامية

الحديثة ولدت فى منتصف القرن التاسع عشر بعد تطور البريد ووسائل المواصلات وادخال الآلة فى مجالات الطباعة والنشر .

وإلى الولايات المتحدة يعود الفضل فى تقدم طباعة الصحافة ، فقد تمكن مخترع يدعى « هو » « Huo » من صنع (طابعة) دوارة « روتـاتيف » استخدمت لأول مـرة فى « فيلادلفيا » سنة ١٩٤٧ م ، ثم ظهرت « اللينوتايب » التى تصب حروفها وتنفذها فى أسطر مسبوكة متماسكة فكانت صحيفة « نيويورك تايمز » أول من اقتنى هذه الآلة فى العمل الصحفى .

ويعتبر الأمريكان أول من أدخل الصورة والرسم فى عالم الصحافة إلى جانب اسهامهم فى تطور الطباعة والعمل الصحفى[٩] .

حقيقة هامة نضعها فى البداية قبل ان ننتقل لنشهد بدايات العمل الصحفى فى البلاد الإسلامية ، هذه الحقيقة الواضحة هى ان الصحافة نشأت وترعرعت فى تربة غير إسلامية وطور فنونها غير مسلمين وذلك امر يجب ان نضعه فى الاعتبار ونحن نتحدث عن الصحافة فى بلاد المسلمين عامة والصحافة الإسلامية خاصة ولقد اشار إلى ذلك الكونت دى طرازى فى قوله[١٠] « لقد تنبه المسلمون المصريون إلى هذا الأمر الجلل فنشروا فى آخر الحقبة الأولى ثلاث صحف فى القاهرة فى سنة ١٨٦٥ م ثم فى سنة ١٨٦٦ ثم فى سنة ١٨٦٩ » .

ولعل الصحيفة الوحيدة التى يمكن القول إنها تستقى عملها من منابع إسلامية وإن يحررها مسلمون ، هى صحيفة « العروة الوثقى » التى أصدرها فى باريس سنة ١٨٨٤ المغفور لهما جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولقد منعت هذه الصحيفة من التداول فى مصر مرات عديدة .. ومن عجب أن تصدر مثل هذه الصحيفة فى أية دولة إسلامية وإنما تصدر فى باريس .. !!

وهنا يمكن للقارىء أن يدرك عمق المأساة التى ألمت بالمسلمين وأن يدرك عمق وبعد سياسة مطاردة الصحافة الإسلامية من قديم .

غير أن (الشيخ على يوسف) يواسينا فى مأساة « العروة الوثقى » ، ويقدم لنا فى تاريخ الصحافة العربية نقطة مضيئة ، وصفحات مشرقة ، حين يصدر هذا العالم الأزهرى الجليل جريدة « المؤيد » فى نهاية عام ١٨٨٩ م ، ولقد كانت هذه الجريدة من أوسع الصحافة العربية انتشاراً ، بل كـانت الصحيفة العربية الوحيدة التى لها مراسلون فى معظم عواصم دول العالم ، والصحيفة العربية الوحيدة التى لها اشتراك فى وكالة « رويتر » للأنباء .. !! وإنه لواجب علينا أن نشير بكل الفخر والعرفان إلى جهاد ذلك العالم الأزهرى الجليل فى ميدان الصحافة .. فقد اقتحم المجال فكان أول عربى مسلم يقدم

---

(٩) راجع فى ذلك خليل صابات ، أحمد المغازى الخبر ومصادره .

(١٠) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

للناس فناً صحفياً راقياً ، حارب الاحتلال ، وحارب الأمية ، نشر الوعى ، وبث روح الانتماء ، ورد على خصوم الإسلام .. ولهذا لم يكن مستغرباً أن يقتلوا الصحيفة ويحاربوا صاحبها وكانت مؤامرة حاكها أعداء الإسلام فى الظلام فصودرت جريدة « المؤيد » مرات عديدة حتى تعرضت للإفلاس ومَرّ صاحبها بأزمة مالية وخسارة فادحة جعلته يعتزل الميدان نهائياً ، ونجحت مساعى أعداء المسلمين فى قتل الصحيفة المسلمة التى لم يفرط صاحبها فى دينه ووطنه ، وجاهد بشرف يجعلنا نشعر بالخجل إذ لا تعرف الأجيال الحالية مَنْ هو (الشيخ على يوسف) ذلك الأزهرى العملاق .. ولعلّ أسجل هنا ما لهذا الرجل من فضل على صحافتنا الإسلامية وتلك ملاحظة عابرة نسجلها فى هذا الموضع لنعرف كيف نشأت صحافتنا !!

ثم نسوق ملاحظة أخرى على نشأة صحافتنا وتتمثل فى الآتى :-

فى الوقت الذى صودرت فيه « العروة الوثقى » ، وفى الوقت الذى صودرت فيه « جريدة المؤيد » وتعرضت للاغلاق والتعطيل ، وحوربت فيه جميع الصحف الوطنية خاصة الإسلامية منها .. فى ذلك الوقت بقيت فى الميدان صحف عديدة مثل « المقطم » لسان حال الاحتلال الانجليزى فى مصر وصحف أخرى على شاكلتها !!

فى حين أخذ قانون المطبوعات المصرى على عاتقه آنذاك مصادرة بعض الصحف مثل « الأستاذ » للأستاذ عبد الله النديم فى سنة ١٨٩٢ م و « اللواء » لمصطفى كامل فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم « الجريدة » التى أشرف عليها لطفى السيد فى سنة ١٩٠٧ م .

لقد كانت نهاية صحيفة « المؤيد » التى يصدرها الأستاذ الشيخ على يوسف فى سنة ١٩١٦ م على يد قانون المطبوعات الذى أصدرته حكومة الاحتلال آنذاك .. !!

ب - نشاة الصحافة فى بلاد المسلمين :-

إذا كانت الصحافة قد رأت النور فى الدول غير الإسلامية مع بداية القرن السابع عشر ثم تطورت على أيدى غير المسلمين فى أوروبا وأمريكا ، فإن الصحافة فى بلاد المسلمين لم تكن معروفة بالمعنى المفهوم لدى الناس إلا فى نهاية القرن الثامن عشر .. أى بعد قرنين من ظهورها فى أوروبا .

كما دخلت الصحافة بلاد المسلمين فى ظل الاحتلال الأجنبى المباشر مثل الاحتلال الانجليزى لمصر والفرنسى للشام .. أى أن نشأة الصحافة فى بلاد المسلمين كانت فى ظروف مختلفة عن نشأتها فى العالم الغربى حينئذ .

ولعل الثابت لدى الباحثين فى الإعلام أن مصر أول دولة عربية عرفت الصحافة ، مع بداية الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ ، فكان أول عمل قام به (بونابرت) أن أحضر معه مطبعة ، وفور وصوله إلى مصر إصدر صحيفة « كوربيه ليجبت »[١١] باللغة الفرنسية ، ثم إصدر بعد ذلك « لاديكاد ايجبسيان » وذلك ←

(١١) د . خليل صابات ، نشأة وسائل الإعلام وتطورها ، مصدر سابق .

مقدمة لصحافة إسلامية

لتحسين صورة الاحتلال الفرنسى لمصر وللدعاية للحضارة الفرنسية وأهميتها للشرق العربى - على حد زعمهم - ثم فكر (بونابرت) فى إصدار صحيفة باللغة العربية باسم (التنبيه) ولكن سوء موقفه فى الحرب مع انجلترا وروسيا حال دون إصدار هذه الجريدة ، وبعد جلاء الحملة عن مصر أخذ المحتلون مطابعهم إلى بلادهم وتوقفت الصحيفتان عن الصدور ..

ولعلنا نسوق ملاحظة ثالثة على نشأة الصحافة فى بلاد المسلمين خاصة فى مصر حيث نلاحظ أن أول صحيفة تصدر فى بلدنا لم تكن مصرية ، ولم تصدر باللغة العربية ، ولم تكن تخدم أهداف المصريين فى الدين والحرية والاستقلال ولم تناقش مشكلات المصريين ، ولم تكن ثقافتها ملائمة للثقافة الإسلامية أو الأدبيات العربية .. هذه الملاحظة جديرة أن يأخذها بعين الاعتبار مؤرخو ودارسو الصحافة فى بلادنا الإسلامية .

ثم تولى محمد على باشا حكم مصر ، وبعد أن أنشأ مطبعة - وهو الأمى - عام ١٨١٩ أصدر صحيفة « الوقائع المصرية »[١٢] التى يمكن القول بشأنها : إنها أول صحيفة مصرية عربية ، وإن كان محمد على باشا قد أنشأها لتكون بوقاً للدعاية له ولتحسين صورته .

فأما أول صحيفة يملكها فرد فى مصر فقد كانت صحيفة غير عربية وصاحبها غير مسلم وغير مصرى .. كانت صحيفة « لومونيتور ايجيبسيان » امتلكها فرنسى وأصدرها باللغة الفرنسية بتشجيع من الوالى ، لتكون دعاية له مع الجاليات الأجنبية ولتكون جهازاً من أجهزة حكمه .

ولهذا فإننا نؤكد مرة ثانية على ملاحظة سقناها - آنفا - وهى : « أن الصحافة - فى الوطن العربى - جاءت مع الاحتلال وتفاعلت معه فى ظروف بالغة القسوة مر بها شعب مصر المسلم » .

كذلك نلاحظ أن هذه الصحافة نشأت فى أحضان السلطة أو بأمر من الحاكم ، ولم تكن من بينها صحيفة واحدة لنشر الدعوة الإسلامية وإحاطة المسلمين بشئون دينهم ، أو مراعاة آداب الإسلام وأخلاقه فى عملها الصحفى .. !!

ثم كانت أول صحيفة مصرية يصدرها مصرى « صحيفة وادى النيل » فى عام ١٨٦٧ م أنشأها الأستاذ / عبد الله أبو السعود ، وقد كانت أقرب إلى همزة الوصل بين الصحافة الرسمية والصحافة الشعبية ثم بعدها صدرت (روضة الأخبار) فى سنة ١٨٧٥ م .

وفيما ذكرت مدخل كافٍ لإحاطة القارىء بظروف الصحافة فى العالم الإسلامى ، وهو مدخل يسجل فى وضوح مدى الفراغ الرهيب

(١٢) ماتزال الوقائع المصرية تصدر حتى الآن بانتظام ..

الخالى تماماً من **صحيفة إسلامية عربية يومية** . منذ أن عرفت مصر والعالم الإسلامى الصحافة وحتى يومنا هذا .

ولعل ما سقناه من ملاحظات عامة على نشأة الصحافة والصحيفة فى بلاد المسلمين لازال يصاحب - فى جلاء - صحفاً عاشت تمد المجتمع - حتى اليوم - بمادتها فى ضوء منظور ثقافتها وسياستها ؛ تلك السياسة التى كثيراً ما تفسح صدرها للكلمة المضادة للإسلام الملتاثة بفكر غربى حاقد(١٣) أو شرقى ملحد ، وتضيق الضيق كله بالكلمة الإسلامية التى ترد على ما نَشَرَتَ ، مع أن ذلك الرد حقها القانونى ، ولن يعدم القارىء لذلك أكثر من مثال بين يديه من الصحف المنتشرة فى بلادنا اليوم .

فإذا ما تخطينا إلى مجال ما طرأ على المجتمع المصرى المسلم منذ الاستقلال وما صحبه من إطار غربى فى نظام الأحزاب ، ظهرت الصحيفة المتحدثة بلسان الحزب .... وكانت صحفاً - بحكم النشأة والانتماء - خاضعة لتيار العلمانية أو للتعصب الحزبى وهى فى كل ذلك ، فى إطار العلمانية تثوب وتثوب .

فلازلنا - إذاً - حتى الآن كالبداية والنشأة ، نفتقر إلى « الصحافة الإسلامية » .. !!

وهنا نتجه إلى **الأزهر الشريف** .. إنه المؤسسة الوحيدة التى تلوذ بها آمالنا وتتعلق بها افئدتنا فى صدق وإخلاص ليحقق لنا الرجاء المنشود .

إن **لجامعة الأزهر** قسماً للصحافة يتبع كلية اللغة العربية يختص بدراسة شئون الصحافة كلها ، وتتخرج منه أجيال من الصحفيين لها طابعها الخاص ودراستها الملتزمة وأسلوبها المتميز ..

وإن **لجامعة الأزهر** بجانب تلك الكلية - كلية أخرى تهتم باللغات والترجمة ، تخرج لنا مئات من المهتمين بالأدب والفكر الغربى .. هم نواة لمترجمين صالحين فى ميدان العمل الصحفى نفيد بهم فى الترجمة والتحرير وهم الأقدر على فهم رسالة الصحافة الإسلامية .. فهم أبناء الأزهر ..

وللأزهر الشريف من هذه وتلك جنود لصحافة إسلامية ينتظرها الميدان ويحتاج إليها حيث الثغرة متسعة وخطرة ، وما يأوى إلى المسلمين مما تبثه الصحافة المنتشرة حولنا معروفٌ خطرُهُ ، ملموس ضرره .

وينفرد الأزهر الشريف بعد ذلك كله بأنه الملاذ الأمين المستقل عن الشرق والغرب المضاد للعلمانية والشيوعية ، القائم على رسالة الإسلام ، وإذا لم تكن الصحافة الإسلامية من الأزهر فمم تكون !!!؟

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

حسن على

---

(١٣) راجع دراستنا الدوائر الدعائية المعادية للإسلام بين عهدين سنة ١٩٨٨ م ، المطبعة المصرية الحديثة .

دور المصارف الإسلامية

في الحد من التضخم

اصبح التضخم مشكلة تعانى منها كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، وقد دلت التجارب على ان العالم اجمع . بما فيه الاتحاد السوفييتى ، يشترك فى الخضوع لآثار ذلك التضخم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . دون تفرقة فى ذلك بين النظم الاقتصادية والسياسات القومية . وفى اليابان ـ وهى دولة متقدمة ـ زاد ارتفاع الأسعار خلال السنوات الثلاث الأخيرة بمعدل ٣٠٪ اما عن الدول النامية فإن التضخم يعد ظاهرة مَرَضِيَة تلازم هذه الدول اثناء تنفيذ برامجها الإنمائية ، ولقد كانت اضرار التضخم بالغة حتى اصبح التضخم بالنسبة لدول العالم بمثابة كارثة اقتصادية يجب تفادى وقوعها باى ثمن ، وقد اتفق أكثر من باحث على أن النظام المصرفى الربوى يعد احد الأسباب الرئيسية للتضخم(١) .

ماهية التضخم :

على الرغم من الأهمية الكبيرة التى أولاها ويوليها الفكر الاقتصادى المعاصر لمشكلة التضخم ،فإنه لا يبدو أن هناك إجماعا من جانب الاقتصاديين على تعريف محدد لهذا الاصطلاح ، فهو اصطلاح يصعب تعريفه(٢) . ومع التسليم بأن محاولة الوصول إلى تعريف جامع مانع للتضخم أمر يعوزه المعنى والفائدة ، إلا أننا نفضل استخدام تعريف للتضخم لنتخذه أداة للتحليل مستندين فى ذلك إلى محورين .

المحور الأول : هو قياس التغيرات التى تحدث فى مستوى الأسعار .

المحور الثانى : هو تطبيق أنسب الصيغ والمعايير التى توصل إليها الفكر الاقتصادى لقياس التضخم :

---

(١) انظر : د . على عبد الرسول ، المبادىء الاقتصادية فى الإسلام (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٠) ص ١٥٥ .
أيضا د . غريب الجمال المصارف وبيوت التمويل الإسلامية (جدة ، دار الشروق ، بدون تاريخ) ص ٧٠ .

(٢) د . أحمد عبده محمود ، الموجه فى النقود والبنوك (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩) ص ٥٢ .

بقلم : مجدى عبد الفتاح سليمان

ونرجح التعريف الذى قدمه « إميل جيمس » « EMELE GAMES » عن التضخم بأنه « حركة صعودية للأسعار ، تتصف بالاستمرار الذاتى ، تنتج عن فائض الطلب الزائد عن قدرة العرض »(٣) .

وبناء على هذا التعريف ،فإنه يجب توافر شرط أساسى حتى يمكن القول بأن هناك حالة تضخم وهو ارتفاع الأسعار ، وعلى ذلك يكون ارتفاع الأسعار أثرا للتضخم .

مدى مسئولية النظام المصرفى الربوى عن التضخم ؟

فى ظل النظام القائم على الربا ، نجد أن للبنوك التجارية سلطة واسعة فى خلق النقود أو خلق الائتمان ، ويتم ذلك عن طريق فتح اعتمادات لعملاء المصرف بما يسمح لهؤلاء بسحب مبالغ فى حدود الحد الأقصى لهذه الاعتمادات ، ويتم ذلك بموجب « شيكات » لا يستخدمها المستفيدون خاصة للحصول على مبالغ نقدية . وإنما يجيزون بموجبها تسويات لدى نفس المصرف أو لدى غيره من المصارف ، وبذلك يتمكن البنك التجارى من أن يستغل أضعاف المبالغ المودعة لديه ، وبالتكامل فيما بين المصارف التجارية ، تتضاعف كمية النقود بما يسمى نقود الائتمان(٤) . والبنوك الربوية تحقق عن طريق هذه الوظيفة كسبا ماديا . باحتسابها فوائد على المبالغ المسحوب فيها ، برغم أنها تخلق شيئا من لا شىء ، وهذا الشىء يرتقى إلى مرتبة النقود(٥) .

فهى إذن تصنع نقوداً وهمية لا تتعدى القيد الدفترى ، ذلك أنه لدى حصر رأس مال هذه البنوك وجملة الودائع لديها ، ومقارنتها بالأوراق المصرفية التى تتعامل بها من كمبيالات وخطابات ضمان ونحوهما ، نجد أن

(٣) Inflation edited D . C . Hugue . M .A . C . London 1962 P . 3

(٤) ويمكن ان نضرب المثال الآتى لمزيد من الإيضاح :
نفترض ان شخصا اودع مبلغ ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف من الجنيهات) فى احد البنوك (حساب جارى) وأن نسبة الاحتياطى المقررة (٢٠٪) فإن البنك سيقوم باحتجاز مبلغ ٢٠٠٠ جنيه لسحب العميل ، وفى حينه يمكنه التصرف فى مبلغ ٨٠٠٠ جنيه الأخرى ، فإذا ما اقرضه إلى أحد عملائه ، والذى قام بايداعه لدى بنك آخر ، فإن هذا البنك الثانى سوف يحتجز مبلغ ١٦٠٠ لسحب عميله وبالتالى يمكنه إقراض مبلغ ٦٤٠٠ جنيه والتى بدورها ستودع كحساب جارى فى بنك ثالث يحتجز فيها مبلغ ١٢٨٠ جنيها لمواجهة سحب العمليل ، ويقرض مبلغ ٥١٢٠ جنيها الباقية لتظهر كوديعة جديدة فى بنك رابع ، وعند هذا الحد بلغت قيمة الودائع .
١٠٠٠٠ + ٨٠٠٠ + ٦٤٠٠ + ٥١٢٠ = ٢٩٥٢٠ جنيها اى ما يقرب ثلاث مرات من قيمة الوديعة الأصلية ، وبلغت قيمة القروض او الودائع المشتقة (نقود الودائع) ١٩٥٢٠ جنيها اى ما يقرب من ضعف الوديعة الأصلية .

(٥) د . محمد زكى شافعى ، مقدمة فى النقود والبنوك (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٤) ص ١٨٧ .

دور المصارف الاسلامية

هذه الأوراق المصرفية تزيد كثيراً وكثيراً جداً على الرصيد الفعلى الرأسمالى للبنك وودائعه[٦] ، وقد بين أحد الاقتصاديين مسئولية النظام المصرفى القائم عن الأزمة الحاضرة فقال الاقتصادى الأمريكى هنرى سيمونز : « لسنا نبالغ إذا قلنا إن أكبر عامل فى الأزمة الحاضرة هو النشاط المصرفى التجارى ، بما يعمد إليه من إسراف خبيث أو تقتير مذموم فى تهيئة وسائل التداول النقدى »[٧] .

ومن المشاهد عمليا أن الزيادة فى عرض النقود عن طريق خلق الائتمان لا تؤدى بالضرورة إلى الزيادة فى عرض السلع والخدمات ، حيث إنها لم تنشأ لهذا الغرض فى المقام الأول ، بالإضافة إلى أن أرباح المصرف الناجمة عن خلق الائتمان لا تتوقف على استخدام المنتج لهذه الأموال ، وبالرغم من هذا فإنها تستثمر ـ حتى إذا لم تكن دراسات الجدوى دقيقة ـ ويمكن أن تأتى بأرباح ولكن تأتى من حالة الارتفاع فى الأسعار فقط ، وهذا فى حد ذاته يخلق مصلحة راسخة فى التضخم[٨] .

ومن وجهة نظرنا أن الطريق الذى تسير عليه البنوك التجارية نحو خلق النقود « خلق الائتمان » يؤدى فى محصلته النهائية إلى زيادة كمية النقود ، إلا أنها فى الواقع تخلق فى يد عملائها قوة شرائية كبيرة . ومن الممكن أن تستخدم فى سحب شيكات فكأنما هى نقود حقيقية تعطى أصحابها الحق فى الحصول على السلع والخدمات .

ومما لاشك فيه أن هذا المسلك سيؤثر على آلية التوقعات السعرية حيث إنه من المسلم به اقتصاديا أن التوسع النقدى له آثار تضخمية ، وقد ذكر الدكتور أحمد النجار أن التوسع النقدى أى زيادة كمية النقود نتيجة حجم الائتمان ـ تؤدى إلى ظهور التضخم[٩] .

المصارف الإسلامية ودورها فى الحد من التضخم

فلسفة النظام المصرفى الإسلامى ، تختلف اختلافا جذريا عن فلسفة النظام المصرفى

---

(٦) بين أحد الاقتصاديين أن للبنوك التجارية حدودا معينة لقدرتها على خلق الائتمان الحد الأول يوجب عليها ألا تخلق نقودا إلا حوالى عشرة أمثال احتياطها النقدى ، والثانى أن المصرف لا يخلق نقودا إلا بضمان أو شبه ضمان ، انظر : د . عبد المنعم البيه . النقود والمصارف مع دراسة تطبيقيه لهما فى ليبيا . ص ١٤٨ .

(٧) د . محمد عبد الله العربى ، الاقتصاد الإسلامى فى تطبيقه على المجتمع المعاصر ، محاضر ألقيت بقاعة المحاضرات بالأزهر ١٩٦٢ .

(٨) لبيان ذلك نضرب المثال الآتى : فى عام ١٩٤٠ وصل مجموع ودائع المصارف البريطانية إلى ما يقرب من ٢٤٠٠ مليون من الجنيهات ، ولكن مجموع العملة النقدية (أى النقود ما عدا ودائع النقود) فى بريطانيا كلها فى نفس الوقت وصل ٦٠٠ مليون جنيه أى نسبة (١٠,٤ ٪) من الودائع . ولعل هذا ما يؤكد أن البنوك التجارية تساهم فى زيادة النقود ، انظر : د . عبد المنعم البيه ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٩) د . أحمد عبد العزيز النجار ، طريقنا إلى نظرة متميزة فى الاقتصاد الإسلامى ، من بحوث المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامى .

الربوى ، فالمصارف الإسلامية هى فى الأصل مصارف استثمارية ، والاستثمار فى المصارف الإسلامية يتخذ أشكالا وأساليب متنوعة تؤدى كلها إلى الربح الحلال الخالى من أكل أموال الناس بالباطل ، والخالى من الربا الذى نهى عنه القرآن الكريم ، ومن أهم أشكال وأساليب الاستثمار فى المصارف الإسلامية .

- المضاربة .
- المشاركة .
- المشاركة المتناقصة .
- بيع المرابحة .

وسوف نتناول كل وسيلة من هذه الوسائل بالشرح الموجز .

أولا : المضاربة[١٠] :

المضاربة عند الفقهاء : عقد بين اثنين على الشركة فى الربح - بمال من أحد الجانبين وعمل من الجانب الآخر - ومايرزق الله به من ربح ، يكون بينهما حسب اتفاقهما من ربع أو ثلث أو غير ذلك من الأجزاء المعلومة .

وقد حدد الفقهاء أركان وشروط المضاربة فاشترط الفقهاء فى العَاقِدَيْنِ أن يكون كل منهما له أهلية التوكيل والوكالة ، أما فيما يتعلق بالشروط الخاصة برأس المال فهى :

١ - أن يكون رأس المال من النقود المضروبة ، ذهبا أو فضة مضروبين أو نقدا رائجا على الأصح . فلا تصح المضاربة على العروض من عقار أو منقول ، وقد أورد صاحب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » حجة من قالوا بعدم جواز المضاربة بالعروض على أساس اعتبار ذلك من قبيل الغرر ، لأن المضارب يقبض العرض وهو يساوى قيمة غيرها ، فيكون رأس المال والربح مجهولا .

٢ - ألا يكون رأس المال دينا فى ذمة المضارب ، وفى هذا يقول الإمام الكاسانى « إذا قال صاحب الدين للمدين أعمل بدينى الذى فى ذمتك مضاربة بالنصف فإن المضاربة فاسدة بلا خلاف » .

٣ - أن يكون رأس المال معلوما ، فلا يصح على مجهول القدر والمقصود من ذلك تحديد المال المضارب به ، باعتبار أن هذا المال المدفوع سوف تجرى إعادته عند تصفية المضاربة ، فإذا لمَ يكن معلوما فإن ذلك يؤدى إلى المنازعة .

٤ - أن يكون رأس المال مسلما للعامل ، ليتمكن من العمل فيه والمراد بالتسليم إما الدفع بالمناولة أو تمكين المضارب من أخذه وذلك لأنه أمانة فى يده ، ولا تصح المضاربة إلا بالتسليم والتخلية بين المضارب والمال فلو شرط بقاء يد المالك على المال فسدت المضاربة .

أما فيما يتعلق بالشروط الخاصة بالربح فهى :

١ - أن يكون نصيب كل من الطرفين - مما يرزق الله به من ربح - معلوما حين العقد ، أى بيان مقدار حصة المضارب من الربح على

←

(١٠) لمزيد من التوسع فى أحكام المضاربة ، انظر مقالنا : أضواء على المضاربة والبنوك الإسلامية ، مجلة الوعى الإسلامى العدد رقم ١٩٨ .

الأقل لأن ذلك يعتبر كافيا لإزالة الجهالة المفضية إلى النزاع ، فلو قال مالك المال للمضارب : إن لك ثلث الربح فإن هذا يعنى بداهة أن للدافع الثلثين ، فإذا لم يعلم قدر الربح فإن الجهالة ـ كما يقول السمرقندى ـ توجب فساد العقد لأن كل شرط يؤدى إلى جهالة الربح يفسد المضاربة .

٢ ـ أن يكون لكل من المضارب ورب المال حصة شائعة من الربح كالثلث أو النصف وليس مقداراً محدداً (كألف جنيه مثلا) وفى هذا يقول الزيلعى : أما إذا شرط لأحدهما دراهم مسماة فإن المضاربة تبطل لأنه يؤدى إلى قطع الشركة على تقدير أن لا يزيد من الربح المسمى[١١] .

المضاربة المطلقة والمضاربة المقيدة :

المضاربة المطلقة هى المضاربة التى لم تقيد بزمان ولا مكان ولا عمل ، ولا مايتاجَرُ فيه المضارب ولا من يتعامل معه ولا أى قيد من القيود .

أما المضاربة المقيدة فهى التى قيدت بشىء من تلك القيود .

ويقوم البنك الإسلامى بكلا النوعين إلا أن النوع الأول ـ المضاربة المطلقة أكثر ملاءمة لمعاملات البنك الإسلامى وهى الأصل فى التعامل بين البنك وأصحاب الودائع .

ثانيا : المشاركة أو شركة العنان :

يقصد الفقهاء بشركة العنان أن يشترك اثنان أو أكثر فى رأس المال أو فى عمل على أن يكون الربح الناتج مشتركا بينهما[١٢] .

وتنعقد شركة العنان عند جميع الفقهاء على الوكالة والأمانة ، فكل شريك يعد وكيلا عن صاحبه فيما يباشره من تصرف فى رأس مالها مما يعد من أعمال التجارة لا فيما يخرج عن ذلك ، وذلك فى حدود ما تضمنه عقدها من شروط وما قيدت من قيود تم الاتفاق عليها بين الشركاء ولا تتضمن كفالة أحدهم عن الآخر[١٣] .

ثالثا : المشاركة المتناقصة (المشاركة المنتهية بالتمليك) :

وهذا النوع من المشاركة قد يميل إليه كثير من المضاربين الذين لا يرغبون فى استمرار مشاركة البنك لهم ، وفى هذا النوع من المشاركة يعطى البنك الحق للشريك من الحلول محله فى الملكية دفعة واحدة أو على دفعات حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية ، على أساس إجراء ترتيب

(١١) فخر الدين عثمان الزيلعى ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق جـ ٥ (بيروت ، دار المعرفة ، بدون) ص ٥٤ .
(١٢) انظر : الشيخ على الخفيف ، أحكام المعاملات الشرعية . (القاهرة ، السنة المحمدية ، بدون تاريخ) ص ٣٥٦ .
(١٣) الشيخ على الخفيف ، الشركات فى الفقه الإسلامى (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨) ص ٤٩ .

منظم لتجنب جزء من الدخل المتحصل كقسط لسداد قيمة الحصة ، ومن المجالات المناسبة لهذا النوع قطاع المواصلات والمبانى(١٤) .

رابعا : بيع المرابحة :

ينقسم البيع بالنظر إلى الثمن الذى يتفق عليه المتبايعان إلى أربعة أقسام :

بيع المساومة .

وبيع المرابحة .

وبيع الوضيعة .

وبيع التولية .

وذلك لأن الإنسان إذا باع ما يملك بما تصل إليه مساومته مع المشترى من الثمن دون نظر إلى ما قام به المبيع عليه من مال فذلك بيع مساومة وهو البيع العادى ، وإذا باع الشىء بما قام به عليه من مال وهو كذا فذلك بيع التولية ، ومثاله أن تشترى داراً بألف جنيه فتبيعها بما قامت عليك من ثمن ونفقات أنفقتها عليها فى سبيل شرائها وإصلاحها وغير ذلك من كل ما يجرى العرف بضمه إلى الثمن وجملة ذلك ١٢٠٠ جنيه مثلا ، وإذا باعه بأقل مما قام به عليه من مال بمقدار كذا وإنه قام عليه بكذا فهذا بيع الوضيعة ، أما إذا باعه بما قام به عليه من مال وهو كذا مضافا إليه ربح مقداره كذا فهذا بيع المرابحة(١٥) .

تلك باختصار شديد أشكال وأساليب الاستثمار فى المصارف الإسلامية **ونستخلص منها أن المصارف الإسلامية لا تقدم قروضا مقابل سعر فائدة بل تدخل كشريك بطريق أو بآخر فى استثمار الحسابات الاستثمارية لديها وبناء على هذا فإن المشاركات التى يشارك بها البنك الإسلامى لا تنتقل كودائع لدى بنك آخر . بل ترصد لدى البنك الإسلامى لحساب المشاركة يتم الصرف فيها وفقا للاتفاق المبرم مع العميل ، من هنا فإن الموجات التضخمية لا تظهر كاثر لوظائف المصرف الإسلامى لأن أعماله تتكيف عفويا مع تطورات الاقتصاد القومى بحكم المشاركة الفعلية فى الإنتاج(١٦) .**

فالمصارف الإسلامية لا تلجأ إلى خلق النقود عن طريق التوسع فى « الائتمان» وإنما حل ـ محل هذه الوظيفة ـ الطرق والأساليب الشرعية للاستثمار هذا من ناحية المصارف الإسلامية .

إما بالنسبة لعرض النقود فإن لفقهاء المسلمين آراء فى تنظيم عرض النقود ، ويقوم هذا التنظيم على الصلة الوثيقة للسلطات النقدية فى المجتمع بجهاز التمويل ، وعدم إصدار نقود إلا بأسباب اقتصادية فعلية لا تؤدى إلى الإضرار بالقيم أو لمكاسب البعض على حساب الآخرين . ومن ثم فلا يكون هناك مجال لتوسع نقدى يفوق متطلبات التوسع فى الاقتصاد ، وبناء على ما تقدم فإن التضخم الذى يصاحب زيادة كمية النقود نتيجة للتوسع فى الائتمان من ناحية والتوسع فى الإصدار من ناحية أخرى لا وجود له فى ظل النظام المصرفى الإسلامى ، وذلك لتقيد الإصدار النقدى بالاحتياجات النقدية الاقتصادية

(١٤) انظر : مقالنا المشار إليه سابقا بمجلة الوعى الإسلامى ، العدد ١٩٨ .

(١٥) الشيخ على الخفيف ، أحكام المعاملات الشرعية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(١٦) د . على عبد الرسول ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

رجال القراءات

الإمام أبو جعفر المدنى

ثامن الأئمة القراء الإمام ابو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى التابعى إمام المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام .

مدنى مشهور ، رفيع الذكر . توفى سنة ثلاثين ومائة على الأصح .

قرا القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة المخزومى وفاقاً ، وقال غير واحد : قرا ايضاً على ابى هريرة ، وابن عباس رضى الله عنهم ، عن قراءتهم على أبَىّ ابن كعب وصَلَّى بابن عمر . وحدّث عن ابى هريرة ، وابن عباس رضى الله تعالى عنهم - اجمعين ، وكان قليل الحديث .

تصدى لإقراء القرآن دهرا . فورد انه اقرا الناس من قبل وقعة الحَرّة (1) ، حتى قيل : إنه قرا على زيد بن ثابت ولم يصح .

قرا عليه نافع بن ابى نعيم ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وحدّث عنه مالك الإمام ، وعبد العزيز الدراوردى ، وعبد العزيز بن ابى حازم - رضوان الله عليهم .

وقد وثقه - فى الحديث الشريف - يحيى بن معين والنسائى .

قال أبو عبيد فى كتاب القراءات : كان أبو جعفر يقرىء الناس قبل وقعة الحرة ، حدثنا بذلك عنه إسماعيل بن جعفر . أخبرنا عمر الطائى أخبرنا زيد الكندى إجازة ، أخبرنا أبو الحسن بن توبة ، أخبرنا ابن هزار مرد ، أخبرنا عمر الكتانى ، كذلك أخبرنا ابن مجاهد . حدثنا محمد بن الجهم ، حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا إسماعيل بن جعفر . قال : قال لى سليمان بن مسلم : أخبرنى أبو جعفر أنه كان يقرىء في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الحرة . وكانت الحرة سنة ثلاث وستين .

---

(١) موضع بظاهر المدينة تحت واقم ، وكانت وقعة الحرة به أيام يزيد بن معاوية

لفضيلة الأستاذ الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

وأخبرني أنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة . وكان من أقرىء الناس قال : وكنت أرى كل ما يقرأ . وأخذت عنه قراءته . وأخبرنى أبو جعفر أنه أتى به إلى أم سلمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وهو صغير السن . فمسحت على رأسه ، ودعت له بالبركة .

وعن ابن أبى الزناد قال : كان أبو جعفر يقدم فى زمانه على معاوية .

وعن سليمان بن عباد : سألت أبا جعفر متى علمت القرآن ؟

قال : زمن معاوية .

وروى مُطرِّف بن عبد الله عن مالك عن أبى جعفر القارىء قال : رأيت ابن عمر إذا أهوى ليسجد يمسح الحصا لموضع جبهته مسحاً خفيفاً .

وروى محمد بن اسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع قال : كان أبو جعفر يقوم الليل ، فإذا أصبح جلس يقرىء الناس فيقع عليه النوم ـ فيقول لهم : خذوا الحصا ، فضعوه بين أصابعى ـ ثم ضموها ـ فكانوا يفعلون ذلك .

وعن زيد بن أسلم ، قال : قال رجل لأبى جعفر مولى ابن عياش ، وكان في دينه فقيهاً ، وفى دنياه أبله[٢] : هنيئا لك ما أتاك من القرآن . فقال : ذاك إذا أحللتُ حلاله وحرمت حرامه وعملت بما فيه .

ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : كان أبو جعفر يصلى خلف القراء فى رمضان يلقنهم ، يؤمر بذلك ، وكان بعده شيبة جعلوه كذلك .

وعن مالك بن أنس قال : كان أبو جعفر القارىء إذا مَرَّ سائل وهو يصلى بالليل دعاه فيستتر منه ـ ثم يلقى إليه إزاره .

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه قال : قال لى مالك : كان أبو جعفر القارىء رجلاً صالحاً يفتى الناس بالمدينة .

وقال يونس بن حبيب : حدثنا قتيبة بن مهران ، حدثنا سليمان بن مسلم بن جماز : سمعت أبا جعفر يحكى لنا قراءة أبى هريرة فى ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ « التكوير » ـ ١ ـ يحزنها شبه الرثاء .[٣]

قراءة أبى جعفر رضى الله عنه :

فأما قراءة أبى جعفر فدارت على أحمد بن زيد الحلوانى : عن قالون ، عن عيسى بن وردان الحذاء ، عن أبى جعفر قرأ بها الفضل ابن شاذان الدارى ، وجعفر بن الهيثم عن الحلوانى ، وقرأ بها الزبير بن محمد العمرى ، عن قراءته على قالون بإسناده ، وأقرأها سليمان بن داود الهاشمى ، عن

(٢) يريد : لا يلتفت لدنيا فتكون اكثر همه .

(٣) اى يتلوها فى خشية وخوف .

الإمام أبو جعفر المدنى

سليمان بن مسلم بن جماز عن أبى جعفر . وأقرأها الدورى عن إسماعيل بن جعفر ، عن أبى جعفر . أو عن رجل عنه ، وأقرأه أبو جعفر طُرُقاً عدة . قال ابن وهب : حدثنى ابن زيد بن أسلم ـ عن سليمان بن مسلم قال : رأيت أبا جعفر القارىء على الكعبة . فقلت أبا جعفر ؟ قال : نعم ، أقرىء إخوانى السلام . وخبرهم أن الله تعالى جعلنى من الشهداء الأحياء المرزوقين ، وأقرىء أبا حازم السلام . وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكَيْسَ . الكَيْسَ . فإن الله تعالى وملائكته يتراعون مجلسك بالعشيات .

وروى محمد بن اسحاق المسيبى : حدثنى أبى عن نافع قال : لما غُسل أبو جعفر القارىء ـ نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف . فما شك من حضره أنه نور القرآن ـ رحمه الله .

رواته وطرقـــه :

روى عنه القراءة ابن وردان وابن جماز ، فأما ابن وردان فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى العباس الفضل بن شاذان بن عيسى الرازى . وكان إماماً كبيراً ، ثقة عالماً ، وقال الدانى : لم يكن فى دهره مثله فى علمه ، وفهمه ، وعدالته ، وحسن اطلاعه .
وتوفى فى حدود سنة تسعين ومائتين .

الثانية : طريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم البغدادى ، وكان مقرئا حاذقا مشهوراً بالاتقان والعدالة ، وتوفى فى حدود سنة خمسين وثلثمائة .

وأما ابن جماز فمن طريقين :
الأولى : طريق أبى أيوب سليمان بن داود ابن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى البغدادى . وكان ثقة صدوقاً ضابطاً مشهوراً .

قال الخطيب البغدادى :
مات داود بن على وابنه حمل . فلما ولد سموه باسمه (داود) . وتوفى سليمان سنة تسع عشرة ومائتين .

الثانية : طريق الدورى السابق فى قراءة أبى عمرو بن العلاء .

وعن هذين الراويين تعددت طرق الإمام أبى جعفر حتى قاربت المائة وانتشرت وذاعت .

ســـــند أبى جعفـر :

قرأ أبو جعفر على مولاه عبد الله بن عياش ابن أبى ربيعة المخزومى ، وعلى الحبر البحر عبد الله بن عباس الهاشمى ، وعلى أبى هريرة ، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبى المنذر : أبى بن كعب .

وقرأ أبو هريرة وابن عباس أيضاً على زيد ابن ثابت ، وقيل : إن أبا جعفر قرأ على زيد نفسه . وذلك محتمل ، فإنه صح أنه أتى به إلى أم سلمة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسحت على رأسه ودعت له . وأنه

صلى بابن عمر بن الخطاب ، وأنه أقرأ الناس قبل الحرة . وكانت الحرة سنة ثلاث وستين .

وقرأ زيد وأُبى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

مذهب ابى جعفر فى القراءة

كان رضى الله عنه يجهر فى أول القراءة بالتعوذ ، و(يبسمل) فى أول كل سورة ، وبين السورتين سوى ، سورة التوبة ، فلا يبسمل أولها ، وفاقا لجماعة ؛ فقد أجاز الأئمة من رجال الأداء ـ(مكى بن أبى طالب) فى كتابه : التبصرة، والإمام الشاطبى فى (حرز الأمانى ووجه اتهانى فى القراءات السبع) والإمام ابن الجزرى فى (طيبة النشر فى القراءات العشر) وغيرهم كثير ـ أجازوا جميعاً البسملة فى وسط سورة براءة ، وأجزائها ، ولو بعد آية منها . قال الإمام الشاطبى ـ رضوان الله تعالى ـ عليه :

ولابد منها فى ابتدائك سورة
سواها ، وفى الأجزاء خُيِّرَ مَنْ تَلا

وقال ابن الجزرى ـ فى طيبته :

. . . .

وفى ابتدا السورة كُلٌّ بسملا
سوى براءة فلا ، ولو وُصِل
وَوَسَطاً خَيِّرْ وفيها يحتمل

والمعنى لدى الإمامين:
أنه لابد من الإتيان باسلمة فى أول كل سورة سوى (براءة) فلا بسملة فى أولها اتفاقاً ، فأما فى أجزاء السور جميعاً ـ بما فيها براءة ـ فالقارىء مخير بين قراءتها وتركها .

وكان أبو جعفر ـ رحمه الله ـ يسكت ـ بدون تنفس ـ على كل حرف من حروف التهجى فى جميع سور القرآن التى بدأت بحروف تهج مثل (ألم) فيقرأ (أ) ويسكت ثم (ل) ويسكت و(م) ويسكت . قراءة جيدة متواترة من الأحرف السبعة .

وأما مذهبه في الهمز فإنه كان يبدل كل همزة ساكنة من جنس حركة ما قبلها نحو يؤمن ، وبئس ، ويأتى ، واقرأ ، ونَبِّئ ، وإن نشأ ، وتسؤهم ، وتؤوى[4] ورئياً ، ولم يستثن من ذلك شيئاً سوى أنبئهم ، ونبئهم لا غير .

فأما (رؤيا) و(الرؤيا) كيف جاءت . فإنه إذا أبدل الهمز قلب الواو ياء لوقوع الياء بعدها ، ثم يدغم الياء فى الياء .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَن يَشَأْ اللهُ يُضْلِلْهُ ﴾ ، ﴿ فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ ﴾ ، فإنه إذا (وقف) أبدل الهمزة منه ألفاً . ولا يبدلها (وصلاً) لوجود الكسرة .

ويبدل من الهمزة المتحركة أصلاً مطردا ، وهو إذا وقعت الهمزة مفتوحة بعد ضم وكانت فاء من الفعل نحو : يؤخر ، ويؤلف ، ومؤجلاً .

←

---

(٤) إذا أبدل همزة (وتُؤْوى) لأحزاب ، و(تُؤْويه) بالمعارج ، فإنه لا يدغم الواو فيما بعدها . بل يقرأ بواوين مظهرتين . الأولى ساكنة والثانية مكسورة . وأما ـ (رِئيا) ـ فى (مريم) فإنه إذا أبدل هَمزَهُ ياء ادغمه فى الياء الثانية .

الإمام أبو جعفر المدنى

واستثنى ابن وردان من ذلك حرفاً واحداً وهو (يؤيد) لا غير فإنه يقرؤها بالهمز .

وكذلك يبدل الهمزة المفتوحة بعد كسر ياء - من (ليبطئن) ، و(رئاء) ، و(قرىء) ، و(لقد استهزىء) ، و(لنبوئنهم) ، و(فئة) و(مئة) كيف وقعا ، و(ملئت) ، و(خاطئة) ، و(الخاطئة) ، و(شانئك) و(خاسئا) . وصح عنه الوجهان فى (ملئت) ، و(خاطئة) ، و(الخاطئة) ، و(ناشئة) ، و(شانئك) ، و(خاسئا) ، كذلك قرىء بالوجهين عنه فى (موطئا) .

وكذلك يحذف الهمزة المضمومة إذا وقعت بعد كسرة ، وكان بعدها واو . نحو يستهزئون ، وأنبئونى وليطفئوا .

وقد استثنى لابن وردان حرف واحد . وهو (المنشئون) بالواقعة على وجهين بين أهل الأداء . وإذا حذف الهمزة من ذلك ضم ما قبل الواو . وكذلك يحذف الهمز من (يطئون) ، (تطئوهم) ، و(لم تطئوها) حيث وقع . كذلك يبدل الهمزة من (كهيئة) ياء ، ويدغم الياء الأولى فيها[٥] . وهذا اللفظ فى آل عمران ، والمائدة . وكذلك يحذف الهمزة إذا وقعت مكسورة وبعدها ياء من - (متكئين) - حيث وقع ، وخاطئين ، ومستهزئين . هذه الثلاثة أحرف لا غير . وكذلك يحذفها من قوله تعالى : (متكئاً) . وهو في سورة يوسف . وسهل الهمزة بين بين من (إسرائيل) حيث وقع .وكأين[٦] لا غير .

ابو جعفر والنحاة :

سبق أن بينا أكثر من مرة أن القراءة سُنَّةٌ متبعة يأخذها الآخر عن الأول متصلة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلسلا . متواترة ، ولا مدخل للرأى أو القياس فيها وما استنبطه النحاة من قواعد لا يجوز إذا تخالفت والكتاب العزيز أن نحكمها فى الكتاب ، وذلك لما سبق أن بناه فى مقالاتنا في القراء العشرة أن هذه القواعد لم تستنبط بعد حصر تام لأقوال العرب ، مسنا ذلك فى أكثر من مثال سابق حيث يعترض بعض النحاة على قراءة فيقوم أمامه من يجد لها أكثر من شاهد تركه المعترض .

والأمر كان ذلك مع الإمام أبى جعفر رضى الله عنه فى قراءته : ﴿لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الآية ١٤ من سورة الجاثية . حيث اعتبر بعض النحاة نصب (قوماً) قراءة شاذة .

وقد بسط ابن هشام القضية ورد هذا القول فى كتابه قطر الندى فى باب نائب الفاعل وبين عدم الشذوذ ، وقد سبقه الإمام

(٥) وكذلك يفعل فى جزء ، وجزءاً . فيبدل الهمزة زايا ، ويدغم الزاى قبلها فيها . وأيضاً يبدل همزة « النسىء » فى التوبة ياء ، ويدغم الياء قبلها فيها .

(٦) وكذلك يسهل همزة فى باب - أرايتم - وفى - هأنتم اللائى . حيث وقع وكذلك يبدل الهمز ياء فى النبى وبابه .

أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ هجرية إلى بيان جوازها حيث قال :

قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِىَ قَوْماً﴾ بالياء والنون[٧] على تسمية الفاعل ، وهو ظاهر . ويقرأ على ترك التسمية [أى بالبناء للمفعول] ونصب (قوم) وفيه وجهان :

أحدهما ـ وهو الجيد : أن يكون التقدير : ليُجزَى الخيرُ قوماً على أن الخير مفعول به فى الأصل كقولك : جزاك الله خيراً ، وإقامة المفعول الثانى مقام الفاعل جائزة .

والثانى أن يكون القائم مقام الفاعل : المصدر ، أى ليجزى الجزاء ، وهو بعيد[٨] .
والوجه الثانى هذا هو اختيار العلامة ابن قتيبة حيث قال ـ بعد ذكر الآية : أى ليُجْزَى الجزاءُ قوماً ، وأنشدنى بعض النحويين :

وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ
لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرْوِ الكلابَا[٩]

وابن قتيبة ـ رحمه الله ـ متقدم على أبى البقاء فقد كانت وفاته عام ٢٧٦ هـ

ولم يذكر أحد الإمامين شذوذاً فى القراءة . قال ابن هشام ـ فى باب نائب الفاعل ـ عند ذكره للشرط الثالث : ألا يكون المفعول به موجودا ، قال :

فلا تقول : ضُرِبَ اليومُ زيداً خلافاً للأخفش والكوفيين .... واحتج المجيز بقراءة أبى جعفر ﴿لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وبقول الشاعر :

وإنما يرضى المنيب ربه
مادام معنيا بذكر قلبه

فأقيم (بما) و(بذكر) مع وجود (قوما) و(قلبه) . وأجيب عن البيت بأنه ضرورة[١٠] وعن القراءة بأنها شاذة .

قال ابن هشام :
ويحتمل أن يكون القائم مقام الفاعل ضميراً مستترا فى الفعل عائداً على الغفران المفهوم من قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ﴾[١١] أى : لِيُجْزِىَ الغفران قوماً ، وإنما أقيم المفعول به ، غاية ما فيه أنه المفعول الثانى . وذلك جائز . أ . هـ

إبراهيم عطوة عوض

---

(٧) أى ليجزى ، ولنجزى .
(٨) انظر التبيان فى إعراب القرآن القسم الثانى ص ١١٥٢ ط عيسى البابى الحلبى .
(٩) انظر تأويل مشكل القرآن ص ٤٠ ط عيسى البابى الحلبى وتحقيق سيد صقر .
(١٠) سبق للعلامة ابن قتيبة استشهاد ببيت آخر فليس الأمر ضرورة .
(١١) الآية ١٤ من الجاثية .

نساء في تاريخ الإسلام

كريمة المروزية

فقيهة مكة في القرن الخامس الهجري

● روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

(جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يارسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال:اجتمعن فى يوم كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله) .

ولايخفى ما فى هذا الأمر المؤكد من تكريم المرأة والعناية برفع مستواها وحثها على التثقيف بالثقافة الإسلامية .

وأي خير أعظم من الدعوة إلى الله ، وأية ثقافة انفع من ثقافة الإسلام .. إنها ثقافة تكسب الإنسان معرفة الخالق والخلق . وأصول الحياة وسننها وأحكامها الصحيحة .

ومن هنا نجد للمرأة فى تاريخ الإسلام مالانجده للمرأة فى العالم الحديث فعلى الرغم من الدعوة العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها فى أمريكا وأوربا ، وعلى الرغم من وجود مدرسات وطبيبات ، لم ينبغ فيهن المرأة التى تكون لكبار الرجال إماماً يأخذون عنها .

بينما نجد فى مختلف عصور الإسلام نساء لهن أثر بالغ يخلده التاريخ حيث كن للرجال والنساء قدوة .

هناك السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت شاعرة وأديبة وعالمة بالطب .. وفقيهة مجتهدة يُؤْخذ عنها الدين والقرآن والسنن والفتوى .

وفى أتْبَاع الصحابة (كانت حفصة بنت سرين) و (أم الدرداء) فى علوم الدين وكانت (عائشة بنت عبد الرحمن) وغيرها فى الشعر والأدب ، وهكذا برز فى العهد العباسى فى الشرق ، وفى ظل الأمويين فى الأندلس الكثير من النساء اللواتى اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية حتى كان ذلك ، كما قال (لوبون) :

من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة

للأستاذ / محمود السباعى

حضارة العرب (حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٤٨٩) .

وفى الحديث النبوى الشريف ساهمت المرأة فى هذا المجال بنصيب طيب بدأ بأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى مكنتها صلتها بالنبى ﷺ من إثراء هذا العلم .

وبرزت نساء أخريات فى فترات متتالية فى هذا العلم ومن أشهرهن (أم الكرام بنت أحمد المروزية) التى انتهى إليها علو إسناد صحيح الإمام البخارى فى القرن الخامس الهجرى والتى كانت عالمة عصرها فى الحديث ومقصد علماء زمانها حيث كانوا يحضرون مجالسها العامرة فى مكة المكرمة للأخذ عنها والدراسة عليها والرواية عنها فى إطار من أدب إسلامى ملتزم .

ومع كل ماقدمته كريمة للحديث النبوى إلا أنها لم تحظ فى العصور المتأخرة بما يلائم مكانتها الفذة من الدراسة .

وفى هذا المقال محاولة لإلقاء بعض الضوء على حياة (كريمة) ودورها فى خدمة الحديث النبوى الشريف .

نشـــأتهـا :

ولدت كريمة فى عام ٣٦٥ هجرية على وجه التقريب فى قرية (كشميهن) إحدى قرى خراسان الواقعة فى أقصى الشرق الإسلامى المعروف فى ذلك الوقت .

والدها : هو أحمد بن محمد بن أبى حاتم الذى تغفل المصادر أمره مكتفية بذكر اسمه فقط مما يدلل على أنه لم يكن له دور يذكر فى ميدان العلم ، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء وألمعية فى مخايلها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس ، موفراً لها كافة الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب ، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافى والفكر لقرية (كشمهين) التى ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم :

الحافظ أبو الهيثم محمد بن مكى بن زارع الكشميهنى الذى كان أول أساتذتها والذى أدركته صغيرة فى السن فتلقت عنه مباشرة ، ودرست صحيح البخارى عليه دراسة متقنة حتى أن جل المصادر تجعله همزة الوصل بينها . فنجد الذهبى يقول « روت الصحيح عن الكشميهنى » ويقول ابن خطيب الدهشة (سَمعَتْ جامع البخارى عن الكشميهنى) ، ويقول ابن كثير : (سمعت صحيح البخارى عن الكشميهنى) ويقول ابن الجوزى (سمعت أبا الهيثم وغيره) وإلى ذلك يشير كثير من العلماء[1] كالعاملية وكحالة .

وكانت كريمة فى حوالى الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبى الهيثم ولانعرف على التأكيد إذا كان لقاؤها به قد تم فى

* الكاتب : أستاذ المواد الشرعية بمعهد السويس الدينى الأزهرى .

١ ـ انظر أيضاً لابن العماد الحنبلى شذرات الذهب ٣/٣١٤ دار الآفاق ببيروت وهى فى هذا المرجع : كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم أم الكرام المروزية ١٠ هـ .. مجلة الأزهر .

كريمة المروزية فقيهة مكة

(كشميهن) موطنها الأصلى ، أو فى مدينة مرو الشاهجان التى هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر العديدة .

وإذا كنا قد عرفنا علاقتها بأبى الهيثم ؛ فإن علاقتها بالحميدى غير معروفة فلعلها لم تلتق به .

أما أستاذ (كريمة) الثانى فهو العلامة الإمام زاهر بن أحمد السرخسى الذى كان من أئمة الحديث فى عصره . حظى باحترام معاصريه وتقدير الأجيال من بعدهم إلى ماشاء الله تعالى ، وكان معاصراً لأبى الهيثم ، ومات فى نفس العام الذى مات فيه أبو الهيثم وهو عام ٣٨٩ هجرية .

وقد درست عليه (كريمة) الحديث أيضاً ، ولعل ذلك كان فى مدينة (مرو الشاهجان) ولاتشير المصادر إلى علماء آخرين درست عليهم كريمة ولاتتحدث عن أساتذتها ، أو من أخذت عنهم فى مجالات المعرفة الأخرى كالقرآن الكريم وعلومه والنحو والصرف واللغة والبلاغة والأدب وهى علوم لانشك فى أنها قد أتقنتها وألمت بها على أيدى أساتذة متخصصين ، وهذه بدهية لاتحتاج إلى تدليل ، ولعل المراجع الإسلامية المنتشرة فى خزائن العالم فيها ما نود من تفصيل .

مجلسهـا العلمـى :

وقد تفرغت لدراسة الحديث وتخصصت فى الصحيح للإمام البخاري حيث ركزت كل جهدها على دراسته وحفظه وروايته وضبطه ، حتى أصبحت حجة خلال عصرها ، ودفعها الشغف بالحديث الشريف ودراسته إلى الهجرة من (مرو الشاهجان) إلى (مكة المكرمة) ، فرحلت تقطع الفيافى والقفار من أقصى الشرق الإسلامى حتى حطت رحالها بالأرض الحرام مهاجرة لله تعالى طالبة مجاورة بيته العتيق ، وكانت تشارف الثلاثين من عمرها حين ذاك .

وفى مكة المكرمة ملتقى أفئدة المسلمين ، اشتهر أمر (كريمة) وذاع صيتها فى الآفاق الإسلامية عبر الحجيج ، فقصدها العلماء والفضلاء للأخذ عنها .

وتدل الأسماء الكبيرة المنتمية إلى أقاليم إسلامية متفرقة فى الشرق والغرب على أنها بلغت شأواً بعيداً فى العلم وهى فى مكة حيث كان لها مجلس علم يحضره العلماء والطلاب وهى تلقى على كُلٍّ مايطلبه بعبارة فصيحة المأخذ دقيقة المعنى لاتنقصها الطلاوة ، ولاتعوزها السلاسة .

وكان مجلس (كريمة) هذا مجلساً حافلاً حضره جملة من أعلام القرن الخامس ، ومشاهير علمائه من بينهم العالم المؤرخ

---

٢ ـ أحد الرواة للبخارى عن الفربرى وروى عن ابن عباس الدغوالى توفى سنة ٣٨٩ هجرية .

٣ ـ أحد الأئمة الرواة تفقه بأبى محمد الجوينى وسمع القفال والمروزى وغيره .

٤ ـ اكبر مدن خراسان واشهرها .

(أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى) صاحب التاريخ المشهور والذى قرأ عليها صحيح البخاري فى خمسة أيام ، وكذلك (العلامة السمعانى) صاحب (كتاب الأنساب) ، و (أبو عبد الله محمد بن بركات ابن هلال السعيدى) النحوى الذى يروى الصحيح عنها .

علماء يشهدون بمكانتها :

ومما يجعلنا ندرك عظمة مكانة (كريمة) فى ذلك العصر تلك المكانة التى نَوَّهَ بها ، وأثنى عليها كل من تحدث عنها فنجد ابن الجوزى يشير إلى أنها كانت عالمة صالحة .

ويقول اليافعى : إنها كانت ذات ضبط وفهم ونباهة .

ويصفها ابن الأثير بقوله : (وهى التى تروى صحيح البخارى وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح) .

وعدها ابن الأهدل من الحفاظ ، كما نقل عن أبى زر الهروى وكان من علماء مكة أنه قال عند موته : (عليكم بكريمة فإنها تحمل كتاب البخارى عن طريق أبى الهيثم) يقصد ترويه بإسناد عالٍ وتقول عنها العاملية : ورواياتها من أصح الروايات للبخارى : (وكانت تضبط كتبها وتقابل بنسخها وكان أكثر ميلها للحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها فكانت محدثة فاضلة ذات فهم ونباهة .

والواقع أن مكانة (كريمة) الرفيعة فى مجال الحديث النبوى الشريف لم تحظ بمثلها امرأة أخرى .

وبلا مراء فإن الشهرة التى حصلت عليها فاقت بها عشرات من العلماء الأفاضل الذين ظهروا فى عصرها وبزت بها أساتذة من الرجال مما دفع بعالمٍ كبير وهو الخطيب البغدادي أن يحضر مجلسها ويسمع منها ويقف بين يديها موقف التلميذ من الأستاذ .

وإذا كان الجانب الشخصى من حياة كريمة لم يدون عنه مايوضحه ، فإن الجانب العلمى من حياتها كتبت عنه شذرات لم تستوف حاجة الدارسين .

فنحن لانملك أدلة كافية عن مشاركة علمية لها ظهرت فى شكل كتاب مستقل ، والمصادر التى نملكها لاتشير إلى هذه القضية ، إشارة واضحة إذ كل الذى قيل عنها أنها جمعت الصحيح برواياتها .

ويبدو أن قول العاملية : إنها كانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها ، لايعنى أنها وضعت مؤلفات خاصة بل هى نص صريح فى إتقانها وجمعها لصحيح البخارى فقط ، ولكن على الرغم من ذلك فإن المرء لايستبعد أن تكون لها مؤلفاتها الخاصة بها فى الحديث وعلومه غير أن الجزم بذلك صعب لفقدان الدليل المادى الذى يؤيده .

العالمــة الصــالحة :

ولم يكن الجانب العلمى هو كل ماتصفت به كريمة بل يضاف إلى ذلك الصلاح والتقوى والكـرم والجـود ووصفت (بـالعـالمـة الصالحة) .

←

← كريمة المروزية فقيهة مكة

هذا إلى جانب تمتعها بشخصية قوية تتضح من تفرغها التام للعلم والتدريس حتى أنها عاشت حياتها عازفة عن الزواج وماتت بكراً وهى تشارف حوالى المائة عام ٤٦٣ هجرية أو ٤٦٥ هجرية فى مكة المكرمة ، التى عاشت فيها الجانب الأكبر من حياتها مجاورة لبيت الله الحرام .

والمؤسف أن يتناسى ذكر (كريمة) فى العصر الحديث ، مع أنها تمثل عظمة المرأة المسلمة ومشاركتها الفعالة فى الحركة الفكرية الإسلامية ، انطلاقاً من قيم الإسلام الخالدة التى أعطت المرأة كل الحق فى العمل الجاد والبناء والمشاركة المثمرة فى إطار من أدب الإسلام وأحكامه العامرة .

محمود السباعى

المصــــادر :

١ ـ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على ابن أبى الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠) الكامل القاهرة ١٢٩٠ هـ .

٢ ـ الجاسر الحمد .. أثر الحج فى نشر الثقافة جريدة المدينة المنورة عدد ٢٣٧٥ ٧ ذو الحجة ١٣٩١ هـ .

٣ ـ اللباب فى تهذيب الأنساب . مكتبة القدس ١٣٥٧ هـ .

٤ ـ ابن الجوزى (المنتظم فى تاريخ الملـوك والأمم) دائرة المعـارف العثمانية ١٣٥٩ هـ .

٥ ـ ابن الخطيب الدهشة تحفة الأرب فى شكل الأسماء والنسب .

٦ ـ العاملية (زينب بنت على بن حسين فى طبقات ربات الخدور . القاهرة المطبعة الأميرية ١٣١٢ هـ .

٧ ـ ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى ت ٧٧٤ هـ البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة مطبعة السعادة ١٣٥٨ هـ .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع والقتال

قبل غزوة بدر الكبرى

٢

لـــواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

« فى خلال الفترة من رمضان من السنة الأولى للهجرة إلى رجب من السنة الثانية للهجرة وقعت اربع غزوات هى غزوة ودان ـ بواط ـ ذات العشيرة ـ بدر الأولى، واربع سرايا هى سرية حمزة ـ سرية عبيدة بن الحارث ـ سرية سعد بن ابى وقاص ـ سرية عبد الله بن جحش ، وكان لهذه العمليات طابع خاص يتناسب مع الموقف الاستراتيجى بعد الهجرة إلى المدينة وقد حفلت بعدة دروس نافعة فى مجال الإعداد لمواجهة العدوان .

سابعا : مولد النظرية الإسلامية فى الاستطلاع الحربى :

● ويستطيع الباحث المدقق أن يستخلص من وقائع سرية عبد الله بن جحش فى رجب من السنة الثانية للهجرة مبادىء نظرية محكمة للاستطلاع الحربى كما يلى :

١ ـ الاستطلاع ضرورة حيوية :

● الاستطلاع فى العلم العسكرى هو : « مجموع التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخلفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن ، وتعريض القوات الصديقة للحد الأدنى من المفاجآت »(١)

● ولقد أثبتت الغزوات والسرايا عامة وسرية عبد الله بن جحش بخاصة عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستطلاع وعلمه بمزاياه وضرورته الحيوية للتخطيط فى جميع مستوياته الاستراتيجية والتكتيكية أو لإدارة المعارك . وقد قرر عليه الصلاة والسلام ـ وهو

←

(١) الموسوعة العسكرية ـ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ حـ ١ ص ٧٠ .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع

يعطى المثل بنفسه ـ أن « على القائد أن يسعى إلى معرفة أكبر قدر من المعلومات عن عدوه من حيث كفاءته القتالية وأسلحته وأساليب قتاله ، وعن مصادر قوته من النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعن أهدافه ونواياه ، هذا فضلا عن استطلاع طبيعة الأرض من الناحية الطبوغرافية والسكان .

● ثم إن النشاط الاستطلاعى الواضح فى هذه العمليات وخاصة سرية عبد الله بن جحش التى تعد كما هو معروف فى العلم العسكرى « استطلاعا بعيد المدى وفى عمق أراضى العدو » يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن ضرورة الاستطلاع وحيويته « تزداد » إذا لم يكن هناك اتصال أو « تماس » بالعدو بسبب بعد المسافة بين مواقع الطرفين كما كان الحال بين المسلمين فى المدينة وبين قريش فى مكة على مسافة ٤٠٠ كيلو متر .. وذلك ما يؤكده العلم العسكرى حيث يقرر مايلى : « وتصل أهمية الاستطلاع إلى الدرجة القصوى فى حالة انقطاع التماس مع العدو أو عندما يكون الوضع عائما غير واضح[(٢)] .

● ويقول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (عبقرية محمد) « كان النبى عليه السلام عليما بمزايا الاستطلاع ومعنيا به غاية العناية ، يحسب العدو المجهول ، كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، فى حمى من الجهل به ، قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه » .

● وهكذا تقرر النظرية الإسلامية فى الاستطلاع أن الاستطلاع ضرورة حيوية وأن له صلة وثيقة بأمن الأمة وسلامتها وبالنصر على أعدائها ، والله تعالى يقول : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .(الملك ٢٢)

٢ ـ الاستطلاع ترصد وتعلم ؛

● وأول مايسترعى الانتباه فى التعليمات التى تلقاها عبد الله بن جحش أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم أبلغ وأدق وأحكم الألفاظ التى تعبر عن مفهوم الاستطلاع وطبيعته فى نظر الإسلام وترشد إلى ما يجب أن يكون عليه : « ... فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم »[(٣)]

١ ـ فكلمة « ترصد » : أقوى بكثير جداً من كلمة « ارصد » فهى تنطوى أكثر منها على معانى « المبالغة » فى اليقظة والتحفز واستمرار النظر والإيجابية والحذر من انكشاف أمره للأعداء .

٢ ـ وكلمة « تعلم » : تنطوى أكثر من غيرها من ألفاظ المعرفة على معانى الدقة والإتقان والإحاطة الشاملة ، فضلا عن أنها

(٢) الموسوعة العسكرية المرجع السابق ص ٧١ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ـ القسم الأول .

« تضمن » حصول القيادة على المعلومات كاملة وبكل تفاصيلها .

● وذلك مانعرفه من المعنى اللغوى لهذين اللفظين :

- رَصَدَه رصْداً ورصَدا : قعد له على الطريق يرقبه .. وترصَّده وترصَّد له : ترقَّبه . وهو له بالمرصاد : يراقبه ولا يفوته .

- علم الشيء وعلم به : شعر به ودرى ، وتعلَّم الأمر : أتقنه وعرفه[٤] .

٣ - ضرورة مراعاة السرية فى الاستطلاع :

ويقرر الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة مراعاة السرية فى الاستطلاع ، وقد استخدم لذلك أسلوب « الرسائل المكتومة » لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، فحقق بذلك أعلى درجات السرية .

١ - فالمهمة نفسها كانت مجهولة لمفرزة الاستطلاع قائدا وأفراداً ، لأنها كانت فى طى الرسالة المغلقة التى قضت التعليمات بعدم فتحها إلا بعد مسيرة يومين .

٢ - والمهمة بالتالى كانت مجهولة لجميع أهل المدينة مسلمين وغير مسلمين ، وقد أراد الرسول ﷺ بذلك ألا يتسرب شىء من أخبارها إلى العدو .

● وفى ذلك تطبيق لسنته صلوات الله وسلامه عليه : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »[٥]

٣ - أضف إلى ذلك ما ينطوى عليه « منطوق » التعليمات من مراعاة السرية كلفظ « ترصد » كما بينا - والحرص على ألا يكشف العدو أمر المفرزة .

● وللرسول القائد صلى الله عليه وسلم حكمة فى كتمان أمر تلك السرية عمن يحيطون به :

١ - فليس ببعيد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش يسارع بإبلاغها خبر السرية .

٢ - وليس ببعيد أن يكون منهم من يبوح بالخبر عن سذاجة ، لايريد به السوء ، أو لا يدرك مافى البوح به من الخطر المنظور .

٣ - ولا يبعد أيضا أن يكون فيهم ضعيف النفس يفشى السر بتأثير مال أو ضغط .

● وهكذا يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق ، لأن العدو إذا أحيط علما بذلك ، فسوف يستعد استعدادا تاما لحرمان من يقومون بالاستطلاع من الحصول على المعلومات التى يريدونها ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلا عما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة فى أرواح رجال الاستطلاع أو من وقوعهم فى الأسر فيكشف العدو من استجوابهم الخطط والنوايا .

←

---

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .

(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع

● وفى الحرب الحديثة يحاط الاستطلاع بكل أسباب السرية ، فمفارز (دوريات) الاستطلاع مثلا تقوم بعملها فى جنح الليل غالبا ، فإذا اضطرتها ظروف المعركة إلى العمل نهارا ، نراها تتخذ كل أساليب الإخفاء والتمويه والحذر .

٤ ـ أسس اختيار أفراد الاستطلاع :

● ويقرر الرسول ﷺ عدة أسس يقوم عليها اختيار الذين تناط بهم مهام الاستطلاع نذكر منها مايلى :

١ ـ التطوع :

● لقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ألا يكره أحداً من المسلمين على السير معه ، فامتثل للأمر وقال لأصحابه ، « وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع » .

ويستحق هذا الأمر أن نتدبره لما ينطوى عليه من عمق وحكمة : فإن هناك فرقا كبيرا بين الخروج « للقتال » والخروج « للاستطلاع » .. فالرجل إذا خرج مكرها على القتال ، فقد يقاتل لأنه مهدد بالموت المؤكد سواء فى القتال أو إذا حاول الفرار ، ولكن إذا خرج الرجل للاستطلاع مكرها ، فلا يمكن أن يكون إيجابيا أو نافعا ، وسوف يكون خروجه بلا جدوى ، بل ربما يحرف الأخبار عمداً ، أو يتلقاها بغير عناية ، وقد يؤدى عدم اكتراثه إلى أن يكشف العدو أمر أصحابه وهم عنه غافلون » .

● ثم إن مهمة هذه السرية هى الاستطلاع « العميق » ، فقد كان عليها أن تصل إلى نخلة وهى بين مكة والطائف على بعد ٤٠٠ كيلو متر من المدينة ، وهذه المسافة الكبيرة من قاعدة الانطلاق « تضاعف » من خطورة المهمة ومن الأخطار التى يتعرض لها القائمون بها ، فيكون أساس « التطوع » للقيام بها مطلبا أشد حيوية منه فى أية مهمة أخرى .

● والجيوش الحديثة تطبق هذا المبدأ فى كل عمل من الأعمال القتالية التى تنفرد بطابع خاص مثل عمليات الفدائيين (المغاوير) والصاعقة الذين يكلفون بمهام شاقة وخطيرة كالعمل فى عمق خطوط العدو ، تتطلب قدرا كبيراً من الشجاعة والفدائية ، فهل يمكن لمن يخرج لمثل تلك الأعمال « مكرها » أن يحقق شيئا من الأهداف المرجوة ؟ .. وهكذا تتجلى حكمة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك » (٦) .

٢ ـ الشجاعة وقوة التحمل :

● روى أبو القاسم البغوى عن سعد بن أبى وقاص قال : « بعثنا ﷺ فى سرية ، قال : « لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع

(٦) السيرة النبوية لابن هشام .

والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه »[٧] .

● وروى إسحاق بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تأتى ندعو الله ؟ فخليا فى ناحية ، فدعا سعد فقال : اللهم إذا لقيت العدو غدا فَلَقِّنى رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده (غضبه) فأقتله فيك وآخذ سلبه . فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال عبد الله : اللهم ارزقنى غدا رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده ، أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم يقتلنى ويأخذنى فيجدع أنفى وأذنىّ ، فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله ، فيم جُدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك وفى رسولك . فيقول : صدقت .. قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتى ، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنيه معلقان فى خيط !!

● هذا عن قائد السرية عبد الله بن جحش وصفة الشجاعة وقوة التحمل فيه ، أما عن أفراد السرية فيكفى تعبيرا عن تلك الصفات قول عبد الله لهم وهو يعرض عليهم الأمر : « فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق » .

● وهكذا كان عبد الله بن جحش جديرا بأن يتولى مهمة من أخطر المهام الاستطلاعية فاستطاع أن يتغلغل بسريته المؤلفة من أفراد قلائل (٨ أو ١٢ رجلا) إلى طريق مكة الطائف بعيداً جداً عن قاعدة الإسلام بالمدينة وخاصة فى مثل ذلك الوقت المبكر من جهاد المسلمين .

● أما عن أفراد سريته فقد كانوا من أشجع شجعان المهاجرين ، فهم مغاوير المهاجرين دون منازع ، وقد سجل التاريخ لكل فرد منهم فيما بعد صفحات مشرقة فى الفتوح وفى الشجاعة والإقدام .

٥ - صغر حجم مفرزة الاستطلاع :

وقررت النظرية الإسلامية كما ظهر فى سرية عبد الله بن جحش وغيرها من مهام الاستطلاع بعد ذلك أن يكون حجم مفارز الاستطلاع صغيرا ، وقد شكل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المفارز من رجلين أو ثلاثة أو مما لا يزيد على عدد أصابع اليدين . والحق أن مفرزةَ الاستطلاع يجب أن تكون قليلة العدد ، لأن ذلك يتفق مع دواعى الكتمان والسرية ويقلل من فرص اكتشاف العدو لها ، ولذلك تنص كتب العلم العسكرى على أن « تكون مفارز الاستطلاع صغيرة ما أمكن » .

٦ - مفارز الاستطلاع تتجنب القتال :

● كان واضحا من تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم أن مهمة عبد الله بن جحش هى « الاستطلاع » وليس « القتال » « فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » .. والذى حدث أن المفرزة قاتلت قافلة قريش وعادت بالعير والأسيرين إلى

(٧) ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع

المدينة ، فلما رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم :

« ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام[8] ووقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا » .

● وأسقط فى يد عبد الله بن جحش وأصحابه ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين بما صنعوا ، وانتهزت قريش الفرصة فأثارت ثائرة الدعاية بأن محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، ودخلت اليهود تريد إشعال نار الفتنة فقالت : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب .

● فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة ٢١٧) .

فلما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق (الخوف) قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان ابن عبد الله ، والحكم بن كيسان (اللذين أسرهما المسلمون) فقال رسول الله ﷺ : « لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » (يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان اللذين ضل بعيرهما فأسرتهما قريش) فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم »[9] فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم (أى تم تبادل الأسرى) .

● وخلاصة الأمر أن مبدأ أن تتجنب مفارز الاستطلاع القتال ظهر واضحا كما يلى :

١ ـ وضوح المهمة بصورة محددة فى أنها الاستطلاع وليس القتال (فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم) .

٢ ـ صغر حجم المفرزة ، ولو كان القتال من أهدافها لزاد عدد أفرادها كثيرا .

٣ ـ عمق المهمة ، فهى تعتبر من أعمال « الاستطلاع العميق » على مسافة كبيرة جداً من المدينة ، والذى هدفه القتال لا يبعث ببضعة أفراد .

٤ ـ بعث السرية فى شهر رجب وهو من الأشهر الحرام التى يحرم فيها القتال .

٥ ـ استنكاره عليه الصلاة والسلام لما حدث من قتال حين قال : « ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام »[10]

---

(٨) ابن هشام ـ القسم الأول .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) ابن هشام ـ القسم الأول .

٧ ـ الانضباط والمحافظة على الغرض :

ومن الدروس التى أبرزتها هذه السرية أهمية الالتزام بالأوامر والتعليمات وتطبيق مبدأ « المحافظة على الغرض » وعلاقتهما الوثيقة بالنجاح فى تنفيذ المهام وتحقيق الأهداف التى قررت من أجلها ، فقد أدى « اندفاع » المفرزة إلى القتال « فى غير دفاع عن النفس » إلى مايلى :

أولا : إعاقة المفرزة عن أداء المهمة التى كلفت بها وهى الحصول على المعلومات عن قريش .

ثانيا : استغلال قريش واليهود للموقف فى شن حملات الدعاية ضد المسلمين بأنهم قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام ويسعون إلى إشعال نار الحرب .

٨ ـ تكريم رجال الاستطلاع :

● روى أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم سمى عبد الله بن جحش « أمير المؤمنين » ، وعندما اختاره لقيادة مفرزة الاستطلاع قال : «لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش » .

● كل ذلك ينطوى على مبدأ هام من مبادىء النظرية الإسلامية فى الاستطلاع الحربى هو تكريم رجال الاستطلاع بالنظر إلى خطورة المهمة التى يضطلعون بها وصلتها الوثيقة بأمن الأمة وسلامتها .

● ونرى ذلك أيضا فى حديث حذيفة بن اليمان حين كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم باستطلاع أخبار العدو ، يقول حذيفة : رأيتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى فى الجنة » ؟(١١)

● وفى غزوة الخندق بعث عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام ليأتيه بخبر يهود بنى قريظة ، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يأتينى بخبر القوم ؟ » (أى يهود بنى قريظة) يوم الأحزاب ، قال الزبير : أنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن لكل نبى حوارياً وحواريى الزبير » (رواه الشيخان ، والحوارى يعنى الناصر وقيل الخاصة) .

وروى أن الزبير رضى الله عنه قال عن هذه الواقعة عند عودته : « فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ أبويه فقال : فداك أبى وأمى » (رواه الشيخان) وذلك قمة التكريم لرجال الاستطلاع وإعلاء قدرهم فى نظر الإسلام لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه فيبذل نفسه له .

محمد جمال الدين محفوظ

(١١) المرجع السابق ـ القسم الثانى .

ضمانات الحقوق والحريات
في الدولة الإسلامية

الحريات والحقوق فى الإسلام ليست سوى واجبات وتكاليف شرعية وهذا فى ذاته يعتبر خير ضمان وأفضل حماية للحريات ، تساعد الإنسان على تحقيق ذاته المتميزة عن غيره ، وتحقيق الذات يولد الشعور بالسعادة .

ولما كان الإسلام دين الفطرة ، فإن أحكامه تتصف بأنها عملية ، ونظرته للأمور واقعية ، فقد قرر من الضمانات القانونية والسياسية ما يحفظ التوازن فى المجتمع بحفظ حقوق الأفراد ، ودرء العدوان عنها ، وإلزام كل فرد ، حاكما كان أو محكوما ، حدودا لايتعداها .

أولا : الضمانات القانونية للحقوق والحريات :

تعد « الحماية القانونية » من أهم الضمانات التى عرفتها البشرية لضمان ممارسة الحريات الشخصية بما تقدمه من جزاءات جنائية ، أو عقوبات تنال شخص المعتدى ، وتكفى لردع غيره . وثمة تلازم حتمى بين مدى تمتع الفرد بحقوقه وحرياته ، واتساع نطاق هذه الحماية واتصافها بالحسم والتحديد .

وقد قررت الشريعة الإسلامية « حدوداً » مقدرة بتقدير الله عز وجل ، لحماية الحقوق البدنية أو المالية والحريات التى يعد الاعتداء عليها اعتداء على نظام المجتمع وهدما لقيمه ، فليس لحاكم أن يزيد فيها أو ينقص منها ، كالقصاص حماية للنفس وأعضاء الجسم ، فضلا عن العقوبات التعزيرية التى توقع عند عدم وجود حد شرعى .

وقد ترك الإسلام أمر تحديد أركان العقوبات التعزيرية وبيان مقدارها للسلطة العامة فى الدولة الإسلامية فيما لانص فيه لتتواءم مع اختلاف الزمان وتغير المكان ، ومدى تأثير الانتهاك الذى أصاب الحقوق والحريات على سلامة وأمن المجتمع وتماسكه .

١ ـ حماية حق الفرد فى سلامة جسمه (القصاص) :

جعل الله تعالى للاعتداء على حق الحياة جزاء أخرويا عظيما إذ يقول سبحانه :

عميد أ. ح
فوزى محمد طايل

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء ٩٣) .

وفضلا عن الجزاء الأخروى فهناك جزاء دنيوى يتمثل فى « القَوَدِ » أو « القصاص » ، قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ . . ﴾ (المائدة ٤٥)

ولا يفرق الإسلام بين أن يكون القاتل واحداً أو جماعة ، فلو قتل جماعة واحداً يقتلون به قصاصا بالغا ما بلغ عددهم . وقد قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ جماعة فى واحد ، وقال فى ذلك قولته المشهورة : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به » ، وأجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك .

وقد بلغ حرص الإسلام على صيانة حق الإنسان فى الحياة مبلغا لم تبلغه شريعة وضعية حينما قرر القاعدة الشرعية « لايطل دم فى الإسلام » : أى لا يذهب دم أحد هدراً . فإذا وجد قتيل فى بلدة ، أو حى ولم يعلم قاتله حتى يقتص منه ، استحلف خمسون رجلا من أهل المكان ، يتخيرهم ولى الدم ، فيقسم كل واحد منهم « بالله ما قتلته ولا علمت له قاتلا » ، فإذا حلفوا سقط القصاص ، وقضى على أهل البلدة أو الحى بالدية متضامنين ، وهذا ما يعرف فى الفقه الإسلامى « بالقَسَامَة » .

بتقرير الإسلام للقسامة منع الاعتداءات المتتالية على حق الحياة ، تلك التى تعرف حاليا بظاهرة « الثأر » فإذا ما كان الاعتداء على مادون الروح من أعضاء الجسم ففى ذلك « قصاص » يقول الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة ٤٥) .

حماية عرض الفرد الذى
هو كرامة الإنسان

إن صيانة عرض الفرد وكرامته تمثل قمة ضمانات الحرية الشخصية ، فالعرض والكرامة هما دعامتا الأسرة والمجتمع ، فلا يجوز التساهل مع من يمسهما بسوء بل يوقع عليه الجزاء الرادع المناسب :

١ ـ حد الزنا :

تختلف العقوبة الجنائية فى الزنا تبعا لكون الجانى مُحْصَنًا[1] أو غير محصن فلكل منهما حد مخصوص : فعقوبة غير المحصن الجلد

(١) المحصن . هو من تزوج فكان له مايعفه .

مائة جلدة ، والتغريب عاما عملا بقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور ٢ - ٣) .

أما المحصن فعقوبته إن زنى أن يرجم حتى الموت . وفى هذا ردع كاف لمن لا يرعى حرمات الآخـرين وحريـاتهم الشخصية وأعراضهم . والدليل على هذا ماروى فى الصحيحين : أن أعرابيين أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أحدهما : « يارسول الله إن ابنى هذا كان عسيفا - يعنى أجيرا - على هذا فزنا بامرأته فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا « الرجم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى ، الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » « فغدا عليها فاعترفت فرجمها » .

كما روى الإمام أحمد والترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم » .

ذلك ، وقد قررت الشريعة الإسلامية شروطا دقيقة لإثبات الزنا وإقامة الحد ، ومن يتهم آخر بالزنا أو الطعن فى نسبه دون البينة الشرعية يُعَدُّ قاذفا له ، ويقام عليه حد القذف .

٢ - حد القذف :

من رمى رجلا مؤمنا ، أو امرأة مؤمنة بالزنا دون دليل شرعى يعتبر فى نظر الشرع معتديا يستحق العقاب لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور ١٩) ويقول جل شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب ٥٨) .

وقد قررت الشريعة الإسلامية للقاذف عقوبة أصلية هى الجلد ثمانين جلدة ، وعقوبة تبعية هى عدم قبول شهادته(٢) ، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور) .

٢ - من العلماء من يقبل شهادته إذا تاب وحسنت توبته ، ومنهم من يرفضها أبداً .. مجلة الأزهر .

٣ ـ الملكية « حد السرقة » :

حق الملكية ثابت بقوله تعالى ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ـ ٢٩) وقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد ٧) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » رواه مسلم ، ودلالة الملكية فى ذلك صريحة واضحة .

وقد قرر الإسلام حماية رادعة للاعتداء على هذا الحق تتمثل فى قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) .

٤ ـ حماية حق الإنسان فى الأمن وحريته

فى التنقل (حد الحرابة) :

ضمن الإسلام للإنسان حق التنقل وهو آمن على نفسه وماله وعرضه بأن قرر جزاء رادعاً لأى فرد أو مجموعة من الأفراد يعتدون على أمن المواطنين وحرياتهم فى التنقل ، بقطع الطريق ، وإخافة المارة ، وبث الفزع فى نفوس الآمنين ، وإحداث الفوضى ، وسفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وسلب الأموال . وقد أطلق الفقهاء على هذه الأفعال اسم « الحرابة » .

ويدخل فى هذا المفهوم فى عصرنا الحالى عصابات الخطف ، والسطو المسلح على البيوت والبنوك ، وإشعال الفتنة فى المجتمع[٣]

وتعد الحرابة من كبريات الجرائم ، ومن ثم أطلق الإسلام على المتورطين فى ارتكابها أقصى عبارة تجريمية وذلك بوصفهم (محاربين لله ورسوله) ، فغلظ العقوبة عليهم تغليظا لم يجعله لجريمة أخرى ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٣) .

٥ ـ حرية العقيدة (حد الردة) :

كرم الله الإنسان ومنحه العقل وحرية الاختيار ، وأبان له طريق الهداية وطريق الغواية يقول الله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ١٠) ثم أعطاه حرية الاعتقاد وحرم الإكراه فى الدين ، فيقول جل شأنه : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) .

←

٣ ـ وإذا كانت علة تجريم هذا الفعل هى الافساد فى الأرض أفلا يمكن أن ينسحب هذا التجريم إلى عصابات جلب المخدرات التى تؤدى بطريقة مباشرة إلى تدمير أجسام وعقول شباب ورجال الأمة الإسلامية .. أليس هذا إفسادا فى الأرض ؟!

ويقول سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . ﴾ (الكهف ٢٩) .

وحتى تتزن الأمور وتصلح ، فإنه على قدر حرية الإنسان تكون مسئوليته . من أجل ذلك تكون عقوبة الردة قاسية حماية للدين من عبث العابثين ، وحماية لحرية العقيدة ذاتها من أن تتخذ هزوا ولعبا .

فحرية العقيدة تعنى دخول الفرد فيها مختارا راضيا مدركا لأبعاد تصرفه ، فلا يدخل مكرها ، أو لتحقيق غرض فى نفسه ، فإذا ماناله ارتد ، فليس له بعد إسلامه حرية الرجوع إلى أى دين آخر .

ويعنى ذلك :

أنه يحرم على إنسان ـ مهما كان ـ أن يجبر غير مسلم على اعتناق الإسلام ، وإنما المرء ـ بكامل حريته يتولى شأن نفسه ، ويقرر إن كان يسلم أو لا ـ هنا حريته التامة ـ فإن أسلم فلا رجعة له إلى دين آخر . فإن فعل فقد ارتد ، وكان مستهتراً بالدين .

وجزاء من يرتد أن يقتل بعد أن يستتاب فلا يتوب ، لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ **(البقرة ٢١٧)** .

وحد الردة ثابت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى : « من بدل دينه فاقتلوه وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (متفق عليه) .

٦ ـ أما عن باقى الحقوق والحريات الفردية فقد قررها الإسلام ورفعها إلى مرتبة الحرمات التى لا يجوز الاعتداء عليها ، بيد أنه ترك أمر تحديد العقوبة المناسبة لانتهاك أى منها موكولا إلى السلطة العامة فى الدولة الإسلامية بالتعازير المناسبة .

٧ ـ الرقابة القضائية :

أصبح الربط بين (رقابة القضاء) و « كفالة الحريات » من مسلمات العصر ، فمبدأ الرقابة القضائية بما يتوافر للقضاء من حيدة واستقلال ، يعد ضمانة أكيدة لحماية الحريات والحقوق الفردية منها والاجتماعية

ولقد تمتع القضاء الإسلامى - على مر العصور - بحيدة واستقلال ونزاهة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ومن مظاهر « حيدة واستقلال القضاء فى الإسلام » عدم عزل القاضى إلا بارتكابه ما يخالف ما أنيط به ككفر أو فسق وغيرهما مما نص عليه الفقهاء .

ثانيا : الضمانات السياسية :

لم يكتف الإسلام بتقرير ضمانات قانونية قوية لحفظ حقوق الأفراد وكراماتهم وحرياتهم ولإقرار السلام الاجتماعى بين أرجاء الدولة ، وإنما قرر ضمانات سياسية تمنع الحكام والولاة ، ومن بيدهم السلطة العامة ، أن يظلموا وأن يعتدوا على حقوق الأفراد وحرياتهم مخالفين بذلك شرع الله ومتجاوزين حدوده .

وتتدرج الضمانات السياسية من حيث زمن ممارستها : إذ تشمل التدقيق فى اختيار من يلى أمرا من أمور المسلمين ابتداء من رئيس الدولة إلى أصغر عامل فيها ، فإذا ما تم الاختيار وتولى صاحب السلطة مسئوليته فإن للمواطنين حق الرقابة على أعماله ، بل إن عليهم واجب الرقابة هذا .

وبعد .. فإن ما عرضناه على طول ست حلقات من تدارس للدولة الإسلامية بأوجهها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليوضح لنا ، بما لايدع مجالاً للشك ، كذب مزاعم من يدعى ، من المستشرقين والمستغربين ، أن الإسلام قد جاء بمبادىء عامة ولم يفصل نظام الحكم الإسلامى ، أو أن الإسلام دين فحسب ، وأن ما جاء به من أحكام فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا يتمشى مع ما وصلت إليه البشرية من تقدم ، ولا يحل مشكلاتها .

لقد جاء الإسلام بكل ما يحقق القوة الاجتماعية ، من بناء للفرد وتماسك للمجتمع - والقوة الاقتصادية ، بإقامتها على أسس من الأخلاق وبعد عن الجشع والشره ، واعتبار للحافز الفردى ، وصيانة لحق الملكية الفردية - والقوة السياسية بالتزام الحاكم والمحكوم لشرع الله ، واحترام وحماية الحقوق والحريات الشخصية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وقيام الشعب برقابة السلطة العامة وتقويمها ومشاركتها فى اتخاذ القرارات التى لا تخرج عن حدود شرع الله تعالى .

د . فوزى محمد طايل

قراءة فى كتاب الذمّى

تأليف : بات يور

(بات يور) صهيونية تقيم فى سويسرا ونعلم من كتابها أنها يهودية مصرية الأصل ، وأن جدها « أصلان ليفى عوريبى » قد حصل على رتبة البكوية عام ١٩١٣ ، وسبق لها أن نشرت كتاباً عن اليهود فى مصر .

صدرت الطبعة الأولى من كتابها « الذمى » باللغة الفرنسية عام ١٩٨٠ ، ثم أعادت إصداره باللغة الانجليزية عام ١٩٨٥ .

تختلف الطبعة الانجليزية عن الطبعة الفرنسية اختلافاً يسيراً . فالعنوان الفرنسى هو « الذمى : صورة جانبية عن المضطهد فى الشرق وشمال أفريقيا من الغزو العربى » ، أما العنوان الانجليزى فهو « الذمى : اليهود والمسيحيون تحت الإسلام » .

حينما تتوجه المؤلفة إلى القارىء الفرنسى تقرر أن الذمى « مضطهد » ، وأن الكتاب سيعرض صوراً عن هذا الاضطهاد .

أما مع القارىء الانجليزي فاللغة إخبارية مباشرة بلا فذلكة أو زخرفة .

وتزيد الطبعة الانجليزية ، وهى ترجمة ، عن الطبعة الفرنسية بحوالى مائة صفحة .

نشر الكتاب بعد بروز ما اتفق على تسميته (الصحوة الإسلامية) وهو موجه للجمهور الغربى الذى يريد أن يعرف وضع المسيحيين واليهود فى الدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص . ويعطى العنوان انطباعاً عن استمرارية الاضطهاد وهو المعنى الذى تريد الكاتبة أن تؤكده فى ذهن الغربى بكل سبيل ، لا سيما ونحن ـ العرب المسلمين ـ أمضينا القرون لم نحاول خلالها بسط الحقائق ، وكشف الزور الذى ألصق بالإسلام والمسلمين فى تلك القضية .. قضية الاضطهاد المزعوم ، حتى بات القارىء الغربى ـ وهو الذى يعيش فى مجتمع حرّ لا يرفض نشر شىء ـ لايجد إلا الكتابات الصهيونية وما يدور فى فلكها ، وهى كتابات تغذيه بكل مايشين الإسلام والمسلمين ... فهل نلومه إذا اعتقد صحة ما قرأ ؟!

للأستاذ : إيهاب محمد مهدلي [1]

هل تقدمنا بكتابات مضادة قامت على الصدق ونشرت الحق فرفضت هذه المجتمعات استقبالها ؟ اللهم ... لا .. !! .

ولنعد إلى كتاب (بات يور) الذى كتب (چاك إيلول) وهو أستاذ قانون فرنسى تصديراً له ، يعمل هذا الأستاذ بالمعهد البروتستنتى الفرنسى . وهو يجادل فى التصدير ، مستخدماً لغة القانون . ليؤكد أن وضع اليهود والمسيحيين فى العالم الإسلامى يماثل وضع العبيد فى الامبراطورية الرومانية .

إن تعصب البروفسير أيلول فى تصديره يصبح مفهوماً إذا علمنا أن الفرنسيين البروتستنت فى فرنسا ، وهم أقلية صغيرة تبلغ نحو المليونين ، عانوا من اضطهاد مستمر حتى طردوا من البلاد فى القرن السادس عشر ، وفى استطلاع نشرته مجلة (النوفيل أبزرفاتير) عام ١٩٨٦ ، يتبين أن ٧٨٪ من الفرنسيين قالوا : إن البروتستنتينية تشير فى ذهنهم إلى إنجلترا وأمريكا أى إلى الاستعمار ، ولذلك فالأغلبية الساحقة من الفرنسيين تعتقد أن البروتستنت ليسوا فرنسيين وهم لا يتبوءون أى منصب عال فى فرنسا ، ولذلك فإنهم يسعون (مثل السيد أيلول) ليكونوا ملكيين أكثر من الملك ، فربما قبلهم المجتمع الكاثوليكى فى فرنسا .

ينقسم كتاب (بات) إلى جزءين ، الجزء الأول صغير نسبياً به مائة صفحة كتبتها المؤلفة ، والجزء الثانى به (٢٤٦) صفحة ، يضم ماتسميه المؤلفة وثائق .

تعطى (بات) تعريفاً خاطئاً للذمى فهو ـ عندها : « غير العربى وغير المسلم الخاضع للحكم العربى » ونلاحظ أن التعريف ـ علميا ـ ينبغى أن يستمد هنا من مصادره الإسلامية ، وهى مصادر تجاوزتها المؤلفة عن عمد لتعطى القارىء الغربى ماتريده هى من فكر مشوه ، وفى الحق أن « الذمة » هى العهد ، فالذمى هو المعاهد الذى أُمِّنَ على ماله وعرضه ودمه ، وقام المسلمون بالدفاع عنه .
ثم مامعنى « الخاضع للحكم العربى » .. وهو تعبير ـ كما نراه ـ لا يعنى « الحكم الإسلامى » أو لعل المؤلفة تعنيه فى غموض تريد به اللبس فى ذهن القارىء الذى لا يمكنه إدراك الفارق بين الأمرين .

ثم نراها تعطى تعريفا للجهاد ـ بنفس الطريقة ـ أى من نسج خيالها دون العودة إلى المصادر ذات الشأن ، فكتبت عن الجهاد أنه « حالة حرب تلغى احتمال قيام السلام » وتبنى (بات) على التعريفين نسيج الكتاب كله .

←

(١) الكاتب مصرى يتلقى دراسة متخصصة فى روتردام ـ هولندا .

قراءة فى كتاب « الذمى »

تخبرنا (بات) فى الفصل الأول أن (نظام الذمى) قد ولد مع الدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وأن أول من طبق عليه هذا النظام هم اليهود بعد وقعة خيبر ، و(بات) مثل كل اليهود الذين يقولون إن اليهودى معصوم من الخطأ ، تتهم المسلمين بمحاربة اليهود بدون سبب ، فاليهود أبرياء حتى لو قَتَلُوا ، وضحية ولو ذَبَحُوا الآخرين !

والحقيقـة أنها من القـلائل الـذين لا يفخرون بأن أحبار اليهود قد رفضوا الإسلام من اليوم الأول ، ولا تلبث بات بعد اتهام الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين بالعدوانية أن تقول : إن نظام الذمى قد نشأ فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، ولا تستطيع أن تعرف من كتابها كلمة حاسمة فى هذا الموضوع فإنها لا تلبث أن تعطى بداية ثالثة ترى فيها : أن نظام الذمى بدأ من عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ثم تعود فى الجزء الثانى من الكتاب فتعتبر (نظام الذمى) مأخوذا عن الكنيسة الأرثوذكسية التى طبقت قوانين صارمة ضد اليهود والموارنة وغيرهم من الأقليات .

ولم تستطع (بات) فى هذا العرض أن تتخلص من حقدها على المسلمين والنصارى معا ، ثم هى فيما تكتب تعلم مسبقا أنها وحدها فى الميدان ، ولا تهتم بتوثيق مادتها من مصدرى الدين الحنيف : القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

نستمر فى القراءة لنجد فكرة جديدة مفادها أن تعريب الدول العربية تَمَّ عن طريقى : (نظام الذمى) و(مبدأ الجهاد) والفكرة كسوابقها غير صحيحة ، وتبين أن الكاتبة لم تدرس تاريخ الفتوح ، ولم تتدرج مع أحداث زمنها ، ثم إن العرب لم يمثلوا فى أى وقت أغلبية المسلمين ، وحاليا نجد الناطقين بالعربية أقل من خمس المسلمين فى العالم ، ولو فقهت الكاتبة حق الفقه فى تلك القضية لعلمت أن المسلمين أقبلوا على العربية حبا فى هذا الدين وكتابه الخالد . وياليتها ألقت نظرة على الانتشار الإسلامى المعاصر الذى لا تؤيده قوة سياسية ما ثم تساءلت : كيف انتشر هنالك الإسلام وعكف المسلمون ثمة على العربية .

نتابع القراءة لنجد أن المؤلفة تخصص فصلاً للدفاع عن الحماية الأجنبية التى فرضتها الدول الأوروبية على بعض الأقليات المسيحية واليهودية فى الدول الخاضعة للحكم العثمانى ، فتذكر أن هدف الأوروبيين من فرض هذه الحماية كان إيجاد ذريعة للتدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية ثم ذريعة يستخدمونها للتوغل الاقتصادى والسياسى ومن ثَمَّ إلى احتلال الدول العربية .

وفى رأيها : هكذا كان مسار التاريخ ، وهكذا تسعى الحركة الصهيونية إلى فرض حمايتها على اليهود وغيرهم من الأقليات فى الدول العربية من أجل تحقيق أهدافهم الحقيقية ألا وهى تقسيم الوطن العربى إلى دويلات عرقية ودينية .

إن الصهاينة لا يفرقون بين مسلم ومسيحى وبات يور لا تفرق بينهما فعندها أنه « قد عانى اليهود من النفى والتشرد ، لأن بلادهم كانت محتلة ، ودفعوا ثمناً غالياً نتيجة للصراع بين المسلمين والمسيحيين » .

إنها تعتبر الوجود المسيحى الرومانى فى فلسطين احتلالا لأرضهم ، كذلك الوجود العربى فى القدس احتلال كذلك .

إن التاريخ الصحيح عند (بات يور) لا قيمة له ، والوجود الفلسطينى المستقر بتلك الأرض قبل نزوح اليهود إلى فلسطين ـ وهو حقيقة يقررها حتى كتابها المقدس (العهد القديم) ـ هذا الوجود بدوره لا قيمة له . فعندها أن أصحاب الأرض (العرب) محتلون .

وأما اليهود الصهاينة القادمون من روسيا وبولندا الذين لا صلة لهم بها ، فهم أصحابها الأصليون ، فلتدمر فلسطين لتبقى إسرائيل .

وفى (انطلاقة) لا تهتم بعقلية البشر تتهم بات المسلمين بمسئولية ماحدث لليهود فى عهد هتلر هكذا ... ، فتبعا لها ، كان هناك ضباط ألمان فى تركيا فى بداية القرن وشاهدوا مافعله الأتراك المسلمون بالأرمن وكيف كانوا يقتلونهم بدماء باردة ـ على حد تعبيرها ـ فتعلم الألمان من الترك درسا عن تدمير شعب من الشعوب ....

أما القومية العربية فهى عند بات إنما جاءت نتيجة لعاملين هما : سياسة الاستعمار الفرنسى ، وثانيهما رغبة المسيحيين الشرقيين فى التحرر من ربقة الحكم الإسلامى .

وتعتبر أكبر أكذوبة فى الكتاب قولها : إن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية ينص على أن اليهود يجب أن يختاروا إما القتل ، أو الفرار ، أو الخضوع للحكم العربى .

وهذا القول لـ(بات) إنما هو فتوى حكماء اليهود فى مصير غير اليهود ولم يقلها أى عربى ، ولا يوجد فى ميثاق منظمة التحرير (بند) يحمل هذا النص . إن مصدر معلومات الكاتبة كتاب ألفه رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق (الجنرال هاركابى) وهو معروف بأنه من أكبر المزيفين فى العالم .

ترى مما قدمنا أن الكتاب مكتوب بروح معادية ويهدف إلى التزوير والمبالغة فى كل شىء ويتضح تزويرها أيضاً فى الجزء الذى تسميه بالوثائق ، فأغلبية هذه الوثائق عبارة عن فقرات من كتب الرحالة الأوروبيين إلى العالم العربى[٢] ويبدو فى عرضها لبعض ماتسميه الوثائق ـ عدم مقدرتها ، أو تعمدها ـ إقصاء تحقيق النصوص قبل نشرها ؛ فإذا أخذت عن العالم الجليل ابن خلدون ـ مثلاً ـ تسوق ما

←

(٢) معروف ـ علميا ـ أن كتب الرحالة المحدثين لا تمثل مصدرا علميا لما فيها من المبالغة والخيال وإثارة الغموض والتشويق فى تاريخ الشرق .. وهى امور فى جملتها لا تمثل واقع العلم فى شىء ـ مجلة الأزهر ـ .

← قراءة فى كتاب « الذمى »

أقحم على نصوصه مما أثبت البحث براءة ابن خلدون منه لتثير بذلك ـ كشأن كثير من المتعصبين ضد الإسلام ـ حفيظة القارىء الغربى وتترك فى نفسيته استعداداً لكراهية الإسلام والمسلمين ، ولنأخذ مثلاً لذلك ما اقتطفته من فصل « شرح اسم البابا والبطرك فى الملة النصرانية » .. نقول : (ما اقتطفته) .. ؛ لأنها لم تُعْن بتناول النص عنايتها بالقفز بين سطوره ليخرج القارىء الغربى فى النهاية بفكرة عن ابن خلدون :

● إنه شخص يمقت النصارى إلى درجة أنه لا يريد تشويه صفحات كتابه بالحديث عن مذاهبهم .

● وأن ما يسميه العرب أعظم عالم اجتماع إنما هو شخص متعصب ضيق الأفق مع أن ابن خلدون ـ رحمه الله ـ تكلم بالتفصيل فى الجزء الثانى من تاريخه على مذهب كل طائفة من طوائف النصارى ، وماذهبت إليه الكاتبة من عداوة المسلمين للنصارى هو الغرض من تشويهها الملحوظ(٣) .

تسير الكاتبة على هذا المنوال فى عرض ماتسميه وثائق ، جملة من هنا ، وجملة من هناك ، وفقرة من هذا وفقرة من ذاك ولا نعرف لماذا أضافت ماقاله ياسر عرفات من أنه يحمل التراث اليهودى والمسيحى والإسلامى دون أن تتحدث عن مقصده من ذلك .

حينما صدر كتاب بات يور بالفرنسية تصدى لها بعض المستشرقين مثل (مكسيم ردونسون) الذى وصف الكتاب بأنه « مجادلة » Polémique ونصح الكاتبة بالاطلاع على مؤلفات (برنارد لويس) و(جيتون) . والاثنان من اليهود ، لم يقل رودنسون : إن المؤلفة جاهلة مباشرة وإنما استخدم لغة مهذبة غير مباشرة . أما بعد صدور الطبعة الانجليزية فقد نقدتها بعض الصحف من منطلق سياسى وهو أن الكاتبة لا تشير إلى مايحدث للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة .

إن موضوع الأقليات ، جدير بالدراسة وقد استغله كثير من المستشرقين للطعن فى الإسلام وإذا كانت إسرائيل تسعى إلى ضرب العرب عن طريق الادعاء بحقها فى حماية الأقليات ، وكان هناك من استجاب لدعوتها ، وبخاصة فى لبنان ، فإن علينا أن نفتح الباب أمام دراسة قيمة تتحدث بنفسها وتضع الأمور فى نصابها .

إيهاب محمد مهدلى
روتردام ـ هولندا

(٣) راجع تحقيق د . على عبد الواحد وافى لمقدمة ابن خلدون .

الوصايا

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

الوصية إذا صدرت عن حكيم يخشى الله تعالى فهى : توجيه رشيد وتعليم سديد يقوم به الكبير لمصلحة الصغير ، أو يتقدم به الأب إلى الابن رغبة فى إسعاده وقياماً بحقه .

وقد تكون الوصية خلاصة تجربة تهديها الأم إلى ابنتها حتى توفق فى حياتها وتثبت على طريق السعادة اقدامها .

وقد تكون الوصية من نبى إلى قومه ، وقد تكون أعلى من كل ذلك شاناً وارفع مقاماً حيث تصدر من الله تبارك وتعالى رافة بعباده . ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾[1] .

ونسوق هنا عدداً من الوصايا المتنوعة التى ينتفع بها كل من وعاها وتدبرها وعمل بها فليست السعادة مجرد امنية يتعلق بها إنسان . وإنما هى غاية نبيلة لكى تتحقق لابد من اتخاذ الوسائل إليها .

« الوصية الأولى »

هذه وصية والد لولده حكاها لنا القرآن الكريم بأسلوبه المعجز وتصويره البديع . والوالد الحكيم هو هنا لقمان ، والوصية ترسم للولد طريقه فى الحياة على بينة ونور . فتحدد له أسس العلاقة بينه وبين الله تعالى ، وكذلك بينه وبين والديه وخاصة الأم ، وحدود هذه العلاقة الطاعة التامة للوالدين ما لم

* الكاتب : مفتش وعظ الغربية .

(١) سورة النساء ١٣١

الوصايا

يأمرا بمعصية الله تعالى . ثم بينه وبين الناس لتكون المودة بين المؤمنين مستعيناً بالله على ما يلقى من الناس ، متطهراً من الكبر والغرور . ولنقرأ معاً الوصية .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(٢) .

« الوصية الثانية »

هذه وصية من معلم الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصية جمعت فأوعت جاءت رداً على سؤال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : رواها الترمذى ـ بسنده قال :

« عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال قد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه . تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة(٣) والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا ﴿ تَتَجَافَى(٤) جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ(٥) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٦)

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلى يارسول الله . قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال ألا أخبرك بملاك(٧) ذلك كله ؟ قلت بلى يارسول الله . فأخذ بلسانى ثم قال . كف عليك هذا . قلت يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك . وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ـ أو قال ـ على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم ؟!

(٢) سورة لقمان (١٣ ـ ١٩)
(٣) جنة : وقاية من المعاصى ومن العذاب .
(٤) تتجافى جنوبهم : تترك النوم للعبادة .
(٥) قرة اعين : ثواباً تطمئن به العيون فلا تقلق .
(٦) سورة السجدة (١٦ ، ١٧) .
(٧) ملاك الأمر : ما يقوم به ويحفظه .

« الوصية الثالثة »

الشيطان أعدى أعداء الإنسان وأكثرهم لؤماً وأشدهم مكراً ، وأوسعهم وسيلة فى الإغراء والإغواء . وإنه ليتربص للإنسان بكل سبيل ويقعد له بكل طريق . وقد أعلن عن هذه العداوة السافرة وتوعد آدم وذريته بمداومة الكيد لهم . وكان من رحمة الله بنا أن حذرنا كيده وعلمنا ما نرد به سهمه فقال تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٨) .

وهذه وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا فيها إلى سلاح من أسلحة الذكر نطرد به الشيطان من بيوتنا .

عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء .(٩)

وأخذا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول : إن الإنسان قد يعتريه همٌ أو حزن لا يدرى له سبباً ولا يعرف كيف يزيله .. وذلك إنما يكون من الشيطان . وزواله يكون بذكر الله ، والذكر الذى ورد فى ذلك هو « اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك . ماض فىَّ حكمك . عدل فىَّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى »(١٠) اللهم آمين .

« الوصية الرابعة »

هذه الوصيـة من وصايـا الأمهات العاقلات . فيها ترسم الأم لابنتها سبيل السعادة واضحة المعالم ، بينة القسمات محددة الخطوات . وقد احتوت على أمور كثيرة منها ما يتصل بأمر الطعام والشراب . ومنها ما يتصل بكيفية تصرف الزوجة مع زوجها . تقول « أي بنية . إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكونى له أَمَةً يكن لك عبداً ، واحفظى له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانيـة : فالخشـوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه

←

(٨) الأعراف : آية ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٩) الحديث رواه مسلم .

(١٠) انظر للإمام أحمد ـ المسند ٣٩١/١ الميمنية .. مجلة الأزهر .

وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والاسترعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً . فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره[11] وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً - والكآبة بين يديه إن كان فرحاً » والوصية وردت فى الأدب الجاهلى .

« **الوصية الخامسة** »

أحياناً تأتى بعض التوجيهات من الزوج نفسه ، والزوجة العاقلة تسمع وتطيع وعليها أن تعرف ماذا يريد بما عرفته بتجربتها ولا تنتظر حتى يقول .

من هذه الوصايا قول شاعر لزوجته :

خذى العفو منّى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والمتأمل للوصايا السابقة يجد أنها تحض على تقوى الله وبر الوالدين والبعد عن سبل الشيطان .. وهى ضمانات تؤدى إلى بيت إسلامى سعيد ..

ومما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نظمت العلاقة بين الزوجين لم تخل من الأمر بتقوى الله والتحذير من عقابه . وأحياناً يأتى هذا الأمر مقروناً بما يترتب على تنفيذه من آثار وما يعود على فاعله من خير . وهذا يعنى أن الزوج المؤمن الذى يتقى الله ويخشى عقابه سيرعى حقوق زوجه ولا يظلمها وسيرفق بها ويرحمها . ويعاملها بالإحسان طمعاً فى رحمة الله وخوفاً من عذابه . وكذلك فإن الزوجة المؤمنة التى تتقى الله وتخشى عقابه سترعى حقوق زوجها وتحفظ عرضه وماله وولده طمعاً فى رضا الله وخوفاً من غضبه ..

إن كل زوجين التزما حدود الله التى حدها ونفذا أوامر الله التى أمر بها يستحقان كل الخير والسعادة والتيسير الذى وعد الله به عباده المتقين ..

ومن هنا ندرك أن تقوى الله هى التى تدفع كلا من الزوجين إلى أداء حق الآخر ، وأن التقوى أيضاً هى التى يترتب عليها تحقيق السعادة بفضل الله وكرمه ..

السيد عبد المقصود عسكر .

---

(11) دفعته إلى الغيظ والحنق .

مجلة الأزهر : هذا الجزء من بحث قيم بعنوان « نحو بيت سعيد » تقدم به كاتبه إلى مجلة الأزهر ، التى سبق أن نشرت جزءاً منه فى عدد جمادى الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

عادل رفاعى خفاجة

مسئوليتنا نحو أبنائنا

بقلم الأستاذ :
محمد عبد السميع شبانة

مسئوليتنا نحو ابنائنا امانة فى اعناقنا ، وإذا احسنّا فى تحملنا لتبعاتها واداء واجباتها ، يكون العطاء عظيما للحاضر والمستقبل ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[1] .

والأبناء فى مهد حياتهم خامات بريئة كلها خير فهم كاللبن المصفى ، والآباء والأمهات يشكلونهم من خلال التربية التى يسلكونها والتوجيه الذى يتبعونه .

ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[2] .

وما أصدق قول الشاعر العربى :

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ماكان عوده أبوه

وقد حرص الإسلام على قيام الأسرة على أسس متينة وحمايتها من النزوات العارضة والنظرة العاجلة . فالأسرة تنشأ فى الإسلام على السكينة والطمأنينة والمودة والرحمة قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[3] لينشأ الأبناء فى ظلال ظليلة من التراحم والتعاطف بعيداً عن الكراهية والتنافر ويستطيع المرء أن يدرك مدى اهتمام الإسلام بتهيئة الأجواء المناسبة الصالحة لرعاية الأبناء وذلك فى توجيهات الرسول صلى

←

* الكاتب أستاذ بالمعاهد الأزهرية .

(١) متفق عليه رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) الروم (٢١) .

مسئوليتنا نحو أبنائنا

الله عليه وسلم للشباب وهم يتهيأون لبناء أسرهم ، أن يدققوا فى اختيار شريكات حياتهم وأن يكون أساس المفاضلة صاحبة الدين التى تخلقت بأخلاقه وتأدبت بآدابه لتعطى الزوج حقه وترعى حرمته وتراقب الله فى أبنائها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »[٤] ويقول عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته »[٥] .

فالزوجة الصالحة أساس كل خير فى البيت وهى أعظم نعمة ينعم الله بها على الإنسان وما أحسن قول العربى لأولاده : لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا فقالوا له : أما إحسانك إلينا صغاراً وكباراً فنعرفه كل المعرفة فكيف بإحسانك إلينا قبل أن نولد ؟! فقال لهم : لقد اخترت لكم أماً لا تسبون بها . هكذا أحسن العربى اختياره لزوجته وأم أولاده لينعكس ذلك عليهم مروءة وقوة وصلاحا .

وكما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب ليحسنوا اختيارهم لزوجاتهم ، كذلك وجه الآباء أن يختاروا لبناتهم من له خلق ودين لأن دينه وخلقه يمنعانه من الظلم والقسوة والعدوان ويظل رحيما مع أهله ودودا لهم حريصاً على أولاده يسعى لتحقيق الرخاء لهم ولا يبالى أن يقطع الصخر من أجل سعادتهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه[٦] إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ويضرب الرسول عليه السلام أروع الصور فى علاقته بأهله ليتأسى به المسلمون ويقتدوا به ، يقول عليه السلام : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى »[٧] .

ويقول : « أن يضع الرجل اللقمة فى فم امرأته فهى صدقة له »[٨] وتقول أم المؤمنين عائشة : كان الرسول يقوم على مئنة أهله[٩] .

كم فى ذلك من معانٍ عظيمة تهدف إلى تثبيت دعائم الأسرة وخلق العواطف الدافقة فى ربوعها والحنان الغامر بين الزوج وزوجته ، وفى هذه الأجواء المفعمة بالحب تستقبل الأسرة أبناءها ويتدرج نموهم بعيداً عن العقد التى تصنع الأحقاد والأضغان .

والأطفال الذين ينشأون على هذا الطراز من الحب والصفاء ، يشبون أصحاء أقوياء تمتلىء نفوسهم بالثقة وتفيض قلوبهم بالآمال . ويكبرون على حبهم لدينهم والامتثال لأوامره والانتهاء عما نهى الله عنه .. ويصعب على الشيطان أن يجرهم إلى الخطايا فلا يغشون وهم رجال ولا يرتشون ولا يخونون .. يكونون أعظم انتماء لوطنهم

(٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم والنسائى .
(٦) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم حديث حسن .
(٧) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه البخارى .

والحرص على نهضته ورفعته لا يبالون أن يقدموا أرواحهم فى سبيل الله والوطن .. يقدرون على تحمل المسئولية .. يعطون لأهليهم ومواطنيهم حصادا تثرى به الحياة وتزدهر به الأمة فتظل متصلة الحضارة من غير انقطاع .

أما الأسر التى تقوم على دعائم هاوية وتسيطر عليها نزعات التعصب والأنانية ولا تسودها الرحمة والمودة فما أكثر مشاكلها ؛ لا يحس أفرادها بالسكن والطمأنينة وتتوالى عليها الاضطرابات فتجد الكراهية مرتعاً خصبا فيها ، ويهرب الاحترام المتبادل منها ويتراجع الحنان ويضيع صوت العقل فى صخب البغضاء وضجيج الأصوات الهادرة بالغضب ، فينعكس ذلك كله على الأبناء ويرسب فى نفوسهم وتنشأ العقد التى تبرز فى المستقبل فى أخلاقهم وعلاقاتهم بالمجتمع ، غضبا وتهوراً واستجابة لإخوان السوء .

والحق أنهم ضحايا بيت كان متصدعا أثقل عليهم فى طفولتهم فلم يروا الحنان فى ظلاله فخرجوا تائهين ضائعين .. لا يثقون فى أحد يحقدون على المجتمع ؛ فيتحولون إلى معاول هدم . وكان يمكن للآباء أن يقوا أبناءهم هذه العواقب السيئة لو راعوا الله فيهم وجنبوهم المشاكل . وأحسنوا فى تربيتهم وكانوا أمناء عليهم .

فما أعظم دور البيت فى صنع رجال المستقبل . وأمل الأمة وعمادها وما أصدق قول القائل : من أدب ابنه صغيراً قرت عينه به كبيراً .

تتضافر عوامل كثيرة للتأثير على الأبناء والوصول بهم إلى مرحلة الرجولة التى يبدأون فيها حياتهم العملية .

والبيت ـ كما ذكرنا ـ هو المسئول الأول عما يكون عليه الأبناء فى قابل حياتهم ؛ فهو يشكلهم من خلال أسلوب التربية التى ينهجها الآباء والأمهات نحو أولادهم . لأن الأبناء أكثر ارتباطاً بالأسرة فى مراحل حياتهم الأولى ، فيتأثرون بكل الظروف التى حولهم وتترك بصماتها عليهم !

ولذلك يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمور الخاطئة الصغيرة التى تصدر من الآباء والأمهات من غير قصد ، حتى لا ينعكس هذا الموقف على سلوكهم ، فينهى الرجل أن يعد ابنه بشىء وهو عازم ألا يفى بوعده هذا(١٠) . فهذا الموقف مع بساطته يترك انطباعاً فى نفس الطفل بكذب أبيه فيصبح الكذب أمراً عادياً عنده .. يكبر معه وكثيراً ما تنتقل عادة التدخين من الآباء إلى الأبناء . وتكون الجناية على فلذات الأكباد قاسية مريرة ، وتظل لهباً يحرقهم . ولو تجنب الآباء هذا السلوك الضار ؛ لكان أبناؤهم فى منجاة من هذه العادة القبيحة . كما أن الآباء والأمهات الذين يتشاغلون عن أبنائهم ويتركونهم من غير مراقبة ، تكون النتيجة

←

(١٠) رواه أحمد

مسئوليتنا نحو أبنائنا

فشل الأبناء ووقوعهم فريسة سهلة لأصدقاء السوء . وكم من أبناء ضاعوا بسبب إهمال الآباء .

وما يتعرض له اليوم مجتمعنا : من هجمة شرسة ضارية على أبنائنا لإغراقهم فى المخدرات السوداء والبيضاء ليس إلا لانعدام رقابة البيت على أبنائه .. ففى غيبة اليقظة من الأب والأم يسقط الأبناء بسهولة فى بؤر الفساد والخطر الذى يتعرض له الأبناء يصيب الأمة ؛ لأنه يستهدف مستقبلها وقدراتها التى تتمثل فى شبابها .

فهل تفيق الأمهات اللاتى تشغَلُهُن وظائفهن وأمورهن الخاصة عن رعاية أولادهن رعاية كاملة ؟

وهل يتدارك الآباء اللاهون عن أبنائهم الموقف قبل أن يستفحل الشر ويكبر وتتحول زهرات حياتهم إلى أشواك قاتلة وتنهزم الأمة فى أبنائها ! والله تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(١١) .

يجب أن يخصص الآباء وقتاً كافياً يشرفون فيه على أبنائهم كل يوم .. يطمئنون فيه على قيامهم بواجباتهم المدرسية ، ومذاكرة دروسهم وأن يحاولوا التعرف على مشاكلهم ومساعدتهم على حلها وتحسيسهم بالمسئولية الملقاة عليهم نحو أنفسهم وأهليهم وأمتهم . كما يجب أن يتأكدوا من نقاء وطهارة زملاء أبنائهم وأصدقائهم ؛ نظرا لقوة التأثير بين الأصدقاء بعضهم لبعض والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المرء مرآة أخيه »(١٢) ويقول : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه أو تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد رائحة منتنة(١٣) .

ما أشد حاجة الابن إلى رعاية أبيه ، إنها تعطيه قدرة على تجنب الأخطاء والسير فى الطريق الصحيح ، وتحفظه من قرناء السوء .

مطلوب من كل أب وأم أن يراقبوا خُطَا أولادهم وأن ينشئوهم على تعاليم الإسلام وأن يغرسوا فيهم قوة الإيمان التى تملأ نفوسهم بالقيم النبيلة وتضىء قلوبهم بالخير والعدل والرحمة والسلام .

واجب على الآباء والأمهات أن يُعَوِّدُا أبناءهم على أداء الصلوات فى أوقاتها والتشديد عليهم إذا تهاونوا فيها . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر »(١٤) فالصلاة تعصمهم من السوء وتربطهم بأخلاق الإسلام والتأدب بآدابه .. فتطهر نفوسهم وتسمو بغرائزهم نحو الخير والفلاح ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ

(١١) التحريم (٦) .
(١٢) رواه أبو داود باسناد حسن
(١٣) متفق عليه رواه البخارى ومسلم .
(١٤) حديث حسن رواه أبو داود والترمذى .

عَلَيْهَا﴾(١٥) ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾(١٦) .

ينبغى على كل أب وأم أن يجذبوا أولادهم إلى قراءة الكتب النافعة التى تنمى أفكارهم وتفتح آفاقهم على العلم والمعرفة وبذلك يشغلون فراغهم بما يعود عليهم بفوائد جليلة والإنسان عندما يتعود على القراءة فى صغره تصبح عادة عنده وما أعظمها من عادة ننشىء عليها أطفالنا .

وما أشق الخلافات التى تنشأ بين الأب والأم على الأبناء : كم تترك من مرارة فى نفوسهم صغاراً وكباراً .. إنها تخلق فجوة عميقة فى حياة الأسرة وتثير النكد والكآبة فى جو البيت فيهرب الابن منها وكثيراً ما يقع فى يد لا ترحم ويكون الضياع الذى لا رجعة منه ، ونسب كبيرة من أسباب التشرد مصدرها الخلافات الأسرية فيجب على الآباء والأمهات أن يجنبوا أبناءهم ما يقع بينهم من خلافات رحمة بهم وحماية لهم من مواقف لا تؤمن عواقبها .

ينبغى عليهم أن يكونوا قدوة حسنة فى سلوكهم وتصرفاتهم أمام أولادهم فالأولاد يحاكون آباءهم وأمهاتهم يقتدون بأعمالهم وتنتقل إليهم أخلاقهم وكثيراً ما يبقى سلوك الآباء ماثلاً فى عقول أبنائهم ومؤثراً فى سلوكهم طيلة حياتهم .

إن تربية الأبناء تحتاج إلى حكمة كبيرة فتتوازن الرحمة مع الحزم واللين مع القسوة وقبلة حانية على جبين الطفل تسكب فى قلبه الدفء والحنان فيحس بأنس الأبوة وعطفها وكثيراً ما فعل الحنان الأعاجيب فحول الضعف إلى قوة والتردد إلى إقبال والفشل إلى نجاح ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة . فقد كان يأخذ أطفال أصحابه بين ذراعيه ويطرب لذلك . وكان إذا مر بصبية يقرئهم السلام(١٧) . قالت عائشة : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أتقبلون أولادكم فما نقبلهم . فقال النبى عليه الصلاة والسلام له : أو أملك لك شيئاً أن نزع الله من قلبك الرحمة(١٨) .

وكما أن الأبناء فى حاجة إلى الرحمة والحنان فهم كذلك يحتاجون إلى وقفات حازمة تقوم أعوادهم وتصحح مسارهم وتنبههم من غفلاتهم والشاعر العربى يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً
فليقسُ أحياناً على من يرحم

وبهذه التربية الرشيدة الحكيمة تصل السفينة إلى مرفأ الأمان ويتسلم الأبناء مسئولياتهم فى بناء الأمة واستمراريتها متطورة ناهضة شامخة فى العالمين .

محمد عبد السميع شبانة

---

(١٥) طه (١٣٢) .
(١٦) العنكبوت (٤٥) .
(١٧) رواه الترمذى
(١٨) رواه البخارى .

الفتاوى

س : من السيد م . أبو العلا .

شاب يريد الزواج من بنت خاله وهو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن يوجد للشاب أخت رضعت من أم الفتاة فما الحكم ؟

جـ : مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة برضاع أخت الشاب من أم الفتاة .

س : من السيد ع . على .

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية وبعد مدة قصيرة فسخ الخطبة فما الحكم فى الشبكة ؟

جـ : الشبكة جزء من المهر والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ومادام فسخ الخطبة ولم يعقد عليها فإن الشبكة ترد إلى الخاطب وليس للمخطوبة حق فيها لأنها أجنبية .

س : من السيد س . خيرى .

هل يجوز للرجل أن يتزوج من بنت ابن زوج أمه سابقا من زوجة أخرى علما بأنه لم يكن بينهما رضاعة وما الحكم ؟

جـ : يجوز للرجل أن يتزوج من بنت ابن زوج أمه سابقا من زوجة أخرى مادام لم يكن بينهما رضاع لأنها ليست من المحرمات .

س : من السيد م . شمس الدين

ما جزاء الزوجة التى تمتنع على زوجها فتحرمه من حقوقه الجنسية وما الحكم ؟

جـ : لا يجوز للمرأة أن تحرم نفسها على زوجها وتمنعه من حقوقه الجنسية فهى بهذا العمل آثمة فالحديث يقول « إذا دعا الرجل

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
الأستاذ صفوت عبد الجواد

امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه واللفظ للبخارى .

وعلى الزوجة كفارة التحريم على نفسها لما أحله الله لها وهى إطعام عشرة مساكين .

س : من السيدة أ . محمود المصرى

طلقنى زوجى أكثر من ثلاث طلقات متجزءات متفرقات بقوله لى فى أول مرة : أنت طالق ، وذلك من حوالى سبع سنوات وراجعنى إلى عصمته ، وفى المرة الثانية قال لى : على الطلاق أنت مطلقة حوالى تسع مرات وراجعنى على عصمته . وفى المرة الثالثة قال لى : على الطلاق أنت مطلقة حوالى عشر مرات وفى مرة رابعة قال أنت طالق إن لم تأخذى أجازة بدون مرتب وفى المرة الخامسة قال لى على الطلاق أنت مطلقة وقد توجهت أنا وزوجى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وأفتى فضيلة رئيس اللجنة بأننى طلقت من زوجى طلقة بائنة بينونة كبرى لا أحل له إلا بزواجى من أجنبى زواجا شرعيا ثم يطلقنى أو يموت عنى فيمكن بعد انتهاء العدة أن أعود إلى زوجى الأول بعقد ومهر جديدين وشهود وحينما طالبته بكتابة ذلك لنأخذ من فضيلة رئيس لجنة الفتوى الرد كتابة بذلك رفض زوجى وأصر على أن يعاشرنى معاشرة غير مشروعة أرجو إعطائى ما يفيد ذلك .

جـ : نفيد أن كل ما ذكرته السائلة من الطلقات التى قالها لها زوجها خلال الحياة الزوجية صحيحة حيث أن الزوج حضر أمام اللجنة ، وأقر بذلك كما أقر أنه طلقها أكثر من ثلاث مرات متفرقات بقوله لها أنت طالق وأن اللجنة افتته بأن زوجته المذكورة أصبحت محرمة عليه وبانت منه بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا فإذا طلقها أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للأول بعقد ومهر جديدين وحينما طالبته اللجنة بتحرير الألفاظ كتابيا رفض .

ومن أجل ذلك ننصح السائلة برفع الأمر إلى القضاء مع عدم تمكين المذكور من معاشرتها جنسيا حيث أنها أصبحت أجنبية اهـ

من أعلام الأزهر

الإمام الأكبر فضيلة الدكتور

مصطفى عبد الرازق

لا شك أن الإنسانية فقيرة إلى جبابرة العقول ، والطبيعة يندر فيها العباقرة . ومن أولئك الأفذاذ العباقرة إمامنا الأسبق الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الرازق (باشا) الذى شرف دنيانا عام ١٨٨٢م ثم فارقها ـ بعد أن أورثها ذخيرة من علمه وأدبه عام ١٩٤٧م[1] .

يصل منبت هذا العالم الجليل بعائلة ترقى أرومتها إلى منابت المجد الأثيل تنميها أم سرية الخلق ، مفرطة الحساسية ، ووالد تربى فى الأزهر الشريف على رجولة فذة ، ونعمة فائقة ، لا تعدم فيه رقة الطبع ، ولين الجانب فوالده حسن باشا عبد الرازق الكبير ، لقب بهذا اللقب للتمييز بينه وبين ابنه حسن باشا عبد الرازق الصغير ، شقيق فضيلة الأستاذ الأكبر ، كان رضوان الله على أبيه العالم من أفاضل علماء الأزهر ونبهائهم ، وكان فقيها أديبا نظم الشعر ولكن لم ينشره كعادة بعض العلماء وقتئذ وظهر علمه بالفقه فى مجلس شورى القوانين ، فلقد أعانه فقهه على فهم القوانين ، ودقة النظر فى انتقادها ، حتى كان من رجالات المجلس ، يشار إليه بالبنان . وجّه حسن باشا أبناءه توجيها حسناً يشهد له بالعلمّ والفضل ، فوجّه حسناً وحسيناً إلى مدرسة الحقوق ، فكان الأول محامياً أهلياً ، ومدرساً بمدرسة (البوليس) ، وألزم الثانى بعد أن قُبِل محامياً فى المحكمة المختلطة بأن يكون عمدة فى بلده (أبو جرج) بمحافظة المنيا ، ووجّه محمود باشا إلى الإدارة ، وإبراهيم وإسماعيل إلى مدرسة الزراعة ووجه أستاذنا الأكبر ، والشيخ على بك عبد الرازق إلى التعليم الدينى ، فحفظ الأستاذ الأكبر القرآن الكريم ، وتعلّم التعليم الأولى فى أحد

(*) الكاتب : أستاذ بالمعاهد الأزهرية .

(١) يذكر كتاب « شيوخ الأزهر » الذى أخرجه الأزهر فى مناسبة العيد الألفى ـ أن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق من مواليد ١٨٨٥ بقرية (أبى جرج) التابعة لبنى مزار بمحافظة المنيا ، ونلحق بآخر المقال الترجمة الواردة بالكتاب ... مجلة الأزهر

للأستاذ

محمود عبد الرازق عقباوى

المكاتب ، ثم التحق بالأزهر ، وتتلمذ على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فكان طالبا مجداً نجيباً ، وأخذ فضيلته الشهادة العالية سنة ١٩٠٩ فكان أول فرقته ترتيباً ، وأصغر زملائه سنا وسافر إلى فرنسا ، والتحق بالسوربون فى باريس لدراسة الفلسفة وعنى من فروعها بالأخلاق وعلم الاجتماع ، ثم استدعاه الأستاذ (لمبرت) الذى كان من قبل ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية إلى (ليون) ليساعده فى درس القانون المقارن ، وعهد إليه بتدريس الشريعة الإسلامية فى (كلية ليون) ، كما عهد إليه أيضاً بتدريس اللغة العربية فى (ليون) نفسها ، وعمل فى فرنسا رسالة عن الإمام الشافعى بالفرنسية بالاشتراك مع أحد المستشرقين ، وله أيضاً بالفرنسية دراسة عن الوحى ، وأخرى عن الإسلام ، وله عدة محاضرات ألقاها فضيلته فى جامعة بيروت عن الدين ، وهذه الأبحاث (الدين والوحى والإسلام) نشرتها الجمعية الفلسفية المصرية فى مؤلف خاص سنة ١٩٤٥ . وقد كانت كتبه فيض عقل كبير وله أيضاً كتاب عن فيلسوف العرب والمعلم الثانى نشرته الجمعية وله دراسات عن البهاء زهير ، والتمهيد فى تاريخ الفلسفة ، وكتاب عن الشافعى نشر فى مجموعة أعلام الإسلام ، وكتاب عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ولفضيلته زيادة على ذلك مؤلفات لم تنشر فى المنطق والتصوف والأدب العربى ، ولما عاد من فرنسا ، اشتغل سكرتيراً عاماً

للأزهر والمعاهد الدينية ثم نقل إلى وزارة الحقانية مفتشاً للمحاكم الشرعية ، ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

وفى سنة ١٩٣٨ اختير وزيراً للأوقاف فى وزارة محمد باشا محمود ، ولم تَنْقطع صلته بالجامعة فى البحث والدرس طيلة السنين التى تولى فيها الوزارة ، بل كان يلقى المحاضرات ، ويشترك فى مناقشة الرسائل . وتقلد الوزارة

من أعلام الأزهر

مرتين فى وزارة محمد محمود باشا ، ومرة فى وزارة حسن صبرى باشا ، وحسين سرى باشا ، وأحمد ماهر باشا ، والنقراشى باشا ، إلى أن عين شيخاً للأزهر سنة ١٩٤٥ . ولما صدر الأمر الملكى بتعيينه شيخاً للأزهر ، طلب فضيلته من فاروق الأول ملك مصر يومئذ إعفاءه من لقب (باشا) ، فأجابه إلى طلبه .

الأستاذ الشيخ منصور رجب يحدثنا عن فضيلة الأستاذ الأكبر فيقول :

من حسن الحظ أن أعطيت دفة سفينة الأزهر إلى رجل مصلح بطبعه ، جامعى بفطرته خبر النظام الجامعى فى أوربا وفى غيرها ، ومثقف فى الناحيتين الشرقية والغربية ، فهو قدير على السير به مع قافلة الزمن بما يناسب روح العصر ، ويتمشى مع ماورثنا من عرف صحيح ، ذلك هو فضيلة الأستاذ الأكبر ، الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وفضيلته علم من أعلام الفكر ، ومؤمن من كبار المؤمنين المخلصين للأزهر ، الغيورين عليه ، المهتمين بشئونه ، فأملنا كبير فيه .

ويقول الأستاذ منصور رجب : لو أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق أعطى فى الأصل أن يختار نفسه ، لما تمنى أكثر مما منّ الله عليه به ، فهو أصيل الجدود ، عريق النسب ، من أسرة مشنهورة بالعلم والفضل شب فضيلته من حداثته ، يشعر بمالم يشعر به الكبار من قومه وليس أدل على ذلك من شهادة الإمام الشيخ محمد عبده نفسه فى خطاب أرسله إليه ، قال :

ولدنا الأديب : خير الكلام ماوافق حالا ، وحوى من النفس مثالا تلك أبياتك العشرة ، رأيتنى والحمد لله متربعاً فى سبعة منها ، كأنها الكواكب تسكنها الملائكة ، ومابقى كأنه الشهب نور للأحياء ، ورجوم للأشقياء ، ما سررت بشىء سرورى بأنك شعرت من عام حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك ، فلله أنت ، ولله أبوك ، ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء مايملأ عليك الفضاء ، ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء أن يمتعنى الله من نهايتك بما تفرسته فى بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية إليه ، وينشط بنفسك لجمع قومك عليه ، والسلام .

ويقول الشيخ منصور : (كان الأزهر فى أول عهده يتولى شئونه رجل يسمى مشرفا ، ومعه أربعة ، وفى عهد المماليك كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً ، منهم الأمير (الطواشى بهادر) المقدم على المماليك السلطانية ، وَلِىَ نظره سنة ٧٨٤هـ وهو الذى نجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم بعضا ، إذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعى . ومنهم الأمير صودوب القاضى حاجب الحجاب ، وَلِىَ نظره سنة ٨١٨هـ .

وفى حطط المقريزى جـ٤ ص ٥٤ وما بعدها :

استمر النظام على هذه الحال فى الأزهر ، يتولى شئونه ناظر ينتخب من كبار الموظفين ، ولم يكن له رئيس علمى من أبنائه إلا فى العهد التركى ابتداء من عام ١١٠٠هـ يسمى شيخ

الأزهر ولا أريد أن أطيل ، فتولى مشيخة الأزهر قبل الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق واحد وثلاثون شيخاً ، أولهم الشيخ عبد الله الخرشى المالكى ، والواحد والثلاثون هو الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى تولى مشيخة الأزهر مرتين ، ثم تلاه إمامنا الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى نقتطف له هذه المقدمة التى كتبها فضيلته تقديما لكتاب فضيلة الشيخ محمد يوسف موسى ، قال : منذ أكثر من عشرين عاماً كنت سكرتير مجلس الأزهر الأعلى والسكرتير العام للمعاهد الدينية ، وكنت بحكم منصبى متصلا بمناهج التعليم فى الأزهر ، ومايقرر تدريسه من الكتب ، وأذكر أنه فى ذلك العهد كان قرر تدريس كتاب « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه فى بعض السنين الدراسية ، وسرنى ذلك لأننى كنت أحب أن تجد كتب الفلاسفة الإسلاميين منفذا إلى المعهد الإسلامى الأكبر ، ولم يمض زمن طويل حتى علمت أن المدرسين والطلاب شكوا من تدريس رسالة ابن مسكويه وقد اطلعت أخيراً على كتاب الأستاذ الفاضل الشيخ محمد يوسف موسى اسمه (تاريخ الأخلاق) ، والكتاب عرض طيب لتاريخ الأخلاق فى الشعر القديم ، وعند الإغريق فى العصور المختلفة ، وفى القرون الوسطى وفى الفلسفة الحديثة ، وفى الإسلام عند الفلاسفة وغيرهم ، عادت بى الذاكرة حين راجعت فصول هذا الكتاب الذى يؤلفه مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين إلى ما كان من حديث ابن مسكويه فأدركت ما حدث من التغيير فى الجو العلمى الأزهرى فى أقل من ربع قرن من الزمان ، ورجوت أن يكون ذلك آية من آيات الحرية الفكرية فى البحث العلمى التى التمس المصلحون شيئاً منها للأزهر الشريف منذ زمان ، ووجدوا فى سبيل مسعاهم أذى كثيراً .. اهـ انتهى الكلام .

اهتمت مجلة (العربى) بإحياء ذكرى الأستاذ الأكبر فى عددها الرابع والسبعين عام ١٩٦٥ ، والمتحدث فى هذا العدد تلميذه الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، يقول : « وكان تعيينه شيخا للأزهر خلفا للشيخ المراغى تتويجا لحياته العلمية الحافلة ، وفى هذا المنصب الرفيع وهو منصب شيخ الإسلام ، كان مصطفى عبد الرازق مجدداً ، واسع أفق النظر ، عمل بجد وحصافة طوال الفترة التى تقلد فيها هذا المنصب رغم قصرها ، فبدأ بإدخال اللغات الأجنبية بالأزهر وشجع البعثات العلمية إلى الخارج ، فأرسل بعثات أزهرية إلى انجلترا وفرنسا ؛ لدراسة اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية بقصد تدريس هاتين اللغتين فى الجامعة الإسلامية ، وأرسل مبشرين مسلمين إلى أوغنده . كما أرسل أخيراً بعثة من المدرسين إلى الأقطار الحجازية لدراسة العقيدة الإسلامية هناك .

ومضى يتحدث عن وفائه لأستاذه محمد عبده :

كان مصطفى عبد الرازق من خاصة تلاميذ الإمام محمد عبده وأقربهم إليه بروحه وعقليته ... ، وظل الرجل وفيا لأستاذه ، حريصاً على تطبيق مبادئه وتعاليمه فلم تفته فرصة إلا انتهزها للكتابة فى الصحف عن سيرة الإمام وآرائه ووجهته فى الإصلاح ، بل

←

ذهب إلى أبعد من ذلك ، فألقى عنه سلسلة من المحاضرات فى جامعة الشعب ، كما ترجم إلى الفرنسية رسالة التوحيد ، وفوق هذا كله جاهد مصطفى عبد الرازق بقلمه ولسانه وحياته العلمية لخدمة الدعوة الإصلاحية .

ويقول : « كان أستاذنا ـ رحمه الله ـ يعتقد أن هناك شيئاً فوق العلم ، وفوق الفن ، وهذا الشىء هو مايطلق عليه اسم « الأخلاق » وقد كان الفلاسفة الرواقيون يسمونه (فن الحياة) وهو أغلى الفنون ؛ لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح ؛ أى جمال الروح ، وكان الأستاذ يرى أن الأخلاق ينبغى أن تكون فنا للحياة ، أى أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه ، وبإزاء الله والناس بمعنى أن يكون للإنسان فى حياته موقف مقرر ، وخطة مرسومة حتى لا تتجاذبه الأهواء والانفعالات ، فإن بلغ الإنسان هذه المرتبة كان حكيماً ، وآية الحكمة هى مايلزم سلوك الإنسان من ثبات واستقرار ، ولكن هذا الثبات فيما يرى الأستاذ يجب أن يكون فى فعل الخير ، وليس الخير هو مايطلبه الجمهور عادة من اللذات أو المال أو الصيت ، إنما الخير الذى هو عنده جمال الروح ... هو الحب والسماحة والجود » .

وللإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق تعليق خطه بيده على تصدير الإمام جلال الدين السيوطى الذى ألقاه لما باشر التدريس فى جامع شيخون بحضرة شيخه البلقينى .

هذا التصدير عثر عليه الأستاذ الإمام فى دار الكتب الأزهرية تحت رقم ٢٠٤ وورد فى هذه المجموعة التى تحتوى على هذا التصدير أنها بخط المؤلف ـ رحمه الله ـ فالنص أعلى الصفحة للإمام السيوطى ، والحاشية أسفلها للأستاذ الإمام مصطفى عبد الرازق وجعل الإمام هذا التصدير موضوع الدرس الذى ألقاه فضيلته أمام الملك فاروق الأول ، والملك عبد العزيز آل سعود قبل صلاة الجمعة بالأزهر الشريف الموافق ١١ من يناير سنة ١٩٤٦

وهو تصدير يحوى خطبة للإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ(٢) .

أستاذنا الشيخ مصطفى فى الصحافة

لقد عمل الشيخ الفزارى مذكرات عن الإمام مصطفى عبد الرازق وهى مذكرات طريفة لا بأس بذكرها ونشرت هذه المذكرات بـ(مجلتى) ـ التى كان يرأس تحريرها أحمد الصاوى محمد ـ فى الخامس من ذى القعدة سنة ١٣٢٣هـ ـ أغسطس ١٩٣٥م ، وهى من الأدب الوصفى وعنوان الموضوع (بلاد العجائب) . كان الشيخ أحمد أبو خطوة يدرس (رسالة الجامى) فى داره لجماعة من خاصته ، فلما فرغ منها أخذ يطالع معهم كتاب طوالع البيضاوى ثم شاع الأمر بين الأزهريين لاسيما طلاب المرحوم الشيخ عبده فأحاطوا بالشيخ (أبو خطوة) واضطروه أن يجعل الدرس عاماً ، كان الشيخ يقرأ دروسه فى (الحوش) الفسيحة لداره الجديدة بناحية الدرب الأحمر وجعلت حلقته تزدحم بأذكياء الطلاب حتى صارت

(٢) ... مجلة الأزهر ترجو أن تتمكن من نشره .

صورة طبق الأصل لحلقة الشيخ المفتى فى الرواق العباسى ، وكان الكثيرون من تلاميذ دار العلوم يواظبون على تلقى هذه الدروس اغتناما لفائدتها على ماكان يكلفنا ذلك من العناء لبعد مساكننا عن منزل الشيخ واضطررنا للسير مع أننا ننتبه من نومنا مبكرين ، انقطع الشيخ أبو خطوة عن هذه الدروس الليلة فجأة من غير سبب معروف وترك تلاميذه فى حيرة وأسف ، وقد أحاطت بهذه الحادثة شائعات وسارت سمر المجالس فى الأزهر ورنّ لها صدى فى المجامع ، ويظهر أن الخبر اليقين هو مارواه لى زميلى الشيخ ع . ع الذى هو من أخص تلاميذ الشيخ أحمد (أبو خطوة) وأدناهم إليه ولأبيه صلة رُدّ بالأستاذ ، وقال سألت الشيخ عن سبب مماطلته فى العودة إلى دروسه من يريد أن يصرف الإلحاح عنه من غير نيته فى الإنجاز فأجاب : إن التفاف طلاب المرحوم الشيخ عبده حولى واجتماعهم فى دارى واشتغالنا بقراءة كتب عزيزة بين الأزهريين أخذ يقلق أهل الحول والطول ... ، وإن الذين وجدوا سبيلاً إلى رمى المرحوم الشيخ عبده بالإلحاد والتفلسف وهو يتلو كتاب الله ويفسره لا يعجزهم أن يتسقطوا الشيخ (أبو خطوة) وهو يدرس كتاب الطوالع ويزيد الأمر هرجا أنى صديق لـ ... وهم عصابة المرحوم المفتى قلت : ماللعلم وهذه الاعتبارات ؟ قال : نحن يابنى فى بلاد العجائب ، ثم قال زميلى : وصادفت بعد ذلك ع .. باشا فقلت له أتعجب ياباشا للشيخ (أبو خطوة) يظن أن قراءة كتاب توحيد فى داره لجماعة من الطلبة أصبح مخوف العاقبة ؟ ، فوضع الباشا يمينه على كتفى ، وقال : تلك هى سنوك الثمانية عشرة التى تتكلم ، **لا موضع للعجب فيما يقول شيخك ، وستخاف مثلنا متى حنكتك التجارب وأدركتك رزانة السن وعرفت من أمر بلادنا** مانعرف . زاد صاحبى ، وعندئذ **قلت فى** نفسى : « **اللهم إن كانت خطواتى فى سبيل** الحياة تقربنى من الحذر **وتجعلنى أخاف** بشراً فى حريتى فاقبضنى إليك ! ، **ولا أفتأ** أجعل هذه الكلمة وردى منذ **سمعتها** » .

ولتلك المذكرات بقية **لا تتسع** المجلة لذكرها .

الإمام الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق عن كتاب "شيوخ الأزهر"

ولد سنة ١٨٨٥م (أبى جرج) **تابعة لبنى** مزار بمحافظة المنيا من أسرة عريقة **فى الجاه** والعلم والثراء ، وكان جده **صديقا (لسعيد** باشا) وصحبه إلى (استانبول) .

وأبوه كان رفيقا للشيخ محمد عبده واشترك معه فى إنشاء (الجمعية الخيرية الإسلامية) وحفظ القرآن وشغف بالعلم وأحب الصحافة من صغره فأنشأ مع أخوته وأقاربه صحيفة كان يطبعها (**بالبالوظة**) وأنشأ جمعية (غرس الفضائل) سنة ١٩٠٠م .

ثم نشرت له الصحف العامة **مقالات** وبحوثا وقصائد وتأثر بفكر الشيخ **محمد** عبده .

ولما مات الإمام اتفق مع تلاميذه على أن يواصلوا سياسته الإصلاحية **وألفوا** (الجمعية الأزهرية) ورأسها ونال **العالمية** سنة ١٩٠٨م وانتدب للتدريس **بمدرسة**

←

من أعلام الأزهر

القضاء الشرعى واشترك فى (جمعية تضامن العلماء) التى تطالب بالإصلاح ، وغضب الخديوى وأوعز إلى مدرسى مدرسة القضاء أن يستقيلوا منها فاستقال الشيخ مصطفى من المدرسة وظل بالجمعية وسافر إلى باريس سنة ١٩٠٩م وصحبه (أحمد لطفى السيد) حيث درس بالسربون تاريخ الفلسفة وترجم كتاب (العقيدة الإسلامية) للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية وعاد سنة ١٩١٤م .

وفى سنة ١٩١٥م عين موظفاً فى مجلس الأزهر الأعلى وكان (السلطان حسين) معجباً بعلمه وأدبه وحسن لغته وترجم لبنت السلطان العثمانى كتابا بالفرنسية إلى العربية (طيف خيال ملكى) .

فى سنة ١٩١٦م عين سكرتيراً لمجلس الأزهر الأعلى واستطاع أن يتعرف على كبار العلماء وأصبح بيته ندوة يومية يؤمها الأدباء والشعراء .

وفى سنة ١٩١٧م أنشأ رجل سويدى ماسمى (بجامعة الشعب) وألقى فيها الشيخ مصطفى عدة محاضرات ثم انضم إلى حزب (الأحرار الدستوريين) ثم صدر قرار بتعيينه مفتشاً بالمحاكم الشرعية سنة ١٩٢٠م .

وفى سنة ١٩٢٧م نقل أستاذاً مساعداً فى الجامعة ولما خلا كرسى الفلسفة شغله عن جدارة وأعطى طلابه علما متجدداً متفتحا ثم اختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٣٨م .

كما عين عضوا بالمجمع اللغوى سنة ١٩٤٠ ونال رتبة الباشوية سنة ١٩٤١م .

وشغل منصب وزير الأوقاف (سبع مرات) وهو مالم يحدث لأحد وكان أول أزهرى يتولى هذا المنصب .

وصدر قانون خاص له ليتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٥م ومات سنة ١٩٤٧م .

– وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه (أصول الفقه) .

ومن مصنفاته :

١ – ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للشيخ محمد عبده .

٢ – رسائل موجزة بالفرنسية عن الأثرى الكبير بهجت بك .

٣ – رسائل موجزة بالفرنسية عن معنى الإسلام ومعنى الدين .

٤ – التمهيد لتاريخ الفلسفة .

٥ – فيلسوف العرب والمعلم الشاق .

٦ – الدين والوحى فى الإسلام .

٧ – الإمام الشافعى .

٨ – الإمام الشيخ محمد عبده .

٩ – مذكرات مسافر ومذكرات مقيم .

١٠ – بحث فى دراسة حياة البهاء زهير وشعره .

١١ – من آثار مصطفى عبد الرازق (مجموعة مقالات وأحاديث) .

١٢ – مؤلف كبير فى المنطق .

١٣ – مؤلف كبير فى التصوف .

١٤ – فصول فى الأدب .

١٥ – مذكراته اليومية .

وبعد : فهذا هو « المصلح الخطير الذى سبق عصره وسبق معاصريه » الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق – رحمه الله –

محمود عبد الرازق عقباوى

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

هنا المؤمنون

إلى الكلمة

عاقبة الطغيان

هنا المؤمنون

أيا سائلى من هم المؤمنون ؟ وكيف تُرى يُعرف المسلمون ؟
هم الأذكياء هم الصادقون هم الانقياء هم الطاهرون
تضىء البصائر فى قلبهم إذا أطبقت ظلمة بالعيون
رفاق إذا ما الدجى زارهم بجوف محاريبهم يسجدون
لهم همة كشموخ الجبال وعند النزال هم الصّامدون
لهم فى الوغى عزمات الأسود إلى النصر أو للردى يسبقون
فما الروح إلا عطاء الإله وهم للإله بها يبذلون

●●●

قساة على الكفر لا يرحمون أباة على الضيم لا يصبرون
هداة إلى البر والمكرمات دعاة إلى الخير لا يسأمون
أمان إذا أرجف المرجفون سلام إذا خاطب الجاهلون
وبالعفو تزكو أحاسيسهم وللغيظ والشر هم كاظمون
عن اللغو والزيف هم معرضون وبالطيبات هم الناطقون

شعر: رشاد محمد يوسف

إذا صكت الريح سمع الزمان   فأصداء تكبيرهم يسمعون
يلبون عند النداء النداء   وللصلوات هم الحافظون
وفى رمضان هم الصائمون   وعند العطاء هم السابقون
وللحج والبيت هم يسرعون   وعند الطواف هم القائمون
تلاقت على الله ارواحهم   إلى ربهم بالتقى يرجعون
إذا ضجت الأرض بالظالمين   فليس سوى عدلهم يعرفون
وإن مال ميزان حكامهم   هم المقسطون هم العادلون
يحبون فى الله إخوانهم   على غيرهم دائما يؤثرون
وكم شيدوا من صروح العلوم   ومن فلسفات بها يعرفون
وقامت على أرضهم للحياة   حياة بها يشهد الشاهدون
أعادوا إلى الكون روح الأمان   بما ينطقون وما يفعلون
فيا سائلى أننا هاهنا   هنا المسلمون هنا المؤمنون
وبالحق قد ساد أجدادنا   ونحن على دربهم سائرون
سنُرجع ماكان من مجدهم   سنُرجع ماكان أو لا نكون

إلى الكلمة

انطلقى من جوف الظلمهْ

ياجسد الفكرة ياكلمه

هيّا ... هزّى .. هزّى قلمى

وانتفضى فى ثورة ألمى

ياأصبع عملاق يفرد أجنحة الفن المنهزمهْ

قولى شيئاً ... شيئاً يصعد ... يتواثب . يعلو للقمهْ ..

ياجسد الفكرة ... ياكلمهْ . !

* * *

أيتها الكلمة كم يحمل معناك شقاءً وسعاده !

شُطّآنُك أرضٌ وسماءٌ وحروفك كفرٌ وعباده

وإذا استعصيت على شفتى . لن يبلغ فنى أمجاده

فانطلقى أيتها الكلمة .. انطلقى عزماً وإراده ..

وخذى عمرى أَجْرَ نَشِيدِ عُذْرِي أَشْهدُ ميلادَهْ

* * *

للشاعرة: جليلة رضا

كم صورٍ أَثْرَتْ في ذهني ، نقلتها الشفتان فقيره ..
ولحون غردها قلبي .. فانسابت بكماء ضريره
وحروب في داخل نفسي . خرجت للعالم مقهوره
فانطلقي ايتها الكلمة .. انطلقي أصلاً .. لا صوره
وخذي عمري أجر نشيدٍ عذريّ أحسن تعبيره ...

* * *

كم ليلٍ تنساب الذكرى ، صوراً وحقائق وظنونا
فتغوص الكلمة في حلقي ، كمحيطٍ يبتلع سفينا
ويموج فراغ في قلبي . كالمسجد دون مصلينا
وعلى باب الكلمة أهتف : انطلقي شوقاً وحنينا
وخذي عمري أجر نشيدٍ . يتلوه العالم مفتونا ..

* * *

ايتها الكلمة صوغيني فنًّا يرتفع بدنياه
صوغي من إيماني مرسى للهائم في بحر أساه
لمّي أعماقي المحطومة ورداً أتنفس بشذاه
فالألم هو الفنّ الخالد .. هاتيه فكم أتمناه
وخذي عمري أجر نشيدٍ قدسيّ باركه الله

عاقبة الطغيان

شعر : أحمد محمود مبارك

راح يمضى فى خطاه الدنيويَّهْ صابغاً بالسوءِ أفعالاً ونيَّهْ
يطفىء النورَ الذى يجذبهُ لحديث الرُّشْدِ والروح النقيَّهْ
يسمع الهمسَ الذى يدفعهُ للعلا فوق عظامٍ بشريَّهْ
خنجرُ البطشِ الذى فى يدهِ قدَّمَ العقل لإبليسَ هديَّهْ
راح يعلو فى غرور رافعاً بيرقَ الزور وراياتِ الخطيَّهْ
لا يبالى بدماءٍ حُرِّمَتْ لم تبدِّدْ سنواتُ العمر غَيَّهْ
بل مضى يزهو بما يفعلهُ ويغنِّى فوق أشلاءِ الضحيَّهْ

• •

ثم دارت دورةُ الأيام إذ بالذُّرى سفْحٌ وبالأضواءِ ظُلْمَهْ
وجنى الماضى اكْتئاباً ساحقاً كل غرْسٍ غرستْهُ اليدُ نِقْمَهْ
كلُّ طيفٍ حولهُ أشباحُ مَنْ كان يسقيهم مدى الأيام جُرْمَهْ
وتولَّى كلُّ جمعٍ حولَهُ مَنْ يواسيهِ ومَنْ يحمل هَمَّهْ
والذى بارك يوماً فعلَهُ قد غدا يُلقى عليهِ كلَّ تُهْمَهْ
وتمنَّى الموتَ لو يُنقذهُ ويوارى اللحدُ بِلواهُ وسُقْمَهْ
حالةٌ تمشى على الأرض لمن لم يزل يحتاج تَذْكاراً وحِكْمَهْ

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

خصائص المنهج العلمي

النمو والتطور في الطفل

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

العمق الرابع والعشرون

التقاويم

تقديم :

فى أية لحظة أثناء اليوم تضىء الشمس نصف الأرض المواجه لها . بينما يخيم الظلام على النصف الآخر . وهناك ظواهر ضوئية تحدث فى جو الأرض السفلى فى النصف المضىء وعلى طول الحزام الفاصل بين النصفين المظلم والمضىء . مثل ضوء النهار ، والشفق والغسق ..

وضوء النهار سببه تناثر أو تشتت ضوء الشمس فى طبقة الهواء القريبة من سطح الأرض والممتدة إلى ارتفاع نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط بسبب تكدس الهواء فيها ، ومن ثم عظمت كثافته بالنسبة إلى الهواء الذى يعلوه إلى قمة الجو على ارتفاع نحو ألف كيلو متر وبسبب التشتت هذا يقبل ضوء النهار من كل الاتجاهات ، وهذه من نعم الله تعالى علينا .

وعندما ينتصف النهار (الظهر) فى مكان ما على الأرض يكون المكان المقابل له على الجانب الآخر من الأرض فى منتصف الليل . ومعنى ذلك أننا إذا اعتبرنا الظهر منتصف النهار يكون لكل خط من خطوط الطول (الزوال) ، ومن ثم أى مكان عليه ، زمنه الخاص .

وليس من السهل أن نعمد إلى تغيير الزمن كما تشير إليه ساعاتنا كلما اتجهنا شرقاً أو غرباً ، ولهذا قسم سطح الأرض إلى ٢٤ منطقة [بعدد ساعات اليوم] كما تحددها خطوط الزوال ، وأطلق عليها اسم (المناطق الزمنية) . و (الزمن الرئيسى) لأية منطقة هو الزمن الذى يتبع الشمس عند خط زوال عاصمة تلك المنطقة . وهذا هو السر فى عدم توافق المزاول الشمسية وأوقات الصلاة والصيام ونحوها فى مختلف بلاد القطر الواحد مع ساعاتنا المضبوطة على الزمن الرئيسى للمنطقة .

وبقسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ منطقة تخص كل منطقة ١٥ درجة من خطوط الطول . ومعنى ذلك أن هناك إزاحة قدرها ساعة لكل ١٥ درجة . وقد تم اتخاذ [مدينة جرينتش

للدكتور:
محمد جمال الدين الفندى

ومرصدها] مكاناً يمر به خط الزوال الدولى [أو خط طول صفر درجة] وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر . ويعرف وقت جرينتش هذا باسم (الوقت العالمى) . وعلى المسافر غرباً تأخير ساعته بمقدار ساعة واحدة لكل ١٥ درجة من خطوط الطول ، أما المسافر شرقاً فيلزمه تقديم ساعته . ويسبق زمن القاهرة مثلاً الزمن العالمى بمقدار ساعتين .

تعاريف فلكية :

يعرف يوم الشمس المتوسط بأنه الزمن بين عبورين متتاليين للشمس المتوسطة على زوال الراصد ، ويساوى ٢٤ ساعة شمسية متوسطة ؛ وكما نعرف الأسبوع سبعة أيام ، والسنة ١٢ شهراً :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . ﴾ التوبة (٣٦) - أى فى حكم الله وتقديره منذ بدء الخليقة ، وهو عين ما يشاهد من حركة القمر حول الأرض .

أما [النسىء] وهو زيادة عدد شهور السنة ، فيضاف شهر آخر لأغراض شتى ، فقد نهى عنه القرآن الكريم وحرمه :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً . . . ﴾ التوبة (٣٧) أما عدد أيام الشهر فهى إنما تختلف باختلاف التقاويم واختلاف الشهور .

وجدير بالذكر أن الشهر القمرى هو وحده دون سائر شهور التقاويم الأخرى (مثل التقويم الشمسى أو التقويم النجمى) الذى يمكن تتبعه بالرصد والمشاهدة كل ليلة فى السماء عن طريق رصد أوجه أو منازل القمر :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ يس (٣٩) -
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . . ﴾ يونس (٥) .

وبينما نجد أن عدد أيام الشهور فى التقاويم الأخرى مسألة اختيارية فإن طول الشهر القمرى ٢٩,٥٥٠٣٣٩ يوم متوسط كما تحدده دورة القمر .

وفى التقويم الشمسى تعادل السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢٢ يوم شمسى متوسط .
أما فى التقويم النجمى فإن السنة النجمية تساوى ٣٦٥,٢٥٦٣٦٤ يوم شمسى متوسط ، بينما السنة القمرية فيها :
١٢ × ٢٩,٥٥٠٣٣٩ = ٣٥٤,٦٠٤٠٦٨ .

ولما كان العمق الرابع والعشرون من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم يتعلق

←

بالآيات الكريمة التى تعرضت للتقويم وحساب الزمن وتحديد عدد شهور السنة .. فإنه من العجيب والمعجز علمياً أن يقودنا الحساب الدقيق فى هذا العصر إلى أن عدد أيام ٣٠٠ سنة شمسية هو نفسه عدد أيام ٣٠٩ سنة قمرية مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ الكهف (٢٥) . فعدد الأيام فى ٣٠٠ سنة شمسية هو :

٣٠٠ × ٣٦٥,٢٤٢٢ = ١٠٩٥٧٢,٦٦

وعدد الأيام فى ٣٠٩ سنة قمرية هو :

٣٠٩ × ٣٥٤,٦٠٤٠٦٨ = ١٠٩٥٧٢,٦٦

وليس هذا التطابق هو عجب العجب ؟!

مجمل التقاويم :

١ - **التقويم الشمسى** : يقوم على أساس السنة الشمسية ، ومن أجل توحيد هذا التقويم اعتبرت السنة تساوى ٣٦٥,٢٥٠ يوماً بدلاً من ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً ، أى بزيادة ١١ دقيقة فى السنة .. وهذا هو سبب الخلاف الفلكى بين كنائس الشرق والغرب فى تحديد أعياد الميلاد . ففى عام ١٥٨٢ ميلادية ، فى عهد البابا جريجور الثالث عشر ، كانت قد تراكمت بسبب هذا الفرق فترة زمنية قدرها عشرة أيام ، فأصدر البابا قراراً بجعل يوم ٥ أكتوبر عام ١٥٨٢ هو يوم ١٥ أكتوبر وهذا هو أساس التقويم الجريجورى .

٢ - **التقويم النجمى** : هو أساس التقويم المصرى القديم ، وقوامه السنة النجمية . وقد رصد قدماء المصريين نجم الشعرى اليمانية (سيدت) وبالأغريقية (سيريوس) ، ألمع نجوم كوكبة الجبار ، وأشد نجوم السماء بريقاً . وهى تشرق قبل شروق الشمس فوق الأفق الشرقى يوم وصول ماء الفيضان إلى (منف) عاصمة مصر آنئذ ، حيث يكون الصيف قد بلغ الذروة .

وكانت قريش تتعرف بالشعرى على الطريق فى رحلة الشتاء إلى اليمن :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ .

٣ - **التقويم الهجرى** : تقويم قمرى تقول عنه المراجع الأصيلة إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال : [نؤرخ لمهاجر رسول الله فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل] ولم تكن الهجرة فى المحرم ولكن تمت الهجرة فى ٨ من ربيع الأول حسب تقويم العرب . وقد وافق ذلك التاريخ مساء الخميس ١٩ من يوليو عام ٦٢٢ م . وبذلك يكون أول أيام التقويم الهجرى هو الجمعة ٢٠ من يوليو ٦٢٢ م . ولما أجمع المسلمون أمرهم على أن يجعلوا المحرم هو ابتداء التقويم الهجرى رجعوا القهقرى ٦٨ يوماً هى أيام محرم وصفر و٨ أيام من ربيع الأول . وهكذا ولد التقويم الهجرى .

وهناك فرق كبير وبون شاسع بين مولد الهلال فى أول كل شهر وإمكان مشاهدة الهلال الوليد فوق الأفق الغربى بعد غروب

الشمس بطبيعة الحال . فالهلال يولد فى السماء فى لحظة معينة بالنسبة لكل سطح الأرض . وهذه ظاهرة كونية يمكن تحديدها بكل دقة بالحساب الفلكى .

أما مشاهدة الهلال الوليد فى أى مكان على الأرض ، تمشياً مع الآية :
﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. ﴾ البقرة (١٨٥) فتلك ظاهرة محلية بحتة تعتمد على العديد من العوامل مثل :

١ ـ ما من شك أنه عندما يولد الهلال فى السماء يكمن نصف سطح الأرض المواجه للشمس فى النهار والنصف الآخر فى الليل . ومعنى الميلاد أن القمر يكون قد تزحزح قليلاً عن موضعه وهو فى حالة المحاق وبدأ خيط رفيع من نصفه المضىء الذى يواجه الشمس فى الظهور أمام سطح الأرض .

٢ ـ بطبيعة الحال فى تلك اللحظة لا يواجه نصف سطح الأرض الذى فى الليل كلا من الشمس والقمر ، ومن ثم لا يشاهد أهله الهلال الوليد .

٣ ـ يحول ضوء الشمس أثناء النهار دون مشاهدة الشهر الوليد من على نصف الأرض المضىء بضوء النهار والذى يواجه كلا من الشمس والقمر .

٤ ـ تتوفر فرصة المشاهدة بعد غروب الشمس بمدة كافية حيثما يبقى الهلال الوليد فوق الأفق خلال تلك المدة الكافية .

٥ ـ تتوقف تلك المدة الكافية على عدة عوامل فلكية وأخرى جوية .

٦ ـ هناك عوامل تلعب دورها فى عملية الرصد وتؤثر على الراصد نفسه ، منها عوامل بصرية ، وأخرى نفسية ، وقد يلعب الخيال دوراً هاماً .

٧ ـ يمكن أن يكون هلال آخر الشهر مصدراً لخطأ الراصد الذى تنقصه الخبرة . فمن منازل القمر هلال آخر الشهر الذى كثيراً ما يظهر فى آخر الشهر القمرى على الأفق الشرقى قبيل شروق الشمس ، فيظن الناظر إليه أنه هلال أول الشهر ، رغم أن الفرق بين الهلالين كبير ، خصوصاً اتجاه الهلال فى كل من الحالتين .

الحقيقة العلمية :

قلنا إن الهلال يولد فى سماء دنيانا فى لحظة واحدة بالنسبة لكل سطح الأرض وأن مولده ظاهرة كونية ، أو عالمية ، أما مشاهدة الهلال الوليد فهى ظاهرة محلية ، وأن لكل بقعة من سطح الأرض ظروفها الخاصة بها فى مشاهدة الهلال الوليد . وهذه حقيقة علمية وتفسر لنا هذه الحقيقة قول الله عز وجل :
﴿ .... يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ... ﴾ البقرة (١٨٩) .

وإذاً فإن الآية الكريمة ليست مجرد وصف للواقع ولكنها تقرر حقيقة علمية عالمية ، بأن الأهلة مواقيت للناس فى مختلف مواقعهم وللحج بالذات فى موقع مكة المكرمة ! وهكذا نلمس كيف تؤلف آيات التقويم فى حد

ذاتها عمقاً من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

المشاهدة بالرؤية وبالحساب :

تتوقف المشاهدة بالرؤية على عوامل عديدة منها :

أ ـ ما يتصل بالمكان مثل :

١ ـ الارتفاع عن سطح البحر وخط الطول وخط العرض .

٢ ـ نقاء الجو وصفاء السماء وبعد المكان عن الأضواء الصناعية . ويمكن التغلب على ذلك بالصعود إلى أعلى والرصد من الطائرات .

ب ـ ما يتصل بالراصد نفسه مثل :

١ ـ عدم الخبرة .

٢ ـ الهلوسة البصرية المعروفة طبياً ، مما يتطلب أن يكون الراصد سليماً تماماً نفسياً وبصرياً وبدنياً .

جـ ـ ما يتصل بالوضع فلكياً مثل :

١ ـ أن يكون الهلال مرتفعاً فوق الأفق وقت الغروب بحيث يمكث وقتاً يكفى لمشاهدته .

٢ ـ أن يكون البعد الزاوى عن الشمس ٨ درجات أو أكثر لكى لا يطغى عليه ضوء الشمس .

وتعترض مثل هذه العقبات سبيل التمسك بضرورة المشاهدة بالبصر ، وتجعل احتمالات الخطأ قائمة . وما من شك أنه إذا لم يكن الهلال قد ولد فلكياً (يعنى أثبت الحساب عدم ولادته بعد) يكون من العبث والخطأ الأخذ بإمكان مشاهدته بصرياً فى أى مكان على الأرض . ويصدق مجمع البحوث الإسلامية على ذلك فيقول : [إن الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل على ذلك الحديث . لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت منها التهم تمكناً قوياً كمخالفتها للحساب الفلكى الموثوق به] .

أما توحيد الأهلة الذى ينادى به البعض فيقول عنه المجمع الفقهى الإسلامى بمكة المكرمة : [لا حاجة إلى الدعوة إلى توحيد الأهلة والأعياد فى العالم الإسلامى ، لأن توحيدها لا يكفل وحدتهم كما يتوهمه كثير من المقترحين لتوحيد الأهلة ..] ..

والله أعلم

للحديث بقية

محمد جمال الدين الفندى

خصائص المنهج العلمى
فى التراث الإسلامى

٣

للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا

(أ) الملاحظـــة العلميـــة :

تكشف قراءاتنا لعلوم التراث الإسلامى عن ممارسة العلماء لمستويات مختلفة من الملاحظة العلمية فهناك الملاحظات الحسية التى تقوم على الحواس المجردة مباشرة والملاحظات المسلحة التى تتم باستخدام الأجهزة والأدوات المختلفة . وقد اكتسب كلا النوعين أهمية كبيرة فى العلوم التى لا يستطيع الباحث فيها أن يتدخل بإرادته ليغير من ظروفها كما يريد[١] ، مثل رصد الأجرام السماوية ، وتصنيف النباتات والحيوانات بحسب أوصافها وسلوكها ، وتسجيل حالات المرضى تبعاً لأعراض أمراضهم ، ومتابعة نتائج التجارب فى المختبرات . وقد أحرزت هذه العلوم تقدماً كبيراً بفضل الكثير من النتائج الهامة التى توصل إليها علماء الحضارة الإسلامية ودونوها فى أَزْياج (جداول فلكية) أو رسوم وصور أو مؤلفات ورسائل اعترف بفضلها المنصفون من مؤرخى العلم والحضارة[٢] .

وهذا الاعتراف الواضح يجعل ملاحظات علمائنا من نوع الملاحظات الجيدة التى اشترط « أدنجتون » لحدوثها أن يكون الملاحظ بارعاً شديد العناية بالتفاصيل ، ومن نوع الملاحظات العلمية الدقيقة التى عرفها « هيين » بأنها تعنى « تركيز الانتباه لغرض البحث ، وبصيرة ذات تمييز ، وإدراك عقلى لأوجه الشبه والاختلاف ، وحدة الذهن

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بعلوم القاهرة .

(١) انظر آراء فلاسفة العلم فى هذا الشأن بالرجوع إلى : د . صلاح قنصوه فلسفة العلم ص ١٤٧ ـ ١٥٠ . د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ١٤٢ وما بعدها .

(٢) انظر على سبيل المثال : سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، دار الآفاق بيروت ١٩٨١ .

خصائص المنهج العلمي

وقدرته على التمييز والفهم العميق ، لننفذ إلى أعماق ما يبدو على السطح ، وهى أيضاً فهم للملامح الأساسية لموضوع الإدراك[٣] .

(ب) التجربة العلمية :

بالنسبة للتجربة العلمية ومنزلتها من الملاحظة فقد أوصى الحسن بن الهيثم بألا يقنع الباحث باستخدام الملاحظة فى تصفح الظواهر الحسية الجزئية وتحديد خصائصها وصفاتها ، فقد تتطلب دراستها تهيئة ظروف خاصة تقتنص فيها ، ويقتضى هذا إجراء تغيير فى أحوالها وتحوير فى ظروفها وملابساتها باستخدام التجربة التى أطلق عليها اسم « الاعتبار »[٤] . ونراه قد بلغ من حرصه على الاحتكام إلى التجربة أن أعاد إجراء التجارب على عدد من القواعد التى توصل إليها الأقدمون[٥] ، إدراكاً منه لعجز المنطق الصورى الذى اتبعوه فى الوصول إلى هذه القواعد .

وهذا التعريف لطبيعة العلاقة بين الملاحظة والتجربة لا يختلف كثيراً عن رأى ريد Read بأن التجربة ما هى إلا ملاحظة نقوم بها تحت شروط معلومة[٦] ، وقول زيمرمان Zimmermann بأن التجربة تسجيل ظواهر يحددها المجرب ، والملاحظة تسجيل ظواهر بحالتها ، وقول كوفييه Cuvier بأن من يلاحظ ينصت للطبيعة ، ومن يجرب يستجوبها ويضطرها إلى الكشف عن نفسها[٧] ، وقول (بفردج) : إن التجربة تتضمن عادة إحداث واقعة تحت ظروف معروفة ، يستبعد فيها أكبر قدر ممكن من المؤثرات الخارجية ، ويمكن إجراء ملاحظة دقيقة ، وبذلك يمكن التوصل إلى ما بين الظواهر من ارتباطات[٨] . وتنطوى هذه الآراء جميعها على ضرورة إضفاء مقولات العقل على الملاحظة المشاهدة ، أو التجارب والاسترشاد بالحدس فى طريقة التفكير[٨] .

وتجدر الإشارة إلى أن شروط التجربة العلمية عند ابن الهيثم ، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية ، تنطوى على إدراكهم الواعى لمحاذير استخدام العقل فى البحث على الطريقة اليونانية . وهذا يساعد على الإقلال من الافتراضات غير المحددة إلى أدنى حد ممكن تحقيقاً لما عرف بمبدأ « الاقتصاد فى التفكير » . أو قانون أوكام Occam's Razor

(٣) لمعرفة المزيد عن فلسفة الملاحظة العلمية انظر على سبيل المثال : بفردج ، فن البحث العلمى ، الترجمة العربية ، اقرأ ١٩٨٣ . وأيضاً د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، ص ٣٥ - ٤٧ .

(٤) د . محمد عبد الرحمن مرحباً ، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١٧ ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٠ .

(٥) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٦٩ .

(٦) د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، الجزء الأول ، ص ٥٢ .

(٧) د . صلاح قنصوه ، فلسفة العلوم ، ص ٢٠٨ .

(٨) بفردج ، فن البحث العلمى ، ص ٣٣ ، ص ١٤١ .

الذى نادى به الفيلسوف الإنجليزى وليم الأكامى فى القرن الرابع عشر[٩] .

واتفاق الحسن بن الهيثم والبيرونى وجابر ابن حيان وغيرهم على الاحتكام إلى التجربة والاستقلال بالرأى والتجرد من الذاتية واعتبار الموضوعية أساساً للبحث إنما أرسى مبدأ هاماً فى المنهج العلمى يقضى بعدم الاستسلام إلى أية فكرة سائدة على أنها فوق مستوى الشك . فقد تمت الكشوف العظيمة ، ومن بينها (نظرية الإبصار) لابن الهيثم ، عن طريق تجارب وضعت وأجريت دون أى اعتبار للمعتقدات المسلم بها آنذاك . وقد ردد برنار هذا المعنى حديثاً بقوله : « إذا طرأت علينا فكرة فلا ينبغى نبذها لمجرد أنها لا تتفق مع الاستنباطات المنطقية لنظرية سائدة »[١٠] .

والجمع بين (الملاحظة) و (التجربة) و (الحدس العقلى) فى التراث الإسلامى على نحو ما ذكرنا يشير بجلاء إلى أن علماء الحضارة الإسلامية قد استشعروا أهمية هذه العناصر فى (عملية الاستقراء) ، من ملاحظة الأمور الجزئية وإجراء التجارب عليها دون فصل قاطع بين الملاحظة والتجربة . ذلك لأن الخط الفاصل بين الملاحظة والتجربة لا وجود له فى حقيقة الأمر ، وإن كان بعض فلاسفة العلم ينشغلون أكثر مما ينبغى بوضع شروط وقواعد للتمييز بينهما . فالاختلاف بينهما ، كما يصفه برنار ، ليس إلا اختلافاً بين نوعين من التجارب هما : التجارب الفعالة Active التى يقصد إليها الباحث لإحضار ظاهرة ما وتحقيق فكرة معينة ، والتجارب المنفعلة Passive التى يقوم فيها المجرب بتسجيل الظاهرة ولا يقوم بجهد من جانبه ليغير منها[١١] . فعالم الفلك الذى يرصد بأجهزته نجماً ما يقوم بإجراء تجارب منفعلة ، وعالم الكيمياء الذى يجرب تفاعلاً كيميائياً ما فى معمله يسجل ملاحظاته من خلال الأجهزة ويقوم فى نفس الوقت بتجربة فاعلة .

وقد عرف علماء الحضارة الإسلامية أنواعاً أو مستويات مختلفة من التجارب العلمية . فكان الرازى على سبيل المثال أول من جرب تأثير العقاقير الجديدة على الحيوان ، وخاصة القردة ، لاستخلاص النتائج التى يَسْتَصْوِبُهَا قبل أن يصف العلاج للإنسان . وهذا ما يعرف الآن باسم « التجربة التمهيدية » أو « الاستطلاعية »[١٢] Pilot experiment

←

(٩) عن هذا المبدأ وعلاقته بالتفكير انظر : بيفردج ، فن البحث العلمى ، ص ١٤٣ ، وايضاً جيمس جينز ، الفيزياء والفلسفة ، تعليق المترجم ص ٢٩١ .

(١٠) بيفردج ، فن البحث العلمى ، ص ١٤٧ .

(١١) كلود برنار ، مدخل إلى دراسة الطب التجريبى ، ترجمة يوسف مراد ، حمد الله سلطان ، القاهرة ١٩٤٤ ، ص : ١٦٠ .

(١٢) بفردج ، المرجع السابق ص ٣٥ .

خصائص المنهج العلمي

التى تجرى بصورة محدودة فى المعمل لمعرفة جدوى تطبيقها على نطاق واسع فى تجربة ميدانية . ولا يزال هذا الاتجاه مطلوباً فى مجال العلوم الطبيعية ، وبخاصة العلوم البيولوجية . كذلك ابتكر الرازى ما يعرف اليوم باسم « التجربة الضابطة » Control-led experiment وفيها يجرى العلاج على نصف المرضى ويترك النصف الآخر عامداً دون علاج ، ويقارن بين أثر العلاج فى الفريقين . وقد أصبحت « التجربة الضابطة » بعد ذلك من أهم خطوات المنهج التجريبى فى العلوم البيولوجية ، وتتضمن مجموعتين متشابهتين قدر الإمكان من جميع الوجوه ، فيما عدا العامل المتغير الوحيد المراد دراسته . ولا تزال هذه القاعدة متبعة على نطاق واسع ، ولكن طرق الإحصاء الحديثة تتيح الآن تخطيط تجارب لاختبار عدد من المتغيرات فى وقت واحد[(١٣)] .

بل إن علماء الحضارة الإسلامية توصلوا إلى ما يعرف ـ الآن ـ باسم « التجربة الحاسمة » Crucial experiment عملاً وتنظيراً ، وهى التجربة التى ينبنى على صحتها التحقق من سلامة أحد الفروض التفسيرية للظاهرة موضوع الدراسة . فقد أكد عليها جابر بن حيان وهو يصف منهجه بقوله : « وقد علمته بيدى وعقلى من قبل ، وبحثت عنه حتى صح ، وامتحنته فما كذب »[(١٤)] وحث أبو عبد الله القزوينى على الصبر والمثابرة فى اختبار صحة الفروض وصولاً إلى التجربة الحاسمة التى تؤكد صحة الفرض الرئيسى المراد بحثه ، فقال : « إياك أن تفتر أو تعتل ، إذا لم تصب فى مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شروط أو حدوث مانع ، فإذا رأيت مغناطيساً لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته واصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره[(١٥)] وخير مثال على التجربة الحاسمة بمفهومها الحديث نجده عند الحسن بن الهيثم عندما أراد أن يختبر صحة نظريته فى الإبصار بالمقارنة بفروض أفلاطون وأرسطو وأبيقور[(١٦)] .

وقد حذر علماء الحضارة الإسلامية من خطورة التجارب المضللة التى يجريها الباحث دون علم أو دراية تامة بأبعاد الطرق التجريبية التى يستخدمها من جميع جوانبها النظرية والعملية . فكان (الرازى) أسبق

---

(١٣) بفردج ، نفس المرجع ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(١٤) د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(١٥) كتابنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، ص ٤٤ .
(١٦) انظر تفصيل ذلك فى تحليلنا لتطور نظرية الضوء ص ١٣٢ ـ ١٣٥ بكتابنا « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » . ومما يؤسف له أن الاستشهاد بنصوص وتجارب من تراثنا العلمى يكاد يكون غائباً فى كتب فلسفة العلم العربية ، ونحن نرى أن تجربة ابن الهيثم كمثال على التجربة الحاسمة أكثر توفيقاً من تجربة (فوكو) لتقرير قبول أحد تصورين عن طبيعة الضوء التى وردت فى كتاب فلسفة العلوم الطبيعية لكارل همبل ، الترجمة العربية ص ٣٧ ـ ٣٨ ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ١٩٧٦ ، والتى نقلها عنه د . ماهر عبد القادر محمد فى كتابه « فلسفة العلوم » المنطق الاستقرائى ص ١٩٦ .

من (بيكون) إلى نقد « الاستقراء بالإحصاء البسيط » مع عدم التهوين من شأنه كما رأى (جون مل)[١٧] ومثال ذلك ما قاله الرازى فى رسالة إلى أحد تلاميذه عن سوء فهم الجهال من الأطباء لفلسفة المنهج التجريبى ، محذراً من الإفراط فى الثقة الزائدة بالنتيجة الحاسمة التى يتوصل إليها الباحثون إذا ما أرادوا توسيع النطاق الذى تنطبق عليه ، نظراً لأنهم حصلوا عليها فى ظروف كانت محددة بالضرورة . ذكر الرازى عن هؤلاء أنهم « ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات ، وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هى مثالات جعلت لتحتذى عليها وتعلم الصناعة منها »[١٨] .

(جـ) الفرض العلمى :

لاشك أن عصر الحضارة الإسلامية يمثل مرحلة مبكرة فى تاريخ العلوم الطبيعية التى تتطلب فى البدء التركيز على مراقبة الظواهر واستثارتها عن طريق (الملاحظة) و (التجربة) لجمع قدر كبير من النتائج يكفى لطرح فرض تفسيرى أو نظرية عامة . **ومن هنا كانت طبيعة علوم التراث الإسلامى يغلب عليها الجانب الوصفى أكثر من التعبير الكمى الذى يميز العلم عادة فى مرحلة متقدمة من تطوره كما فى علوم الفيزياء والكيمياء الحديثة والمعاصرة .**

ولهذا فإن « الفرض العلمى » فى تراث الحضارة الإسلامية لم يصل إلى مرتبة (التعميم) أو (التجريد) فى صيغة (قانون شامل) أو (نظرية عامة) . والقول بعكس ذلك لا يتفق وخصائص المستوى المعرفى للعلوم الطبيعية آنذاك . **لكن الاستدلال التحليلى ، من ناحية أخرى ، يؤكد ثراء الفكر العلمى الإسلامى بأهم مقومات الفرض العلمى متمثلة فى إضفاء مقولات العقل على نتائج الملاحظة والتجربة ، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكار المفاهيم العلمية المطابقة للواقع والخبرة .**

فعلى سبيل المثال ، لجأ ابن الهيثم فى شرحه لظاهرة انعكاس الضوء وانعطافه وانتشاره فى خطوط مستقيمة إلى التمثيل بحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه ، وأدخل لأول مرة طريقة تحليل (المتجه) إلى قسطين متعامدين . ووصل بخياله العلمى إلى استنتاج أن القسط الموازى لسطح المصادمة من سرعة الكرة يبقى على حاله بينما يتغير القسط العمودى بحسب ممانعة سطح المصادمة . وذكر أن الضوء يختلف عن الكرة فى « أنه ليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إن خاصته أن يتحرك على

←

---

(١٧) لمزيد من التفصيل عن الاستقراء بالإحصاء البسيط وموقف بيكون ومل منه انظر : د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(١٨) مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، ص ١٧٥ .

← خصائص المنهج العلمى

الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها إذا كانت ممتدة فى جسم مشف . فإذا انعكس وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس امتد على ذلك السمت .. واستمر حتى يعترضه مانع[١٩] .

والخيال العلمى على هذا النحو كان قوام التفكير العلمى الإسلامى ، وهو يختلف عن الخيال الميتافيزيقى فى أنه يبدأ من ملاحظة الظواهر فى الواقع لتفسيرها ويرتد إليها ملقياً عليها الضوء ، كما أنه مما يمكن التحقق من صدقه إذا ما توافرت إمكانات التجربة . ولو أنصف (أينشتين) لنسب فضل البداية الحقيقية للعلوم الطبيعية إلى علماء الحضارة الإسلامية مثلما نسب هذا الفضل فى علم الفيزياء إلى قانون القصور الذاتى لـ (نيوتن) لما رآه من أهمية للخيال العلمى الناضج المرتبط بالواقع باعتباره أحد أدوات المنهج العلمى الاستقرائى القائم على الملاحظة[٢٠] لكن سقف مكتبة الكونجرس الأمريكى يشهد بهذه الحقيقة فى عبارة منقوشة بماء الذهب ، نصها يقول : « مصر الفرعونية هى الينبوع الأول لجميع الحضارات ، وأما الينبوع الأول للحضارة فى العلوم الطبيعية إنما هى العصر العربى الإسلامى »[٢١] .

أحمد فؤاد باشا

---

(١٩) انظر تفصيل ذلك فى : مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب . د . جلال شوقى . تراث العرب فى الميكانيكا ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢٠) اينشتين وأنفلد ، تطور علم الطبيعة ، الترجمة العربية ، القاهرة/١٩٥٩ .

(٢١) د . عبد الحليم منتصر ، دعوة إلى تصحيح تاريخ العلم ، مجلة الفيصل العدد ٨١ عام ١٩٨٣ .

النمو والتطور في الطفل

للدكتورة : سحر النجار

هناك فرق بين النمو والتطور ، فالنمو معناه زيادة فى الحجم أو المقاييس وليس بالضرورة أن يصاحبها نضوج فى وظيفة العضو .. أما التطور فمعناه نضوج فى وظيفة العضو .

ويصاحب الزيادة فى حجم الأعضاء والأنسجة فى الإنسان السليم تطور فى وظيفة هذه الأعضاء . بمعنى أن النمو والتطور يسيران معاً فى خط متوازٍ .

ويمر الإنسان منذ تكوينه فى رحم أمه بمراحل نمو وتطور عديدة يمكن تقسيمها إلى :

١ ـ مراحل ما قبل الولادة داخل رحم الأم .

٢ ـ مراحل ما بعد الولادة خارج رحم الأم .

فالأولى : تبدأ بتلقيح البويضة بالحيوان المنوى ، وتنتهى بالولادة وهذه المدة تستغرق أربعين أسبوعاً ، وفى هذه الرحلة يستمد الجنين الحرارة والأوكسجين والغذاء من الأم ، والجنين أثناءها فى حماية تامة من العدوى لوجود حائل المشيمة ، كذلك هو فى حماية تامة ضد أية صدمة خارجية ، إذ هو محاط بجدار بطن الأم يليه الرحم ، فكيس المياه (الكيس الأمنيوسى) والسائل الذى بداخله (السائل الأمنيوسى) ، فثمة حواجز ثلاثة تقوم بحمايته . فأما مراحل النمو خارج الرحم فإنها تبدأ بالولادة وتنتهى عندما يكتمل نمو الإنسان . وتتميز مراحل ما بعد الولادة بحاجة الغذاء إلى هضم وامتصاص وتمثيل غذائى ، ويصير ثبوت حرارة الجسم عملية معقدة إذ لابد أن يتوازن الثبوت بين

←

* الكاتبة طبيبة بقسم التحاليل الطبية ـ مستشفيات جامعة القاهرة .

← النمو والتطور فى الطفل

الحرارة المكتسبة والحرارة المفقودة ، وينظم هذه العملية مركز توازن الحرارة فى مخ الإنسان .

تبدأ فى هذه المرحلة أجهزة المناعة فى جسم الإنسان بالدفاع عن نفسها ضد العدوى بتكوين الأجسام المضادة .

مراحل نمو الطفل بعد الولادة :

تبدأ هذه المراحل بالتطور فى الوزن . فعندما يولد الطفل يتراوح وزنه من ثلاثة إلى ثلاثة ونصف كيلو جرامات ، ويتأثر وزن الطفل بعدة أشياء منها : نوع الجنين ، والحالة الصحية للأم أثناء الحمل إلى عوامل أخرى ، وليس يعنى ذلك أن الزيادة متوقعة دائما فمن المحتمل ـ فى الأسبوع الأول للطفل ـ أن يفقد من ٦ إلى ١٠٪ من وزنه نتيجة أسباب أخرى مثل :

- نقص فى اللبن الذى يتناوله .
- أو فقدان طبيعى لسوائل الجسم فى « البول » و « البراز » .

وسرعان مايسترد الطفل حالته الطبيعية ويبدأ فى زيادة الوزن بالمعدل الطبيعى بدءاً من الأسبوع الثانى ، وإذا استمرت حالة نقص الوزن أكثر من أسبوعين تعتبر حالة مرضية .

يزن الطفل فى الشهر الرابع نحو ٦ كيلو جرامات وفى الشهر الثامن يزن نحو ٨ كيلو جرامات . وعندما يتم سنته الأولى يزن نحو ٩ كيلو جرامات ، وأما بعد سنة فإننا نستطيع أن نحسب وزن الطفل بهذه المعادلة البسيطة . (سن الطفل بالسنين × ٢) + ٨ = وزن الطفل بالكيلو جرام .

طول الطفل :

أما حساب طول الطفل فيتم قياسه وهو مستلق على ظهره إذا كان أقل من خمس سنوات ، فإذا تجاوز الخمس يتم قياسه واقفا .

وهذه معدلات أطوال الطفل فى الأعمار المختلفة :

٥٠ سم فى الطفل حديث الولادة ، فإذا بلغ سنة يكون طوله ٧٥ سم وعند سنتين = ٨٧ سم ، فإذا بلغ أربعا يكون طوله ١٠٠ سم وبعد أربع سنوات نستطيع حساب طول الطفل بهذه المعادلة .

(سن الطفل بالسنوات × ٥) + ٨٠ = طول الطفل بالسنتيمتر ويتم القياس من أعلى نقطة فى الرأس حتى العقب .

ظواهر أُخَرُ :

عندما يتم الطفل شهره الرابع يستطيع أن يصلب رأسه وأن يجلس بمساعدة الأم ، وفى الشهر السادس يستطيع الجلوس بمفرده ويبدأ الحبو ، وفى الشهر التاسع يحبو بطلاقة ويبدأ فى محاولات الوقوف بمساعدة الأم ،

فإذا أتم سنته الأولى يستطيع أن يقف بمفرده ، وبمساعدة الأم يستطيع أن يمشى خطواته الأولى فإذا بلغ سنة ونصفا فإنه يمشى بطلاقة .

أسنان الطفل :

وبعد ذلك نستطيع أن نتكلم عن أسنان الطفل ونحن نقول عنها فى البداية ـ الأسنان اللبنية وعددها عشرون ، عشر فى كل فك على جانبيه خمس فى كل ناحية . وتظهر ابتداء من الشهر السادس إلى الشهر التاسع ، وخلال هذه المدة تظهر القواطع الأمامية ، وعددها أربع ، ومن الشهر التاسع إلى الشهر الثانى عشر تظهر القواطع الجانبية وعددها أربع كذلك .

فإذا أتم سنة ونصفا ظهر الضرس الأول فى كل ناحية فكان له منها أربعة .

وتظهر الأنياب بدءاً من سن سنة ونصف إلى سنتين وعددها أربع . فإذا بلغ سنتين ظهر الضرس الثانى من كل ناحية فيكون عددها أربعة .

وتبدأ هذه الأسنان اللبنية فى السقوط عند سن ست سنوات فتحل محلها الأسنان المستديمة التى تبدأ فى الظهور عقيب ذلك حتى سن الثانية عشرة وعندها تكتمل ويكون عددها ثنتين وثلاثين سناً ، فأما ما نطلق عليه ضرس العقل فيظهر من سن السابعة عشرة إلى الخامسة والعشرين .

جمجمة الطفل :

التطور الطبيعى لحجم رأس الطفل يدل على تطور نسيج المخ وحجم السائل الشوكى .

عندما يولد الطفل يكون محيط جمجمته (٣٥ سم) فإذا بلغ سنة وصل محيطها إلى (٤٥ سم) وعند خمس سنوات (٥٠ سم) فإذا أتم اثنتى عشرة سنة وصل محيطها إلى (٥٥ سم) ، ويتم القياس من أبعد نقطة خلف الرأس حتى أبعد نقطة فى الجبهة ماراً فوق الأذن مباشرة .

وتوجد فى جمجمة الطفل فتحات طبيعية خالية من العظم تماماً ومن أكثر هذه الفتحات أهمية فتحة أمامية وفتحة خلفية ، ويكسو العظم الفتحة الخلفية عند الولادة أو خلال الأسبوع الأول منها :

فأما الفتحة الأمامية وهى الأكثر أهمية وتبلغ مساحتها عرض أصابع ثلاثة ، فإن العظم يكسوها تدريجيا بمرور السن حتى تغلق تماما عند سن تتراوح بين تسعة أشهر إلى سنتين .

كلام الطفل :

أما عن الكلام بالنسبة للطفل فإنه يمر بعدة مراحل ، ففى الشهر الأول أو الثانى للطفل يصدر منه أصوات ليس لها معنى أو غرض وتدل هذه الأصوات كما يدل بكاء الطفل على أن الحبال الصوتية سليمة ، فإذا

النمو والتطور فى الطفل

جاوز الشهرين إلى ستة أشهر بدأ فى إصدار أصوات غير مركبة مثل (با) أو (ما) ليست بذات معنى أيضاً ، فإذا تعدى هذه المرحلة بدأ فى التعبير عن نفسه عن طريق الأصوات التى يصدرها . وتبدأ كلماته فى ازدياد تدريجى حتى يستطيع التحدث بطلاقة عند بلوغه سنتين ونصفا .

سمع الطفل :

أما عن السمع لدى الطفل فنستطيع أن نقول : إن السمع يكاد يكون منعدماً عند الولادة ، فإن تجويف الأذن الملىء بالسائل الأمنيوسى الذى يحيط الطفل داخل رحم أمه يحول بينه وبين السمع . وفى الشهر الأول والثانى يستجيب الطفل للأصوات المرتفعة والضوضاء بالبكاء وحركات سريعة من الأيدى والأرجل . .

وليس يختلف الشهر الثالث والرابع عن سابقيه فإن استجابة الطفل للأصوات المرتفعة والضوضاء تستمر أيضا ولكن بسكون إذا كان يتحرك أو بالصمت إذا كان يبكى . وفى الشهر الخامس والسادس يدير الطفل رأسه تجاه الصوت . وعندما يتم الطفل سنته الأولى يستطيع أن يدرك الأصوات جيداً .

رؤية الطفل :

منذ يولد الطفل وحتى أسبوعين تكون عيناه مغلقتين معظم الوقت ولا يستطيع مواجهة الضوء . فإذا تجاوز هذه الفترة إلى الشهر الأول والثانى فتح عينيه دون أن يرى صورة واضحة ، وفى الشهر الثالث والرابع يرى أشياء ثابتة مثل الضوء ، وفى الشهر الخامس والسادس يستطيع الطفل أن يتابع الأشياء المتحركة .

وبعد أن يتجاوز الشهر الثامن يستطيع أن يفرق بين ألوان الضوء المختلفة .

طرد المخلفات :

وعن تحكم الطفل فى طرد الإفرازات فإنه من سن ١ ـ ٤ سنوات يستطيع أن يتحكم فى عمليات الإخراج بما فى ذلك البول أو البراز ومما سبق يتضح أن الطفل فى نموه يمر بمراحل عديدة ، وكل ماذكرناه من نمو للطفل وتطور فإن لذلك تغيرات طبيعية طبقاً لما يعيش فيه الطفل من بيئة ومناخ وهى تغيرات محدودة إذا تجاوزها الطفل ينبغى أن ينظر له بعين الرعاية .

وإن فى الإلمام بهذه المراحل فى تلك السن ما يساعد الأم على حسن أداء وظيفتها ، نسأل الله سبحانه أن يبارك لنا فى أطفالنا وأن يقيهم كل سوء .

سحر النجار

أئمتنا بين النقد والتاريخ

٢

لفضيلة الشيخ / صادق إبراهيم عرجون
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات

وهذا الكلام[١] يستوقف النظر من وجوه :

(أولا) يقرر ابن خلدون أن فساد الإعراب لا يؤثر فى بلاغة الكلام .

ويستند فى ذلك على أن أساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطبات أهل عصره مع فساد الإعراب والتحلل من قوانينه ، وفهم الخطيب المصقع والشاعر المفلق على أساليب لغتهم من عدم مراعاة الإعراب . وهذا كلام مدخول مردود ، لأن البلاغة العربية التى اعتبرت فنا يقوم عليه تفاضل الكلام ويظهر به إعجاز القرآن ، مدارها على صحة النظم الذى هو توخى معانى النحو ، كما يقول الإمام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز .

وقال أحمد بن فارس فى « الصاحبى » :

من العلوم الجليلة التى خصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز (فاعل) من (مفعول) ، ولا (مضاف) من (منعوت) ، ولا (تعجب) من (استفهام) ، ولا (صدر) من (مصدر) ، ولا (نعت) من (تأكيد) ... وقال فى موضع آخر : فإن الإعراب هو الفارق بين المعانى ، ألا ترى أن القائل إذا قال « ما أحسن زيد » لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب ، وكذلك إذا قال « ضرب أخوك أخانا » و « وجهك وجهُ حرٍّ » و « وجهك وجهٌ حرٌ » وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه ، وقال فى

(١) أى الكلام الذى أورده فى المقال السابق .

موضع ثالث : فأما الإعراب فبه تميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين ، وذلك أن قائلا لو قال « ما أحسنْ زيدْ » غير معرب أو « ضرب عمرْ زيد » غير معرب ، لم يوقف على مراده ؟ فإذا قال « ما أحسنَ زيداً » أو « ماأحسنُ زيدٍ » أو « ماأحسن زيدُ » أبان الإعراب عن المعنى الذى أراده .

والذى ينظر فى قصة وضع علم النحو وأسبابه يعلم أن جميع رواياتها يدور على وقوع أخطاء معنوية كان منشؤها خطأ فى الإعراب انحرف به الكلام عن جادة الصواب ، فكيف تبقى بلاغة الكلام سليمة مع إهدار ميزان السلامة فى أول درجاتها ؟

واستناد ابن خلدون على وجود أساليب اللسان ووجود خطباء وشعراء لا ينهض بدعواه ، لأنه إن عنى الخطباء والشعراء ممن هم على شاكلته فى أسلوبه الرصين ، فالحجة عليه لا له ، وإن عنى هذا النحو من الكلام المرصوف ملحونا مهجنا وعنى أصحابه فى عداد الخطباء والشعراء فهذا ما لم يجد ابن خلدون موافقا عليه إلا ممن يضم بين جنبيه قلبا شعوبيا يبغض العرب والعربية ، ونعيذ العلامة ابن خلدون من هذه النزعة رغم ما سجله من آراء عن العرب .

(ثانيا) يذهب ابن خلدون إلى أن لغة حمير لغة أخرى تغاير لغة مضر فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ، ويستشهد على ذلك بما لديه من الأنقال ؛ وهذه قضية جد خطيرة كان من حق العلم والبحث على هذا الإمام الجليل أن يذكر من هذه الأنقال مثلا وشواهد يؤيد بها دعواه ، أما الاكتفاء بأن هذه الأنقال الشاهدة موجودة لديه فهذا ما لم يمكن أن يكون شيئاً فى باب البحث ، بل إن الذى وصل إلينا من الأنقال عن طريق الثقات يرد دعوى العلامة ابن خلدون ويؤيد وحدة اللغة الحميرية والمضرية فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها . ورأس الأمر فى ذلك ما كتب به النبى صلى الله عليه وسلم (لوائل بن حجر) وأقيال اليمن ، ومخاطباته لوفودهم ، وهذا ثابت فى كتب السيرة والحديث ؛ وقد نستروح له بنحو وفود عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ذى يزن الحميرى ، إذا صحت هذه الوفادة ، فلا يسوغ فى شرعة العقل والمنطق أن نترك أمرا ثابتا بين أيدينا إلى أمر لم نطلع عليه ولم ندر ما وجه الأمر فيه .

(ثالثا) يرى ابن خلدون أنه يمكن الاعتياض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى ، وهذه فيما نعتقد وثبة من وثبات العلامة التى لم يصاحبه فيها التوفيق ، وإلا فأين حظه من المحاولة فى هذا وهو إمام جليل القدر فى كثير من الفنون ؟ ولكن يظهر أن الإمكان شىء والوقوع شىء آخر . وليت ابن خلدون صنع شيئاً فى هذا المضمار ، إذن لأراح أفكارا لازالت تدور حول فكرته هذه التى رصد لها مجمعنا اللغوى ـ وهو أعظم مؤسسة علمية لغوية فى الشرق العربى برجالاته ومفكريه ـ الجوائز وعقد لها

البحوث ، وكتب فيها الكاتبون وألف فيها المؤلفون فلم نظفر منهم إلى يومهم هذا بوليد سوى ، ولا اعتبار هنا لنظرية الكتابة بالحروف اللاتينية التى نهض بها أحد كبار مفكرى أعضاء المجمع ، فإنها ـ فى الحق ـ لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد .

(**رابعا**) لو تمت فكرة ابن خلدون ومن يلف لفه من أهل التفكير الحديث فماذا يكون شأن القرآن الكريم والحديث النبوى ، وهما أصل الملة والدين ؟

أيدخلهما هذا التجديد فتتغير ألفاظهما حسبما يكون مما اعتضنا به من حركات الإعراب ؟

أم يبقيان على حالهما بعيدين عن لغة الناس وتبقى لهما خاصة أصول النحو وقوانينه المعروفة ؟

وحينئذ يكون هناك لغتان : لغة دينية هى لغة القرآن والحديث فى المحاريب ودراسات الدين ، ولغة العامة ، وهى ذات التجديد فى الضبط بالتحليل من قواعد النحو إلى ما لا ندرى ما هو ؟ وفى كلا الأمرين خطر لا يحتاج إلى تنبيه .

وأما جهة الأسلوب وطريق أداء المعانى التركيبية طبقا لمقامات الكلام ، فالاعتماد فى ذلك على المأثور من فنى الكلام نظمه ونثره ؛ والذى وصل إلينا من الشعر المنسوب إلى العصور التى تقوم الحجة بلغتها شىء كثير فى ذاته ، ومن المنثور شىء قليل جداً ، ولكن الرواة يقولون إن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

يقول جلال الدين السيوطى فى المزهر : وقد أجمع الناس على أن المنثور فى كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظا ، وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظا .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير .

ويروى محمد بن سلام فى الطبقات أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت أو القتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره » .

ومع ذلك كله فإن هذا التراث الأدبى كان محلا للطعن فى صحة الكثير منه ، فلم يسلم منه إلا أقل القليل . وموضع العجب فى هذا المقام أن الرواة يكادون أن يجمعوا على أن تاريخ هذا الأدب الذى تقوم به الحجة فى اللغة لا يرتفع مع الماضى لأكثر من قرنين قبل الإسلام .

فأين العرب قبل هذين القرنين ؟ وأين لغتهم وآدابها ؟

جواب هذا فى تاريخ الأمة العربية المدفون

بين أحضان الزمن ، وجوابه أيضاً فى كلمة عمر بن الخطاب التى نقلناها آنفا .

وإذا رجع الباحث إلى تاريخ اللغة المرتبط بتاريخ الأمة العام ، وجد الرواة والعلماء يصعدون باللغة مع تاريخ العرب إلى مئات السنين على ما فى ذلك من اختلاف لا يقلل من شأن امتداد اللغة فى القدم بامتداد عهد الأمة بالحياة .

قال الزركشى : وقد روى عن ابن عباس « أول من تكلم بالعربية المحضة إسماعيل » وأراد به عربية قريش التى نزل بها القرآن . تأمل فى هذا الكلام وانظر كم بين إسماعيل والزمن الذى تزعم الرواة أنه أول لتقصيد القصيد على عهد مهلهل بن ربيعة أخى كليب صاحب حرب البسوس ، وخال امرىء القيس ، كما يقولون ؛ ومهلهل هذا فى العصر القريب من الإسلام ، وقد غبر على العرب أعصر ودهور قبله ووقعت لهم حروب قبل حربه التى سببها أخوه كليب فكانت محضاء لشاعريته ، فهل كان العرب قبل مهلهل خُرْساً بُكْماً لا ينطقون ، وفاقدى الإحساس لا يشعرون ؟ فإذا كانت عربية قريش التى نزل بها القرآن نشأت منذ عهد إسماعيل وبينه وبين مهلهل قرون فغير معقول أن يكون تاريخ الأدب قبل الإسلام ينتهى إلى قرنين كما يقول الرواة ، بل المعقول أن يمتد صاعدا مع الماضى إلى أضعاف ذلك حسبما مر فى تضاعيف الحياة من أجيال وتقلبات وأحداث .

وقال الزركشى أيضاً : وأما عربية حمير وقحطان فكانت قبل إسماعيل عليه السلام . وإذا تأمل الباحث فى حديث البخارى المتعلق بهجرة إبراهيم عليه السلام بولده إسماعيل وأمه إلى بطحاء مكة علم أن إسماعيل نشأ فى المهد بين قبيلة جرهم وهى قبيلة قحطانية يمنية حميرية ، وشب فيها وساكنها وصاهرها ، فعنها أخذ لغته وعربيته المبينة ، ولا نمنع أن يكون قد لقن من لغة أمه شيئاً ، ولكن كثرة جرهم الغامرة لا تبقى على لغة فرد فيما بينها .

وقال ابن دحية : العرب أقسام : (الأول) عاربة وعرباء وهم الخلص ، ثم عد قبائلهم البائدة حتى قال : ومنهم جرهم ووبار ، ومنهم

البقية ص ١٥٢٣

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث

شخصية عالم الدين في الرواية العربية

الأدب المقارن

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

في المقال السابق قدمت نقولا عن بعض الباحثين المعاصرين تشير إلى أن سيبويه لم يستشهد بالحديث ، وختمته بعدة تساؤلات حول هذه النقول ، وهل تعبر بدقة عن موقف إمام النحاة من هذه القضية ؟ وإلى أى مدى ؟ وإذا كانت غير معبرة تعبيرا صحيحا عن موقفه فكيف دخل الوهم على هؤلاء الأعلام ؟

وبادىء ذى بدء أقول : إنى ألتمس العذر لهؤلاء الباحثين ، وذلك لأسباب منها :

أن كتاب سيبويه بحر متلاطم الأمواج ، حافل بشتى الدراسات اللغوية بكل مستوياتها من صوتية وتصريفية ، ونحوية ، وبلاغية ، وأن الشواهد القليلة من الحديث الموجودة فى أنحاء متفرقة من كتابه ، كما سأذكرها بعد ، ضاعت ملامحها بهذه الصورة التى عرضها بها إمام النحاة ؛ إذ كان يستشهد بالحديث ، بحيث لا ترى إشارة دوما تهدى القارىء إلى أن هذا الشاهد حديث شريف بل يكتفى بأن يقول : وأما قولهم ، أو : ومن العرب من يرفع فيقول : كذا ، ويذكر الحديث .

لكن ، كيف اكتشف وجود الحديث فى الكتاب ؟!

ومَنْ من الباحثين هُدِىَ إلى وجوده ؟!

إن البحث لم يكشف عن الاستشهاد بالحديث فى كتاب سيبويه فحسب ، بل استشهد به عمرو بن العلاء ، فى ثلاثة مواضع ، والخليل بن أحمد فى أربعة مواضع[1] .

وهذه الشواهد عثر عليها الباحثون فى كتب نحاة جاءوا بعدهما ، وتحدثت عنهما مثل : اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجى ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن

(١) راجع موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ـ د . خديجة الحديثى .

للدكتور: السيد رزق الطويل

خالويه ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ، وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، وهى بهذه الصورة ليست بقاطعة فى الاحتجاج ، كما لو أخذنا هذه المعلومات من كتب لهذين العلمين نفسيهما .

ونعود للإجابة عن السؤال المشار إليه آنفا :

تؤكد الدكتورة خديجة الحديثى أن عثمان فكى من الباحثين المحدثين أول من تنبه إلى احتجاج سيبويه بالحديث النبوى ، فى بحثه « الاستشهاد فى النحو العربى » حيث عثر على ثلاثة أحاديث فى « الكتاب » فَعَدَّهُ أول من احتج بالحديث من النحاة .

ولما وضع الأستاذ أحمد راتب النفاح كتابه « فهرس شواهد سيبويه » عثر على حديثين آخرين فصارت خمسة .. خديجة الحديثى - موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث .

وهذا الحكم الذى أصدرته الدكتورة خديجة بأن عثمان فكى أول من تنبه لوجود الحديث الشريف فى كتاب سيبويه لا أطمئن إليه تماما ، ذلك لأن هناك بحوثا جادة كتبها معاصرون ، ولم تتح لها أسباب الظهور ، ولا تزال حبيسة رفوف المكتبات فى الكليات التى قدمت لها هذه البحوث ، وستتحول بعد حين إلى تراث يضم إلى آلاف الكتب التراثية التى تحتويها عشرات المكتبات فى أنحاء العالم .

ومن هنا فليس فى صالح البحث العلمى إصدار الأحكام العامة القاطعة ؛ إذ قد يهيأ للإنسان فى غمرة البحث أنه وصل إلى نتيجة هى الحق ، أو ما هو قريب منه ، ثم لا تلبث الأيام حتى تقدم جديدا يحول النتيجة إلى فرض مطروح للمناقشة .

وأيا ما كان الأمر فإن سيبويه استشهد فى كتابه بعدد من الأحاديث تعد على أصابع اليدين ، أو تزيد قليلا ، وقد تنقص ، وكان هذا حسب اجتهاد من استخرجوا هذه الأحاديث من الكتاب ، حتى إن أحدهم يرى العبارة فيظنها حديثا فيثبتها .

وآخر يرى عبارة « ما » تتردد فى بعض الأحاديث ، قد استشهد بها سيبويه ، فيعدها حديثا مع أنها من الكلمات التى تتردد على لسان كل مسلم ، وبالتالى يحسبها الباحث من بين الأحاديث التى احتج بها سيبويه ، مع أن العبارة بالصورة التى ذكرت بها لا تعد من باب الاحتجاج بالحديث .

←

(*) الكاتب عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الدكتور محمد ضاوى حمادى فى بحثه الذى نال به درجة الماجستير « الحديث النبوى الشريف فى الدراسات اللغوية والنحوية »[٢] إذ تصفح كتاب سيبويه ، وأضاف عبارات ظنها أحاديث ، ومنها ما أورده سيبويه فى باب مالا تُغَيِّر فيه « لا » الأسماء عن حالها التى كانت عليها قبل أن تدخل « لا » ، وذلك فى قوله : وتقول : قضية ولا أبا حسن لها ، تجعله نكرة ، قلت : فكيف يكون هذا وإنما أراد عليا عليه السلام[٣] .

على أن هذه العبارة من كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وسارت مسير المثل فى كل موقف يغيب عنه المناسب له وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على استشهاد سيبويه بكلام الصحابة ، وهذه قضية أخرى لا أظنها محل خلاف ؛ إذ هم من أفصح العرب ، وعاشوا زمن الاحتجاج .

ومن ذلك ما أثبته الدكتور ضاوى أيضاً من استشهاد سيبويه بهاتين العبارتين .

« نهاره قائم ، وليله صائم »[٤] .

« الله أكبر دعوة الحق »[٥] .

ولا أثر لهاتين العبارتين فى كتب الحديث .

والأمر كما ذكرت ، وهو أن الباحث فى الكتاب له عذره ؛ إذ يجد عبارات كثيرة يغلب على الظن ورودها فى أحاديث شتى ، وسيبويه فى كلامه لا يشير عند ذكر العبارة إلى أنها حديث أو لا ، ومن هنا يضطرب اجتهاد الباحثين المحدثين .

على أننا لكى نثبت استشهاد إمام النحاة بالحديث لابد أن نُخَرِّج هذه الأحاديث ، ونبين مكانها فى الصحاح ، ولنا بعد ذلك ملاحظات على أسلوب الرجل فى تناول هذه الشواهد من الحديث ، وما وراء ذلك من بواعث .

وسأعرض الأحاديث التى استشهد بها سيبويه متبعا كل حديث بتخريجه ، مع مناقشة لظروف هذا الاستشهاد وملابساته .

الحديث الأول :

فى « باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به وما كان نحو ذلك » ... يقول : « وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقص معنى » ثم يواصل حديثه فى باب التنازع فيقول : « وهو قولك : ضربت وضربنى زيد ، وضربنى ، وضربت زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه ، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين ، وأما المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصبا

(٢) هذه الرسالة المشار إليها لم تطبع بعد ، والمعلومات نقلا عن كتاب د . خديجة الحديثى ص ٧٠ .
(٣) الكتاب جـ ١ ص ٣٥٥ بولاق .
(٤) الكتاب جـ ١ ص ١٦٠ بولاق .
(٥) الكتاب جـ ١ ص ٣٨١ بولاق .

ورفعا ، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقص معنى ، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، ومما يقوى ترك هذا لعلم المخاطب قوله عز وجل : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه ، ومثل ذلك : « ونخلع ونترك من يفجرك »(٦) .

التعليق

فى هذا النص من كتاب سيبويه ورد فى عبارته جزء من حديث شريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ونخلع ونترك من يفجرك » وهى قطعة من دعاء القنوت الذى ورد فى عدة أحاديث وقد ساقه سيبويه شاهدا لتنازع عاملين معمولا واحدا .

« وقد جاء هذا الحديث فى كتب السنة مطابقا للفظ الذى ذكره سيبويه ، وليس فيه ما يرد عليه ، أو يطعن به ، ولا يمنع أن يكون فى عداد الأحاديث التى احتج بها سيبويه »(٧) .

وقد ورد هذا الحديث فى كتاب فتح القدير للكمال بن الهمام حـ ١ ص ٤٣٠ .
كما أخرجه أبو داود فى المراسيل .

وهذا الحديث لم يستدل به أحد من البصريين الأوائل فى باب التنازع أو غيره غير أن أبا البركات الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ استدل به فى الإنصاف فى عرض خلاف البصريين والكوفيين حول : أى العاملين أولى بالعمل ؟ وقد صرح بأنه حديث(٨) .

الحديث الثانى :

النص فى الكتاب .

قال سيبويه فى « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر فى غير الدعاء » « وأما سبوحا وقدوسا ، رب الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان الله ؛ لأن السبوح ، والقدوس اسم ، ولكنه على قوله : أذكر سبوحا وقدوسا . وذلك أنه خطر على باله أمر ذكره ذاكر ، فقال : سبوحا ، أى ذكرت سبوحا ، كما تقول : أهل ذاك ، إذا سمعت الرجل ذكر الرجل بثناء ، أو بذم ، كأنه قال : ذكرت أهل ذاك ، ومن العرب من يرفع فيقول : سبوح قدوس [رب الملائكة والروح] كما قال : أهلُ ذاك ، وصادق والله ، وكل هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به رفعا ونصبا »(٩) .

التعليق

ورد فى هذا النص حديث شريف هو « سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح » .

←

---

(٦) الكتاب حـ ١ ص ٧٤ هارون ، حـ ١ ص ٣٧ ، ص ٣٨ بولاق .
(٧) احتجاج النحويين بالحديث ـ مجلة المجمع العلمى الأردنى ـ العددان ٣ ، ٤ السنة الثانية ص ٥٢ .
(٨) الإنصاف حـ ١ ص ٦٢ ، ص ٦٣ .
(٩) الكتاب حـ ١ ص ٣٢٧ هارون ص ١٦٢ بولاق .

وهو بهذه الصورة جاء فى صحيح مسلم .. كتاب الصلاة ، وفى سنن أبى داود حـ ١ ص ٤١٩ عن عائشة ، كما رواه أحمد فى مسنده حـ ٦ ص ١٤٨ .

لكن العبارة وردت منصوبة فى نص سيبويه ، فهل تعد حديثا ؟!

والجواب أننا لا نعدها حديثا إلا إذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم نطق بها منصوبة ، وهذا أمر لم يثبته أى كتاب من الصحاح غير أن صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبى داود نقل عن القاضى قوله :

قيل فيه : سبوحا قدوسا ، على تقدير : أسبح سبوحا ، وأقدس قدوسا ، أو أذكر ، أو أعظم ، أو أعبد »[١٠] ومن هنا فالتصور السليم فى تقديرى أن سيبويه لم يضع فى حسابه فى هذا الاستشهاد أنه أمام حديث شريف يلتزم فى معالجته بنصه ، ولكنها عبارة هى أمامه متواترة فصيحة ، دارت على ألسنة فصحاء فعالج بها هذه القضية النحوية التى كان بصدد الاستشهاد لها ، وسيبويه غير بعيد عن الحديث الشريف فله خبرة سابقة فيه .

وموقف القاضى عياض ، المشار إليه من عبارة النصب ، لا يراد به عرض رواية أخرى للحديث ، وإلا لقدمها مسندة ، وإنما يريد عرض وجه نحوى آخر للعبارة ، كما يفيده سياق الكلام .

ومما نلاحظه أن أحدا من النحاة الذين أتوا بعد سيبويه لم يستشهد بهذا الحديث الذى استشهد به سيبويه حتى ابن مالك الذى استكثر من الحديث فى شواهده لا نرى من بينها هذا الحديث .

ومن الغريب أن الدكتور محمود حسنى يعلق على هذا الحديث بما يفيد رفضه اعتبار هذا الحديث شاهدا من شواهد سيبويه ؛ إذ يقول : ويرد رواية الرفع فى نص سيبويه فيما بعد بأنه لم يورده على أنه حديث إنما أورده عرضا ؛ لأنه قدم له بعبارة : ومن العرب من يرفع فيقول : ومادام كذلك فلا يجوز أن يعد من بين الأحاديث التى احتج بها سيبويه »[١١] .

وسر الغرابة أن ما لاحظه د . محمود حسنى غير مقصور على هذا الحديث وحده ، وإنما هو ظاهرة فى كل المواطن التى عثرنا فيها على حديث ، أو بعض حديث فى كتاب سيبويه ، وهذا الأمر فى تقديرى له مغزى نشير إليه بعد .

والحديث موصول .

دكتور السيد رزق الطويل

---

(١٠) فهرس شواهد سيبويه (القرآن ـ الحديث ـ الشعر) أحمد راتب النفاخ ـ دار الإرشاد بيروت سنة ١٩٧٠ حـ ٢ ص ٥٧ .

(١١) مجلة المجمع الأردنى ـ العدد المشار إليه مع رقم ٧ فى هذه الهوامش ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

تعلم إسماعيل عليه السلام العربية . وهذا قول حرى بالقبول لأن رواية إنزال إسماعيل فى وادى مكة رضيعا كما هو صريح صحيح البخارى ، وحسبك به ، تؤيده أصدق التأييد ، ويـرشحه مـا رواه الحاكم فى المستدرك وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان عن بريدة رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ قال بلسان جرهم . وهذا لا يقال فى مثله بالرأى ، فلابد أن يكون مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو صريح فى أن لسان جرهم ، وهى بإجماع المؤرخين قبيلة يمانية قحطانية ، كان عربيا مبينا ، وهو الذى أخذه عنها إسماعيل وانحدر منه إلى ذريته فى جرهم حتى استقلت به مضر ، ثم قامت به قريش ونزل به القرآن الكريم ؛ وغير معقول أن يكون هذا اللسان نزل على جرهم بعد مجيئها الحجاز مهاجرة من اليمن موطنها الأول ونسيت كلها قضها بقضيضها لسانها الذى كان بين قومها قبل هجرتها ، بل المعقول أن هذا اللسان الذى أخذه منها إسماعيل هو لسانها منذ عهدها بالتفاهم ، وهو لسان أخواتها من سائر القبائل القحطانية هاجر معها حيث هاجرت . وإلى هذا يميل ابن دريد فى الجمهرة حيث يقول : وسمى يعرب واسمه مهزم بن قحطان لأنه أول من انعدل لسانه من السريانية إلى العربية ؛ وكذلك إسماعيل بن حماد الجوهرى حيث يقول فى الصحاح : أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان .

ومن هنا يمكن أن نقول : إن الدليل التاريخى يؤيد أشد التأييد وحدة اللغة العربية منذ نشأة العرب ، وكانت لهم لغة صالحة للتفاهم وتصوير الأفكار إلى أن نزل بها القرآن الكريم ، وليس فيها إلا هذا الاختلاف فى اللهجات بين القبائل الذى لا ينتهى إلى استقلال لغة الجنوب عن لغة الشمال فى أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها استقلالا يجعل إحداهما كالحبشية للعبرية مثلا ونحن لا نزعم أن هذه اللغة التى نزل بها القرآن الكريم والتى دونت ألفاظها المعاجم والتى نقلها لنا الرواة فى نصوص الأدب ، والتى نقرؤها اليوم فى الكتب والمؤلفات ، كانت كذلك منذ أول عهدها كاملة ، فهذا ما لايمكن أن يقال ، ولكن الذى نقوله : إن اللغة العربية لغة أمة قديمة فى الحياة جداً ، وهى متشابكة الأواصر متشابهة السمات ، جرى عليها من الأطوار ما جرى على الأمة التى نطقت بها وما يجرى على كل كائن حى فى الوجود حتى انتهت إلينا بحالها الذى رأيناه .

عبد الفتاح الزيات

طرائف

فائدة الاستعاذة بالله ـ تعالى ـ

حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا ؟

قال : أجاهده .

قال : فإن عاد ؟

قال : أجاهده .

قال : فإن عاد ؟

قال : أجاهده .

قال : إن هذا يطول ، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ، ومنعك من العبور ماذا تصنع ؟

قال : أكابده ، وارده جهدى !!

قال : هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك .

فعلى العبد أن يستعن بمالك الملك رب السموات والارض إذا سَوَّلَ له الشيطان يوماً ، فهذه فائدة الاستعاذة .

« الشكوى لغير الله »

قال الأحنف بن قيس : شكوت إلى عمى وجعاً فى بطنى فنهرنى ثم قال : يا ابن أخى لا تشكُ إلى أحد ما نزل بك ، فإنما الناس رجلان : صديق تسوؤه ، أو عدو تسره .

يا ابن أخى : لا تشكُ إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشكُ إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك .

ياابن أخى : إحدى عينى هـاتين ، ما أبصرت بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امراتى أو أحد من أهلى « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » .

« من الـذوق »

قال سعيد بن العاص : لجليسى علىَّ ثلاث :

إذا دنا رحَّبت به .

وإذا جَلس وسَّعْتُ له .

وإذا حدث أقبلت عليه .

وقال : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ، ولا قمت حتى يقوم .

« مكـور وأمكـر »

استأجر رجل حمالاً ليحمل له قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها ،

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

مواقف

ورضى الحمال بذلك ، وقال فى نفسه : العلم خير من المال ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قال الحمال : هات الخصلة الأولى فقال له : من قال لك : « إن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه » ، قال : نعم ، ولما بلغ نصف الطريق قال : هات الثانية ، فقال : « من قال لك إن المشى خير من الركوب فلا تصدقه » ، قال : نعم ، فلما انتهى إلى باب الدار ، قال : هات الثالثة ، فقال : « من قال لك إنه وجد حمالاً أجهل منك فلا تصدقه .. فرمى الحمال القفص وضرب به الأرض فكسر القوارير جميعاً .

وقال : « من قال لك إنه بقى فى القفص قارورة فلا تصدقه أبدا » .

« الضيف الضجر الممل »

أضاف رجل رجلاً فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه .

فقالت له : ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه .. ففعل .

فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى غُدُوِّكَ غدا أينا أظلم ؟

فقال : والذى يبارك فى قيامى عندكم شهراً ما أعلم .

« كراهة الوقوف على الأبواب »

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، إذا قرأ عليه الطالب بابا انتهى به الدرس .

يقول : اقرأ سطراً من الباب الذى يليه ، فإنى لا أحب الوقوف على الأبواب .

« حقيقــة »

تؤمل فى الدنيا بقاء ولا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من مريض عاش دهراً إلى دهر
وكم من فتى يمسى ويصبح آمناً
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

« دعــاء »

اللهم أغننى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية .

شخصية عالم الدين في الرواية العربية

يعتبر عنصر رسم الشخصية الإنسانية من أبرز العناصر التى يعتمد عليها العمل الروائى . فكلما أحاط الكاتب وتعمق فى رسم هذه الشخصية جاءت منسجمة مع السياق العام فى الرواية ، وبلغت فى نفس متلقيها النهاية من حيث تجاوبه معها ، وتأثره بسلوكها ، وتفسيره لحركتها فى الواقع .

وقد رسم روائيونا منذ رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل مئات الشخصيات الإنسانية من مختلف الطبقات الاجتماعية ، وقد حالفهم التوفيق فى الأعم الأغلب ، مما جعل هذا الفن الروائى الجديد ـ القديم فى أدبنا العربى ينمو ويطرد ، ويصبح واحداً من أبرز الفنون الأدبية فى أدبنا الحديث . غير أن هناك شخصية واحدة نالها الحيف والعسف حين تناولها الروائيون وصوروا حركتها الاجتماعية وتعاملها مع الناس ، ولم يكن هذا الحيف والعسف مقصورين على كاتب واحد أو اثنين ، بل نجدهما يشملان معظم ما كتب الروائيون حول هذه الشخصية ، ألا وهى شخصية (عالم الدين) ، أو رجل الدين كما يسمونه .

ترى لماذا يكون قصاصونا واقعيين وموضوعيين ويتحرون الدقة فى رسم أغلب الشخصيات التى يرسمونها ، بينما يغالون ويزورون شخصية العالم الدينى فى رواياتهم ، فيظهرونها فى أبشع صورة للدجل والجشع والأنانية والكذب والرياء وحتى العمالة للأجانب ؟! ترى لماذا ؟

هذا التساؤل هو الذى دعانا إلى كتابة هذا البحث الموجز .

الحق أن وراء الأكمة ماوراءها ، وأن القضية ليست قضية فنية محضة ، بل هى قضية فكرية ترجع بجذورها إلى الصراع الحضارى بين الإسلام والغرب إذا تحرينا الدقة فى الملاحظة ؛ ففى الفترة التى بدأت الرواية العربية تظهر بشكلها الفنى المتكامل فى العشرينيات من هذا القرن ، كان العالم الإسلامى قد وقع تماماً فى (كماشة) الاستعمار الأوروبى ، إذ مرت فترة كافية على الوجود البريطانى بمصر والخليج والجزيرة العربية ، والاستعمار الفرنسى فى الشمال الأفريقى وفى سوريا ولبنان خاصة . وفى هذه

للأستاذ الدكتور
شلتاغ عبود شراد

الفترة كان الصراع دامياً ومريراً ، وغير متكافىء القوى والأساليب ، وكان أن استطاع الاستعمار بوسائله المتعددة أن يخلق جيلاً متغربا تماماً عن عقيدته وأرضه وأهله ، ابتداء من الجيل الشامى المسيحى المتعاطف أصلاً مع (الأم الحنون) فرنسا ، ومروراً بالمجتمع المصرى الذى استطاع الاحتلال الانجليزى أن يغير كثيراً من مظاهر الحياة الإسلامية فيه . فنشأت نتيجة لهذا عقول وقلوب وعيون ، لا تفكر ولا تحس ولا ترى إلا كما يفكر ويحس ويرى الغربيون ؛ لأنها درجت على ألفة الحياة الغربية إما بالمعايشة أثناء الدراسة بأوروبا ، أو من خلال التتلمذ على أيدى وسائل الإعلام ، أو الجامعات التى أنشأوها فى العالم العربى والإسلامى .

وحين نرصد الصورة التى رسمت لعالم الدين فى الرواية العربية الحديثة ، تقفز إلى أذهاننا ـ بناءً على ماقدمنا ـ صورة رجل الكنيسة الأوروبى فى الروايات الغربية . ونحن نعلم كيف انتهى الصراع بين الكنيسة وقساوستها وبين العلم ورجاله ، مما أفسح المجال للروائيين الغربيين أن يرسموا شخصية رجل الكنيسة بأبشع صورة مقززة تثير الحقد لا على الشخصية ذاتها بل على كل قيمها وسلوكاتها الدينية* . هذه الشخصية هى المصدر الذى استقى منه القاص العربى مادته ، ذلك لأن هذا القاص تتلمذ فنياً على نماذج الرواية الغربية ، ومن المعلوم أن تراثنا الروائى لم يكن حاضراً فى ذهنه لحظة التخطيط لهيكل وبناء روايته . وبالإضافة إلى التلمذة الفنية تلمذة فكرية كذلك ، فهو يشارك الأوروبيين مقتهم لهذه الشخصية وسوء ظنهم بها ، بل إنه فاقهم فى كثير من الأحيان ، وقال مالم يقله الأوروبيون أنفسهم !!

ولكى لا أبعد بك فى الحديث النظرى أحيلك إلى رواية « عرس الزين » للقاص السودانى الطيب صالح ، وهو من الروائيين المشهورين الذين كتبت عنهم الدراسات النقدية الكثيرة ، وربما تشاطرنى الإحساس إزاء هذا الاهتمام بالكاتب لدى الكتاب الذين يشاركونه فى الاتجاه الفكرى ، ولدى وسائل الإعلام الغربية والانجليزية خاصة !

أقرأ معى هذا التصوير لشخصية إمام المسجد فى (عرس الزين) : « كان رجلاً ملحاحاً متزمتاً كثير الكلام فى رأى أهل البلد . كانوا فى دخيلتهم يحتقرونه ، لأنه الوحيد بينهم الذى لا يعمل عملاً واضحاً ـ فى زعمهم ـ لم يكن له حقل يزرعه ، ولا تجارة

←

* الباحث : عضو هيئة التدريس بجامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا .

* هذا كان فيما مضى لأكثر من قرن ، فأما رجل الكنيسة ـ حاليا ـ فى الرواية الغربية ، فقد صار شخصية شبه مقدسة لا تمس بسوء وتحاط بكل إجلال ، وليس يستطيع روائى ـ فى منطقة الشرق الأدنى ـ أن يتناولها بحال ... مجلة الأزهر .

شخصية عالم الدين

يهتم بها ، ولكنه كان يعيش من تعليم الصبيان ، له فى كل بيت ضريبة مفروضة يدفعها الناس عن غير طيب خاطر ، وكان يرتبط فى أذهانهم بأمور يحلو لهم أحياناً أن ينسوها : الموت ، الآخرة ، الصلاة . فعلق على شخصه فى أذهانهم شىء قديم كئيب مثل نسيج العنكبوت » .(١)

هل الواقع يعكس لنا أن قرية ما فى العالم الإسلامى تنظر إلى إمام المسجد بهذه النظرة ؟ مع علمنا أن أهل القرى أشد الناس ارتباطاً بالدين وممثليه . فهذه الصورة التى رسمها الطيب صالح لا تعكس فى الواقع إلا تصوره هو عن (عالم الدين) وتصور أمثاله ممن عاشوا فى لندن أو باريس أو تأثروا بأنماط الحضارة الغازية الذين اعتادوا ممارسة ألوان من حياة الغرب ، فكان طبيعياً أن يناصبوا إمام المسجد العداء . ولكن الملفت للنظر أن الكاتب يصور هؤلاء على أنهم ممثلو الحياة العملية ، وأنهم محترمون من لدن أهل القرية أكثر من الشيخ الإمام .

وانظر معى إلى فلسفة القاص ونظرته إلى الحياة والدين كيف يزوقها خلال كتابته ، ويجريها على ألسنة أبطاله بطريقة ظاهرة التحيز والتزوير : « .. ولكنهم إن لم يحبوه ، فقد كانوا يعترفون بحاجتهم إليه . يعترفون مثلا بعلمه . فقد قضى عشر سنوات فى الأزهر ، يقول الواحد منهم : الإمام ماعنده شغلة .. لكن الحق لله لسانه فصيح الكلام كان يلهب ظهورهم فى خطبه كأنه ينتقم لنفسه منهم بكلام متدفق فصيح عن الحساب والعقاب والجنة والنار ومعصية الله والتوبة إليه . كلام ينزل فى حلوقهم كالسم ، يخرج الرجل من المسجد بعد صلاة الجمعة زائغ العينين ، ويحس وهلة وكأن سير الحياة قد توقف ، ينظر إلى حقله بما فيه من نخل وزروع وشجر ، فلا يحس بأى غبطة فى نفسه ، يحس أنها جميعاً عرض زائل ، وأن الحياة التى يحياها بما فيها من فرح وحزن ماهى إلا جسر إلى عالم آخر** »(٢)

هذه وظيفة الدين فى نظر الطيب صالح :

صد الناس عن الإقبال على الحياة والتمتع بما فيها من نعم ، وأن الإيمان بالآخرة يكون عقبة أمام الإحساس بما فى الدنيا من مباهج ، وكأن (عالم الدين) لم يكن ليتحدث إلا عن الآخرة فى خطبه وأحاديثه . أرأيت كيف صور القاص هذه الشخصية بعبارات تثير فى نفس المتلقى (القرف) والاشمئزاز فهو شىء قديم كئيب مثل نسيج العنكبوت ، وأية دلالة يوحى بها نسيج العنكبوت غير الوهن والخراب والوحشة ؟! ويقول عنه فى موضع آخر « كأنه مثل الضريح الكبير وسط المقبرة »(٣) ذلك هو شيخ المسجد كما يراه كاتب مسلم من أبوين مسلمين !!

(١) ص ٧٣ من الرواية (عرس الزين)
** إن النص ليس حملة على عالم الدين فحسب ، بل هو حملة على الدين نفسه .. مجلة الأزهر .

(٢) ص ٧٤
(٣) ص ٧٥

وبعد هذا التحيز الواضح ، والتوجه غير الموضوعى للكاتب ، يعمد إلى شخصية البطل الرئيسى فى القصة « الزين » فيفرغ عليها الصفات الإنسانية النبيلة ، ويستجلب منا العطف والحنو عليها ، ثم بعد أن يطمئن إلى ذلك يقول : « ولعل الإمام كان الشخص الوحيد الذى يكرهه الزين »(٤) ، وكان قد اقنعنا من قبل أن (الزين) كان طيب القلب لا يكره أحداً ، فأى شر أكثر من هذا الشر الذى يمثله عالم الدين بحيث يكرهه حتى الزين ، وبالتالى فنحن أولى بأن نكره هذا الشيخ ونمقت سلوكه ونرفض توجيهاته الدينية !

وأغرب من هذا أن القاص وضع الإمام فى مشهد مزور آخر . ينظر إلى المغنية فى العرس ، وتقع عينه على أجزاء مكشوفة من جسمها ، فينشغل عن الذكر والقرآن الذى يردده جماعته من « الطلبة » : « وكان الإمام جالساً مع جماعة فى ديوان حاج إبراهيم الذى يشرف على فناء الدار ، فحانت منه التفاتة ، ووقعت عينه على « سلامة » وهى منهمكة فى رقصها ، ورأى صدرها البارز ، ورأى كفلها الكبير ، حين تضرب برجلها يهتز ويترجرج إلخ .(٥) .

نحن لا ندافع عن هذه الشخصية ، فهى شخصية آدمية بلحمها ودمها ، قد تصيب وقد تخطىء ، وتسمو وتسفل ، ولكننا نرفض هذه النظرة الأحادية المتحيزة التى لا تنظر إلى هذه الشخصية إلا من حيث أنها ممثلة للخمول والخداع والنفاق والابتزاز ، إن الغالب على سلوك علماء الدين وأكثرهم هو الاستقامة انطلاقا من القيم الخيرة التى يبثها الدين ، والدين الإسلامى خاصة هذا نموذج واحد فقط من الروايات « التقدمية » التى تعج بها السوق الأدبية فى عالمنا العربى والإسلامى ، وإذا أردت أن تتعرف على الصورة الكاملة لشخصية العالم الدينى فى الرواية العربية فما عليك إلا أن تعود إلى « أيام » طه حسين الذى أعطى أبشع صورة لـ (سيدنا) معلم القرآن فى القرية الذى كان لا يتورع عن الكذب والحلف بالطلاق ثلاثا على أن الولد قد حفظ سورة ياسين بينما لم يكن الصبى قد استكمل السورة ، وحين يجوع الناس يشبع الشيخ ، وحين يفتقرون يغنى . ولعلك تكون أكثر قرباً من هذا التصوير للعالم الدينى إذا اطلعت على الرواية الجـزائريـة الحديثـة ، حيث يتخصص « الطاهر وطار » ببراعة فى استجلاب كل دوافع السوء فى رسم (طلبة القرآن) و (أئمة المساجد) و (خطباء الجمعة) ويجعلهم يتصرفون كما لو كانوا قادمين من عوالم الشياطين وليس من عوالم الإنس ، وينسب إليهم كل صورة من صور الجهل والغفلة والدجل والحيلة ، تجد هذا فى روايات (اللاز) و(الزلزال) وفى قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) وهى قصة قصيرة تشبه الرواية فى سردها ، حيث يصر الشيخ إمام المسجد على ضرورة طلاق المرأة على الرغم من أن زوجها قد استشهد منذ سنوات

(٤) ص ٨٧

(٥) ص ٩٩

شخصية عالم الدين

طويلة ، ويتهم زوجها الجديد بأنه زانٍ وكافر !! فى حين أنه تزوج زواجاً شرعياً أمام قاضى المحكمة[٦] .. أما الرواية اللبنانية فأنت تدرك معى البيئة الفكرية والاجتماعية التى ترعرع فيها كتاب القصة ، وباستطاعتك أن تعود إلى روايات (ليلى بعلبكى) و(غادة السمان) لترى مقدار الهواة بين هؤلاء القصاص وبين القيم التى تؤمن بها مجتمعاتهم .

ولا نريد أن ننهى هذا البحث دون الوقوف عند نموذج واحد أيضاً يمثل النظرة الإيجابية فى تصويره شخصية العالم الدينى ، لكى نستكمل الصورة ، ولكى لا نظن أن العالم الروائى يخلو ممن نظر بموضوعية وإنصاف لهذه الشخصية . هذا النموذج هو رواية « عمالقة الشمال » لنجيب الكيلانى الكاتب والروائى المصرى المعروف . وفى المعلوم أن أحداث الرواية تجرى فى نيجيريا . فالشيخ (عبد الله) فى الرواية شيخ للطريقة القادرية ، يتجاوز فى سلوكه ماهو معهود عن الطرق الصوفية من بعد عن الحياة ، وانزواء فى أجواء الذكر والعبادة ، فهو ينغمس فى الحياة بكل تفاصيلها ، ويتفهم أبعاد الصراع بين قوى الحق والباطل فى إطارها الإنسانى العام ، وفى بلده (نيجيريا) خاصة ، إذ يرجع تأجج هذا الصراع إلى الدوافع التى تحدو بالأوروبيين إلى غزو العالم الإسلامى ، وبث الفتن فيه وإراقة الدماء على أرضه .[٧] .

لقد رصدت هذه الرواية الأبعاد الإيجابية فى هذه الشخصية ، فهى تزرع فى روح مريديها القوة والصلابة والإخلاص ، وتدعوهم إلى التوكل على الله وحده دون خوف أو وجل « ... حى قيوم .. علام الغيوب .. إذا نزلت يا عثمان أحراش (اليوربا) وظلمات (الأيبو) فابعث بكلمات الله فى كل مكان .. وادع البشر هناك إلى عبادة الواحد .. وقل لهم : كونوا أخوة .. وحطموا الأصنام الجديدة .. أطلق كلماتك فى الصحراء . فى الغابات . فى المناجم .. فى المصانع .. ولا تخش إلا الله .. وليس من المكتوب هروب . ولو اجتمع أهل السماء والأرض على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء كتبه الله لك »[٨] .

بهذا الزاد الذى تلقاه من شيخه ينطلق (عثمان أمينو) ويجوب غابات الجنوب النيجيرى تاجراً وداعية ، والمكتوب الذى فهمناه لدى بعض المتصوفة ربما كان يحمل من معنى الاستسلام يتحول إلى قوة دافعة مغيِّرة لا تعرف الملل والكلل ولا الخوف ولا الرهبة ، بل يصبح هذا « المكتوب » دافعا إلى العمل بصلابة لأنه لن يصيبك إلا ماكتب الله لك .

---

(٦) والمجموعة القصصية تحمل عنوان القصة الأولى « الشهداء يعودون هذا الأسبوع » المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٤ الجزائر ، ص ١٨٢ إلى ١٨٥ ويشارك الطاهر وطار فى هذا الاتجاه عبد الحميد بن هدوقة ، خاصة فى روايتيه (ريح الجنوب) و(نهاية الأمس) .

(٧) عمالقة الشمال ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

(٨) ص ٢٤ .

« ألا تعلم ياعثمان أن الله قال لمريم ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ .[9] ، وهو يريد أن يقول له إن التوفيق الإلهى لا يكون إلا بعمل وحركة ، وإلا كيف تستطيع مريم وحدها أن تهز النخلة بثقلها ورسوخها ؟ إنه العمل ولو بصورته الرمزية هذه .

وفى كل مرة يلتقى الشيخ عبد الله بعثمان أو بقية مريديه ينفح فيهم روح الأمل ، ويزخهم برشاش الحب والتفاؤل : « انظرو إلى السماء .. نحن فى آخر الشهر العربى .. والظلام دامس ، والنجوم تقاوم الظلمة ـ لكن لا تنسوا القمر .. سوف يسطع عما قريب .. واذكروا أن بعد الليل نهاراً .. هكذا الدنيا .. ولكنكم قوم تستعجلون »[10] .

أبعد هذه الكلمات كلمات أكثر تأثيراً فى النفوس التى تعيش فى جنبات السجن الداكنة وتكتوى بسياط جلاديه ؟ ثم إنه لا يكتفى بهذه الكلمات الخضراء وحدها بل يعيش مع السجناء ، ويبعث الحركة والأمل فى نفوسهم كما يروى عنه تلميذه عثمان أمينو « .. وطال بنا المقام فى السجن ، وقد حرص شيخنا على أن يرغب السجناء فى حفظ القرآن الكريم وقراءة تفاسيره ، كما دعاهم إلى القراءة المستمرة ، وتثقيف أنفسهم ، واستغلال بعض الوقت فى ممارسة الألعاب الرياضية من جرى ووثب وحفلات للسمر البرىء ، وكنا نتحلق حوله فى الأمسيات الطويلة .. يحدثنا من تاريخ قبائل الفولانى والهوسا وملوك المسلمين ، وكيف انتشر الإسلام فى بلادنا ، وكيف تسلل المستعمرون إلى ديارنا ، وأحالوها إلى سوق للعبيد .. وكنا نستمع إلى حكاياته القديمة والحديثة ، وكأننا أطفال تسحرهم حكايات الجدات والجدود .. نقبل عليها فى نهم فنروى بها ظمأنا إلى العدل والحب والحرية والمثل العليا »[11]

ولقد كان الناس يجدون فى الشيخ عبد الله الملاذ والأمن والسرور حين تعتورهم حالات الضيق والضجر ، فيعودون منه ، وقد انقشع من قلوبهم ضباب اليأس والحزن ، وأصبحوا ملؤهم الحيوية والعمل . « ... عدت إلى شيخى عبد الله .. إننى بجوار هذا الرجل أشعر براحة عجيبة .. لكأنما يتدفق نبع اطمئنان مقدس من قلبه ، فيملأ فؤادى باليقين »[12] . أين هذا التصوير لرجل يملى عليه دينه أن يكون كذلك من الصورة التى مرت عليك للطيب صالح حين قال : إن الإمام ما عنده شغلة ، وإنه مثل الضريح الكبير وسط المقبرة !

إنك عندما تقرأ رواية « عمالقة الشمال » تشعر أن قوى البناء الداخلى للإنسان تشرئب فى أعماقك ، وتتفجر لبناء الحياة ، وذلك كله مدين إلى المواقف الإيجابية لبطل الرواية (عثمان) ولشيخه الصوفى الذى لقنه قيم

←

(9) ص ١٣٧ .
(10) ص ١١٢ .
(11) ص ١١٣ .
(12) ص ٢٧ .

← شخصية عالم الدين

الحب والصبر والعمل . وقد تضافرت فى الرواية عدة عناصر ساهمت فى قدرتها على إثارة المتلقى وتشويقه ، منها ذلك السياق العاطفى الذى يربط البطل بحبيبته من جهة وبدينه ووطنه من جهة أخرى ، حتى امتزجت الذات بالموضوع ، وأصبحت المحبوبة هى الوطن ، والوطن هو المحبوبة .

ورواية نجيب الكيلانى تكاد تكون من الروايات النادرة التى أعطت هذا البعد الإيجابى لشخصية (عالم الدين) بالإضافة إلى رواية عطية الأبراشى (إصلاح) وروايات (بنت الهدى) الهادفة ، أما الروايات الأخرى فقد اتخذت موقفاً عدائياً مسبقاً فى هذه الشخصية وخططت كى تجعل منها موضع هزء وسخرية لدى القراء .

هذا فيما يتعلق بالروايات ذاتها ، أما الدراسات النقدية الكثيرة لهذه الروايات فقلما وجدنا من نبه إلى هذا الغبن وسوء القصد والأثر الغربى فى تصوير هذه الشخصية ، بل وجدنا النقاد يجارون الروائيين فى تحليل شخصياتهم ويثنون على عمقهم فى سبر أغوار هذه الشخصية . نستثنى من ذلك القاص والكاتب (مصطفى فاس) فى دراسته للبطل فى القصة التونسية ، حيث أشار إلى البطل فيما أسماه (القصة الإصلاحية) فتحدث عن إيجابية هذا البطل فى قصة (شاب وشيخ) للقاص نور الدين بن محمود وفى غيرها ولكنه جعل هذا وقفاً على مرحلة معينة فى تاريخ تونس .(١٣)

ننتهى من هذا كله إلى القول أنه إذا كان فى سلوك قلة من علماء الدين ماساعد على ظهورهم فى مثل هذه الكتابات الروائية ، فإن واقع الصحوة الإسلامية المعاصرة والعودة إلى النبع الصافى ، القرآن والسنة ، بعد غفوة طويلة كادت تودى بنا إلى النسيان ، قد أعطى أروع النماذج لشخصية العالم الدينى ، اليست هذه الشخصية هى التى قادت الصراع ضد المستعمر الغازى فى الأصقاع

(١٣) البطل فى القصة التونسية حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٥ وما بعدها .

الإسلامية كلها ، وأصلت للفكر الإسلامى ، وأزالت الشبهات ، ووقفت أمام التغريب الثقاف والمسخ الفكرى الجارف* ، أمثال (الشيخ شامل) الذى قاوم الاحتلال الروسى للأراضى الإسلامية ، و (الأمير عبد القادر الجزائرى) و (جمال الدين الأفغانى) و (المهدى السودانى) و (السنوسي) و (عمر المختار) والشيخ (عثمان بن فوديو) و (الثعالبى) و (عز الدين القسام) و(محمد تقى الشيرازى) و (عبد الحميد ابن باديس) ، و (محمد باقر الصدر) و (عبد العزيز البدرى) . و (عارف البصرى) ؟ !

هذه الشخصيات البطلة وعشرات غيرها فى ميدان الجهاد والفكر والسلوك الإنسانى الشامخ ، لم تستهو الكتاب الروائيين العرب

..... العلماء الذين يبعثون الحياة ويدافعون عن كرامة الأمة ومجدها لا يستحقون أن يذكروا حتى بمشهد واحد فى روايات « الواقعية الاشتراكية » العربية إننى أعتبر هذا التوجه من القصاص نوعاً من سرقة الرموز الإسلامية وإبدالها برموز باهتة دالة على الموت والفناء ، إنه نوع من الحرب ، ولكن داخل الحصون !

وإذا كانت النخب المتغربة مازالت تكتب عن الدراويش ، وتتغاضى عن تصوير الشخصيات الإسلامية المغيِّرة ، فإن على كتاب الرواية الإسلاميين أن يسدوا هذا النقص ويزيلوا هذا الوهم والتجديف ، ويعكفوا على إغناء التجارب الإنسانية بحيوات هذه الشخصيات السامية النبيلة .

ومهما يكن فالموضوع بحاجة إلى دراسة أكاديمية متخصصة تعود إلى عشرات الروايات لكبار الروائيين العرب والمسلمين ، للتوصل إلى رصد كامل لظاهرة أو شخصية « عالم الدين » ومن أية زاوية أو فلسفة صورت .

شلتاغ عبود شراد

---

* وهذا هو السبب المباشر فى العمل على مسخ صورة عالم الدين من الغرب وأتباعه ... مجلة الأزهر .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

(٤)

(أ) المدرسة الفرنسية :

(...) لم يبتعد (باول فان تيجم) عن القضيــة التوفيقيــة لموضــوعات الآداب الأوروبية ، والتى تتم بدراسة العرض الأدبى لموضوع واحد بواسطة أدباء أوروبيين من قوميات ولغات مختلفة[١] ، لم يبتعد عن ذلك احترازا من انفلات ضوابط العلم الناشىء ، وإنما رأى أن مقارنة أكثر من أدبين لا يعد من « الأدب المقارن »؛ سواء أمكن توثيق العلاقة والصلة بينهم أو لم يتحقق ذلك[٢] ، وقد أضاف هذا النوع من النشاط العلمى إلى نظام علمى آخر سماه « الأدب العام »[٣] . وبذلك يكون « فان تيجم » قد زاد منظور « علم الأدب المقارن » تعقيداً بعزله مقارنة أكثر من أدبين عن هذا العلم تحت مسمى آخر .

وهنا يتضح لنا أن « فان تيجم » نفسه ـ برغم قدراته العلمية التنظيرية الفائقة ـ كان يحس بأزمة منهج « علم الأدب المقارن » وهذا الإحساس ـ إن لم يعبر عنه ـ هو الذى قاده وقاد كل المقارنين الفرنسيين إلى هذا الارتباك المنهجى التناقضى بين الهدف المبهر لهذا العلم ، والقيود النظرية المكبلة لحركته ، والتى عطلت بالتالى نمو مناهجه البحثية فى وقت مبكر .

وقد أدى كل ذلك إلى أن صارت بحوث « علم الأدب المقارن » هامشية القيمة ؛ لاقتصارها على الجوانب التاريخية للأعمال الأدبية وعلى السيرة الذاتية للأدباء .

وقد ظل الاتجاه الفرنسى متأثرا بمنطلقه التاريخى التوثيقى من بدايته وحتى « جون مارى كارييه » و « ماريو ـ فرانكو جويار » .

---

١ ـ المقصود بذلك إرجاع موضوعات الآداب الأوروبية إلى أصول واحدة ، ومحرك هذه الفكرة سياسى ، يعبر عن نفسه الآن فكريا بمفهوم « الثقافة الأوروبية الواحدة » وسياسياً بمفهوم « الوحدة الأوروبية » ، التى اقامت بالفعل برلمانها الموحد .

٢ ـ انظر : Ruediger,Horst : Komparatistik, Koeln 1973,S.22

٣ ـ المقصود بـ « الأدب العام » العلم الذى يدرس العلاقات بين أكثر من أدبين من لغات مختلفة . وهذا التقسيم النظرى التعسفى لم يصمد فى إطار التطبيق العلمى .

للدكتور : عبد الله محمد أبو هشة

فقد أصدر « جويار » عام (١٩٥١ م) كتابا تعليميا فى الأدب المقارن[٤] صدَّره بمقدمة كتبها « كاريه » يعتبر آخر ما صدر ممثلا للاتجاه الفرنسى التاريخى ، الذى وصل إلى مرحلة الشيخوخة العلمية[٥] .

وقد كان الاتجاه الأمريكى فى « الأدب المقارن » قد بدأ يكتسب مكانته فى الدوائر العلمية ممثلا فى كتابات « رينيه ويلك » .

(ب) المدرسة الأمريكية :

أول عمل علمى حدد معالم ما يسمى بالمدرسة الأمريكية فى « الأدب المقارن » كتبه « رينيه ويلك » ونشر عام (١٩٥٣ م) تحت عنوان « تصور الأدب المقارن »[٦] ؛ يتناول فيه الاتجاه الفرنسى بالنقد ويفند أوجه قصوره .

فهو يرى أن المفهوم الفرنسى للأدب المقارن قد عزل « النقد الأدبى » عن « الأدب المقارن » ، وافتقد التحديد الواضح لميدان بحوث « الأدب المقارن » . ومناهجه العلمية ، وارتكز هذا المفهوم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ على نزعات قومية ؛ قللت كثيرا من المفهوم العالمى للأدب المقارن .

ويقصد « ويلك » بالنزعة القومية قضية إثبات الفضل لأمة بتأثيرها أكثر من غيرها فى أدب أمة أخرى ، أو أن أمة ما قد فهمت كاتباً كبيراً ما ، وتمثلت أعماله أكثر من غيرها من الأمم . ولقد كان يعنى بذلك كتابات أقطاب المدرسة الفرنسية عموماً و« كاريه » و « جويار » خصوصاً ، ذلك أن « جويار » أثبت فى نهاية كتابه قائمة لدراسات لم تتم ؛ عن أدباء أسبان وإيطاليين وهولانديين يتضح منها الميل إلى وصاية المدرسة الفرنسية فى « الأدب المقارن » من ناحية ، وبيان فضل تأثير الأمة الفرنسية فى غيرها من أمم أوروبا أدبيا من ناحية أخرى .

وقد بدأ هذا المفهوم الأمريكى يتعمق نظريا ، ويحاول أن يحدد معالمه ، زاعما أنه سينجز مالم يستطعه المقارنون الفرنسيون من

---

٤ ـ اسم الكتاب :
Guyard, Marius - Francois : La Litterature comraree, Paris, 1951 .

والكتاب يدور فى إطار منظورات « فان تيجم » العلمية ، وقد صدرت طبعته الخامسة عام « ١٩٦٩ م » خالية من مقدمة « كاريه »؛ إلا أن الكتاب ظل موالياً لأفكاره .

٥ ـ المقصود بالاتجاه التاريخى هو الاتجاه الذى يعنى بالجوانب التاريخية للعمل الأدبى ولمؤلفه وثائقيا . وهذا الاتجاه متأثر بما ساد فى القرن التاسع عشر ؛ من ولع بالتاريخ وتفاصيله ، ومن نشأة الفلسفة الوضعية ، التى تتخذ منهج تفسير الظواهر من خلال علاقة بعضها بالبعض الآخر ، وعلاقاتها بحقائق أعم وأشمل . وفرنسا هى مهد كل من الاتجاه التاريخى والفلسفة الوضعية .

٦ ـ أنظر : Wellek, Reneg Concept of Comparati ve Literature .

تحديد كل من ميدان « الأدب المقارن » ومناهجه بدقة من خلال تعريف هذا العلم . وها هو تعريف أحد أقطاب هذا الاتجاه « هنرى ريماك » للأدب المقارن بـأنه : « دراسة الأدب بمنظور يربط بينه وبين ما وراء حدود بلد معين ، ودراسة العلاقات بين الآداب ، وبين المجالات الأخرى للمعرفة كالفنون (الرسم والنحت والمعمار والموسيقى مثلا) والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية (كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والدين .. إلخ) من ناحية أخرى ، بإيجاز هو مقارنة أدب بأدب آخر أو بآداب أخرى ، ومقارنة الأدب بمجـالات التـعبـير الإنسـانـى الأخرى »(٧) . ويعتبر هذا التعريف سائداً لدى كل المقارنين الأمريكيين(٨) . ويلاحظ « عبد الحكيم حسان » بحق « أن المفهوم الأمريكى للأدب المقارن يستمد سبب وجوده من كونه فكرة إصلاحية لمفهوم (يقصد المدرسة الفرنسية : المؤلف) يدعى أنه قد تأخر به الزمن وأصبح أساسه الفكرى جزءاً من الماضى . ومن ثم فإن من حقنا أن نتوقع أن يكون هذا المفهوم بمنجاة من العيوب التى أنكرها . فهل حقق المفهوم الأمريكى هذا الهدف ؟ »(٩) .

إذا كانت المدرسة الأمريكية قد أنقذت « الأدب المقارن » من جفاف المنهج التوثيقى للمدرسة الفرنسية ، التى جعلت « الأدب المقارن » جزءاً من « تاريخ الأدب » ، وحركت مفهومه من إسار الوضعية التاريخية للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، إلا أنها من ناحية أخرى أدخلت فى « الأدب المقارن » مالا يمت بأدنى صلة لهذا العلم مثل مقارنة الآداب بالفنون والعلوم الاجتماعية والدين . ذلك أن للفنون وللعلوم الاجتماعية مناهجها البحثية المستقلة من ناحية ، ومن ناحية ثانية لا يمكن علميا الخلط بين « الدين » بثباته الاعتقادى وبين « علم الأدب المقارن » الذى لا يمكن أن يصل منهجه إلى اليقين ؛ كما هو واضح من خلال هذه الدراسة ؛ إذ أن أقصى ما يمكن أن يصل إليه هو التحديد النظرى الاحتمالى . أما الثقافة الدينية التى تنساب فى أدب كل أمة من خلال عرض الواقع والشخصيـات الأدبية ، فهذا ليس « الدين » ؛ وإنما هو تصور للواقع الأدبى(١٠) فى عصر معين ، ومكان معين ، وبمستوى إدراكى معرفى معين للدين ، وهذا ما يمكننا تسميته بالثقافة الدينية ، التى هى أيضا احتمالية من زاوية أن خطأ التصور فيها وارد ، وتحكم الكم والنوع التعليمى والثقافى فى هذا التصور وفى بنائه مؤكد .

٧ ـ انظر : Remak, Henry, Comparatire Literature - Methode and Perspective, P. 1 .

٨ ـ انظر على سبيل المثال تعريف « أوفين ألدريج » الذى يكاد يتطابق مع هذا التعريف الذى ذكرناه :
Aldridge, A. Owen, Comparatire Literature : Matter and Methode, Urbana 1969 . P. 1 - 2 .

٩ ـ عبد الحكيم حسان : الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسى والأمريكى . فى فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث . القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٦ .

١٠ ـ أقصد هنا بالواقع الأدبى مجموع العوامل التى تصنع عملاً أدبياً ، وهى المؤلف واللغة والعصر « مكاناً وزماناً » والموضوع واختيار الشخصيات .

كل هذا أدى إلى انفلات المنهج الأمريكى بحيث أصبح « الأدب المقارن » مقارنة كل نشاط إنسانى فكرى بالأدب كما أن التعصب للأدب الأوروبى الغربى أصبح عندهم المظهر الجديد للنزعة القومية الفرنسية ـ التى هاجموها ـ وصاروا جزءاً هاما من المركزية الأوروبية ، التى لا تتناسب ؛ بل تدمر منهج « علم الأدب المقارن » ، إذا كان المقارنون الأمريكيون يقصدون ما يقولونه عن عالميته ، ويريدون منا تصديقهم فى ذلك .

(حـ) مـا بعد المدرستين الفرنسية والأمريكية :

إذا كان « علم الأدب المقارن » قد عاش هذه القسمة النظرية ما بين مفهوم فرنسى ومفهوم أمريكى حتى بداية الستينيات من هذا القرن ؛ فإن مرحلة الستينيات قد شهدت تقدما فى مناهج هذا العلم تعدى به هذا الانقسام المنهجى . صحيح أن هناك من يقيم مناهج بحثه على المفهوم الفرنسى حتى الآن ، والذى مازال المنهج التوثيقى الرائد ، كما أن اتساع المفهوم الأمريكى لمقارنة كل نشاط إنسانى معرفى مازال له أتباعه . لكن الذى جد على مناهج البحث هو محاولة لفرز المنهج ؛ بغض النظر عن أى مسمى جديد لعملية الفرز هذه !

ويعتبر العالم الألمانى الغربى « أولرش فايستشتاين » واحداً من أهم الباحثين الذين أسهموا فى مرحلة الستينيات فى نهضة« علم الأدب المقارن » ، ومحاولة إعادته إلى دائرة العلوم الأدبية[11] . فهو قد أكد على أنه واحد من العلوم الأدبية ، وتحرز كثيرا من مقارنة ظاهرة أدبية بظاهرة ما فى ميدان العلوم الاجتماعية أو الفنون .. إلخ ، كما يفعل المقارنون الأمريكيون . لكن أهم ما أضافه هو مناقشته لقضية « التأثير والتقليد » فى باب مستقل[12] ، فند فيه المفهوم الفرنسى ذا النزعة التاريخية والقومية ، ثم ناقش فيه أراء المقارنين الأمريكيين مستحسنا أراء العالم المصرى ـ الأمريكى الجنسية ـ « إيهاب حسن »[13] .

وما يهمنى هنا هو أن « أولرش فايسشتاين » قد خلص دراسات التأثير والتقليد من منزعها القومى فى تقرير فضل مطلق لأمة على أمة أخرى ، وبين تشابكاتها المعقدة ، التى لا تسمح بأية هيمنة أدبية زائفة من أمة على أمة أخرى ، أو من ثقافة على ثقافة أخرى ؛ معتمداً فى الكثير من

←

١١ ـ الف كتابه فى نهاية الستينيات :
Weisstein, Ulrich : Einfuehrung in die vergleichende Literatur Wissenschaft, Stuttgart 1968 .
وهو يعتبر أول كتاب بهذا القدر من الأهمية صدر بالألمانية فى « علم الأدب المقارن » .

١٢ ـ قام « مصطفى ماهر » ـ عميد الدراسات الجرمانية فى الوطن العربى ـ بترجمة هذا الباب الثالث من الكتاب إلى اللغة العربية ، وهو منشور فى : فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٨ ـ ٢٥ .

١٣ ـ دراسة « إيهاب حسن هى :
Ihab Hassan, The Prblem of In fluence in Literary History : Notes Towards a Def initon,in: American Journal of Aesthetics and Art Criticism 14 « 1955 » .

مقدمات نتائجه على تحليل « إيهاب حسن » للظاهرة[١٤] .

ولقد ظهر فى فرنسا اتجاه يعالج جوانب القصور فى المفهوم الفرنسى للأدب المقارن فى الستينيات ؛ أهم معالمه تتضح فى الدراسة التى كتبها « بيشوا » و « روسو »[١٥] ، والتى احتلت فى المفهوم الفرنسى مكانة كتابات « فان تيجم » و« كاربيه » عندما تعدت مفاهيمهم بجدية علمية وحيوية فائقتين .

ولقد أنهت دراسات الستينيات ـ فى تصورى ـ الفصل بين مفهومين فى الأدب المقارن ، وأبرزت المنهج المنفتح على كلا الاتجاهين ؛ لا ليوفق بينهما ؛ وإنما ليضيف إتجاها جديداً . ينظر إلى « الأدب المقارن » نظرة علمية أكثر نضجا منهجيا من نظرة المقارنين فيما قبل الستينيات . لكن ذلك لم ينه أزمة المنظور المتعارف عليه ـ فى تصورى ـ لأنها هى أزمة المنهج ؛ ليس فقط فى إطاره الثقافى الأوروبى ـ وأمريكا جزء من هذا الإطار ـ؛ وإنما أيضا لأن هذا المنهج يتخذ من تمحوره الأوروبى منطلقا يقيس عليه تصورات كل الأطر الثقافية الأخرى فى هذا العالم ، ويرى سلامة هذه التصورات فى مدى تطابقها مع هذا المفهوم الأوروبى المأزوم فى اتجاهاته الثلاثة .

ولا أقصد هنا بالأزمة قضية البحث الدائم الدءوب فى تحديد مناهج بحث « علم الأدب المقارن » فقط ، والتى تعتبر بالنظر المتعمق أزمة الدراسات الأوروبية جملة فى قلقها المنهجى الدائم ، والذى هو علامة صحة فى كثير من وجوهه ، وإنما أقصد بالأزمة قضية المنهج نظريا وتطبيقيا فى نظرته إلى الآداب غير الأوروبية ، وابتعاده ـ فى خضم النظريات ـ عن تحليل الأعمال الأدبية ذاتها موضوع المقارنة وهدفها .

ثالثاً : أزمة تطبيق المنهج فى « علم الأدب المقارن » :

إذا كانت محاكاة الأدباء الأوروبيين للأدبين الإغريقى « اليونانى » واللاتينى[١٦] هدفا دعا إليه علماء اللغة والأدب فى كل أمة

١٤ ـ اولريش فايسشتاين : التأثير والتقليد .
ترجمة مصطفى ماهر فى : فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٥ .

١٥ ـ انظر اسم الكتاب :
Pichois, Claude / Rousseau, Andre - Marie, La Litterature comparee, Paris 1967 .

١٦ ـ اللغة الإغريقية اقدم من اللغة اللاتينية ، خلافا للانطباع السائد .
يرجع وجود أول دليل خطى على وجود اللغة الإغريقية إلى حوالى عام « ١٥٠٠ ق . م » ؛ فى حين يرجع وجود أول دليل خطى على وجود اللغة اللاتينية إلى حوالى عام ٦٠٠ ق . م «
إذن فاللغة الإغريقية اقدم وجودا من اللغة اللاتينية بحوالى « ٩٠٠ » تسعمائة عام .
ويرجع نضج اللغة الإغريقية ، ووصولها إلى لغة يكتب بها الأدب إلى حوالى عام « ٩٠٠ / ٨٠٠ ق . م » من خلال أعمال « هومير » ، فى حين لم تصل اللغة اللاتينية إلى لغة يكتب بها الأدب إلا فى عام « ٢٤٠ ق . م » من خلال كتابات « ليفيوس اندرو نيكوس » .
إذن فاللغة الإغريقية كلغة للأدب اقدم ايضاً من اللاتينية من هذا المنظور بحوالى « ٦٥٠ » ستمائة وخمسين عاماً .

أوروبية ، ثم بينوا فضل هذه المحاكاة فى عصور التنوير والنهضة على ما تلاهم من عصور « الكلاسيكية » والعاصفة والاندفاع ـ فى ألمانيا ـ و« الرومانتيكية » ، إلا أن فضل الآداب غير الأوروبية ، سواء فى العصور الوسطى ، أو فى عصور التنوير والنهضة وما تلاهم من عصور ، ظل ـ برغم وضوحه التام ـ منكورا فى ميدان بحوث الأدب المقارن .

وما نال الأدب العربى خاصة ، وآداب المشرق الإسلامى عامة من تنكر الأوروبيين لها فى ميدان بحوث « علم الأدب المقارن » على اختلاف درجات هذا التنكر فى كل أمة أوروبية ـ شيء فريد فى نوعه . فآداب المشرق العربى الإسلامى هى أقرب مناطق التماس الثقافى ـ العقلى ـ الأدبى لأوروبا بحكم عوامل الجغرافيا والتاريخ ، وبحكم مناطق الإشعاع الحضارى فى بلاد المشرق والتى امتدت حتى الأندلس وكامل شبه الجزيرة الأيبيرية « أسبانيا والبرتغال الآن » ، ثم فى القرن الخامس عشر ، كان كل شرق أوروبا واقعاً فى ظل الهيمنة العثمانية المطلقة ، ولقد تحدثت عن الصلات بين الآداب الأوروبية وآداب المشرق العربى الإسلامى فى هذه الدراسة(١٧) عندما تحدثت عن ميدان « علم الأدب المقارن » .

والآن سنرى كيف نظر « علم الأدب المقارن » فى أوروبا(١٨) إلى هذه الصلات علمياً ، وكيف ينظر علماء الأدب فى أوروبا إلى آداب المشرق العربى الإسلامى الآن .

[يتبع]

د . عبد الله محمد ابو هشة

---

١٧ ـ انظر : عبد الله محمد أبو هشة : الأدب المقارن ـ أزمة المنظور المتعارف عليه فى : مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، السنة الستون ، رمضان ١٤٠٨ هـ / مايو ١٩٨٨ م ، ص ١٢٤٤ ـ ١٢٤٧ .

١٨ ـ أصدرت مجلة « عالم الفكر » عدداً خاصاً عن الأدب المقارن « المجلد الحادى عشر ، العدد الثالث ، ١٩٨٠ » ، يشتمل على بحوث جادة ومفيدة ، لكنها كلها تدور فى فلك المنظور الأوروبى لعلم الأدب المقارن ، معتمدة تقسيماته التقليدية ، دون بناء منظور مستقل .

ولقد اصدرت مجلة « فصول » عددين خاصين عن الأدب المقارن « المجلد الثالث ، العددين الثالث والرابع ، ١٩٨٣ » فيهما بحوث قيمة ، ولكن اغلبها يدور أيضاً فى إطار المفهوم الأوروبى ـ ربما لأن هدف المجلتين هو التعريف ـ باستثناء بحث « أمينة رشيد » عن « الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب » ، « فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ١٩٨٣ م ص ٤٨ ـ ٥٨ » والذى يتضح فيه فهم المؤلفة لمنطلقات المناهج الأوروبية ، وفى نفس الوقت قدرتها على مناقشتها وطرح تصور مستقل عنها . لكن المؤلفة تتخذ من الدعوة إلى ربط « علم الأدب المقارن » بـ « نظرية الأدب » وسيلة لاستقلال المنهج المقارن وإنقاذه ، وبالتالى تختلف فى المنطق والهدف مع منطلق دراستى وهدفها . كما أن دعوة المؤلفة إلى استقلال مناهج العالم الثالث فى الدراسات المقارنة عن المركزية الأوروبية وهيمنتها ، قد تناقضت مع تناولها للنظرية الأدبية مرتبطة بالأدب المقارن ، إذ أن « نظرية الأدب » ذاتها مرتبطة بالمركزية الأوروبية وهيمنة الثقافة الغربية فى منطلقاتها ونتائجها .

من خير ما نشر

« فى هذا الباب تتخير « مجلة الازهر » خير ما نشرته الصحافة من « كلمات جادة » او « راى سليم » او « لمحة تاريخية » او « نقد هادف » على مدى شهر سابق من صدور العدد ، وإذا كانت « المنحة » من هذا اللون قليلة ؛ فإننا نرجو ان نعثر على المزيد بتوفيقه تعالى » .. مجلـــــة الأزهـــــر .

الأستاذ/ عبد اللطيف فايد :

الثقافة الدينية بين الواقع والأمل

إذا كان الاتجاه إلى الثقافة الدينية غالباً وهو الاتجاه الصحيح . فإن الواجب أن يتسع هذا الاتجاه وتكثر المصابيح على جانبيه وأن تتهيأ لها حراسة قوية حتى تظل مضيئة دون أن يعمد أعداء الثقافة الدينية إلى قذفها بالحجارة لينطفىء ضوؤها ، ويتبدد شعاعها ويحرم الناس من هدايتها ، وفى ذلك كسب كبير لحركة المجتمع الرشيدة لأنه من شأنه القضاء على الخلايا التى تعمل فى الظلام باسم الإسلام وعلى المحاولات التى تجرى فى أجهزة الإعلام لجذب الناس إلى السطحية فى الثقافة وإلى التافه من برامج الترفيه مما يجر إلى الخطأ فى تقييم التاريخ والمظاهر الاجتماعية الإسلامية .

د . كمال أحمد مصطفى

كتاتيب زمان ومدارس اللغات

زمان .. كان لدينا شىء عظيم اسمه (الكتاتيب) ، فى هذه الكتاتيب تخرجت أجيال لمعت وتميزت وأجادت شتى العلوم .. على رأسها علوم اللغة العربية وفنونها .. كتابة ونطقاً وقواعد ، ومع كل هذا حفظ مشرف « للقرآن الكريم » أو لمعظم سوره .

لكننا ألغينا (الكتاتيب) .. حتى فوجئنا بتدهور العملية التعليمية مع انتشار المدارس الأجنبية ومدارس اللغات .. ورأينا كم هبط مستوى اللغة العربية ، حتى وصل ذلك لبعض مذيعى ومذيعات (التليفزيون) . وعقدنا المؤتمرات والندوات لمناقشة أسباب التدهور . ولم نثر مرة واحدة قضية (الكتاتيب) ، التى يمكننا أن نعيدها ونعيد معها أجيال العمالقة بإذن الله ..

فمتى نبـــدأ ؟!

الأستاذ : جمال بدوى

قاب قوسين :

هل يستطيع مفكر منصف ـ تحت أى مقياس للنقد الفنى ـ أن يزعم بأن الخلاعة والهيافة والمجون والتهريج فن ؟؟

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

هل يستطيع ناقد مثقف يفهم رسالة الفن أن يخلع صفة الفن على ما نسمعه من عواء ونباح تنطلق به حناجر مريضة تردد كلمات هابطة سقيمة ؟

والسؤال الذى نطرحه هو : هل يجوز إشاعة الإسفاف والفساد باسم الفن ؟

الأستاذ : سليمان قناوى :

مسئول أمريكى يبرىء الإسلام من تهمة الإرهاب

دحض (بول بريمر) السفير الأمريكى المتجول لشئون مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية فكرة أن الأصولية الإسلامية مسئولة عن الإرهاب الدولى ، ذلك أن العالم يضم نماذج كثيرة جداً للإرهابيين ملحدين أصلاً . ويدعم آراء (بريمر) خبير أمريكى آخر فى مكافحة الإرهاب يقول : إن ٦٨٪ من أعمال الإرهاب التى وقعت فى العام قبل الماضى كانت خارج العالم الإسلامى . ويقول (وليام فاف) المعلق السياسى بصحيفة « هيرالد تريبيون » الأمريكية أنه حتى ما يحدث فى إيران يجب التعايش معه . لأن ما شهدته أوروبا والولايات المتحدة من حركات إحياء دينية خلال القرن التاسع عشر فاق فى تجاوزاته الثورة الإيرانية . والغريب أن هناك تطرفاً دينياً مقيتاً فى إسرائيل كتدمير الأوتوبيسات التى تسير فى يوم السبت ولم تحظ من الإعلام الغربى أو حتى العربى بأى تركيز .

متحف لكنوز الكعبة الشريفة .. فى استانبول

توجد كنوز من حلى الكعبة فى متحف طوبكابى سارايى Topkapi Sarayi المشهور باستانبول . ولعل من أروع كنوز حلى الكعبة الأقفال والمفاتيح المصرية فى أيام دولة سلاطين المماليك .

وغير مفاتيح الكعبة يوجد (طبلها)[1] ، مثل (طبلة) عليها كتابات كثيرة من أيام الملك السلطان الناصر فرج . مطعمة بالذهب .

ويوجد غطاء للحجر الأسود أشبه بكسوة له ، من الذهب الخالص .

كما توجد أغطية أخرى له من الفضة . وهو الحجر الذى تجد له عند تقبيله لدونة ورطوبة ينعم بها الفم .

وإجمالاً للقول : توجد فى هذا المتحف حلى الكعبة الشريفة وغيرها من الآثار النبوية التى أخذت من مصر .

الأستاذ/ صلاح منتصر .

مجـــرد رأى

إذا كان صعباً على علمائنا واطبائنا

←

١ ـ المقصود بـ « الطبلة » فى العامية المصرية آلة تغلق بها الأبواب ولها مفاتيح .

من خير ما نشر

وباحثينا أن يضعوا أيديهم على علاج يقضى على البلهارسيا ، فليحاول التليفزيون أن يخوض بقوة وإصرار مجال الوقاية وهو فى كثير من الأحيان خير من العلاج !(٢) .

الأستاذ : أحمد طه النقر :

كل يوم :

نحن نتكلم كثيراً عن **أزمة المياه** وندق نواقيس الخطر ومع ذلك نترك عشرات الآلاف من الحنفيات مفتوحة ليل نهار فى دورات المياه بالمساجد والمدارس والمصالح الحكومية والحدائق العامة . ولا أفهم الحكمة فى أن نصر على رى الحدائق العامة ورش الشوارع بمياه صالحة للشرب ؟

إن واجبنا جميعاً أن نتحرك لمواجهة الخطر عن طريق حملة قومية تشارك فيها مختلف أجهزة الإعلام لترشيد استهلاك المياه قبل أن يداهمنا الخطر ، ونندم حيث لا يجدى الندم .

الأستاذ/ أحمد نصر الدين .

علماء الزراعة يعلنون :

عادم السيارات والمصانع يهدد ٦ آلاف فدان بالتلوث !

حذرت رسالة علمية هامة خرجت من كلية زراعة القاهرة من السموم التى تتعرض لها الزراعات وطالبت بسرعة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية المواطنين من (تسميم) الزراعات المحيطة بالطرق الزراعية نظرا لتسرب عادم السيارات التى تتحرك فوقها .

وأكدت الرسالة أن الصناعات المعدنية واحتراق الوقود هما أهم مصادر التلوث هناك بتلك العناصر التى يمتصها النبات من البيئة الملوثة عن طريق امتصاصه بالجذور والأجزاء الهوائية للنبات .

الأستاذة : مجيدة إبراهيم :

كل يوم :

أثيرت فى الأونة الأخيرة قضية اقتصادية هامة ملخصها أن العديد من الذين أودعوا أموالهم بالبنوك قد أخذوا فى سحبها وسحب الجزء الأكبر منها عندما يتقدمون فى السن بعد أن تأكد لهم أن ضريبة التركات ورسم الأيلولة تصل إلى نحو ٦٥٪ من الإيداعات التى تزيد على خمسة آلاف جنيه بحيث لا يبقى لأولادهم إلا القليل .

وتؤكد الدراسات أن إلغاءهما يحقق زيادة المدخرات وزيادة الإيداعات بالبنوك .

يجب علينا أن ننظر إلى هذه القضية نظرة اقتصادية شاملة لا من زاوية الجباية للأموال ، بل نظرة توصلنا فى النهاية إلى إنعاش الاقتصاد المصرى .

---

٢ ـ مجلة الأزهر :

فى أحد المؤتمرات العلمية قال الدكتور انس مصطفى النجار أستاذ الدراسات العليا للأشعة التشخيصية بـ (عين شمس) لو أن (المتبول) اتخذ وضع (خَلْفَادُرْ) فلا يتبول فى الماء ، وإنما يتبول فوق اليابس يقضى بذلك على البلهارسيا . مهداة إلى التليفزيون المصرى .

أنباء وآراء

إعداد : د. عبد الرحيم السايح

الأزهر يعد مشروع المجلس الاسلامى العالمى

تم الاتفاق بين فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وسماحة الشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت والدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى على أن يتولى الأزهر إعداد مشروع بالنظام الأساسى واللائحة التنفيذية للمجلس الإسلامى العالمى الذى أوصى بإنشائه المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية الذى نظمه الأزهر مؤخرا .

وتقرر أن يضم المجلس خمس لجان هى : اللجنة التنفيذية .. ولجنة تمويل الدعوة والإغاثة ، ولجنة التعليم والدعوة ، ولجنة الإغاثة العامة ، ولجنة المعلومات والمتابعة .

وصرح فضيلة الإمام الأكبر بأن المشروع الذى يعده الأزهر سيعرض فى اجتماع الهيئة التأسيسية لإقراره وذلك خلال شهر محرم القادم ، ويضم الاجتماع الأزهر ورابطة العالم الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى بالعراق ، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت ، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم ، ولجنة مسلمى أفريقيا بالكويت ، ورابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب ، ورابطة علماء المغرب ، والسنغال بالرباط ، واتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة وممثلى وزارات الأوقاف فى الدول الإسلامية والعربية .

مشروع قانون لاعلان الاسلام الدين الرسمى فى بنجلاديش

قدم مودود أحمد رئيس وزراء بنجلاديش مشروع قانون للبرلمان مؤخرا

←

أنباء وآراء

يتم بمقتضاه إعلان الإسلام دينا رسميا لجمهورية بنجلاديش .

ويقضى المشروع المقترح بتعديل دستور بنجلاديش ليصبح الإسلام هو الدين الرسمى للدولة التى يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٠٥ ملايين نسبة ٩٠٪ منهم من المسلمين .

ومن المقرر أن يجرى البرلمان مناقشات مكثفة لمشروع القانون قبل التصويت عليه من جانب أعضاء البرلمان البالغ عددهم ٣٠٠ عضو .

ويتعين لإقرار مشروع القانون الحصول على موافقة ثلثى أعضاء البرلمان على الأقل ، وهو أمر يبدو مرجحا للغاية فى ظل تمتع حزب جاتيا الحاكم بأكثر من ثلاثة أرباع مقاعد البرلمان .

وكان الرئيس البنغالى حسين محمد إرشاد قد أكد عزمه على المضى قدما لجعل الإسلام هو الدين الرسمى للدولة باعتبار أن ذلك يتفق ورغبات أغلبية الشعب البنغالى .

اتحاد إسلامى دولى

كشفت الدراسات المقدمة إلى اجتماع خبراء الأغذية والزراعة بمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى أنهى أعماله مؤخرا أن هناك فجوة كبيرة فى إنتاج الغذاء واستهلاكه فى الدول الإسلامية ـ وأن العالم الإسلامى يعتمد فى غذائه على العالم الخارجى .

أكدت الدراسات أن هناك ٩٥٨ ألف مليون هكتار فى العالم الإسلامى من الأراضى القابلة للزراعة لا تجد من يستثمرها .. بالرغم من كل الإمكانات المادية الكبيرة التى يمتلكها العالم الإسلامى .

وقد قرر المؤتمر إنشاء شبكة للمعلومات لتحقيق التعاون بين الدول الإسلامية فى مجال تبادل المعلومات الزراعية لتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء شارك فى المؤتمر ممثلون من ١٢ دولة إسلامية من آسيا وأفريقيا كما شهده ممثلون عن المنظمات الدولية المهتمة بالزراعة والغذاء .

وصرح الدكتور عادل بلتاجى وكيل وزارة الزراعة ومقرر الاجتماع أن توصيات ونتائج هذه الاجتماعات سوف تعرض على مؤتمر وزراء الزراعة فى الدول الإسلامية الذى سينعقد فى إسلام آباد فى شهر أكتوبر القادم .

الإسلام سيصبح الدين الثانى فى أمريكا الشمالية

أبرزت صحيفة يوجوسلافية تزايد اعتناق الأوروبيين وخاصة الأمريكيين للدين الإسلامى ، وأكدت أن المسلمين سوف يشكلون أغلبية تزيد على عدد اليهود فى الولايات المتحدة فى غضون قرن واحد ليصبح

الإسلام هو الدين الثانى فى أمريكا الشمالية .

وأشارت صحيفة « الاكسبريس » فى مقال لها عن الإسلام : أن أول مسلم أمريكى سوف يدخل أعتاب الكونجرس الأمريكى خلال العامين أو الثلاثة المقبلة مما يشكل بداية منافسة كبرى بين اللوبى الصهيونى المؤيد لإسرائيل واللوبى الإسلامى الجديد الآخذ فى الصعود .

وأضافت الصحيفة اليوجوسلافية أن المسلمين الأمريكيين والأوروبيين بدأوا فى تأقلم دينهم مع واقع الحياة اليومية وخاصة ضمن متناقضات هذا الواقع .

وأشارت الصحيفة إلى أن الإسلام استطاع التغلب على الحواجز العنصرية داخل المجتمع الأمريكى المسلم إذ أصبح من خلال الدين الحنيف يتعاون الأبيض والأسود فى حياة واحدة ونظم مشتركة .

إعادة العمل بقوانين الشريعة

أعلن الصادق المهدى رئيس وزراء السودان ، عزم بلاده على إعادة العمل بقوانين الشريعة الإسلامية فى السودان .

وكان قد توقف العمل بها بعد الانتخابات الأخيرة هناك . وأكد أن هذا يأتى تلبية لرغبة وتطلعات الأغلبية المسلمة للشعب السودانى . وأن من حق هذه الأغلبية أن تختار القوانين التى تراها ، وأن معارضة البعض لن تحول دون تطبيق الشريعة لأنها رغبة الأغلبية وعلى الأقلية أن تحترم إرادة الأغلبية وأن حقوق الأقليات مكفولة فى ظل قوانين الشريعة .

هل يذبح المسلمون أضحياتهم فى انجلترا .. ؟

نشرت صحيفة الرائد الهندية الخبر التالى :

« قررت الحكومة البريطانية عدم فرض حظر على طريقة ذبح المواشى طبقا للطريقة الإسلامية » .

كانت بعض الجمعيات فى بريطانيا تعارض بشدة ذبح الحيوان على الطريقة الإسلامية .. هذا مع رضاها التام عن ضرب الحيوان بمطرقة حديدية باعلى جبهته تصرعه قبل ذبحه .

إذا صحت نية بريطانيا فى هذا الاتجاه فإنما دفعها إلى ذلك الربح المادى الذى يدر عليها بسبب إصرار المسلمين من مواطنى الشرق الأدنى (الأوسط) على استيراد اللحوم مذبوحة على الطريقة الإسلامية ، ويؤيد موقفهم هذا بوجود مندوب عنهم يشرف على عملية الذبح هذه .

والذى نلفت النظر إليه أن حكومة بريطانيا لم تعترض إطلاقا على طريقة الذبح الإسرائيلية على ما فيها من تشدد إطلاقا .

←

أول معهد للاقتصاد الاسلامى

وافق مجلس كلية الحقوق بجامعة الأسكندرية على اقتراح قسم الشريعة الإسلامية بالكلية على إنشاء معهد الدراسات الاقتصادية الإسلامية ، سيعمل هذا المعهد على دراسة المشاكل الاقتصادية من الوجهة الإسلامية ووضع الحلول لتلك المشاكل .

مساجد جديدة فى بولندا

افتتح المسلمون فى بولندا ثلاثة مساجد جديدة فى العاصمة « وارسو » ومدينة « جدانسك » .

وذكرت المصادر الإسلامية فى بولندا أن المسلمين فى بولندا ساهموا فى تمويل المساجد الثلاثة بالإضافة إلى المساعدات من الدول الإسلامية ، وعلى رأسها مصر والسعودية والكويت والإمارات والعراق .

وأشارت المصادر إلى أن المساجد الثلاثة تكلف إنشاؤها نحو ١٢٥ مليون دولار . وأنها تضم مكتبات إسلامية ، وقاعات لإقامة المناسبات الاجتماعية الخاصة بالمسلمين .

وضع (٣٥) ألف مسلم ألبانى

اكد الشيخ وهبه إسماعيل مدير المركز الإسلامى الألبانى بولاية (ديترويت) الأمريكية : أن الشيوعيين الذين سيطروا على الحكم فى البانيا اضطهدوا المسلمين وأذاقوهم مختلف صنوف العذاب فاضطر اكثر من ٣٥ الفا من المسلمين الألبان إلى الهرب من جحيم الشيوعية ،وجاءوا إلى ولاية ديترويت الأمريكية وكونوا الجالية الألبانية الإسلامية .. وقال الشيخ وهبة : إن عالمية الإسلام حقيقة واقعة ولكن لابد ان ينهض المسلمون باعباء الدعوة ، ويواجهوا المؤامرات التى تستهدفهم فى كل مكان من العالم .

٢٠ قسيسا اعتنقوا الاسلام

اعتنق عشرون قسيسا فلبينيا الدين الإسلامى وهم يعملون الآن فى مجال الدعوة الإسلامية بمختلف مناطق الفلبين .

أعلن هذا العالم الفلبينى الدكتور « أحمد بوموكاو أنيتو » الداعية الإسلامى والزعيم السياسى الفلبينى .

وقد أضاف : أن الأرقام والإحصائيات تشير إلى إسلام (٣٠٠) الف شخص خلال السنوات العشر الأخيرة .

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحيـــــــــة	
« نـــــدوة واحكـــــــام »	
للدكتور على أحمد الخطيب	١٤١٧
● مقدمـــة لصحافـــة إسلاميـــة	
للأستاذ حسن على العنيبسى	١٤٣٠
● دور المصارف الإسلامية فى الحد من التضخم	
للأستاذ : مجدى عبد الفتاح سليمان	١٤٣٨
● رجال القراءات « الإمام ابو جعفر المدنى »	
للأستاذ الشيخ : إبراهيم عطوة عوض	١٤٤٤
● نســاء فــى تاريــخ الإســلام	
« كريمة المروزية ـ فقيهة مكة فى القرن الخامس الهجرى	
للأستاذ محمود السباعى	١٤٥٠
● الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع والقتال قبل غـــزوة بـــــدر	
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	١٤٥٥
● ضمانات الحقوق والحريات فى الدولة الإسلامية	
للعميد أ . ح فوزى محمد طايل	١٤٦٢
● قــراءة فــى كتــاب « الذمــى »	
للأستاذ إيهاب محمد مهدلى	١٤٦٨
● الوصايـــــــا	
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر	١٤٧٣
● مسئوليتنـــا نحـــو ابنائنـــا	
بقلم الأستاذ محمد عبد السميع شبانة	١٤٧٧
● الفتـــــاوى	
الأستاذ عبد الحميد شاهين	
الأستاذ صفوت عبد الجواد	١٤٨٢
● مـــن اعـــلام الأزهـــــر	
« الإمام الأكبر مصطفى عبد الرازق »	
للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى	١٤٨٤

الشعـــر والشعـــراء
اشـراف د . حسن جاد

الموضوع	الصفحة
● هنـــا المؤمنـــــون	
شعر : رشاد محمد يوسف	١٤٩٢
● إلـــى الكلمـــة	
للشاعرة : جليلة رضا	١٤٩٤
● عاقبـــة الطغيــــان	
شعر : أحمد محمود مبارك	١٤٩٦

العلـــوم الكونيـــة

الموضوع	الصفحة
● الاعجاز العلمى فى القران الكريم	
د . محمد جمال الدين الفندى	١٤٩٨
● خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى	
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا	١٥٠٣
● النمـــو والتطـــور فـــى الطفــل	
للدكتورة : سحر النجار	١٥٠٩
● من روائع الماضى « لغتنا بين النقد والتاريخ »	
للأستاذ الشيخ : صادق إبراهيم عرجون	١٥١٣

اللغـــة والأدب والنقـــد

الموضوع	الصفحة
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث	
للدكتور السيد رزق الطويل	١٥١٨
● طرائـــف ومواقـــــف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٥٢٤
● شخصية « عالم الدين » فى الرواية العربية	
للأستاذ الدكتور : شلتاغ عبود شراد	١٥٢٦
● الأدب المقـــــارن	
للدكتور عبد الله محمد أبوهشة	١٥٣٩
● مـــن خيـــر ما نشـــر	
إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعة خفاجة	١٥٤٠
● انبـــاء واراء	
إعـداد : دكتور عبد الرحيم السايح	١٥٤٣

القسـم الانجليـــزى
اشراف د . أنس النجار

الموضوع	الصفحة
● المقالـــة الثالثـــة	
للأستاذة فاطمة محمد سرى	١٤٤٩
● المقالـــة الثانيـــة	
د . سعد مصطفى	١٤٥٤
● المقالـــة الأولـــى	
د . أنس مصطفى النجار	١٤٥٨

Him. He guided the rest of mankind to contemplate His other Creations and to evidence His Existence. He guided all creatures to the essential means to maintain their subsistence.

95. The SUPERB Al Baddie البديـع

He is unparalleled. His Entity, His Attributes and His Dealings are unmatched. Everything is preordained and everything returns to Him.

The Acme of His Grandeur transcends the reach of the mind. He is The Absolute Superb throughout eternity and infinity.

96. The SEMPITERNAL Al Baqqi الباقـى

He is The Eternal, The Infinite. His Existence is, by essence, perdurable, everlasting and unending.

97. The HEIR Al Warith الوارث

To Him shall all ownerships revert when all possessors have ceased to exist. And to Him, everything and its destiny return.

98. The ALL-SAGE Al Rasheed الرشـيد

His Dispensations are exacted to their foreordained destiny by Divine Decree, in impeccable order and serving their inevitable purpose.

99. The LONGANIMOUS Al Saboor الصبـور

No urgency is exigent to call for action before its elected time. All things happen as predestinated.

Only He can ascribe to each affair an allotted order of timely occurrence according to His Design.

****

(Original Publication by Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

"AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES SO INVOKE HIM BY THEM"

89. The ENDOWER Al Moghni المغنـــى

His Endowment is indicative of His Grace upon His beings.

90. The AVERTER Al Manie المانـــع

He averts causes of doom, derogation and calamity to the body and to the soul.

91. The HARMING Al Darr الضـــار

92. The BENEFACTOR Al Nafie النافـع

He decrees Good and Evil, Benefaction and Harm.

93. The SPLENDID Al Noor النـــور

He is The Light by Which all is elucidated.
He is also Self-Evident, and hence His Splendour.

94. The GUIDANCE Al Haddy الهـادى

He guided an elected few to comprehend The Divine Deity and use this knowledge as a faculty to gain recognition of

and preseved by mankind has ever made this claim and none will possess that privilage of the multi millions of books written throughout time, religious, scientific, literature, historical, encyclopoedic, or otherwise, can ever at all claim what the Holy Quran extorts for itself "the Book that stands no doubt, no uncertainty and no confusion". The Holy Quran is endowed with absolute respect, reverence, and sanctity.

The Holy Quran is not meant as a book of science, rather as a doctrinal moral code, providing within its context the fundamentals of the sciences of creation in a manner consistant with perpetual universality. It is an unaltered unchanged text, precisely to the letter since the Holy Revelation to the Prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him), fourteen centuries ago. The Holy Quran is the Divine Words of Allah, the ultimate final detailed scripture to mankind. To Allah is due the primal origin of all creation; The Ever-Living, The Sustainer of the universe. There is no god but Allah, The All-Knowing, The Dominating, The Absolute, The Transcendent. From the Holy Quran, mankind through the ages can derive benificial knowledge, codes of individual and social conduct, material legislations, scientific truth of creation, mercy and blessing, enlightment and guidance.

The gain of scientific facts from the Holy Quran by mankind is not in reality the prime importance. What is really important are the conclusions drawn in the mind of man from his knowledge of these sciences. Mankind is singled out of all creation to be possessed with the power of thought, learning, differentiation, perception, accumulation, innovation, and freedom of action. The use of these faculties in proper fuction will guide the thinking observant mind to the Light and Reality; will lead to the true love of submission to Allah, The creater, The Omnipotent, The Eternal. The degree and purity of man's love and submission to Allah is a function of his comprehensive understanding of the Reality of Creation. In this path of attaining the recognition of Reality, the pool of knowledge and enlightment will intensify, and man's perception will ever promote to realize more advanced realms of knowledge. This is the sequential growth of knowledge, the origin, the substance and the fruit.

Islam concedes as the central single dictum, the true pillar of light, the ultimate element of Reality, the seed of true knowledge, that Allah is One, His guidance is one in purpose, His creation is one in pattern, and that mankind as the highest and most complex creation is the only one to be the vicegerent of Allah on earth.

soil structure; geological formations and the origin of creation; all these sciences of what mankind has some knowledge of, and much more of what mankind is as yet ignorant of; are well documented and possess a place of inference in the Holy Quran. There is no book of scripture, or man written that constitutes within its domain the extensiveness and vastness of the Holy Quran. The Holy Quran is the supreme unequalled, unparalleled, unequivocal text in the entire history of mankind, from the birth of creation to eternity. The Holy Quran is the splendor of knowledge, the master lantern of enlightment, mercy and cure of the human race.

In the text of the Holy Quran " .. Nothing have we omitted from the book ..." (Surat Al-Anaam, V. 138). Also in the text of the Holy Quran "... they will say, Ah woe to us what a book is this; it leaves out nothing small or great, but takes account thereof .." surat Al-Kahf XVIII, 49). While the Holy Quran professes that it is the exactness and ultimate truth with no doubt about it, secular science claims to be probabilistic, to be non-deterministic, to be viod of the exact real ultimate Truth. The situation is one of truth versus non-truth, of ultimate reality versus theory conjecture postulation speculation and probability.

This indicates the fundamental truth, the Unity of the Law controlling and organizing the universe in all its expansive dimensions, the Oneness of the Creator, the basic ingredient of Al-Tawhid. The style of teaching throughout the text of the Holy Quran is admonitory and suggestive instruction inviting mankind to observe, learn understand conclude believe, and finally submit in obedience to the eternal system of Divine worship. The unity of the Holy Quran as an integrated Divine Revelation from Allah to mankind is multidisciplinary, multifaculty, multipurpose scripture. However, it flows with precise cohesiveness, purposeful designed sequence and interted projected calculated repetition, exactness of expression and supremeness of literary elegance. Throughout its entirety it embodies perpetual riches of benificial knowledge for the ultimate guidance of mankind. The Holy Quran is also considered as the master teacher of the Arabic language in all its forms of grammar and language science. The ultimate evidence and complete reassurance comes from the Holy Quran itself in the opening statement that it is the Book that stands no doubt, no uncertainty, and no confusion, it is the true guidance for those who comprehend Reality, resonate with truth, and submit in faith to Allah. No other book written

The study of physics, chemistry, and properties of matter, the phenomena of electromagnetism, the dimensions of time and space, and the alternations of night and day are distinctly mentioned in the text of the Holy Quran. The text comes in a manner that is rational, interrelated, comprehensive, stimulant to the thought, enlightening to the mind, and portraying the sublime magnificence of Divine Mastery and power. Mathematics as the science of numbers is mentioned with frank distinction in the text of the Holy Quran as the root of quantitation of all knowledge. No knowledge is complete and well understood untill it is quantized. Mathematics in this sense is the integer of knowledge, the element of wisdom and the pillar of meaning. Essentially, it is the origin of understanding the meaning and attaining the belief in the axiom of reality, that the creator is One. The original concept of Mathematics in Islam is intimate to the doctrine of Al-Tawhid, the Oness of Allah as the central dictum of the Faith. The study of mathematics introduces order, balance, and harmony to every branch of knowledge; and Muslim mathematicians have made several fundamental contributions to mathematical sciences for nearly a millenium. The Holy Quran mentions numbers in many different contexts, that are beyond the scope of this article to be enumerated. However, numbers are mentioned as specific integers of precision, constants, multiplicity factors, time periods, pattern of design, perfection of creation, exactiness of dimension, abundance, expression of finite limitation and of infinite boundlessness. They are also mentioned as numericals for worship rituals, as portions of legacies and inheritance, and in several other aspects of Islamic legislations and teachings, in reward and punishment, fasting of the month of Ramadan, payment of the Zakat, performance of Salat, as measures and weights of justice and human rights. One of the most important and crucial concept in Islam is the concept of "Al-Mizan" meaning the balance of utmost precision. Such diverse and very popular application of mathematics in the Holy Quran has stimulated research and precision of mathematical knowledge. Such work deepened and maintained firmness of belief in the fundamental doctrine of Al-Tawhid, the Oneness of Allah.

The sciences of psychology, sociology, economy, sexology, obstetrics, hygiene and mental health; the biological basis of embryology and fetal development, the process of ageing and senility, child care and family planning; the disciplines of individual liberty and social freedom, human rights, consumption and distribution and exchange, agriculture and related sciences, the knowledge of

This fundamental truth, leads the mind of man to recognize and embrace the reality of Belief. Allah, the creator of the universe and what is beyond in the realm of the unknown, with all its intricate complexity, riches; has subjected all to the service, use and exploitation by mankind. As mankind continues to search, to learn, to gain knowledge, to discover the potentialities, to harness nature, to cultivate; mankind should with his rational thinking in true honesty of scientific conclusion become cognizant and comprehensive of the true Axiom of Reality. "There is no diety by Allah, the Fashioner, the Creator, the Eternal, the All-Knowing.

The study of cosmology, Astronomy, and Astrology in the text of the Holy Quran presents a concise synopsis on celestial creation, its purpose of facts, and its relationships with time and space. The Quran does not provide lecture notes on these subjects, but reflects on the glory of organization, grandeur of creation, precision of equilibrium, control of harmony, supreme cohesion of purpose, and a proof of Divine power and intellegence.

> "Allah is He who raised the heavens without any pillars that ye can see; is firmly established on the throne of Authority; he has subjected the sun and the moon, each one runs its course for a term appointed".
>
> (Surat Al-Raad, X111,2)

> "We have made the Night and the Day as two (of our) signs. The sign of the Night have we obscured; while the sign of the day, we have made to enlighten you; that ye may seek bounty from your God; and that ye may know the number and count of the years: all things have we explained in detail.
>
> (Surat Al-Israa "Bani Israil, XVII, 12).

> "It is He who made the sun to be a shining glory and the moon to be a light (of beauty), and measured out stages for her; that ye might know the number of years and the count of time. Nowise did Allah create this but in Truth and righteousness. Thus doth He explain his signs in detail for those who understand
>
> (Surat Yunis, X,5).

THE HOLY QURAN AND SCIENCE

Part II

By. Dr. Saad Moustafa Moustafa (M.D)

The revelation of the Holy Quran is the source and original basic reference of all beneficial scientific knowledge in its fundamental foundation. The traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) constitute detailed annotations, interpretations, clarifications and illustrative demonstrations. His life, conduct, actions, examples, and words are in their totality conducive and implemental to the proper understanding of the doctrines of the Holy Revelation. The central basic themes of benificial scientific knowledge are inherent in the text of the Holy Quran. The fundamental essentials of all scientific phenomena as established by the most recent knowledge have been precisely indicated in the Holy Quran, for the purpose of human enlightment. The enlightened mind will think, and honest thinking with rational thought must eventually lead the mind to the realization of the Reality of creation.

Scientific data based on the observations of the natural phenomena, points clearly to the existance of a unitary system fundamentally present in all the disciplines of creation. The same physical laws govern both calestial bodies and sub-atomic particles. The physical chemistry of material formation of solids, liquids and gases; the laws of hydrodynamics; the principlas of heat regulation and transfer; the phenomena of pairs that is constantly observed in both animate and inaniamte creation; the complex structure of the human body and the secrects of the soul; the broad links in the domains of scientific entities; and the precise quantitations and precision involved; all this and the exactness of the slow or rapid changing pattern of cosmic equilibrium are examples of universality and unification in the root of origin of creation. The infinite vastness and sequential hierarchic constitution of the cosmos indicate implicity and beyond doubt the unity of creation, the Oneness of a creatar, the Oness of Allah.

widow before the lapse of time that a widow should remain without marriage after her husband's death, according to Islamic law? Such conduct was a breach of the Islamic Shariah that necessitated questioning and punishment. Confronted with such rational criteria of objection and the determined insistance of Omar, Abu Bakre summoned Khalid to Al-Madinah.

Khalid ibn Al-Walid arrived at Al-Madineh in his battle dress with two arrows in his turbin. As he entered the Mosque, Omar met him, pulled the arrows, broke them, and addressed him in severe words of criticism. Khalid did not answer but continued on his way to meet Abu Bakre. In the presence of Abu Bakre, Khalid tried to justify his actions by presenting his point of view to Abu Bakre. Abu Bakre finally pardoned Khalid after seriously intimidating him for his confuted behaviour, and ordered him back to his command.

The differences in opinion between Abu Bake Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab regarding the erroneous conduct of Khalid ibn Al-Walid was actually a difference of political standpoint and circumstantial judgement. Omar ibn Al-Khattab was a highly rigid conservative justified thinker. He was of the opinion that Khalid committed a grave injustice by killing Malik, and a breach to Islamic law by marrying his Widow before her term ended. Such conduct must be confronted with exactness of discipline and punishment even with Khalid ibn Al-Walid, the reputed victorious commander that he was. Such matters do not differentiate between a layman, and a man of rank. Any tolerant leniency in such matters, inspite of all circumstances, would lossen the respect of Muslims to the teachings of Islam, and give allowance to the furtherance of similar actions. Abu Bakre Al-Siddiq considered the matter with a different light of understanding. He conceived that the extreme criticality of the prevailing circumstances at that time cannot allow exactness in such comparatively trivial matters. What was the killing of one man wrongly or rightfully compared to the ranging war that was on, the hundreds that were being killed, the magnitude of danger that was certainly encircling the Muslim nation and Islam. And that man Khalid, who was accused of fault and misconduct, was that very man raising his sword and banner and proceeding in Peninsula under the domain of Islam. Abu Bakre saw that nothing was equal to the seriousness of the situation as it were, it was by far of top priority over anything else. He summoned Khalid ibn Al-Walid to Al-Madinah, intimidated him; and sent him back to his command with orders to prepare his army to march to Al-Yamamah the dwellings of Bani Hanifah the strongest consortium of renagades against Islam.

Bani Tamim; Khalid ibn Al-Walid and the Muslim worriers had subdued the forces of Tulayhah ibn Khuwaylid at Al-Buzakhah, and were making preparations to move to Al-Bitah to confront those apostates from Bani Tamim. Malik ibn Nuwayrah remained till that time inconsistant in his decision to return to Islam, or to remain an apostate. Finally Malik decided to return to Islam, and advised his people to disperse and declare their return to islam. When Khalid ibn Al-Walid arrived at Al-Bitah, he found no body to resist him, and he ordered his men to scan the territory and bring anyone who refused Islam. Malik ibn Nuwayrah and some men of Bani Yarboo were brought forth to Khalid, and Khalid after a brief discussion with Malik, ordered his men to kill Malik, which they did. Several versions of the details of the death of Malik ibn Nuwayrah and the brief discussion he had with Khalid ibn Al-Walid are recorded in the documentaries on the subject. The final conclusions that may be drown from the various versions indicate that Khalid ibn Al-Walid was not exactly rightful in killing Malik, and that Khalid's decision to kill Malik was certainly taken with some haste and without proper deliberation. What added to the magnitude of the event and the complexity of the matter was that Khalid ibn Al-Walid married Um Tamim "Lyla" Malik's widow, very soon after Malik's death; a conduct highly disgraced according to Arab traditions. Again, this incidence is related with much commentary by the various authors. What is certain, however, is that Khalid was infatuated by Um Tamim, married her at the most inappropriate time and circumstances, and kept her as wife inspite of the severe criticism and immense troubles that incident brought him.

The matter did not end at that, one of the men in Khalid's army, Abu Qitadah Al-Ansary revolted against what he considered was a very unorthodox disgraceful conduct on the part of Khalid. Abu Qitadah left the army, refused to be under the command of Khalid and returned to Al-Madinah to meet with Abu Bakre to declare his intense disapproval. Abu Bakre listened to the words of Abu Qitadah, however, his response to these words did not satisfy or quench the rage of objection against Khalid . Abu Qitadah found support in the resolute response of Omar ibn Al-Khattab against Khalid's conduct. Omar could not remain silent and indifferent, he approached Abu Bakre and pressed him to take action against Khalid, who in Omar's opinion, killed Malik without being certain that Malik remained an apostate, and the fact was that Malik had returned to Islam. Moreover, how could Khalid marry Malik's

the Muslim situation as they confronted the wave of atavism that spread against Abu Bakre, after the Prophet's death. Sagah was the only woman at the time who falsly claimed prophecy and practiced magic and witchcraft. It was natural that Sagah would go to the tribe of her father Bani Tamin as she and her followers come south from Iraq with the intention to attack Al-Madinah, defeat the Muslim forces and overthrow the authority of Abu Bakre. When Sagah and her followers arrived; Bani Tamim were at the peak of their difference in opinin regarding their relationship with Abu Bakre and the Muslims. Sagah and her followers determined the issue; to confront and defeat the Muslims should be the attitude taken by Bani Tamim. Sagah declared herself a prophet with spiritual abilities of an alleged revelation, and approached Bani Tamim to believe in her, follow her in her prospective battle against Abu Bakre.

Sagah convened with Malik ibn Nuwayrah to discuss the matter of their alliance and to attack Al-Madinah. Malik convinced Sagah to give up attacking Al-Madinah, and to help him subdue his opponents of Bani Tamim. The woman accepted, and fighting started between the followers and the opponents of Malik. However, hostilities soon ended, and Bani Tamim criticized and condemend the conduct of their leader Malik ibn Nuwayrah, and demanded that Bani Tamim should terminate all relationships with Sagah and her followers. Sagah withdrew with her followers and again entertained the idea of marching against Abu Bakre at Al-Madinah. She arrived at Al-Nibag where she was met by Aws ibn khuzaymah who defeated her and then arranged a truce on condition that Sagah and her followers would not cross Al-Nibag to go to Al-Madinah. Sagah and her followers finally decided to go to Al-Yamamah and join forces with Mussaylimah "the impostor" of bani Hanifah, the strongest consortium of apostates. At Al-Yamamah, Sagah married Mussaylimah, a strange marriage that lasted few days, after which she went back to her people in Taghlib where she remained among her clan.

This is the story of Sagah bent Al-Harith, a peculiar story of an eccentric woman. It is reasonable to believe that Sagah's venture in the north east of the Arab Peninsula was planned by Persian influence and political intrigue to intensify the problematic situation that the Muslim regime under Abu Bakre was facing after the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

During the time those events were taking place in

ABU BAKRE AL-SIDDIQ WAR AGAINST APOSTATES

PART III

SAGAH AND MALIK IBN NUWAYRAH

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar (M.D.,Ph D.)

The dwellings of bani Tamim neighours Al-Madinah from the east and extends eastward towards the Persian Gulf, and north east to Iraq. The tribes of Bani Tamim were reputed for bravery, chivalry and poetry. At the time of the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), Bani Tamim were Muslims, obeying the Prophet and performing all requirements of Islam. Malik ibn Nuwayrah from the tribe of Bani Yarboo, a branch of Bani Tamim, was an agent for the Prophet in Bani Tamim. When the Prophet died, Malik ibn Nuwayrah was of the opinion that the Zakat should not be given to Abu Bakre as Khalifa of Rasul-Allah, and that Al-Madinah had no furthrer authority on the Arab tribes. This declaration placed Malik and those that followed him from Bani Tamin in a position of definite hostility with the authority of Abu Bakre. Bani Tamin with Malik ibn Nuwayrah at their head were considered apostates. However, some groups of Bani Tamim retained their Islam and ackowledged the rightful authority of Abu Bakre. This difference in the attituddes of Bani Tamim resulted in disruption of opinion and weakening of consolidation and strength of Bani Tamim.

As Bani Tamim were in this condition of dispute, a woman called Sagah bent Al-Harith arrived from Iraq followed by people from Taghlib and worriers from the tribes of Rabia, Iyad and Shayban. Sagah's father was from bani Tamim and her mother from Taghlib in Iraq. She was antagonistic to Muslims, known for her cleverness and intelligence. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died, Sagah entertained the idea of attacking Al-Madinah to subdue Abu Bakre and the Muslims. Some authors believe that Sagah was entreated to such an impulsive adventure by the Persian policy in Iraq with the aim to intensifv the criticality of

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Zu Al-Qidah, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar (M.D., Ph.D)

CONTENTS

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates, Part III.
   "Sagah and Malik Ibn Nuwayrah.

   By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2. The Holy Quran and Science, Part II.

   By: Dr. Saad Moustafa Moustafa.

3. The Most Magnificent Names of Allah.

   Collected By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة وأحكام

٢

فى هذا الجزء تشعب الحديث فتطرق إلى موضوعات : الفن ، دليل التحريم لبعض أنواعه فى إطاره المعروض ، حفلات الجامعة ، مرجع الأحكام الشرعية ، الانضباط فى البلاد الإسلامية وغيرها ، سلبيات المجتمع ليس الأزهر مشجبا لها ، ضعف المستوى ، جامعة الأزهر الجديدة .. الخ .

←

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى عشر
السنة الستون
ذو الحجة ١٤٠٨ هـ
يولية - اغسطس ١٩٨٨ م

قال الأستاذ البلك : بمناسبة الفنون والحديث عن الفنون ـ والكلام موجه إلى أجهزة الإعلام لأنها هى التى تبث المنوعات والبرامج المختلفة ـ أريد أن أقول : إن أجهزة الإعلام تخاطب أذواقا مختلفة وطباعاً مختلفة ، ونحن فى أجهزة الإعلام ـ بدليل هذه السهرة التى نقدمها ـ نقدم العلم ، ونقدم الدين كذلك نقدم الترفيه أيضاً ، والترفيه مطلوب ، ربما النقطة التى أريد أن أصل إليها هى أن كل شىء لابد أن يكون محسوبا ، أى يتم بقدر معين بحيث لا يطغى جانب على آخر ، هذا الموضوع أيضاً يشدنى إلى ما أثير فى الفترة الأخيرة من بعض الاعتراضات على ألوان من الفنون كالموسيقى مثلاً والحفلات الموسيقية التى أقيمت فى بعض الجامعات ؟

الإمام الأكبر : هذا أمر غير منضبط بمعنى أن حصر جزئياته أمر غير وارد .

الأستاذ حلمى : بدليل أننا سمينا إضاعة الوقت فن (فن إضاعة الوقت) .

الإمام الأكبر : نعم أمر غير وارد ، هناك باستمرار أمور متجددة ، لكن من حيث الحكم بالحل أو الحرمة ، فقواعد الإسلام تبين أن المحرم : إما محرم لذاته ، أو محرم لغيره ، وبهذا الاعتبار نستطيع الحكم على كل ما يجد أمامنا ، المحرم لذاته ذُكِرَ بالنص : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾(١) ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . ﴾(٢) إلى آخر المحرمات التى نص عليها القرآن لذاتها .

هناك محرمات لغيرها نجدها فيما يقوله الأصوليون : « باب سد الذرائع » مثلا ، عندما ننظر إلى الفنون وما أثاره الأستاذ حلمى من حيث الحفلات الموسيقية أو الغناء : هل نجد فى نصوصنا ـ فى القرآن أو فى السنة ـ تحريما مباشراً ؟

لا نجد نصاً ظاهراً واضحاً فى هذا ، لكن حينما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٣) .

والرجل يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه .

هذا هو « سد الذرائع » فقد نمنع شيئاً مباحا لأنه سيؤدى إلى مفسدة ومضرة أكبر ، لذلك أعتقد أن الحكم على ما أثاره الأستاذ حلمى يأتى فى نطاق هذا .

هل تصورنا مثلا « واقع الغناء » فى عصرنا ، أو « واقع الموسيقى » فى عصرنا ما هو ؟ هل الحفلات العامة التى تقام للأغانى وللموسيقى : هل هى مقصورة على مجرد استماع الموسيقى والغناء ، ولن نتحدث هنا عن مادة الموسيقى نفسها ، ثم هذه الأغانى التى سنستمعها ما مادتها ؟

---

(١) المائدة ـ ٣ .
(٢) المائدة ـ ٩٠ .
(٣) الأنعام (١٠٨) .

ماذا يحدث فى هذه الحفلات ، فى هذا الاجتماع المختلط ، والذى تتباين فيه الأخلاق والأذواق والطباع ، وما قدرة أى إنسان فى هذا الجمع على السيطرة على نفسه وعلى الالتزام بما يجب من آداب ؟

أعتقد أننا إذا تكلمنا فى نطاق هذا الذى قلته ربما نصل إلى نتيجة .

الشيخ إبراهيم : إذا كانت الوسيلة ستؤدى بنا إلى محرم ، فالوسيلة حرام طبقاً لما تؤدى إليه ، أما إذا كان هذا العمل لا يجرنا إلى محرم ولا ينطوى على محرم فالإسلام لا يحرمه .

الأستاذ حلمى : أنا أفترض أن هذا العمل ، أو هذه الموسيقى ، أو هذا اللون من ألوان الفنون لون محرم : هل يبيح الإسلام لكل إنسان الاعتراض لمنع هذا العمل ؟

الإمام الأكبر : أنا أرجو أن يرجأ هذا التساؤل بعض الشىء حتى نقول أولا : هل الموسيقى فى ذاتها حرام ؟ الغناء فى ذاته حرام ؟ أريد البيان على نطاق ما بدأت به الحديث : من (الحد) بين الحرام لذاته ، والحرام لغيره ، فهل الغناء فى ذاته محرم ؟

الشيخ إبراهيم : حينما ننظر إلى الموسيقى والغناء نقول : إن كان هذا العمل الذى يقدم سواء كان غناء أم موسيقى ليس فيه شائبة مما يثير ..

الإمام الأكبر : أنا أفترض يافضيلة الشيخ إبراهيم أن الذى يغنى ، أو التى تغنى تقول : وُلد الهدى .

الشيخ إبراهيم : سأتكلم فى هذه ، إذا كان بحيث يثير ، ما يقال أو ما يسمع ، فى الإنسان غريزة ، أو يثير فيه لونا من الألوان المحرمة ، أو يدفعه إلى محرم فهو حرام . أيا كان : سواء كان هو بذاته أو كان وسيلة إلى الوقوع فى محرم ، الوسيلة للحرام محرمة ، والوسيلة فى الغناء إما أن تكون بذاتها فى نفس الكلمات ، أو نفس الإلقاء ، أو نفس الصوت .. كل هذه إذا كانت بحيث تثير تكون محرمة .

الأستاذ البلك : وإذا كانت - كما قال فضيلة الإمام الأكبر - تغنى أغنية فيها مديح للرسول عليه الصلاة والسلام .

الشيخ إبراهيم : إذا كان الصوت بحيث يثير فهو حرام .

الأستاذ البلك : حتى ولو كان مديحاً ؟

الشيخ إبراهيم : ولو كان مديحاً .

الإمام الأكبر : يعنى يافضيلة الشيخ إبراهيم كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٤) قد يكون المغنى سيدة تقول : « الله » ، وهو ذكر لله ، ولكنها تقول ذلك بطريقة فيها إثارة ، إذاً نأخذ من كلام فضيلة الشيخ إبراهيم ، أنه إذا كانت نفس الأغنيات تحوى كلاماً عفا ناصحاً ليس فيه دعوة إلى إثم أو شىء من هذا ، ثم فى الوقت ذاته ، يكون الذى

(٤) الأحزاب ٣٢ .

يلقى هذا الكلام ملتزماً بلا تكسر .. بلا (دعوة) .. إن الصوت نفسه قد يدعو كما قال القرآن ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٥) وأعتقد أن خلو الأغنية من هذا أمر فيه استحالة .

لأن المغنية أو المغنى لا يمكنه، وإلا سيلقى خطبة .

الأستاذ حلمى : لا ، طبعا .

الإمام الأكبر : لابد إذاً من أن يكون هناك تجاوز ، لابد أن يكون هناك تجاوز .

الأستاذ البلك : فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى كان يتهامس مع الدكتور رءوف شلبى عن صوت المرأة ،وحرمة صوت المرأة .

الإمام الأكبر : هذه مسألة تأخر الحديث عنها ، هذا فضيلة الدكتور رءوف أرى أنه يريد أن يعقب على كلام الشيخ إبراهيم فى هذا الموضوع .

الدكتور رءوف : الإمام الغزالى رضى الله عنه ـ فى كتاب إحياء علوم الدين ـ تحدث عن هذا الموضوع : الحرمة وعدم الحرمة • أمر متعلق بالصوت والكلمة وآلة الموسيقى .

الإمام الأكبر : الناس الصوفية أصلهم منشدون ، يعنى فيهم إنشاد يعنى يغنون ، لكن الاستدلال بالغزالى لأن الغزالى « أصولى » .

د / رءوف شلبى :

ـ يامولانا ، فى مقام فضيلتك ، أنا آسف لمقام الفتوى : اللفظ نفسه إذا كان يحمل على الفحش فهو حرام مطلقا : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾(٦) الآية جامعة ، وإذا كانت الألحان للحرب وللوطنية فلا بأس بها ، وإذا كان المغنى رجلا يترنم بكلام ليس فيه دفع للإثارة فلا بأس به، أما إذا كانت امرأة ففى شأن المرأة .. غناء المرأة مرفوض .

الأستاذ حلمى : مرفوض أصلاً ، مهما كان موضوع أو مضمون الأغنية .

د/رءوف شلبى : مرفوض .

الإمام الأكبر : سنقول إنها تقول (ولد الهدى)

الآية الكريمة واضحة ، طبيعة الصوت الأنثوى أنثوى .

ـ قضية الصوت موضوع آخر ، يعنى كون الصوت عورة ؟ الكلام غير عورة ؟ هذا كلام سنتكلم فيه ، ونتناول الآن الغناء والموسيقى .

د / رءوف شلبى :

ـ إذا كان اللفظ فاحشة فهو حرام ، إذا كان اللفظ فيه تكسر ولو من رجل أيضاً فهو حرام ،

---

(٥) الأحزاب ٣٢ .

(٦) المؤمنون والمعارج .

لأنه يدفع للإثارة ، فأما عن الجامعة فأحب أن أقول شيئا مهما جداً ـ نحن جميعا نشتكى من ضعف المستوى فى الجامعة ، الضعف العلمى،فكيف تهيىء الجامعة حفلات موسيقى وتعنى بها ، ويعنى بها اتحاد الطلاب ولا يعتنى برفع المستوى العلمى ، وليس هناك فى أى جامعة فى العالم موسيقى غير الجامعات المصرية؟ أنا كنت أستاذا فى الخارج ..

الأستاذ البلك : أعتقد أنه يمكن يافضيلة الدكتور فى الجامعات الأوروبية .

د / رءوف شلبى :

ـ الجامعات الأوروبية ، ليس فى داخل الجامعة ، حفلات تقام باسم الجامعة ، فى خارج الجامعة ، لكن داخل حرم الجامعة أو داخل الكلية ما رأيت فى العالم كله إلا فى مصر وتلك بدعة ابتدعها العلمانيون لإفساد الحياة العلمية فى مصر والله أعلم .

الإمام الأكبر : الدكتور على ، تفضل .

د . الخطيب : فضيلة أخى الدكتور رءوف تحدث عن (الكلمة) هل يجوز لنا ، يافضيلة الإمام ، أن نُمَرر أغنية تقول : قدر أحمق الخُطَا .

الإمام الأكبر :

ـ لا .. نحن نعترض على الصيغة .. هذه الكلمات لا تأتى إلينا بمجمع البحوث .

د/ الخطيب :

ـ بالنسبة لكلمة الأغنية ليس عليها رقابة يامولانا إطلاقا ، فهى فاسدة من جهتين من جهة مافيها من خلاعة وما فيها مما يضاد الإسلام .

الإمام الأكبر : المقصود أن نقول للناس : متى تكون الأغنية صالحة لأن تكون أغنية ، ومتى لا تكون ؟ وهل الغناء حرام ؟ الغناء لذاته ؟ والموسيقى ، هل حرمها الإسلام لذاتها ؟ هذا ما نزيد أن نقوله للناس ، أن نعرف : أهذا حلال ، أو هذا حرام ؟

وإذا كنا نريد معرفة الحلال والحرام فى الموسيقى والغناء ، هل أذهب إلى كتاب الأغانى للأصفهانى لأرى الأحكام فيه ، وأخذ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو تفسيرات القرآن من هذا الكتاب وأشباهه ، أم هناك مصادر أخرى موثوقة أو مخصصة لبيان الحلال والحرام ، هذا الذى أسألك فيه يادكتور على ..؟

د . الخطيب : الفقهاء يامولانا هم المرجع الأصلى فى هذا ، هم الذين يقولون لنا : ما هو حلال وما هو حرام .

الإمام الأكبر : يعنى إذن لا ألجأ إلى ديوان شعر لآخذ منه الحلال والحرام ، ولا ألجأ إلى كتاب « الأغانى » للأصفهانى كى آخذ منه الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة ؟!

د . الخطيب : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾(٧) .

←

---

(٧) البقرة ـ ١٨٩

الإمام الأكبر : يعنى لابد من الرجوع إلى المصادر العلمية الخاصة .

د . عبد الفتاح بركة : يخيل إلىّ أن المسألة بهذه الصورة طيبة جداً ، ولكن لكى تكون على طيبها ينبغى أن يتلقاها إنسان طيب لأن المسألة يقع فيها تدليس كبير جداً وتلبيس . فنحن نقول لهم : الأغانى ليس فيها حرمة وليس فيها نص يحرم . والموسيقى كذلك ، فهم يأخذونها ويأتون بعد ذلك بالأغانى بما فيها من خلاعة ومجون وما فيها من إثارة شهوات الشباب وأفكاره وتغيير اتجاهاته ، فإذا تكلمنا قالوا : ليس هناك حرام ، وهذا حلال ، وأنتم تتدخلون فيما لا يعنيكم ، هذا فن ، وباسم الفن ، وباسم أن الدين لا يحرم ، وباسم أن الدين فيه ترفيه ، وباسم ما فى الدين من قضايا صحيحة .. باسم هذه القضايا الصحيحة يرتكبون المنكرات : يرتكبونها فى أزيائهم وهم يؤدون ألفاظهم ... فى حركاتهم وهم يؤدون ... فى التصويرات والتهاويل .. فى الديكورات المحيطة بالأداء ، وفى نفس نظام القاعات التى يحضرها المستمعون أو المشاهدون بدون احترام للآداب المرعية والتقاليد الصحيحة ، كل ذلك يجعلنا نقول - رغم أنها كلمة حق - إنهم يقلبونها إلى إرادة الباطل ، وهذا الذى نخشاه نحن نقول الحق لكنهم يأخذونه ويؤولونه ويحرفونه عن مواضعه .

الإمام الأكبر : يعنى حين يقال من الناحية الشرعية : إن المحرم إما محرم لذاته ، أو محرم لغيره . فهذا كلام له سنده وله أصله ، وإذا قلنا إن المحرم لذاته وارد بالنص ، وإن المحرم لغيره يتسع مداه نظراً إلى وسيلته ، أو ما يحدث منه ، وطبقنا هذا على ما أثاره الأستاذ حلمى من حيث الغناء والموسيقى ، نجد أن الغناء والموسيقى من باب المحرمات لغيرها متى أحاط بها ما تحدثنا عنه .

فإذا قيل : إنه يمكن أن تكون نقية من هذا ، فذلك أمر يقع وزره على من يزاوله ، فإذا كان مما يدخل فى الحرام فهو الذى ارتكب الحرام إنما الإفتاء يكون بهذه القيود .

د . على الخطيب : من باب السؤال يافضيلة مولانا إضافة بسيطة جداً ، نسمع بعض الممثلين فى تمثيلهم يقصد إلى نكتة معينة ونجده يحشر فيها اسماً من أسماء الله الحسنى .

الإمام الأكبر : وأسماء الأنبياء ، وبالأخص محمد عليه الصلاة والسلام ، نعم هذا أمر مرفوض ، وأمر منكر أن يذكر اسم الله فى مكان فيه هزل ، وإذا كنا ننزه ذكر اسم الله سبحانه وتعالى إلا فى أمكنة محددة ، وأن يكون الإنسان على طهارة ... إلخ ..

هل تصلى بدون طهارة ؟ إنه لابد من الوضوء ، فذكر اسم الله بطريق السخرية والاستهزاء أمر منكر وأمر مرفوض وأمر يجب ألا يقره أحد إطلاقاً ، كذلك ذكر أسماء الأنبياء لا ينبغى إطلاقاً ، صحيح هناك فى العالم بين المسلمين من اسمه (محمد) وهو كثير ، لكن بالذات اختيار

هذا الاسم للتنكيت أو للسخرية ، أمر يجب أن يرفضه الناس ، وأن يعيبوا على من يحذو حذوه يجب أن ينصرفوا عنه مهما كانت صناعته أو مهنته .

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر لو أذنت لى هناك موضوع يشغل البال ، أو يشغل ذهنى أنا شخصياً ، ونحن فى حضرة فضيلتكم ومجموعة العلماء ، نتطلع إلى أن نتلقى إجابة عنه ، هذا الموضوع هو نحن نعلم أن الإسلام هو دين الانضباط ودين الخلق ودين السماحة ودين كل شىء جميل فى حياتنا ، لكننا مع الأسف الشديد نجد الانضباط فى البلاد غير المسلمة أكثر من البلاد المسلمة فهل هذا عيب فى الإسلام، أم هو عيب فى المسلمين ؟

الإمام الأكبر : أعتقد أن الإسلام ـ وهو فى كل ما شرع ـ محدد ، الصلاة بمواقيت ، الصوم بميقات ، الزكاة بميقات ، الحج بميقات ، الصدق .. الوفاء بالوعد .. الوفاء بالعقد .. كل هذه أمور انضباط ، كل أحكام الإسلام التى فرضها على المسلمين تؤدى إلى الانضباط الكامل فى كل شىء ، لكن المسلمين هم الذين بَعُدُوا عن الإسلام ، وقد يلتمس لهم العذر فيما مضى ، فإن بلاد المسلمين احُتُلَّت وتعرضت لحروب ومآس كثيرة ، لكن وقد خلصت بلادهم من الاستعمار ، ولو عسكرياً ، فإن عليهم أن يعودوا إلى الأخذ بأحكام الإسلام والالتزام بها ، ولا يكون غيرنا كما تفضلت ، أفضل منا فى طرق التعامل الصحيحة التى هى من الإسلام ، ونكون نحن بعيدين عن هذه الطرق الملتزمة ، فليست لدينا الجدية فى العمل، وليست لدينا الدوافع التى تجعلنا نجود فيما نعمل . لدينا التراخى والتكاسل ، لدينا الإهمال ، لدينا عيوب كثيرة رسخت ورسبت فى مجال حياتنا ، وهى السبب فى تأخرنا ، وهى السبب فى أن كل مرافق حياتنا تحتاج دائماً إلى الصيانة العاجلة وإلى الاستبدال .. وإلى .. وإلى .. لأننا لا نؤدى العمل بالذمة والصدق وليس هذا من الإسلام .

تفضل يادكتور رءوف .

د . رءوف شلبى : تتابعاً لكلام مولانا الإمام الأكبر.هذه قضية استعمارية:أن المسلمين هم سبب هذا الفشل الذى يعيشون فيه كما وضح مولانا : الاستعمار .. إلخ ، لكن القضية محلولة من قديم الزمان ، قال عمر بن الخطاب : « من لم يسرع به عمله لم يسعفه نسبه ، والله لو جاءت الأعاجم يوم القيامة بأعمال وجئنا بلا أعمال لكانوا أحق بمحمد منا » .

تخلفنا عن تطبيق الإسلام .. الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء والسحر أوقات نظمها الإسلام فى اليوم والليلة للمسلم .. فهل المسلمون نظموا حياتهم على هذه الأوقات ؟ مواقيت الحج .. مواقيت الصيام .. مواقيت الصلاة ... كل حياة المسلمين . مواقيت فهل أقام المسلمون مواقيتهم ؟

يوم أقاموها فتحوا أسبانيا وفتحوا قبرص وذهبوا إلى جنوب فرنسا ، وفتحوا أفريقيا يوم أن أقاموا هذه الحياة الإسلامية فى حياتهم فتحوا هذه البلاد .

خاف الاستعمار من هذه اليقظة الدائمة فحطم حياة المسلمين ثم يأتى اليوم فينعى عليهم ويقول : إن المسلمين متخلفون . نحن لسنا متخلفين ، هو أبعدنا عن الإسلام باستعماره ، وبما

تركه فينا من جذور ، نحن بعدنا عن الإسلام . نحن الذين ننتسب إلى الإسلام فلو أننا رجعنا إلى الإسلام ما تخلفنا وشكراً ..

الأستاذ البلك : يعنى خصوصاً مثلاً فضيلتكم عشت أو انتقلت إلى بلاد أوروبية ، وعشت فيها .

د / رءوف شلبى: وغير أوروبية .. بوذية أليس مؤلماً أن يكون عند البوذيين نظام أكثر . نظافة أكثر ، قلوبنا تبكى دماً ، لكن ـ مثلاً ـ ماليزيا ـ التى قال عنها الدكتور على الخطيب ـ لأنها تنظم حياتها بالإسلام .. رئيس وزراء ماليزيا الذى تكلم عنه هو من كبار المسلمين شخصية مسلمة من الدرجة الأولى .. يطبقون الإسلام فى حياتهم .

إن النظام الأوروبى الحاضر هو نظام إسلامى لكن بغير فطرة الإسلام ، فلو رجعنا إلى إسلامنا فى مواقيتنا ، لكنا نصور الإسلام الطبيعى ولتقدمنا فى هذه الحياة كلها ولكننا المارد الذى تخاف منه أوروبا .

الإمام الأكبر : لعلى أعقب بكلمة بسيطة . يعنى النظام الأوروبى أو الحياة الأوروبية ليست إسلامية فى كل أمورها ، وإنما الأوروبيون فى أعمالهم تنطبق عليهم أحكام الإسلام فى العمل .. الانضباط .. الإنتاج .. التجويد ، الأداء الكامل للعمل ، وهذا إنما أُرْجِعُهُ إلى التصاقهم بالمادة فهم منتجون لأنهم تجار « شطار » ولأنهم يريدون أن ينتجوا وأن يبيعوا ، وأن يكسبوا .. إلخ .

ما وراء هذا إلا المادة ، وهذا ما يدفعهم إلى الاستمرار فى هذا السلوك ، أما نحن ـ وقد مضى علينا وقت كثير ـ نركن إلى غيرنا فى كل شىء فقد نسينا الإنتاج،ونسينا أن نكتفى بأنفسنا لأنفسنا ، ولجأنا إلى الاستدانة حتى فى الغذاء ، وأسرفنا حتى فى « الاستدانة » .. هذا الأمر الذى أخرنا ويؤخرنا وسيظل وسنظل فى تأخرنا وفى أزماتنا الاجتماعية والاقتصادية مادمنا لم نحاول العلاج من الداخل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٨) لابد أن نواجه هذه الأزمات التى نتعرض لها من الداخل ، فإذا كان الطعام لدينا قليلاً فلا نسرف فيه ، وإذا كان الماء لدينا قليلاً فلا نسرف فى استعماله ، إذا كانت مصادر الكهرباء شاقة ، أو تحتاج إلى تكاليف ليست لدينا ، أو مصادرها غير متوافرة فيجب أن نقلل فى استخدامها .

لا ينبغى أن تسهر المسارح ويسهر « التليفزيون » طوال الليل فى رمضان ، رمضان الذى أعد للقيام ، وللطاعة نقضيه فى السهر .. فى الملاهى ، وفى الحانات .. إلى آخر ما هو معزوف ومشاهد .

ينبغى أن نعالج أنفسنا بأنفسنا ، لا يقال : إن هذا تضييق على الناس ، لايقال باسم الفن وباسم العلم؛ أننا نعمل ، ينبغى أن نفرق بين ما هو ضار وما هو نافع ، لا ينبغى أن نندفع فى الدفاع عن المضار بوصفها منافع بالصوت العالى ، أو بامتلاك وسائل الإعلام ، فإن هذا هو الأمر الذى يضرنا فى سير حركتنا الإصلاحية .

---

(٨) الرعد ـ ١١

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر يعنى ، هنا أيضاً نقول : ينبغى وينبغى ، ويجب علينا أن نفعل كذا ، وأن نغير من سلوكنا ، هذا يقود إلى التساؤل : أين دور الأزهر فى هذا المطلوب ؟

الإمام الأكبر : فى تقديرى ، وهذه الكلمة أسمعها وأقرأها كثيراً ، فى تقديرى أن دور الأزهر دور إرشادى ، دور الناصح ، إنه ليس له سلطان على أحد ، إنه يعمل وكما قال الله لرسوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾(٩) ومع هذا قال له : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾(١٠) عليك البلاغ ، فالأزهر لا يتوقف عن البلاغ ، وعن الإبلاغ ، إن علماء الأزهر ، فى كل مكان فى مصر ، بل فى كل مكان فى العالم الإسلامى ، يقومون برسالتهم ولكن ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ إنهم يريدون من يستمعون ، ومن يفكرون ، ومن يجيبون يريدون لتنصلح الأمور ؛ ألا يبنى الأزهر فى جانب وهناك معاول أخرى تهدم ، لا ينبغى أن يقال : أين الأزهر؛ كما يقال عند وقوع حوادث هنا وهناك ـ دون أن ننظر إلى مصدر هذه الحوادث ، وإلى الدوافع لهذه الحوادث ، إن الأزهر لا يعرف أين هى الجماعات المتطرفة التى يقال عنها ، إن الأزهر مكانه المساجد والأندية والأماكن التى تفتح ليلقى فيها العلماء محاضراتهم ، ولكنه لا يعرف جيوباً سرية ولا أماكن سرية ، لا يعرفْ هذه الأماكن ، إنما إذا كان هناك من مشكلات « كالمشكلة التى أثيرت » وأثيرت الآن فى حوادث الجامعات من أجل الموسيقى ومن أجل الغناء ، « لم لا تعقد لقاءات فى الجامعة نفسها لمناقشة هذه الأمور فى حضور العلماء ، وحتى يسمع هؤلاء الذين اعتدوا على زملائهم رأى الدين فى هذا ؟ ولِمَ يتصدى ؛للفتوى والتجريح للإسلام فى الصحف وفى غيرها من يتصدون لهذا دون علم ودون دراية ؟ لِمَ يكون هذا ؟ الأولى أن الجامعة أو الجامعات التى حدث أو يحدث فيها مثل هذه الحوادث أن يلتقى العلماء بهؤلاء الطلاب ، وفى الجامعة وفى مؤتمر عام ليصلحوا لهم أفهامهم إن كان خطأ فى الفهم ، هذا هو ما يجب أن يكون أما الأزهر فبحمد الله موجود ، علماؤه فى كل مكان فى مصر يؤدون واجبهم قد لا يعرفهم الإعلام؛ وقد لا يتحدث عنهم؛ لأنهم ليس لهم وسائل إعلام يتحدثون فيها .

الأستاذ البلك : هنا أيضاً فضيلة الإمام الأكبر أقول لم لا يتحرك الأزهر من تلقاء نفسه دون الانتظار لدعوة ليعقد ندوة للمحاورة فى الجامعة التى حدث فيها هذا الموضوع ؟

الإمام الأكبر : الأستاذ حلمى يعرف أن الجامعات غير مسموح بدخولها إلا لتنظيم الجامعات أنفسها ، لا يمكن أن يطرق عالم ليلقى محاضرة فى جامعة ، بل فى مدرسة من المدارس لابد من الاستئذان ، حتى فى الإسلام : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ .

الأستاذ البلك : نستأذن كأزهر ونطلب ونتحرك ؟

←

---

(٩) القصص ـ ٥٦

(١٠) المائدة ـ ٦٧ .

الإمام الأكبر : هل ياأخى العزيز نحن العلماء الذين نرسل إلى الجامعة ونقول : نأتى نلقى محاضرة عندك .؟ أمر غير جائز .

فى المؤسسات العامة تذهب إدارة الوعظ وتتبنى هذا ، وتذهب إلى السجون .. الملاجىء .. المؤسسات الاجتماعية .. النوادى ، وعلماء الوعظ يذهبون حتى إلى النوادى الرياضية ، نذهب بطلب من هذه الجهات ، نرسل إليهم ويرسلون إلينا ، هذا هو النظام القائم فى الدولة ، الجامعة لا يحاضر فيها أحد بدون إذن الجامعة ، المدرسة لا يدخلها أحد إلا بإذن ناظر المدرسة ، لابد إذن أن نلجأ إلى الحلول العملية ، قبل أن تقع الواقعة لِمَ لا تكون هناك المواسم الثقافية التى تتعرض لهذه الأمور ؟ فى الجامعات ؟ فى المدارس ؟ يغشاها العلماء وغير العلماء ممن يحسنون الكلام فى هذه الموضوعات .

الدكتور عبد الفتاح لديه تعقيب

- تفضل يادكتور عبد الفتاح

د . عبد الفتاح بركة : كلام فضيلة مولانا الإمام الأكبر فيه الكفاية ، وأحاط بالموضوع وبين أن مهمة الأزهر مهمة علمية ، وليست مهمة تنفيذية ، وأن تحرك الأزهر مستمر لا يتوقف ، ولست أريد أن أضيف ، ولكنى أريد أن أشرح هذه الكلمة ، فمثلا كلما ثارت فى الأمة أو فى الشعب اتجاه .

الإمام الأكبر : على فكرة "الدعوة" من اختصاص الدكتور عبد الفتاح وهى تابعة للمجمع وهو يرأس جهاز الدعوة فى الأزهر .

الأستاذ حلمى : تتحدث فى مجالك الآن .

د . عبد الفتاح بركة : نعم .. وهو ليس إضافة لما قاله مولانا ، لكنه مجرد توضيح لنقطة مجملة ، فكلما ظهر فى الأمة أو فى الشعب اتجاه فكرى قد يكون فيه شىء من المخالفة أو الانحراف أو ماشاكل ، فإن جهاز الوعظ فى الأزهر كله يتحرك لمواجهة هذه الناحية ، ويُوجَّه إلى الحديث فى هذا الموضوع ، وكذلك فى المواسم المعينة مثل مواسم رمضان ، أو فى مواسم الإسراء والمعراج أو فى مواسم المولد النبوى أو فى غير ذلك يوجه الوعظ ويعبأ كله تعبئة شاملة لاستغلال فرصة المناسبة الدينية التى تكون فيها النفوس مستعدة لتقبل النصائح والإرشادات لتوجيه هذه الدعوات ومعالجة المشاكل الاجتماعية والمشاكل الفكرية التى تسود فى المجتمع فى تلك الفترة التى يعبأ فيها الوعظ لذلك ، من ذلك مثلاً : شهر رمضان .

هذا الشهر، هنالك حملة كاملة شاملة عَبَّأ الوعظَ زيادة عن الجداول العامة والعادية التى تكون فى أيام (العام) جداولَ إضافية بحيث لا يُترك مسجد من المساجد الكبرى ، لا فى المدن الرئيسية ، ولا فى المدن الفرعية ، ولافى القرى الكبيرة ، لا يترك مسجد من هذه المساجد إلا وفيه محاضرة .

المشكلة حقيقة :أن هنالك أجهزة الإعلام تلتف حول أشخاص بارزين فقط فتظهر بعض هذه الجهود أما جهود الوعاظ فلأنهم عدد كبير هائل-هنالك أكثر من ألف وخمسمائة واعظ منتشرين فى سائر أنحاء الجمهورية كل هؤلاء يعملون ويدرسون ويقومون بالوعظ والإرشاد -لا يحس بهم أحد لأنهم يقومون فى وسط الجماهير .

الإعلام لا يشعر بهم ولا يوجه إليهم (الكاميرا) ولا يوجه إليهم الأضواء ، لأنه سيوجه لمن .. أو .. لمن... ؟

الإمام الأكبر : ولا تتابعهم الصحافة أيضا .

د . عبد الفتاح بركة : ثم بعد ذلك يأتون للأزهر .. أين الأزهر .. أين الأزهر ، الأزهر منبث فى كل شريان من شرايين مصر ، فى جميع عروق مصر ، فى جميع قراها ونجوعها وكفورها حتى فى خارج مصر وفى العالم الإسلامى كله دون استثناء ، بل وفى خارج العالم الإسلامى أيضا .

إذن الوعاظ فى الحقيقة يقومون بدور هام جداً إلا أن المسألة أن جهدهم غير معلوم إلا فى محيطهم الخاص بهم ، كل واعظ فى المحيط الذى يقوم فيه بوعظه وإرشاده ، يتوجهون إلى النوادى ، ويتوجهون إلى المدارس ، ويتوجهون إلى الجامعات عندما يُدعَوْن لذلك ، ولكن محلهم الأصلى والأساسى هو المساجد ، وهم ينتشرون فى هذه المساجد بدون توقف يوميا فى رمضان ، فى رمضان يومياً يوجد جدول فى جميع المساجد الكبرى فى المدن الكبرى ، وفى القرى الكبرى أيضا ، ومن هنا فإن الأزهر يقوم بدوره .

الإمام الأكبر : أريد أن أضيف كلمة إلى ما قاله الأستاذ الدكتور عبد الفتاح ، **هى** : من يذهب إلى المساجد ؟

من هم الذين يذهبون إلى المساجد ؟ إن الذين يذهبون إلى المساجد ليسوا هؤلاء الذين يجب أن يُقْصَدوا بالنصح والإرشاد ، فهؤلاء الذين يَعتدون فى الجامعات أو فى غيرها هل يذهبون إلى المساجد التى يرتادها الوعاظ من علماء الأزهر ؟

الأستاذ البلك : اسمح لى فضيلتك ؛ فيه خصومة يمكن بينهم وبين علماء الأزهر .

الإمام الأكبر : هذه الخصومة ليست من جانب الأزهر وليست من جانب علماء الأزهر إنما هى كما قلت : إذا كان هناك من يعتدون فى الجامعات أو فى المدارس على زملائهم فيجب على هذه الجهات أن تعقد فورا ، وأثر وقوع الحادث أو قبله أو بعده ، اللقاء المباشر بين العلماء وبين هؤلاء لقاءً عاماً ، لأن العلماء لا يعرفونهم بأشخاصهم ولا يعرفون أماكنهم ، وعندئذ يكون الحوار المفيد ، ووضع الأمور فى نصابها بين المتخصصين فى العلوم الإسلامية ، وهؤلاء الذين يدعون فكرا ، أو عملاً آخر ، عن الإسلام .

هذا ما ينبغى أن يكون !

فضيلة الشيخ إبراهيم ، تفضل :

الشيخ إبراهيم : بعد هذا الإيضاح الذى استمعنا إليه ، دائما يؤلمنى جداً أن كل سلبيات هذا المجتمع تعلق على مشجب علماء الأزهر .

←

علماء الأزهر كما تفضل الأخوة فى كل مكان:دخلوا فى القرى فى المساجد ، دخلوا فى النجوع قامت منهم قوافل من وعاظ الأزهر ومن السادة علماء المساجد .

هذه القوافل على مدار العام لا تتوقف إطلاقاً يذهبون إلى كل مكان : جميع المجتمعات . فى مراكز الشباب فى الأندية ، جمعيات الشبان المسلمين ، فى كل موطن يذهبون إلى هذه الأماكن حتى ذهبوا إلى الواحات ، وإلى الوادى الجديد ، وإلى السجون ، هم فى كل مكان الآن .

هؤلاء العلماء موجودون ، يعنى السادة الوعاظ مع إخوانهم العلماء فى الأوقاف ، مع إخوانهم الذين يعظون فى السجون ، مع إخوانهم الذين هم . فى الجيش ، مع الشباب فى الجيش ، مع الجنود فى الجيش كل هؤلاء علماء الأزهر .

فماذا يريدون من الأزهر ؟

صوت الأزهر يدوى عن طريق السادة العلماء فى كل مكان .

ماذا يراد منا ؟

هذه الاجتماعات التى يدعى إليها العلماء يدعى إليها أحد رجلين : إنسان جىء به ليسمع وهو لا يريد أن يسمع ، وإنسان جاءت به الرغبة فى أن يتفقه فى دينه ، أيا كان سنخرج من هذه التجمعات بفائدة . وفى المساجد ، فى كل أسبوع خطبة جمعة تعالج مشاكل معينة ، أيا كانت هذه المشاكل عامة أو خاصة .

أين هؤلاء الذين نشكو منهم فى محيط الموجودين بالمساجد؛أين هم ؟ أين هم ؟

المهم نريد أن تنضم الجهود جميعها سواء منها الذي يقوم على التثقيف من إعلام وصحافة وغيره ، أم جهود المسئولين عن أمر هذه الأمة ، والله عز وجل سائلنا جميعاً والرسول القائل ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه » . ليس الأكل والشرب فقط ، فالأكل والشرب آخر ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان ، إنما يحتاج الإنسان إلى الغذاء الروحى أولاً ، من الذي يقدم له الغذاء الروحى

هؤلاء الذين عاشوا على مائدة العلم فى الأزهر الشريف أيا كانوا فى مسجد ، أو وعاظاً ، أو كانوا في الجيش ، أو فى السجون ، أو فى أى موقع من المواقع في مصر ، أو خارج مصر .

عالم الأزهر فى أى مكان له وزنه وله قيمته : له وزنه حتى عند أعداء هذا الدين . عندما يرون عالم الأزهر ، وفوق رأسه العمامة ، ينظرون إليه نظرة الإكبار والتكريم والاحترام لأنهم يعرفون أنه الرجل الذى يدعو إلى الإسلام .

إنما نريد عندما نُسْأل:أين الأزهر ؟ أن يكون السؤال : أين نحن من الأزهر ؟ أين نحن من الأزهر ؟ .

الذي يسألنا هذا السؤال نقول له : اسألوا أنفسكم أين أنتم من الأزهر ؟

فإذا قالوا نحن مع الأزهر ، قلنا : يدنا فى يدكم حيث تريدون ، ولن يتأخر عالم يدعى لأى

موقع من المواقع أن يستجيب للدعوة ، لن يتأخر عن أى مكان ، وهنا عندما نقول : الأزهر ؟

نقول : من المسئول عن تمكين هؤلاء من أداء الكلمة، حيث تطلب الكلمة، ونخشى خطرها على مجتمعنا شباباً وكباراً وصغاراً ؟ والله الموفق .

الإمام الأكبر : أريد تعقيباً على كلمة الشيخ إبراهيم لقد كنت بالأمس فى المنصورة، وفى افتتاح (توجيه قوافل الدعوة) من أساتذة كلية أصول الدين بالمنصورة للعمل خلال شهر رمضان فى دائرة المحافظة ، تحدثتُ إلى هؤلاء العلماء بما يجب عليهم ، وبما يجب أن يتناولوه فى أحاديثهم ، مَن يعرف : أين ذهب هؤلاء العلماء ؟ لا يعرف عنهم أحد شيئاً إطلاقاً ، لقد كان يحضر الحفل محافظ الإقليم ، ومدير أمن الإقليم .

لكن أين الوسائل التى تنقلهم إلى أماكنهم ؟

من جهودهم الخاصة أدوا واجبهم ، فلا توجد وسائل لنقلهم ، ويذكر فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى، ووزير الأوقاف أن هناك (قراراً لرئيس مجلس الوزراء) بـ (إنشاء لجان التوعية) على مستوى المحافظات وأن هذه اللجان تضم كافة الجهات الثقافية في المحافظة وبرئاسة المحافظ لتتضامن هذه الجهات وتتعاون على إيصال الكلمة النافعة إلى الناس .

أين عمل هذه اللجان ؟

إنها لا شىء .لا أحد يذكرها، ولا أحد ينميها أو يحركها .

هؤلاء الذين خرجوا بالأمس من كلية أصول الدين ليجوبوا محافظة الدقهلية على نفقتهم ، ومن جيوبهم الخاصة ، حينما طلبوا منى سيارة قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ، كما قال الله سبحانه ، قلت لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، عليكم أن تقوموا بواجبكم ، وقاموا بواجبهم ، من يدرى بهم ؟ لا أحد .

هذا هو الأزهـر .

الأستاذ البلك : نعم ، فضيلة الإمام الأكبر وأنا أتكلم مكاشفة .. أنقل ما يقال .

— **الإمام الأكبر** : نعم هذا أمر واجب ، ويجب أن نسمع ، وأن نعمل على أن نتجاوز ما يكون هناك من قصور ، فهذا أمر واجب .

الأستاذ البلك : نعم يقال أيضاً هناك ضعف فى مستوى الواعظ أيضاً.وذلك من المآخذ التى تؤخذ على علماء الأزهر !

الإمام الأكبر : هذا أمر أتحدث إليكم فيه ، كل كائن حى تطرأ عليه عوامل الحياة ... والأزهر مر بمرحلة فى الستينيات كان يدرس فيه غير طلاب الأزهر ، فتحت أبوابه (للمطرودين) من كافة جهات التعليم (الرواسب)، لكن الأزهر الآن غلقت أبوابه على طلابه الذين يبدأون فيه من المرحلة الابتدائية ، ونأمل أن يعود المستوى المنشود . والمستوى قد عاد فعلاً وهو عائد ، ثم ما ضعف العالم ؟ العالم ، الذي يتصدى أو يقوم بإمامة الناس مهما كان ضعفه ، لديه المعلومات والثقافة التى تمكنه من هذه المهمة ، لكن حينما يحتاج الأمر إلى بحوث علمية أو فكرية فالأزهر

←

بحمد الله ملىء بمن يقوم بهذا ، لكن على هؤلاء الذين يريدون .... أن يبحثوا عن هذا المعدن الجيد ، إنه لا يوجد إطلاقاً فئة من الفئات كلها متساوية فى العلم ولا حتى فى الجهل .

الأستاذ البلك : تمام .

الإمام الأكبر : ولابد أن يكون هناك التفاوت ، ففى علماء الأزهر المجيد ، ومن هو أدنى منه ، ومن هو فوقه .... الممتاز فَلِمَ نذكر الخطأ ولا نذكر الصواب ؟ لم نذكر السيئة ولا نذكر الحسنات ؟

هذا ما ينبغى أن يكون واضحاً فيقال للمحسن : أحسنت ، مثلما يقال للمسىء : أسأت .

الأستاذ البلك : اسمح لى فضيلتكم وأصحاب الفضيلة العلماء أيضاً أن أطرح ما يقال : إن عملية إنشاء الكليات التابعة للأزهر التى هى كليات علمية وعملية ، خرجت أنصاف علماء دين ، وأنصاف علماء فى العلم ؛ لأنها لا تمكن الدارس أن يتبحر فى علوم الدين ، وإذا درس شيئاً من علوم الدين شغله ذلك عن تلقى العلوم العلمية .

الإمام الأكبر : ليكن واضحاً لنا جميعاً أن الدراسة العملية أو المعملية كما يطلق عليها ليست جديدة على الأزهر ؛ فالأزهر كان هو الجامع ، والجامعة ، والمدرسة الوحيدة ـ ليس فى مصر ـ بل فى العالم الإسلامي كله . درس الطبَّ وقت أن لم تكن هناك كليات طب ، درس الهندسة ، درس الرياضيات ، درس الفلك ، درس كل ما كان فى عصوره المتعاقبة على مدى أكثر من ألف عام ، درس كل العلوم التى كانت قائمة فى هذه العصور ؛ فإذا جاء وقت وانحسرت عنه هذه الدراسة كدراسة نظامية فقد عادت إليه كدراسة نظامية ، وفى صورة كليات .

لقد أنشىء فى الأزهر منذ سنة ١٩٣٠ كليات للشريعة ولأصول الدين واللغة ، ولم يكن فيه كليات قبل هذا ..... تطور ، هذا تطويره ، ثم بمقتضى القانون ١٠٣ سنة ١٩٦١ أنشئت الكليات العملية أو المعملية ، والمفروض أن يلتحق بها الطلاب الحاصلون على شهادة الثانوية الأزهرية أى أنهم درسوا العلوم العربية والشرعية ، فيما قبل مرحلة الجامعة ، فلديهم أساس كافٍ ، وكانت الدراسة العالية بعد ذلك للتخصص فى علوم أخرى كالطب والهندسة والصيدلة والعلوم وغيرها من الكليات القائمة في جامعة الأزهر الآن ، فإن هذا يوجد لدينا أطباء لهم أساس عربي شرعى ، يستطيع أن يتصدى الطبيب الذي تخرج على هذا النحو لإمامة المسجد ، يستطيع أن يتصدى للفتوى ، يستطيع أن يقوم بكل الأعباء الدينية لغيره كما يقوم بها لنفسه ، وعلى أساس علمى وهذا ما نبتغيه ، لدينا فى بلادنا أماكن نائية قد يكون من الإسراف الذي نتحدث عنه أن نعين إماماً وطبيباً ومهندساً إلخ ، لم لا يجمع الطبيب بين عمل الطب وبين إمامة المسجد ؟ لِمَ لا يجمع المهندس الزراعى بين عمله في الحقل وإمامة المسجد ؟ لِمَ لا يقوم مدرس العلوم بعمله في المدرسة ، أو فى المعهد ، ومعه أيضاً إمامة المسجد أو الدعوة أو الإفتاء للناس ؟

هذا هو الهدف من وجود هذه الكليات ، وهذا النوع من الخريجين .

هذا النوع من الخريجين يحتاجه العالم الإسلامي لأنهم فى حاجة إلى التثقيف الشامل .... إلى أن يكون العالِم ليس مجرد عالم بأمور محدودة من أمور الدين فقط ؛ بل يمتد نشاطه إلى الخدمة العامة في البيئة التى يعمل بها ، ليس هذا بدعاً إذاً .

ليس وجود هذه الكليات بدعة فى الأزهر فقد قلت : إن هذه التخصصات التى أدخلت نظامياً فى الدراسة الآن كانت تدرس فى الأزهر قبل ، وإذا راجعنا مكتبة الأزهر سنجد فيها مؤلفات الكثيرين من شيوخه الذين ألفوا فى هذه الأمور :

فى الصيدلة ، وفى الطب ، وفي الهندسة ، وفى الرياضيات ، أقول : وفق المعلومات والعلوم التى كانت فى عصورهم ، ولا تقاس بما طرأ على الناس الآن من علم تقدموا به .

إذاً ليس جديداً ولا بدعة أن يكون فى الأزهر كليات الطب والعلوم والصيدلة وطب الأسنان والزراعة إلى آخر هذه الكليات ، بل هى إضافة نحن في حاجة إليها ، إن لم تظهر الآن فستأتى الحاجة إليها قريباً ، إن خريجى هذه الكليات يُطلَبون من العالم الإسلامى وبكثرة ، ولكننا لا نجد فعلاً الصنف الذي نريد أن نرسله الآن ؛ لأنه جاءت فترة التحق فيها بهذه الكليات الطلاب غير المؤهلين أصلاً من الأزهر ، وهؤلاء ليسوا هم الذين كان يرجوهم الأزهر من هذا النوع من التعليم .

إذن هذه الكليات إضافة نحن فى حاجة إليها إن لم يكن الآن وفى داخل بلادنا فالعالم الإسلامي فى حاجة إليها .

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر الحقيقة أن الجلسة شيقة ، والسهرة ممتعة ، ونخشى إن تأخرنا عن ذلك أن نتناول السحور عند فضيلتكم فيكون فى ذلك إسراف [ضحك] نقول لكم فى ختام هذه السهرة : كل عام وأنتم بخير ونشكركم على استضافتكم لنا لقضاء هذه السهرة ونشكر السادة العلماء الأفاضل الذين تفضلتم باستضافتهم .وأترك لفضيلتكم توجيه الشكر لهم على حضورهم هذه الندوة .

ــ شكراً للأخ الأستاذ حلمى البلك على هذه الزيارة الطيبة الرمضانية ، وشكراً للإخوة الأساتذة الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق ، والأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر ، والأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، والدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وأشكرهم على هذا الوقت الطيب الذى قضيناه في هذا الحوار الذى أعتقد أنه سيكون مفيداً ونافعاً للناس إن شاء الله وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ــ وعليكم السلام وكل عام وأنتم بخير .

د. على أحمد الخطيب

بيـــان من الأزهــر الشــريف
فـى شـــأن المخــــدرات

لقد خلق الله الإنسان ، وأنعم عليه بنعمة التكريم والتشريف ، وأنزل في شأنه قرآنا يتلى ... حيث قال رب العالمين جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .

ويرجع هذا التكريم وذلك التفضيل إلى أعظم نعم الله على الإنسان .. **ألا وهى العقل إذ** العقل بالنسبة للإنسان هو سر تشريفه ومناط تكليفه .. **ومن هنا كان المحرومون من نعمة** العقل فى حل من التكليف .. ولا يؤاخذون على ما يقولون أو يفعلون ، **لأن القلم مرفوع** عنهم : لا يسجل لهم حسنات ، ولا يقيد عليهم هفوات .. **ذلك مفهوم قول رسول الله ﷺ :** « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبى حتى يكبر »[1] .

وإن من أكبر الذنب أن يتنكر الإنسان لنعمة العقل فيه ، **فيعطلها عن أداء رسالتها أو يعرضها للتلف أو الضياع .**

ومن هنا حرم الإسلام الخمر وكل ما هو مسكر ، وجاء فى الذكر الحكيم قول رب العالمين سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[2] .

كما جاء فى الهدى النبوى الشريف ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى أن رسول الله ﷺ قال : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) .

كما أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ قال : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن) .

وجاء فى سنن أبى داود أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) .. وزاد ابن ماجه فى روايته « وآكل ثمنها » .

وما يجرى على الخمر من التحريم يجرى على كل ما يفتر من حشيش وأفيون ، وما جد

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم عن عائشة .. كما روى بألفاظ مختلفة وروايات متعددة .
انظر للعلامة المناوى ـ فيض القدير ، وفيه : (عن ثلاثة) .. كذا .
وانظر الجامع الصغير . الحديث رقم ٤٤٦٢ .
(٢) المائدة ٩٠ ، ٩١ .

على المجتمعات من مشمومات ، لأن الهدى النبوى الشريف جمع ذلك كله تحت لواء نهى واحد . حيث روى الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح عن أم سلمة ـ رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : (نهى رسول الله ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر) .

ومن هنا كانت المحافظة على العقل واحدة من الضرورات الخمس التى حث الإسلام على المحافظة عليها وصيانتها ، بل وتنميتها ، فالعقل تنميته العلم والتعلم ، والتفكر والتدبر ، فيما تعمر به الحياة

وجعل الإسلام العقل منارا ونورا للإنسان ، كما جعل إتلافه خطيئة وكبيرة من الكبائر وحرم تعاطى أى شىء يؤدى إلى إتلاف العقل أو فتوره ، لأن الإقدام على هذا بمثابة الانتحار الذى نهى الله عنه فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٣] .

والمخدرات والمشمومات المخلقة والطبيعية كلها من المحرمات ، لأنها تقضى على عقل الإنسان ، بل وعلى صحته بوجه عام ، بل وعلى مقومات إنسانيته ، وتجعله ذليلا فى المجتمع ، بغيضا عند الله والناس ، لأنه قد تنكر لدينه ودنياه ، وفرط فى عقله الذى هو نوره فى هذه الحياة ..

فإلى هؤلاء الذين وقعوا تحت تأثير هذا الشر المستطير ، وإلى من تسول له نفسه أن يسلك دربهم يبين الأزهر الشريف حكم هذه المخدرات والمشمومات ، وأنها من المحرمات التى يجب على المسلم بل على كل إنسان اجتناب التعامل معها بأى صورة من صور التعامل : زراعة ، أو صناعة ، أو تجارة ، أو استعمالا ، أو تهريبا فإن كل من تعامل معها على أى صفة يعتبر قد ارتكب كبيرة من الكبائر التى حرمها الإسلام وأوجب على أولى الأمر إنزال العقاب الرادع فى الدنيا على المتعاملين معها ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إذا لم يبرأوا منها ولم يتوبوا عنها .

ويدعو الأزهر الشريف كل الناس ، أن يقدروا خطر المخدرات والمشمومات والمسكرات وأن يباعدوا بينها وبين ذات أنفسهم وذويهم ، وأن يبلغوا المسئولين عن كل من يتعامل معها حتى تبرأ ذمتهم وحتى يقوم هؤلاء بواجبهم نحو حماية المجتمع من هذا الخطر الموجه إلى الأمة فى مجموعها ، وفى اقتصادها ، وفى مستقبلها .

هذا : ولقد أصبحنا نرى بأعيننا الضياع الذى يلحق بالمدمنين .. والدمار الذى يحل بأسرهم ، الأمر الذى يقتضينا أن نزن مواقفنا ، وأن نعيد حساباتنا ، وأن نعود إلى ديننا مستجيبين لأمره ، ومجتنبين لكل ما نهى عنه ، ولنتذكر قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٤] .. صدق الله العظيم .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) النساء ٢٩ . (٤) الأنفال ٢٤

الحج والعمرة

دعوة الله المتجددة للإنسانية

الحج أحد أركان الإسلام ، وعمده ، ومبانيه : عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين فيه أنزل الله عزوجل :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1] .

فأعظم بعبادة بأدائها يتم الكمال ، ويساوى تاركها ـ تهاونا ـ أهل الغى والضلال لحديث على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا »[2] ولأن الله تعالى يقول :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧ ـ آل عمران)

والحج لغة : القصـــد .

واصطلاحا : قصد التوجه إلى بيت الله الحرام بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة .

مكانته فى القرآن والسنة : للحج مكانة عظيمة فى القرآن الكريم فقد ورد ذكره فى أكثر من موضع منها : أمر الله لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج : ٢٧ ، ٢٨) .

أماالسنة فقد عنيت بهذا الركن والحث على أدائه ، روى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »[4] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه ، والحج المبرور : الذي لا يخالطه إثم .

للدكتور محمود محمد رسلان

ونلاحظ أيضاً مكانة الحج وأهميته من قوله سبحانه : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾(٥) وفى هذا اليوم قال ابن عمر رضى الله عنهما :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقف يوم النحر فى حجة الوداع فقال :

« أى يوم هذا ؟ » فقالوا : يوم النحر ، فقال : « هذا يوم الحج الأكبر » أخرجه أبو داود وخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

بعثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

إذن يوم الحج الأكبر هو : يوم النحر ، قال ابن أبى أوفى : يوم النحر يوم الحج الأكبر : يهراق فيه الدم ، ويوضع فيه الشعر ، ويلقى فيه التفث ، وتحل فيه الحرم ، وهذا مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ لأن يوم النحر فيه الحج كله ، لأن الوقوف إنما هو فى ليلته ، والرمى ، والنحر ، والحلق ، والطواف فى صبيحته .

وقال ابن سيرين : يوم الحج الأكبر العام الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت معه فيه الأمم(٦) .

فوائد الحج :

يعد الحج إحدى الوسائل التى تتحقق فيها الفوائد الروحية ، والأدبية ، والاجتماعية والاقتصادية ، نفهم هذا من قول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج : ٢٧ ، ٢٨) .

الدين والدنيا يلتقيان فى الحج :

تأمل قوله تعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ . . . ﴾ دينية ، ودنيوية معا ، فالدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد ، فإن كان الدين يمد الروح بالإيمان الصحيح والآداب ، فإن أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء . فلو أردنا أن نستقصى مايمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع الأدبية والمادية لضاق بنا المجال(٧) .

←

(*) الكاتب عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين ـ المنصورة ـ الأزهر .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٦) راجع تفسير القرطبى عند شرحه لهذه الآية الكريمة الثالثة من سورة التوبة ، وكذلك تفسير ابن كثير .

(٧) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ٢٦٠ .

← الحـــج دعـوة الله

« وإذا كان الإسلام دينا يدعو الناس كافة إلى عبادة رب العالمين ، فالحج هو الفريضة التى تتمثل فيها هذه الأخوة الإنسانية على تباعد الديار ، واختلاف الشعوب والأجناس وهو فى اصطلاح العرف الشائع بين الناس بمثابة صلة الرحم ، وتبادل الزيارة بين أبناء الأسرة الواحدة يجمعها الملتقى فى المكان الذى صدرت منه الدعوة إليها ، وهو أجدر مكان فى بقاع الأرض أن يتم فيه هذا اللقاء »(٨)

وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٩ ، ١٥٠) .

ومن ثم فقد شاءت حكمة الله « أن يوجه الأمة جمعاء إلى قبلة واحدة ترتبط فيها مساجد القارات الخمس بأول مسجد ظهر على الأرض !! وترتبط فيها الأمة الإسلامية بأبيها الأول إبراهيم ـ عليه السلام ـ لتعلن أنها بهذا الارتباط لا تشذ عن قواعد النبوات القديمة . وإنما الذى شذ هو الذى أشرك ، وأفسد من المغضوب عليهم والضالين »(٩) .

فمن أجل هذه « الصلات التاريخية والروحية أوجب الله على الأمة الإسلامية أن ينبعث منها كل مستطيع كى يزور المسجد الحرام مرة واحدة فى عمره .. وفى حجة الوداع كان الخطاب الإنسانى الذى ألقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوفود الكثيفة التى اجتمعت معه ، وهو خطاب لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه ، ولا أشرف من مقاصده .. وهو السجل الصادق لحقوق الإنسان وحريات الأمم .. وينبغى أن يبقى الحج ملتقى المسلمين الأكبر ، ومثابتهم العظمى ، وأن يبقى زمانه ومكانه الموعد المضروب لاجتماع الموحدين القادمين من المشارق والمغارب يذكرون الله ، ويرجمون الشيطان »(١٠) .

ويظل الحج دعوة الله المتجددة لكل بنى الإنسان .

من أسرار الحج :

من أهم أسرار الحج : الفهم أى فهم موقع الحج من الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة ، ثم الخروج ثم المسير ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ، فإذا تمت هذه الأفعال على الوجه الشرعى انكشف لكل حاج من أسرار الحج مايقتضيه صفاء قلبه ، وطهارة باطنه ، وغزارة فهمه ، واستقامة جوارحه .

وجلاء هذه الأمور كما قال الإمام الغزالى أن :

الفهم : لا يتأتى إلا بالتنزه عن

(٨) العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١١٢ .
(٩) محمد الغزالى : هذا ... ديننا ص ١٣٥ .
(١٠) هذا ... ديننا ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

الشهوات ، والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها ، ولأجل هذا إنفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلْق ، وانحازوا إلى قُلل الجبال ... ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعاً فى الآخرة فأثنى الله عليهم فى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فلما اندرس هذا الصنف من الخلق أرسل الله محمداً (صلى الله عليه وسلم) لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين ، فجعل الحق سبحانه : الحج جهاداً ورهبانية لهم ، فشرف البيت العتيق بإضافته إلى الله تعالى .. يقصده الزوار من كل فج عميق .. شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ... ولما كانت حكمة الله تقتضى ربط نجاة الخلق ، جعل أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامهم بيد الشرع فتكون أعمالهم على سنن الانقياد .. فإن الله سخر مافى الكون للإنسان وجعل الله الإنسان لعبادته ، ومن ثم أمره بمجموعة من العبادات تزكية لنفسه .

الشوق : يأتى بعد الفهم بأن البيت بيت الله عز وجل .. فقاصده قاصد الله عز وجل وزائرله فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يُشوِّقه أسباب اللقاء لا محالة .

العزم : على أنه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عز وجل .. فليصحح مع نفسه العزم .. والإخلاص .

قطع العلائق :

أى رد المظالم إلى أصحابها ، والتوبة النصوح ، فكل مظلمة تتعلق بتلابيبه تناديه قائلة : إلى أين تتجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك ، وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ؟ إن قبول زيارتك مرتبط برد المظالم ، والتوبة من جميع المعاصى .

الزاد :

يجب أن يكون من حلال فلا يحرص على استكثاره ويظن أن طول السفر يؤدى إلى الإقلال منه وعليه أن يتذكر زاده إلى الآخرة ، وأن الذي يحرص عليه زاد التقوى لقوله سبحانه :

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة : ١٩٧) .

الراحلة :

ينبغى أن تكون من حلال ، فإذا استوى عليها وجب شكر الله .. حيث سخرها له لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة ، وليتذكر المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة ، وهو ركوب غير مشكوك فيه .

ثوبى الإحرام :

وهما : الإزار والرداء ، يفيدان معنى التجرد ، وفيهما تذكر لما سَيُلف فيه بعد الموت ، فنحن إذاً أمام هيئتين مختلفتين : هيئة الحاج بملابسه وهى مغايرة لملابس الحياة العادية ، وهيئة الإنسان بعد مفارقة هذه الحياة بزيه المختلف كلية .

الخروج من البلد :

هجرة الأهل والوطن ومفارقتهما أمر ثقيل على النفس ، فإذا توجه إلى الله فليكن حاضر القلب ؛ لأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له .. فليكن راجيا القبول والرضا منه لقوله سبحانه :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (النساء : ١٠٠) .

الحـج دعـوة الله

ميقات الإحرام والتلبية :

فيهما تذكر بنداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى : مقـربين وممقـوتـين ، مقبـولـين ، ومردودين ، مترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا ؟

دخول مكة :

عندها يكون قد انتهى عند الحرم الآمن ، فإذا وقع نظره على البيت استحضر عظمته فى قلبه ، راجياً أن يرزقه الله النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه النظر إلى بيته العظيم ..

الطواف بالبيت :

صلاة فيلزم استحضار القلب بالتعظيم ، والخوف والرجاء والمحبة .. وأشرف الطواف طواف القلب بحضرة الربوبية ، وكما أن الملائكة يطوفون حول البيت المعمور فى السماء كذلك الإنس يطوفون حول بيت الله فى الأرض ، إنها إشارة إلى طاعة من فى السماوات ومن فى الأرض لله الواحد القهار .

الاستلام :

أى استلام الحجر الأسود ، فإذا وصلت إليه فاعلم أنك ممن يجدد بيعته مع الله عز وجل على طاعته ، فلتكن عزيمتك مصرة على الوفاء ببيعتك .

السعى بين الصفا والمروة :

فيه إشارة لمن يتردد فى دار الملك جائيا وذاهباً غاديا ورائحا مرة بعد أخرى .. وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الميزان ، والمروة بكفة السيئات ، معلقاً الفؤاد بين العذاب والغفران .

الوقوف بعرفة :

ركن الحج الأكبر ، هنا يتم الحج ، وعلى المسلم أن يتذكر فى هذا الزحام ، واختلاط الأصوات ، واختلاط الأجناس واللغات ، واتباع الفرق والأئمة بالوقفة العامة للبشرية فى عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع أنبيائهم ، واقتفاء كل أمة نبيها .. فإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة ، والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين .. فمن أعظم الذنوب أن يحضر الإنسان عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له .

رمى الجمار :

مظهر من مظاهر الانقياد والطـاعة والعبودية لله رب العالمين ، وتشبها بأبى الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم ، قد يخطر لك خاطر هو أن الشيطان عرض له ، ولم يعرض لك ، إذا أحسست بهذا الشعور فاعلم أنه الشيطان ، فهو يريد أن تفتر همتك بأن ما تقوم به لا فائدة فيه ، فإذا أردت طرده فعليك بتنفيذ شعيرة الرمى(١١) .

(١١) راجع للإمام الغزالى : إحياء علوم الدين جـ١ ص ٤٩١ بتصرف واختصار .

وأما العمرة لغة : فهى الزيارة .

واصطلاحها : زيارة مخصوصة لأفعال مخصوصة .

مكانتها : تظهر مكانة العمرة وأهميتها فى القرآن والسنة أما القرآن فقوله سبحانه : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة : ١٩٦) .

أما فى السنة فقوله صلى الله عليه وسلم للسيدة أم هانى رضى الله عنها :

« عُمـرة فى رمضـان تعـدل حجـة معى » (١٢) .

ولقد اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع عمر : وهذه هى :

عمرة الحديبية وكانت فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة .

عمرة القضاء وكانت فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة .

عمرة الجعرانة وكانت فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة .

وعمرته (صلى الله عليه وسلم) مع حجته التى أحرم بهما فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة . (١٣) .

زيارة المدينة :

على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والمقصود زيارته صلى الله عليه وسلم ، فمن فاتته رؤيته فى الدنيا ، فلايبخل أن يزوره فى مقامه صلى الله عليه وسلم .

ومن أدب الزيارة : الخشوع ، وعدم رفع الصوت فى مسجده والسلام عليه ، وليعلم أن الصلاة والتسليم يصلان إليه صلى الله عليه وسلم فى أى مكان يقالأن ويتلفظ بهما لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى وَكَّلَ بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » (١٤) .

وحديث : « من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً » (١٥) .

وبعد : فهذا الركن دعوة ، وتربية عملية ، فإن منهج الإسلام فى التربية أنه لا يكتفى أن يقول للمسلم كن صالحاً بل يقول له هذا ، ويضع له مناهج عملية يتدرب عليها ويسلكها فيكون صالحاً حقيقة لا ادعاء .

والحج من هذه المناهج العملية ، إذ فيه إظهار لعبودية المسلم لله بصورة عملية ، وبشكل معين ، واضح يجتث جذور الطغيان وجراثيمه من نفس المسلم ، فإن فى الإنسان نزوعاً إلى الطغيان (١٦) .. قال سبحانه :

(١٢) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٨٥ ط الحلبى .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود بلفظ إن لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى الإسلام راجع الإحياء جـ١ ص ٤٩١ هامش ١ .

(١٥) أخرجه الإمام مسلم من حديث أبى هريرة ، وعبد الله ابن عمرو .

(١٦) راجع لعبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٤١ .

← الحـــج دعـوة الله

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ . أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق : ٦ ، ٧) .

إن هذا الركن بالإضافة إلى أركان الإسلام الأخرى التى بينتها السنة الشريفة له تأثير واضح فى إصلاح الفرد والمجتمع ، فيظهر سلوك الفرد الذى زكى نفسه ، وزادت مراقبته لله سبحانه ، كما يظهر سلوك المجتمع بتقرب أفراده إلى الله ، وتمسكهم برسوله صلى الله عليه وسلم ، فيكثر الخير ويقل الشر ، وعندما تتسع دائرة هذه العبادات فتنتقل من مجتمع إلى مجتمع حتى تشمل العالم كله ، يبرز هدف دعوة الإسلام فى عمومها الشامل ، وشمولها العام .

ومن ثم يظل الحج والعمرة دعوة الله المتجددة إلى البشرية فى شتى بقاع الأرض ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

د . محمود محمد رسلان

تصويب ما طبع خطأ
من مقال « كريمة المروزية »
فى العدد الماضى ص ١٤٥١

والدها : هو أحمد بن محمد بن أبى حاتم الذى تغفل المصادر أمره مكتفية بذكر اسمه فقط مما يدلل على أنه لم يكن له دور يذكر فى ميدان العلم ، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء وألمعية فى مخايلها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس ، موفراً لها كافة الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب ، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافى والفكرى لقرية (كشمهين) التى ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم :

الحافظ أبو الهيثم محمد بن مكى بن زارع الكشميهنى الذى كان أول أساتذتها والذى أدركته صغيرة فى السن فتلقت عنه مباشرة ، ودرست صحيح البخارى عليه دراسة متقنة حتى أن جل المصادر تجعله همزة الوصل بينها . فنجد الذهبى يقول « روت الصحيح عن الكشميهنى » ويقول ابن خطيب الدهشة (سَمِعَتْ جامع البخارى عن الكشميهنى) ، ويقول ابن كثير : (سمعت صحيح البخارى عن الكشميهنى) ويقـول ابن الجوزى (سمعت أبا الهيثم وغيره) وإلى ذلك يشير كثير من العلماء(١) كالعاملية وكحالة .

وكانت كريمة فى حوالى الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبى الهيثم ولانعرف على التأكيد إذا كان لقاؤها به قد تم فى (كشميهن) موطنها الأصلى ، أو فى مدينة مرو الشاهجان التى هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر العديدة .

فرحة العيد وسنة الأضحية

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن البراء (رضى الله عنه) قال : قال النبىّ (صلى الله عليه وسلم) « إنّ أوّلَ ما نَبْدأُ به فى يومنا هذا نُصلى ثم نَرجعُ فننحر ، مَنْ فعلَهُ فقدْ أصابَ سُنّتَنا ، وَمَنْ ذَبحَ قَبْلُ ، فإنّما هُوَ لحمٌ قدمهُ لأهلِه ، لَيْسَ مِنَ النُّسكِ فى شئٍ » . رواه البخارى .

أولاً : اللغة :

١ ـ من ذبح قبلُ : أى قبل الصلاة .
٢ ـ ليس من النُّسُك : أي العبادة .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ عيد الأضحى عيد أكبر .
٢ ـ أول ما يبدأ به فى يوم العيد .
٣ ـ جعل الله شكره فى هذا اليوم بتقديم الضحايا .
٤ ـ المقصود من النحر .

١ ـ عيد الأضحى عيد أكبر :

جاء الإسلام بموازينه السمحة العادلة ليجعل الأعياد ترويحاً للنفوس ، ومرحاً عفاً للقلوب وانتصاراً روحياً كريماً ، واتصالاً بالله تبارك وتعالى . والأعياد مظهر من مظاهر شخصية الأمة ، وإعلان لما يسرها .

وللأعياد فى الإسلام تقديرها وعظمتها فى نفوس المسلمين لأنها تدل على وحدتهم وتعاطفهم وتراحمهم .

←

* الكاتب : مدير مكتب أمين مجمع البحوث سابقاً .

فرحة العيد

فى العيد ، يفتح الله أبواب رحمته ، ويشمل عباده بالرضى ويمن عليهم بالقبول ، ويجمعهم على محبته ، ويغدق عليهم من جلائل نعمه .

وعيد الأضحى عيد أكبر تتجلى عظمته الكبرى يوم الحج الأكبر حيث يجتمع المسلمون فيه من جميع بقاع العالم فى أشرف بقعة فى الأرض ، فى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، التى أوجبها الله على كل مسلم قادر .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ سورة آل عمران آية ٩٧

٢ ـ أول ما يبدأ به فى يوم العيد :

وأول ما يطالعك فى صباح يوم العيد ، ذلك النشيد الإسلامى من التكبير والتهليل الذى يدوى فى الطرقات ويملأ الأجواء . يردده المسلمون أفراداً وجماعات حين خروجهم إلى الصلاة ، وفى المساجد وعقب صلواتهم المكتوبة ، معلنين تكبير الله وحمده وفرحتهم بهذه الصلة « الله أكبر ولله الحمد » ، فيتجلى الله عليهم ، وتحفهم الملائكة ، ويسمع الله نشيدهم فى ذلك اليوم العظيم .

لهذا شرع الجهر بالتكبير فى ليلة العيد وعند الخروج إليه ، إشهاراً لشرفه ، وإكباراً لأمره . ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٥ وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾(١) سورة البقرة ٢٠٣ .

يروى أصحاب السنن عن أنس (رضى الله عنه) قال :

« قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « دخل علىَّ النبى ﷺ فى يوم عيد ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فلم يقل شيئاً ، ولكنه اضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ثم دخل أبو بكر فانتهرنى ، وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : « دعهما » وفى رواية : « ياأبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » رواه مسلم .

وعن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة : « والله لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو » رواه مسلم .

(١) هى أيام التشريق ، قاله ابن عباس ورواه البخارى .

٣ ـ جعل الله شكره فى هذا اليوم بتقديم الضحايا :

وقد جعل الله شكره فى هذا اليوم الأغر بتقديم الضحايا قربانا لله بعد صلاة العيد . قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ سورة الكوثر .

وهذه الضحايا التى يتقدم بها المسلمون إلى الله سبحانه وتعالى ، ثوابها لهم ، وهو ثواب عظيم : قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ سورة الحج ٣٧ .

والأضحية : اسم لكل ما ينحر ويذبح من الإبل أو البقر أو الغنم يوم النحر ، وأيام التشاريق الثلاثة .

وهذه الأضاحى إنما هى تذكير بموقف خالد من مواقف النبوة ، موقف إبراهيم عليه السلام وقد أوحى الله إليه فى المنام أن يذبح ابنه .

بعث الله خليل الرحمن إبراهيم « عليه السلام » والأمم من حوله غارقة فى الوثنية عاكفة على عبادة الأصنام متخذة منها آلهة وأرباباً .

وكان مظهر إخلاصهم فى عبادة هذه الآلهة ينحصر فى تقديم القرابين إليها ، ونحر الضحايا من بنى البشر بين يديها ، وكانت هذه الضحايا تختار غالباً من أعز الأبناء ، وأجمل الفتيان والفتيات ، لعل تلك الآلهة ترضى .

وباسم تلك الآلهة وهذه الأصنام التى لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ، كانت تزهق أرواح المئات من البشر ، والعديد من بنى الإنسان ، فكانت الغاية الأولى التى أرادها الله فى رسالة أبى الأنبياء ، هى : تحرير بنى الإنسان من عبودية الإذعان للأصنام ، ثم تحرير رقابهم من شرائع الوثنية التى جعلت المدى الحادة تهوى عليهم فى غير شفقة ولا رحمة ، فكان أن دعا إلى تحطيم الأصنام ، ثم كان أن شرع للناس شريعة الفداء بياناً منه سبحانه بما يتقبله ـ عز وجل ـ وما يرفضه ، فما شرع الله ـ تعالى ـ للبشرية أبداً تقديم أبنائها قربانا لله ، وإنما هى تشريعات أحدثها البشر واكتسبتها الكهنة ، وفى كتاب الله العزيز .

﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام ١٣٧ .

ومضت تلك السنة إلى يوم الدين ، وأداها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه وأهل بيته ، وعمن لم يضح من أمته .

روى الترمذى وأبو داود ، وأحمد والبزاز ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بكبشين أملحين ، وقال فى ذبح أحدهما : [هذا عن محمد وأهل بيته ، وفى ذبح الآخر ؛ هذا عمن لم يضحِّ من أمتى] .

فلا تحزن أيها الفقير ، فقد ضحى عنك سيد المرسلين .

←

← فرحة العيد

والمقصود من النحر هو التقرب إلى الله بإراقة الدماء ، والله سبحانه يتعبد عباده بما يشاء ... بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون ، والاستعاضة عن الذبح بالنقود لا يجوز ، لأن المقصود فى هذه العبادات إراقة الدماء وليس النفع المادى فحسب ، قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ سورة الحج ٣٧ .

والأضحية سنة مؤكدة ووقتها بعد صلاة العيد وبعد ذبح الإمام - أو التقدير لذبحه ، جاء فى الحديث « أول ما نبدأ به فى يومنا هذا نصلى ثم نرجع فننحر . من فعله . فقد أصاب سنتنا . ومن ذبح قبل ، فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك فى شىء » . وأيام النحر هى الأيام المعلومات ، يوم النحر وثلاثة أيام بعده .

روى ذلك عن على وابن عباس (البخارى) جـ ١٧ صـ ٢٦٩ ش العينى . ويشترط فى الأضحية أن تكون كاملة الأعضاء ، ممتلئة الجسم سليمة من العيوب والأدواء . وإنما تجزى الأضحية من الضأن إذا ما أوفت سنة ، ومن المعز ما دخل فى الثانية ، ومن الإبل ما استكمل خمسا ومن البقر ما أوفى سنتين .

● وتجزى عن سبع كل من البدنة والبقرة .

روى ابن ماجه بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سفر ؛ فحضر الأضحى فاشتركنا فى الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة[٢] .

ويستحب أن يجمع بين الأكل منها والصدقة ، وإطعام الأصدقاء من غير تحديد .

ويستحب للمضحى ألا يأكل يوم عيد الأضحى حتى يفطر على كبد أضحيته .

والأضحية تسن على الحر غير الحاج وعلى المستطيع ، وهى أفضل من الصدقة لأنها سنة وشعيرة من شعائر الإسلام .

وعلى المسلمين أن يشعروا الناس بفرحة العيد ، وأن يعطفوا على ذوى الرحم والأقارب والفقراء ، وأن يتزاوروا وأن يتحدوا ، وأن يحيوا عيدهم بالأخوة الإسلامية ، فإن الله يجزى عن ذلك أحسن الجزاء .

إن شريعة الإسلام هى السبيل إلى كل خير ، وطريق السعادة ، ولا تصلح الحياة إلا بشرع الله ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسى

---

(٢) ابن ماجه ٢/١٤٢ .

أوائل الشهور العربية

إعداد .. المهندس
حمدى وهبة شعراوى

قال تعالى :
﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . (سورة يونس الآية ٥)

من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال رحمته بالعباد أن جعل الشمس مضيئة ساطعة بالنهار ، وجعل القمر منيراً بالليل ، وسيره فى منازل لنعلم حساب الزمن ، فبالشمس تعرف الأيام وبالقمر تعرف الشهور والأعوام . وفى هذه الآية الكريمة إشارة من الله سبحانه وتعالى أن نتعلم حساب السنين ودراسة حركة الشمس والقمر .

ومن الأمور الهامة لكل مسلم تعيين أوائل الشهور العربية ، فإن ذلك يرتبط بالعبادة وخاصة أوائل شهور : رمضان وشوال وذى القعدة وبداية العام الهجرى .

ومما يأسف له كل مسلم غيور أن تختلف الحكومات الإسلامية فى تحديد أوائل الشهور العربية ، ويصبح المسلمون فى حيرة من أمرهم بل وقد نجد من بعض الشباب من يطالب بالاقتداء بدولة إسلامية أخرى .

لذلك كان التفكير فى كتابة هذه السطور لتوضيح بعض الأمور العلمية التى قد تخفى عن بعض غير المتخصصين فى علوم الفلك والحساب ، وبيان مدى ارتباط ذلك بالعلوم الشرعية راجين بذلك وجه الله الكريم ثم ابتغاء الفائدة المنشودة من نشر الوعى الفلكى الشرعى ولتوحيد كلمة المسلمين .

قال تعالى :
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٩)

من أهم الأمور أن تعرف الأوقات الشرعية معرفة يقينية مؤكدة لكى تؤدى العبادات فى

←

* الكاتب : مدير عام المساحة بهيئة المساحة .

أوائل الشهور العربية

مواعيدها المحددة فلا نقدم يوماً أو نؤخر يوماً .

فمن الأحكام الفقهية أنه من لم يقف يوم عرفة لم يحج ، وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تقدموا صوم رمضان بيوم ولا يومين إلا أن يكون صوم يصومه رجل ، فليصم ذلك اليوم » رواه الجماعة .

● كما أجمعت الأمة على تحريم صوم أول شوال وقال عليه الصلاة والسلام : « أما يوم الفطر ففطركم من صومكم » رواه أحمد والأربعة .

● وبمثل ما حرمت زيادة أيام الصوم ، سواء من بداية رمضان أو فى نهايته ، فقد حرم أيضاً إنقاص أيام الصوم . فقال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

« من أفطر يوماً من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

لذلك كان لابد من دراسة الأهلة : شروقها وغروبها ، وكان لابد من تحديد دقيق لأوائل الشهور العربية عن يقين لا يشوبه أى شك . وإن كان الشرع يأمرنا بإثبات أول الشهر بقبول شهادة رجل واحد عدل ، أو اثنين عند بعض الفقهاء . إلا أن العقل يأمرنا أيضاً أن نناقش الشاهد ونتأكد إن كانت رؤيته صحيحة ويقينية .

قال تعالى :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (سورة يس آية ٣٩)

يبدو القمر متحركاً يسير فى السماء من الشرق إلى الغرب ويتأخر فى إشراقه كل يوم حوالى ٥٠,٥ دقيقة عن اليوم السابق . ويدور القمر دورة كاملة حول الأرض فى مدى شهر ، يأخذ فيها القمر المنازل المختلفة الآتية :

١ ـ **المحاق** : وهو لحظة اجتماع الشمس والقمر ، وفيها تتساوى زاويتا الطول السماوى للقمر والشمس « أى بعدهما عن نقطة الاعتدال الربيعى » وتكون الشمس والقمر والأرض على استقامة واحدة . وعند هذه اللحظة يكون وجه القمر المظلم مواجهاً للأرض وتسمى هذه اللحظة **بميلاد القمر** .

٢ ـ **هلال الشهر** : ويكون هلالا لحظة ما بعد المحاق مباشرة أى بعد مولد القمر ، وذلك عندما يخرج القمر عن الخط الواصل بين الأرض والشمس ، ويظهر القمر كقوس من نور رفيع وتقدر أقل مدة ما بين مولد القمر وظهور الهلال بحوالى خمس دقائق ثم تتزايد بعد ذلك مع مرور الوقت زاوية قوس النور .

٣ ـ **التربيع الأول** : وهو لحظة أن يكون نصف وجه القمر مضيئاً وتحدث فى اليوم السابع من الشهر العربى تقريباً ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ٩٠ درجة .

٤ ـ **الأحدب** : ويحدث بعد التربيع الأول حيث يتزايد شكل القمر عن نصف دائرة .

٥ ـ **البدر** : وهو لحظة أن يكون وجه القمر المضىء مواجها للأرض ، وتحدث فى منتصف الشهر العربى ، ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ١٨٠ درجة .

٦ ـ **الأحدب الأخير** : ويحدث بعد البدر حيث

يتناقص شكل القمر عن دائرة مكتملة .

٧ - **التربيع الثانى** : وهو لحظة أن يكون نصف وجه القمر مضيئاً ، ويحدث فى اليوم الثانى والعشرين من الشهر العربى تقريباً ، ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ٢٧٠ درجة .

٨ - **الهلال الأخير** : ويحدث بعد التربيع الثانى حيث يتناقص شكل القمر عن نصف دائرة ، ويصبح هلالا لنهاية الشهر حتى يصل إلى المحاق مرة أخرى وتتكرر الدورة الشهرية للقمر . أنظر الشكل .

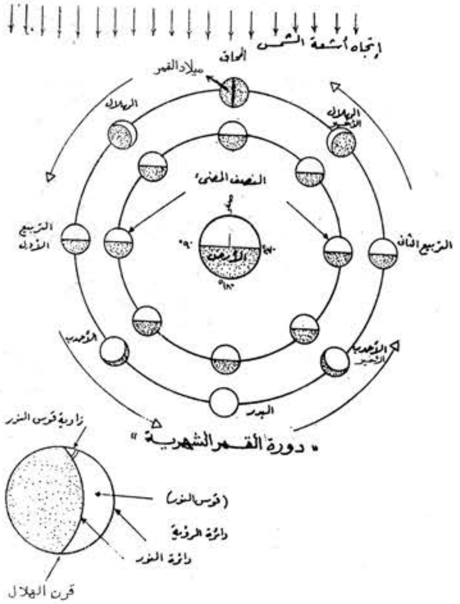

وسرعة دوران القمر حول الأرض ليست منتظمة .

أولاً : بسبب الحركة المركبة للقمر حول الأرض ، ثم حركته مع الأرض حول الشمس .

ثانياً : لأن مدار القمر بيضاوى تقع الأرض فى إحدى بؤرتيه .

ثالثاً : لأن مدار القمر يميل بزاوية قدرها خمس درجات عن دائرة البروج .

الشهر القمرى الفلكى : وهو المدة الزمنية لدورة القمر دورة كاملة من لحظة الميلاد إلى لحظة ميلاد القمر التالية ، أو من لحظة البدر الكامل إلى لحظة البدر التالية ، ومتوسط هذه الفترة ٢٩,٥٣٠٥٩ يوماً[1] ، ويمكن حساب لحظة ميلاد القمر بدقة كبيرة ، وهى لحظة عالمية واحدة بالنسبة للكرة الأرضية ، ويصدر بها التقاويم الفلكية من كافة مراصد العالم ، وبدقة فائقة لا تخطىء .

الشهر القمرى الشرعى :

قال الرسول ﷺ :

« صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً »

« رواه البخارى ومسلم »

وفى رواية أخرى :

« فإن غم عليكم فاقدروا له » .

كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

« إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وأشار - بكفيه : مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثون » .

●● ●● ●●

يبدأ الشهر القمرى الشرعى بعد ميلاد القمر .. والشهر القمرى هو المدة الزمنية من ليلة رؤية الهلال بعد غروب الشمس إلى الرؤية التالية بغد الميلاد التالى ويظهر هلال الشهر متأخراً فى غروبه عن غروب الشمس بمدة

(١) أو ٢٩ يوماً ، و٤٤ دقيقة ، و٢,٨٦ ثانية .

← أوائل الشهور العربية

تسمى مدة المكث وهذا الشهر مدته : إما ٢٩ يوماً ، أو ٣٠ يوماً .

ولقد وضع بعض الفلكيين الشرعيين قاعدة للشهر القمرى الشرعى تسمى بحساب « العلامة » وقد بنيت على أساس دورة القمر كل ثلاثين عاماً متتالية . ولكنها قاعدة تقريبية ، ولا تحدد بداية الشهر بالضبط فقد تختلف يوماً أو يومين ، غير أن بعض الدول الإسلامية تضع تقاويمها على أساس هذه القاعدة مثل تقويم « أم القرى » ولكن هذا التقويم لا يؤخذ به فى الأحكام الشرعية ومناسك العبادة والصوم والحج .

ولتحديد بداية الشهر القمرى الشرعى بالرؤية فذلك يخضع لحالات ثلاث :

١ ـ استحالة الرؤية . ٢ ـ جواز الرؤية .
٣ ـ القطع بها .

الحالة الأولى : تستحيل الرؤية بسبب عدم ميلاد القمر قبل غروب الشمس ، وهو ما يعتبر شرط بداية الشهر العربى ، وعليه فإنه لا يوجد هلال الشهر الجديد .

وأية رؤية فى هذه الحالة تعتبر رؤية مشكوكاً فيها ، أو قد تكون رؤية لهلال قبل الميلاد ، أى لهلال نهاية الشهر وليس لبداية شهر جديد .

والرؤية فى هذه الحالة مرفوضة ، ولا يعتد بها(٢) . ويمكن إثبات خطأ الرؤية بمناقشة شهود الرؤية عن شكل الهلال ، واتجاه قرنيه ، هل يتجهان شمالاً أو جنوباً ؟ وعن زاوية انحراف الهلال عن الشمس هل يمين غروب الشمس أو على يسارها ؟

الحالة الثانية : هى حدوث ميلاد القمر قبل غروب الشمس بقليل ، وتكون مدة مكث الهلال بعد غروب الشمس مدة قصيرة « أقل من ١٢ دقيقة » وهنا يمكن جواز الرؤية ، شريطة ألا يمنع وجود الشفق الأحمر أو وجود غمام أو سحاب الرؤية ، ويترك الأمر للشهود الشرعيين ذوى العدل . كما أنه إذا ثبتت الرؤية فى أى بلد إسلامى ، وأقرته حكومة هذا البلد ، وكان هذا البلد يشترك معنا فى جزء من الليل ، فإنه يمكن الاقتداء بهذا البلد ويترك القرار لصاحب الأمر مفتى الديار وعادة لا يرى الهلال إذا كانت مدة المكث أقل من خمس دقائق ، وفى هذه الحالة يستكمل الشهر ثلاثون يوماً .

الحالة الثالثة : القطع بالرؤية وهى عند حدوث ميلاد القمر قبل غروب الشمس بوقت كبير بحيث تزيد مدة المكث على ١٢ دقيقة بعد غروب الشمس وقد تصل إلى ساعة وخمسين دقيقة ، إذا كان ميلاد القمر بعد غروب شمس اليوم السابق بقليل . كما أن زاوية « قوس النور » تكون كبيرة إلى حد ما بحيث تجعل الرؤية سهلة وميسورة من أى مكان ، وفى هذه الحالة تعتمد رؤية أى بلد إسلامى يشترك مع هذا البلد فى جزء من الليل وذلك دون شك .

من هذا المنطلق فإن الحساب الفلكى يساند الرؤية الشرعية ويؤكدها ، كما أن الحساب الفلكى لا يغنى عن الرؤية الشرعية ولا يمكن الاعتماد على الحساب الفلكى وحده فى تحديد أول الشهر القمرى الشرعى .

---

(٢) شرعاً وفلكاً .

رجال القراءات

الإمام يعقوب البصري

للأستاذ
إبراهيم عطوة عوض

تاسع الأئمة الكبار أصحاب القراءات العشر المتواترة من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن على قلب النبى - ﷺ .

هو إمام البصرة أبو محمد : يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمى مولاهم ، البصرى - وكان إماما كبيرا - انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبى عمرو - أَمَّ بجامع البصرة سنين .

روى الإمام أبو عمرو : عثمان بن سعيد الدانى - المتوفى سنة أربع وأربعين وأربع مائة هجرية - عن الخاقانى عن محمد بن محمدين عبد الله الأصبهانى : أن أئمة المسجد الجامع بالبصرة إلى هذا الوقت(١) على قراءة يعقوب قال : وكذلك أدركناهم .

ووصفه أبو حاتم السجستانى : بأنه أعلم من رآه بالحروف(٢) ، وقراءة وجوه القرآن وعللها ، ومذاهب النحو ، وأروى الناس لحروف القرآن ، وحديث الفقهاء .

مولده : ولد سنة مائة وسبع عشرة .

وفاته : توفى سنة خمس ومائتين ، وله ثمان وثمانون سنة .

كان - رضى الله عنه - من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية ، وكلام العرب ، والرواية الكثيرة للحروف ، والفقه .

وكان من أقرأ القراء . وأُخِذَ عنه عامة حروف القرآن مسندا ، وغير مسند . من قراءة الحرميين ، والعراقيين ، والشام وغيرهم .

وله كتاب سماه « الجامع » جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات . ونسب كل حرف إلى من قرأ به .

حياته العلمية

قرأ القرآن على أبى المنذر . سلامُ بن سليم ، وعلى أبى الأشهب العطاردى ،

←

(١) .... وقت الراوى .

(٢) أي القراءات .

ومهدى بن ميمون ، وشهاب بن شرنقة .

وسمع من حمزة الزيات ، وشعبة ، وهارون بن موسى النحوى ، وسليم بن حيان ، وهمام بن يحيى ، وزائدة ، وأبى عقيل الدورى . والأسود بن شيبان . وبرع فى الإقراء .

تلاميــذه

قرأ عليه روح بن عبد المؤمن ، ومحمد بن المتوكل رويس ، والوليد بن حسان التوزى ، وأحمد بن عبد الخالق المكفوف ، وأبو حاتم السجستانى ، وأبو عمر الدورى ، وخلق سواهم .

وحدث عنه أبو عمر الفلاسى ، وأبو قلابة الرقاشى ، وإسحاق بن إبراهيم شاذان ، ومحمد بن يونس الكديمى وغيرهم .

منزلتــه

قال الإمام أحمد بن حنْبل : هو صدوق .

ولبعضهم شعراً :

أبوه من القراء كان وجَدُه
ويعقوب فى القراء كالكوكب الدرى
تفرُّده محض الصواب ووجهه
فمن مثله فى وقته وإلى الحشر

قال طاهر بن غلبون : وإمام أهل البصرة بالجامع . لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب ـ رحمه الله تعالى ـ يعنى فى الصلوات .

وقال على بن جعفر السعيدى : كان يعقوب أقرأ أهل زمانه ـ وكان لا يلحن فى كلامه . وكان أبو حاتم من بعض تلامذته .

وقال أبو القاسم الهذلى : لم ير فى زمن يعقوب مثله .

كان عالما بالعربية ووجوهها . والقرآن واختلافه . فاضلا تقيا ، ورعا زاهدا . بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه فى الصلاة ـ ولم يشعر ـ ورد إليه ولم يشعر . لشغله بالصلاة .

وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يَحْبِس ويُطْلِق .

راويـــاه

وله راويان : أخذا القراءة عنه ـ ووصلت إلينا بالأسانيد عذبة مسلسلة : الأول رويس ، والثانى روح .

فأما رويس : فهو محمد بن المتوكل . أبو عبد الله اللؤلؤى . رويس المقرىء : قرأ على يعقوب ـ وتصدر للإقراء .. وقرأ عليه محمد بن هارون التمار ، وأبو عبد الله الزبيرى الفقيه الشافعى .

وتوفى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

وأما روح : فهو روح بن عبد المؤمن . أبو الحسن البصرى المقرىء . صـاحب يعقوب الحضرمى . كان متقنا مجوداً .

روى أيضا عن أبى عوانة ، وحماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان الضبعى .

قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلوانى ، وأبو الطيب بن حمدان وأبو بكر محمد بن وهب الثقفى ، وأحمد بن يحيى الوكيل . وروى عنه البخارى فى (صحيحه) وعبد الله ابن أحمد ، ومطين ، وأبو خليفة ، وإبراهيم ابن محمد بن نائلة الأصبهانى وأبو يعلى الموصلى .

وذكره ابن حبان فى الثقات . وقال :

توفى سنة ثلاث وثلاثين أى : ومائتين - قبلها أو بعدها - وقال غيره سنة : أربع أو خمس وثلاثين ومائتين .

الطـــرق

طرق رواية رويس عن يعقوب وهى أربع طرق :

الأولى : طريق أبى القاسم عبد الله بن الحسين بن سليمان النخاس .. البغدادى . وكان ثقة مشهورا ، ماهرا فى القراءة قيما بها من أصحاب « التمار » .

وتوفى سنة : ثمان وستين وثلاثمائة .

ومولده : سنة تسعين ومائتين .

الثانية : طريق أبى الطيب محمد بن أحمد بن يوسف البغدادى وهو غلام ابن شنبوذ . وكان مقرئا مشهورا - ضابطا ناقلا رَحَّالا - حدث عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى وغيره .

وتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

والثالثة : طريق أبى الحسن أحمد بن أبى بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم العطار البغدادى . وهو والد أبى بكر بن مقسم السابق فى رواته خلف عن حمزة ، وكان أبو الحسن هذا قيما بالقراءة . ثقة فيها ، ذا صلاح ونسك . توفى سنة : ثمانين وثلاثمائة .

والرابعة : طريق أبى الحسن على بن عثمان بن حبشان الجوهرى . وكان معروفا بالإتقان .

وتوفى فى حدود : الأربعين وثلاثمائة أو بعدها .

وقرأ هؤلاء الأربعة على أبى بكر محمد بن هارون بن نافع بن أبى قريش بن سلامة التمار البغدادى . وكان مقرىء البصرة ، وشيخها فى القراءة . من أجل أصحاب رويس وأضبطهم .. قرأ عليه سبعا وأربعين ختمة .

وتوفى بعيد سنة ثلاثمائة . وقال الذهبى : بعد ستة عشر .

طرق رواية روح عن يعقوب

وأما روح فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر بن محمد بن وهب بن يحيى بن العلاء بن عبد الحكم بن هلال بن تميم الثقفى البغدادى . وكان إماما ثقة عارفا ضابطا . سمع الحروف من يعقوب . ثم قرأ على روح ، ولازمه حتى صار أجل أصحابه وأعرفهم بروايته .

وتوفى : فى حدود سنة سبعين ومائتين ، أو بُعَيْدَها .

الثانية : طريق الفقيه أبى عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الأسدى الزبيرى - البصرى الشافعى الضرير . وكان إماما مقرئا . ثقة كبيرا . وهو صاحب كتاب - (الكافى) - فى فقه الشافعى .

وتوفى : سنة سبع عشرة وثلاثمائة .. أو عشرين وعن هؤلاء وهؤلاء ثبتت قراءة الإمام يعقوب - رضى الله عنه - وانتشرت وبقيت فى العالمين بمسانيد عالية قوية موثقة .

سنـــده

قرأ يعقوب على أبى المنذر سلام بن أبى سليمان المزنى مولاهم الطويل ، وعلى شهاب بن شرنقة ، وعلى أبى يحيى ؟ مهدى بن ميمون المعولى ، وعلى أبى الأشهب جعفر بن حيان العطاردى .

←

رجال القراءات

وقرأ سلام على عاصم الكوفى ، وعلى أبى عمرو بسنده وقرأ سلام أيضا على أبى المجسر : عاصم بن الفجاج الجحدرى البصرى ، وعلى أبى عبد الله يونس بن عبيد بين دينار العقبى مولاهم ـ البصرى ـ وقرأ على الحسن بن أبى الحسن البصرى . بسنده .

وقرأ الجحدرى أيضا على سليمان بن قتة التيمى مولاهم ، البصرى . وقرأ على ابن عباس . رضى الله عنهم .

وقرأ شهاب على أبى عبد الله هارون بن موسى العتكى الأعور . النحوى . وعلى المعلى بن عيسى .

وقرأ هارون على عاصم الجحدرى ، وأبى عمرو ـ بسندهما .

وقرأ هارون أيضا على عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى وهو أبو جد يعقوب .

وقرأ على يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم وقرأ المعلى على عاصم الجحدرى بسنده .

وقرأ مهدى على شعيب بن الحبحاب ، وقرأ على أبى العالية الرياحى ـ بسنده .

وقرأ أبو الأشهب على أبى رجاء عمران بن ملحان العطاردى .

وقرأ أبو رجاء على أبى موسى الأشعرى .

وقرأ أبو موسى على رسول الله ـ ﷺ .

مذهبه فى القراءة

كان رضى الله عنه يأخذ بالتعوذ فى أول القراءة بالصيغة المختارة عن النبى ﷺ ـ على ما ثبت فى سورة النحل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) جهراً .

وكان (يبسمل) فى أول كل سورة ، سوى سورة (التوبة) كما كان (يبسمل) بين السورتين . وكان يقرأ بالمرتبة الوسطى فى (المد المتصل) أما (المد المنفصل) فله فيه مرتبتان : القصر قدر حركتين ، والمد المتوسط قدر أربع حركات . فمن نقص أو زاد اعتدادا برأيه فقد أفحش وأساء ـ فالله يقول ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت ٤١، ٤٢) .

وكان يقرأ بالإدغام الكبير : وهو ما كان الأول من المثلين والمتجانسين أو المتقاربين متحركا .

ونعنى بالمتماثلين : ما اتفقا مخرجا وصفة ، وبالمتجانسين : ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، وبالمتقاربين : ما تقاربا مخرجا وصفة .

(فأما المدغم من المتماثلين) فوقع فى سبعة عشر حرفا وهى : الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو : « الكتاب بالحق » ، و « الموت تحبسونهما » و« حيث ثقفتموهم » ـ و« النكاح حتى » ، « شهر رمضان » ـ و« الناس سكارى » ـ ، و « يشفع عنده » ، و« من يبتغ غير الإسلام » ـ و« مااختلف فيه » ، و« أفاق قال » ـ « ونحن نسبح » ، و « هو وليهم » ، و« فيه هدى » ، و« يأتى يوم » .

و« **شرط الإدغام** » أن يلتقى المثلان خطا فيدغم نحو ـ « إنه هو » ولا يمنع الصلة ،

وكان يظهر نحو ـ « أنا نذير » ـ من أجل وجود الألف خطا .

« **وأن يكون من كلمتين** » فإن التقيا من كلمة فلا يدغم إلا فى حرفين وهما « مناسككم » ـ فى البقرة ـ و « ماسلككم » فى المدثر .

« **وموانع الإدغام** » أن يكون الأول تاء ضمير . سواء كان ضمير متكلم أو مخاطب نحو « كنت ترابا » ، « فأنت تسمع » ، و« فأنت تكره » . **وأن يكون مشددا** نحو ـ « رب بما » ـ و « مس سقر » ـ **وأن يكون منونا نحو** : « غفور رحيم » ، « سميع عليم » .

واختلف الآخذون : بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوما وذلك فى قوله : « ومن يبتغ غير الإسلام » ، و« يحل لكم » و « وإن يك كاذبا » .

وكذلك اختلفوا فى آل لوط : وهو فى الحجر ، والنمل ، والقمر .

وفى الواو : إذا وقع قبلها ضمة نحو : « هو والذين » ، و« هو والملائكة » . ووقع فى ثلاثة عشر موضعا .

واتفقوا على إظهار ـ « يحزنك كفره » من أجل الإخفاء قبل .

واختلف الأصحاب فى إدغام ـ « واللائى يئسن » فى الطلاق ـ على وجه إبدال الهمزة ياء ساكنة . فذهب الشاطبى ، والدانى ، والصفراوى وغيرهم إلى الإظهار . وذهب الآخرون إلى الإدغام . وقرأنا بالوجهين والله أعلم .

أما المدغم من المتجانسين فهو ستة عشر حرفا وهى :

الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والسين ، والشين ، والصاد ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون .

وذلك ألا يكون الأول مشددا نحو : « أشد ذكرا » ، و « الحق كمن » ولا منونا نحو « ظلمات ثلاث » ، « شديد تحسبهم » . ولا تاء ضمير نحو : « خلقت طينا » ـ و« جئت شيئا إمراً » . فالباء تدغم فى الميم فى قوله : « يعذب من يشاء » فقط . والتاء تدغم فى عشرة أحرف هى : الثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

ففى الثاء نحو : « البينات ثم » وقد اختلف المدغمون فى : « الزكاة ثم » ـ فى البقرة ـ و « التوراة ثم » فى الجمعة .

وفى الجيم نحو : « الصالحات جناح » .

وفى الذال نحو : و « السيئات ذلك » ، واختلف المدغمون فى : « وآت ذا القربى » فى الموضعين .

وفى الزاى نحو : « إلى الجنة زبرا » .

وفى السين نحو : « الصالحات سندخلهم » . ولم تدغم ـ « لم يؤت سعة » . من أجل الجزم مع خفة الفتحة .

وفى الشين نحو : « بأربعة شهداء » ، واختلف المدغمون فى « جئت » والظاء ، إلا أن تكون الذال مفتوحة وقبلها ساكن ، فإنها لا تدغم إلا أن يكون فى التاء لقوة المتجانس .

ففى التاء « المساجد تلك » و « بعد توكيدها » .

وفى الثاء نحو : « يريد ثواب » .

وفى الجيم : « داود جالوت » .

وفى الذال ـ و « القلائد ذلك » .

وفى الزاى : « يكاد زيتها » . ←

وفى السين نحو : « الأصفاد سرابيلهم » .
وفى الشين : و« شهد شاهد » .
وفى الصاد نحو : « نفقد صواع » .
وفى الضاد : « من بعد ضراء » .
وفى الظاء نحو : « يريد ظلما » .
والذال تدغم فى السين فى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ﴾
وفى الصاد نحو : « ما اتخذ صاحبة » .
والراء تدغم فى اللام نحو : « هن أطهر لكم » « المصير لا يكلف الله » ، و« النهار لآيات » . فإن فتحت وسكن ماقبلها لم تدغم نحو : و « الحمير لتركبوها » .
والسين تدغم فى الزاى من قوله : « وإذا النفوس زوجت » .
وفى الشين : « واشتعل الرأس شيبا » ، وأجمعوا على إظهار : « لا يظلم الناس شيئا » لخفة الفتحة بعد السكون ، **والشين تدغم فى حرف واحد فى السين** فى قوله « إلى ذى العرش سبيلا » .
والضاد تدغم فى موضع « لبعض شأنهم » فى النور « شيئا فريا » - فى مريم .
وفى الصاد نحو : « والملائكة صفا » .
وفى الضاد نحو : « و العاديات ضبحا » .
وفى الطاء نحو ؛ « وأقم الصلاة طرفى النهار » . واختلف المدغمون فى :"ولتأت طائفة أخرى".
وفى الظاء نحو : و « الملائكة ظالمى » .
والثاء فتدغم فى خمسة أحرف وهى : التاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والضاد .
ففى التاء نحو : « حيث تؤمرون » ، وفى الذال - « الحرث ذلك » ، وفى السين نحو : « وورث سليمان » .. وفى الشين نحو : « حيث شئتما » وفى الضاد : « حديث ضيف » .
وفى الجيم فى موضعين : أحدهما فى الشين نحو : « أخرج شَطْأَهُ » . والثانى فى التاء نحو : « ذى المعارج تعرج » .
والحاء تدغم فى العين فى حرف : وهو « زحزح عن النار » .
والدال تدغم فى عشرة أحرف : التاء ، والثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد .
هذا ويلتحق بهذا المقصد خمسة فصول ، يطلق عليها : « الادغام الصغير » وتنحصر فى : « ذال - إذ » ، و(دال - قد) ، و(تاء التأنيث) ، و(هل) و(بل) - وحروف قربت مخارجها .
ومن أراد العلم بمذهب يعقوب فى الوقف على أواخر الكلم ، والوقف على مرسوم خطوط المصاحف العثمانية من حذف وإثبات وإلحاق كالوقف بهاء السكت على - « ما » الاستفهامية فى نحو - « فيم » ، و« بم » و« لم » و « مم » ، و« عم » وجمع المذكر السالم وما ألحق به فى نحو - المتقين - والعالمين -، والموفون - ومعرفة مذهبه فى « ياءات الإضافة » و « ياءات الزوائد » فعليه بأمهات كتب القراءات .

المراجع

١ - أبو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى .
٢ - جمال الدين القفطى : انباه الرواة على أنباه النحاة .
٣ - شهاب الدين القسطلانى : لطائف الإشارات . نسخة عن مخطوطة مكتبة الظاهرية بدمشق .
٤ - السخاوى : جمال القراء وكمال الإقراء - نسخة مصورة معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية .
٥ - مكى بن أبى طالب : الكشف عن علل القراءات وتوجيهها طباعة مجمع اللغة العربية بدمشق .

مع الحافظ جلال الدين السيوطى

فى كتابه مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة

للأستاذ :
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

● كأن السيوطي - رحمه الله - قد استشف حجب الغيب بتأليف هذا الكتاب ، وكأنه رأى ما ظهر فى أيامنا هذه من جماعة ترفض السنة وتقول : لا شىء سوى القرآن ..

وكتاب السيوطى هذا صغير الحجم ولكنه كبير الفائدة عظيم الأثر ، يدور حول الحديث الشريف الذى أخرجه البيهقى عن أبى رافع قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه يقول : لا أدرى ،ما وجدنا فى كتاب الله اتبعنا . وأخرجه أبو داود والحاكم .

ولا ينكر مُنكرُ السنة إلا وقد أنكر القرآن قبل أن ينكر السنة ، ذلك أن القرآن أمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كأمره بطاعة الله - تعالى - ودعا إلى اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - فى كل ما يأمر وينهى ، قال - تعالى - : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ - النساء ٨٠ - وقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ - الحشر ٧ وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ .. ﴾ آل عمران ٣١ - .

ولا يجهل مؤمن منزلة السنة من الدين ، وهى تبليغ النبي - صلى الله عليه وسلم - الذى بلغ به رسالة ربه استجابة لقوله - تعالى - : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . . . ﴾ المائدة ٦٧ -

والسنة فيها بيان للقرآن ﴿ وَأَنزَلْنَا

←

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ـ النحل ٤٤ ـ ومهمة الرسول تدور حول هذه الغاية فلم يكن ليقصر فيها ، ولو اقتصر الدين على القرآن لما كان هناك معنى لبعث الرسول وجهاده وبيانه وأحكامه وأخلاقه التى أمرنا أن نقتدى بها في قوله ـ تعالى ـ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ ـ الأحزاب ٢١ ـ فكيف نتأسى به ونهمل سنته ؟ وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ـ النساء ٦٥ ـ .

ولا يقال إن ذلك كان خاصاً بالقضايا التى فصل فيها فى حياته فإن هناك من القضايا المشابهة التى جدت بعد ، والتى سوف تجد لها فى السنة أحكام فاصلة وأقوال صادقة .. وهذا هو ما شغل به الصحابة أنفسهم حتى لقد التزم أبو بكر منهجاً خلاصته هذه العبارة : « إنما أنا متبع ولست بمبتدع » .

من موضوعات الكتاب :

على غير عادة الكتب دخل السيوطى فى كتابه مباشرة دون مقدمة ، واكتفى فى ذلك بالبسملة والتحميد والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم وجه خطابه للمسلمين محذرا لهم من الافتتان بأقوال الرافضة والزنادقة الذين ظهرت منهم بدعة عدم الاحتجاج بالسنة .

وتحدث في كتابه عن نقاط متعددة نشير إلى بعضها فيما يأتى : ـ

١ ـ رأى الزنادقة والرافضة في السنة :
احتجوا بحديث طعن المختصون في صحته وهو : « ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلاً فخذوه وإلا فردوه » ، وهذا الحديث عقد البيهقى بابا فى بطلانه ، وقال الشافعى : ما روى هذا الحديث أحد يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير ، وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول .

وقال البيهقى : روى هذا الحديث بطرق مختلفة من أوجه كلها ضعيفة ، وأمثل إسناد روى فى هذا المعنى مارواه ربيعة عن عبد الملك ابن سعيد بن سويد عن أبى حميد أو أبى أسيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » .

ذلك أن حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب الفطرة الصافية الصادقة ويلتقى معها ، وهو قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذى وضع به الرسول من دينه ، وما افترض على الناس من طاعته ، ولا ينفر

منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به ، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل فى الأخلاق حسن عند أولى الألباب .

٢ - دفاع الأئمة عن السنة : نقل السيوطى قول الشافعى الذي يحتج فيه للسنة ، ويبين مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ربه ، وكيف وضع الله رسوله من دينه وفروضه وكتابه الموضع العظيم ، حيث جعله عَلَماً لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأَبَان من فضيلته وقرن بينه وبينه فى الإيمان به ، وذكر السيوطى آيات متعددة في ذلك استشهد بها الشافعى رضى الله عنه ، وذكر السيوطى كلام البيهقي في حجية السنة ، ومنه قوله : ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم : ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع .

وفى ذلك يقول الشافعى : فلما ندب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا من تقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدى عنه حلال يُؤتى وحرام يُجتنب وحَدٌّ يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا .

٣ - مناقشة المبتدعين : وناقش السيوطي المبتدعين الذين يزعمون أن القرآن لم يترك شيئاً ، واستشهد بحديث البيهقى بسنده عن شبيب بن أبى فضالة أن عمران بن الحصين - رضى الله عنه - ذكر الشفاعة ، فقال رجل من القوم : ياأبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ، فغضب عمران ، وقال للرجل : قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ، ووجدت المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين ، والظهر أربعا والعصر أربعا ؟ قال : لا ، قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ .... أما سمعتم الله قال في كتابه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ؟ قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشياء ليس لكم علم بها .

وأثبت السيوطي بطلان الحديث الذي احتج به المنكرون للسنة بنفس حجتهم ، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن ، مع أن القرآن يأمر بأن يتعلم المسلمون من النبي الحكمة ، والحكمة هى السنة ، وذكر من الأحاديث التى رواها البيهقى ما يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوتى القرآن ومثله معه ، وغيرها مما رواه أبو داود والحاكم وابن ماجه ، ومن ذلك ما أخرج عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال القائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ،

←

فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

٤ ـ **وجوه السنة** : وللسنة وجوه ثلاثة ، أحدها ما أنزل الله فيه نص كتاب فَسَنَّ الرسول بمثل نص الكتاب .

وثانيها ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد بالجملة .

ثالثها : ما سَنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما ليس فيه نص كتاب . وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقضى أحياناً بقضاء ينزل القرآن بغيره فلا يرد القضاء الأول ، وقد حكم مرة على زان بالجلد والتغريب ، وليس فى كتاب الله التغريب (١) .

والسنة كان يتلقاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يتلقى القرآن ، أخرج البيهقى بسنده : كان جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن . وأخرج ذلك الدارمى أيضاً .

وحين طلب الصحابة منه مرة أن يسعر لهم فى عام مجدب قال : لا يسألنى الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها ، ولكن اسألوا الله من فضله ـ أخرجه الترمذى عن أنس ، وكذلك الإمام أحمد عن أنس أيضاً ـ المسند ٣ / ١٥٦ .

وفى ذلك دلالة على أنه كان لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ـ النجم ٣ ، ٤ ـ .

وفسر السيوطى ـ استناداً إلى البيهقي معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ـ النساء ٥٩ ـ قال : الرد إلى الله إلى كتابه ، والرد إلى الرسول بعد قبضه إلى سنته .

٥ ـ **عناية الصحابة بالسنة** : وكان الصحابة يرجعون إلى السنة فيما لا نص من القرآن فيه ، وكانوا يهتمون بالسنة وتتبعها وتحريها ، وكان ابن عمر يهتم بتتبع آثار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اهتماماً كبيراً ، وكانوا يرون من الفروض تبليغ السنة امتثالاً لأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا علىّ) ـ أخرجه البخارى .

وكان المسلمون الأولون يتكبدون المشاق الطوال فى طلب الحديث وسماعه ، وقد سأل رجل الشافعى يوماً عن الحجة فى دين الله ، فقال له : كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأمة ، فسأله عن اتفاق الأمة من أين يؤخذ في كتاب الله ؟ قال الشافعى : فقرأت القرآن ثلاثة أيام بلياليهن حتى وجدت قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

(١) رواه ابن جريج ومالك ومعمر وابن عيينة والليث عن الزهرى ـ أسد الغابة ٢/٢٨٥ فى الترجمة رقم ١٨٣٢ .

الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ ـ النساء ١١٥ ـ .

قال السيوطى : « والقرآن محتاج إلى السنة ولا عكس ، أخرج البيهقي عن مكحول قال : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، ومعنى ذلك أن السنة جاءت مبينة للقرآن ومفصلة لمجملاته ، وأخرج عن مجاهد قال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . » .

٦ ـ سبب اختلاف الأمة : **واستشهد السيوطي على اختلاف الأمة بخبر نراه ماثلاً فى واقعنا الآن . قال : أخرج البيهقي عن إبراهيم التيمي قال : أرسل عمر بن الخطاب إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال : كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يعرفون فيم نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى ، فإذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا .. وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه .**

قال السيوطى : فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر فى القرآن إلى معرفة أسباب نزوله ، وأسباب نزوله إنما تؤخذ من الأحاديث ومن هنا وجب الالتزام بالسنة .

٧ ـ وتارك السنة ملعون : ورد ذلك فى حديث أخرجه الطبرانى فى الكبير قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب : الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل حرمة الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتي ، والمستأثر بالفىء ، والمتجبر بسلطانه ليعز ما أذل الله ويذل ما أعز الله .**

وإن أول أمر يحل من عُرَا الدين هو ترك السنة ، أخرج الدارمى فى مسنده قال : بلغنى أن أول الدين تركا : السنة .

ليت الذين يفرطون فى أمر السنة يحكمون عقولهم ليدركوا أن التمسك بالسنة فيه جمع لشمل الأمة ، وتقوية لرابطة الدين ، وإحياء للمثل العليا التى جاء بها الإسلام . وقد كان الصحابة والتابعون يستنكفون أن يذكر مع مقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقال آخر .

حدث ابن سيرين رجلاً بحديث فقال رجل : قال فلان كذا وكذا ، فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقول قال فلان ، والله لا أكلمك أبدا .

وكان الرجل منهم يغضب على تارك السنة فيعجل الله بعقوبته إكراماً لغضبته لله .

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب يودعه لحج أو عمرة . فقال له : لا تخرج حتى تصلى ، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا يخرج بعد النداء من المسجد إلا منافق ، فقال : إن أصحابي بالحرة ، فخرج فلم يزل سعيد مولعا بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه .

مع الحافظ السيوطي

٨ ـ **أهل السنة هم حفظة الدين** : قال السيوطي : لابد من الاستسلام للسنة وعدم معارضتها وإن أهل السنة هم حفظة الدين .
قال سفيان الثورى : الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض ـ ولا يعارض السنة إلا الرافضة والزنادقة .

ودافع عن محققى الصوفية فقال : أما الصوفية المحققون فهم محافظون على السنة ، وأورد طائفة طيبة من أقوالهم . من ذلك :

قول أحمد بن الحوارى : من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله .

وقول الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقول أبى العباس الأدمى : من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله وهو من أئمة الصوفية قال : أصولنا ستة أشياء ، التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسوله ، وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام وأداء الحقوق .

وبعد : فقد أحسنت المطبعة السلفية صنعاً بنشر هذا الكتاب الذى يقع في ست وأربعين صفحة ـ وهذه إحدى طبعاته المتعددة ، فقدمت لجماهير الأمة الإسلامية خيراً كثيراً في هذه الآونة التى ظهرت فيها نعرة نبذ السنة ، ولكن الغيورين على دين الله فطنوا إلى ما تحمله هذه النعرة من آثار سيئة فتصدوا لها بكل ما أوتوا من قوة ، ونحن ندعو الله لهم بالتوفيق في جهادهم ، ونرجوه تجنيب الأمة الإسلامية مخاطر الفرقة والشقاق ، حتى يعود لها مجدها وأمنها وسلامها . والله من وراء القصد خير معين ؟

عبد الحفيظ فرغلى على القرني

من الحقوق العامة للإنسان فى الإسلام

حق التعليم

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

مما لا جدال فيه أن المرء لا يولد عالما ، بل يبرز إلى الحياة غفل الصحيفة ، عديم التجربة ثم يستعمل حواسه فى الاتصال بمن حوله وكذا عقله للإفادة من تجاربهم وتجارب السابقين ،ثم هو محتاج إلى أقساط منتظمة من المعرفة حتى يتفتق ذهنه وتتسع مداركه ويبصر حقيقة ما يحيط به من الأشخاص والأشياء ويعى ما يطلب ويطالب به وما يجب عليه .

القرآن الكريم يشير إلى قيمة العلم :

فالعلم هو الذى جعل كفة آدم ترجح على الملائكة وتشعر بتفوقه ، ويصور القرآن الكريم قيمته عندما أجاب عن السؤال الذى عجزت الملائكة عنه ، إذ عرف بالعلم أسماء كل شىء وبعقله أدرك ما حوله من مخلوقات ،

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة – ٣١ – ٣٢ .

العلم والدين متلازمان فى نظر الإسلام :

بل إن أحدهما فى منطق القرآن الكريم سبب ونتيجة للآخر فالمجتمع الذى يلده الإسلام أو يولد فيه الإسلام هو المجتمع الذى يسوده جو الدراسات العلمية الأصيلة الحرة ينمو فيها العقل الإنسانى وتتوطد الصداقة

الحقوق العامة للإنسان

بينه وبين ما فى العالم من عناصر وقوانين[1] ، وهذا وحده هو الطريق الذى أوجده الإسلام للتعرف على الله ثم يأتى اليقين بما جاء من عنده على لسان رسله وأنبيائه ، فسلم الارتقاء الإنسانى العلم والدين ، وموقف الإسلام من العلم هو الموقف الذى يراه فيه ضرورة إنسانية ودينية واجبة[2] .

آيات الكون طريقها العلم :

فالوعى بآيات الكون الذى نعيش فيه ، وهو كتاب الله المنظور طريقه العلم وهو الذى يجعل العلماء مؤمنين برب هذه الآيات ، بل إن ذلك كافل لأن يكونوا على حد الخشية لرب هذه الآيات قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ.وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[3] ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[4] فالله الخالق هو الذى جعل الحب والنوى فى تربة الأرض تنفلق عن هذا الخير المكنون .

ويقول جل جلاله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[5] فالله سبحانه هو صاحب القدرة التى تجعل الليل يلد الفجر .

إذاً ما العلم الذى يقصده الإسلام ؟

إن ما يعنيه العلم فى نظر الإسلام ويوجب الإقبال عليه ويستفتح أبوابه بقوة ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، بل هو كل ما يوسع منادح النظر ويزيح السدود أمام العقل إلى المزيد من العرفان وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه والإفادة من ذخائر الكون ومكنوناته وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6] وقد أشار القرآن الكريم ضمن ما أشار به من علم إلى تعليم الصنائع الدنيوية ، وذكر مثالاً له نبى الله داود ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال

---

(١) « حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة » تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة سنة ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية بعابدين بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة فاطر ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) سورة الأنعام ٩٥ .

(٥) سورة الأنعام ٩٦ .

(٦) سورة الزمر ٩ .

تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾(٧) وهذه الصنعة هى صنع لباس الحرب ودروعها ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٨) ففى صنعته التى تعلمها ألين له الحديد فى عمل دروع الحرب حتى وصل إلى احكام نسجها بحيث تدخل الحلق بعضها فى بعض(٩) .

كما أشار القرآن الكريم إلى أعمال بناء السدود وفن إقامتها وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾(١٠) .

فقد قام ذو القرنين بوضع ردم بين جبلين ثم جىء له بقطع الحديد فجعل يضع بعضها على بعض بطريقة تقتضى التماسك والارتفاع بالبناء حتى إذا ساوى ما بين جانبى الجبلين بما بناه من السد ، أمر عماله أن ينفخوا بالكيران فى الوقود الموضوع بين قطع الحديد ، بعد إشعال النار فيه ليصبح الحديد مثل النار فيلتصق بعضه ببعض ثم أمر بإحضار النحاس المنصهر المذاب فأفرغه على السد فسدت به الثغرات التى كانت بين قطع الحديد بعد أن تم احتراق الوقود الذى بينهما فالتصق بعضها ببعض أشد التصاق(١١)

العلم والتعليم هو جماع مهمة رسول الإسلام :

فقد روى أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين فى مسجده فقال : « كلاهما خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء (أهل مجلس العبادة والذكر) فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء الله أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء (أهل مجلس العلم) فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلماً ، ثم جلس بينهم »(١٢) .

كذلك فالقرآن الكريم كتاب العلم كما هو كتاب الدين :

فلرفعة مقام العلم فى الإسلام انتشرت فى القرآن الكريم الآيات التى تشير إلى أن

←

(٧) سورة الأنبياء ٨٠ .
(٨) سورة سبأ ١٠ ، ١١ .
(٩) عن « صفوة البيان لمعانى القرآن » لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف .
(١٠) سورة الكهف ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(١١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الحزب الحادى والثلاثون طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأولى سنة ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٣ م
(١٢) أخرجه ابن ماجه وأبو داود الطيالسى والدارمى وابن عبد البر .

الحقوق العامة للإنسان

العلماء هم المؤهلون أصلاً لفهمه وفقهه وعقل الآيات التى تحدث عنها والأمثال التى ساقها ، أما غير العلماء فلهم مرتبة التقليد للعلماء والفقهاء ، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى :

١ - ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت - ٣) .

٢ - ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت - ٤٣) .

٣ - ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (العنكبوت - ٤٩) .

٤ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم - ٢٢) .

٥ - ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة - ٢٣٠) .

٦ - ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف - ٣٢) .

٧ - ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا . يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر - ٩) .

مدى ضرورة العلم للأفراد والأمم

فهو نور البصر والبصيرة ، وإذا كان العلم كذلك كان الجهل هو الظلمة بل والعمى ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد ١٩) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة »(١٣)

بل إن العلم فى وجوبه وفى ضرورته يتعدى ضرورة الضوء والنور إلى حيث يراه الإسلام قوام الحياة ، يقول الحسن بن صالح : « إن الناس يحتاجون إلى هذا العلم فى دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب فى دنياهم »(١٤)

وإن فى فقد العلم هلاك الأمم : فهو يتعدى مرتبة الضرورة اللازمة للحياة ليصبح هو الحياة نفسها ، وليصبح فى تخلفه هلاك الحياة بضلال الأحياء ، ويشير إلى ذلك ماروى أن هلال ابن خباب سأل سعيد بن جبير عن علامة هلاك الناس فأجابه بقوله : « إذا هلك علماؤهم »(١٥)

العلم فريضة إلهية فى الإسلام

ولضرورة العلم للأفراد والأمم تجاوز الإسلام بالعلم نطاق الحق إلى حيث جعله

(١٣) رواه الإمام أحمد هكذا جاء فى الجامع الكبير ، العدد العشرون من الجزء الأول فى السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٢٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

(١٤) الإسلام وحقوق الإنسان تأليف دكتور محمد عمارة مطبوعات عالم المعرفة - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت ، شعبان سنة ١٤٠٥ هـ - مايو « أيار » سنة ١٩٨٥ م .

(١٥) المرجع السابق .

فريضة إلهية لحاجة الإنسانية الماسة إليه . يقول رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[16] فهو ضرورة وفرض عين على كل مسلم وليس مجرد حق من الحقوق يباح لصاحبه التنازل عنه بالاختيار دون إثم أو حرج أو تثريب ، والأمر كذلك عندما يكون « تخصصاً » يعز تحصيله على الكافة والجمهور . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[17] .

حتى على من يريد تولى السلطة على الناس واجب التفقه قبل ولايته لها

ويشير إلى ذلك الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب فى قوله المأثور « تفقهوا قبل أن تسودوا ، إنه لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة ، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم ، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم » .

ولقد كادت تيارات الإسلام الفقهية عامة تجمع على أن يكون الإمام عالما لا يقل عن مبلغ المجتهدين فى الأصول والفروع فى الحلال والحرام وسائر الأحكام ذا رأى ومعرفة بالأمور سائسا مهتديا إلى وجوه التدبير فى السلم والحرب صاحب عقل يضمن صلاح التصرفات ، فإذا تخلف هذا الشرط فلا شرعية للدولة والولاية والإمامة ، وإنما هى ولاية تغلب واغتصاب واستبداد .

الإسلام لايرى الإنسان إلا بصلته الوثيقة بالعلم .

ذلك أن الإسلام بوصفه جاء لهداية الإنسان ونجاته بين له أن العلم هو سبيل هذه الهداية وهذه النجاة ومن هنا تأتى مضامين المأثورات الإسلامية الكثيرة ومثاله :

١ ـ ما يقوله الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود (اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك) .

٢ ـ وما يقوله الصحابى خالد بن معدان (الناس عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه) .

مدى مكانة العلماء فى نظر الإسلام

تمشيا مع طبيعة الإسلام وموقفه المتناسق مع العلم كثرت الآيات القرآنية ومأثورات السنة النبوية التى أحلت العلماء أرفع الدرجات .

←

(١٦) رواه ابن ماجه والبيهقى هكذا ورد فى الجامع الكبير للسيوطى العدد ٢٣من الجزء الثانى من السنن القولية مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م .

(١٧) سورة التوبة ١٢٢ .

ففي القرآن الكريم مثاله قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١٨] وقد جاء فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية أن الله يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ،[١٩] **أما السنة النبوية فإنها تفيض فى ذكر الأحاديث** التى ترفع مكانة العلماء ومن أمثلة ذلك قول رسول الله ﷺ :

١ ـ « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم »[٢٠] .

٢ ـ « من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر »[٢١] .

٣ ـ « **إن الله وملائكته وأهل السموات** والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير »[٢٢] .

٤ ـ « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله »[٢٣] .

وفى مأثورات السلف الصالح الكثير عن فضل العلم ومن أمثلتها :

١ ـ ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما (تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها) .

٢ ـ وقال قتادة (باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول) .

٣ ـ وقال الحسن (من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرا له مما طلعت عليه الشمس) .

٤ ـ وقال سفيان الثورى (ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم) .

٥ ـ وقال الشافعى (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة) .

---

(١٨) سورة المجادلة ١١ .
(١٩) نقلا عن كتاب الإسلام وحقوق الإنسان تأليف دكتور محمد عمارة .
(٢٠) أخرجه الترمذى .
(٢١) أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذى .
(٢٢) رواه الطبرانى فى الكبير والضياء المقدسى فى المختار الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣ هـ سنة ١٩٧٣ م .
(٢٣) رواه المنذرى

٦ ـ وقال البخارى (العلم قبل القول والعمل لقول الله عز وجل ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢٤] فبدأ بالعلم[٢٥] **الإسلام لا ينظر إلى العلماء هذه النظرة السامية إذا هم لم ينفعوا الناس بعلمهم** فالشريعة تتوجه للجمهور ، ومصلحة مجموع الأمة هى معيار الحل والحرمة والنفع والضرر والصواب والخطأ ولذلك فإن المأثورات الإسلامية لا تضفى الشرف إلا على العلم الذى ينفع الناس وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ .

« إن مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق فى سبيل الله »[٢٦] ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه : (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه)[٢٧] وكتب سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى أبى الدرداء يقول له : (إن العلم كالينابيع يغشاها الناس فيختلجه هذا وهذا ، فينفع الله به غير واحد ، وإن حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه ، وأن علما لا يخرج ككنز لا ينفق منه ، وإنما مثل العلماء كمثل رجل حمل سراجا فى طريق مظلم يستضىء به من مر به وكل يدعو له بالخير)[٢٨]

التاريخ يشهد بأن علماء المسلمين فى عصورهم الزاهية لم يخصوا بالعلم انفسهم من دون الناس .

فهم نشروه وبثوا المعرفة فى كل مكان طرقوه دون تمييز عنصرى أو عقائدى بين البشر .

١ ـ يقول (المستردرابير) المدرس فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية فى كتابه بين العلم والدين (إننا لندهش حين نرى فى مؤلفات المسلمين من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، وإن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوروبا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها) .

٢ ـ ويقول (سديو) فى كتابه تاريخ العرب : (كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها .

٣ ـ وشهد العلامة (بريفولت) فيقول : (إن الأوروبيين درسوا عن العرب طريق البحث العلمى التجريبى وأنه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر)[٢٩] .

٤ ـ أما العالم الفرنسى جوستاف لوبون فيقول : (لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حين أدخل العرب الحضارة إليها ، إذا رجعنا إلى القرن

←

---

(٢٤) سورة محمد ١٩ .

(٢٥) كتاب شرح السنة لأبى محمد الحسينى البغوى السابق الإشارة إليه وقد وردت به هذه المأثورات .

(٢٦) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ـ مسند أبى هريرة جـ ٢ ص ٤٩٩ .

(٢٧) (الإسلام وحقوق الإنسان) السابق الإشارة إليه .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) مستقبل الحضارة الإسلامية تأليف الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ملحق بمجلة الأزهر الجزء الخامس فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هجرية .

التاسع والقرن العاشر من الميلاد حين كانت الحضارة الإسلامية ساطعة ، رأينا أن مراكز الثقافة فى الغرب كانت أبراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون ، وإن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين ، ودامت همجية أوروبا البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها . ولم يبد فى أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا فى القرن الحادى عشر وفى القرن الثانى عشر من الميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم ، شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم)[٣٠] .

ويقول فى موضع آخر عن عناية المسلمين بكتب اليونان ودراستها : (والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد (ﷺ) وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها ، وأنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا)[٣١] ويقصد بالعرب المسلمين وقتئذ .

وبعد ...

فإن الإسلام رسالة فريدة فى رحابتها العلمية والثقافية لاتشبهها رسالة أخرى من رسالات السماء أو الأرض ، فإن نصوص القرآن الكريم والسنن المأثورة عن نبى الإسلام ﷺ تشكل مادة علمية تتصل بفروع الثقافة الإنسانية كلها من أخلاق ومعاملات ونظام الأسرة والمجتمع وسياسة الدولة المالية والقانونية والسياسية وعلاقاتها الخارجية ، وذلك عدا ما تميزت به علوم العقائد والعبادات التى ليس لها مصدر يوثق به غير الوحى ، وهذه المادة العلمية الإسلامية لا يزيدها مر الزمان إلا ثباتا وتألقا وفى دلالة الاستهلال الذى بدأ به وحى الله الأعلى رسالة الإسلام إلى رسوله الأمين ﷺ بكلمة (اقرأ) بصيغة الأمر والوجوب ما يعبر عن آلاء الله سبحانه وتعالى إلى البشر بنعمة العلم والتعليم .

وإذا كانت حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية وشرائع أخرى غير شريعة الإسلام قد نظرت إلى العلم بريبة وحذر ، ورأت فيه سبيلا إلى (الهرطقة والتجديف) أى الإلحاد والكفر فإن حضارة الإسلام وشريعته قد أبصرت فى العلم منذ أربعة عشر قرنا السبيل إلى صحيح الإيمان ، أى الإيمان المؤسس على الدليل دون حاجة إلى إعلان أو وثيقة من

البقية ص ١٦٢٧

(٣٠) أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية تاليف الدكتور مختار القاضى مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة سنة ١٩٧٢ .

(٣١) المرجع السابق .

محددات الصراع
ضد الإسلام

للدكتور
عبد الله نجيب محمد

إن ما يحدث الآن على الساحة العربية الإسلامية ، يمكن النظر إليه من وجهتين ،
أولاهما : موقف القوى الخارجية من العروبة والإسلام .
وثانيتهما : موقفنا نحن بالنسبة لقضايانا ونظرتنا إليها وتصرفنا حيالها .

ولن أخوض كثيرا فيما يتعلق بالأمر الثانى إلا بالقدر الذى يفسر الأمر الأول ويجلو غوامضه ، ذلك لأن اى تدخل خارجى لا يمكن ان يتم إلا من خلال الثغرات والفجوات التى تتخلل عملنا ، ونجهلها أو نتجاهلها .

بالرغم من وجود الركائز الموضوعية لقيام نظام إسلامى إقليمى وعالمى ، إلا أن المسلمين منقسمون على أنفسهم ، موزعون فى أقاليم فرعية مفتتة تابعة ، مما يشكل أفضل الظروف للتحرك والتدخل الخارجى ضدنا .

وهناك الآن فجوة لا شك فيها بين الاسلام بمبادئه وأسسه التى تسمو على كل فكر بشرى ، وبين المسلمين الذين تخلفوا عن تطبيق هذه المبادىء وتلك الأسس ، وانشغل أكثرهم بصغائر الأمور وتركوا عظائمها دون عناية كافية ، مما كان سببا فى تمزقنا وتخلفنا .

وعلينا الآن أن نتصور كيف أمكن للقوى الخارجية أن تتحرك بحرية ، وأن تنفذ فى هذا الفراغ لتعمل على قهرنا وإضعافنا بشتى الوسائل .

وإذا كانت الثقافة توصف بأنها واحدة وعديدة فى آن واحد ، فإنها أيضا قد أصبحت سريعة التغير ، وأصبحت الإرادة البشرية أقدر على هذا التغيير ، ولم يسلم – حتى الإنسان نفسه – من محاولة صنعه (بيولوجيا

←

* الكاتب : عضو هيئة التدريس بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة .

محددات الصراع

بالتأثيرات الكيماوية والهندسة الوراثية وغيرها ،وسلوكيا ،بالتأثيرات النفسية على الذكاء والشخصية وغير ذلك) .

وسط هذه المتغيرات ، نجد اختلاف النظرة بين المفكرين من المسلمين حول ما يسمى بالقومية ، يؤيدها البعض بشدة إلى درجة اتهام من يخالفونهم بالخيانة ، وينفيها البعض متنبئين باندثار القوميات ، ويرون أن التقدم فى وسائل الاتصال ، سوف يساعد على زيادة الروابط بين الأمم ويعمل فى نفس الوقت على تفتيت القوميات ، واتجاه السياسات العالمية إلى تعاون أكبر وأكثر تداخلا ، وسوف يقوم بذلك الجيل الجديد الذى هو أكثر اتجاها نحو العالمية من الأجيال التى سبقته ، لأنه لم يعرف العالم عن طريق الكلمة لغة القوميات ، بل عرفه بالصورة وهى لغة عالمية (٢) .

والواقع أننى أميل إلى التوفيق بين الرأيين ، فالإنسانية ـ من وجهة نظرى ـ تميل إلى التوحد والتفرق فى آن واحد ، تنزع إلى التفرق والانغلاق فى صورة القوميات ، كلما تعرض شعب إلى ما يمس ذاته وكيانه ويهدد شخصيته وهويته الخاصة ، وينزع إلى التوحد ، كلما تهيأت للشعوب عوامل التعاون وأسباب العدالة ، والاعتراف المتبادل بحقها فى حياتها الخاصة وحدود وطنها وأرضها وثقافتها ونظرتها المتفردة للحياة .

ومن وجهة نظرى الخاصة أيضاً أقول : إنه لا يمكن بناء أساس عالمى دون بناء الوحدات القومية ، أو على الأقل الاعتراف لهذه الوحدات بكياناتها المستقلة الراغبة فى التفرد ، والنزاعة إلى التميز ، وكلما تحددت القومية وتأكدت ذاتيتها ، كلما أمكنها النظر فيما حولها ، أعنى إلى انتمائها الإنسانى الأكبر على المستوى العالمى .

ولقد أدت النظرة الأخيرة الداعية إلى إنكار القوميات فى مواجهة العالمية أو الأمة ، إلى محاولات إذابة بعض الشعوب فى كيانات أكبر أو كيانات أخرى بغير إرادتها ، مما ترتب عليه فى أغلب الأحيان صراعات دموية وتنافرات محمومة ، وتقدم أفريقية نماذج من هذا الصراع ، فى القرن الأفريقى ، حيث تحاول اثيوبيا فرض ثقافة واحدة على شعوب مختلفة الثقافات ، وفى جنوب أفريقيا ، حيث يحاول البيض فرض إرادتهم وثقافتهم بالقوة القاهرة على السود من أهل البلاد الأصليين وأولئك الذين يأخذون بالنمط الأوروبى فى محاولات التوحد ، ينسون أن القوميات الأوروبية قد كونت شخصياتها وابتنتها منذ سنين ، فلما استكملت هذا البناء نظرت حولها ، إلى انتمائها الأكبر والأعلى ، إلى الأوروبية أو الأوروبية الأمريكية الشاملة ، وحتى هذه النظرة الأوروبية أو الأوروبية الأمريكية الشاملة لا تدعو إلى إنكار القوميات أو حربها والقضاء عليها أو حتى إقامة وحدة شاملة تختفى فيها الكيانات والقوميات ، بل مازالت هذه النظرة أسيرة الفكرة القومية والنظرة العرقية (وإن وسعت مجالها) تحقيقا لمصالح مادية فى مقابل كيانات أخرى كالعالم

---

(٢) ترجمة وتقديم محجوب عمر ١٩٧٠ . New york : Zbigniew Brezinsk : Between tow ages -

الثالث أو المعسكر الشرقى أو غيرهما .

لا تناقض إذاً بين التمسك بالقومية ، شريطة العمل فى نفس الوقت على التعاون والتكاتف والتوحد ، من أجل العالمية والإنسانية الشاملة من منظور العدالة الشاملة ووحدة الجنس البشرى أمام الله الواحد الأحد ، وهو منظور الإسلام الذى يسمو على كل فكر ، ويتجاوز كل اجتهاد .

ولقد اعترف دعاة العالمية أنفسهم سواء فى الشرق أو الغرب بأن العالم سوف يجد نفسه أكثر وحدة وأكثر تفتتا فى نفس الوقت ، ومع زيادة الاتجاه نحو « العالم الواحد » نتيجة الثورة فى وسائل الاتصال ، ستزداد الجماعات العرقية والدينية انغلاقا على نفسها بسبب رغبة الأفراد فى الحصول على الانتماء والحماية (٣) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : لماذا تتدخل القوى الخارجية ضد العروبة والإسلام ؟

الواقع أن مرد ذلك من وجهة نظرى هو استمرارية الظلال التاريخية القديمة فى الصراع بين الشرق والغرب ، واستمرارية النظرة الإمبريالية والعنصرية فى الغرب الذى مازال أسير فكراته فى التفوق والاستعلاء ، والرغبة فى السيطرة على مقدرات العالم ، ويبدو واضحا لكل ذى عينين أن الغرب مازال مصرا على أهدافه الإمبريالية كما هى دون تغيير ، وإنما هو قد غير أسلوبه وخططه فحسب ، يقدمها لنا فى صور جديدة تتفق ومقتضيات العصر ومتغيراته .

وقد يستخدم فى ذلك دعوى القومية ضد الأمة الإسلامية الشاملة ، فإذا علت القومية وأوشكت على النضوج استخدم ضدها فكرة الوحدة الإسلامية أو حتى العالمية ، وعلى أية حال فهى فى النهاية عالمية من وجهة نظرهم يقودها الغرب ويُسَيِّرُ دفتها ، وتصبح شعوب العالم تبعا له ، خاضعة ومسترقة على طراز جديد من الاسترقاق .

يقول مسئول أمريكى : « سوف يكون هناك شرق أوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة / الأمة تتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية ، يجمعها إطار إقليمى (كونفدرالى) وهذا سيسمح للكانتون الإسرائيلى أن يعيش فى المنطقة بعد أن تصفى فكرة القومية (٤)

وتقع المنطقة الإسلامية فى مجموعها ضمن محاور الاستراتيچية العالمية بلا جدال ، فبها أهم الممرات إلى قلب أوراسيا وأفريقيا ، بكل ما يمثله ذلك من أهمية متعددة الجوانب والأبعاد ، والإسلام يمتد على رقعة فسيحة من العالم هى فى موقع القلب منه ، يضم نحوا من مليار نسمة .

من أجل هذا يعتبر العالم الإسلامى من حيث الاستراتيچية أهم الكتل على الصعيدين الجغرافى والسكانى ، فهو علاوة على أنه قلب العالم وتخترقه خطوط الملاحة العالمية ، فهو

←

---

(٣) الموجة الثالثة - The Third wave : Alvin Toffler
(٤) راجع السابق ص ١١٤ .

محددات الصراع

أيضاً مركز المواصلات العالمية ، ومنطقة التقاء ووصل الشرق بالغرب ، مما يمثل أهم الانعكاسات الاقتصادية ، ويشكل العمق الاستراتيچى لكل من حلفى وارسو والأطلنطى ، وطريق الوصول إلى جنوب أفريقيا والهند واستراليا وغيرها .

وإذا كانت الكتلة الإسلامية تشكل كتلة استراتيچية حيوية ، فإن الكتلة العربية تعتبر قلب هذه الكتلة ، ولذلك يركز الغرب هجومه المتوالى على الشعوب العربية ، لا للأسباب السياسية والاقتصادية والاستراتيچية التى ذكرناها فحسب ، بل خوفا وفرقا من هذه الشعوب ما تمثله من ثقافة قاهرة قادرة على المنافسة ، وهو ما اعترف به الغرب وصرح به مرارا .

وقد اتخذ الغرب لنفسه خطة ذات أبعاد متشعبة تهدف إلى قهر العالم الإسلامى سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وحرمانه من موارده وقدراته على التواصل والتوحد ، ومجمل هذه السياسة يكمن فيما يلى :

أولا : سياسة التغريب :

لكى يتمكن الغرب من اقتلاع جذور الحضارة الإسلامية ، قام بتركيز جهوده الاقتصادية والسياسية وغيرها لخدمة هذا الهدف ، فى محاولة لفرض سيطرة الحضارة الغربية على شعوب الشرق الإسلامى خاصة تحت هذا الخوف من الإسلام ، والرغبة فى القضاء على الثقافة الإسلامية انطلق الغرب يوجه جهوده ، ليس فقط إلى ظواهر الحياة العربية ، بل إلى جوهرها ، فى محاولات مستمرة ودائمة إلى فرض أيدلوچية الحضارة الأوروبية ، ودفع طبقة من المفكرين والقادة الذين تربوا على أيدى الغرب وفى مؤسساته العلمية إلى مقدم الصفوف والقيادة باعتبارهم مجددين (مثل حركة أحمد خان فى الهند وحركة ميرزا غلام القاديانى والبابية والبهائية وحركة سليمان العلوى فى سورية) بهدف إضعاف روح وحدة المسلمين وقوتهم وإشاعة الاستسلام والبعد عن الإسلام .

يعتمد الغرب فى ذلك أيضاً على الحركات المشبوهة مثل الماسونية وتشجيع الهجرة الأجنبية إلى الأقطار الإسلامية وتكوين جاليات أجنبية يظهرونها فى مظهر اجتماعى وثقافى واقتصادى جذاب ، يقلده ضعاف النفوس من المسلمين ، وكذلك استغلال هذه الجاليات والأقليات لإضعاف البناء العام للمجتمعات الإسلامية ، ومنها أيضاً نشر المدارس الأجنبية فى كل البلاد الإسلامية ، واستغلال التعليم بها كأداة لتفكيك الروابط الاجتماعية والقومية ، بل ومحاولات السيطرة على البناء التعليمى جملة .

أما الإرساليات التبشيرية ، فدورها معروف فى خدمة أهداف الغرب وبث أفكاره وخلق التخاذل الروحى بين الجماهير ، وحملها على قبول الخضوع للثقافة الأوروبية .

ثانيا : سياسة التفتيت :

تفتيت وحدة الشعوب الإسلامية هدف استراتيچى للغرب ، ومعروف تاريخيا أنهم قسموا العالم العربى إلى دول متعددة وقسموا السودان إلى شمال وجنوب ، والهند إلى الهند وباكستان وبينهما مشكلة كشمير والصومال

إلى صومالات ، وخلقوا مشكلة « الأوجادين » بين الصومال وأثيوبيا وغير ذلك مما لا يتسع المجال إلى تفصيله .

ويحاول الغرب فى الوقت الراهن أن يركز على إبراز التناقض بين العرب والأفريقيين ، أملا فى التفريق بينهما (مما جعل زعيما كنكروما يحزن لقيام الوحدة بين مصر وسورية) ومنعا للثقافة العربية الإسلامية من الانتشار جنوبا ، بل يحاول الغرب أيضاً الايقاع بيننا وبين الأفريقيين ، كما حدث بالنسبة لأسعار النفط ، حيث يدعى أن هذه الزيادة قد تسببت فى تأخير نمو الدول الأفريقية ، وأثرت على جهود التنمية بها ، وينسى الغرب محاولاته المستمرة فى تحديد أسعار المواد الخام التى يستوردها من أفريقيا ، والديون التى يثقل بها كاهل هذه الدول ، والتفرقة العنصرية والاستعمار الجديد الذى تنوء به دول القارة .

يستغل الغرب أيضاً الخلافات الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، فيعيد إحياءها ، كما يستغل التنافس بين الدول والزعماء ، وقد تكون له مواجهة مع الزعامات الصالحة وفى أفريقيا على سبيل المثال أثيرت مشكلة الصحراء بين المغرب والجزائر ، ومشاكل أخرى عديدة فى نيجيريا وزائير وشرق أفريقيا وغربها ، إلى غير ذلك مما يدور فى عالم اليوم ، تشجعه وتدعمه دول الغرب كلما أتيح لها ذلك .

ثالثا : سياسة الحصار والإفقار :

يحرص الغرب على نهب الموارد الاقتصادية وتقليصها فى الأوطان الإسلامية ، مستخدما فى ذلك سيطرة رأس المال الدولى المتحكم فى الأسواق العالمية ، وعلى أسعار السلع بيعا وشراء بمعنى أن الغرب هو الذى يحدد أسعار المواد التى يستوردها من البلاد الإسلامية ، وهى فى جملتها مواد أولية يشتريها بأرخص الأثمان ويعود فيبيع لنا المواد المصنعة بأغلاها ، وهو ما يسمى سياسة « إعادة تدوير رأس المال » .

ومما يتبعه الغرب فى ذلك أيضاً خلق أنماط استهلاكية فى بلاد المسلمين تخدم مصالحه الإنتاجية ومصانعه وشركاته ، هذا علاوة على فوائد الديون المرتفعة التى تقتص جزءا هائلاً من دخول الدول الإسلامية ، وجذب الأموال العربية والإسلامية لإعادة استثمارها فى الغرب ، وحرمان البلاد العربية والإسلامية الأخرى منها .

ومنها أيضاً التدخل فى الشئون المالية الداخلية ، وتحديد أسعار النقد الأجنبى والسياسة الجمركية ، والشروط المجحفة فى استخدامات المعونات المقدمة من الغرب ، للتحكم فى توجيه حركتها بما يخدم مصالح الغرب نفسه ، وهو ما يسمى سياسة الاقتراب غير المباشر Indirect Approch التى تهدف إلى استمرار الاحتفاظ بالسيطرة الاقتصادية بوسائل أكثر سيولة وليونة وخفاء ، هذا بالإضافة إلى استخدام العمالة الأفريقية وغيرها استخداما غير إنسانى كما يحدث فى جنوب أفريقيا .

ويستخدم الغرب أيضاً نظرية « وجوب الحرب المحدودة » التى يخلقها فى كثير من المناطق بهدف إجهاض التنمية بها ، وإضعاف قوتها وقدرتها على المقاومة ، وجعلها أكثر قبولا ولَيَاناً لتحقيق أهداف الغرب ،

محددات الصراع

وهذه الحرب المحدودة يخطط لها بحيث لا تهدد السلام العالمى ، وبحيث يتمكنون من السيطرة عليها وقتما يشاءون عن طريق منع السلاح أو غيره .

وعلى صعيد الحصار ومنع التأثيرات الثقافية أو تحديدها عمدت الدول الأوروبية إلى قطع شرايين الاتصال فى أفريقيا ، ولم تسمح بإنشاء خطوط مواصلات برية أو جوية أو بحرية تصل بين أجزاء القارة إلا عن طريق أوروبا .

(وفى ندوة حوض النيل التى انعقدت بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية التابع لجامعة القاهرة فى الفترة من ١ إلى ٧ مارس سنة ١٩٨٧ اشتكى بعض الأعضاء من الأفريقيين من صعوبة الاتصال بجيرانهم أو الوصول إليهم رغم الحدود المشتركة إلا عن طريق عاصمة أوروبية) .

وفى جامعة « ماكريرى » بأوغندا ، وضع الأوروبيون لوحة تمثل الإرساليات التبشيرية وقد جاءت لتخليص الأفارقة من الأغلال التى قيدهم بها العرب ، ونفس اللوحة معلقة بعرض الحائط فى متحف ليفنجستون بزامبيا ، حيث يحاولون بهذه الوسائل وغيرها تصوير العرب بأنهم تجار رقيق ، وأن الأوروبيين هم الذين خلصوهم من العبودية .

وهذه الدعاية عنصر ثابت فى كل مخططات المبشرين ومدارسهم فى شرق أفريقيا ووسطها خاصة ، حتى بلغ الأمر مبلغا خطيرا أدى إلى النفور من المسلمين والثقافة الإسلامية ردحا طويلا من الزمان ، وما تزال تلك الدعاية السوداء تعمل عملها فى كثير من المناطق .

نسأل المولى ـ سبحانه ـ أن يوفق حكام المسلمين وعلماءهم إلى اختراق حاجز المؤامرات وحاجز الانجذاب نحو التجزئة والصراعات المحلية ، من أجل تحقيق الأهداف العامة وعلينا أن نلجأ إلى تخطيط شامل فى أسلوب عملنا تخطيطا تُرَشِّدُهُ عقيدتنا ، فإن من لديهم عقيدة محددة عميقة الجذور ، هم دائما فى أفضل وضع لمعالجة التغيرات والمشكلات ، وهل هناك ما هو أفضل من عقيدة الإسلام وشريعة الرحمن ؟

د . عبد الله نجيب محمد

أهم المراجع العربية :

١ ـ د . إبراهيم شحاتة حسن : ريجنالد ويجنت فى الصومال ـ من مطبوعات جامعة القاهرة .

٢ ـ إدريس كوكس : سقوط الامبراطورية : ترجمة محمد رشاد خميس . الألف كتاب .

٣ ـ الإسلام والتجديد : تعريب عباس محمود . القاهرة ٣٢ .

٤ ـ أرنولد : العودة إلى الإسلام ط ٢ . القاهرة ٥٧ .

٥ ـ أحمد عزت عبد الكريم : العلاقات بين الشرق العربى وأوروبا بين القرنين ١٦/١٧ .

٦ ـ د . حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا .

٧ ـ دونالد ويدنر : تاريخ أفريقيا : جنوب الصحراء : ترجمة راشد البراوى ٦٢ .

٨ ـ محمد عمر بشير : جنوب السودان : ترجمة أسعد حليم : الهيئة المصرية ٧١ .

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين
صفوت عبد الجواد

سؤال : من « ع . عبد الكريم » .

يضع أخى أكثر ماله بل كله إلا راتبه فى أحد البنوك ، وحينما علمت بذلك أصبحت اتردد فى تناول شىء فى بيته من طعام أو شراب إلا الماء ، وقد طلبت إليه أن يسترد ماله من البنك فلم يفعل وقال لى :

إن الأرباح التى آخذها أستخرج منها زكاة المال .

(أ) فهل لى أن أطعم من ماله مع علمى بهذا الوضع ؟

(ب) وهل الزكاة التى يؤديها من أرباح هذا المال نافعة ؟

أرجو إجابتكم وفقنى الله وإياكم .

الجواب :

نفيد بأن وضع المال فى البنك ليؤخذ عنه فائدة سنوية مشروطة إنما هو « ربا » لأن فيه زيادة لأحد العوضين عن الآخر ، والربا قد حرمه الله فى الكتاب والسنة ، وأجمع العلماء على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

وما توعد الله على معصية بالحرب كما توعد على الربا ويقول الرسول ﷺ[1] « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه » .

وما دامت الفائدة المذكورة « ربا » ومحرمة فلا يحل للإنسان امتلاكها ، ولا التصرف فيها ، ولا إخراج الزكاة منها وإنما يجب عليه أن يخرج الزكاة مما يملكه من مال تحت يده

أما أكلك عند أخيك فإنما تأكل من مال مشبوه لا تعرف حلاله من حرامه ولا إثم فى ذلك لأنك لا تأكل من مال محرم قطعاً بل تأكل من مال اختلط فيه الحرام بالحلال ، والأفضل البعد عما فيه الشبهات ما استطاع الإنسان

سؤال من « ص . ابراهيم -اسكندرية »

لم أكن منتظماً فى صلاتى ولا صيامى وكنت أحلف كذباً ، والآن أصوم وأصلى ولا أكذب فهل يقبل الله توبتى ؟

الجواب :

نفيد بأنه من رحمة الله تبارك وتعالى أن الله

١ - أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

الفتـــــاوى

فتح باب التوبة للخطائين المذنبين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ . ويقول الرسول ﷺ[٢] « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

فعلى العبد المذنب أن يرجع إلى الله وأن يتوب إليه التوبة النصوح ، والتوبة النصوح : إنما تتحقق بتوافر أركانها الأربعة .

الركن الأول : الإقلاع عن الذنب فلا تكون توبة مع الإصرار عليه .

الركن الثانى : العزم على عدم الرجوع إليه .

الركن الثالث : الندم على ما فات ، والحسرة عند تذكر ما فات من الذنب ، والندم دلالة على صدق التوبة .

الركن الرابع : رد الحقوق إلى أربابها سواء أكانت لله أو للعبد ، فعليك ياأخى أن تواظب على صلاتك وصيامك وأن تقضى ما فاتك منها جهد استطاعتك ، وعليك الا تحلف كاذباً ، وأن تؤدى كفارة عن الإيمان الكاذبة السابقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، ولتكثر من الاستغفار ، فإن الرسول ﷺ يقول[٣] : « توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إلى الله وأستغفره فى اليوم مائة مرة » .

وابشر ياأخى فقد عرفت بالتوبة طريق الله ورحمته وهدايته ولا تنس أن تؤدى حقوق العباد لهم ما دمت مستطيعاً .

سؤال :

من « ا . سليمان هدهد ـ بسوهاج » .

ما حكم الشرع فى اكل اللحوم المستوردة ؟ مع عدم علمنا او تاكدنا من طريقة الذبح ؟

الجواب :

نفيد بأن واجب المسلمين الا يكونوا عالة على أعدائهم أبداً ، وأن يكون لهم عملهم واجتهادهم وحدهم حتى يكونوا فى مركز القوة أمام الأعداء ، وحتى لا يتحكم فيهم هذا العدو اعتماداً على حاجتنا إليهم ، وكذلك الحال أمام هذه اللحوم المستوردة ، فالواجب الا نستوردها لمجرد الاستيراد والتجارة وإنما الاستيراد يكون للحاجة إليها فقط ، وواجب ولى الأمر وهو الأمين على الأمة أن يكون له المراقبون الأمناء الذين يراقبون الذبح للحيوانات فى مظانه الشرعية .

والله تبارك وتعالى قد أحل لنا ذبائح أهل الكتاب مما هو حلال لنا على أن يكون الذبح بالطريقة الشرعية ، والا يذكر عند الذبح اسم غير اسم الله ، كأن يذكر اسم الله أو لا يذكر اسم عند الذبح اطلاقاً .

فإذا تيقن الإنسان أن هذه اللحوم المستوردة من بلاد أهل الكتاب لم تذبح ذبحاً شرعياً أو ذبحت مع ذكر اسم غير اسم الله فإنه يحرم عليه أن يأكل منها لأنها ميتة ، كما يحرم عليه أن يأكل من اللحوم المستوردة من بلاد ليس أهلها من أهل الكتاب فهى ميتة كذلك .

---

٢ ـ اخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .

٣ ـ البخارى فى الأدب المفرد مع اختلاف فى اللفظ .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي

الشيخ محمد أحمد عبد الله "شمس الدين"

الفقيد الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى

٢٢/١/٣٣ - ٥/٦/١٩٨٨

رحل الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى إلى جوار ربّه ، فأورث عارفيه ومريديه حزناً أليماً ، إذ افتقدوا شمائله النبيلة وسجاياه الحميدة ، أمّا زملاؤه بالجامعة فكان حزنهم أشد وأعمق ؛ لأنهم يعرفون ما حباه الله به من صفات إسلامية يتوجها التواضع والوفاء وسعة الصدر ، والدفع بالتى هى أحسن ، والتماس العذر لمن يزل حتى لو تعذرت أسبابه ، فإن الرجل السمح كان يتلمس الوسائل للصفح ليحفظ مكانة من ألم بالهفوات ، وقد كان مسجده بعد رحيله غاصاً بآلاف المعرين ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، وكل يفيض فى ذكريات ندية عاطرة ، أخذت تهب على السامعين كما يهب النسيم مضمخا بالعبير ، وأذكر أن صديقي الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف ، وهو أخلص خلصاء الراحل الكريم ورفيق جهاده العلمي والإدارى قال لى باكياً : لقد كان عبد الرحمن أخاً وأباً وابناً فى وقت واحد ، فهو أخ يقدم المشورة الصادقة ، ويرعى الود الطاهر ، وهو أب يبذل لصديقه من ذات نفسه ويده ما يبذله الوالد لولده رعاية وإيثاراً وسخاءً ، وهو ابن يستمع ويذعن ويطيع عن حب ومروءة وتفدية ، وتلك معانٍ تحتاج إلى شرح مؤيد بالشواهد ، وليس هذا مجالها .

أسـرة صوفيـة

نشأ الزميل الصديق نشأة صوفية فى بيئة تتشرب المثل الإسلامية ، وتدعو إلى الارتقاء الروحى ، مستمدة العون من الله ذكراً فى التسابيح ، وتأليفاً فى الكتب ودرساً بالمسجد ، ورحلةً إلى القرى والمدن تأليفاً للقلوب وإرشاداً للنفوس وتطهيراً للأرواح ، إذ كان جده الصوفى الكبير الشيخ محمد أمين الكردى ممن أخلص قلبه لله ، فأمده بروح من عنده ، وقد درس بالأزهر الشريف على كبار شيوخه ، وفى مقدمتهم شيخ الأزهر العلامة الكبير سليم البشرى ، إذ سمع منه دروس الصحيحين ، وموطأ مالك ، وتفسير

د . محمد رجب البيومى

البيضاوى ، ثم انتقل إلى الإمامة والخطابة بالمساجد ، فكانت دروسه وخطبه نمطاً جديداً من الوعظ الروحى ، لأن الشيخ الكردى الكبير قد نَهَجَ نَهْجَ الإمام الغزالى حين جمع بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة ، فلم يكن المتصوف النظري الذى يدرس المسائل الفلسفية فى منطق عقلى جاف ، ولم يكن (الدرويش) السطحى الذي يظن التصوف حلقات ذكر ، ومواكب وبيارق وشارات ، ولكنه العالم الفقيه الذي درس كتب الشريعة وألف فيها عن كفاءة ونبوغ ، والصوفي الذى داوم الذكر ، وارتقى بأشواقه إلى نفحات السماء ففاضت عليه بالسعادة والإقبال ، ثم جمع حوله من مريديه من هداهم إلى حقائق الشريعة لتكون معراجاً إلى أفق التصوف الرائق المستنير ، ولعل كتاب (تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب) أصدق معبر عن اتجاه مؤلفه الكبير ، إذ ضم الحقائق الصادقة فى علوم التوحيد والفقه والتصوف ، ثم كتب بلغة سهلة لم تكن معهودة فى الدراسات الفقهية في حينها ، فأكب عليه الخواص والعوام معاً ، يتلمس الأولون سبحات الروح الصافية فيما ألهمه المؤلف من اتجاهات انفرد بها ، كما يقتصر غيرهم على الحقائق الواضحة فى أبواب الصلاة والزكاة ، وسائر العبادات والمعاملات ، وقد تعددت طبعات الكتاب حتى بلغت العشرين ، وذلك دليل التوفيق ، وأنا أعرف فى القرى المتفرقة فى مصر أناساً

د . محمد عبد الرحمن الكردى

يحفظون صفحات من (تنوير القلوب) كما يحفظون نصوص الأحاديث ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ..

ثم اعقب الشيخ أمين بعد رحيله علماء من الأزهر قاموا بنشر طريقته كالشيخ محمد يوسف السقا ، والشيخ سلامة العزامى ، وولده[1] الشيخ نجم الدين الكردى والد الصديق الراحل ، وقد كان أساتذتنا بكلية اللغة العربية أصدقاء مخلصين للشيخ نجم الدين ، يقدرون علمه ويحمدون زهده وتواضعه ، ومنهم الشيخ عبد السميع شبانة

←

(١) ولده : ولد الشيخ محمد أمين الكردى .

الدكتور محمد الكردي

والشيخ محيى الدين عبد الحميد والشيخ عبد الله الشربيني والشيخ محمد الطنطاوى والشيخ أحمد شفيع السيد ، رحمهم الله جميعاً ، وقد حدثنى الشيخ أحمد شفيع بأن الأستاذ نجم الدين يفيض فى تفسير ايات من كتاب الله بما لم يسبق إليه ، وإنما اهتدى إليه فيضاً وفتحاً : وهو فى تواضعه لا يحرص على تدوين ما يعن له تورعاً وتقية وتحرزاً .

فى هذه البيئة نشأ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى ، ودرس بالأزهر حتى نال أعلى درجاته العلمية متخصصاً فى البلاغة ، وقد ذكر لى أن والده أشار عليه باتجاهه البياني ليدرس إعجاز القرآن الكريم بلاغياً ، إذ أن علوم البلاغة هى ميزان النص الأدبى ، وهى فى أكثر المتداول من كتب التراث تدور حول النص القرآنى تحليلاً وتوجيهاً ، إذ القرآن هو النموذج المحتذى لأرفع أساليب البيان .

نظرات فى البيان

وللدكتور عبد الرحمن مؤلفات عن ابن الأثير ، والزملكانى ومحاضرات فى « تاريخ البلاغة » ، ولكن كتاب (نظرات فى البيان) يدل دلالة طيبة على شخصيته العلمية ، فقد قرأ أكثر الشروح والحواشى والتقريرات المتداولة فى المحيط الأزهرى وهى فى دراستها المستأنية تتطلب جهداً حفيلاً ، لأنها فى صميمها العلمي لا تقتصر على فنون البلاغة من معان وبيان وبديع ولكنها تستطرد إلى دقائق غامضة فى علوم المنطق والأصول والفلسفة ، فوق ما هو معروف « من علوم اللغة والنحو والاشتقاق ، إذ كان أصحاب الحواشى ممن لا يعترفون بالتخصص الدقيق ، بل ممن لا يرون أن مسائل البلاغة تقف عند حد مرسوم ، فتعبوا وأتعبوا ، وتطلبوا قارئاً من طراز قل نظيره الآن : لقد قرأ عبد الرحمن أكثر هذه الشروح ، وتطلع إلى غيرها مما سبق عصر الحواشى والتقريرات ، وجمع من ذلك كله خلاصة وافية فى كتاب (نظرات فى البيان) وبعض القراء يظن أن التأليف يقف عند الجمع وحده ، فيصم المؤلف بأنه فيض من النقول ، وقد يكون كذلك عند الدارس السطحى ، ولكن الدكتور عبد الرحمن قد عانى رهقاً فى جمع ما قدم ، لأنه كان يستوعب ثم يلخص ، ثم ينتخل ويختار ، واختيار النصوص العلمية إذا تزاحمت فى موضوع واحد يتطلب جهداً عقلياً فى الترجيح والانتخاب ، بل يتضمن نقداً صامتاً فى التجاوز والإهمال ، لأنك حين ترفض نقل النص ، وتؤثر غيره عليه ، إنما تقوم بنقد حقيقي يتضح للمؤلف دون أن يعلم عنه القارىء شيئاً ، وقد جاء كتاب النظرات تركيزاً دقيقاً لأهم فنون البيان ، على حين يصور منحى الدكتور الكردى فى التأليف ، وهو منحى انتقل إلى تلاميذه ، فقد لاحظت أن الرسائل الجامعية التى أشرف عليها تدل على استيعاب دقيق لفروع كثيرة من مسائل البلاغة ، وترجع إلى مصادر ومراجع ، قد لا تجد الترحيب ممن يتنقص بلاغة المتون والشروح ، ولكنها غذاء دسم لمن رزق الأسنان القوية ، والمعدة الهاضمة ، والتمثيل الكاشف لكل ما يطالع من جزئيات دقيقة تعتمد على

اللمح والإيماء أكثر مما تعتمد على البسط والإسهاب .

مع تلاميذه

وأوضح ما كنت أشاهده فى علاقة الدكتور الكردى بتلاميذه الدارسين فى المراحل العليا ، أنه ينهج معهم نهجه مع مريديه الذين يعتبرونه شيخهم الروحى ، إذ كان من ديدن الشيخ الكردى ألا يقرأ رسالة الماجستير أو الدكتوراه منفرداً عن كاتبها الطالب ، بل كان يحدد له موعداً بمنزله ، ليقرأ عليه الطالب ماكتب قراءة أزهرية ، والقراءة الأزهرية بمعناها المتعارف لدى الشيوخ تقف عند كل تعبير ، وتناقش المنطوق والمفهوم ، وتبحث عن المرجع ، وتعارض النص المنقول بما يشبهه من النصوص الأخرى فى الموضوع الواحد ، وقد تستغرق قراءة الصفحة الواحدة جلسة ممتدة ، وهذا مالا يقدر عليه غير أناس عاشوا فى هذا الجو العلمى ، ورزقوا سعة الصدر ، وهدوء الأعصاب .

للدكتور الكردى بمنزله مكتبة آهلة بكل رائع فى القديم والحديث ، فإذا اختلف مع الدارس فى نصٍّ سارع باستشارة المراجع ، وطلب من تلميذه أن يحضر الكتاب بنفسه ، وأن يقرأ موضع الخلاف ، وأن يدون وجهة النظر المعارضة ، وقد يطول أمد الدراسة حتى يضيق الطالب ، ولكنه من جهة أخرى ينظر إلى مايجنى من الثمر الشهى ، فيعد نفسه غانماً ظافراً ، لقد حدثنى الدكتور محمد إبراهيم شادى المدرس بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، أنه حين أعد رسالته عن « الحوار فى القرآن الكريم » بإشراف الدكتور الكردى ذهب إلى منزله ليقرأ عليه بعض الفصول ، وكان فى ظنه أنه سيقضى ساعة أو ساعتين ، ولكن النقاش امتد ، وتطلب الأمر مراجعة المصادر من مكتبة الأستاذ المشرف ، حتى استبان وجه الحق ، واحتاج الفصل إلى كتابة جديدة ، فانتظر الباحث مدى ثلاثة أيام بمكتبة الأستاذ يراجع وينقل ويدوّن ، حتى كتب الفصل على وجهه المختار دون أن يغادر المنزل ، إذ اعتبره أستاذه ضيفاً على المكتبة قارئاً ودارساً ، وعلى المنزل زائراً يجد حقوق الضيافة عن سماحة وإيناس ، ولعل امتداد الصلة على هذا النحو بين الدارس والمشرف مما يجعل صلة العلم كصلة الرحم ، فالأستاذ والد والتلميذ نجل ، وليس بعد الأبوة والبنوة من قربى تُعَدّ .

ومادُمنا نتحدث عن مكتبة الأستاذ ، فأنا أذكر أن طلاب الكلية من ذوى الدراسات العليا يعدُّونها أقرب المكتبات إلى أيديهم فيسارعون باستعارة مايفيدهم دون عائق ما ، وقد عرف الدكتور عبد الرحمن رسالة مكتبته العلمية فكان يحرص على اقتناء مايجد من الكتب النافعة ، وبخاصة ماينشر من كتب التراث ، أذكر أنه كان يبحث عن ترجمة الشيخ (محمد على علان البكرى الصديقى) لأن أحد طلابه كان يدرس النكات البلاغية فى شرحه لكتاب « الأذكار » للنووى ولابد من التعريف بالمؤلف على وجهٍ مبسوط ، فاجتهد الكردى دون أن يهتدى إلى غير سطور لا تغنى ، ثم راسلنى متسائلاً ؛ فقلت له إن للشيخ محمد بن علان ترجمةً مبسوطةً فى كتاب (المختصر من كتاب نشر النور والزهر) تأليف الشيخ عبد الله بن مرداد ، وهو من

مطبوعات جدة ، وقد نشره الأستاذ محمد سعيد العامودى والأستاذ أحمد على ، وما كاد خطابى يصل إليه ، حتى أبرق لبعض أصدقائه بجده راجياً أن يرسل له الكتاب فى أسرع طائرة تأتى ، وقد قابلنى بعد ثلاثة أيام فأرانى الكتاب ، وهو فى غاية البشر والابتهاج ، وكأنما وقع على كنز ثمين ! تلك حادثة تصور احتفاله بالآثار العلمية وابتهاجه بامتلاكها وتقديمها للدارسين .

منازل الفضل

يقول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

وهذا النص الكريم ، وجد تطبيقه العملى فيمن تلا الذين تبوّءوا الدار والإيمان ممن نهجوا منهج السلف الصالح على كر العصور ، وقد كان الريف فى أيام طفولتنا قبل أن يعم بلاء « السينما والتليفزيون » مصدراً من مصادر السماحة الإسلامية والمروءة العربية ، مأهول الرحاب بالقاصدين ، يستقبلون ببشاشة ، ويحظون بما أعد دون تكلف أو افتعال ، وبقيت هذه المروءة فى منازل الفضل لدى كثير ممن عرفتهم من علماء الأزهر الذين انتحوا منحى التصوف العملى ، ذى السلوك المحمدى الكريم ، فأنا أعرف من هذه المنازل الآهلة بالوافدين ، الدافقة بالكرم والمروءة ، منزل الشيخ « حسن القاياتى » بالسكرية فى القاهرة ، ومنزل الشيخ « محمود هاشم » ببنى عامر فى الشرقية ومنزل الدكتور « عبد الرحمن الكردى » بشبرا بالقاهرة ، حيث رحبت هذه المنازل فى ساحاتها الممتدة بمئات الزائرين ممن تتسع الصدور قبل الأرض لاستقبالهم ، وقد حدثنى أخى الأستاذ طاهر أبو فاشا أن منزل « القاياتى » لعهده فى دار العلوم بأواخر الثلاثينيات كان محط الطلبة بالأزهر والجامعة إذ تنسال الوفود إليه انسيالاً ، ولا يكتفى البعض بالطعام بل يطلب من الشيخ حسن القاياتى مايحتاج من النقد المالى فيسعفه دون إبطاء ، أما منزل الشيخ محمود هاشم فحديثه أشهر من أن يطلب ، وقد حدثنى الدكتور عبد الحميد الطنطاوى أنه كان يحس بركة الطعام فى ساحة أبى هاشم حين يشبع بعد لقيمات تملأ نفسه وكأنه استمر ساعة طويلة ، وكذلك منزل الدكتور الكردى الذى لا تكاد تنقطع عنه الوفود راغبة آملة ، وقد تعود الناس أن يغفلوا هذه المآثر فلا يعلنوها للناس ، وهذا غير الصواب ؛ لأن فى إذاعة المحامد تأكيداً لها ، ودعوةً للقادرين إلى مجاراتها والاقتداء برجالها ، وقد تأصل هذا السلوك الكريم بوحى الإسلام ، وأمر القرآن ، على حين انخدع بعض الأغرار فأخذوا يطلقون كلمة الاشتراكية الزائفة على من يبذلون الخير ممن دعوا إلى الله عن إيمان ،

(٢) سورة الحشر : آية ٩ .

وكأنه ليس لدينا قرآن يأمر وينهى ، وحديث نبوى يذاع ويتردد ، بل أعجب العجب يملأ النفس حين تجد من يصف الصحابى الزاهد أبا ذر الغفارى بالاشتراكى المكافح ، وكأن الزمن قد تأخر به حتى استقى من نبع ماركس ولينين ، وهى ضعة وضيعة لحقت نفراً لا يعرفون دينهم ، ولا يؤمنون بمثلهم ، فظلوا يتباهون بالباطل الخادع حتى انكشف عوارهم ، فهم عراة أمام العيون

إن منازل الفضل ستبقى ببقاء الاسلام ، وإننا حين نترحم على أصحابها إنما ندعو إلى احتذائهم ، فهم علماء عاملون ، وقادة مخلصون ، إمامهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكتابهم القرآن الكريم ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً . وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ . وَمَايُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَايُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٣) .

د . محمد رجب البيومى

من الحقوق العامة للانسان . بقية .

هيئات عامة أو جمعيات دولية كما حدث بالنسبة للإعلان العالمى الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ ودعت فيه أعضاءها من دول العالم إلى ترويجه وإلى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته فى المدارس والمعاهد العلمية .

لذلك لم يكن غريبا أن يكون موقف الإسلام منذ أقدم عصوره اتساقا مع ذاته فى نشر العلم الذى رآه ضرورة إنسانية وشرعية فرضها الله لإحياء الإنسان ولصلاح الدين ولعمران الدنيا جميعا على حد سواء ، ولم يكتف بذلك بل حث على المزيد من طلب الثقافة والتنقيب عن مجالى المعرفة ، وهذا الطلب لا تزال له الصلاحية اليوم وغداً ، لينتقل بالأمة من التخلف إلى التقدم ومن الركود إلى النهضة ومن الكسل العقلى إلى التوقد العقلانى والروح العلمية المستمرة تطبيقا لقول الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً ﴾(٣٢)

محمد عزت الطهطاوى

(٣٢) سورة طه ١١٤ .

(٣) سورة فصلت : الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

فضيلة الشيخ محمد أحمد عبد الله

الشهير بشمس الدين

فى قرية من أعمال مركز طهطا محافظة سوهاج (مديرية جرجا حينذاك) هى قرية « بنى عمار » ولد محمد أحمد عبد الله سنة ١٣٥٤ هـ التى توافق سنة ١٩٠٩ م ولكن الاسم الذى ظل معروفا به طوال حياته هو لقبه (شمس الدين) .

نشأ فى بيت تظلله تقاليد الصعيد الصارمة التى تجعل كل فرد فى البيئة يشعر بأن أضواء البيئة مسلطة عليه ليل نهار ، وكل ما يصدر عنه من سلوك فهو مرصود أمام أعين الجميع ، وتحت آذانهم ، فلا يستطيع أن ينحرف يمنة أو يسرة ، وإن فعل فالويل له كل الويل ، وفى هذا البيت أحس هذا الطفل الناشىء بالنزعة الدينية تغمره وتحيط به ، فبعض إخوته فى الأزهر الشريف ، وبعضهم مازال يحاول حفظ القرآن الكريم ، والكل فى رعاية أبوين صالحين ، كل آمالهما أن يريا أولادهما ينهلون من الدين وعلومه .

وفى الحق أن هذه النزعة فى البيئة ليست فى قرية أو منطقة معينة فحسب ، فإن إقليم سوهاج ، أو بمعنى أدق إقليم جرجا (سابقا) عرف بنزعته الشديدة العريقة إلى الأزهر وعلومه ، وحين كانوا يتناقلون فى الأجيال الماضية أوصافا تقترن بالبلاد والأقاليم كانت صفة جرجا أنها بلد العلم ، ولم يكن هناك حينئذ علم إلا علوم الأزهر ، وحتى قبل أن ينشىء الأزهر معاهده الرسمية فى الأقاليم وينظمها كانت فى مديرية جرجا عدة معاهد دينية أهلية ، حرص الأهالى بجهودهم على إنشائها وتمويلها ، وحرص علماء الإقليم على إفراغ كل جهودهم العلمية فيها ، وبينما كانت المعاهد الدينية ـ قبل إنشاء المعاهد الرسمية ـ فى مصر كلها لا تتجاوز بضعة معاهد ، كان فى إقليم جرجا وحده ثلاثة معاهد من أعرق المعاهد وأنشطها علما ، وأكثرها عدداً من الطلاب : أحدها فى مدينة جرجا ، والثانى فى مدينة طهطا ، والثالث فى قرية ، (بلصفورة) ، التى يرتبط

* الكاتب : أستاذ باللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

بقلم د. عبد الحليم حفنى

اسمها بالشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، ومع كونه فى قرية فقد كان من أشهر معاهد الأزهر وأنشطها ، ولازالت هذه المعاهد - وقد أصبحت رسمية - من أكبر معاهد الأزهر وأنجحها .

ولم تكن هذه المعاهد الأهلية وحدها هى مراكز الإشعاع العلمى والدينى فى البيئة ، بل إن كثيرا من المساجد فى كل المدن والقرى كانت تعد مراكز علمية ثابتة ، واضحة التأثير الثقافى والدينى ، ومن المعروف فى محيط الأزهر حتى اليوم أن محافظة سوهاج بالقياس إلى حجمها وعدد سكانها تفوق كل محافظات الجمهورية على الإطلاق فى عدد المعاهد الأزهرية فى كل مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية

وقد أثمرت هذه النزعة فى إقليم سوهاج فأنجبت أفذاذاً من علماء الأزهر كالشيخ رفاعة الطهطاوى الذى ترتبط نهضة مصر العلمية الحديثة باسمه ، والشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأشهر .

وفى هذه البيئة نشأ الشيخ شمس الدين أحمد عبد الله .

حياته العلمية :

من شروط قبول الطلاب فى معاهد الأزهر أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم ، وكانت « الكتاتيب » هى قاعدة التعليم الأولى فى كل أنحاء البلاد ، وخصوصا فى الريف ، ومهمة الكتاب تحفيظ القرآن الكريم وتعليم

الشيخ محمد أحمد عبد الله

القراءة والكتابة ، وقد أدت الكتاتيب دوراً تاريخيا بالغ الأهمية فى المجال الدينى والثقافى ، فقد كانت المكان الوحيد لبدء التعليم ، وبالتالى فهى المكان الوحيد المؤهل للالتحاق بالجامع الأزهر ، وحتى بعد انتشار مدارس المرحلة الأولى الحكومية منذ مطلع هذا القرن فقد ظلت الكتاتيب موضع الاهتمام والثقة وخصوصا فى الريف ، وظلت هى المكان الوحيد المؤهل لدخول معاهد الأزهر ، ولم يتقلص دورها إلا بعد أن تناقص عدد محفظى القرآن الكريم ، وبالتالى تناقص عدد الكتاتيب حتى أوشكت على الانقراض ، مما اضطر الأزهر إلى إنشاء معاهد للمرحلة الابتدائية فى تعليمه ضمن خطة تطويره سنة ١٩٦١ م .

← الشيخ شمس الدين

وكل ماتمتاز به هذه المعاهد الابتدائية عن المدارس الابتدائية فى التعليم العام هو تحفيظ القرآن الكريم إضافة إلى مواد التعليم العام .

وفى كتاب قرية (بنى عمار) كان التلميذ شمس الدين أحمد عبد الله من ألمع التلاميذ وأشدهم انكبابا على الحفظ والاستيعاب ، حتى حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة ، وألم بالقدر المؤهل لدخوله الأزهر من المواد الثقافية كالحساب، والإملاء .

وحتى سنة ١٩٣٦ م لم يكن فى الوجه القبلى كله إلا معهد أزهرى رسمى واحد ، هو معهد أسيوط ، وفى هذه السنة أنشىء معهد قنا ، وظلا المعهدين الوحيدين الرسميين فى الوجه القبلى حتى سنة ١٩٤٦ م حين أنشىء معهدا سوهاج والمنيا .

وحين أنشىء معهد قنا سنة ١٩٣٦م حدد الأزهر المنطقة التى يخدمها ، وهى محافظتا قنا وأسوان ، ومركزا جرجا والبلينا من محافظة سوهاج ، أى من جنوب مدينة سوهاج إلى نهاية الصعيد جنوبا .

وحيت كان الطالب شمس الدين محمد أحمد عبد الله من شمال مدينة سوهاج فقد كان عليه أن يتوجه إلى معهد أسيوط ، فالتحق به وأصبح ضمن طلابه فى المذهب الحنفى ، وكان يحمل ميزتين أعانتاه على التفوق فى دراسته ، وعلى المحافظة على هذا التفوق طوال مراحل الدراسة ، هما الذكاء ، والمقدرة على التفرغ للمذاكرة تفرغا كاملا إلى درجة تكاد تشبه العزلة ، وقد يضاف إلى ذلك عامل لا يخلو من طرافة ، هو دراسة المذهب الحنفى الذى التحق به الشيخ شمس الدين ، فإن كل مسائل المذهب الحنفى تقوم على الأدلة العقلية ، وعلى الصراع العقلى الممتع بين أئمة المذهب فى خلافاتهم ، ولذلك يسمى مذهب أهل الرأى ، وكان لهذا الطابع صدى فى إيقاظ الاستعداد العقلى لدى الطلاب ، ولم يكن غريبا ونحن طلاب فى المعاهد الأزهرية أن نرى طالبا يتحدى زملاءه حين يرى طالبا يتحدث فيؤكد أن هذا الطالب لابد أن يكون حنفى المذهب ، مستنتجا هذا من يقظته العقلية ، أو مقدرته فى الجدل العقلى .

وكل هذا أتاح له أن يلتزم التفوق فى كل مراحل دراسته ، حتى حصل على الشهادة الثانوية من معهد أسيوط ، ثم الشهادة العالية من كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٥ م وكان ترتيبه فيها السادس بين الناجحين ، وعين حينئذ مدرسا فى معهد أسيوط الدينى وصمم الشيخ شمس الدين على مواصلة الدراسة ، وكانت الدراسات العليا فى الأزهر حينئذ تنحصر فى مجال واحد هو « تخصص المادة » حيث يتجه الدارس للبحث والدراسة فى مادة علمية واحدة يتخصص فيها ، وقد اتجه الشيخ شمس الدين للتخصص فى اللغة العربية فى مادة النحو .

وفى تخصص المادة كان على الطالب أن يجتاز قبل قبوله امتحانا تمهيديا عسيراً أمام نخبة من كبار العلماء ، ولم ينجح فى هذا الامتحان من كل المتقدمين سوى شخصين ، كان أحدهما الشيخ شمس الدين ، والآخر هو الشيخ أحمد أبو طالب .

وحين أتما رسالتيهما العلميتين شكلت لهما لجنة من كبار العلماء المتخصصين لمناقشتهما ، فلم تقبل إلا رسالة الشيخ شمس

الدين أحمد عبد الله ، ورفضت الأخرى ، وقد حضر المناقشة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر وأبدى إعجابه بالمستوى العلمى للشيخ شمس الدين ، وبطريقته فى المناقشة ..

وصدر القرار بمنحه العالمية من درجة أستاذ فى النحو سنة ١٩٤٢ م وكان أول من تخرج فى تخصص المادة من قسم النحو ، وهذه الدرجة جعلتها كلية دار العلوم رسميا « دكتوراه » حين باشر فضيلة الشيخ المدنى العمل بها أستاذا للشريعة .

وتلا ذلك مباشرة تعيينه ضمن هيئة تدريس كلية اللغة العربية لمادة النحو ومنذ أصبح الشيخ شمس الدين عضوا فى هيئة تدريس كلية اللغة العربية ، كان منهلا علميا زاخرا لطلابه ، وفى الحق أنه كان ضمن نخبة من صفوة العلماء الذين يكاد الواحد منهم يكون حجة فى مادة تخصصه ، من أمثال الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، والشيخ محمد على النجار ، والشيخ عبد الخالق عضيمة وغيرهم من هذا الجيل الفذ فى عمق علمه واحاطته بكل دقائق مادته .

وكان صدر الشيخ شمس الدين دائما مفتوحا لطلابه فى الكلية ، يشرح لهم ويحاورهم ، ويتبسط معهم حتى يطمئن إلى استيعابهم مادته ، وكان بيته مفتوحا لمن يريد منهم الاستزادة من علمه ، أو الراغبين فى توجيهه وإرشاده من طلاب الدراسات العليا ، وكان من أهم ما يميزه فى تدريسه وحواره الإقناع وقوة الحجة فى الحوار ، ولعله لم يكن عفوا أن يسمى كتابه (المقنع فى النحو والصرف) فقد كان هذا الكتاب أثرا واضحا من آثار أسلوبه فى الإقناع وقوة الحجة ، وكان مع ذلك يتمتع بأسلوب أدبى واضح فى كتابته ، لا يعمد فيه إلى رنين الألفاظ ، وإنما إلى السلاسة وترتيب الفكر ، فمع أن النحو فى طبيعته قواعد لغوية ، إلا أن أسلوبه يحول هذه القواعد إلى سرد فكرى متتابع ، سهل العبارة ، منظم التراكيب ، وكأن القارىء يستمتع بمقال أدبى ، وليس بقواعد علمية ، ومن أمثلة ذلك فى تعريفه التعجب (التعجب هو انفعال يحدث فى النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه ، وإن شئت فقل هو حالة قلبية منشؤها استعظام فعل ظاهر المزية بزيادة فيه خفى سببها ، فإذا زاد أى أمر من الأمور فى صفة من الصفات وتفوق على أمثاله ، وجهل سبب تفوقه فى تلك الصفة ساغ عند ذلك التعجب من صفة الموصوف بهذه الصفة ، فتقول فى التعجب مثلا من جمال السماء الذى فاق كل جمال وتنسيق ، ومن نشاط الغربيين الذى بهر العقول ، ومن عظمة قدماء المصريين التى فاقت كل عظمة : ما أجمل السماء ، وما أنشط الغربيين ، وما أعظم قدماء المصريين : فمنشأ التعجب الزيادة فى الصفة مع خفاء سبب الزيادة ..)

وهو بهذه العبارة الأخيرة يبرز معنى قلما يبرزه غيره فى حديثه عن التعجب ، وهو مضمون قولهم (إذا عرف السبب بطل العجب) ومن حرصه على التوضيح والإقناع فى هذا الكتاب أنه التزم فى نهاية كل باب وضع أسئلة ونماذج تشمل كل قواعد الباب ، ثم يجيب عنها .

وكان علماء الأزهر قبل قوانين تطوير الأزهر يعتمدون غالبا على نقل علومهم من

←

الشيخ شمس الدين

أفواههم إلى صدور طلابهم ، وليس تدوينها فى مؤلفات ، وحصوصا فى علوم التراث ، كالفقه والنحو والتفسير ، وبعد قانون التطوير أصبح على العلماء الموجودين فعلا فى هيئة التدريس أن يقدموا بحوثا فى تخصصاتهم حتى يتسنى لهم الترقى فى وظائف هيئة تدريس الجامعة .

تقدم الشيخ شمس الدين حينئذ بكتابه (المقنع فى النحو والصرف) فرقى به إلى درجة أستاذ مساعد ، وهو موشك على نهاية خدمته .

وفى خلال عمله فى الكلية أعير مرتين : إحداهما إلى السودان ، والأخرى إلى الرياض فى المملكة العربية السعودية .

وفى أخريات أيامه أصيب بمرض عضال ، أعانته على تحمله نزعته الدينية الأصيلة ، وظل بروح المؤمن العالم صابرا راضيا ، لم تفارقه سماحته ، ولم تغض فيه روح المودة ورقة الجانب ، حتى لقى ربه فى أول المحرم سنة تسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للتاسع من مارس سنة سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد .

صفاته الشخصية :

ظلت نشأة الشيخ شمس الدين وتربيته ملازمة له مدى حياته ، وفضلا عن وضعه الاجتماعى بوصفه عالما أزهريا ، وأستاذا فى الجامعة ، فقد كان التقيد الصارم بالتقاليد ، واستقامة السلوك فى صورتيهما المثالية التى تلائم وضعه الاجتماعى ، ونشأته الريفية معا ، كل ذلك كان شعارا واضحا يأخذ به نفسه ، ويأخذ به أسرته ، وكما يقول علماء الاجتماع (تستطيع أن تنتزع شخصا من الريف ، ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من شخص) فكذلك ظل طابع نشأة الشيخ شمس الدين ملازما له طوال حياته ، فحياته ملؤها الجد والحزم ، ولا يكاد يتخللها شىء من لهو أو مرح ، بل ولا من تسلية ، وأذكر أننى ذهبت إليه ذات يوم أهنئه بنجاح ابنيه فى الثانوية العامة بمجموع كبير يؤهل كلا منهما لدخول أية كلية يريد ، فوجدته بادى المرح والسرور إلى درجة لم آلفها قط منه ، فأخذ يحدثنى عن سعادته الغامرة حينئذ قائلاً : إن مثلنا لم يتمتع فى حياته كما يتمتع الآخرون ، فيجعل الله متعتنا فى أولادنا ، وكان يأخذ أولاده بنين وبنات بهذا الجد والحزم ، ويستشيط غضبا حين يرى أحد أبنائه يخرج عن هذا الجد بشىء يتوجس منه أن يكون مدعاة إلى خروجه عما يراه الأسلوب الأمثل فى السلوك والاستقامة ، كأن يصادق شبانا لا يعرفهم ، أو يتأخر فى العودة إلى البيت ، ومع ذلك فقد كان رحمه الله يتمتع بروح الفكاهة وخفة الظل ، فكم كان يضحك حين يكون غاضبا من أحد أبنائه ، فأحاول أن أسرى عنه وأداعبه بالإشارة إلى الفوارق بين الأجيال فى السلوك ، وأن الشباب الناشىء يتصور من هم أكبر منه سنا وكأنهم من أزمان غابرة ، وأجيال بائدة ، وأضرب له مثلا بأخى الذى يصغرنى ببضع سنوات قليلة كأنه يرانى من أحد القرون الموغلة فى الزمان .

البقية ص ١٦٥٤

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في الليل

إلى الخليج

المقهى

فى الليل

للشاعر

محمد عبد الرحمن صان الدين

اللَّيل ساج ، والكواكب خاشعة ⁂ والكون أرهف للسكون مسامعه
تتطاير الأحلام فى سبحاتها ⁂ حول المضاجع والعيون الهاجعه
فَتَرُوع مؤتنسا ، وتؤنس خائفا ⁂ وتنيل محروم المتاع مطامعه
فى رهبة الصمت المُدَثَّرِ بالدجى ⁂ والليل يودع فى الحياة طبائعه
سَبَحَتْ على موج الأثير وطوَّفتْ ⁂ روحى بآفاق الوجود الشاسعه
بَسَطَ الجمالُ عليه من آلائه ⁂ وأباح للسارى البصير منابعه
فادرْتُ فيه نواظرى ومشاعرى ⁂ وطفقتُ أرصد كالرقيب وقائعه
فرأيت أحياء الظلام تجوس بيـ ⁂ ـن غياهب جياشةً متدافعه
كلٌّ بفطرته يدبِّر شأنه ⁂ ويروم فى كنف الحياة مراتعه
وكأنما الليل البهيم نهاره ⁂ يغدو به فى ضوء شمس ساطعه
ورأيت أن الكائنات جميعَها ⁂ تسعى بقانون يهيمن ، طائعه
فى الجو ، تحت الأرض ، أو من فوقها ⁂ كلٌّ يلازم دربه ومواقعه
ولكل وَجهٍ حُسْنُهُ ، حتى الدجى ⁂ فى الليل يُسدِلُ ستره وبراقعه
فوقفت مبهور المشاعر أجْتَلى ⁂ فى ذلك الكون العجيب بدائعه
وتداعت الأفكار تَزْحَمُ خاطرىَ ⁂ مَجْلُوَّةً عُذْرِيَّةً متتابعه
أكبرت فى هذا الوجود جماله ⁂ وجلاله ، وسجدت أعبد صانعه
وجعلته فى كل حال قبلتى ⁂ ومضيت انشد فى الحياة شرائعه
لا أنثنى عنها إلى براقة ⁂ كالآل تبدو لِلْمُغَرَّرِ خادعه
هل فى عطاء الفكر روضة مُبْدِعٍ ⁂ كالوحى تزخر بالبدائع ، يانعه ؟
هيهات .. لن يجد ابن آدم شرعةً ⁂ فى الأرض جامعة سواها مانعه

إلى الحجيج

للشاعر
محمود محمد بكر هلال

لاحت كنور الفجر فى الظلمات ** وتضوعت كالعطر فى الزهرات
وغدت تغرد فى جلال خاشع ** كالطهر والإيمان فى الصلوات
وسمعتها تدعو وتهتف فى الضحا ** قدسية الدعوات والنغمات
ورقاء ساحرة الصدى صداحة ** تختال فى سحر وفى هالات
حجاج بيت الله طابت رحلة ** نلتم بها ما طاب من جنات
غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا ** بالأجر والرضوان فى عرفات
وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذى ** يغرى الورى باللهو واللذات
وهناك فى عرفات صرتم امة ** مجموعة التهليل والدعوات
لا فرق بين الواقفين فكلهم ** قلب يناجى الله بالدعوات
وعلى مِنًى نلتم من الله المنى ** وقتلتمو الشيطان بالجمرات !
ولزمتمو البيت الحرام وطفتمو ** سبعاً ببيت الله ذى الرحمات
بشراكمو فلقد عَمَرْتم بيته ** وهو الكريم يضاعف الحسنات
ثم انثنيتم نحو قبر محمد ** فحظيتمو بالخير والبركات
صلى عليه الله ما طلع الضحا ** ودعا الموحد بارىء النسمات
ولكم من الله المثوبة والرضا ** فى أسعد الأيام والأوقات
والتهنئات أزفها منضورة ** كالزهر فى أَرَجٍ وفى بسمات

المقهى

للشيخ محمد زكى إبراهيم

شعبٌ مضى أمس مأمولا ومقدورا ... حَدِّثْ به اليومَ مخذولا ومدحورا

من يَبْنِ باللهو داراً فى بلاد جوى ... فقد بنى خيبة جُلّى وتقصيرا

ومن يرى الليل نورا يستضاء به ... فإنما هو أعمى يَدَّعِى زورا

من ما نحى دِرَّةِ الفاروق أُعمِلها ... فيمن أعاصر مفتونا ومغرورا

يرجو على عجزه الغالى مصاولة ... ويطلب المجد عند الله تقديرا

ما ضَرَّ مصرَ سوى المقهى بها وسوى ... قوم كسالى تناسوا عندها الدورا

تنكروا لى كما شئتم وراق لكم ... وأوسعوا مذهبى ندما وتدميرا

ما أسمح الناسَ فى المقهى أَمَرَّ بهم ... يطوون أعمارهم فى إثمها بوراً

من كل مضطجع لاه ومصطنع ... مما يطيب له كبرا وتخسيرا

يظل يعبث لا يلوى على مدد ... ومصر تسأله جدا وتدبيرا

لم ألتق الدهر فى المقهى بنافعة ... من العلوم ترد العسر تيسيرا

ولم أصب عندها للجد مأثرة ... ولم أنل عندها اللعجز تدبيرا

فأين تمضى ترى عيدا ومصطحبا ... ومهرجانا وتضليلا وتغريدا

كأن أتانا الذى قد ضاع من يدنا ... ونحن لم نؤت مما ضاع قطميرا

من أرخص العمر يا هذا فتهدره ؟ ... وأنت واحد قوم أمرهم شورى

وأنت واحد قوم بعد عزتهم ... ترددوا الذل مطويا ومنشورا

فمن لأهلك من زوج ومن ولد ؟ ... من يفسد الآن منهم بات معذورا

العلوم الكونية

الكون والكونيات فى القرآن الكريم

تطبيقات الحاسب الآلى

الكون والكونيات

فى القرآن الكريم

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون خاتماً لكتبه المنزلة للبشر وليكون هداية لحياتهم ومحققاً لخير آخرتهم ، أنزله سبحانه على قلب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بنص القول الحكيم :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ **الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥ .**

وأنزل الله هذا الكتاب الجامع للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ **الأعراف ١٥٨ ، وقال تعالى :** ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ **(الأنعام ١٩) ، كما أن هذا القرآن محفوظ الله لا يعتريه تحريف أو تبديل وذلك بالنصّ الإلهى** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ **الحجر ٩** ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ **(فصلت ٤٢)**

ومن ثم كان القرآن ـ ولم يزل ـ معجزا فى كل ما أتى به وكل ما احتواه ، معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه ، معجزاً بما قصّه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين ، معجزاً بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر فى كل مكان وزمان ، تكميلاً لفطرتهم وضماناً لسعادتهم ، معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم الحديث بوسائله البحثية المتقدمة التى أساسها الخبرة والتجربة والمشاهدة فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ، ولم تتعارض حقائقه معها فى شىء ما .

الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

إذا كان القرآن الكريم منزلاً لهداية البشر وبيان عرى ارتباطهم بخالقهم فى كل شئون حياتهم وأمور آخرتهم فيخرجون فى الدنيا من ظلمات الجهالة والبغى وعبادة الأوثان ـ قديماً وحديثاً ـ إلى نور الإيمان واليقين ﴿ الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم/١) وإذا كان يدعو الناس إلى تدبر آياته وتفهم معانيه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص /٢٩) ، فإنه جاء يدعو

د. كارم السيد غنيم

الناس إلى التدبر والتأمل فى بديع صنع الله وعظيم خلقه ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء ٧ و ٨) . ﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف / ١٨٥) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر / ٢١) .

كانت دعوته هذه إلى استعراض آفاق الحياة الكونية والتفكر فيها بقصد التعرف على آلاء الله وسننه فى كونه الفسيح وعندئذ تهتدى النفوس إلى الله الواحد الخالق الواهب ، أو تزداد هذه النفوس إيماناً على إيمانها وتزداد من خشية الله فى أعماقها .

وإن نظرة فى الآيات القرآنية الآتية لتوضح بجلاء أن كل ماخلقه الله فى هذا الكون ماهو إلّا مقدمات لنتيجة مطلوبة هى معرفة الله والعلم به ، فهو سبحانه حينما يوجّه نظر الإنسان فى هذه الآيات ، فإنما يوجهه إلى مقدمات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام / ٩٥ ، ٩٩)] هذه هى المقدمات فما النتائج ؟ .

إنها مايلى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام / ١٠٢) ودعوة القرآن إلى دراسة الظواهر الكونية دعوة صريحة واضحة ، أفاض العلماء قديماً وحديثاً فى عرض خصائصها وأبعادها ولكنا نورد للاختصار قولاً واحداً لأحد الأئمة الأعلام هو الإمام الغزالى فى كتابه (جواهر القرآن) حث يقول : (القرآن مصدر كامل لعلوم الروح والدين والطبيعيات والفلكيات والنباتات وعلوم الآلات بسائر أنواعها ، فإذا قال القرآن : « والشمس والقمر بحسبان » ، وقال : « قدّره - أي القمر - منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ، وقال : « وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر » ، وقال : « والشمس تجرى لمستقر لها » ، فلا يعرف حقيقة الشمس وسيرها وأبراجها ، ومنازل القمر ودورانه ، وخسوفهما ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكوّر أحدهما على الآخر إلّا

الكـون والكونيات فى القرآن الكريم

مَنْ عرف هيئات تركيب السموات والأرض ، وهو علْم تتفرّع منه علوم) .

مفهوم الكون ومصطلحاته :

حينما نتكلم عن الآيات الكونية التى وردت فى القرآن الكريم وضرورة فهمها واستنباط أهدافها ودور ذلك فى النهضة الإسلامية الشاملة ، فإنه لَحَرِىٌّ بنا أن نتعرف على بعض المصطلحات كالكوْن والطبيعة والبيئة ، وإن كانت كلها مرادفات لبعضها ، فالكـون (Ecosystem) هو المحتوى لكل كائن فى الحياة الدنيا من أرض وسماء ونبات وحيوان وماء وهواء وجماد وكبير ودقيق إلى غير ذلك مما لم تصل إليه حواسنا وآلاتنا الحديثة من موجودات كثيرة ، ويطلق علماء الغرب على هذاالكون لفظ « الطبيعة » (Nature) كما استعمله اليونان قديماً فى كتبهم وفلسفتهم ، كما أن لفظ « البيئة » (Environment) يستخدم أحياناً ليدلّ على مايدلّ عليه كلا اللفظين « الكون »[1] ، « الطبيعة » إلاّ أنه من الأفضل أن نسمى ذلك فى اصطلاحنا الإسلامى (عالم الشهادة) ذلك لأنه يوجد عالمَيْن أحدهما مشاهد ـ بكل وسائل الحس والقياس ـ وهو « عالم الشهادة » ، والآخر مغيب عنا وهو « عالم الغيب » وهذا لايلغى استخدام لفظ « الكون » الذى ورد فى الكتب القديمة ، كما أن فى القرآن إشارة إليه فى قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . (النحل / ٤٠) .

فالكون هو ماكوّنه الله وخلقه وقدر أموره وهو قائم على شئونه إلى يوم القيامة . والكون ـ فى اصطلاح علماء التوحيد : « ماعدا الله تعالى » ، أي جميع المخلوقات .

طبيعة ورود الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

تأتى الآيات الكونية فى أوائل السور القرآنية ، وقد تأتى فى أواسطها أو فى أواخرها ، أو بين هذا وذاك ، فعن خلق الإنسان ومنحه ملكة الإدراك والعلم تبدأ سورة العلق ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق/ ١ ـ ٥) ، بينما نراها تأتى فى وسط سورة نوح ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً . وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً . وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً . لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ (نوح/ ١٣ ـ ٢٠) ، ونراها واردة فى أواخر سورة الطلاق ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً ﴾ (الطلاق/ ١٢) ، ثم قد ترد السورة القرآنية كلها أو جلها فى الآيات الكونية ، كسورة الفيل وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة وسورة الواقعة ، وسورة يس ، ومعظم سور جزء (عمّ) وجزء (تبارك) .

(١) غير أن لفظ البيئة كثيرا ما يستخدم مضافا إلى شىء مما يجعل لفظ بيئة ذا مفهوم جزئى بالنسبة للكون .

وشاء الله العلي الحكيم أن تشيع الآيات الكونية فى كل القرآن ولم يحصرها فى سورة خاصة دون غيرها ، وذلك لحكم عديدة . أرجو أن أكون وفقت إلى بيان بعضها فيما يلى :

(١) الأسلوب المتبع فى القرآن فى بيان الأصول أو الفروع هو إيرادها فى آيات متفرقة فى السور مع غيرها من أنواع المسائل دون رصدها فى مكان واحد .

(٢) لما كانت هذه الظواهر الكونية أدلة على وحدانية الخالق ومطلق قدراته فى خلقه ، والاستدلال على إمكانية البعث بعد الموت ، كان من المناسب إيراد هذه الآيات مع سياق آيات التوحيد والبعث فى مواضعها .

(٣) إذا جمعت الآيات الكونية كلها فى موضع واحد شرحاً لجميع أطوار التكوين والخلق والإيجاد ، لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدمات موضوعها بالبحوث العلمية والاستقصاءات العقلية .

خصائص العرض القرآنى للظواهر الكونية :

هى كثيرة وعديدة أبرزها ما يلى :

(١) **الشمول والإحاطة** : حينما يتناول القرآن كلاما عن الكون فإنه يتناوله بالشمول والإحاطة كثيراً ، فإذا تحدث عن النباتات فإنه يضم أنواع النباتات كلها أو الحيوانات فأنه يضم أنواع الحيوانات كلها . والأمر كذلك فى البحار وأنواع الظواهر الفلكية وأنواع الأشكال الجيولوجية والأرضية كلها ، وفى ذلك ما وصلنا إليه وفيه ما لم نصل إليه :
ففى عالم النبات والمزروعات يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل/ ١٠ ، ١١) فمن « كل الثمرات » تشمل كل ما يعرفه الناس فى منطقة جغرافية ما ، وكل ما غاب عنهم ووجده غيرهم فى منطقة أخرى ، وهكذا حتى تشمل كل ما خلقه الله فى أرجاء الأرض .

وفى عالم الحيوان نرى النص القرآنى ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/ ٨) وذلك يشمل كل ما يجد اكتشافه من مخلوقات على ظهر الأرض وبطنها .

(٢) **الديناميكية الدائبة** : يمكن أن نفهم عن القرآن الكريم أن كل شىء فى هذا الكون الفسيح دائب الحركة متواصل « الديناميكية » ، فالأفلاك تدور وتتحرك ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء/٣٣) والأرض (التربة Soil) فى حركة واهتزاز واضطراب ، ويلمح ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ (الحج/ ٥) .
﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ . (النمل/٨٨) ، والإشارة إلى الديناميكية امتدت إلى كل شىء فى الكون حتى الكهارب فى الذرة أو حتى الموجودات فى أدق الوحدات البنائيه التى اكتشفت حديثاً وتنفى أن الذرة هى أصغر ما فى الوجود أو أدق وحداته .

(٣) **نظام السببية** : يشير القرآن إلى توالى حوادث الكون بانتظام دقيق تبعاً لنواميس وضعها الخالق سبحانه وتعالى لتسير

عليها ظواهر الوجود وأغيار الدنيا . ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس) ، ولقد أوضح القرآن نظام الترتيب ، فكل شىء يترتب على شىء سابق له فى الحدوث ومؤثر فى ظهوره ، فحينما يقول الله فى القرآن ﴿ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (الروم/٤٨) ، ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ (البقرة/٢٢) (إبراهيم/٣٢) كل حادثة تتلوها أخرى ، وهكذا تكون أجزاء الكون مترابطة ، صنع الله الذى أتقن كل شىء وسنن الله الكونية التى أرادها أن تعمل فى كونه الفسيح ، وكل شىء فيه يجرى تبعاً لهذه السنن ـ أو القوانين ـ قد تشاء حكمته ـ سبحانه ـ أن تخرق هذه النواميس لأمور يريد الله إبداءها فتحدث معجزات الأنبياء والرسل وقد تحدث فى عالمنا الحالى إرهاصاً أو استدراكاً لعل الإنسان يتنبه من غفوته المادية وخلوده إلى دنيا الترف والمتع ويعود إلى ربه العظيم .

(٤) ترشيد النظرة الإنسانية إلى الكون : وذلك بإقصاء الخرافات والخزعبلات عن نظرة الإنسان المسلم لظواهر الكون وحوادثه لذلك حرم الإسلام ضروب الكهانة والعرافة والتنجيم ، وعدها من أبواب الشرك ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[٢] ، وحيث نفى الإسلام النظرة الخانعة الكسولة إلى الكون ، فإنه دعانا إلى التعامل مع نواميسه ونظمه على أساس من العلم والبحث والتقصى بعيداً عن الحدس والجهل والضلال . وعلينا أن نعلم جيداً أن الإسلام حينما دعانا إلى ذلك فإنه حدد العالم الذى دفعنا إلى البحث فى جوانبه ألا وهو عالم الشهادة ، فلا نقلب القول فى عالم الغيب ذلك الذى لا نشهده مهما أوتينا من أجهزة وآلات حديثة فى البحوث والدراسات ، فلا شأن لبحوثنا بعالم الجن أو عالم الروح أو عالم الملائكة أو غيرها من المغيبات عنا .

وختاماً فإن الله سبحانه حينما يقول ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر/٢٨) فإنه يحصر الخشية فى العلماء ، العالمين بأسرار الوجود وعجائب الخلق كما قال بذلك ابن رشد لأن هذه الآية لم ترد فى سياق الكلام عن أمر يتعلق بالعبادات وإنما وردت فى سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته فى إنزال المطر وخلق النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها . فلننظر ولنتدبر ولنتأمل ولنفكر حتى نعد من أولى الألباب ، ونكتب من العالمين بجوانب عظمة الخالق فى خلقه وحكمته فى كائناته وجلاله فى موجوداته ، وعلى الله قصد السبيل .

(د . كارم السيد غنيم)

(٢) رواه مسلم .

تطبيقات الحاسب الآلى

٤

د . سعاد حسين البيلى

تناولنا فى سلسلة المقالات السابقة عن الحاسب الآلى تركيب هذا الجهاز وطريقة استخدامه واللغات التى تمكن الإنسان من التعامل معه وكذلك اوضحنا بعض النماذج البسيطة لطريقة كتابة برنامج لتشغيله على الحاسب الآلى .

ولنا الآن أن نلقى نظرة شاملة على كيفية تغلغل هذا « العقل » فى حياتنا العملية ، وكيف ساعد على تنظيم وحل عدد كبير من مشكلاتها التى جدت وتطورت وتعقدت مع تطور حياة الإنسان الحالية ، وكيف كون مع العقل البشرى ـ بتوفيق الله ـ أبدع دائرة رحبة من العبقرية الفذة والذكاء اللماح .

وفى الواقع ، فإن المجالات التى تغلغل فيها الحاسب الآلى فى حياة الإنسان قد لا يأتى عليها الحصر ـ لأنها تشمل كل جوانب الحياة العلمية والعملية : فى مجال النقل بالسكك الحديدية ، ولتنظيم إشارات المرور بالمدن ، وفى مجال الصناعات المعدنية مثل تشغيل « الأفران » العالية ، كذلك فى عمليات قطع وتشغيل المعادن ، وفى مجال الصناعات الكيميائية والبترولية ، وحسابات الصيانة والظروف المثلى للتشغيل فى محطات القوى .

ومن التطبيقات الحيوية لاستخدام الحاسب الآلى . . . استخدامُهُ فى مجال الطب ، فالأجهزة الطبية الحديثة سواء المستخدمة فى التشخيص أو العلاج تعتمد اعتماداً رئيسياً على دقة القياس ودقة الأداء . لذلك فإن استخدام الحاسب ، وإلحاقه بدائرة (تحكم آلى) فى جهاز الكُلْية الصناعية مثلا يُمَكِّن مراكز غسل الدم لمرضى الفشل الكلوى من أفضل استخدام لهذا الجهاز .

وهناك عدة مجالات أخرى لاستخدام الحاسب الآلى مثل البحث العلمى والتخطيط

←

بصفة عامة ، وفى الشركات ، و(البنوك) ، وفى المجالات التعليمية بل والترفيهية أيضا .

وبعد : فلننظر بعض هذه المجالات بشىء من التفصيل .

تطبيقات الحاسب فى مجال النقل بالسكك الحديدية !

تحتاج إدارة السكك الحديدية إلى عديد من الأنظمة والقياسات الفنية المتشابكة والمعقدة . وللحصول على صورة هادئة وسليمة لوحدات السكك الحديدية المختلفة من بضائع مخزونة ، وقطارات ، وطرق حديدية متاحة ،فإن ذلك يستلزم درجة عالية للتنسيق الحركى والتوفيق الملائم لهذه الوحدات .

ومن هنا تبرز المشكلة الهندسية والاقتصادية المعقدة ، والتى لا يمكن حلها إلا عن طريق إجراء سلسلة طويلة من الحسابات المتداخلة ، مثال ذلك كيفية رسم جدول زمنى لاختيار أمثل سرعة للقطارات، ولتوفير أكبر كمية من الوقود ، وكذلك لتخطيط حركة مرور القطارات بحيث لا تقع أية مصادمة بين الوحدات المتحركة ، وكذلك لإجراء الحسابات المختلفة للمبانى والمنشآت الخاصة بالسكك الحديدية مثل مراكز الصيانة والإدارات وأماكن انتشارها الأمثل بين خطوط الشبكة المختلفة .. ولذلك . فإن الحل السليم لهذه المشكلات المتداخلة يحتاج إلى استخدام وسائل الحساب الحديثة ، أو أجهزة الحساب الآلى ضمانا لدقة النتائج وسرعة الحصول على الحلول الصحيحة فى نفس الوقت .

لذلك ، اقتحم الحاسب الآلى هذا المجال ، معلنا أنه لابد من الاعتماد عليه بلا منافس فى هذا المجال وفى واقع الأمر ، فإن هناك نوعين من الحاسبات الآلية المستخدمة فى إدارة السكك الحديدية .

النوع الأول : وهو عام وذلك لإجراء الحسابات اللازمة التى أعطينا لها أمثلة من قبل .

والثانى خاص : وهو عبارة عن حاسب آلى مزود بدائرة (تحكم آلى) لتنظيم حركة السكك الحديدية وأوضح مثال على هذا النوع الخاص من الحاسبات هو ذلك المستخدم فى (مترو) الأنفاق أو القطارات الكهربية التى تسير تحت الأرض . حيث يتم إلحاق القطار بجهاز حساب آلى مزود بدائرة تحكم . تقوم بناءً على جدول أو برنامج خاص بتشغيل القطار بسرعة معينة لزمن معين ، ثم يعطى الأمر من هذا البرنامج بالإيقاف حيث توجد المحطة التالية ، ثم يفتح الباب آليا لمدة معينة ـ دقيقة مثلا ، ثم يغلق الباب آليا . بناء على البرنامج المزود به الحاسب الآلى ، والذى تضبطه وتنفذه دائرة التحكم ، ثم يبدأ المسير وإكمال دورة الحركة .

ومن الميزات الواضحة لاستخدام نظام التحكم الآلى عن طريق الحاسب أنه فى حالة (عَطَلٍ) إحدى عربات القطار فإن نظام التحكم يقوم بسرعة فائقة بتحميل هذا العبء على العربة اللاحقة ـ والتى تكون بدورها مجهزة لمثل هذه الظروف الطارئة . وبذلك يمكن تدارك الموقف وتقل الأعطال المفاجئة حتى يتم إصلاح هذا العطل فى ظروف مناسبة .

استخدام الحاسب الآلى فى الصناعات المعدنية :

يشتمل هذا النوع من الصناعات على عدد كبير من الصناعات المختلفة ، تشترك جميعها فى ظروف التشغيل الصعبة بالنسبة للعمال ، ودرجة الدقة العالية جداً فى مواصفات المنتج ، لذلك فإن إدخال أجهزة التحكم والحاسبات الآلية فى هذا المجال يعد ضرورة بالغة الأهمية لتحسين ظروف العمال وتسهيل مهامهم ، وكذلك تحسين مواصفات المعدن المطلوب إنتاجه وبالتالى تحسين هدف المصنع نفسه وسلامته .

ولنأخذ الأفران الكهربية المستخدمة فى إنتاج سبائك الصلب مثالا لذلك :

الفرن الكهربى عبارة عن إناء كبير الحجم على شكل إسطوانة مبطنة من الداخل بطوب حرارى بهدف العزل الحرارى الخارجى والاحتفاظ الداخلى بدرجة الحرارة المطلوبة لهذه العملية ويغذى هذا الفرن بـ (خردة[١]) المعدن ثم يتم إغلاق الفرن ويمرر التيار الكهربى ذو الضغط العالى فى الفرن فيتحول سطح المعدن إلى سائل منصهر ، ثم يتم خفض أقطاب التغذية الكهربية بالتدريج حتى تتحول الشحنة بالكامل إلى سائل منصهر ، فترفع أقطاب التغذية الكهربية إلى سطح الكتلة المنصهرة فيحترق الخبث الطافى على السطح ، والذى يكون مركبات غير مرغوب فيها ، ثم يضاف العنصر الآخر إلى الحديد المنصهر والداخل فى تركيب السبيكة المراد إعدادها .

وكانت هذه العملية تتم فى إطار الخبرة العملية والمعلومات الملموسة من ممارستها ، ثم بدأت هذه الصناعات مرحلة أخرى عندما بدأ الباحثون فى مرحلة التعبير الرياضى عن كل من جزئيات هذه العملية .

هنا أخذت الأمور نظرة أخرى فلابد من حسابِ أَقَلِّ استهلاكٍ ممكن للطاقة وذلك بدراسة صورة التوزيع الحرارى داخل الفرن والظروف التشغيلية التى تجعلها فى حالة من التجانس زيادة لكفاءة عملية الصهر . كذلك الاستفادة من الطاقة الحرارية الناتجة من التفاعلات الكيميائية المختلفة والتى تتم فى داخل الفرن وتوفير ما يناظرها من الطاقة الكهربية المستخدمة فى عملية الصهر .

ونظراً لاحتياج هذا النوع من الصناعات إلى مزيج من المتغيرات الحرارية والكيميائية والكهربية ، ولأن من الصعوبة بمكان التحكم فى المتغيرات الحرارية والكيميائية فإن فكرة (التحكم الآلى) تنبع أساسا من التعامل مع كهربية النظام عن طريق استخدام الأجهزة المتطورة اللازمة لقياس المتغيرات المختلفة والتحكم فى صورة تغيرها خلال فترة التشغيل عن طريق دوائر التحكم الآلى الملحقة بالحاسب ، وهذا بدوره يكون قد تم تزويده بالبرامج الملائمة التى تحدد خط سير العملية من بدايتها وحتى النهاية .

وبعد ...

فهذه بعض تطبيقات استخدام الحاسب الآلى فى مجالات الحياة المختلفة التى صارت مرتبطة به غير مستغنية عنه . تم

د . سعاد البيلى

(١) الخردة : ماصغر وتفرق من شىء ففقد ما له من قيمة فى تكامله ، واللفظ فارسى والمراد هنا : قطع المعدن الصغيرة المتبقية من تجهيز شىء .

طرائف

لا ملك فوق الحساب

روى أن أبا زرعة دخل على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد : أخبرنى أيحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت القرآن وفقهت ؟

فقال : ياأمير المؤمنين ، هل أقول وأنا آمن ؟

قال : قل فى أمان الله .

قال : ياأمير المؤمنين أأنت أكرم على الله أم داود ـ عليه السلام ـ ؟

إن الله ـ تعالى ـ جمع له بين الخلافة والنبوة ثم توعده فى كتابه ، فقال : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ فكانت موعظة بليغة .

« مكارم الأخلاق عشرة »

مكارم الأخلاق عشرة : تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه ، وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله لمن أراد به السعادة :

صدق الحديث ، وصدق البأس .

وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان .

وإعطاء السائل والمكافأة بالصانع .

وحفظ الأمانة وصلة الرحم .

والتذمم للصاحب واقراء الضيف

ورأسهن الحياء .

« خوف .. وأمن »

فزع الناس وخاف سليمان بن عبد الملك لنزول مطر شديد ، وهم فى الطريق إلى الحج ، وضحك عمر بن عبد العزيز مما رأى .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

فسأله سليمان : ألمثل هذا يضحك الناس ؟

فقال عمر : ياأمير المؤمنين ، هذا فى حين رحمته ، فكيف فى حين غضبه .

قالــوا ..

- من أحب الله أبغض نفسه .
- العديم من احتاج إلى لئيم .
- الإعطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان .
- القارىء والسامع شريكان فى الأجر ، والمغتاب والسامع شريكان فى الإثم .
- لكل شىء شىء ومودة الكاذب لا شىء .
- من شغل مشغولاً فقد أظهر ثقله .
- لا ترغب فيمن يزهد فيك .

« قبح الله هذا الفم »

وقف أعرابى بباب يسأل :

فقال له صغير من باب الدار : بورك فيك .

فقال الأعرابى : قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيراً .

« احـذر من »

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

« دعـــاء »

اللهم إنى أعوذ بك من مال يكون على فتنة ، ومن ولد يكون علىَّ وبالا ، ومن جار ترانى عيناه وترعانى أذناه ، إن رأى خيراً دَفَنَهُ ، وإن سمع شراً طار به .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الحج

للأستاذ طه حبيب

قال الله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ الحج (الآية ٢٧) .

فإذا كان التفكير الصحيح يهدى إلى الرشد ، وإلى الإيمان بواجب الوجود . وأنه الخالق الرازق . والواهب ، المعطى ، فهو ايضاً يهدى المتامل إلى ان ذلك الخالق البارىء يستوجب الشكر على نعمه الظاهرة والباطنة .

ومن مظاهر الشكر الواجبة لله « الحج » .

قال الأستاذ رحمه الله :

الحج لغة : القصد إلى مُعَظَّم ، وهو فى الشريعة : قصد البيت الحرام (الكعبة) لأداء ركن من أركان الدين هو الطواف والوقوف بعرفة بما يلابسهما من إحرام وسعى وما إلى ذلك من بقية الأعمال المكملة للحج وكانت العرب تحج إلى الكعبة قبل الإسلام لاعتقادهم أنها بيت الله ، ولقد كانوا يعظمونها لذلك فلم يعبدها منهم أحد ، كما أن أحدا منهم لم يعبد الحجر الأسود مع اشتهار الوثنية وكثرة عبادة الأصنام قبل البعثة ، بل كان تعظيمهم للحجر لأنه منسوب لله ، حتى اعتقد كثير منهم أنه نزل من السماء .

وقد أوجب الله الحج على المسلمين الأحرار العقلاء البالغين الأصحاء القادرين على الزاد والراحلة ، متى كانت تلك المقدرة بعد أداء ما لابد لهم منه لنفقة عيالهم ومساكنهم ، وكان الطريق إلى البيت مأموناً . وقد فرضه الله على كل مسلم على الوصف الذي سبق فى العمر مرة . وفرضيته ثابتة بالكتاب العزيز ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[1] وثبتت الفرضية بقول النبي ﷺ : « بنى الإسلام على خمس »

---

(1) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الحديث . وقد حج ﷺ . أما أن الحج فرض مرة واحدة فلما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والدارقطنى فى سننه والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، ولفظه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ياأيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يارسول الله ؟ قال : لو قلتها لوجبت ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فتطوع .

الحكمة فى وضع البيت واتخاذه قبلة ـ نفى الشرك والزور والبهتان والإلحاد :

وإذا كان التفكير الصحيح يهدى إلى الرشد وإلى الإيمان بواجب الوجود وإلى أنه الخالق الرازق المعطى الوهاب المنعم بجلائل النعم ودقائقها ، فهو أيضاً يهدى المتأمل إلى أن ذلك الخالق البارىء يستوجب الشكر ، وأن على الإنسان أن يعبده شكراً له على تلك النعم الباطنة والظاهرة ، غير أن العقل إذا اهتدى إلى ذلك يحار فى كيفية عبادة الرحيم الرحمن ، إذ لايستطيع أن يدرك مايليق به من تعظيم ، إذ كيف يستطيع العبد الضعيف إدراك مايناسب ذلك المنعم من خشوع وخضوع ، وإلى مايناسب العظمة التى لانهاية لها من تعظيم وثناء ، إلى مايصح فى حقه من توسل ومناجاة ، كيف يستطيع أن يصل إلى شىء من هذا والمولى ـ جل وعلا ـ وجوده مطلق لايتقيد بمكان ولاينحصر فى جهة ولايحده زمان ، فإلى أي جهة يتوجه فى عبادته لاشك تعتور الإنسان الحيرة فى أداء ماهو واجب عليه نحو الذى خلقه فسواه وأنشأه وعلمه وهداه وأرشده ، ولا يخفى مع هذا أن الإنسان عاجز عن التوجه إلى موجود لايستطيع إدراكه .

فخروجاً من تلك الحيرة منَّ الله على عباده فعين لهم مكاناً سماه بيته وأضافه إلى نفسه ، تتنزل فيه رحمته ويتجلى فيه رضاه ، وجعل التوجه إليه كافياً في عبادته ، بعد أن طهر مكانه من الرجس والأوثان ، وطلب إليهم التوجه فى عبادتهم إليه ، وأن يقصده من استطاع إليه سبيلاً فى العمر مرة ، وكان ذلك منه سبحانه دفعاً للحرج عن الخلق لأنه لو كلفهم بعبادته ، وقد دلهم بالعقل والشرع على أنه ليس كمثله شىء دون أن يجعل لهم مكاناً يكون توجههم إليه كتوجههم إلى ذاته ، لتحيروا كيف يتجهون .

وإذا كان من أول تعاليم الرسل (صلى الله عليهم وسلم) ومن تعاليم ديننا الحسن أن الله تنزه عن المكان والجهة ، فلا خوف بعد ذلك على المؤمن من توهم حلول ذات الله فى مكان لأن ذلك محال عنده ، فنسبة البيت إليه وطلب التوجه إلى ذلك البيت المعظم لم يكن إلا لما قدمناه : إخراجاً للناس من الحيرة ، وجمعاً

لقلوبهم فى التوجه إلى جهة واحدة ، توحيداً للقصد وإفراداً للغاية وإرشاداً لهم إلى أن المراد التوجه إلى الله لا إلى ذات المكان . وإذا كان الإيحاء إلى إبراهيم عليه السلام باتخاذ البيت كان مقيداً بنفي الشرك قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾(٢) وكان أول ماطلب إليه هو تطهيره ليكون معبداً يعبد الله فيه عبادة صحيحة ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٣) كان توهم الحلول أو تعظيم غير الله بعيداً كل البعد لايخطر ببال ، وكيف يتوهم هذا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾(٤) أي معبداً تعبدون فيه ربكم ورب البيت .

عظمة البيت :

حسب المرء فى عظمة البيت قول الله سبحانه وتعالى فى شأنه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٥) فأضافه سبحانه إلى نفسه ، والتابع يشرف بشرف المتبوع ، والمضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، وقد جعله الله مثابة للناس وأمناً ، وذلك بأن خلق فى قلوب الناس ميلاً إلى حجه والتوجه إليه آونة بعد أخرى ، وبث فى نفوسهم من احترامه وتعظيمه وعدم سفك الدماء فيه ماكان به أمناً لهم من المخاوف التى يتخطف الناس فيها من كل جانب ، وحسب المرء أيضاً فى تعظيمه أن الله أمر رسولين من رسله برفع القواعد ، وماذاك إلا تشريفاً لهذا البيت الذى بنياه لعبادة الرحيم الرحمن فى هذه البلاد التى كانت الوثنية منتشرة فيها .

وقد تجاوزت مكانة البيت جزيرة العرب إلى بلاد الهند حتى اعتقد بعضهم تقديس الحجر الأسود ، وكانت الصابئة (عباد الكواكب) يعتقدون أن الكعبة من البيوت السبعة المعظمة عندهم . ومما يدل على عظمتها فى نفوسهم أنهم جميعاً يعتقدون أنها بيت الله المقدس ويحترمونها لهذه النسبة ، وكانوا يحجون إليها من جميع أنحاء البلاد العربية وغيرها فى أشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وكانوا يحرمون الشهر الذى فيه الحج وهو ذو الحجة ، والذى قبله لأنه وسيلة إليه ، والذى بعده لأنه تابع له ، ولم يرد أن أحداً من العرب عبدَ الكعبة أو عبدَ الحجر الأسود مع أنهم عبدوا النجوم فى أشخاص أصنام .

ومن دلائل عظمة البيت (الكعبة) اهتمام الملوك من قبل البعثة بقرون بكسوته ، وكستها والدة العباس بن المطلب ، وقد كساها أشرف الخلق على الله محمد بن عبد الله ﷺ بالثياب

(٢) سورة الحج : الآية ٢٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان ، والخلفاء العباسيون كانوا يبالغون فى كسوتها ، وكساها ملوك اليمن كما كساها ملوك مصر .

حكمة مشروعية الحج :

وقد فرض الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فى العمر مرة واحدة ، وهذه الفرضية لحكم عدة ترجع للحاج من أول الشروع فيه إلى أن ينتهى منه - منها السفر ، ولا يخفى مافيه من الفوائد الجمة ، ومايترتب عليه من المعارف ، ومايصحبه من الربح والكسب الماديين والأدبيين ، فقد يكسب مريد الحج إذا هو اتجر مكاسب لا يحصل عليها فى وطنه ومحل إقامته ، ولم يحظر الشارع الإتجار مادام القصد الحج وقد جاء هو تبعا وقد يكون مريضاً فيشفى بتغير المناخ وما يحصل له من الأنس والانشراح بما يقع نظره عليه من بلدان وبحار وخلجان ، ويكون السفر سبباً فى ذهاب وحشة لحقته بموت قريب أو زوج أو ولد ، وناهيك بما يستفيده من يقصد الاستفادة العلمية ، فقد يلقى من يفيده علما وأدباً فينزل له عصم العلوم ويبين له ماشرد عنه من منطوق أو مفهوم ، وما السفر للحج إلا سياحة وضرب فى أرض معينة يستفيد السائح فيها مايستفيده السياح ، وفوائد السياحة أظهر من أن تذكر .

أما الفوائد الدينية فإليك بعضاً منها ، وسنذكرها مرتبة على الأفعال التى رأى الشارع أنه لابد منها فى الحج :

الإحـــــرام :

قال بعض المؤرخين : إن سليمان عليه السلام لما بنى هيكل بيت المقدس أحاطه بحرم ، وقضى بألّا يدخله أحد غير قوم معينين ، وقال أيضاً : إن الناس فيما تقدم من الزمن كانوا يحيطون معابدهم بحرم لا يطؤه الغرباء ، وكانت العرب تضرب الحمى لمراعيها وتجعل له حدوداً لا تتعداها القبائل الأخرى ، وكان العزيز منهم يتخذ له متسعاً من الأرض يجعله حمى له ، إلى أن جاء الإسلام فأبطل عليه الصلاة والسلام كل حمى إلا حمى الله ورسوله . ولقد علمت مما سبق شرحه أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لبيته حرماً ومواقيت لا يتعداها من يريد الدخول إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين وهو أن يلبى ناوياً الحج ، والتلبية أن يقول : لبيك اللهم لبيك ، إلى آخر الذكر المعروف ، ويأتى بالأفعال التى تكفلت كتب الفقه ببيانها .

أما حكمة مشروعية الإحرام فتظهر مما يلى ، ذلك أن الحج عبادة ؛ الغرض منها القرب إلى الله والوصول إلى ما أعده سبحانه وتعالى للنفس المحسنة من حسن الجزاء ، ولا يكون ذلك عادة إلا بتجريد النفس من شهواتها ، وخروجها عن مألوفاتها ، وكفها عن لذائذها ، وقطع علائقها بالأغيار ، وابتغائها حمى مولاها الواحد القهار . ومظهر هذا الاقتصار على الضروريات للحياة والتجرد لله سبحانه وتعالى فى جميع الحركات والسكنات . ولا يخفى أن الشأن فى كل من

←

أراد الإقدام على ملك من الملوك أن يجتهد فيما يوصله إلى مقصده من الوصول إلى حضرة الملك والمثول بين يديه ، فمن أراد الوصول إلى علام الغيوب بزيارة بيته ودخول حرمه ، وجب عليه أن يتجرد عما سواه من نعيم الحياة إلا بالقدر الذى يستطيع به مواصلة العمل الذى قصده ، فينخلع مدة الزيارة عن كل أنواع الزينة ، ويندرج فى سلك المنقطعين لله انقطاعاً تاماً ، فيترك الجدل والخصومة ، وينتهى عن كل مانهى الله عنه ، مجتنباً كل ما من شأنه أن يبعده عن الحظيرة القدسية ، مؤاتياً كل عمل يقربه من الحضرة الإلهية .

وبدهى أن من قصد شيئاً قصده من الطريق الموصل إليه ، وبما أن قصد الحاج زيارة بيت الله فعليه أن يأتى البيت من بابه ، ولا يتأتى له ذلك إلا بعكوفه على ماشرطه الله لزيارة بيته ، وذلك بموالاة التلبية والدعاء والخضوع لمولاه الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء عمن قصده .

الطواف ـ السعى ـ رمى الجمار :

لا يخفى أن نيل الدرجات لدى الملوك والحصول على عطفهم إنما يكون بامتثال أوامرهم فمن امتثل وأطاع استحق الرضا التام ومن أعرض ونأى استحق السخط .

وأكثر أفعال الحج كالطواف والسعى ورمى الجمار ، شرعها الله ولم نقف على حكمة مشروعيتها ، ابتلاء لعباده واختباراً . فمن جد فى القيام بما أمر به وعمل صالحاً كانت له حظوة قبول ضيافته على مولاه بدخول بيته ، وجوزى الجزاء الحسن وأكرمت وفادته ، ومن قصر أو توانى عن العمل لم يك فى عداد المحظوظين ولم ينل رضاء رب البيت وشيع باللعنة والسخط (وهذا معنى معروف لدى البشر أنفسهم فى معاملة ملوكهم وكبرائهم ، فأحرى بالجميع أن يكون هذا حالهم مع سيد الجميع وملك الملوك ، العزيز القدير ، عالم الغيب والشهادة ؛ القاهر فوق عباده ، الذى من عرفه حق معرفته ، أيقن بأن كل فعل من أفعاله ـ جل وعلا ـ للحكمة ، وأن العجز عن إدراكها لا ينافى ثباتها وتقررها ، ومن فطن لهذا فقد فطن للخير أجمع ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا .

شرع الله الكثير من أفعال الحج ، وأمر الناس بها أمراً تعبدياً لحكمة علمها جل شأنه ، وقد جهد الناس فى تلمس حكم لهذه العبادات فقالوا عن الطواف ، وقد سماه رسول الله صلاة غير أنه أباح الكلام فيه : إن السر فيه التشبه بالملائكة الحافين حول العرش ، وكانت الأشواط سبعاً لما فى السبع من الحكم التى لا يحيط بها إلا علام الغيوب ، فقد جعل الله الأيام سبعاً ، والأفلاك سبعاً ، والسموات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، كما التمسوا حكماً لغير ذلك من أفعال الحج تعلم من مراجعة كتب الفقه .

الهدى ـ القربان :

التقرب إلى الله بقربان القرابين أمر معروف لدى البشر من وقت بزوغ فجر التاريخ ، فقديما قرّب ولدا أبى البشر عليه السلام

قربانا فتُقبِّل من أحدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر ، وكان ما كان بينهما بما قصه الله علينا ، وقد جرى الناس على أثرهما فقربوا القرابين إلى الله فى معابدهم . وقد قص علينا القرآن ماكان من أمر الله لخليله بذبح ولده وفدا به إياه بعدُ بذبح عظيم ، وقد عرضت الديانات المعروفة جميعها للقربان واستقر فيها ، وجاء الإسلام فأقر أمره وأبان أنه مشروع ، قال تعالى : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ ﴾(٦) أى من أعلام دينه ، وبين أن من يعظم شعائر الله كان له أجر كبير ، لأن منشأ تعظيمها ومصدره تقوى القلوب . وقد أرشد الإسلام إلى أن الغرض من الهدايا ما يترتب على نحرها وذبحها من نفع الفقراء البائسين . فتسد خلتهم ، ويكفون حاجتهم ، ويشاركون أولى النعمة فيما أنعم الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٧) وقال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾(٨) وفى الآية الأخرى : ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا . وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾(٩) .

ولقد أهدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحرم مائة من الإبل نحر بعضها بنفسه وأناب عليا ـ كرم الله وجهه ـ فى نحر الباقى ، كما أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضحى بكبشين ذبحهما بنفسه .

الوقوف بعرفة :

الركن الثانى من أركان الحج هو الوقوف بعرفة فى التاسع من ذى الحجة ، وحدث عن مزايا هذا الوقوف ماشئت أن تحدث .

فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين من أى مكان فيقفون فى صعيد واحد كأنهم بنيان مرصوص يدعون الله ويجأرون بالتلبية ، هذه الطوائف من الخلق مع اختلاف مشاربهم وتباين لغاتهم واختلاف أجناسهم اتحدت وجهتهم ، فوقفوا يسألون الواحد التواب غفران الذنوب وستر الخطايا والعيوب . هذا الموقف الذى يتساوى فيه العظيم مع الحقير والكبير مع الصغير ، كلٌ يسأل الرحمة ويطلب المعونة .

تقف فيه الوفود خاضعة خاشعة ذليلة تستدر الرحمة وتستندى البركة فى لباس أقرب إلى لباس الأموات منه إلى لباس الأحياء ، خرجوا وقد جردوا نفوسهم من أردية الباطل وثياب التمويه وأخلصوا النية لربهم ، قوم هذا شأنهم وذلك وصفهم جديرون بأن الله يتقبل دعاءهم وينيلهم مبتغاهم .

وحسبك هذه الفضائل فى مشروعية الحج

←

(٦) سورة الحج : الآية ٣٦ .
(٧) سورة الحج : الآية ٣٢ .
(٨) سورة الحج : الآية ٢٨ .
(٩) سورة الحج : الآية ٣٧ .

من روائع الماضى

وفائدته ، فإذا أضفت إلى هذا أن اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها فى مكان واحد أمر فيه المصلحة كل المصلحة لهم لأن التفافهم ببعضهم يقربهم من بعضهم ، وبه يتعرف كل منهم حاجيات صاحبه وماهو عليه فإن كان خيراً استزادوا منه وإن كان الثانى عملوا على إزالته وفكروا فى الخروج منه .

وبهذا تصلح الأمم الإسلامية وتتوحد كلمة المسلمين فى العمل للخير ولخير العمل ، وتلك فضيلة كبرى من فضائل الحج لو لم يكن إلا إياها لكفت فى حكمة مشروعيته . وحسبنا هذا ، فإن هذه العجلة لم تتسع لأكثر منه ، والله أعلم .

المجلد الثالث

طه حبيب

الشيخ محمد أحمد عبد الله
الشهير بالشيخ شمس الدين ـ بقية ـ

وكان رحمه الله قويا شديد الصلابة فى الحق ، لا يلين ولا يجامل ، ولا يأبه للومة لائم ، وله فى ذلك مواقف مشرفة يعرفها زملاؤه وطلابه ، وحين كان يعرض فى الكلية موقف يحتاج إلى صلابة فى الحق كان الشيخ شمس الدين أول من تتجه إليه الأنظار .

وكان رحمه الله فى كل صلاته دمث الخلق ، ممتع الحديث ، وفيا شديد الإخلاص ، يتمتع بحب من عاشره أو اتصلت بينه وبينه الأسباب .

وقد ترك رحمه الله أولاده فى التعليم ثلاثة أبناء وابنتين ، أتموا تعليمهم بعد وفاته ، أحدهم حصل على الدكتوراه فى العلوم ، والآخر طبيب ، والثالث مهندس ، وإحدى ابنتيه طبيبة ، والأخرى خريجة كلية الآداب وتعمل مدرسة ، وكلهم يسير على نهجه ، ويحمل طابعه فى الخلق والاستقامة والإخلاص .

رحمه الله بحرا من بحور العلم ، ومصباحا من مصابيح الهدى والفضيلة .

د . عبد الحليم حفنى

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية

الأدب المقارن

الربعى

وآراؤه النحوية

٣

خامساً : رأيه فى الواو العاطفة

الواو المفردة لها خمسة عشر معنى سأقوم بعدها على سبيل الحصر مفصلاً القول فى الواو العاطفة التى هى مجال بحثنا :

١ ـ الواو العاطفة ، وسنبسط الكلام فيها عقب حصر معانى الواو .

٢ ـ الواو الاستئنافية ، كقول أبى اللحام التغلبى :

على الحكم المأتى يوماً إذا قضى
قضيته أن لا يجور ويقصد[١]

وكون الواو للاستئناف هنا واجب ، لأنها لو كانت لغيره فسد المعنى .

٣ ـ الواو الحالية الداخلة على الجملة الاسمية ، نحو : جاء زيد والشمس طالعة ، وعلى الجملة الفعلية نحو قول الفرزدق :ـ

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم
ولم تكثر القتلى بها حين سلت[٢]

أى حالة عدم كثرة القتلى .

٤ ـ واو المعية ، نحو قولهم : سرت والنيل .

٥ ـ الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح ، كقول زوجة معاوية ابن أبى سفيان :ـ[٣]

ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف[٤]

٦ ـ واو القسم نحو قوله تعالى ﴿ وَالْفَجْرِ۝وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[٥] وهذا كثير فى القرآن الكريم .

---

* الكاتب عضو هيئة التدريس
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادى جـ ٣ ص ٦١٣ طبعة مطبعة بولاق .

(٢) انظر ديوان الفرزدق ص ١٣٩ .

(٣) اسمها : ميسون بنت مجدل الكلبية وقبل البيت :

لبيت تخفق الأرياح فيه
أحب إلى من قصر منيف

(٤) انظر البيت فى المغنى جـ ١ ص ٣٩٩ ، شرح الأشمونى جـ ٣ ص ٣١٣ برواية « للبس عباءة .. إلخ » والخزانة جـ ٣ ص ٥٩٢ .

(٥) سورة الفجر آية (١) .

للدكتور: سعد منصور عرفة

٧ ـ واو « رب » كقول امرىء القيس فى معلقته :ـ

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى[٦]

٨ ـ الواو الزائدة كما فى قول الشاعر : ـ[٧]

فما بال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى[٨]

٩ ـ واو الثمانية ، ذكرها جماعة من النحويين والمفسرين والأدباء ، وعرفوها بأنها ما تلحق لفظ « ثمانية » فى العد ، وذلك نحو قوله تعالى

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[٩] .

١٠ ـ الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصوقها بموصوفها ، وقد أثبتها الزمخشرى ومن قلده ، وجعلوا منها قوله تعالى ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [١٠]

١١ ـ واو ضمير الذكور عند من عدها حرفا كالأخفش والمازنى ، نحو قوله تعالى على رأيهم :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[١١]

والفاعل حينئذ ضمير مستتر[١٢] .

١٢ ـ واو علامة المذكرين عند طىء وأزد شنوءة ، وهى اللاحقة للفعل عند إسناده لجماعة الذكور نحو الحديث الشريف « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .

١٣ ـ واو الإنكار . نحو آلرجلوه بعد قول القائل : قام الرجل ، قال ابن هشام : والصواب ألا تعد هذه الواو لأنها إشباع لحركة .

ومثلها الواو فى « منو » فى الحكاية ، وفى « أنظور » فى قول الشاعر :ـ

وإننى حيثما يثنى الهوى بصرى
من حوثما سلكوا أدنوا فأنظور[١٣] .

١٤ ـ واو التذكر ، وهى التى تتولد من الصوت عند نسيان الكلمة التى بعدها ، كأن يريد شخص أن يقول : يقوم محمد ، فينسى القائم فيقول : يقومو حتى يتذكر القائم .

١٥ ـ الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها ، نحو قراءة قنبل ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ . ءَأَمِنتُم ﴾[١٤] .

←

(٦) الديوان ص ١٥١ .

(٧) قيل هو ابن الذئبة ربيعة بن عبد ياليل ، وقيل لوعلة ابن الحارث .

(٨) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ، مطبعة البهية ص ٢٦٤ .

(٩) سورة الكهف آية ٢٢ .

(١٠) سورة البقرة آية ٢١٦ .

(١١) سورة النمل آية ١٨ .

(١٢) انظر المغنى جـ ١ ص ٤٠٤ .

(١٣) انظر المغنى جـ ١ ص ٤٠٧ ، والخزانة جـ ١ ص ٥٨ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٦٦ .

(١٤) سورة الملك آية ١٥ ، ١٦ .

هذه هى المعانى التى ذكرها النحاة للواو المفردة ، وقد أوجزت الحديث عنها إتماما للفائدة ، وأريد الآن أن أفصل القول فى الواو العاطفة التى نحن بصدد الحديث عنها فأقول وبالله التوفيق :ـ

الواو العاطفة أكثر الواوات استعمالاً ، وأوسعها انتشاراً فى كلام العرب ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت إنها أكثر حروف العطف استعمالاً فى كلام العرب ، ويرجع ذلك إلى أنها تنفرد عن غيرها من حروف العطف بأمور كثيرة عدها ابن هشام فى كتابه المغنى خمسة عشر حكماً ، ولكن الذى أريد بيانه وتفصيله هو معنى الواو العاطفة التى أدلى فيها الربعى بدلوه .

ذهب جمهور النحويين إلى أنها لمطلق الجمع ، أى الاجتماع فى الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما فى زمان ، أو سبق أحدهما ، فقولنا : جاء زيد وعمرو يحتمل على السواء أنهما جاءا معاً ، أو زيد أولاً أو آخراً .

قال ابن مالك فى ألفيته :

فاعطف بواو لاحقا أو سابقاً
فى الحكم أو مصاحباً موافقاً

ويدل على ذلك القرآن الكريم ، فمن مجيئها عاطفة الشىء على مصاحبه قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾(١٥) لأنه سبحانه وتعالى أنجى نوحا وأصحاب السفينة معا ، فليس شىء من المعطوف والمعطوف عليه سابقا على الآخر .

ومن مجيئها عاطفة الشىء على سابقه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾(١٦) فنوح عليه السلام سابق بالزمان على إبراهيم عليه السلام .

ومن مجيئها عاطفة الشىء على لاحقه قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (١٧) فالوحى لنبينا صلى الله عليه وسلم متأخر فى الزمان عن الوحى لجميع الرسل ، لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال العلامة ابن مالك(١٨) ومن عطف السابق قول أبى الصلت :

سدت عثمان يافعاً ووليداً
ثم سدت الملوك قبل المشيب

وقول جميل بثينة :ـ

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

وقول الآخر :

وما نحن إلا مثلهم غير أننا
أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا .

قال السيوطى : واستدل لمجيئها للثلاثة جوازاً بأن التثنية مختصرة من العطف بالواو فكما تحتمل ثلاثة معان ـ ولا دلالة فى لفظها

---

(١٥) سورة العنكبوت آية ١٥ .
(١٦) سورة الحديد آية ٢٦ .
(١٧) سورة الشورى آية ٣ .
(١٨) انظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ـ تحقيق الأستاذ عدنان عبد الرحمن الدورى مطبعة العانى ببغداد ـ ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

على تقديم ولا تأخير ـ فكذلك العطف بها .[١٩] .

قال ابن هشام : فعلى هذا إذا قيل : قام زيد وعمرو احتمل ثلاثة معان[٢٠] .

قال ابن مالك : وكونها للمعية راجح ، وللترتيب كثير ، ولعكسه قليل .

وليس هناك مانع فى أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٢١] فإن الرد أولاً وكان عقب إلقائه فى اليم والإرسال ثانياً وكان على رأس الأربعين .

وقول بعض النحويين إن معناها الجمع المطلق غير سديد .

قال السيوطى فى الهمع : والتعبير بمطلق الجمع أحسن ـ كما قاله ابن هشام ـ لتقييد الجمع بقيد الإطلاق ، وإنما هى للجمع بلا قيد[٢٢] .

وذهب الشيخ خالد الأزهرى إلى أنه لا فرق بين المعنيين ، واعترض على من فرق بينهما فقال : « والتعبير بمطلق الجمع مساو للتعبير بالجمع المطلق من حيث المعنى ولا التفات لمن غاير بينهما بالإطلاق والتقييد »[٢٣] وذهب السيرافى إلى أن النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب وصححه الشيخ خالد الأزهرى[٢٤] .

وذهب قطرب والفراء وثعلب وأبو عمرو الزاهد وهشام والشافعى إلى أنها تفيد الترتيب وهو مذهب شيخنا الربعى[٢٥] ، قالوا لأن الترتيب فى اللفظ يستدعى سبباً والترتيب فى الوجود صالح له فوجب الحمل عليه ، ونقل الرضى هذا الرأى عن الكسائى وابن درستويه أيضاً .

ورد هذا الرأى بلزوم التناقض فى قوله تعالى : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾[٢٦] مع قوله فى موضع آخر : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾[٢٧] والقصة واحدة .

وقال ابن كيسان : هى للمعية حقيقة ، واستعمالها فى غيرها مجاز ، قال : لأنها لما احتملت الوجوه الثلاثة ـ ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء ـ كان أغلب أحوالها أن تكون للجمع فى كل حال حتى يكون فى الكلام ما يدل على التفرق .

وذهب الرضى إلى عكس ذلك[٢٨] .

وقال ابن مالك : المعية فيها أرجح من غيرها والترتيب كثير وعكسه قليل .

قال أبو حيان : وهو قول مخترع مخالف لمذهب الأكثرين .[٢٩] .

د . سعد منصور عرفة

(التتمة فى العدد المقبل إن شاء الله)

---

(١٩) انظر الهمع جـ ٢ ص ١٢٩ .

(٢٠) المغنى لابن هشام جـ ١ ص ٣٩١ .

(٢١) سورة القصص آية ٧ .

(٢٢) انظر المغنى والهمع فى المواضع السابقة .

(٢٣) انظر التصريح للشيخ خالد ـ طبعة البابى الحلبى ـ جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٢٤) انظر المغنى جـ ١ ص ٣٩٢ ، والتصريح جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٢٥) انظر شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣٦٤ ، والهمع جـ ٢ ص ١٢٩ ، والمغنى جـ ١ ص ٣٩٢ .

(٢٦) سورة البقرة آية ٥٨ .

(٢٧) سورة الأعراف آية ١٦١ .

(٢٨) انظر شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٦٤ .

(٢٩) انظر الهمع جـ ٢ ص ١٢٩ .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٥

ثالثا : أزمة تطبيق المنهج :

أقصد بذلك الدراسات العلمية التى طبقت أيا من « المنهج التاريخى التوثيقى الفرنسى » و « المنهج الأمريكى » الثائر عليه . ولقد بينت فى المقال السابق[١] طبيعة المنهجين ، وأوجه قصورهما من الناحية : العلمية ، عندما يكون **ميدانهما البحثى الآداب الأوروبية** ؛ وهنا سوف أعرض لوجه آخر من أوجه قصور هذين المنهجين ، وذلك عندما يكون ميدان بحوثهما هو الآداب الشرقية عامة ، والأدب العربى بصورة خاصة . وسوف أركز على طريقة تناولهما للأدب العربى ومدى تأثر الآداب الأوروبية به :

١ ـ أزمة المنهج فى دراسته للآداب الشرقية على الطريقة التوثيقية الفرنسية .

الأقصوصة (الحكايات الشعبية) :

ـ نوع أدبى انتقل بالمشافهة من جيل إلى جيل ، وكل جيل أضاف إليه أو إلى بعضه تصورات عصره . ولقد اهتم به جميع الابتداعيون (الرومانتيكيون) الأوروبيون على اختلاف لغاتهم وآدابهم وثقافاتهم جمعاً وتسجيلاً ونشراً . لكن

وجود هذا النوع الأدبى يرجع فى ألمانيا إلى حوالى القرن الحادى عشر ، وانتشر هذا النوع الأدبى فى ألمانيا وفرنسا فى منتصف القرن الثانى عشر ، **وهو نوع أدبى ليس له مؤلف فى أغلب الأحيان ، وإن كان له راو ، ثم أصبح له جامع وناشر ، بعد اكتشاف الطباعة ، وبعد أن اهتم الابتداعيون (الرومانتيكيون) بإحياء التراث الأدبى الشعبى[٢] قراءة واستيعاباً ونشراً ، بدأ الاهتمام بدراسته** .

وما يهمنا هنا هو أن العناية بالأدب

(١) انظر : عبد الله محمد أبو هشة : الأدب المقارن ـ أزمة المنظور المتعارف عليه[٤] ، مجلة الأزهر ـ عدد ذى القعدة ١٤٠٨ هـ ، الجزء الحادى عشر ، السنة الستون ، ص ـ ١٥٤ ـ ١٥٣٩ .

(٢) Die Bruder Grimm

فى حين أن العناية بالقصة على لسان الحيوان وغيرها قد بدات فى الأدب العربى منذ عصر النهضة العباسى . (الجاحظ الخ) . لكن العصر الحديث ينتظر الكثير فى هذا الجانب ، ولعل جمع السيرة الهلالية (عمل تاريخى قام به عبد الرحمن الأبنودى) يكون فاتحة لأعمال اخرى فى هذا المجال .

للدكتور : عبد الله محمد أبو هشة

الشعبى هذا ودراسته كشفت عن أوجه شبه أحياناً وتطابق فى أحايين أخرى بين بعض الأقصوصات التى تم جمعها ونشرها ، وبين الأقصوصات الشائعة فى المشرق العربى الإسلامى ، سواء المدون منها أوالمروى مشافهة .

ورغم التطابق الواضح الذى يغرى بالدراسة المقارنة بأسبابه ، إلا أن القضية الواضحة ابتداء ، والتى لا يحكم على أسبابها إلا تناولها بالبحث ، أصبحت محل شك عند النقاد الفرنسيين . منهم من يرى ضرورة دراسة الظاهرة مثل « جاستون بارى » (١٨٣٩ ـ ١٩٠٣) ومنهم من ينكر أى صلة بين هذا النوع الأدبى وبين ما يتطابق معه من مثيله الشرقى ، مثل « جوزيف بيدييه » (١٨٦٤ ـ ١٩٣٨ م) .

يرى « جاستون بارى » أن هذا النوع الأدبى قد استمد وجوده وأغلب عناصر تكوينه من الآداب الشرقية(٣) ، ولا ينكر « بارى » على الأدب الفرنسى والآداب الأوروبية الأصالة الفنية فى الصياغة وشيوع روح التقاليد وصور العادات الخاصة بالشعوب الأوروبية ، كل مايريد أن يتعرض له ظاهرة التشابه والتطابق التى يتحتم دراستها العلمية . ولقد انبرى له كثير من علماء الأدب الفرنسيين معارضاً ، واهتم تلميذه « جوزيف بيدييه » الذى درس صلة ذلك الجنس الأدبى بالآداب الشرقية فى مجلدين . لأن **مايهمنا ملاحظته هو انه يرفض وينكر التأثير الواضح للآداب الشرقية لهذا الجنس الأدبى ، برغم وضوح التطابق فى الكثير من هذه الأقصوصات .**

وحجة « بيدييه » هى أن هذه القصص الصغيرة تدخل فى إطار الأدب الشعبى (الفلكلور) ، والذى تتلاقى فيه قصص كل الشعوب دون تأثر أو تأثير لسذاجتها وفطريتها(٤) وليس هنا مجال مناقشة « بارى » فى إقراره لهذا التأثر والتأثير ، ولا « بيدييه » فى رفضه لذلك ، والدراسة دراسة مقارنة(٥) ، لأن **ما يعنينى إبرازه هنا هو أن المنهج المقارن الذى يدعى العلماء الأوروبيون حياديته العلمية ، يفقد عند**

←

---

(٣) انظر :
G.Paris: La poesie du Moyem - Age, Paris 1895, chap. 3PP. 75- 108, et Passim .

(٤) انظر
Josef Bediev: les Fabliaux, 1893, 2 Vols. PP.245-250.

(٥) للاستزادة : انظر : محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن صـ ٦٣ ـ ٧٠

البعض حياديته بمجرد ورود اسم الأدب العربى خاصة ، والآداب الشرقية الإسلامية عامة ، كأحد جوانب الدراسة المقارنة ، وهنا تستخدم كل نظريات العلوم الإنسانية ، وماتوصلت إليه من نتائج لإبعاد الآداب غير الأوروبية وخاصة الآداب الشرقية الإسلامية عن دائرة البحوث المقارنة .

أما الثابت تاريخيا من صلات أدبية وثقافية سواء عن طريق الأندلس أو عن طريق الحروب الصليبية ، أو عن طريق نقاط التماس الحضارى الأخرى فى جزر المتوسط ، وجنوب أوروبا ، فما أسهل إبعاده عن دائرة البحث ، وحجة الفطرية تارة ، وبحجة التغاير تارة أخرى ، وقدأغرى موقف « بيدييه » هذا الكثير من علماء الأدب المقارن عامة وبعض المستشرقين بصفة خاصة بجحود التأثير الشرقى فى الآداب الأوروبية رغبة فى إثبات الأصالة لهذه الآداب[٦]

ولقد انتشرت هذه الأفكار حتى فى ميدان دراسات الآداب الأوروبية فى العصور الوسطى ، حيث الصلة التاريخية أيضا ثابتة وثمارها الأدبية أكثر وضوحاً ، مما يلزم المقارنين بدراستها . فالقارىء للآداب الأوروبية فى العصور الوسطى خاصة شعر الغزل[٧] (Minnesang) - ينظر ترجمتها - وشعر الفروسية ، وروايات الفروسية والبطولة[٨] ، سوف يدرك - لأول وهلة - التشابه الكبير بين هذا الشعر الأوروبى وشعر العذريين العرب خاصة ، وشعر الغزل عامة وكذلك شعر الفرسان العرب ، كعنترة بن شداد والشعراء الهلاليين ، وما صاغه الناس من قصص عنهم وعن بطولاتهم الخارقة وشجاعتهم ونبلهم وكرمهم وعدالة نظرتهم إلى أعدائهم .

ولقد دار حوار طويل حول الإقرار بتأثر هذا النوع من الشعر الأوروبى بنظيره العربى الإسلامى من عدمه . وقد امتد هذا الحوار حتى يومنا هذا منذ أن تناول « جيوفانى مارى باريرى » هذا الموضوع فى القرن السادس عشر ، مقراً بفضل العرب حتى على قافية الشعر الأوروبى وأوزانه[٩] ، التى استعاروها من عرب الأندلس . ويعتمد « باريرى » - مثل كل المدافعين عن التأثير العربى فى الأدب الأوروبى - على القس القرطبى الأسبانى « الفارو كوردوفيس[١٠] » الذى كتب فى القرن التاسع ينعى على أبناء عقيدته

(٦) قضية الأصالة لا يمكن أن تتخذ مطية للتعصب على الحقائق التاريخية ، خاصة من يدعون حيادية المنهج العلمى - ومن ناحية ثانية فإن الأصالة ليست نقيض التأثر فيما نرى - وسوف أتطرق إليها بالبحث فى المقبل من أيام بعون الله تعالى .

(٧) انظر : مثلاً فى الأدب الألمانى فى العصور الوسطى : Gottfried Von Stra -3 Bburg : Tristan U.Isolde .

(٨) انظر : Woefram von Eschenbach : Parizival

(٩) توفى عام (١٥٧٤ م) وتناول ذلك فى كتابه : Dell origine della Poesia Rimàta لكن هذا الكتاب لم ينشر الا عام (١٧٩٠ م) .

(١٠) اسمه (ALfaro Cordovese) وكتب ذلك فى قرطبة عام (١٨٥٩) .

قـراءتهم للشعـر العــربى وقصصهم ودراستهم لكتابات العلماء والفلاسفة المسلمـين ، ليس بهـدف معــارضتهـا ونقضها ، وإنما ليتعلموا كيف ينطقون اللغة العربية بأسلـوب سليم أنيق التعبير . (الخ)[١١] .

وشكوى القس القرطبى هذه تعتبر أول تأكيد خطى على التأثير الأدبى للعرب على مسيحيى أسبانيا . ولقد اصطلح علماء الأدب على إطلاق اسم (النظرية العربية) على الحوار الدائم حول تأثير الأدب العربى فى الآداب الأوروبية .

وفى القرن الثامن عشر وجدت النظرية العربية[١٢] مؤيدين . كما وجدت معارضين للإقرار بالتأثير الأدبى العربى فى الآداب الأوروبية ، ولقد كان من أهم مؤيدى النظرية العربية فى القرن الثامن عشر « توماس فـارتــون »[١٣] فى انجلتــرا و «دينيــه وشاتوباريان »[١٤] فى فرنسا و« جوتفرد هيردر »[١٥] فى ألمانيا . وفى القرن التاسع عشر كان أهم معارضى النظرية العربية « فيلهلم شليجل » فى ألمانيا الذى يرفض النظرية بسبب احترام الشخصيات النسـائية ، واختلاف مكانة المرأة عند (الفوربادور) كواسطة للتأثير العربى المؤثر[١٦] . ولا يخفى على العارف بالأدب العربى والآداب الأوروبية سطحية وجهة نظر « شليجل » الذى انساق مع الوهم والادعاء الأوروبى القديم الحديث بأن الشرق الإسلامى لا يقدر المرأة ، ذلك أن « شليجل » بنظرة سريعة غير متعصبة ـ سيرى أن مكانة المرأة فى أدبه الألمانى فى العصور الوسطى ، وفى عصره ذاته أقل بكثير جداً من مكانة المرأة المسلمة وغير المسلمة فى الأدب العربى وفى آداب الشرق الإسلامى عامة ـ ويبدو أن وجهة نظر من وَهْمٍ شىء دائم عند الأوروبيين من أمثال « شليجل » حتى فى أيامنا هذه ، ذلك أن المسلم العربى إما أن يكون أحد شيوخ البترول ولهم فيهم تصور غير كريم ، أو يكون إرهابياً . وبالطبع لا أحد من هذه العينة من البشر يريد أن

←

(١١) انظر : V- Schack, Adolf Friedrich: Poesie und kunst der Araber in Spanien und Sizilien. 2. Bd. Berlin 1865 . S. 96 F.

(١٢) فى عام ١٩٦٦ م أنهى عالم الأدب المقارن العراقى « على يحيى منصور » بحثه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة « هايدل برج » بألمانيا الغربية بعنوان : « النظرية العربية ـ دراسات حول التطور التاريخى لشعر الحب الأوروبى » انظر الأصل الألمانى :

Ali Yahya Mansoor : Die arabischa Theorie - Studien Zur Entwicklungsgeschichte des abendlandischen Minnesangs, Heidelberg, 1966 .

(١٣) انظر كتابه : Warton, thomas : History of English Poetry . London, 1928

(١٤) انظر كتابه : Chateaubriand, Ren´e : Etudes et discours Historiques - 3. Bd . Bruxelle. 1831 .

(١٥) انظر كتابه :

Herder, J. Gottfried : Werke, hrsgg. von Bern hard Suphan. Bd. 18, Berlin 1883 .

(١٦) انظر كتابه :

Schlegel, A.w. : Observation sur la Langue et la Litterature Bro Vencale . Paris 1818 .

(١٧) انظر كتابه :

Burdach, Konrad : über den Ursprung des Mittelalterlchen Minnesangs, diebesromans und Frauenlienstes . Sitzungsberichte der Preuss . Akad . der Wissenschaften, tg . 1918 —

يتريث ليرى أن العربى المسلم واقع تحت نيران الإرهاب الذى صنعوه وصدروه لنا .

وفى القرن العشرين نجد بحثين هامين : أحدهما لعالم الأدب الألمانى « كونراد بورداخ »[17] يؤيد فيه النظرية العربية ،

والثانى لعالم أدبى آخر هو « الفريد بيليت »[18] ينكر فيه مدى التأثير ويهاجم النظرية العربية جملة وتفصيلاً . ويعتمد « بورداخ » فى تأكيده للنظرية العربية على ظاهرتين جديدتين فى شعر العصور الوسطى الأوروبى .

أولاهما : المكانة الجديدة للشاعر الأوروبى كشاعر للقصر أو للأمير وماتبع ذلك من موضوعات جديدة .

وثانيتهما : التصور الجديد للحب كقوة طبيعية أخلاقية المنزع ، يخضع لها الإنسان خضوعا قوياً ويعالجها على هذا الأساس[19] .

ويرد « بيليت » على النظرية العربية متهماً إياها بالتناقض ، ويرى ـ مهملاً للظواهر الأدبية الواضحة ـ أن اختلاف الجنس البشرى وغرابة الأنواع الأدبية وموضوعاتها كانت دائما حاجزاً بين البشر[20] .

و « بيليت » يتحدث عن تصور تاريخى عام ـ لو صح ـ لما عرف شعب أى شعب آخر فى هذا الكون ، ووقائع التاريخ والظواهر الأدبية الواضحة والعلاقات بين شعوب الأرض وأممها والتأثر والتأثير خير دليل على فساد حجة « بيليت » التى اعتمد عليها فى رفضه للنظرية العربية . وأغرب ما فى الأمر أن قضية غرابة اللغة العربية والأدب العربى مازالت قضية مطروحة فى الدوائر العلمية الأوربية حتى يومنا هذا[21] .

وبرغم إقرار الكثيرين من علماء الأدب الأوروبيين بتأثر آدابهم بالأدب العربى ، إلا أن الصوت الرافض مازال هو الأكثر صخباً ، وهو الذى يجد له صدى فى الدوائر الإعلامية . ومايهمنا تقريره هنا هو أن إعلان الحيادية العلمية من منظور المقارن المتعارف عليه إنما هو ادعاء فقط . والدليل على ذلك رفض الكثيرين للإقرار بظاهرة واضحة للعيان من خلال القراءة السريعة للآداب الأوروبية ، ناهيك عن دراستها علمياً ، وهى دراسة

(١٨) انظر كتابه :

Pillet, Alfred : zum Ursprung der altprovensalischen Lyrik . Schriften der Konigsberger Gelehrten Geellschaft . tg 5, Heft4 , Halle 1928 .

(١٩) انظر : المرجع المذكور صـ ٢٨٧ , Burdach Konrad :

(٢٠) انظر : المرجع المزكور صـ ٣٦٠ : Pillet, Alfred

ستثبت ـ كما فعل الكثيرون من أمثال (بورداخ) ـ حقيقة تأثير الأدب العربى فى الآداب الأوربية و(كيفية) هذا التأثير ووسائله ووسائطه ، وأوجه المغايرة أيضا بين المؤثر والمتأثر به .

لقد حاولت فى رسالتى للحصول على الدكتوراه وضع منظور جديد فى الأدب المقارن من خلال دراسة تطبيقية مقارنة لروايات الخمسينيات عند الأديب الألمانى « هاينريش بول » وعند « نجيب محفوظ » من خلال العرض الأدبى للبيئة كوسيلة للنقد الاجتماعى[٢١] . وركزت على مقارنة الظواهر الأدبية من خلال مغزاها ، الذى تعرضه الروايات من خلال تعانق البناء الروائى مع الظاهرة الأدبية اللغوية . وأتصور أننى بذلك قد حاولت تعدى « أزمة المنظور المتعارف عليه » بالاقتراب من الأعمال الأدبية والنظرة المتساوية لطرفى المقارنة بحيادية علمية كانت لها نتائجها الدامغة .

عبد الله أبو هشة

---

(٢١) الرسالة صدرت فى كتاب هو :
Ab'n Hasha, Abd - Allah : Gesllsechaft skritik in dem Romanen de Funfziger Tahre - Untersuchungen zur literischen Darstellung des Milieus bei Heinrich Boll und Nagib Mahfuz . VSG Verlag, Munsteer 1986 .

من خير ما اقرأ

الأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر

عرض سريع لحياة الأوروبيين .. والمسلمين

بعد تنازل نابليون عن العرش بلا قيد ولا شرط فى أبريل ١٨١٤ تجمعت دول أوروبا لتسوية شئونها ثم أعقب ذلك مؤتمرات تسوية ونشأ مايسمى بالاتحاد الأوروبى ، وراحت أوروبا تنظم صفوفها واقتصادها ، وأخذت فى ذلك شوطاً كبيراً من حركات إصلاح نيابية واقتصادية وسياسية وقانونية ودستورية ، وظهر من نتاج ذلك نجاح الوحـدة الإيطاليـة والألمانية ، وظهرت فى الأفق الأوروبى فكرة تحويل كل صراع أوروبى إلى الشرق فلتتحد أوروبا ولتتوجه نحو الشرق فظهر فى الآفاق مايسمى بالمسألة الشرقية ... واستطاعت أوروبا أن تقسم البـلاد الإسلامية ، وأن تتوحد فى القرن العشرين فلـديها السـوق الأوروبية المشتـركة اقتصادياً .

ــ والبرلمان الأوروبى سياسياً .

ــ وتملك زمام الصناعة والتجارة دولياً .

والأمة الإسلامية فى هذا القرن تعيش على نشاط أوروبا الاقتصادى والصناعى .

فهل تاريخنا وإسلامنا يسمح لنا بهذا التمزق والتفرق والله قد قال لنا منذ ١٤ قرناً :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾

(البقرة ١٤٣) .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران ١١٠) .

وقال لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** »(١) .

« سَدِّدُوا وقاربوا وكونوا عباد الله إخوانا »

إن ذلك مايجب أن ننظر إليه فى هذا الجيل فكل أسباب الخلاف القديمة قد مات رجالها وانتهى عصرها والأفق الإسلامى أرحب فى الأخوة الإسلامية والتعاون على البر والتقوى أرحب من كل جدل ومراء يفرق ولا يوحد ويضعف ولايقوى ويفسد ولا يصلح فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

البريطانيون يحذرون
الخمر ضارة جداً وقاتلة

تتصاعد الدعوة لفرض قيود على تعاطى

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

الخمور ودعوة الأفراد إلى التخلى عن هذه العادة السيئة فى أنحاء العالم ، وبخاصة دول الغرب بعد أن تحولت مشكلة إدمان الخمور إلى أخطر مشكلة صحية واجتماعية واقتصادية تطغى على ماعداها من مشكلات فى عشرات الدول .

الأستاذ أحمد بهجت :

تقدر المصادر الإسرائيلية خسائر إسرائيل من الإنتفاضة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار .. إلى جوار ٤٠ مليون دولار شهرياً هى خسائر التجارة الإسرائيلية بسبب مقاطعة الثوار الفلسطينيين لهذه البضائع .

الأستاذ صلاح منتصر :

قرار شجاع

نحن نحيى المهندس سليمان متولى وزير النقل والمواصلات على قراره الشجاع بتخصيص عربات فى قطارات السكة الحديد لغير المدخنين وإلزام من يدخن بإطفاء سيجارته وسداد عشرة جنيهات غرامة فورية لمخالفة قانون الصحة والذوق والأخلاق . هذا القرار نصفق له ونشجعه ونطالب باحترامه وباستمراره فمن عادتنا أن نبدأ متحمسين للشىء ثم بعد فترة نفقد حماسنا له .

وقد انتشرت قرارات عدم التدخين فى كل العالم وفى مقدمتها الدول التى تقدس حرية الفرد وتعتبر هذه الحرية ركناً من أركان الحياة .

مجلة الأزهر :

جميل إنشاء هذا القرار ، وخير منه متابعة تنفيذه .

الأستاذ / نجيب محفوظ :

بين الفناء والبقاء

نحن على درجة من التخلف لا يجوز أن يقبلها شعب كريم . هذه حقيقة تتجلى مثل نور الشمس المحرقة فى يوم قائظ لدى أية مقارنة مع العالم المتقدم فى شتى جوانب الحضارة ولو مضت الفجوة بين العالمين تتسع بنفس المعدل فلا يبعد أن يقضى علينا بالفناء ، أو بأن نعمل فى خدمة المتفوقين كما يعمل الحيوان فى خدمة الإنسان . إنهم يقتحمون الفضاء ويتغلغلون فى جوف الذرة ويتطلعون إلى التحكم فى الوراثة ومازلنا نتعثر فى بناء هياكلنا الأساسية ونجاهد بشق النفس لنيل حقوق الإنسان ومقاومة التهرؤ والانحلال . إن كثيراً من أحلامنا الذهبية لم تعد بالقياس إليهم إلا أشباح أساطير لعصور مظلمة مضت وانقضت . فلنلحق بركب التقدم قبل أن نصير مثلاً من أمثلة التاريخ المأساوية .

الأستاذ / حافظ محمود :

مشكلات التعليم

إن شعار (هذه بلدك) لا يكفى لمعالجة مشكلاتنا . بل لابد أن تعطى للمشارك فى الخدمات مايشعره بأن بلده يعطيه كما يأخذ منه . فلنقرن الجهود الذاتية بمنفعة ذاتية تضمن نجاح المشاريع .

أنباء وآراء

حفل تكريم الفائزين من علماء الدعوة بالأزهر

أقامت الإدارة العامة للدعوة والإعلام الديني بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف مسابقتين عامتين بين السادة الوعاظ بالأزهر الشريف فى « إتقان حفظ القرآن الكريم وترتيله » وفى « العلوم الإسلامية » .

وقد أقيم حفل خاص برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لتكريم الفائزين فى كل من المسابقتين - بمبنى مجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر يوم الاثنين ٦ من ذى القعدة ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٠ من يونية ١٩٨٨ م ، حيث وزعت على الفائزين جوائز سخية وستعقب هذه المسابقة إن شاء الله تعالى مسابقات أخرى .

باكستان : قرار فورى بتطبيق الشريعة الإسلامية

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة فى باكستان ابتداء من أول ذى القعدة ١٤٠٨ هـ ، وقد اعتمد المكتب المسئول عن الشئون الجارية القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية التى أعدها عدد من علماء الإسلام منذ أمد طويل . وصدر الأمر إلى كافة الأجهزة التنفيذية بتنفيذ القوانين الإسلامية الجديدة فوراً .

مجلة الأزهر :
قامت مشيخة الأزهر بتزويد الجهات الإسلامية المختلفة بما أعدته من قوانين فى هذا الشأن عقب طلبها ، وقد اهتم فضيلة الإمام الأكبر نفسه بهذه المطالب وباشر متابعتها بنفسه . والله نسأل أن يحفظ باكستان من كل سوء يراد بالإسلام والمسلمين وأن يوفقها فيما أقبلت عليه . إنه أكرم مسئول .

مؤتمر الغذاء الإسلامي

كشفت الدراسات المقدمة إلى اجتماع خبراء الأغذية والزراعة بمنظمة المؤتمر الإسلامي الذى أنهى أعماله مؤخراً : أن هناك فجوة كبيرة بين إنتاج الغذاء واستهلاكه فى الدول الإسلامية ، وأن العالم الإسلامي يعتمد فى غذائه على العالم الخارجى .

أكدت الدراسات أن هناك (٩٥٨) ألف مليون هكتار فى العالم الإسلامى من الأراضى القابلة للزراعة لا تجد من يستثمرها ، بالرغم من كل الإمكانات التى يمتلكها العالم الإسلامي .

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح

وطالبت إحدى الدراسات المقدمة للمؤتمر بإنشاء اتحاد إسلامى دولى لحماية المستهلكين بالدول الإسلامية، وقد قرر المؤتمر إنشاء شبكة للمعلومات لتحقيق التعاون بين الدول الإسلامية فى مجال الاكتفاء الذاتي من الغذاء.

وصرح الدكتور عادل بلتاجى وكيل وزارة الزراعة ومقرر الاجتماع أن توصيات ونتائج هذه الاجتماعات سوف تعرض على مؤتمر وزراء الزراعة فى الدول الإسلامية الذى سينعقد فى إسلام أباد فى شهر ربيع الأول، أكتوبر القادم.

ماليزيا: مؤتمر عن الجامعات الإسلامية

يعقد بماليزيا فى صفر سبتمبر القادم مؤتمر للجامعات الإسلامية. يناقش المؤتمر دور الجامعات الإسلامية فى الحفاظ على التراث الإسلامي وتخريج جيل جديد من الدعاة الإسلاميين. والمشاكل التى تواجه هذه الجامعات، والأسلوب الأمثل لنشر الفكر الإسلامي الصحيح.

مجلة الأزهر:

أهم مشكلة تعترض أكثر الدعاة فى هذه البلدان مشكلة تواجه الدعاة من أبناء الأقليات الإسلامية. حيث يحصل الداعية على شهادة تقرر تخصصه فى ميدان الدعوة الإسلامية، وهى شهادة لا تتيح له العمل فى هذه المجتمعات فيبقى كَلًّا عاطلاً .. نسأل الله ـ العزيز الكريم ـ أن يواجه هذا المؤتمر هذه المشكلة بعلاج جذرى حاسم يوفر لهذا الداعية كرامته الإنسانية فى عمل لائق به متخصص فيه إلى جانب عمله فى الحقل الإسلامي.

مركز البحوث الإسلامية العربية فى أمريكا وكندا يواجه تحديات المستشرقين

يواجه مركز البحوث الإسلامية العربية فى أمريكا وكندا مجموعة من التحديات ومن أخطرها مواجهة المستشرقين، ويواصل المركز جهوده فى هذا المضمار بإنشاء مركز علمى يحاول انتشال الباحثين الكنديين والأمريكيين من براثن المستشرقين المغرضين الذين سمموا أجواء الدراسات الإسلامية والعربية بما كتبوا وما لفقوا، ويحاول المركز ألا تكون سمومهم المصادر التى يرجع إليها الدارسون في حقول المعرفة الإسلامية والعربية من الغربيين.

كما يقوم مركز البحوث الإسلامية العربية بإعداد الدراسات والبحوث التى تعالج قضايا الفكر الإسلامية فى مجالات القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وآدابها والتاريخ والحضارة الإسلامية.

وكذا تيسير وسائل وأدوات الدراسات والبحوث الإسلامية التى يقوم بها الباحثون فى شمال أمريكا ومساعدتهم على توفير المصادر

←

أنبـــاء وآراء

والمراجع المتعلقة ببحوثهم ، والعمل على توثيق الـروابط الثقـافيـة والعلميـة بـاللقـاءات والمحاضرات والندوات والنشرات .

المسلمـون يتزايـدون

أكدت صحيفة الاكسبريس اليوغسلافية على التقرير الذى يشير إلى تزايد اعتناق الأوروبيين والأمريكيين للدين الإسلامي ، وأكدت أن المسلمين سوف يشكلون بعد ثلاثة قرون فى الولايات المتحدة أغلبية تزيد على عدد اليهود هناك ليصبح الدين الإسلامي الدين الثاني فى أمريكا الشمالية ..

مجلـة الأزهـــر :

مثل هذه الأخبار تعد إنذاراً وتنبيهاً لأعداء الإســلام ليستعـدوا لـمواجهـة الإســلام والمسلمين ، كل فى دائرة سياسة عامة لا تريد إسلاماً ولا مسلمين . وقد نشرت مجلـة الكريستيان ساينس مونيتور التوصية التالية لقس نصرانى استعرض أعمال المبشرين في أفريقيا ، وقد هاله اعتناق الكثير للإسلام فقال :

« وأخشى أن نظل هكذا ننفق الأموال الطائلة ، ونبعث بأبنائنا إلى مجاهل أفريقيا فى الوقت الذى تسلم فيه قلاع المسيحية فى أفريقيا للإسلام . إن علينا أن نتخذ قراراً حـاسماً وعمليـاً » .... أليس فى ذلـك الكفاية ؟ !

انظر للأستاذ عبد الواحد الإمبـابى ـ الإسلام فى أفريقيا ص ٦٢ العدد ١٣ سلسلة كتب إسلامية ـ وزارة الأوقاف ..

تايلانـد : كلية للدراسـات الاسـلامية

تقرر إنشاء كلية الدراسات الإسلامية بمعهد نهضة العلوم بولاية جالا جنوب تايلاند وهذا المشروع يشتمل على أربعة مبان منها مبنى لحجرات الدراسة ويتكون من ثلاثة طوابق بها ٢٤ حجرة ومبنى لسكن الطلبة ويتكون من ثلاثة طوابق ومبنى مخصص لسكن هيئة التدريس ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

ويأتى هذا المعهد لخدمة أبناء ولاية جالا التايلاندية حيث يبلغ عدد المسلمين ٨٥٪ من إجمالى تعداد سكانها .

هذا وتتضمن برامج الكلية برنامج دراسة جامعية فى الشريعة الإسلامية واللغة العربية وبرنامج تدريب مهنى وفنى فى عدد من المجالات مثل الهندسة والكمبيوتر .

وكان البنك الإسلامي للتنمية قد قدم منحة قدرها مليون و٢٠٠ ألف دولار أمريكى لتغطية تكاليف مشروع إنشاء كلية الدراسات الإسلامية .

تنقية المناهج الدراسية

●● أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف على ضرورة تنقية المناهج الدراسية

الحالية في العالم الإسلامي من كل ما يخالف الدين الحنيف .

وقال الدكتور نصيف : إنه من اللازم أن يعنى بتقديم تلك المناهج إلى الشباب على أسس إسلامية رشيدة بحيث تكون سهلة ميسورة لا يجد فيها ما ينفره منها أو يبعده عنها .

ومن الضرورى أيضاً أن يتعلم أبناء المسلمين العلوم الشرعية بجوار العلوم الحديثة ، وأن يتخصصوا فيها بحيث يجد الطبيب والمهندس ورجل الاقتصاد من علوم الدين ما يؤهلهم لحمل راية الإسلام فى المجتمعات التى يعملون بها .. فالإسلام دين علم ، وعصرنا هذا يحتاج إلى قوة تؤثر فيه ، ولن يكون للمسلمين أثر فى عصرهم الحالى ما لم يتزودوا بقوة الإسلام وعلومه وعلوم العصر .

جامعة عليگرة : ندوة علمية

عقدت ندوة علمية فى جامعة عليگرة الإسلامية تحت رئاسة فضيلة الشيخ محمد تقى الأميني رئيس القسم الديني السابق ، قدم فيها رئيس القسم الديني الحالى سعود عالم القاسمى مقالته : (دراسة لخدمات المحدث الكبير الشيخ ولى الله الدهلوى » .

وذكر أن الشيخ ولى الله قد خلف ٥٢ كتاباً وقام بنشر علوم القرآن . وقدم الشيخ ولى الله الإسلام للناس بالدلائل العقلية ، وله بحث تفصيلي على النظريات فى كتابه « الخير الكثير » ، ولم يرض فى التصوف أية بدعة ومحدثة ، وأنكر أشد الإنكار على أن تكتسب الدنيا باسم التصوف .

هيئة للفتوى بالاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية

قرر الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية تشكيل هيئة عليا موحدة للفتوى والرقابة الشرعية . شمل تشكيل الهيئة رؤساء هيئات الرقابة الشرعيــة فى البنوك الأعضاء ، بالإضافة إلى تسعة أعضاء يمثلون المذاهب الشرعية المختلفة وتضم الهيئة ثلاثة من كبار الفقهاء بالمجمع الفقهى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي وهم : الشيخ محمد الحبيب بلخوجة أمين عام المجمع الفقهى والدكتور عبد الله أبو زيد وكيل وزارة العدل السعودية والشيخ محمد المختار السلامى مفتى تونس . كما تضم ستة أعضاء يمثلون المناطق الجغرافية للبنوك الإسلامية وهم : الشيخ محمد خاطر مفتى مصر الأسبق ، والشيخ محمد تقى عثمان عن باكستان وبنجلاديش والشيخ خليل صبيح عن تركيا ، والشيخ أحمد على عبد الله عن السودان ، والشيخ مالك سى عن غرب أفريقيا ، والشيخ عبد الله بن منيع عن منطقة الخليج العربي .

الفهرس السنوى للمجلد الستين ١٤٠٨ هجرية
مرتبا حسب الحروف الهجائية (١)

(المقالات)

حرف الألف

الابراهيمية فى دعوة جديدة	١٧٥
إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة	٣٧٠
أحزان أولى القبلتين (شعر)	١١٩٣
إخاء (شعر)	٧٥
الأدب المقارن	٩٤٠
أزمة المنظور المتعارف عليه	١٢٤٢، ١٣٩٢، ١٥٣٤، ١٦٦٠
أرحنا بها (شعر)	٣٣٦
أزمة الاستشراق الهولندى	١٥٦، ٤٤٦
الأزهر يتبرأ من الاحتفال بوفاء النيل	٤١٤
الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة	٥٨٢
الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين	١٠٤٢
الإسراء والمعراج فى السنة المطهرة	٨٤٠، ١١٦٣، ١٣١٨
الإسلام قوة صامدة وعلم راسخ	٧١٨
الإسلام والألبانيون فى يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية	٤٦٢، ٧٢٤، ٨٦٧
أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل	٧٨٨، ١٢٢٦
الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم	٦٨، ٢٠٢، ٣٢٢، ٦١٦، ٧٦٦، ٩٠٤، ١٤٩٨
الإعصار (شعر)	٦١٢
الإعلام الإسلامى واليقظة المأمولة	٧٥٢
اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية	١٠٨٥
ألبانيا والإسلام	٤٦٣، ٧٢٤
(الجارم) الشاعر: العملاق والروافد	١٣٤٠
الربعى وآراؤه النحوية	٩٣٢، ١٢٢٩، ١٦٥٦

(١) جرى الترتيب على نظم الحروف الهجائية بدون اعتبار (ال) في اسم المقال . فعلى الباحث فى هذا الفهرس أن يسقط (ال) من اسم المقال وينظر مايليه . وإذا كان (ال) فى عَلَم فإنه يعتد به ويدرج فى باب الألف .

اعداد : أبــو القــاسم عبــد الكــريم عبد الموجود
كمــال الدين عبــد اللطيف السيد

إلى الكلمة (شعر) ١٤٩٤
إلى الحجيج (شعر) ١٦٣٥
إلى المسلمين فى عيد الأضحى المبارك ١٤
الأمانة الأمانة أيها المُعَرّبون ٣٣٢ ، ١٣٨٧
إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث ١٥١٨
أنا مسلم (شعر) ٦١٣
أنباء وآراء ١٠٨ ، ٢٣٧ ، ٣٧٦ ، ٥٢١ ، ٦٦٥ ، ٨٠٦ ، ٩٥٤ ، ١١١٢ ، ١٢٥٢ ، ١٣٩٩ ، ١٥٤٣ ، ١٦٦٨
أوائل الشهور العربية ١٥٨٩
أوركسترات الحشرات ٩١٣ ، ١٢٠٤
أويس الزمان (شعر) ١٣٤٨
آية الله فى سبأ حضارة العرب : سد مأرب – سيل العرم ١٢٨٩
أيها الماضى الجميل (شعر) ٤٨٤

حرف البـــاء

بأسم الله (شعر) ٣٣٩
بالهجرة قامت دولة الإسلام ٢٠
بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار ٦٤١
بكائية على عصفور (شعر) ١٣٤٩
بيان من الأزهر فى أحداث الحرم المكى ١٧
بيع المرابحة فى ضوء التطبيق المصرفى الحديث ١٦٤

حرف التـــاء

تبارك الله (شعر) ٧٨
تذكرة وتهنئة فى عيد الفطر ١٢٧٣
الترابط بين الأسرة والأمة ٣٧
التربية العسكرية فى الإسلام ١٦٩ ، ٥٩٠
تضرع ورجاء (شعر) ١١٩٥
تطبيقات الحاسب الآلى ١٦٤٣
التعاطف بين الآباء والأبنـــاء ٧١١
التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج ١٠٧٠

التفسير الميسر للقرآن الكريم ٢٨
تكذيب الرسل ١٢٩٤
تكلمى يامنارة الأزهر ٢٧٠
التنسيق بين أجهزة الدعوة والإغاثة ١٠٥٦
تنسيق الجهود من أجل إعداد داعية واع ١٠٦٢

حرف الثـــاء

....
....
....

حرف الجيـــم

جراحك منك (شعر) ٤٨٦
جمر بقبضتى (شعر) ٩٠٢
الجوار بعد أبى طالب ٦٨٩، ٨٣٣، ١١٢٩
جوار المطعم بن عَدِىّ ١٢٧٦

حرف الحـــاء

الحاسب الآلى ٧٧٠، ٩٠٩، ١٣٦٠، ١٦٤٣
حَبْسُ المدين فى الفقه الإسلامى ١٣٤، ٢٦٢
الحج والعمرة دعوة الله المتجددة للإنسانية ١٥٧٨
الحرب والسلام فى الفكر اليهودى ١١٨٧
حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ١٠٣٥
الحسد المحمود ١٥٣
حفظ الله السودان ١٦٠، ٣٠١، ٤٣٩، ٧٤٧، ٨٨٠
حفل افتتاح المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ٩٨٧
حوار إبراهيم مع أبيه حول آلهته ٤٢١
حول المحل الإعرابى والإعراب المحلى ٥٠٢

حرف الخـــاء

خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى وفلسفة العلوم الطبيعية فى التراث الإسلامى ١١٩٨، ١٣٥٤، ١٥٠٣
خطبة الجمعة : « خطة الإخاء الإسلامى » ٩٨١
خطورة الصراع الدينى فى أفريقيا ٤٥

حرف الدال

دراسة قرآنية :
أ ـ سوء الظن ينافى كمال الإيمان ٤١٥
ب ـ لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ٦٩٦
جـ ـ النداء من وراء الحجرات والتثبت من رواية الفاسق ٥٥٢
الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع والقتال قبل غزوة بدر الكبرى ١٣٠٤، ١٤٥٥
الدعوة إلى الله بين المنهج والغاية ١٠٩٠
الدعوة والدعاة ١٠٩٦

دور المصارف الإسلامية فى الحد من التضخم ١٤٣٨

الدولة الإسلامية : الحقوق الاجتماعية ٥٤ ، ٤٥١

ديانة السيخ هندوكية إسلامية ١٣١٠

حرف الذال

الذوق العربى وظاهرة الإنسجام الصوتى فى ضوء معطيات علمى الصرف والأصوات ٦٤٦ ، ٩٣٦ ، ١٣٧٤

حرف الراء

رؤية جديدة فى صيغتى المدح والذم ٥١٣ ، ٦٥٦

الرابطة بين محمد ﷺ وأتباعه ٥٥٦

راض عن الله (شعر) ٣٤٠

رجال القراءات العشر :

الإمام ابن عامر الدمشقى ٧٠١

الإمام أبو جعفر المدنى ١٤٤٤

الإمام أبو عمرو بن العلاء البصرى ٥٦٨

الإمام حمزة الكوفى ١١٥٧

الإمام عاصم بن أبى النجود ٨٥١

الإمام عبد الله بن كثير المكى ٤٢٩

الإمام الكسائى ١٢٩٧

الإمام نافع ٢٧٧

الإمام يعقوب البصرى ١٥٩٣

الرحلات فى عالم الحشرات . ٦٢١

رد الامام الأكبر على ثروت أباظة ٢٧٣

رد هادىء على نقد مستفز ٧٩٩

الرسالات السماوية بين التطور والتجديد ١٤٧

٣٠٥

٥٩٦

الرسول ﷺ ينتزع المبادأة من يد أعدائه ٨٦١

رمضان شهر الخيرات والبركات والانتصارات العظيمة ١١٥٢

رمضان شهر الله (شعر) ١١٩٦

رمضان شهر النصر (شعر) ١١٩٤

حرف الزاى

حرف السين

سجدة فى طريق النور (شعر) ٧٦٣

سراقة بن مالك (شعر) ٣٤١

سيادة المهندس وزير الصناعة سدد الله خطاك ٤٤

سياسى موفق وداعية ناجح « السير أحمد وبللو» رئيس وزراء شمال نيجيريا الأسبق ٤٩

حرف الشين

شجرة جرداء بين أشجار خضراء (شعر) ١٨٩

شخصية عالم الدين فى الرواية العربية ١٥٢٦

شعر المعارك الإسلامية زمن رسول الله ﷺ ١٢٣٤

الشفاعة (شعر) ١٣٥٠

شهر الصيام تحية وسلام (شعر) ١١٩٢

←

766 ، 904 ، 1498 ، 1638

حرف الصـــاد

صدق الله ورسوله ﷺ وصدقنا 129

صيام رمضان بين أحكامه وحكمه 1136

حرف الضـــاد

ضمانات الحقوق والحريات فى الدولة الإسلامية 1462

حرف الطـــاء

طرائف ومواقف ..... 82 ، 210 ، 342 ، 494 ، 630 ، 774 ، 924 ، 1208 ، 1366 ، 1524 ، 1646

طفل الحياة (شعر) 614

حرف الظـــاء

حرف العين

عاقبة الطغيان (شعر) 1496

العلمانية ضياع للدين والدنيا 458

العلوم الكونية ..... 68 ، 202 ، 322 ، 616

على باب التوبة (شعر) 482

على هامش النقد :
بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار 507

حول زوجات الرسول ﷺ 94

علية الجعار وديوان غريب أنت ياقلبى 944

العنكبوت ..... 205 ، 326

عودة القدس 1014

حرف الغين

حرف الفاء

فاطمة الزهراء رضى الله عنها 1284

الفتاوى ..... 60 ، 316 ، 470 ، 601 ، 892 ، 1352 ، 1482 ، 1619

فرحة العيد 1585

فصبر جميل 858

فلسفة العلوم الطبيعية فى التراث الإسلامى :
دراسة مقارنة فى المنهج العلمى 1354

فى جنة القرآن (شعر) ١٣٥٠

فى السحر (شعر) ٧٦٢

فى ظلال الجوار ٤٠١ ، ٥٤٥

فى الليل (شعر) ١٦٣٤

فى موكب الدعوة والدعاة ١٠٧٦

فى موكب النور (شعر) ٩٠١

حرف القاف

القارىء (شعر) ١٨٨

القدوة العليا كرم رسول الله ﷺ ٢٩٠

قراءة فى كتاب الذمى ١٤٦٨

القرآن والمرأة ٥٥٨

القرآن الكريم ومعرض تورينو ١٠٥٤

قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الحادى عشر ١١٠١

قضايا إملائية ولها جذور نحوية ٣٥٥

حرف الكـــاف

الكسب الحرام والتخلص منه ٧٣٨

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والأمين العام للمؤتمر الحادى عشر ٩٩٠

كلمة رئيس جامعة الأزهر ٩٨٨

كلمة السيد رئيس جمهورية مصر العربية ١٠٠٧

كلمة عن الوفـــود ٩٩٧

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٠٤

الكون والكونيات فى القرآن الكريم ١٦٣٨

حرف الـــلام

لست ترقى (شعر) ٧٦٤

اللغة العربية أصلها ونشأتها تطورها وسر خلودها ٣٤٦

لغتنا بين النقد والتاريخ ١٣٦٨ ، ١٥١٣

لقمان والآثار فيه ١١٧٥

حرف الميـــم

مالك بن نمط الهمدانى صحابيا وشاعراً ٧٤٣

مجلة الأزهر من خمسين عاما "مجلة الأزهر" من روائع الماضى): تكملة ٧٩ ، ١٢ ، ٣٣٢ ، ٤٩٦ ، ٦٣٢ ، ٧٧٦ ، ٩١٩ ، ١٢١٨ ، ١٣٦٨ ، ١٥١٣ ، ١٦٤٨

محددات الصراع ضد الإسلام ١٦١٣

مدخل إلى الأدب الإسلامى ٢٣٠

مد وجزر (شعر)	٣٣٨
المديح النبوى زمن النبى ﷺ	٣٦١
المرأة المسلمة وأدوات تجميلها (شعر)	١٩٢
المسجد الجامع فى ماليزيا	١١٧١
المسلمون فى هولندا	١٣١٦
مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية	١٠٤٩
مسئولية الشعراء فى الإعلام الإسلامى	٢٢٥
مسئوليتنا نحو أبنائنا	١٤٧٧
مشاكل المعدة فى مصر	٤٨٨
مصطفى صادق الرافعى فى عقد فرائضه (وحى القلم)	١٣٨٠
مصطفى صادق الرافعى العبقرى المنسى	٧٩٦
مطلع النور وميلاد أمة	٤١٠
مع أعضاء المؤتمر	٩٨٠
مع الحافظ جلال الدين السيوطى	١٥٩٩
مع « لا » الناهية فى القرآن الكريم	٨٦
	٢١٨
مفهومية الإسلام لدى الغرب	٤٣٤
	٨٧٦
	١١٨٠
مقدمة قبل الهجرة	١
	٢٥٧
مقدمة لصحافة إسلامية	١٤٣٠
مناجاة ربانية (شعر)	١٣٥١

من أحداث السيرة النبوية	٢٩٥
وحدة الأمة فى وثائق المؤاخاة والموادعة	
من أسرار الصيام وحكمته	١١٤٦
من توجيهات النبى ﷺ فى الصوم	١١٤١
من أعلام الأزهر	
أحمد شفيع السيد (الأديب الشاعر الراوية)	٦٠٤
	٧٥٥
عبد الرحمن محمود قراعة مفتى الديار المصرية	١٢١٠
الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء	١٣٣٢
عبد السميع شبانة	٩٢٦
على يوسف شيخ الصحافة المصرية	١٨٠
	٤٧٤
محمد أحمد عبد الله (شمس الدين)	١٦٢٢
د / محمد عبد الرحمن الكردى	١٦٢٨
محمد عبد الله ماضى (الدكتور)	٣١٨
محمد خليل الخطيب العلامة شاعر الرسول ﷺ	٦٣
مصطفى عبد الرازق (الإمام الأكبر)	١٤٨٤
من الحقوق العامة للإنسان فى الإسلام	١٦٠٥
من خير ما كتب	١١١
	٢٤٠
	٣٨٤
	٥١٨
	٦٦٢
	٨٠٢

من خير ما نشر	٩٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٣٩٦ ، ١٥٤٠ ، ١٦٦٦
من روائع الماضى بمجلة الأزهر : أنظر (مجلة الأزهر من خمسين عاما)	
من الظلام إلى النور (شعر)	٧٤
من قضايا اللسان العربى إمام النحاة	١٣٨٧
وقضية الاستشهاد بالحديث	١٥١٨
المقهـــى (شعر)	١٦٣٦
من كبار المستشرقين توماس أرنولد	٣٤
من مفاهيم تلوث البيئة	٤٩١
من المناظرات بين المسيحية والإسلام	٥٧٧
منهج الدعوة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبويـــة	١٠٨١
من وحى الإسراء والمعراج (شعر)	٩٠٠
من وحى الهجرة (شعر)	٧٢
مولد محمد ﷺ حدث كبير فى تاريخ البشرية	٢٨٤
حرف النـــون	
نحو بيت سعيد	٥٦٢
نحو تربية إسلامية صحيحة	٨٨٦
ندوة وأحكام	١٤١٧ ، ١٥٦١
نساء فى تاريخ الإسلام : كريمة المروزية فقيهة مكة فى القرن الخامس الهجرى	١٤٥٠
النساء فى العهد النبوى	٧٩
النظام السياسي فى إسرائيل	٧٣١
نظرات فى ديوان أعاصير وأنسام	١٩٣
نظرات فى القوة الذاتية للإعلام فى بلاد المسلمين	١٠٠
نظرية جديدة فى اللغة	٦٣٨
النمو والتطور فى الطفل	١٥٠٩
حرف الهـــاء	
هذا المؤتمر	٩٧٧
الهجرة كانت تجاوزاً لعوامل القهر وتحولا إلى مواقع النصر	١٠
هل كان عند العرب فقه قبل الإسلام ؟	٢١٢
هل هو التجنى على الشيخ حسين المرصفى ؟	٩٧
هنا المؤمنون (شعر)	١٤٩٢
حرف الـــواو	
وارحمتاه (شعر)	٧٦
الوصايا	١٤٧٣
الولاية الشرعية للأمن فى الحرمين الشريفين	١٠٢٣
وللرافعى فى شهر الصوم سبحات ونفحات	١٢٣٨
ولنا ـ فى ذلك ـ كلمة	٣١١
حرف اليـــاء	
ياليل لا تحزن (شعر)	١٩٠
يد الله مع الجماعة	١٤٣

فهرس الكتاب
مرتبا حسب الحروف الهجائية

حرف الألف	
إبراهيم الجبالى (الشيخ)	٤٩٦، ٧٧٦
إبراهيم الدسوقى مرعى (الشيخ)	١٠٥٦
إبراهيم عطوة عوض (الشيخ)	٢٧٧، ٤٢٩، ٥٦٨، ٧٠١، ٨٥١، ١١٥٧، ١٢٩٧، ١٤٤٤، ١٥٩٣
إبراهيم عوضين (الدكتور)	٩٧
أبو زيد إبراهيم سيد (الشاعر)	٦١٣
أحمد بلقاج آية وارهام (الشاعر)	٧٤
أحمد حسن جابر رجب (الشيخ)	١١٤٦
أحمد عامر (الشاعر الدكتور)	١٩٠
أحمد عبد الرحيم السايح (الدكتور)	١٠٨، ٢٣٧، ٣٧٦، ٥٢١، ٦٦٥، ٨٠٦، ٩٥٤، ١٠٣٥، ١١١٢، ١٢٥٢، ١٣٩٩، ١٥٤٣، ١٦٦٨
أحمد عزت البرادعى (الأستاذ)	٦٣
أحمد على الجارم (الدكتور)	١٣٤٠
أحمد فؤاد باشا (الدكتور)	١١٩٨، ١٣٥٤، ١٥٠٣
أحمد محمود مبارك (الأستاذ)	٣٣٨، ٤٨٦، ٧٦٤، ٩٠٢، ١٤٩٦
إسماعيل يحيى (الأستاذ)	٤٨٢
السيد حسن قرون (الأستاذ)	٩٤، ٣٧٠، ٥٠٧، ٦٤١، ١٢٨٤
السيد رزق الطويل (الدكتور)	١٣٨٧، ١٥١٨
السيد عبد المقصود عسكر (الشيخ)	٥٦٢، ١٤٧٣
أنور الجندى (الأستاذ)	١٠٤٩

إعداد : حسن سليم حسن صالح
محمد عبد اللطيف عثمان

أيمن محمد ميدان (الأستاذ) ٧٤٣

إيهاب محمد مهدلى (الأستاذ) ١٥٦ ، ٤٤٦ ، ١٣١٤ ، ١٤٦٨

حرف الباء

بكرى ياسين إبراهيم (الدكتور) ٤٥٨

حرف التاء

توفيق إسلام يحيى (الشيخ) ٤٦٣ ، ٧٢٤ ، ٨٦٧ ، ١٢١٠ ، ١٣٣٢

توفيق محمد شاهين (الدكتور) ٧٣٨

حرف الثاء

ثروت أباظة (الأستاذ) ٢٧٠

حرف الجيم

جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر) ١٠ ، ١٤ ، ١٣٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٩٨١ ، ١٠٠٤ ، ١٢٧٣

جليلة رضا (الشاعرة) ١٩٣ ، ١٤٩٤

جمال الدين محمود (الأستاذ المستشار) ١٠٧٠

حرف الحاء

حامد طاهر (الدكتور) ٧٩٩

حسن على العُنَيْبِسى (الأستاذ) ١٠٠ ، ١٤٣٠

حسن منصور (الشيخ) ٩١٩

حمدى وهبة شعراوى ١٥٨٩

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

رءوف شلبى (الدكتور) ٥٥٨ ، ١٠١٤ ، ١٠٦٢ ، ١١٧١

رشاد محمد يوسف (الأستاذ الشاعر) ٧٢ ، ٣٣٦ ، ٦١٤ ، ٧٦٣ ، ٩٠١ ، ١١٩٢ ، ١٤٩٢

ر . ف . أشلى الدكتور) ٩١٣

اوركسترات الحشرات ١٢٠٤

حرف الزاى

زكريا أحمد نور (الشيخ) ١٧٥

حرف السين

سحر النجار (الدكتورة) ١٥٠٩

سعاد حسين البيلى (الدكتورة) ٧٧٠ ، ٩٠٩ ، ١٣٦٠ ، ١٦٤٣

سعد منصور عرفة (الدكتور) ٩٣٢ ، ١٢٢٩ ، ١٦٥٦

سهام إسماعيل حجى (الشاعرة) ١٩٢

حرف الشين

شلتاغ عبود شراد (الدكتور) ١٥٢٦

حرف الصاد

صادق إبراهيم عرجون (الشيخ) ١٣٦٨ ، ١٥١٣

صفوت عبد الجواد (الأستاذ) ١٠٨ ، ٢٣٧ ، ٣١٨ ، ٦٦٥ ، ٨٠٦ ، ١٣٥٢ ، ١٤٨٢ ، ١٦١٩

حرف الضاد

حرف الطاء

طه محمد الساكت (الأستاذ) ٧٩

طلعت أحمد على محسن (الدكتور) ١٠٤٢

حرف الظاء

حرف العين

عادل رفاعى خفاجة (الأستاذ) ٢٣٠ ، ٨٠٢ ، ١٢٤٨ ، ١٣٩٦ ، ١٥٤٠ ، ١٦٦٦

عاطف شحاته زهران (الأستاذ) ٢٢٥ ، ٧٥٢

عباس رشدى العمارى (الدكتور) ٧٣١

عبد الجليل شلبى (الدكتور) ٣٤ ، ٥٧٧ ، ١٣١٠

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى (الأستاذ) ٢٩٠ ، ٨٨٦ ، ١١٤١ ، ١٥٩٩

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم (الأستاذ) ٨٢ ، ٢١٠ ، ٣٤٢ ، ٤٩٤ ، ٦٣٠ ، ٧٧٤ ، ٩٢٤ ، ١٢٠٨ ، ١٣٦٦ ، ١٥٢٤ ، ١٦٤٦

عبد الحكم عبد القوى حسن (الشيخ) ٤٩

عبد الحكيم حسن نعناع (الشيخ) ١٠٧٦

عبد الحليم الجندى (الأستاذ المستشار) ١٠٨٥

عبد الحليم حفنى (الدكتور) ١٦٢٨

عبد الرءوف محمد عثمان (الدكتور) ٣٥٥ ، ٥٠٢

عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب (المشير) ٩٩٧

عبد الحميد السيد شاهين (الشيخ) ٦٠ ، ٣١٦ ، ٤٧٠ ، ٦٠١ ، ٨٩٢ ، ١٣٥٢ ، ١٤٨٢ ، ١٦١٩

عبد الحميد محمد على ندا (الشيخ) ٨٤٠ ، ١١٦٣ ، ١٣١٨

عبد الستار سليم (الشاعر) ١١٩٦

عبد العزيز على صالح رضوان (الدكتور) ٨٦ ، ٢١٨

عبد العظيم حامد هلال (الدكتور) ٥١٣ ، ٦٥٦

عبد الغفار حامد هلال (الدكتور) ٧٨٨ ، ١٢٢٦

عبد الفتاح السيد عبد السلام (الأستاذ) ١١١ ، ٢٤٠ ، ٣٨٤ ، ٥١٨ ، ٦٦٢ ، ٨٠٢ ، ٩٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٣٩٦ ، ١٥٤٠ ، ١٦٦٦

عبد الفتاح الشيخ (الدكتور) ٩٨٨

عبد الفتاح حسين الزيات (الأستاذ) ٧٩ ، ٢١٢ ، ٣٣٢ ، ٤٩٦ ، ٦٣٢ ، ٧٧٦ ، ٩١٩ ، ١٢١٨ ، ١٣٦٨ ، ١٥١٣ ، ١٦١٩

عبد الفتاح عبد الله بركة (الدكتور) ٩٩٠

عبد الله مبروك النجار (الدكتور) ١٠٢٣ ، ١٠٩٠

عبد الله محمد أبو هشة (الدكتور) ٩٤٠ ، ١٢٤٢ ، ١٣٩٢ ، ١٥٣٤ ، ١٦٦٠

عبد الله نجيب محمد (الدكتور) ٤٠٥ ، ١٦١٣

عبد المنصف محمود عبد الفتاح (الشيخ) ١٠٨١ ، ١١٥٢

عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار (الدكتور) ٧٨٨ ، ١٢٢٦

عبد المنعم عبد الله محمد (الدكتور) ٦٤٦ ، ٩٣٦ ، ١٣٧٤

عبد الودود شلبى (الدكتور) ١٦٠ ، ٣٠١ ، ٣٧٠ ، ٤٣٩ ، ٧٤٧ ، ٨٨٠

عطية صقر (الشيخ) ٨٩٢

على أحمد الخطيب (الدكتور) ١، ٤٤، ١٢٩، ٢٥٧، ٣١١، ٤٠١، ٥٤٥، ٦٨٩، ٨٣١، ٩٧٧، ٩٨٠، ٩٨٧، ١٠٥٤، ١١٢٩، ١٢٧٦، ١٤١٧

عليه الجعار (شاعرة) ٧٨، ٣٣٩، ١٣٥٠

على مؤنس (الدكتور) ٤٨٨

حرف الغين

غريب محمد على (الدكتور) ٣٦١، ١٢٣٤

حرف الفاء

فكرى ياسين (الشيخ) ٢١٢

فوزى محمد طايل (الدكتور) ٥٤، ٤٥١، ٧٣١، ١٤٦٢

حرف القاف

حرف الكاف

كارم السيد غنيم (الدكتور) ٢٠٥، ٣٢٦، ٤٩١، ٦٢١، ٩١٣، ١٢٠٤، ١٦٣٨

حرف اللام

حرف الميم

مجاهد توفيق الجندى (الدكتور) ٥٨٢

مجدى عبد الفتاح سليمان (الأستاذ) ١٦٤، ١٤٣٨

محمد إبراهيم الفيومى (الدكتور) ٤٣٤، ٨٧٦، ١١٨٠

محمد الليثى على محمد (الأستاذ) ٢٩٥

محمد أمين الشيخ (الشاعر) ٣٤١

محمد جمال الدين الفندى (الدكتور) ٦٨، ٢٠٢، ٣٢٢، ٦١٦، ٧٦٦، ٩٠٤، ١٤٩٨

محمد جمال الدين محفوظ (اللواء) ١٦٩، ٥٩٠، ٨٦١، ١٣٠٤، ١٤٥٥

محمد حافظ سليمان (الشيخ) ٣٧، ٧١١

محمد حسنى مبارك (الرئيس) ١٠٠٧

محمد رجب البيومى (الدكتور) ٢٨ ، ١٨٠ ، ٤٧٤ ، ٦٠٤ ، ٧٥٥ ، ١٦٢٢

محمد زكى إبراهيم (الشيخ) ٣٤٠ ، ٧٦٢ ، ١١٩٥ ، ١٣٤٨ ، ١٦٣٦

محمد شامة (الدكتور) ١٤٧ ، ٣٠٥ ، ٥٩٦

محمد صابر البرديسى (الأستاذ) ٥٥٦ ، ٨٥٨ ، ١٥٨٥

محمد عبد الخالق ندا (الأستاذ) ١٨٩

محمد عبد الرحمن صان الدين (الشاعر) ٧٦ ، ٤٨٤ ، ٧٩٦ ، ١٢٣٨ ، ١٣٨٠ ، ١٦٣٤

محمد عبد السميع شبانة (الأستاذ) ٩٢٦ ، ١٤٧٧

محمد عبد العزيز عبد اللطيف (الأستاذ) ١١٨٧

محمد عبد العليم العدوى (الدكتور) ١٠٩٦

محمد عبد المنعم خفاجي (الدكتور) ٦٣٨

محمد عبد المنعم عبد الكريم (الدكتور) ٣٤٦

محمد عزت الطهطاوى (المستشار) ٢٠ ، ٢٨٤ ، ٧١٨ ، ١٦٠٥

محمد فؤاد عبد الباقى (الأستاذ) ٣٣٢ ، ١٣٤٩

محمد محمد خليفة (الدكتور) ٤٢١ ، ١٢٩٤

محمد محمد المدنى (الشيخ) ٦٣٢

محمود السباعى (الأستاذ) ١٤٥٠

محمود شاور ربيع (الأستاذ) ٩٠٠ ، ١١٩٤

محمود عبد الرازق عقباوى (الأستاذ) ١٤٨٤

محمود محمد بكر هلال ١٦٣٥

محمود محمد رسلان (الدكتور) ١٥٣ ، ١١٧٥ ، ١٥٧٨

محمود ممتاز الهوارى (الشاعر) ١١٩٢

محيى الدين عطية (الشاعر) ٧٥ ، ١٨٨ ، ٦١٢

مشيخة الأزهر ١٧

مصطفى عبد الرازق (الشيخ) ١٢١٨

مصطفى عبد الشافى مصطفى (الأستاذ) ٩٤٤

مصطفى محمد الحديدى الطير (الشيخ) ١٤٣ ، ٤١٥ ، ٥٥٢ ، ٦٩٦ ، ١٢٨٩

معوض عوض إبراهيم (الشيخ) ١١٣٦

حرف النون

نجيب الكيلانى (الدكتور) ٢٣٠

حرف الهاء

حرف الواو

وفيقة عواد سلامة (الشاعرة) ١٣٥١

حرف الياء

الهدايا الصادرة عن مجلة الأزهر عام ١٤٠٨هـ

اسم الهدية	اسم المؤلف	الشهر
١ ـ الحسن البصرى	للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على الشهير بابن الجوزى	المحرم
٢ ـ التطرف الدينى وأبعاده أمنياً وسياسياً واجتماعياً .	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .	صفر
٣ ـ السيرة النبوية	للشيخ محمود أبو العيون / محمد الحسينى رخا	ربيع أول
٤ ـ مختارات فى أحكام العصاة	لأئمة السلف	ربيع الآخر
٥ ـ التطرف المنسوب إلى الإسلام مظاهره وتفسير ظهوره وعلاجه .	د . هاشم حسن فرغل	جمادى الأولى
٦ ـ حاجة العصر إلى حياة روحية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة	جمادى الآخرة
٧ ـ إن الدين عند الله الإسلام .. دراسة فى مفهوم وحدة الدين .	د . رءوف شلبى	رجب
٨ ـ قدسية الحرمين الشريفين	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	شعبان
٩ ـ القنوت بين الشرعة والبدعة	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	رمضان
١٠ـ الأزهر فى ندوة الفقه الإسلامى بعُمان	إعداد:د . على أحمد الخطيب	شوال
١١ـ مناسك الحج .. تأليف الإمام محمد الخطيب الشربينى الشافعى	تحقيق د . حلمى السيد أبو حسن	ذى القعدة
١٢ـ أوضاع الأقليات المسلمة فى القارة الأفريقية	إعداد السيد المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب	ذى الحجة

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
• « الافتتاحية » « ندوة واحكام » — د . على أحمد الخطيب	١٥٦١
• بيان من الأزهر الشريف في شان المخدرات — لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق	١٥٧٦
• الحج والعمرة دعوة الله المتجددة للإنسانية — د . محمود محمد رسلان	١٥٧٨
• فرحة العيد وسنة الأضحية — للأستاذ محمد صابر البرديسى	١٥٨٥
• أوائــل الشهــور العربيـــة — للمهندس / حمدى وهبة شعراوى	١٥٨٩
• رجال القراءات « الإمام يعقوب البصرى » — للشيخ إبراهيم عطوة عوض	١٥٩٣
• مع الحافظ جلال الدين السيوطى في كتابه « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » — للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	١٥٩٩
• من الحقوق العامة للإنسان في الإسلام « حق التعليم » — للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٦٠٥
• محددات الصراع ضد الإسلام — للدكتور عبد الله نجيب محمد	١٦١٣
• الفتـــــاوى — إعداد : عبد الحميد السيد شاهين، صفوت عبد الجواد	١٦١٩
مـــن أعـــلام الأزهـــر	
• الفقيه الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى — للدكتور محمد رجب البيومى	١٦٢٢
• فضيلة الشيخ محمد احمد عبد الله الشهير بشمس الدين — بقلم د . عبد الحليم حفنى	١٦٢٨
الشعـــر والشعـــراء — اشراف د . حسن جاد	
• فـــى الليـــل — للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين	١٦٣٤
• الـــى الحجيـــج — للشاعر محمود محمد بكر هلال	١٦٣٥
• المقهـــــى — للشيخ محمد زكى إبراهيم	١٦٣٦
العلـــوم الكونيـــة	
• الكون والكونيات في القرآن الكريم — د / كارم السيد غنيم	١٦٣٨
• تطبيقـــات الحاســـب الآلـــى — د . سعاد حسين البيلى	١٦٤٣
• طرائـــــف ومواقـــــف — للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٦٤٦
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر « الحج » — إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات	١٦٤٨
اللغـــة والأدب والنقـــد	
• الربعـــى وأراؤه النحويـــة — د . سعد منصور عرفة	١٦٥٦
• الأدب المقـــارن — د . عبد الله محمد أبو هشة	١٦٦٠
• مـــن خيـــر ما نشـــر — إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام، عادل رفاعى خفاجة	١٦٦٦
• انبـــاء وآراء — د . أحمد عبد الرحيم السايح	١٦٦٨
• الفهـــرس السنـــوى للمقـــالات — أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود، كمال الدين عبد اللطيف السيد	١٦٧٢
• الفهـــرس السنـــوى للكتـــاب — حسن سليم حسن صالح، محمد عبد اللطيف عثمان	١٦٨٠
القســم الانجليــزى — اشراف د . أنس النجار	
• الفهـــرس السنـــوى	١٦٩١
• المقالـــة الثانيـــة — للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	١٦٩٦
• المقالـــة الأولـــى — د . أنس مصطفى النجار	١٧٠٢

Tulayhah ibn Khuwaylid Al-Assadi
Anas M. El Naggar.

2) A Letter to the Editor.
Status of the Honourable Sunnah.
The Editor.

3) The Most Magnificent Names of Allah.
Fatimah M. Sirry.

Zu Al-Qida, 1408, Vol. 60, Part XI.

1) Abu Bakre Al-Siddiq.
War against Apostates (part III)
Sagah and Malik ibn Nuwayrah.
Anas M. El-Naggar.

2) The Holy Quran and Science (part II)
Saad M. Moustafa.

3) The Most Magnificent Names of Allah.
Fatimah M. Sirry.

Zu Al-Hijjah, 1408, Vol. 60, Part XII

1) Abu Bakre Al-Siddiq.
War Against apostates (part IV)
The battle of Al-Yamamah.
Anas M. El-Naggar.

2) The Integrity of the Holy Quran.
Saad M. Moustafa.

3) Index to Volume 60.

===============

→

Rajab, 1408, Vol. 60, Part VII

1. Abu Bakre Al-Siddiq, The First Triumph.
   Anas M. El-Naggar.

2. Man and Woman in Islam (part III)
   Saad M. Moustafa.

3. Unlawful Haram Earnings in Islam.
   Tawfik M. Shahin.

4. The Most Magnificent Names of Allah.
   Fatimah M. Sirry.

Shabaan, 1408, Vol. 60, Part VIII

An Overview of the International Conference of Islamic Dawah. Held in Cairo, 15th Rajab, 1408 - March 4th, 1988.

Anas M. El Naggar

Ramadan, 1408, Vol. 60, Part IX.

1) Abu Bakre Al-Siddiq - War Against Apostates (part I).
   Anas M. El Naggar.

2) The Holy Quran and Science (part I).
   Saad M. Moustafa.

3) The Most Magnificent Names of Allah.
   Fatimah M. Sirry.

Shawal, 1408, Vol. 60, Part X.

1) Abu Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates (part II),

2. Polygyny in Islam.
Saad M. Moustafa.

3. The Creation of Mankind.
Abdel - Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah
Fatimah M. Sirry.

Jummada Al-Ula, 1408, Vol. 60, Part V.

1. Abu Bakre Al-Siddiq - The Succssion.
Anas M. El-Naggar.

2. Man and Woman in Islam, (part I).
Saad M. Moustafa.

3. The Trust, Responsibility and Intention.
Abdel-Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah.
Fatima M. Sirry.

Jummada Al-Akhira, 1408, Vol. 60, Part VI.

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
The First Mandate, Mission of Ussamah.
Anas M. El Naggar.

2. Man and Woman in Islam (part II)
Saad M. Moustafa.

3. The Purpose of Human Action.
Abdel-Hakim Taha.

4. The Most Magnificent Names of Allah.
Fatimah M. Sirry.

INDEX TO VOL. 60, 1408 HIJRAH

Muharam, 1408, Vol. 60 part I.

1. Abu Bakre Al-Siddiq, The First Companion.
   Anas M. El-Naggar.

2. Jesus Christ in Islam and Christianity.
   Saad M. Moustafa.

Safar, 1408, Vol. 60, Part II.

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   His Life with the Prophet (part I)
   Anas M. El-Naggar.

2. Matrimony in Islam.
   Saad M. Moustafa.

Rabie Al-Awal, 1048, Vol. 60, Part III.

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   His Life with the Prophet (part II)
   Anas M. El-Naggar.

2. Male and Female.
   Saad M. Moustafa.

3. Supplication.
   Fatimah Muhammad Sirry.

Rabie Al-Akhar, 1408, Vol. 60, Part IV.

1. Abu Bakre Al-Siddiq
   His Life with the Prophet (part III).
   Anas M. El Naggar.

problems, or difficult issues that we may face. We should take from it only the dimensions it allows for us, and not according to our caprices and inclinations. The Holy Quran has not been sent for a specific age of time or people; and the treasures of its infinite inexhaustible dimensions are continuously realized and appreciated through the ages in perpetual reality, truth, freshness and vitality. The Holy Quran is not static, finite, or momentous; it will preserve its unique quality of infinite knowledge as the eternal message to mankind. The Holy Quran has been revealed for all ages and all human beings. It overpowers and surpases all learning and knowledge of all ages. It encompasses mysteries and intricacies beyond the comprehension of the reader of any age of time; yet it presents a feast of meanings and dimensions that are realized and can satiate the needs of every age of time according with the capacity, capability, piety of that particular age.

within the verses of the Holy Quran - the firm verses "Al-Ayat Al-Muhkamat", and the ambiguous verses "Al-Ayat Al-Mutashabihat". The Holy Quran states "He, Who has sent down to thee the Book, in it are verses of established meaning; they are the foundation of the Book. Others are allegorical... " (Surat Al-Imran, III, 7).

Thereby, the Holy Quran means that there are certain verses with firm meanings that are the "mother of the Book" - Umm al - Kitab. These verses have clear specific meaning with no ambiguity, bearing dimensions of categorical foundation in the Doctrines of Allah's Message. These verses are precise dogmas that cannot be subject to human intellectual comprehension or individual ingenuity. Other verses in the Holy Quran are ambiguous, figurative, metaphoric, allegoric, and implicative. With these, the mind can exercise ingenuity, correlation, similarity, indication and analogy about their meaning. However, one should not be dogmatic in interpreting their meaning; these verses are illustrative portrayals and characterizations, whose best interpretations are achieved in relation with other verses of the Holy Quran. Any extended inference drawn from these verses without the help of the "mother verses" would be very incorrect and unrelaible. It is a grave error and deviation from true faith to interpret Quranic verses in a manner favourable to selfish interests, and wrongfully attribute certain ideas to the Quranic text that are not in agreement with the spirit of the Holy Quran. It should be fully realized that the exact esoteric, occult and theosophic meanings of the Holy Quran remain the knowledge of Allah. Therefore, any deviate interpretations of the Holy Quran based upon personal or sectarian bias and interests is basically an act of heresy. In this connection, the Prophet (prayers and peace be upon him) said "He who interprets the Quran according to his wish, should be certain of his place in hell."

The Holy Quran repeatedly expresses that its meaning and implications should be approached with unbias, sincerity, unprejudice and meditative contemplation. "Here is a Book which We have sent down unto thee, full of blessings, that they may meditate on its Signs, and that men of understanding may receive admonition" (Surat Sad, XXXVIII, 29). Even the unbelievers are invited in the Holy Quran to appraoch and comtemplate over its verses. Why do they avoid to contemplate over the Quran, are their hearts locked and sealed. "Do they not then earnestly seek to understand the Quran, or are their hearts locked up by them ?" (Surat Muhammad, XLVII, 24). If we make the effort to comprehend the Holy Quran in an honest unprejudiced approach, it is not at all necessary to solve, realize, or understand all the

Muhammad from a Source that transcends his thought and mind, and the Prophet was only the recipient of this Divine Revelation. Acquiring sufficient understanding of Quranic teachings, brings us to acknowledge the absolute Divine nature of the Holy Quran, and its quality of being an eternal Divine miracle of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). It has been revealed to the Messenger Muhammad in a wholesomeness that is compatible with human mental capabilities.

The scholarly study of the Holy Quran essentially necessitates proper knowledge of the Arabic Language, the language of the Holy Quran. Another essentiality is knowledge of Islamic history and the history of mankind, since the Book was revealed over a long period of twenty-three years of the Prophet's very rich life. A third requirement for the proper study of the Holy Quran, is the correct mastery of the Hadith "Sayings" of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). The Prophet was, according to the Holy Quran itself, the interpreter of the Holy Quran, par excellence. The Holy Quran states "As we have sent down unto thee the Message that thou mayest explain clearly to men what is sent for them and that they may give thought" (Surat Al-Nahl, XVI, 44). The Holy Quran also states "It is He who has sent among the unlettered a Messenger from among themselves, to recite to them His signs, and to purify them, and to teach them the Book, and the wisdom" (Surat Al-Jumaa, LXII, 2). In this connection, it is mandatory for every Muslim to recognize and acknowledge that whatever has reached us from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Hadith, or tradition, or riwayat (narrations) fundamentally aims to expand, elaborate and facilitate our understnading of the Holy Quran. It is a grave error, one that undermines the essentials of Islamic faith; for any Muslim to interpret independently the Holy Quran without following closely and intimately the Sunnah and Hadith of the Prophet Muhammad. In fact, the Holy Quran explains itself within itself, because the verses of the Holy Quran constitute a completely unified integral whole, a coherent interwoven structure. The widest totality of the meaning and purpose of every verse is realized and encompassed only within the inter-related matrix of the Holy Quran as whole. The meaning of every verse standing alone does not go beyond what is understood from the literal meaning of the words. Indeed, the Holy Quran has its own unique mode of discussing various problems. There are instances where if a solitary verse is studied without placing it in its proper context, it gives an incomplete sense than when it is viewed in connection with the other verses dealing with the same subject or a similar subject. The Holy Quran itself specifically points out a distinction

For a Muslim, the Holy Quran is the foundation of religous teachings, doctrines, and thought; whatever gives meaning, purpose, justification and equilibrium to human existance is found in the Holy Quran.

The processes of Quranic documentation from the time of the Revelation through forteen hundred years has guaranteed the unaltered exactness and authenticity of the Book. The Holy Quran is the only Holy Book which remained fully intact from the time of its revelation until the present time. Not only is the full text of the Holy Quran available, but is also available in the full and exact form as uttered by Prophet Muhammad at the time of its revelation and in the original Arabic Language, in which it was revealed. No addition, deletion, or interpolation found its way into the text of the Holy Quran. It is the sole authoritative authentic revelation available to mankind. It is authoritative because an objective study of the Holy Quran clearly shows its divine origin and the wholesomeness of its constitution and intigration as a divine scripture to mankind. It is authentic because of the conclusive evidence that it remained intact through the process of its transmission along the generations from the time of its revelation, without being mixed with human and philosophical ideas and doctrines.

The very early Muslims, companions of the Propohet Muhammad believed that the Holy Revelation of the Quran were the Words of Allah. These Words were congenial to their sensibilities and their natural propensities and inclinations, which made the Words of Allah become effectively imprinted in their hearts like inscription on stone. These were the "Scribes of the Holy Revelation" whom the Prophet had personally selected. The extraordinary supreme and supernatural literary elegance and fluence, the artistic rhetoric dimensions of the Holy Quran, was an extra reason that promoted these early Muslims to memorize, scribe and intimately preserve the text of the Holy Quran. Accordingly, there is no justification for any discussion about the Holy Quran from the point of view of its authenticity.

An analytical study of the Holy Quran reveals that it constitutes an exactness of purpose, a message of guidance to mankind, knowledge of the atributes of the Creator, matters of life and death; it considers reason and the rationality of the mind as supporters of faith and belief. Its contents are genuinely original which have not been adopted or imitated from any other source. It bears a specific divine identity, its teachings and doctrines were delivered to the Prophet

THE INTEGRITY OF THE HOLY QURAN

By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

In the previous two articles, the relationship of the Holy Quran and science has been discussed. It is very evident that the context of the Quran includes mention of the various phenomena of nature and exhorts mankind to contemplate, understand and research in these phenomena of creation. Since the Quran is the eternal message of Allah to mankind for guidance, it therefore emphasizes that our studies in science should not be a means of understanding the material universe, but also a means of recognizing the Creator of the universe, and deepening our submission and obedience to Allah. Every endeavour, every study, every research, every investigation should be essentially aimed at exploring Allah's infinite creation, in order to increase and manifest our remembrance of Allah. The Holy Quran teaches us to supplicate to Allah, to teach us and increase our knowledge. One of the most manifest, outstanding and repeated advice given to mankind in the Holy Quran is to think, observe, contemplate, ponder, relate, associate and draw prespectives. Such process of mental excercise if performed with earnest honesty, must bring man to full realization of the Creator. This is the Message and this is the guidance. The Holy Quran and the meanings it carries within its letters is a perpetual eternal Message to mankind for all ages of time and for all peoples of mankind.

Knowledge of the Holy Quran is most essential for all believers in the Islamic Faith, and also for learned scholars who study the development of human society and human behaviour. This statement is based on the fact that the Holy Quran has been effectively instrumental not only in moulding of Islamic societies, but also in the shaping of the human race as a whole. There has been no book in the history of mankind that has infuenced human societies to the magnitude of the Holy Quran. For such reason, the Holy Quran automatically steps into the precincts of all serious discussions or research in the sociology of the human race.

affairs of the Muslim nation. It was estimated that more than fifteen thousand of Bani Hanifah died in battle, and approximately fifteen hundred from among the Muslims. The numbers of the dead were very great for that era of history. Many among the Muslims who died were bearers of the Holy Quran, the loss was great and the grief among those in Makkah and Al-Madiniah was very deep and intense.

When all was over and everything settled down, Khalid ibn Al-Walid whom Allah had brought victory and triumph to Muslims on his hands; summoned Mugaah, and in a very composed intent statement, requested marriage to Mugaah's daughter. Mugaah hesitated, but on the insistance and determination of Khalid, Mugaah accepted to marry his daughter to Khalid. When the news reahed Abu Bakre, he was in rage inspite of his patience. Abu Bakre wrote to Khalid "You, the son of Um Khalid, you are really vain, empty and conceited braggart. You marry women and in your courtyard the blood of fifteen hundred Muslims has not yet dried". Khalid remained to live with his two wives Lyla Um Tamim, and the daughter of Mugaah in one of the valleys of Al-Yamamah, for sometime. He was later summoned (in the reign of Abu Bakre) to command another military campaign.

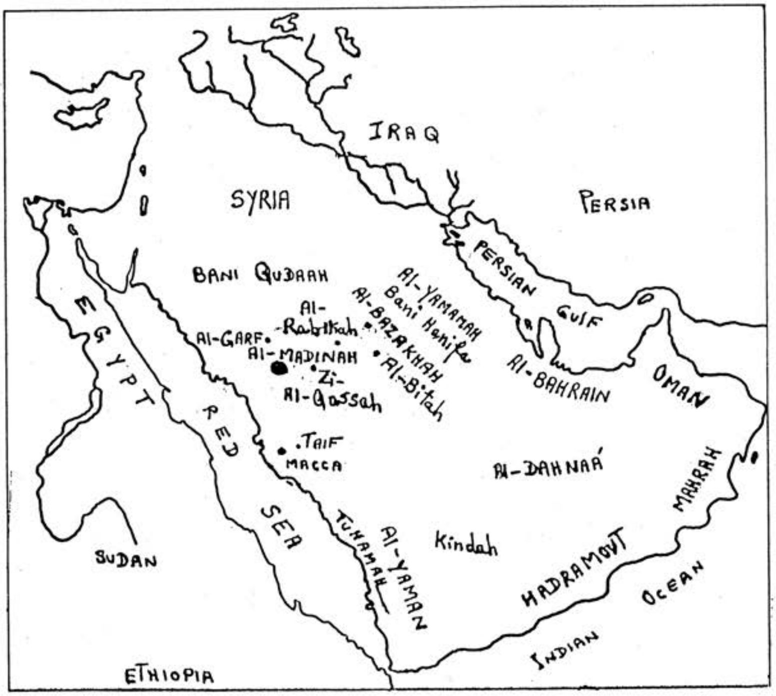

garden and attack Bani Hanifah inside. He wanted to attain final victory and undisputed triumph in that battle of destiny. The Muslim troops tried to search for means of entry through the walls of the garden, but failed to find any gaps. The Muslim worriors climbed the walls of the garden nearest the gates; they were headed by Al-Baraa ibn Malik. They jumped to the inside, fighting very severely, untill Al-Baraa managed to open the gates from the inside. The Muslims from the top of the walls worked their arrows on those of Bani Hanifah inside. When the gates were open, the Muslim troops rushed to the inside of the garden pursuing the defeated escaping Bani Hanifah, who at that stage could offer no resistance. Finally, Mussaylimah was killed by the spear of Wahshii (who had killed Hamzah during the battle of Uhud, and later became a Muslim). A man from the Ansar joined in the killing of Mussaylimah with his sword. It is not known for certain who really killed Mussaylimah. However, after the death of Mussaylimah, there was total collapse of Bani Hanifah who willingly surrendered and accepted utter defeat. The causalities from the Muslims and Bani Hanifah were great more so from Bani Hanifah. The garden became notorious bearing the name the "garden of death". The Muslims gained the honour and glory of a great triumph. The forces of virtue and faith once again dominated and defeated the forces of evil and apostasy. When the battle was over, Mugaah was brought to recognize Mussaylimah from among the dead.

Khalid ibn Al-Walid could not consider the victory of the "garden" as final. He sent his horsemen to pursue all members of Bani Hanifah in their dwellings and in the valleys. Khalid then gathered his troops to attack those remaining in the fortresses of Bani Hanifah. Mugaah came to Khalid and told him that the fortresses were well protected with great numbers of men, and that Khalid should consider negotiating conditions of armistice with Mugaah. Khalid accepted to negotiate realizing that his men were exhausted and more fighting may have had an adverse result. He was then in position of triumph, and negotiations could very well be in favour of Muslims. Both Khalid ibn Al-Walid and Mugaah ibn Murarah negotiated conditions of armistice and agreed. Mugaah tricked Khalid, for there were only women and children in the fortresses. When Khalid discovered Mugaah's trick, he still agreed to the terms of the armistice. All the tribe of Bani Hanifah assembled to proclaim loyalty and obedience to Abu Bakre, allegiance to Muslims, and their return into the faith of Islam. A delegation from Bani Hanifah went to meet Abu Bakre at Al-Madinah to declare their return into Islam, witnessing that Allah is One with no associate partner, that Muhammad was the Messenger and final Prophet of Allah, and that Abu bakre was Khalifa of Rasul Allah to minister the

→

dependence on each other. He shouted to the men his orders to excell, to give the example, to race for martyrdom, to follow the gleam of the sword, and the aroma of paradise. Each man for himself, press on the enemy, you are the valiant, gallant, undaunted worriors of Islam, the holders of the Holy Quran, the daring vigilantes of truth and honour, the shield of righteousness. With these words injected into the ears of the Muslims in the heat of battle, the Muslim forces stood their ground in firmness, and the casulaities of Bani Hanifah increased in number as the Muslims pressed on their lines and attacked their formations. The spirit of faith filled the hearts above the carnal desire of life, they fought seeking martyrdom, the road to eternal paradise, they fought for truth and for reality. Their leaders gave the example and cried for excellence in combat. They advanced into enemy positions followed by their men. People like Thabet ibn Qays, Al-Baraa ibn Malik, ayed ibn Al-Khattab, Abu Huzaifa ibn Al-Yammam and others fought the enemy with intense valour and unchallenged courage, followed by masses of Muslims pressing tightly on the enemy from Bani Hanifah, compelling them to withdraw to behind the original lines of combat. These men of courage and valour died on the battle ground of honour and martyrdom. The men from Bani Hanifah fought with fierce intention, and in distress for survival, they fought to defend a sick diseased cause, they had no roots except their tribal connections, they had followed a false path of fakery and ignorant stupidness. The Muslims were gaining ground, and Bani Hanifah were retreating.

Khalid ibn Al-Walid recognized that the strength of Bani Hanifa at that stage resided in Mussaylimah as a central personality. Khalid and his men pressed bitterly on Mussaylimah and the men around him came forward to meet their death by the swords of Muslims. Mussaylimah was afraid to engage in actual combat, he hesitated, became bewildered with fear, retreated and ran away. Bani Hanifah seeing Mussaylimah running away, they also followed. A man from Bani Hanifah, Muhkam ibn Al-Tufayl, saw the massive retreat of Bani Hanifah after Mussaylimah, followed by Muslims working their swords into them, he shouted "Bani Hanifah, the garden". This garden belonged to Mussaylimah and was in the neighbourhood of the battle ground. It was a large enclosure within high walls and a strong gate. Muhkam ibn Al-Tufayl and his men covered the retreat of Bani Hanifah into the garden in defence of the Muslim assault.

Now, the Muslims were outside the walls of the garden and Bani Hanifah were well sheltered behind the walls of the garden. Khalid ibn Al-Walid decided to storm the walls of the

from Islam. They answered "A prophet from us and a prophet from you". They were all killed except one "Muggah ibn Murarah" whom Khalid kept as hostage because of his high rank in Bani Hanifah. Mussaylimah marched with his forces to Aqraba on the boundaries of Al-Yamamah where he positioned his troops to face the Muslims. It was the day of Al-Yamamah, one of the most important dates in Islamic history. The militant forces of rejection and apostasy against the forces of faith and belief. All the tribes in the Arab Peninsula in the east and south awaited the outcome; the Persian Empire across the Persian Gulf and in Iraq, and the Roman Empire across the northern borders in Syria and Palestine, all waited the result of that crucial confrontation. The air was still with suspense, the hearts were throbbing with apprehension solitude and perturbation. Abu Bakre at Al-Madinah with few men remained silent. He had engineered the whole campaign, supplied it with all his capabilities of men, knowledge, wisdom, strategy, and foresight. Deep in his insight, piety and strong faith, he was calm and confident that Allah was his victor. The day of Al-Yamamah was the optimal challenge between inquity and virtue, between infamy and righteousness.

The forces of Mussaylimah advanced under the command of his son Shurahbil ibn Mussaylamah. He invoked Bani Hanifah with words that excited their manhood, jeolousy, and chauvinism. They pressed severely on the Muslims who had to retreat partially at the defeated flank. The headquarters and tents of Khalid ibn Al-Walid were attacked, occupied and torn to shreds. Muggaah was kept prisoner there with Khalid's wife "Lyla, Um Tamim" as guard. When the tents of Khalid were overrun, one of the men from Bani Hanifah wanted to kill Um Tamim, but Muggaah prevented that action, ordered the man to follow the men on the battlefield. Inspite of the Muslim retreat, the masses of Bani Hanifah had suffered many casualities amongst those was Nahar Alraggal, the man of vicious deciet frandulant moral corrpution and human degredation. The man whose infamy and sin brought Bani Hanifah to this pitiful condition of following the path of falsehood and deception. Knowing that Mussaylimah was a debased impostor, yet he supported him with fakery and untruth, to a stage that Mussaylimah believed his own lies. Nahar Alraggal was killed in battle by Zayd ibn Al-Khattab. The Muslims partially withdrew but the battle continued fierce and intense.

Khalid ibn Al-Walid remained composed after his tents were overrun. With his shrewd mind as an excellent experienced commander, he diagnosed why the Muslims were making no progress in battle. They were slackening due to over confidence, they were not sharp due to the attitude of

Mussaylimah without reservation on the grounds of what Nahar had told them.

When Abu Bakre was deputizing the armies to fight the apostates, he commisioned Ikrima ibn Abi Jahle to confront Bani Hanifah. Ikrima was to be assisted by Shurahbil ibn Hassanah. When Ikrima marched to Bani Hanifah, he did not wait for Shurahbil ibn Hassanah to support him, but hurried to meet Mussaylimah alone, wanting to achieve the honour of victory over Bani Hanifah alone. Ikrima was bitterly defeated, and wrote to Abu Bakre of the defeat. Abu Bakre wrote back to Ikrima severely critisizing his action, and ordered him to march with his men to Uman and Mahrah to support the Muslim armies in those districts.

Abu Bakre ordered Khalid ibn Al-Walid to march to Al-Yamamah, and sent reinforcements to support the Muslim army. These reinforcements included the most solid men of the Muhagereen and Ansar, companions of the Prophet, people like Thabet ibn Qays, Al-Baraa ibn Malik from the Ansar; Abu Huzayfah ibn Al-Yaman and Zayd ibn Al-Khattab from the Muhagereen. Abu Bakre also sent people of Badre, the veterans of the first battle of Islam; and the learners and recitors of the Holy Quran. Abu Bakre supported the army of Khalid ibn Al-Walid with the highest quality of men in courage, experience, wisdom, honour and piety; the selected cream of the Muslim community. The confrontation with Bani Hanifah was the backbone of the war against the apostates, the most crucial event at the time. Abu Bakre was fully aware of the strength of Bani Hanifah, their intractable renitent support to Mussaylimah, their tribal chauvinism as Bani Hanifah in the east of the peninsula as opposed to Quraysh in the west. The situation was really very grave indeed, and the Muslim worriors were marching towards Al-Yamamah under the command of Khalid ibn Al-Walid, fully understanding, confident with faith, high spirited with purpose, sincerely desiring martydom in the cause of Allah. For these men, it was the path to eternal glory, to paradise, to the maxim grade of human achievement - The strive in the cause of Allah, to establish the words of Allah as supreme.

As the army of Khalid ibn Al-Walid was marching towards Al-Yamamah, the people of Bani Hanifah were making preparations to confront them. The vanguard troops encountered Shurahbil ibn Hassanah who safely retreated from his position to meet Khalid ibn Al-Walid and join forces with him. Muggaah ibn Murarah from Bani Hanifah went out in a small group to scout. At a place called Thaniyat Al-Yamamah, the group was met by Khalid and his forces. Knowing them to be from Bani Hanifah, they were asked about their position

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
WAR AGAINST APOSTATES

PART IV

THE BATTLE OF AL- Yamamah

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Abu Bakre Al-Siddiq had summoned Khalid ibn Al-Walid to Al-Madinah to initimidate him for his unorthodox conduct of killing Malik ibn Nuwayrah and marrying his widow. Abu Bakre sent Khalid back to his command with orders to move to Al-Yamamah the dwellings of Bani Hanifah, who were by far the strongest consortium of apostates against Islam. The leader of that consortium was Mussaylimah ibn Habib "The impostor" of Bani Hanifah, who at the time commanded more than fourty thousand worriors in battle dress. These men denied the true prophethood of Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) and accepted the false alleged specious prophecy of Mussaylimah "the liar". They believed that if Muhammad was the Prophet from Quraysh, Mussaylimah was the phrophet from Bani Hanifah. They were consolidated, with no disputes or differences among them.

Musaylimah as described by chroniclers, was of short stumpy built, undignified in appearance or stature. However, he was clever at conversation, dialogue and the use of words to serve his purpose. A man from Bani Hanifah named Nahar Alraggal ibn Unfuwah was a Muslim, learned the Quran and the teachings of Islam at Al-Madinah at the time of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). He was sent to bani Hanifah to educate them after some of them had accepted Islam and their delegates came to Al-Madinah to meet with the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and proclaim their Islam. Nahar was a man of political intrigue, and announced to the people of Bani Hanifa that the false claim of Mussaylimah as a prophet, was true, and supported Musaylimah in his pretext. Bani Hanifa followed

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

ZU AL-HIJJAH, 1408, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph. D.

CONT NTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates, (part IV).
   The Battle of Al-Yamamah.
   Anas Moustafa El-Naggar.

2) The Integrity of the Holy Quran.
   Saad Moustafa Moustafa.

3) Index to Vol. 60.

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Mohammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION